خزانة تواريخ المنتفق

(المجموعة الأولى)

١. شجرة الزيتون في نسب السعدون
٢. جزء المنتفق من التحفة النبهانية
٣. ذكرى السعدون لعلي الشرقي
٤. تاريخ السعدون لعبدالله الناصر
٥. الشرف المصون في تاريخ آل سعدون
٦. تاريخ المنتفق لسليمان فائق
٧. نبذة من تاريخ بغداد والبصرة والمنتفق
٨. المنتفق في عرب الصحراء لديكسون
٩. آل سعدون في كتاب الإعلام للزركلي
١٠. المنتفق في مخطوطات ياسين العمري
١١. المنتفق في مجلة لغة العرب
١٢. المنتفق في خزانة التواريخ النجدية
١٣. المنتفق في كتابات عباس العزاوي





العنوان: خزانة تواريخ المنتفق (المجموعة الأولى).

تأليف: مجموعة من المؤرخين والباحثين القدماء.

الموضوع: كتب ودراسات تاريخية حول مشيخة آل سعدون لتحالف المنتفق في العراق الجنوبي.

الطبعة الأولى (نشر الكتروني): ١٤٤٣هـ (٢٠٢٢م).

مقدمة الخزانة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وسيد الغرّ المحجّلين: نبيّنا «محمد بن عبدالله» الصادق الأمين، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الطيّبين الطاهرين، ومن سار على هديهم، واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فخلال فترة طويلة من الزمان أخذ اسم «المنتفق[1]» ككيان قبلي يتردد بقوة في جوانب التاريخ السياسي والاجتماعي لمنطقة الجنوب العراقي، والصحراء الممتدة شمال جزيرة العرب.

وقد ساهمت مشيخة المنتفق، والعشائر المنضوية تحت تحالفها في صياغة الكثير من مفردات واقعنا المعاصر في جوانب سياسية واجتماعية متعددة، بشكل ميّزها من حيث امتداد الفترة الزمنية التي شكّلت خلالها عنصراً في الأحداث: (أربعة قرون)، والمساحة الكبيرة التي تحرّكت فيها هذه الأحداث: (بغداد شمالاً. إلى الأحساء جنوباً، والأحواز شرقاً. إلى مشارف بادية الشام غرباً)، إضافة إلى الزخم العددي للتحالف باعتباره قد مثّل خلال فترة طويلة واحدة من كبرى الكيانات القبلية في المنطقة.

ودون مبالغة، يمكن للباحث العثور على نتف من أخبار مشيخة المنتفق في مئات

---

(١) يكتب اسم المنتفق بأربعة طرق في المصادر والوثائق، وهي: (المنتفق -المنتفگ بالكاف الفارسية -المنتفك -المنتفج)، والمنتفق هو الرسم الأصلي العربي نسبة للجد العامري للقبيلة، والمنتفگ بالكاف الفارسية (الجيم المصرية) هو اللفظ العثماني والبدوي والعامي للاسم، والمنتفك بالكاف الحقيقية هو رسم مغلوط نظراً لعدم وجود حرف الكاف الفارسية في بعض المطابع، أو عدم اعتماد رسمه لدى المؤلفين وكتاب الوثائق، والمنتفج هو اللفظ العامي لدى أهل البادية العراقية، وما حولها، والمعروف أن آل سعدون وأبناء عشائر المنتفق ينطقون الاسم في حديثهم اليومي: (المنتفج).

المراجع التاريخية والأدبية والاجتماعية، وهذه المراجع لكثرتها وشتاتها تحتاج من الباحث الجاد إلى تمحيص وتأنّ في جمع المادة، وتخليصها من جوانب الهوى والعواطف القبلية والفئوية، وتحليلها تحليلاً منطقياً للخروج بدراسة متكاملة عن مشيخة المنتفق ما أمكن.

وقد رأينا أن نقدم للقارئ في هذا المجموع المسمى (خزانة تواريخ المنتفق) بعضاً من الكتب والبحوث الهامة التي تعد مراجع أصيلة لتاريخ المنتفق، خاصة وأن بعض هذه المؤلفات قديم، وصار عزيز المنال، لتكون بين أيدي الباحثين والمهتمين.

وتجدر الإشارة إلى أننا حرصنا على إخراج النصوص كما وردت في الأصول، ووضعنا تعليقات وتصويبات في الهامش بتوقيع (مشرف الخزانة)، بينما بقية الهوامش تعود لأصول الكتب والبحوث، وقد وضعنا الصور الفوتوغرافية الموجودة في الأصول، مع إضافة بعد الصور التي تخدم النص.

وفي المجموعة الأولى من هذه الخزانة نقدم للقارئ نصوص ١٣ كتاباً وبحثاً عن تاريخ المنتفق، وهي كالآتي:

١. شجرة الزيتون في نسب السعدون

٢. جزء المنتفق من التحفة النبهانية

٣. ذكرى السعدون لعلي الشرقي

٤. تاريخ السعدون لعبدالله الناصر

٥. الشرف المصون في تاريخ آل سعدون

٦. تاريخ المنتفق لسليمان فائق

٧. نبذة من تاريخ بغداد والبصرة والمنتفق

٨. المنتفق في عرب الصحراء لديكسون

٩. آل سعدون في كتاب الإعلام للزركلي

١٠. المنتفق في مخطوطات ياسين العمري

١١. المنتفق في مجلة لغة العرب

١٢. المنتفق في خزانة التواريخ النجدية

١٣. المنتفق في كتابات عباس العزاوي

وبما أن حقوق المؤلف المالية تنتهي بعد خمسين عاماً من وفاة المؤلف، فقد حرصنا على أن تكون الكتب الموجودة في هذه المجموعة مما تنطبق عليها قوانين الملكية الفكرية.

* * *

ولمزيد من الفائدة نستعرض هنا بعض الدراسات التي اختصت حصراً بالتأريخ للمنتفق أو لبعض زعمائهم، ويمكن تلخيصها في المراجع الآتية:

١- تاريخ المنتفق: كتاب مفقود منذ فترة طويلة لمؤلف اسمه إبراهيم الرفاعي، وقد اعتمد عليه صاحب (التاريخ المجهول) الذي كان بحوزة عباس العزاوي، وقد نسب الأخير إلى الرفاعي بعض الأخبار عن المنتفق في مؤلفاته رغم أنه بحث عنه دون فائدة، فاكتفى بمنقولات صاحب (التاريخ المجهول).

٢- مزيد السرور ومزيل الحزون في مدح عجيل السعدون: مخطوط موجود حالياً بالمكتبة العباسية في البصرة، وقد ألفه شاعر يدعى (عبدالنبي بن الرضى البغدادي) في مدح عجيل السعدون (شيخ المنتفق وقتئذ)، وضمنه أشعاراً كثيرة، وذكر بعض أخباره منذ سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م) إلى اكتمال تأليفه في ٢٢ ربيع الأول ١٢٤٥هـ (الاثنين ٢١ سبتمبر ١٨٢٩م)، ويذكر فهرس المكتبة العباسية الصادر في بيروت عن مركز

الخدمات والأبحاث الثقافية واصفاً هذا الكتاب: (أن معظمه في الشعر، وفيه وقائع وأخبار يفتقر إليها الباحث، وأغلب أسلوبه مسجع).

ويذكر د. خالد السعدون في أحد بحوثه أن الصفحة الأخيرة من هذا المخطوط تحوي تواريخ وفاة بعض أفراد الأسرة السعدونية، كتبها أحد أبناء أسرة آل باش أعيان، مما يضيف أهمية مضاعفة للمخطوط، وقد اطلع الباحث الدكتور عبدالحكيم السعدون على هذا المخطوط، وضمّن أطروحته العلمية بعض أخباره.

كما اطلع عليه المؤرخ يعقوب سركيس[1]، ونقل منه بعض الأخبار في مسوداته المخطوطة التي اطلعنا عليها.

وهو يحكي قصته مع هذا المخطوط، فيقول: «أرسل إليّ الشيخ ياسين باش أعيان في البصرة بكتاب تاريخه ٢٣ كانون الأول ١٩٣٣م، ومما فيه: (أما الديوان الذي ذكرت لكم عنه فهو اسمه (ديوان مزيد السرور ومزيل الحزون في مدح الشيخ عجيل بن محمد السعدون) لمؤلفه وناظمه عبد النبي الرضي البغدادي، عدد صحائفه ٢٣٤، يحتوي على ٤٢٠ بيت، وفيه بعض أخبار ومدائح مسجعة لا بأس بها. ألّف في ٢٢ ربيع الأول سنة ١٢٤٥هـ، ولكن إلى الآن ما حصلت أحد يستنسخه لنا تماماً، وقبل مدة حصلت واحد، وكتب منه بعض وريقات، وعندما قابلتها ظهرت فيها أغلاط كثيرة، فتركته إلى بعد عيد رمضان، وإن ما وجدت أحد ليكتبه لي على موجب ما أريد، سوف أضطر بعد شهرين أو ثلاثة على وجه الربيع أتوجه لبغداد، وأصحب الديوان معي، ونستنسخه بطرفكم، والله الموفق)، وبعد هذا أرسل لي بنسخة من هذا الديوان».

---

(١) يعقوب نعوم سركيس: هو يعقوب بن نعمة الله بن أكوبجان بن سركيس بن أكوبجان بن مقصود. حلبي أرمني كاثوليكي. ولد في بغداد سنة ١٨٧٥م. إذ كان جده قد نزلها بعد أن هجر حلب لكثرة الزلازل التي وقعت فيها في أوائل القرن التاسع عشر، وبعد أن بلغ نعمة الله (نعوم) مرحلة الشباب اتصل بناصر باشا السعدون، فقربه إليه، وأقامه أميناً لخزانته، وظل نعوم لصيقاً به وبأسرته منذ ذاك وحتى وفاته سنة ١٨٩٣م. أما يعقوب فله من المؤلف (مباحث عراقية)، وهو مؤلف يقع في ثلاثة مجلدات، ويعتبر من الأبحاث الهامة في الهوية العراقية والمجتمع العراقي وتاريخه، وكتب ونشر عدد من البحوث والمقالات في الصحف والمجلات العراقية، وتوفي في يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٩م. انظر: بحث بعنوان (البصرة في رسائل نعوم سركيس) لخالد بن حمود السعدون. (مجلة آداب البصرة، ع٥١، سنة ٢٠٠٩م).

٣- تاريخ المنتفق: كتاب تُرجم عن اللغة التركية، وطبع بالعربية في بغداد سنة ١٩٦٢م (١٣٨١هـ)[1]، ومؤلفه هو سليمان فائق بك بن الحاج طالب الكهيه من بقية مماليك بغداد، وقد عمل محاسباً للواء المنتفق إبان مشيخة منصور باشا السعدون.

والكتاب في الأصل مجموعة مقالات بالتركية نشرها سليمان فائق في بعض صحف زمنه للدفاع عن مواقفه، وبالتالي فهو يعرض وجهة نظره المتحاملة، بل والكارهة والحاقدة على بعض زعماء آل سعدون، وخاصة ناصر باشا، وفهد باشا بن علي السعدون، اللذين تعرض لعداوتهما إبان عمله الهادف لفرض سيطرة الدولة العثمانية على مناطق نفوذ المشيخة، ورغم ذلك، فالكتاب يعد من المراجع الأصيلة التي نقلت عن شهود عيان تغطية لفترة حمود الثامر، ومن واقع التجربة الشخصية في الفترة اللاحقة، وقدمت بعض التفصيلات المهمة عن محاولات الدولة لتحويل المشيخة إلى قائمقامية، والتي كان المؤلف أحد أدوات تنفيذها، ومعاول هدم المشيخة.

٤- ذكرى السعدون (أو تاريخ بطل التضحية والإخلاص): كتاب مختصر صغير ألفه الشاعر العراقي علي الشرقي، ونشره على عجل بُعيد انتحار عبدالمحسن السعدون سنة ١٩٢٩م (١٣٤٨هـ) عن المكتبة الوطنية، وكان قد ألف معظمه قبل وفاة عبدالمحسن، وأهداه نسخة من مخطوطته، وطبع في (مطبعة الشعب) ببغداد، ويحتوي على بعض المعلومات المهمة عن تاريخ المشيخة التي نقلها المؤلف عن رواة عصره، وخاصة من آل سعدون.

ويبدو أنه لم يدعم كتابه بمراجع كثيرة، كما هو واضح من خلطه في بعض التواريخ، وفي ترتيب شيوخ المنتفق، إضافة لنسيانه ذكر بعضهم، والكتاب يهمل إلى حد كبير فترة (فالح باشا، وسعدون باشا المنصور، وابنه عجمي)، باعتبار أن المشيخة الرسمية باعتراف الدولة قد انتهت في فترة سابقة لهم، وهو بذلك يحرم قارئه من فترة كان من الممكن أن يعتبر مرجعاً موثوقاً في رصدها لقربه الزمني منها.

---

(١) أعادت الدار العربية للموسوعات ببيروت طباعة كتاب فائق بعنوان (عشائر المنتفق)، وتصرف الناشر بتغيير بعض العبارات دون مبرر.

وكان صاحب المكتبة الوطنية عبدالحميد زاهد قد نشر في جريدة الأوقات البغدادية يوم ١٨ نوفمبر ١٩٢٩م (بعد خمسة أيام من انتحار عبدالمحسن السعدون) مقالة يدعو فيها الكتّاب للمشاركة في كتاب (ذكرى السعدون) الذي يعتزم علي الشرقي إعداده، وأهدى زاهد نسخة من كتاب (ذكرى السعدون) لجريدة الأوقات البغدادية كما نشر في عدد ١٠ ديسمبر، وعلقت الجريدة: «إنا نشكر لحضرة الناشر حميته على إخراج هذا المشروع النافع، وإنا نقدر له جهده هذا حق قدره، ولكنّا في الوقت نفسه نحب أن نوجه نظره إلى بعض المآخذ فيما يتعلق بطبع الكتاب، فقد حدثت به هفوات، وإن كانت هينة، إلا أنه كان من الأفضل أن يكون نصيبه من العناية أكثر من ذلك، فعسى أن يتلافى هذه الهفوات في الطبعة الثانية من الكتاب».

٥- تاريخ السعدون: كتاب صغير الحجم والفائدة على العكس مما يوحي به اسمه، وقد ألفه عبدالله الناصر، وطبعه سنة ١٩٤٤م (١٣٦٣هـ) في مطبعة الراعي بالنجف، ونشره إبراهيم محمد فتاح صاحب مكتبة الأحرار بالناصرية، ونقل الناصر الكثير عن كتاب الشرقي سالف الذكر، ولا نملك عن مؤلفه أي معلومات سوى أنه كان أديباً شاباً من أدباء الناصرية في ثلاثينيات القرن العشرين، وأنه من فرع (الناصر) من أسرة (آل شبيب)، ولهذا فالكتاب عاطفي في بعض أحكام المؤلف تجاه أسرته، رغم بعض الانتقادات التي يوجهها لبعض ممارساتهم، ولكنها في العموم انتقادات تشي بمحاولة للحياد.

٦- التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية: كتاب مهم خصص مؤلفه محمد بن خليفة النبهاني جزءاً كاملاً عن المنتفق (الجزء ١٠) طبع سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) بالمطبعة المحمودية التجارية بالقاهرة، بالإضافة إلى جزء آخر عن البصرة، ورغم الجهد المبذول فيه، إلا أن المؤلف ينقل الكثير عن مجلة لغة العرب و(مطالع السعود) دون تذكير بالمرجع الأصلي، ولكن معلوماته عن فترة سعدون باشا وابنه عجمي تتسم بالأصالة والتفرد، إضافة إلى نقله الكثير من التفاصيل عن أصول آل سعدون، وحكاياتهم القديمة، وتفرع أسرهم، وبعض التفصيلات عن ثقات من الأسرة نفسها.

٧- الأوضاع القبلية في البصرة: كتاب صدر سنة ١٩٨٨م (١٤٠٨هـ) في الكويت، ومؤلفه هو: (الدكتور خالد بن حمود بن عبدالله بك الفالح السعدون)، وأهمية كتابه تكمن في استفادة المؤلف من قدرته البحثية كأكاديمي متخصص في مجال التاريخ، ومن كونه حفيداً مباشراً لآخر شيوخ المنتفق الفعليين، مما يجعل روايته تمتاز بالثقة المرجعية، والمنهجية العلمية، بالإضافة إلى ندرة الوثائق التي يرجع لها.

وصدر للدكتور خالد أخيراً كتاب عن جده ناصر باشا يغطي مرحلته بشكل وافٍ، كما أن له بحوثاً عدة منشورة لم تخل من أخبار مهمة عن مشيخة أسلافه.

٨- تاريخ السعدون السياسي: اطلعت على مسودة لهذا الكتاب الذي لم يطبع حتى الآن لتردد مؤلفه المعاصر (عبدالكريم بن فحل بن عمر المنصور السعدون) في طباعته.[1]

٩- عبدالمحسن السعدون. دوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر: دراسة تاريخية في سيرة السياسي العراقي عبدالمحسن السعدون، مهّد لها المؤلف (لطفي جعفر) بمقدمة طويلة عن تاريخ الأسرة السعدونية، وتكمن أهمية هذا الكتاب في احتوائه على معلومات مهمة بشأن عبدالمحسن، وعلاقته بأسرته، وتأثيرات هذه العلاقة على تعامله مع الظروف السياسية المختلفة، وطبع عن مكتبة اليقظة العربية ببغداد سنة ١٩٨٨م. ثم أعادت طبعه دار جداول ببيروت سنة ٢٠١١م بإذن من المؤلف.

١٠- إمارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة الإقليمية: كتاب صدر سنة ١٩٩٩م (١٤٢٠هـ) عن دار وائل للنشر بعمّان، وقام بتأليفه (د. حميد بن حمد السعدون)، وهو حفيد مباشر لفهد باشا بن علي السعدون أحد أهم شيوخ المنتفق، وفي الكتاب إضافات مهمة لا توجد لدى غيره، خاصة وأنه يعتمد على الروايات الشفهية بشكل معقول، بالإضافة إلى المصادر والمخطوطات والوثائق غير المنشورة المتوافرة داخل العراق.

---

(١) علمنا سنة ٢٠٢١م أن عبدالكريم الفحل السعدون قدّم كتابه للرقابة السعودية تمهيداً لطباعته.

وللدكتور حميد بن حمد السعدون كتاب آخر حمل عنوان (حكايات عن المنتفق)، وطبع سنة ٢٠١٠م في بغداد، ويحتوي على بعض الحكايات المتعلقة بالمنتفق، وأسرة المشيخة فيها، وتكمن أهميته في إضاءة جوانب تراثية من تاريخ المشيخة لم تتطرق إليها المراجع التاريخية.

١١- المنتفق في ذاكرة التاريخ: مشروع كتاب وصلنا في قرص مدمج ألفه النسابة سعد بن سلطان بن ضرغام العلي السعدون، والذي توفي في حادث مروري سنة ٢٠٠٥م (١٤٢٦هـ)، وكان يخطط لطبعه، والكتاب مفيد من حيث عرضه العام لتاريخ المشيخة، والمعلومات الشفهية التي يحتويها، والفهم بكافة تفرعات أسرة المشيخة من قبل المؤلف، ولكن مخطوط الكتاب صغير الحجم نسبياً. إذ لا يتجاوز المئة صفحة حسبما رأينا، وقد طبع الكتاب لاحقاً في بيروت سنة ٢٠١٤م عن دار جداول في بيروت.

١٢- حكايات عن مجد أفل: كتاب يعتمد أسلوب الحكاية في ذكر بعض أحداث تاريخ المشيخة، ومؤلفه هو (د. أسامة بن فيصل بن نجم بن عبدالله الفالح السعدون) يرحمه الله، ولم يطبع حتى الآن بصورة رسمية، ولكن المؤلف ذكر بعض محتوياته في مشاركاته في مواقع الإنترنت الخاصة بأسرة المشيخة، ولنفس المؤلف كتاب صغير الحجم بعنوان (تحفة الناظر في نسب الناصر)، ويحتوي على تفصيلات ذرية (ناصر باشا الأشقر السعدون)، وفيه فوائد عن نسب الأسرة، وتراجم بعض شخصياتها، ولدينا نسخة من الكتاب الذي لم يطبع بصورة رسمية حتى الآن.

١٣- شذرات الإبريز المصون في نسب العزيز السعدون: كتاب ألفه متعب بن حمد العزيز السعدون، وأهدانا نسخة إلكترونية منه، وما يزال في طور الإعداد والمراجعة.

وذكر متعب أحد أهم مراجعه، وهو دفتر لمحمد بن عبدالعزيز بن بدر بن محمد بن عبدالعزيز بن مغامس آل شبيب، وقال عنه الكاتب أنه كان متوقد الذكاء نبيهاً فطناً حافظاً. علّم نفسه القراءة والكتابة، وبرع من غير معلِّم بالحساب، ودوّن أخباراً ومعلومات كثيرة عن آل عزيز في دفتر صغير لا تتجاوز أوراقه المئة. كتبه بخط يده، وأرخ

آخر ما ضم له من حكايات وأحداث غير ولادات أحفاده في يوم ١٠ أكتوبر ١٩٥٨م (٢٧ ربيع الأول ١٣٧٨هـ)، وذكر فيه معلومات قيمة عن نسب وحسب آبائه من لدن كبش حتى أحفاده هو، وبعض أخبار آل سعدون، ووقائعهم وبعض الحوادث، كما ذكر أسماء نساء بعض كبار السعدون وآل عزيز خاصة.

وله دفتر آخر كبير كتب فيه عن المنتفق عامة، وهو كثيراً ما يكتب فيهما باللهجة العامية، كما أرخ لبعض المعارك (الأكوان) التي خاضها آل سعدون، وشارك فيها جده أو أبوه أو هو، وقد أخذ ما كتب كما قال سماعاً عن بعض معاصري جده بدر، وعن أبيه عبدالعزيز، وكبار السن الذين جالسهم، أو نقلاً عن ثقات عن أسلافهم، والدفتران مفقودان كما ذكر متعب الذي اطلع عليهما في شبابه، ونقل منهما.

١٤- السعدون والسياسة العثمانية ١٨٦٩ -١٩١٧م: رسالة بحثية تقدم بها عبدالحكيم بن عجيل بن عبدالرزاق الراشد السعدون لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة البصرة سنة ١٩٩٦م، ورغم تركيزها على الفترة بين ولاية مدحت باشا لبغداد والاحتلال البريطاني للعراق، فالرسالة تعرضت لمجمل التاريخ السعدوني، وهو بحث غير منشور فيه إضافات مهمة، واستنتاجات علمية مهمة.

١٥- سعدون شيخ المنتفق وعلاقته بالقوى المحيطة: رسالة بحثية تقدمت بها موضي بنت عبيد المطيري لنيل شهادة الماجستير من جامعة الملك سعود سنة ٢٠١٤م، وفيها معلومات مهمة عن فترة مشيخة سعدون باشا، والفترة السابقة لها، ولموضي المطيري أيضاً بحث منشور في مجلة آداب البصرة سنة ٢٠١٦م (العدد ٧٧) بعنوان (نشاط الشيخ سعدون السعدون في لواء المنتفق وعلاقته بالدولة العثمانية ١٩٠٨ -١٩١١م).

١٦- عجمي السعدون ودوره في تاريخ العراق ١٩١١ -١٩١٨م: رسالة ماجستير تقدمت بها الطالبة نور بنت حسن العتابي من جامعة البصرة سنة ٢٠١٥م، واهتم البحث بالسيرة القبلية والسياسية للشيخ عجمي باشا السعدون، وصراعاته الداخلية، وجهاده إلى جانب العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، مع سرد وافٍ للخلفية المعلوماتية

لأسرة الشيخ، وأحداثها المتلاحقة، ولنور العتابي بحث منشور آخر بعنوان (المساعي البريطانية لاستمالة عجمي السعدون).[1]

١٧- أبطال منسيون وذكريات لن تنسى في حرب الاستقلال: كتاب باللغة التركية لسليم كمال كيدول، صدر سنة ٢٠٠٥م، وفيه بحث من ٥٠ صفحة عن الشيخ عجمي باشا السعدون، وفيه معلومات مهمة، خاصة عن الفترة التي عاشها عجمي في تركيا حتى وفاته.

ومن الكتب التي تطرقت لموضوع المنتفق كلواء سكاني (محافظة):

- كتاب (المنتفق في النهضة العراقية الحديثة) لفهمي عرب آغا، وصدر في بغداد سنة ١٩٥٦م.

- كتاب (دراسة وثائقية في تاريخ المنتفگ الوطني) للدكتور عبدالله الجوراني، وصدر في بغداد سنة ٢٠٠٨م.

- كتاب (لواء المنتفق في سنوات الاحتلال البريطاني) لعبدالعال العيساوي.

- كتاب (المتفق من أخبار شيوخ عشائر المنتفق) لسعود عماش، وصدر سنة ١٤٢٩هـ.

- كتاب (شيوخ وعشائر المنتفق) من تأليف د. علي ناصر الشمري، وصدر عن دار الحكمة بلندن سنة ٢٠١٠م.

- كتاب (موقف المنتفق من أحداث عام ١٩٢٠م في العراق) لحسين عيسى صباح الطائي، وصدر ضمن سلسلة إصدارات مركز ذي قار للدراسات التاريخية والآثارية سنة ٢٠١٧م، وهو رسالة ماجستير من الجامعة المستنصرية ببغداد.

(١) نشر عن الشيخ عجمي باشا بحوث علمية، أحدها بعنوان (الشيخ عجمي السعدون ١٩١١ -١٩١٨م: الصراع والنضال) للدكتور عماد جاسم حسن، ونشر في مجلة أبحاث ميسان، مج ١٣، ع ٥.

- كتاب (لواء المنتفق كما صورته التقارير البريطانية)، وصدر عن دار ذات السلاسل سنة ٢٠١٨م، وقد ترجمه د. خالد بن حمود السعدون.

* * *

وهذه المجموعة الأولى ستلحقها إن شاء الله بمجموعات أخرى، وسنحرص على الاستئذان من أصحاب المؤلفات المعاصرين أو ورثتهم لضمها للمجموعات اللاحقة من (خزانة تواريخ المنتفق).

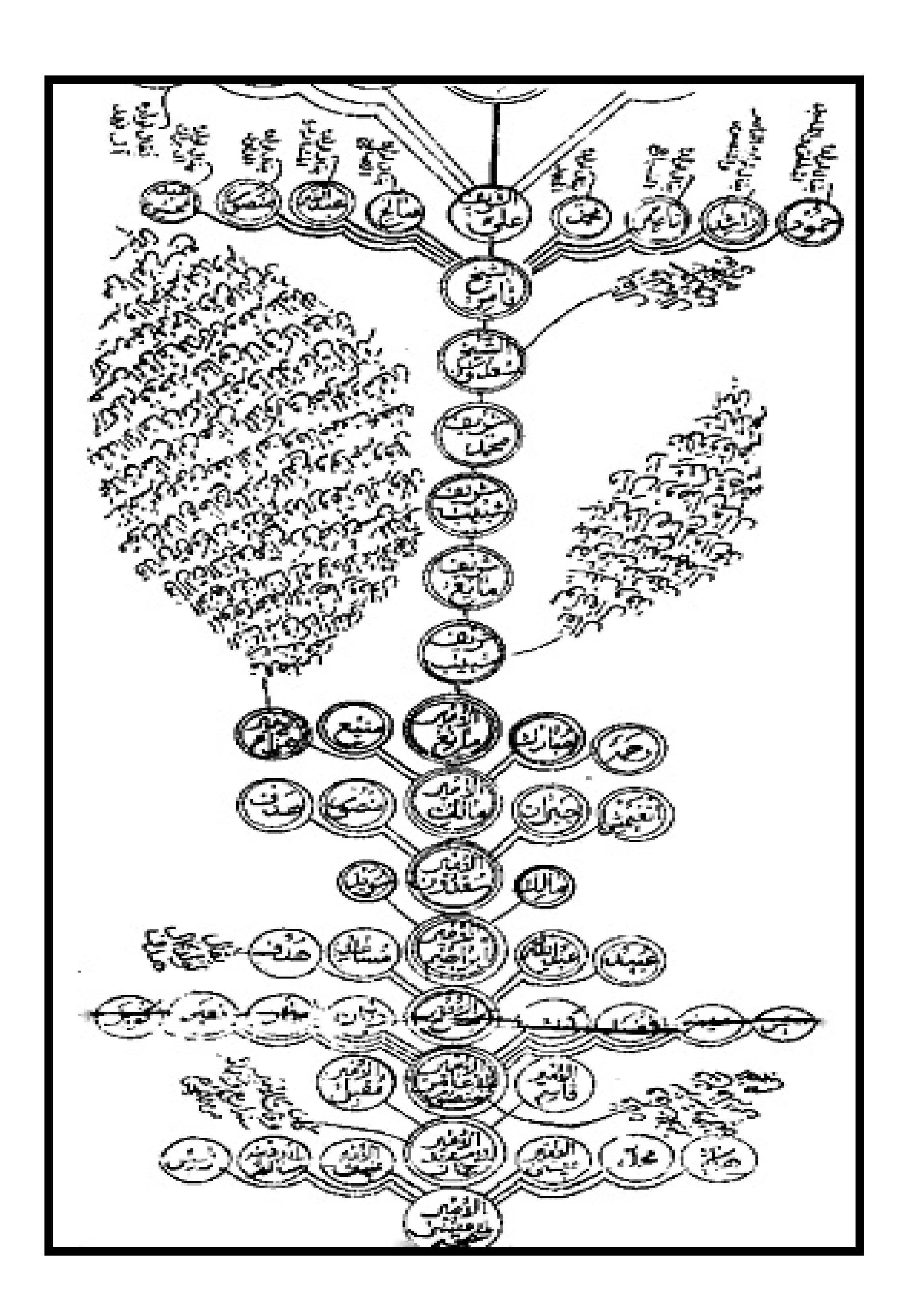
(١)

شجرة الزيتون في نسب السعدون

هو مشجر نسب لآل سعدون رسمه علي الغريفي النجفي، ووقع الفراغ منه يوم الجمعة ١٥ جمادى أول ١٣٣٢هـ [١١ أبريل ١٩١٤م].

وهو منقول عن شجرات أقدم لأسرة المشيخة في المنتفق، وقد حوّلنا هذا المشجر إلى مبسوط. أي من مخطوط إلى نص مطبوع بنفس المعلومات، مع بعض المعلومات والزيادات من المشرف، والتي ميّزت بين معقوفين [ ]، لتفادي الهفوات القليلة الموجودة في الشجرة.

(مشرف الخزانة)



براويز المشجر

[برواز خارجي][1]

نسبٌ كشمسٍ أشرقت أنوارها | وأضاءت الأرجاء بالنور الجلي
من حيث جدهم النبي المصطفى | وأبوهم الكرار حيدرةٌ علي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي ميز الشجرة الأحمدية بنور زجاجة مشكاة الأنوار المحمدية صلى الله عليه وعلى آله مركز فلك دائرة شموس الأولين والآخرين وسفينة نجاة توحيد محسود على كل حالة، ولكان ذا قل ولم يتطول، ولكن الناس إلى أمثالهم أميل، وبأحقية حقيقة الحق أجهل:

هذي المكارم لا قعبان من لبنٍ | شيبا بماء فعادا بعد أبوالا[2]

[برواز داخلي]

اللَّهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ٣٨ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ

---

(١) كل ما سيرد بين معقوفين [ ] هو زيادات اقتضاها تحويل المشجر إلى نص مبسوط أو لإكمال بعض النقص الضروري.

(٢) بيت جاهلي لأمية بن أبي الصلت، وقيل لأبيه. (مشرف الخزانة)

اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)[١]

[برواز]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: أهل بيتي في الأرض كالنجوم في السماء.[٢]

قال تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.[٣]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: كل حسب ونسب منقطع إلا حسبي ونسبي.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: تعلموا أنسابكم لتصلوا أرحامكم.

[برواز]

يا آل بيت رسول الله حبكم   فرضٌ من الله في القرآن أنزله
كفاكمُ من عظيم القدر أنكمُ   من لم يصل عليكم لا صلاة له[٤]

قال أمير المؤمنين: نحن بنو عبد المطلب ما عادانا بيت إلا وقد خرب، ولا عاوانا كلب إلا وقد جرب.

قال الصادق سلام الله عليه: لا تغضبوا أولاد فاطمة فإنها تغضب.

[برواز]

[صلى الله على] سيد الموحدين وعلى أصحابه البدور في سماء شرف حطة أنوار المؤمنين صلاة وسلاماً دائمين باقيين إلى يوم الدين.

---

(١) سورة النور (٣٥ -٣٨).

(٢) ورد هذا الحديث في كتب الشيعة بصيغة: (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي).

(٣) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

(٤) من شعر الإمام الشافعي.

باعث التأليف

أما بعد، فإن من الواجبات التي أوجبها الله على المؤمنين حب أهل بيت سيد المرسلين كما نصه القرآن المبين، وسنة سيد المرسلين، فمن ذلك قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)[1]، وقوله ص: (حب أهل بيتي إيمان وبغضهم نفاق).

وحيث الفقير قد وقفت نفسي للوقوف على أنساب آل بيت الرسول، فاشتغلت ليلاً ونهاراً، وجبت البلاد بلداً بلداً، وداراً وداراً، لأجل أن أستوعب تلك الأنساب الطاهرة، والأحساب الفاخرة، وتوفقت ولله الحمد والمنة على جمع خزانة أنوار وزيتونة شجرة الفاطمية الأبرار.

ولما جئت هذه السنة المباركة إلى البصرة الفيحاء واجتمعت بالشريف عبدالكريم بيك الشهير بالمنتفقي، وهو ابن رئيسها وأملا عليّ فرع النسب، وأصل نسبه مستخرجة من كتب الأنساب، ومن سندهم القديم المتلقى بالقبول عند العلماء والنقباء والأشراف والنسابين القدماء العارفين، والأئمة المتأخرين عن شجرة أصلها ثابت وفرعها في سماء المجد شامخ.

وحيث وقعت المحبة العظيمة والرابطة الجسيمة بيني وبين هذا الشريف الحسيب النسيب، أحببت أن أعمل له شجرة، وأدرج فيها بعض السادات من أعمامه لتكون عنده تذكاراً أبديّ الزمان، خدمة لجده سيد ولد عدنان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، على رغم أنف الجاحد المتوغل، وذو الفضل محمود.

---

(١) سورة الشورى، آية ٢٣.

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى نـــوراً، ومــن فلـق الـصبـاح عـمـودا

مــا فـيـه إلا سـيــدٌ مــن سيـدٍ حـــاز المــكـــارم والـتـقـى والجـــودا

مقدمة المشجر

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين،

كريم النسب، شريف الحسب، خلف أشراف الأسلاف، وأسلاف الأشراف، من آل عبد مناف، أكمل الأسياد، وتاج الفخار، وعين السعادة من آل نزار، الجواد الكريم، أبي محمد الشريف عبدالكريم بيك نجل المرحوم الشريف فهد بن الشريف علي بن الشريف ثامر بن الشريف الشيخ سعدون بن الشريف محمد [بن الشريف مانع] بن الشريف شبيب بن الشريف مانع بن الشريف شبيب بن [الشريف حسن المهاجر إلى العراق بن] الشريف مانع بن الأمير مالك بن الأمير سعدون بن الأمير إبراهيم بن الأمير كبش بن الأمير أبي عامر منصور بن الأمير أبي سند جماز بن الأمير أبي عيسى شيحة بن الأمير هاشم بن الأمير أبي فليتة القاسم بن الأمير مهنا الأعرج بن الأمير شهاب الدين حسين بن الأمير أبي عمارة مهنا الأكبر بن الأمير أبي هاشم داود بن الأمير أبي أحمد القاسم بن الأمير أبي علي عبيد الله بن أبي الحسن طاهر المحدّث النسابة بن أبي الحسين يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن حسين الأصغر بن الإمام الهمام أبي الحسين زين العابدين علي بن الحسين الشهيد بن الإمام الهمام والبطل الضرغام ليث بني غالب أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النصر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن شالح بن أرغوا بن فالغ بن عابر وهو صخى بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك

بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس ع بن اليارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

وهذا ما اتفق عليه أغلب أهل التاريخ والحمد لله رب العالمين كانت بحمد الله على حسب الإرادة من حيث الصحة وعدم الرتب كما صرح له كتب الأنساب من حيث الوفاق والحمد لله على إكمال النعمة بهذا النسب الذي عناه رب العزة بقوله: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)، وقال أيضاً: (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى)، وقال النبي ص: (حب أهل بيتي إيمان وبغضهم نفاق).

وقع الفراغ من هذه الشجرة المباركة يوم الجمعة الخامس عشر من جمادى أول من شهور السنة الثانية والثلاثين بعد الثلثمائة والألف من الهجرة [١١ أبريل ١٩١٤م].

حرره الأقل محمد رضا النسابة جل العالم الفاضل علي الغريفي، النجفي نسباً ومولداً ومدفناً قدس الله وجهه ونور على ضريحه بنبيه الكريم وآله الميامين:

نسبٌ تتابع كابراً عن كابر كالريح أنبوباً على أنبوب[١]

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع[٢]

(١) بيت مشهور للبحتري.

(٢) بيت مشهور للفرزدق.

شجرة النسب

إمام الحرم عبد المطلب (اسمه شيبة الحمد كان نقيب البيت يلقب مطعم طير السماء) بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، إلى هنا وقف الشارع الأكبر بالتحقيق.

[أعقب عبد المطلب أولاد منهم]: مصباح الحرم عبدالله (مات قبل أبيه بعشر سنين، وحزن أبوه عليه حزناً شديداً) -بيضة البلد أبي طالب (اسمه عبد مناف. توفي سنة هجرة النبي ص).

[أعقب عبدالله): محمد خاتم النبيين ص (ولد سنة عام الفيل وبعث سنة أربعين وهاجر سنه اثنين وخمسين عاماً).

[أعقب النبي أولاً منهم]: فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (ولدت بعد المبعث بخمسة سنين وتوفت سنة إحدى عشر من الهجرة بعد أبيها بستة أشهر وقيل خمسة وسبعين أو تسعين يوماً).

[أعقب أبو طالب أولاداً منهم]: أبي الحسن أمير المؤمنين عليّ ع (ولد سنة ثلاثة وثلاثين من عام الفيل، وقتل ليلة تسعة عشر من شهر رمضان وتوفي ليلة إحدى وعشرين من سنة أربعين من الهجرة).

[ولدت فاطمة الزهراء من زوجها علي]: أبي محمد الحسن الزكي عليه السلام (إليه ينتهي عموم الحسنيين كالطباطبائيين وغيرهم) – شهيد الأمة أبي عبدالله الحسين

ع (قتل سنة إحدى وستين من الهجرة في أرض كربلاء، وله من العمر ثمانية وخمسين سنة، لعن الله قاتليه) — أم كلثوم (هي زوجة الخليفة الثاني رضي الله تعالى عنه فأولدها زيد) — زينب العقيلة (هي زوجة عبدالله بن جعفر ويقال لولدها الزينبيين).

[أعقب علي بن أبي طالب من غير فاطمة الزهراء أولاداً منهم]: عمر الأطرف (يقال لولده العمريين، ومنهم المجدي العمري النسابة وأبي الغنائم النسابة) — أبي الفضل العباس عليه السلام (يقال لولده العباسيين وأغلبهم في ينبع) — محمد بن الحنفية (يقال لولده المحمديين ومنهم آل الصوفي).

[أعقب الحسين بن علي]: الإمام زين العابدين علي ع (قتل مسموماً سنة خمسة وتسعين من الهجرة وله من العمر سبعة وخمسين سنة).

[أعقب علي زين العابدين أولاداً منهم]: الإمام محمد الباقر (أعقب الباقر الإمام جعفر الصادق) — عبدالله الباهر — أبي عبدالله الحسين الأصغر (أمه أم ولد اسمها ساعدة كان عفيفاً محدثاً فاضلاً. توفي سنة سبعة وخمسين ومائة، وله من العمر سبعة وخمسين سنة ودفن بالبقيع) — زيد الشهيد — علي الأصغر — عمر الأشرف.

[أعقب الحسين الأصغر أولاداً هم]: سليمان — عبدالله — عبيد الله الأعرج (يكنى أبو علي، وأمه خالدة بنت حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام. توفي بذي إيزان وعمره سبعة وثلاثين سنة) — أبي محمد الحسن — علي.

[أعقب عبيد الله الأعرج أولاداً هم]: حمزة مختلس الوصية — علي الصالح — جعفر الحجة (وكان أبو البختري وهب بن وهب قد حبسه في المدينة ثمانية عشر شهرا فما أفطر إلا في العيدين، وفي ولده الإمرة في المدينة ومنهم ملوك بلخ ونقبائها، وكان من أئمة الزيدية وله شيعة يسمونه الحجة) — محمد الجواني.

[أعقب جعفر الحجة ولدين هما]: الحسن — حسين.

[أعقب الحسن بن جعفر ولداً هو]: أبي الحسين يحيى النسابة.

[أعقب يحيى النسابة أولاداً هم]: علي – أحمد الأعرج – أبي عبدالله جعفر – أبي الحسن طاهر المحدث النسابة – أبي الحسن محمد الأكبر – أبي إسحاق إبراهيم – أبي العباس عبدالله.

[أعقب طاهر المحدث أولاداً هم]: عبدالله – أبي يوسف يعقوب – أبي عبدالله الحسين – الأمير أبي علي عبيد الله (كان نسابة عتبي وكثير من النسابة يروون عنه) – أبي محمد الحسن – أبي الحسين يحيى – أبي جعفر محمد.

[أعقب الأمير عبيد الله أولاداً هم]: أبي عبدالله الحسين – أبي جعفر مسلم – الأمير أبي أحمد القاسم – أبي حسن إبراهيم – أبي العباس سليمان.

[أعقب الأمير القاسم أولاداً هم]: موسى – أبي الفضل جعفر – الأمير أبي هاشم داود – أبي محمد الحسن – عبدالله.

[أعقب الأمير داود أولاداً هم]: مهنا الأصغر – أبي عبدالله الحسين – الأمير أبي عمارة مهنا (يعرف بالأكبر واسمه حمزة) – أبي محمد الحسن الزاهد – أبي محمد هاني (واسمه سليمان).

[أعقب الأمير أبي عمارة مهنا أولاداً هم]: عبدالله – عبدالوهاب – سيف – الأمير شهاب الدين حسين – سبيع – علي ذؤيب – عبيد الله.

[أعقب الأمير شهاب الدين حسين ولدين هما]: الأمير مالك – الأمير مهنا الأعرج.

[أعقب الأمير مهنا الأعرج أولاداً هم]: الحسين أمير المدينة – الأمير أبي فليتة القاسم – الأمير عبدالله.

[أعقب الأمير أبي فليتة القاسم ولدين هما]: الأمير جماز – الأمير هاشم (يقال لولده الهواشم).

[أعقب الأمير هاشم ولداً هو]: الأمير أبي عيسى شيحة.

[أعقب الأمير شيحة أولاداً هم]: هاشم – محمد – الأمير عيسى – الأمير أبي سند جماز (كان وفاة الأمير سنة أربعة وسبعمائة من الهجرة) – الأمير منيف – أبي ردينة سالم – نرجس.

[أعقب الأمير جماز أولاداً منهم]: الأمير قاسم – الأمير أبي عامر منصور (وكان وفاة الأمير سنة ستة وعشرين وسبع مائة من الهجرة) – الأمير مقبل.

[أعقب الأمير منصور أولاداً هم]: طفيل – عطية – فضيل – كبيش – الأمير كبش – زيان – جماز – نعير – كوير.

[أعقب الأمير كبش أولاداً هم]: عبيد – عبدالله – الأمير إبراهيم – مساعد – هدف (يقال لولده آل هدف).

[أعقب الأمير إبراهيم أولاداً هم]: مالك – الأمير سعدون – سويد.

[أعقب الأمير سعدون أولاداً هم]: نغيمش – جبران – الأمير مالك – منصور – هدف.

[أعقب الأمير مالك أولاداً هم]: رحمة – مبارك – الأمير مانع – منيع – الأمير هزاع.

[وعن الأمير هزاع بن مالك] قال ضامن بن شدقم النسابة في كتابه المعلوم الموسوم (تحفة الأزهار وزلال الأنهار في أنساب أولاد الأئمة الأطهار) قال: إن الشريف هزاعٍ رأى جدي حسن المؤلف قدس سره، وكان ذو رئاسة ومال وهمة عالية، وكان متولي إمارة خارج المدينة كالفرع ونواحيه، وقتل سنة خمسة وعشرين بعد الألف، وقد اجتمعت بحفيده محمد بن مناع بن هزاع المذكور في عصر الخمسة وتسعين بعد الألف في مكة المشرفة، وأملا عليّ آباءه الكرام، فوجدته مطابقًا لما في كتاب جدي حسن

المؤلف قدس سره، ومعه غلامان، الكبير منهما اسمه حماد، وعمره اثني عشر سنة، والآخر اسمه أحمد، وله من العمر سبع سنين.

[أعقب الأمير مانع بن مالك ولداً هو]: الشريف شبيب (يقال لولده آل شبيب، وقد تفرعت منه عدة بطون نوابغ منهم آل سبتي وآل صالح وآل محمد وآل روضان وآل راشد، كثرهم الله تعالى، ووقاهم شر أعدائهم. آمين).

[أعقب الشريف شبيب ولداً هو]: الشريف مانع.

[أعقب الشريف مانع أولاداً منهم]: الشريف شبيب.

[أعقب الشريف شبيب أولاداً منهم الشريف مانع، وأعقب الشريف مانع أولاداً منهم]: الشريف محمد.

[أعقب الشريف محمد أولاداً منهم]: الشيخ سعدون (يقال لولده آل سعدون، سلمهم الله تعالى).

[أعقب الشيخ سعدون ولداً هو]: الشيخ ثامر.

[أعقب الشيخ ثامر أولاداً هم]: حمود (يقال لولده المطلق والماجد) – راشد (يقال لولده الناصر والمنصور) – ناصر (يقال لولده الشياع) – محمد (يقال لولده المحمد) –الشريف علي – صالح (يقال لولده الصالح) – عبدالله (يقال لولده المشاري) – منصور (يقال لولده الداود) – عبدالمحسن (يقال لولده آل براك).

[من ذرية حمود بن ثامر]: حمود بن مطلق بن فيصل.

[من ذرية راشد بن ثامر]: عبدالله وعبدالرزاق وعبدالعزيز وعبدالكريم أبناء فالح باشا بن ناصر باشا بن راشد، إبراهيم بن مزعل بن ناصر باشا بن راشد، ومهلهل بن مزيد بن ناصر باشا بن راشد.

وعمر بن منصور باشا بن راشد، وعبدالرحمن بن منصور باشا بن راشد، وثويني وسمير ويوسف أبناء عبدالله بن منصور باشا بن راشد، وثامر وعجمي وحمد أبناء سعدون باشا بن منصور باشا بن راشد، ومحمد وعبدالرزاق وعبدالعالي وعبدالعزيز بن سليمان بن منصور باشا بن راشد، ومطشر بن عجمي بن سعدون باشا بن منصور باشا بن راشد.

[من ذرية ناصر بن ثامر]: شياع بن ناصر بن بندر بن ناصر[1].

[من ذرية صالح بن ثامر]: عباس وعلي ابني خالد بن صالح، وسعدون بن عساف بن صالح.

[من ذرية عبدالله بن ثامر]: فيصل وحزام وحامد أبناء بدر بن مشاري بن عبدالله، وعبداللطيف بن مشاري بن عبدالله، وعبدالله وحمود ابني غالب بن عمر بن عبدالله.

[من ذرية منصور بن ثامر]: منصور ومحمد ابني عبدالله بن منصور، وفارس بن داود [بن سليمان] بن منصور.

[من ذرية عبدالمحسن بن ثامر: براك ومشرف ابني عبدالمحسن، ولهما ذرية]

[أعقب الشريف علي بن ثامر أولاداً منهم]: الشريف فهد.

[أعقب الشريف فهد أولاداً هم]: ضيدان، والشريف عبدالكريم دام بقاه، ومحمد بيك، وحامد، وسعدون، وعبدالرزاق، وظاهر، وعبدالعزيز، وعبدالمحسن، وعبدالرحمن، وعبدالهادي، وعبداللطيف، وعبدالمجيد، [وحمد].

[أعقب الشريف عبدالكريم ولداً هو]: محمد توفيق.

---

(١) الصواب هو شياع بن بندر بن ناصر.

[برواز صغير]:

كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها [يضيء].[1]

(١) سورة النور، الآية ٣٥.

(٢)

التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية

تأليف فريد العصر والأوان. العالم الشيخ محمد بن العلامة الشيخ خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي ثم المكي المالكي. المدرسيْن بالمسجد الحرام. كان الله لهما عوناً ومعيناً. آمين.

((الجزء ١٠ -المنتفق))

الطبعة الثانية سنة ١٣٤٤هـ

طبعت بالمطبعة المحمودية التجارية -مركزها العمومي بميدان الجامع الأزهر الشريف بمصر. لصاحبها ومديرها محمود علي صبيح

مقدمة الخزانة

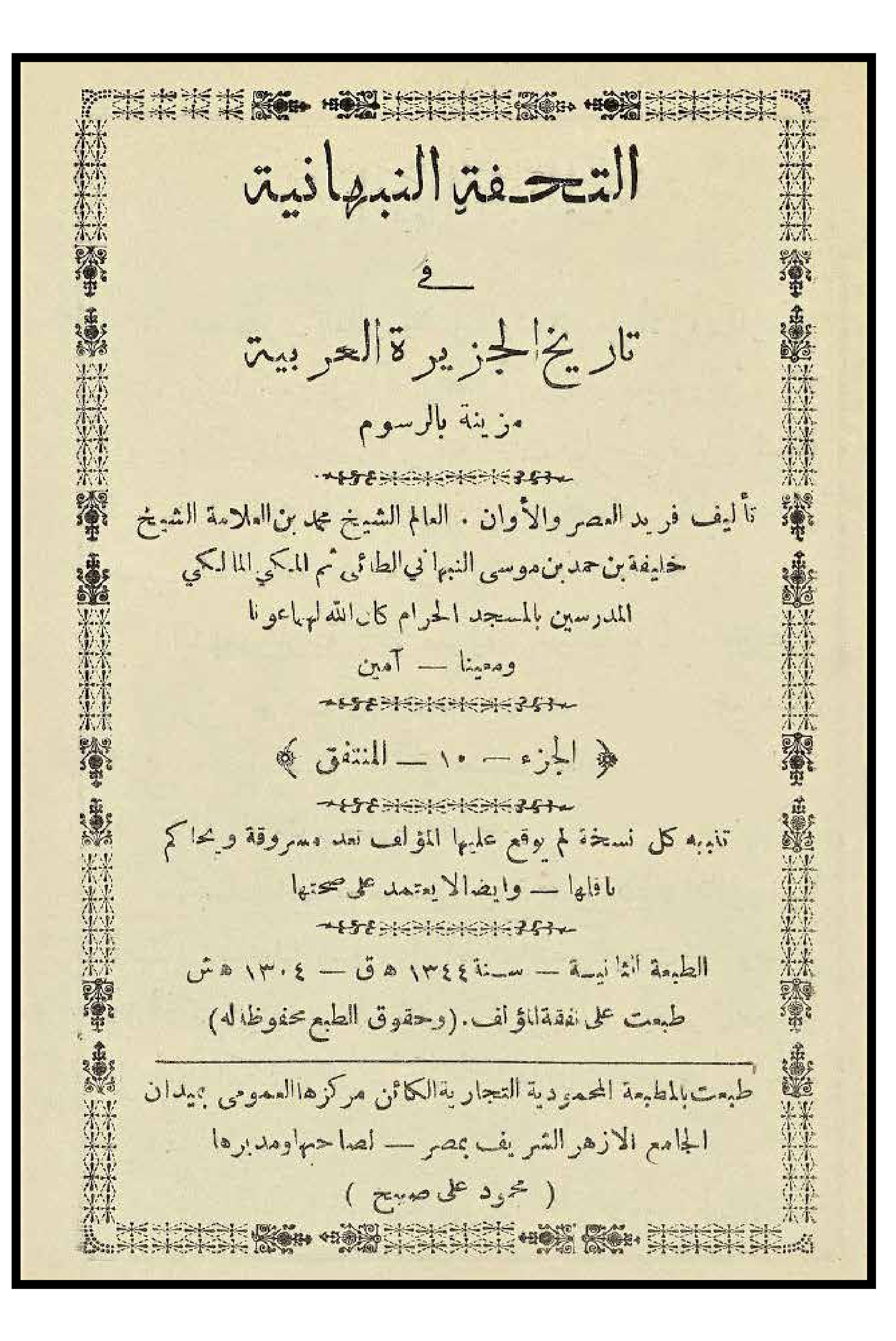
محمد النبهاني: مؤرخ وعالم وفلكي حجازي عراقي من أصول بحرينية. ولد في مكة المكرمة سنة ١٨٨٤م، وهاجر إلى البصرة وعاش فيها، وأسس فيها مدرسة، وألف فيها عدداً من الكتب أشهرها كتابه (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية)، وتوفي بالبصرة سنة ١٩٥٠م، ودفن بمقبرة الحسن البصري بالزبير.

وهذه ترجمته في كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي:

(محمد بن خليفة بن حَمَد بن موسى النبهاني الطائي نسباً، المكيّ مولداً ومنشأ، المالكي مذهباً: مؤرخ جزيرة (البحرين) في العصر الحديث. كان من مدرسي الحرم المكيّ كأبيه، وسافر إلى البحرين في أول عام ١٣٣٢هـ، فأقام مدة قصيرة جمع فيها ما تيسر له من تاريخها وسير أمرائها في كتاب سماه (النبذة اللطيفة في الحكام من آل خليفة)، وسافر إلى بغداد، فأشير عليه أن يجعل كتابه عاماً لجزيرة العرب، فأضاف إليه زيادات، وسماه (التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية)، ونشر الجزء الأول منه، وهو خاص بالبحرين سنة ١٣٣٢هـ، وسافر إلى البصرة، وقد نشبت الحرب العامة الأولى، فاعتقله الإنجليز، وسلبت منه كتبه وأوراقه، وفي جملتها مسودات تاريخه.

وأفرج عنه سنة ١٣٣٤هـ بشفاعة الشيخ عيسى بن علي من آل خليفة، ولم يؤذن له بمغادرة البصرة. وعاد بعد انتهاء الحرب سنة ١٣٣٧هـ إلى العمل في كتابه، فرتبه على نسق غير نسقه الأول، وزاد فيه كثيراً، وسماه (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية) سنة ١٣٤٢هـ في ثلاثة أجزاء يجمعها مجلد واحد، وفي آخر الثاني منها أسماء مؤلفات أخرى له، منها: (مؤنس العزب، تذييل سبائك الذهب في أنساب العرب)، و(قطف

الأزهار في معرفة المعادن والأحجار)، و(النخبة النبهانية، شرح المنظومة البيقونية) في مصطلح الحديث، و(التذكرة النبهانية) في أسماء بعض المخترعات والمكتشفات الحديثة، و(ثمرات الخرائط في رسم البسائط)، وتوفي بالبصرة).



التحفة النبهانية

في

تاريخ الجزيرة العربية

مزينة بالرسوم

تأليف فريد العصر والأوان . العالم الشيخ محمد بن العلامة الشيخ
خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي ثم المكي المالكي
المدرسين بالمسجد الحرام كان الله لهما عونا
ومعينا — آمين

الجزء — ١٠ — المنتفق

الطبعة الثانية — سنة ١٣٤٤ هـ ق — ١٣٠٤ هـ ش
طبعت على نفقة المؤلف. (وحقوق الطبع محفوظة له)

طبعت بالمطبعة المحمودية التجارية الكائن مركزها العمومي بميدان
الجامع الازهر الشريف بمصر — لصاحبها ومديرها
(محمود علي صبيح)



صورة المؤلف محمد النبهاني مرسومة في البصرة سنة ١٣٤٤هـ

مقدمة النبهاني

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وتابعيهم، ومن والاهم إلى يوم الدين.

(وبعد)، فإنني قد أشرت فيما طُبع من «التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية» إلى أنني قد رتبت كتابي هذا على حسب السنين العربية القمرية، ونظائرها بالميلادية، وجعلت رموز الشهور العربية كما هو معروف لدى علماء الهيئة، من محرم (م. ص. را. ر. جا. ج. ب. ش. ن. ل. ذا. ذ)[1]، وإن القصد من جمع هذا التاريخ هو إحصاء الفائدة حسب الطاقة بصورة مختصرة، اقتصاداً في الوقت، وتسهيلاً للمراجعة.

وجعلت ابتداءه من حين بزوغ شمس الإيمان بظهور نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم). على أنه إن اقتضى البحث أو الموضوع بأن أذكر شيئاً قبل ذلك، فإنني أذكره حسب ما يظهر لي، معتمداً على أجلّ الكتب التي سأذكر أسماءها إن شاء الله في آخر جزء من هذا التاريخ.

وإنني كنت قد قمت بتهيئة رحلة عمومية في جزيرة العرب، وبالأخص في أواسطها لكي أحيط بجُلّ هاتيك البقاع المجهولة حتى عن أهلها أنفسهم.

ولكن لنشوب الحرب العظمى وقف تيار همّتنا، وتراجع عزم فكرنا عن ذلك، فاقتصرنا على ما سطرناه، (لأن معظم ما جمعناه في عنفوان نشاطنا سلب منّا مع

(١) لم نتقيد بهذه المختصرات، بل كتبنا اسم الشهر كاملاً. المحقق.

قسمٍ من رسوم وصور ومناظر نادرة الوجود ضمن مؤلفاتنا العديدة)، وكنا قد بذلنا قسماً لا يستهان به من ثروتنا في اقتناء تلك النوادر والملح، وتخليصها من أيدي محبي العلم والفنون القديرين على ذلك، وإنني قد زدت بعض مسائل خارجة عن موضوع التاريخ، وتفاسير رأيت الحاجة ماسة إليها، وهذا ما دعاني لأن أكتب عن وضع تاريخ بمعناه الحقيقي.

ولم أضع في أوائل الأجزاء أو أول المباحث مقدمات أو توطئات أو نظريات للأمور، اختصاراً للفائدة، واقتصاداً في الوقت، وخوفاً من سئامة القارئ.

ثم إنني ألحقت في كل جزء جدولاً بأسماء الوفيات من الفقهاء والعلماء والأدباء، وقسماً من الأعيان، مع الإشارة إلى الأعمال التي برعوا فيها أو أخلدت لهم ذكراً حسناً، وأن جميع كتبي قد نسقتها على خطة جديدة يعرفها القارئ عند المراجعة، وبذلت جهدي في وضعها على طريقة تذلل العقبات أمام المؤرخين الذين يأتون من بعدنا، حيث إن تاريخ جزيرة العرب غامض حتى عن أهلها أنفسهم، وإن بعض المؤرخين والصحفيين قد نشروا قسماً من مباحث تاريخنا الذي طُبع، وقسماً مما ألقيناه على تلامذتنا في مسقط، وفي البحرين، وفي البصرة. بل أقول أن قسماً من أوراقنا اختلست منّا في البصرة، ونشرت ولم تنسب لنا، ومع ذلك فلا لوم على الناشر لأن المقصد واحد، وهو بث العلوم والفوائد، وقد أدخلت في مؤلفاتي تحسينات جمة مفيدة لمن يعي.

وإننا قد فكرنا في ذلك المنهج منذ أعوام، وجعلنا نقدّم رجلاً ونؤخّر أخرى. خوفاً من حسود معاند. أو من محابٍ مارد. بيد أن الظروف ألجأتنا إلى وضعه ونشره.

والله أسأل أن يلهمنا رشدنا، ويهدينا سواء السبيل. علي أنني مرجّح ما قاله الشيخ محمد بن قاسم الغنيم الزبيري في آخر نظمه لمتن زاد المستقنع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل. حيث يقول:

لا يسلم الفاضل من أهل الحسد   وإن تـوارى بالخمول وانفرد

وهـــو قـــديمٌ داؤه في الـنـاسـي وحـــاســـد يـكـفـيـه مـــا يـقـاسـي

ومـــن إلى المــــرآة يـــومـــاً نـظـرا فـعـــين مـــا يــــرى فـيـهـــا يـــرى

فـــالأرمـــد الأحــــول فـيـهـا أحـــولا والأحــــور الأكـحـل فيـهـا أكـحـلا

وقـسـمـة الأفـــهـــام قـسـمـة الـنـظـر والمــــرء لا يـبـصـر غـــير مـــا ظـهـر

الشيخ محمد بن الشيخ خليفة النبهاني

الحالة الطبيعية

(الموقع والحدود):

عرض لواء المنتفق ممتداً من قضاء الكوت الملحق بولاية بغداد، والواقع شرقي اللواء إلى صحراء الشامية الواقعة في غربيّه، ويقدر بمسافة ١٠٠ ميل، وطوله من حدود قضائي (الديوانية والسماوة) التابعين للواء الحلة إلى لواء العمارة الواقعة في جنوبيّه بنحو ١٢٤ ميلاً، ويمر من وسط اللواء نهر الغرّاف (نهر الحي) الذي صدره يقابل قصبة الكوت، فيروي أراضي (الحي والشطرة والناصرية). ثم يصب في الفرات على بعد نحو ميلين جنوب قصبة الناصرية.

(الجو):

أما الحي والشطرة، ففي الدرجة الأولى من جودة الهواء، وأما سوق الشيوخ فأردؤه هواء، وأما (الحمّار والناصرية) فهواؤهما متوسط بين القسمين.

(المنظر العام):

أراضي اللواء هي مُنْبتة على الإطلاق، وحاصلاتها مستوفرة، غير أن غالب أراضي (سوق الشيوخ والحمّار) يغمرها في الغالب الماء إبان الزيادة، فلذلك ترى زراعتها متأخرة، وأسباب عمرانها بطيء، وإن لواء المنتفق ليس به جبال ولا آكام، وإن أرضه تروي بواسطة الأنهر. سوى أن نهر الغرّاف يتناقص ماؤه زمن الصيف، فيضطر غالب الناس إلى حفر آبار فيه للشرب، حيث إن ما وصل إليه الماء زمن الفصول الثلاثة من الأراضي لا يلحقها الماء زمن الصيف إلا بالدلاء أو بالمضخات، ومن ثم

لم ترغب الأهالي في غرس النخيل ولا الأشجار، ولكن يوجد في (الحي والشطرة وقلعة سكر) بعض البساتين، وهم يسقونها (بالسواني أي الدواليب).

(الأنهار):

في اللواء نهر الغرّاف الذي عليه مدار حياة أهل اللواء، ونهر الغرّاف الشهير وهو يمُرُّ بقصبة الحي وقلعة سكر والكرادي. ثم يتفرع إلى فرعين: أحدهما يسمى نهر الشطرة لمروره عليها، والآخر يسمى نهر البدعة.

والثاني نهر الفرات الشهير، وهو يمر على الناصرية. ثم ينساب من وسط سوق الشيوخ، ومنه إلى الحمّار، فيتشكل هناك غدير يسمى (هور الحمّار). ثم يسير النهر مستمراً على مجراه القديم، فيمر على القرنة، فيقترن هناك بنهر دجلة كما في تاريخ البصرة[1]، وأهالي اللواء هم قليلون بالنسبة لحالة الأراضي الطبيعية.

وأهم الجداول فيه: (السديناوية. المايعة. السايح. فالحية. الطليعة. المصقر. المعيدية. بُو يترين. غُليوين. مُجيحشية. سفحة. أم نخلة)، ويتفرع من كلّ نهيراتٌ صغار، وينتهي قسم منها بالغدران (الأهوار) الكثيرة العدد الموجودة في هذا اللواء، وينتهي القسم الآخر إلى المزارع أو إلى الصحراء.

(القبائل القاطنة) في لواء المنتفق:

أشهرها (بنو أسد. آل إبراهيم. الخفاجة. بنو ركاب. أزيرق. حكيم. بنو زيد. الضفير)، ومعظم هذه العشائر تقطن على ضفاف الأنهار، وعلى حافة الغدران «الأهوار»، وهي تشتغل بالزراعة، سوى قبيلة الضفير، فإنها رحالة.

(الضفير):

(١) عندما يحيل المؤلف إلى أخبار وردت في جزء تاريخ البصرة من كتابه يذكر رقم الصفحة، وعندما يحيل إلى الأجزاء التي كان يعتزم تأليفها، ولم يفعل يضع (ص....)، وقد حذفنا تلك الإحالات لعدم جدواها مع تعدد طبعات الكتاب، وتغير أرقام الصفحات، وعدم طبع الأجزاء الأخرى. (مشرف الخزانة).

أعراب منبثون في بادية العراق، وكانوا تحت زعامة آل سعدون إلى نشوب الحرب العظمى سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) كما سيأتي، والرئاسة فيهم في «آل ابن سويط» منذ ثلاثة قرون أو أكثر، وهم بطن من سُليم، أهل شجاعة وبأس، وهم مؤلفون من عدة فخائذ تحالفوا وتسموا «بالضفير».

وفي أوائل القرن ١١هـ (١٧م) تقريباً تَرَيّس فيهم أحد بني سويط، حيث إنه في سنة ١٠٨٠هـ (١٦٦٨م) كان رئيسهم «سلامة بن مرشد بن سويط»، وكذلك كان هو الرئيس فيهم في عام ١٠٩٦هـ (١٦٨٤م)، وفي آخر سنة ١١٣٩هـ (١٧٢٥م) مشى شهيل بن سويط رئيس الضفير ببعض قبائل المنتفق، وصحبهم دجيني ابن سعدون بن عرعر آل حميد، وقصدوا الأحساء، وحاصروا فيها الأمير علي بن محمد، وجرت بينهما عدة معارك قتل فيها كثير من الطرفين، ونهب ابن سويط بعض قرى الأحساء. ثم تفوق عليهم الأمير علي وكسرهم، ففروا مهزومين.

ثم بعد مدة تصالحوا، كما في تاريخ الأحساء، وكانوا معدودين في عشائر نجد. ثم ظعنوا منه قاصدين العراق سنة ١٢٢٤هـ (١٨٠٨م) فراراً من ثورة الوهابية الذين استفحل أمرهم في ذلك الزمن، فاستوطنوا بادية العراق، وكان عدد خيامهم وخدورهم نحو ٤٠٠٠ مضرب، وعدوا في عشائر العراق إلى سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) حيث توفي رئيسهم حمود بن نايف بن سلطان بن سويط، فعينوا في محله «عجيمي بن شهيل بن سلطان بن سويط»، بشرط أن يسعى في إنقاذهم من التكاليف والضرائب الموضوعة عليهم من قبل الحكومة العراقية، فتعهد لهم بذلك.

ولما أخذ بزمام المشيخة، واستتب له الأمر، تذاكر مع الحكومة العراقية في رفع بعض الضرائب المجحفة، فلم يَرَ لقوله تأثيراً، ولم يُسْمَعْ له كلام، فتوجه نحو مكة المشرفة مظهراً قصد أداء فريضة الحج، ولما وصل مكة اجتمع بالأمير ابن سعود ملك الحجاز وسلطان نجد، وتذاكر معه مَلِيّاً.

فلبى الأمير طلبه، وأقره على رئاسته، وعين له راتباً بعد أن أكرمه ببعض الهدايا،

وأعفى عشائره من بعض الرسوم والتكاليف المزعجة، ولما عاد من الحجاز نقل عجيمي المذكور قومه وأعرابه إلى أم رضمة حذاء حدود العراق، وكان معه جماعة من علماء الإخوان ليوقفوا قومه على أمور الدين.

ثم إن هزاعاً بن مجلاد شيخ قبيلة الدهامشة اقتفى خطة عجيمي ابن سويط. ثم انضم إليهما بعض من عشيرة العمارات التابعة لفهد بيك بن هذال.



حمود بن نايف السويط، وعن يساره ابنه برغش

الحالة الاقتصادية

(الزراعة):

غالب زراعتهم الحبوب، ففي المائة (٦٠) حنطة وشعير، و(٣٠) أرز وذرة ودخن، وما بقي فسمسم وكشري (ماش)، فالمزروعات المستنبتة عندهم على قسمين: (مائي وكبسي)، فالمائي ما سقي من الأنهر والجداول، والكبسي هو ما زرع في الأراضي التي كان الماء قد غمرها، فإذا نضب عنها الماء يبذر فيها، فينمو بالرطوبة الباقية في الأرض، وإن غالب أراضيهم تزرع سنة كبسي، وأخرى مائي، ويقولون: إن زراعة الكبسي أوفى بركة، وأكثر نماء، ومن مزروعاتهم النخيل، ومن الخضر: البامية، والباذنجان الأسود والأحمر[1]، والدباء بأنواعها الثلاثة.

(الفواكه):

العنب. والتين. الرمان. المشمش. البطيخ بنوعيه الأخضر والأصفر.

(الحيوانات الأهلية) أو الداجنة:

الإبل. الخيل. الجاموس. البقر. الضأن. المعز. الحمير.

(الحيوانات المفترسة):

السبع. الذئب. الخنزير. ابن آوى. والثعلب.

(الصيد):

(١) الباذنجان الأحمر هو الطماطم. (مشرف الخزانة).

الظباء. الأرانب. الأوز. البط. الحبارى، وقسم مهم من أنواع الطيور، كالشقراق والبرهام والقطا والحجل ونعيج الماء (بط نهري)، ونحوها، فإنهم يأكلون لحومها، ويجمعون ريشها للبيع حيث تتخذ منه الوسائد.

(الصناعة):

ليس لديهم شيء من الصناعة سوى أنه ينسج في سوق الشيوخ الأعبئة النفسية الرقيقة، وتعتني الصابئة الذين يسكنون الناصرية وسوق الشيوخ بصياغة الحلي المكفّت «شغل الصَّبة».

(التجارة):

هي عبارة عن تصدير السمن والجلود والحبوب، وكلها بالنسبة لسائر اللواء في الدرجة الثانية.

المآثر المقدسة

في سوق الشيوخ: ضريح أبي يعلي الصحابي رضي الله عنه.

في الحي: ضريح أبي ذر الغفاري الصحابي رضي الله عنه.

في الحي أيضاً: ضريح سعيد بن جبير التابعي رضي الله عنه.

في الجزيرة من (البطائح): ضريح السيد أحمد الرفاعي أحد المشايخ الصوفية الكبار المتوفى سنة ٥٧٨هـ وعمره ٦٦ سنة، وهو في موضع يبعد عن مركز قضاء الحيٍ بنحو ٣٦ ميلاً يقال له: (أرض أم عبيدة)، وكان العثمانيون قد بنوا هناك مسجداً كبيراً محيطاً بالضريح، وحجراً لسكنى الزوار والخدم، وكان العثمانيون ينفقون على الخدمة من ريع (الأملاك المدورة) إلى سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) حيث انسحبت الجنود العثمانية من هناك، فهجمت العشائر على المسجد، فنهبت ما على القبة من الكساء وأثاثات المسجد وفراشه.

ثم إنهم بعد ذلك تجاسروا على قلع خشب الأبواب والنوافذ، فظل المسجد خراباً إلى سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م)، فنهض الموفق للخير السيد إبراهيم الراوي شيخ الطريقة الرفاعية في العراق، وجمع من محبي الديانة مبلغاً كافياً من النقود، وشيّد المسجد والضريح، فأعادهما كما كانا سابقاً.

الآثار القديمة

يوجد اليوم في جنوب الناصرية على مسافة ١٠ أميال منها بالقرب من محطة المقيّر محل يقال له «تل المقيّر» أو «أور الكلدان»، وذلك التل هو من بقايا مدينة قديمة من زمن الكلدانيين كان نهر الفرات يمر من حذائها، وإن النقّابين يبحثون فيها، وقد استخرجوا منها آثاراً كثيرة، وإن من الآثار التي استخرجت حديثاً في عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) هيكل الآلهة يقال أن تاريخه يعود إلى ٦٦٢٢ق هـ (٦٠٠٠ق م).

وكذلك يشاهد السائح في الشمال الشرقي من الشطرة خرائب لاغاش (تللو)، وهي خرائب بلدة قديمة واقعة جنوب الكرادي، كان يسميها البابليون (لارسا) التي هي من بقايا مدن الكلدان القديمة، وقد بحث النقّابون فيها كثيراً، وعثروا على شيء من صفائح الذهب والحجارة الثمينة والصدف والهياكل، ونحوها.

الحالة السياسية

(المساحة):

تقدر مساحة لواء المنتفق بنحو ٢٠ ألف ميل مربعاً.

(السكان):

تقدّر نفوس اللواء بنحو ٢٥٠ ألف شخص، منها ١٦٠٠ صابئة، و١٥٠٠ يهودي، و٩٢ ألف شخص سني المذهب، وما بقي فشيعة جعفرية.

(الشعار):

فالسنّة يضعون على رؤوسهم العقال، ومن تحته (صمادة) حمراء، وسادة النسب يلبسون العمامة الخضراء. أما الشيعة، فالعامة يضعون من تحت العقال الصمادة الزرقاء، والسادة منهم يلبسون العمامة السوداء. بل إن هذه العادة جارية عند غالب أهل العراقين.

ولواء المنتفق متشكل من أربعة أقضية: «الناصرية، وسوق الشيوخ، والشطرة، وقلعة سكر».

١- (قصبة الناصرية):

وهي مركز اللواء. واقعة في الجانب الشرقي من نهر الفرات، وهي مدينة حسنة الأسواق، وطرقها مستقيمة واسعة، وهي لطيفة الترتيب معتدلة الهواء.

وأول من اختطها ناصر باشا ابن راشد السعدون سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٧م)، فنسبت له، وقد جعل طرقاتها وجادتها على الطراز الحديث، وبها جامع ذو منارة مشرفة على الفرات، وفي داخل البلدة مسجد آخر ذو منارة أيضاً، وبها أبنية ضخمة كصرح الحكومة والمستشفى، وغالب أهلها مسلمون من أهل السنة والجماعة، ومقلدون مذهب الإمام مالك بن أنس إمام الأئمة وإمام دار الهجرة رضي الله عنه، وتقدر نفوس الناصرية بنحو ١٥ ألف شخص، وفيها دائرة للبريد والبرقي، وفيها ثلاثة حمامات، وستة أسواق، وفي الجانب الغربي من الفرات بساتين وحدائق، ويربطها بالجانب الشرقي جسر من الخشب. كما وأنه يقرنها بمحطة المقيَّر خط حديدي صغير.

ويتبع الناصرية (ناحية أبي قداحة والعكّير والمقير)، ومن القرى (البطيحة والكوت).

٢- (قصبة سوق الشيوخ):

هي شمال الناصرية على مسافة ١٥ ميلاً، وواقعة في الجانب الغربي من الفرات، فيحدها شمالاً وشرقاً الفرات، وجنوباً وغرباً صحراء الشامية، والبلدة صغيرة، وهواؤها وخيم، والماء محيط بها من غالب جهاتها (أنهر ومستنقعات وغدران)، كما وأن حدائق النخيل محيطة بها، ولها أسواق حسان في الجملة، وشوارعها ضيقة، وبها جامعان أحدهما في وسط البلدة، والآخر قريب من الفرات، وأهلها غالبهم مسلمون، ومعظمهم من أهل السنة.

وأن سوق الشيوخ هو محط الرحّل من الأعراب، ومحل مسابلة أهل البادية القاطنين في صحراء الشامية، ومن ثم فالتجارة فيه رائجة، والأبنية فيه كثيرة، ونفوسه متزايدة، فتقدر اليوم بنحو ٢٥ ألف نسمة، وبه تنسج الأعبئة الرقيقة، وغالب أهله (ملّاكون)، والبقية تجار وفلاحون.

وإن أول من اختطه رئيس المنتفق الشيخ ثويني بن عبدالله زمن إمارته الممتدة من الغرّاف إلى البصرة إلى قرب الكويت، لأنه لما أصبح نفوذه سائداً على كثير من

عشائر العراق ونجد، وكان معه في غزواته سوق متنقل معه، وهو عبارة عن خيام فيها تجار وباعة ينزلون قريباً من الأعراب إذا خيموا، فتقوم سوقهم، ويعرضون فيها ما يحتاجون إليه من الألبسة والأواني وأنواع الأثاثات، ويتعوّضون بدلها (الوبر والصوف والشعر والدهن)، ونحو ذلك، وأنه يوجد مثل هذا السوق إلى يومنا هذا مع القبائل الرحّل. ثم إن عشائر الشيخ ثويني رغبوا في أن تقام لهم سوق دائمية قريبة من الفرات، فأمر الشيخ ثويني أصحاب سوقه المتنقل معه بالإقامة في الصقع الذي يرى فيه اليوم سوق الشيوخ، لطيب مائه في ذلك الزمن بالنسبة لما جاوره، ولكثرة مرعاه، فخطط السوق من ذلك الحين، ونسب إليه.

وقيل أنه كان موجوداً قبل ذلك، ويسمى (سوق النواشي) باسم عشيرة عراقية، وكان الشيخ ثويني يديّن التجار الدراهم بكثرة، وإذا احتاج إليها أخذها منهم، وكان غالب مشائخ القبائل يمتارون من ذلك السوق، فعرف باسم الكل، وترك اسم «سوق النواشي»، وعلى كلا القولين فإن تأسيسه كان في أواخر القرن ١٢هـ (١٨م)، وبقي هذا السوق رائجاً إلى أن قتل ثويني سنة ١٢١٢هـ (١٧٩٦م) كما ستعلمه. ثم صار مركزاً لمهمات مشايخ المنتفق، ومخزناً لذخائرهم ومؤنهم، وملجأ حصيناً لهم.

ثم لما ضعفت شوكة المنتفق، وحصل التنافر فيما بينهم، انحطت أهمية ذلك السوق. ثم في سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧٠م) جعلت الحكومة العثمانية ذلك السوق (قضاء)، ولكنه ظل آخذاً بالتقهقر والانحطاط حتى صار في سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) بمنزلة (مديرية)، وإن كان يحكمه قائم مقام. ثم بعد إعلان الدستور عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) أخذ بالتقدم والارتقاء، ولم يزل عارجاً في سلم التقدم والحضارة.

وفي تجاه البلدة في الجانب الآخر على الفرات قرية صغيرة تسمى (محلة الصبّة)، بيوتها من القصب بين بساتين ملتفة، وماء الفرات يجري في شوارعها، وأهلها صابئة، وحرفتهم الحدادة وصياغة الحلي وتكفيته.

ويتبع سوق الشيوخ (ناحية الحمّار وبنو سعيد وعكيكة)، ومن القرى (قرية الخميسية وأم بطّوش).

(قرية الخميسية):

اختطها الحاج عبدالله بن خميس النجدي سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م)، فنسبت له، وهي واقعة جنوب غربي سوق الشيوخ على مسافة نحو ٨ أميال منه.

٣- (قصبة الشطرة):

هي واقعة على نهر الغرّاف، وتبعد عن الناصرية في السفن الشراعية بنحو ٦ ساعات، ومن جهة البر بنحو ١٧ ميلاً، وموقعها في وسط اللواء، وحديثة العمران. أنشأها فالح باشا ابن ناصر باشا السعدون سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) لما ضمن خراج المنتفق، وأما الشطرة القديمة فهي تبعد عنها بنحو ١٥ ميلاً، كما سيأتي عند ذكر إمارته.

وتقدر نفوسها بنحو ١٧ ألف شخص، وهي اليوم محل مسابلة غالب العشائر والأعراب، وتجارتها واسعة، وجلّ أهلها يشتغلون في البيع والشراء، وهي آخذة في التوسع والعمران، وفيها مسجد للصلاة.

وكان نهر الشطرة واسعاً جداً، ويسكن على ضفافه كثير من العشائر. ثم أخذ ماؤه يقل شيئاً فشيئاً (لعله في القرن ١٣هـ -١٩م) بعد أن فتحت قناة البداع، فهاجر قسم من القبائل التي كانت تقطن أراضيه عقب حدوث جدب ومحل في أراضيهم، كعشائر (خفاجة وعبودة والأزيرق) إلى نواحي البصرة، فأسسوا هناك لهم قرية تسمى (محلة إخوات رزنة)، وجعلوا يشتغلون في البصرة بالحمالة وبالبناء، ووضع التمور في الصناديق مصفوفاً، ونحو ذلك من الأشغال البسيطة، كما وأن قسماً منهم هاجروا إلى أماكن أخرى.

ثم إن نهر الشطرة أبدل صدره في أول القرن ١٤هـ (٢٠م)، فأخذت المياه تنساب

فيه بوفرة، ويتبع الشطرة (ناحية دواية) فقط.

٤- (قلعة سكر):

هي عبارة عن قرية واقعة على نهر الغرّاف، وقد جعلت أخيراً مركزاً لناحيتها، وتقدر نفوسها بنحو ٢٠٠٠ شخص، وحرفتهم الزراعة.

ويتبعها (ناحية الكرادي)، ومركزها قرية الكرادي التي أسست عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) تقريباً، وموقعها في جنوب مركز القضاء على مسافة نحو ١٢ ميلاً، وهذه القرية آخذة بالنمو لأن تجارتها الداخلية أوسع من تجارة قصبة قلعة سكر، حيث إن بعض سكان الشطرة جعلوا ينقلون مساكنهم إليها تدريجياً لقلة مياه الشطرة، ويتبع القضاء من القرى: (الكرادي. منافر. أبو هاون. سويق ابن شقيان. سويق شمير).

٥- (قصبة الحي):

وهي واقعة على نهر الغرّاف، وتقدر نفوسها بنحو ١٦ ألف نسمة، وكان الحي يعدّ قرية من قرى البطائح، وكانت قصبتها البطيحة. ثم صارت واسطاً. ثم الحي، ويسمى (حي واسط)، وجزيرة السيد أحمد الرفاعي، وكل هذه الأسماء لقرى واقعة بين نهري دجلة والفرات، ويحدها من جهة الشرق والجنوب والغرب دجلة والفرات، ومن الشمال (كوت الأمارة)، فتصير هذه القرى في جزر بين النهرين، وفي كل زمان تشتهر باسم القرية التي يستوطنها أمير تلك القرى، وفي زماننا هي مشهورة باسم (الحي)، وبها مسجد للصلاة. ثم لما تشكلت الحكومة العراقية سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) ألحقت الحي بقضاء الكوت.

البطائح

جمع بطيحة، وهي واقعة بين واسط والبصرة، ونذكر بحثها هنا لمناسبة احتلال المنتفق لها كما سيأتي، وإلا فموضع بحثها في تاريخ البصرة، ولكن لما عزب عن فكرنا وضع البحث هناك وضعناه هنا للمناسبة المذكورة.

وكانت البطائح قديماً قرى متصلة، وأرضها عامرة آهلة بالسكان، فاتفق في أيام كسرى أبرويز المتولي على مملكة الفرس سنة ٣٣ق هـ (٥٩٠م) أن زادت دجلة زيادة فاحشة، وزاد الفرات أيضاً على خلاف العادة، فعجز عن سد بثوق المياه، فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع، فطرد أهلها عنها، ولما غيض الماء، وأراد أبرويز العمارة أدركه أجله، فتوفي[1]، فتربع على المملكة ابنه شيرويه عام ٧هـ (٦٢٨م)، فلم تطل مدته. ثم تقلد الحكم بعض نساء لم تكن فيهن كفاءة، وعجز الكل عن العمارة.

---

(١) وأبرويز هذا هو الذي قتل النعمان بن منذر الثالث ملك (الحيرة) سنة ١٣ ق هـ (٦٠٩م) قرب النجف، وولى بعده على الحيرة (أو سنة ٣١٦ ق هـ (٣٦١ ب م) إياس بن قبيصة الطائي، ولستة أشهر من ولاية إياس بعث نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم). أي في عام (٦١٠م). كما في تاريخ البصرة، وإن أبرويز هو الذي أرسل إليه صاحب الشريعة الإسلامية (عليه الصلاة والسلام) كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام مع عبدالله ابن حذافة السهمي سنة ٧ هـ (٦٢٨م)، فلما حضر عبدالله أمام أبرويز سلمه الكتاب، وهذا نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس. سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله: أدعوك بدعاية الله، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم، فإن أبيت، فإنما عليك إثم المجوس)، فقرأه (أبرويز)، فلما انتهى منه مزقه، وأساء إلى حامله، وكتب إلى عامله باليمن يأمره بأن يغزو المدينة المنورة، ويأتيه برسول الله أسيراً، وعاد عبدالله إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأخبره بما فعل أبرويز، فقال: (اللهم مزق ملكه كما مزق كتابي)، فلما قتل أبرويز، ورقي ابنه عرش مملكة فارس كتب إلى عامله باليمن ينهاه عن مقاتلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كما بيناه في تاريخ اليمن.
وفي عهد أبرويز أيضاً حدثت المعركة الشهيرة بوقعة ذي قار بين الفرس والعرب التي انتصر فيها العرب انتصاراً باهراً على الفرس عام ١٣ ق هـ (٦٠٩م). ثم إن أبرويز قتله ابنه شيرويه، وأخذ الملك لنفسه كما في تاريخ البصرة والبحرين، ولم يملك شيرويه إلا بضعة أشهر حتى قتل، وخلفه أردشير الثالث سنة ٨هـ (٦٢٩م)، مَلَّكَهُ الفرس وهو طفل، فجعلوا له نائباً ليقوم بأمره، وهو (رئيس الوزراء) المسمى جسنس، ولكن الأمور في الحقيقة هي بأيدي النساء، فحصلت الاضطرابات الداخلية. اهـ.

ثم لما أشرقت شمس الإسلام، واشتغل الناس بالحروب لم يلتفت المسلمون إلى عمارة الأرضين، فلما استقرت قواعد الدولة الإسلامية استفحل أمر البطائح، وتهشمت مواضع البثوق، وتغلب الماء على النواحي، ودخلها العمال بالسفن، فرأوا فيها مواضعٍ كثيرة عالية لم يصلها الماء، فبنوا فيها القرى، وسكنها قوم من العرب، وزرعوها أرزاً، وجعلوا فيها بعض بساتين، ويقال أن أول من قلع القصب منها وزرع الأرز في أماكنه هو عبدالله ابن دراج مولى معاوية ابن أبي سفيان.

ويقال أن مساحة البطائح كانت ثلاثين فرسخاً في مثلها، وكانت (قرية واسط) حسنة لتوسطها بين البصرة والكوفة، وكانت كثيرة البساتين والأشجار، قريبة من نهر الحي (نهر الغرّاف).

وإن أول من اختط بها المنازل الحجّاج بن يوسف الثقفي عام ٨٣هـ (٧٠٢م)، وفرغ من عمارتها عام ٨٦هـ (٧٠٤م)، واتخذ فيها قصراً للإمارة والحكم، وكتب إلى عبدالملك بن مروان يعلمه ذلك، كما في تاريخ البصرة.

وكانت تسمى (مدينة الحجّاج) ومدينة واسط، وقد بلغت البطائح في إبان الدولة الأموية الشأو الأعلى، وسارت الشوط الأبعد، وظلت عامرة آهلة بالسكان في عيش رغد إلى زمن حكومة الديلم، حيث تغلب على تلك المواضع والقرى في أوائل دولة الديلم (بني بويه) أقوام من أهلها، وتحصنوا بالمياه والسفن، فخرجت تلك الأراضي عن طاعة السلطان، وصارت تلك المياه كالخنادق لهم إلى أن انقرضت دولة بني بويه عام ٤٤٧هـ (١٠٥٤م). ثم لحقتها في التقلص الدولة السلجوقية سنة ٥٨٩هـ (١١٩٢م). ثم لما استتب الأمر لدولة بني العباس سنة (هـ-   م) رجعت البطائح إلى أحسن نظام، وجباها عمالهم كما كانت في قديم الزمان كما سيأتي.

وكان اشتداد أمر البطيحة، واستفحال بني شاهين بها في أواسط القرن ٤هـ (١٠م)، وذلك أنها كانت في بادئ أمرها كثيرة القصب والآجام، ولا عمارة فيها، بل هي مأوى للبغاة واللصوص وقطاع الطرق، فدخلها عمران بن شاهين الخفاجي

سنة ٣٢٩هـ (٩٣٩م)، وكان يصطاد السمك والطيور منها. ثم جعل يقطع السبل، وتحصن فيها حتى استفحل أمره، وقويت شوكته، واتخذ له مخافر على التلال التي بالبطيحة، فتغلب على تلك النواحي، وكان ذلك في أيام بني بويه، فحاربه معز الدولة مراراً، فالمرة الأولى عام ٣٣٨هـ (٩٤٩م). ثم حاربه مراراً إلى سنة ٣٤٠هـ (٩٥١م)، فلم يظفر به، فصالحه، وأمّره على البطيحة سنة ٣٤٠هـ (٩٥١م). ثم نقض الصلح عام ٣٤٤هـ (٩٥٥م). ثم سار معز الدولة إلى أواسط عام ٣٥٥هـ (٩٦٥م)، وجهز من هناك العساكر لقتال عمران مع أبي الفضل العباس بن الحسن. ثم قدم على معز الدولة من عمان (نافع مولى ابن وجيه صاحب عمان) يستنجده على استخلاص عمان، فانحدر معز الدولة إلى الأبلة، وجهز له جنوداً في السفن، وأرسلها معه إلى عمان.

ثم عاد من الأبلة، وطرقه المرض، فجهز العساكر، فسار قسم منهم إلى البطائح، فنزلوا الجامدة، وسدوا الأنهار التي تصب إليها، وذهب القسم الآخر لقتال عمران، وعاد هو إلى بغداد، فتوفي فيها، فتولى بعده ابنه عز الدولة بختيار، وأمر برجوع العساكر إلى أماكنها، وعقد مع عمران الصلح، واستمروا على ذلك مدة. ثم في عام ٣٥٩هـ (٩٦٩م) زحف نحوه بختيار بن معز الدولة حتى عسكر في واسط، وجعل يتصيد، ويتحين الفرص.

وفي مدته سدت بثوق الماء، فلما فاض الماء خربت تلك السدود، واتخذ عمران بن شاهين معقلاً غير الذي كان مقيماً فيه، ولما قصدته عساكر بختيار عام ٣٥٩هـ (٩٦٩م) لمحاصرته، فأقاموا بواسط يتصيدون، ويتحينون الفرص عليه، فلم يتمكنوا منه، وسئموا الإقامة في البطائح من شدة الحر، وكثرة البعوض والضفادع، وقلة مواد المعيشة، فاضطر بختيار لمصالحة عمران، فصالحه، ورجع إلى بغداد بعد العناء الشديد في رجب عام ٣٦١هـ (٩٧١م).

وكانت مدة استقلال عمران بن شاهين بالبطيحة ٤٠ سنة، ولم يقدر عليه أحد من الملوك، ولا من الخلفاء، وما ذلك إلا لشدة مناعة تلك الأراضي إذا كان صاحبها

ذا قوة، ولما توفي عمران سنة ٣٦٩هـ (٩٧٩م) تولاها ابنه الحسن بن عمران في أيام عضد الدولة ابن بويه، فطمع عضد الدولة في البطيحة، فأرسل وزيره نحوها بالجنود، ولما وصل الوزير البطيحة أمر الجنود بسد أفواه الأنهار الداخلة إلى البطائح، فضاع فيها الزمان والأموال، وجاء وقت الفيضان، فبثق الحسن بعض تلك السدود، فأعانه فيضان الماء، فتهدمت السدود، فتفوق الحسن على الوزير، فاضطر عضد الدولة إلى مصالحته.

وفي سنة ٣٧٣هـ (٩٨٣م) قتل أبو الفرج بن عمران بن شاهين أخاه الحسن، واستولى على البطيحة، فغضب الجنود لذلك، فقتلوا أبا الفرج، وعينوا في محله أبا المعالي ابن أخيه الحسن في السنة المذكورة.

وكان المظفر بن علي الحاجب أكبر قواد عمران بن شاهين، وكانت له كلمة نافذة، فزوّر كتاباً عن لسان صمصام الدولة بن بويه يعهد إليه بولاية البطيحة، فعزل أبا المعالي، وتولى هو مكانه في تلك السنة أيضاً، وأحسن السيرة في الناس، وظل إلى أن مات عام ٣٧٦هـ (٩٨٦م)، فأخذ بزمام الحكم ابن أخته أبو الحسن علي بن نصر، وتلقب (بمهذب الدولة)، فعدل في الحكم، وبذل الخير، فقصدته الناس، وأمن عنده الخائف، وصارت البطيحة معقلاً لكل قاصد، واتخذها الأكابر وطناً، وبنوا فيها الدور الحسان، وهناك احتمى القادر بالله إلى أن صار خليفة.

وبعمران البطيحة ضعف عمران بغداد وتقدمها، وأخذ بالتقلص حتى أنه لجأ إليها أبو نصر بن سابور الوزير عام ٣٩٢هـ (١٠٠١م)، فاستوطن البطائح، وتبعه الناس، وجعلت الأبنية تزداد فيها يوماً فيوماً.

وفي سنة ٣٩٤هـ (١٠٠٣م) هاجم أبو العباس بن واصل البطيحة، فاحتلها، وأخرج منها مهذب الدولة، واستولى على أمواله، فاضطرب أهل البطيحة، ونفروا منه، وظفروا بعسكره، فأوقعوا فيهم، فخرج منها، وتركها شاغرة.

ثم عاد إليها مهذب الدولة سنة ٣٩٥هـ (١٠٠٤م)، واستولى عليها، ومكث بها

إلى أن توفي عام ٤٠٨هـ (١٠١٧م)، فتذاكر الجند في إقامة ابنه أبي الحسين أحمد، فسمع بذلك ابن أخته أبو محمد عبدالله بن نبي، فاستدعى الديلم والأتراك، ورغبهم بالمال في إقامته على البطيحة، وقرر معهم وقتاً معيناً للقبض على أبي الحسين، فلما قبضوه أمر بضربه، فمات بسببه بعد ثلاثة أيام، وأخذ بزمام الحكم:

(أبو محمد عبدالله بن نبي):

وتسلم الأموال، وذلك عام ٤٠٨هـ (١٠١٧م). ثم بعد ثلاثة أشهر توفي، فاتفق أعيان البلدة على تولية:

(أبي عبدالله الحسين بن بكر الشرابي).

وكان الشرابي من خواص مهذب الدولة، وبقي على البطيحة إلى سنة ٤١٠هـ (١٠١٩م) حيث ساق سلطان الدولة ابن بويه نحوه الجنود تحت قيادة صدقة بن فارس المزيدي، فسار إليها، واحتلها بعد أن أسر الشرابي عنده، وأخذ بزمام حكم البطيحة، وظل بها إلى أن توفي عام ٤١٢هـ (١٠٢١م)، فتعين في محله شابور بن المرزبان، وجعل يدير أمور البلدة.

ثم في سنة ٤١٨هـ (١٠٢٦م) تخلص الشرابي من السجن بحيلة، وذهب إلى الخارج، فجمع قسماً من أهل البطيحة كانوا قبل ذلك قد عصوا على أبي كاليجار الديلمي، فلما أتاهم الشرابي نظمهم، وسار بهم يقودهم نحو البطيحة، فاحتلها بعد معركة عنيفة، وأخذ بزمام الحكم فيها.

فلما بلغ الخبر لابن المعبراني جمع جموعه، وسار بها نحو البطيحة، وتحارب مع الشرابي حتى كسره، ففر الشرابي إلى دبيسٍ بنِ صدقة، واستولى ابن المعبراني على البطيحة، وجعل يدير شؤونها، وكان رجلاً ميالاً إلى السلم أكثر من الحرب.

وفي سنة ٤٢٠هـ (١٠٢٨م) خطب بها لأبي كاليجار.

وفي عام ٤٣٣هـ (١٠٤١م) زحف على البطيحة أبو نصر بن الهيثم، واحتلها بعد قتال شديد. ثم أدى الخراج لجلال الدولة.

ثم في عام ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) ثار عليه الجند، وشقوا عصا الطاعة، وخطبوا يوم الجمعة لأبي كاليجار، فأخذ ابن الهيثم في تدبير أمره حتى نهض، فتفوق على الجند، وأدبهم حتى خضعوا لطاعته.

وفي سنة ٤٣٨هـ (١٠٤٦م) قصد البطيحة علاء الدين أبو الغنائم بن الوزير ذي السعادات، وحاصرها، وكان بها ابن الهيثم المذكور، وضيق عليه حتى اضطره إلى الصلح. ثم حصلت بينهما معركة في صفر عام ٤٣٩هـ (١٠٤٧م)، فانتصر فيها أبو الغنائم بعد أن قتل من أهل البطيحة خلق كثير، وغرقت لهم عدة سفن، وتفرقوا في الآجام، ونهبت دار ابن الهيثم، وصارت البطيحة لأبي كاليجار. ثم بعد مدة آلت البطيحة لمهذب الدولة أحمد بن أبي الخير.

وفي سنة ٥١٠هـ (١١١٦م) دخلت البطائح تحت نفوذ دبيس بن صدقة المزيدي. ثم في عام ٥١٧هـ (١١٢٢م) عصى دبيس المذكور على الخليفة المسترشد بالله، فتوجهت نحوه الجنود، وحاربته حتى كسرته، وفرّ من أمامهم. ثم ضغطت عليه حتى خرج من الحلة، والتجأ إلى عشائر المنتفق، واتفق معهم على مهاجمة البصرة، وجمعوا جموعهم، وساروا بها نحو البصرة، وهاجموها حتى احتلوها، ونهبوها كما في تاريخها.

وسيأتي بحث إجلاء بني أسد من البطائح سنة ٥٥٨هـ (١١٦٣م). ثم إجلاء المنتفق منها عام ٦١٦هـ (١٢٢٨م). ثم عودتهم إليها عند ذكر إمارة بني معروف.

وظلت البطائح عامرة إلى أوائل القرن ٨هـ (١٤م) حيث أخذت بالتقهقر والانحطاط لاشتعال نار الفتن بين أهلها، فتنازع أمرها الثوار وعصاة القبائل، فلعبت شوطاً مهماً، لا سيما في زمن انفصال البصرة عن حكومة بغداد، فقد ابتلعتها ثورة المشعشعين كما سيأتي ٩هـ (١٥م)، وظلت مشوشة مضطربة الأحوال إلى القرن

١٢هـ (١٨م) حيث أخذت بتحسن الأحوال لهدوء الفتن من جهة، وجفاف بعض المستنقعات من جهة أخرى، فنهض عمرانها على أيدي أمرائها من آل سعدون، حيث إنهم وسعوا فيها الجزيرة بواسطة السدود. ثم خطوا الناصرية والشطرة، وبمساعدتهم نهض ابن خميس، فخط الخميسية كما تقدم.

(أما جزائر البطائح):

فيقال أن عدد الناتئ منه فيما مضى نحو ٣٦٠ جزيرة منبثة في طول البطائح وعرضها. قسم منها كان يسمى (جزائر شط العرب)، وبعضها كان يقال له (جزائر خوزستان)، ويقال أن غالبها كان تابعاً لحكومة خوزستان، ولما دخلت البصرة في ضمن الممالك العثمانية في أواسط القرن ١٠هـ (١٦م) أخذ بعض زعماء القبائل بالانضمام إلى العثمانيين بعشائرهم رسمياً.

ثم أنه في سنة ٩٥١هـ (١٥٤٣م) لما حصل التضاغن بين رئيس المنتفق الشيخ مغامس وبين الحكومة العثمانية، فساقت نحوه الجنود من بغداد تحت قيادة إياس باشا، والتقيا عند الجزائر. جرت بينهما معركة أسفرت بانكسار الشيخ مغامس، وفراره إلى نجد، وذلك عام ٩٥٣هـ (١٥٤٥م)، فاحتل إياس باشا الجزائر، وعين عليها والياً من قبله كما سيأتي. ثم مشى بجنوده إلى البصرة وضبطها، كما في تاريخها.

وفي سنة ٩٥٦هـ (١٥٤٨م) عصت أنحاء الجزائر وواسط على الحكومة العثمانية، فبلغ واليها علي بيك الخبر إلى والي البصرة، وهو رفعه إلى بغداد، فساق وزير بغداد الجنود نحو الجزائر تحت قيادة تمرد علي باشا، وزحفت قوة أخرى من البصرة نحوها أيضاً، وحاصر الكل زعيم الجزائر الشيخ عليان في قلعة المدينة، ودارت رحى القتال بين الفريقين، ولما حمي وطيس الحرب فرّ عليان من المدينة بنفسه في خاصته، فاستولت الجنود العثمانية على الجزائر وواسط، وأمنوا الأهالي، ونظموا مركز الحكومة هناك.

وفي عام ٩٧٥هـ (١٥٤٩م) جمع ابن عليان جموعاً من أعراب المنتفق وأعراب الجزائر، وسار بهم نحو الجزائر، فاحتلها كرهاً، فجهز والي بغداد الجنود، وساقها نحو

ابن عليان تحت قيادة إسكندر باشا، وكذلك حشد والي البصرة درويش علي باشا عساكره، ووجهها نحو المذكور، واجتمع الكل على حربه حتى طردوه من البلدة، وضبطوا الجزائر مرة ثانية، كما في تاريخ البصرة.

وإن ذلك التمرد كان ناشئاً من تعداد إمارات الجزيرة، فجعلت الزعماء تنضم تارة للعثمانيين، وطوراً إلى الصفويين (ملوك خوزستان)، فأدى ذلك إلى النزاع بين الحكومتين على البصرة والجزائر، كما وأن بُعد مركز عاصمة آل عثمان مما جعل الأعراب تتمرد، وتنقض العهود، وتحدثهم أنفسهم بالاستقلال التام، والانفصال عن أي دولة كانت، وساعدهم على ذلك تحصين الجزائر الطبيعي بالمستنقعات والغابات حتى أصبحوا في مأمن يعسر على الخصم مهاجمتهم فيه.

(خلاصة الحوادث) هي إن الجزائريين قد حاربوا الحكومة العثمانية مراراً عديدة نجهل تفصيلها في الوقت الحاضر، وإن شاء الله سنبذل أقصى ما يستطاع من مجهوداتنا في تحقيق تلك الحوادث وأسبابها، ونعرضه في الطبعة الثالثة إن شاء الله تعالى، حيث إنه جرت حروب في القرن ١٠هـ (١٦م)، وفي أواسط القرن ١١هـ (١٧م)، وآخر حرب عظمى وقعت في الجزائر هي في سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٥م) تحت زعامة شيخ الجزائر في ذلك اليوم الشيخ حسن ابن خيون الأسدي، فساقت الحكومة نحوه الجنود تحت قيادة محمد فاضل باشا الداغستاني ثم البغدادي، فسار بالجنود نحو الجزائر، وأخمد نار الثورة بعد معركة عنيفة أحرقت فيها المديْنة. ثم بعد مدة حصل من نجله الشيخ سالم الخيون مشاغبات.

ولما تشكلت الحكومة العراقية سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) نهض الشيخ سالم بن حسن بن خيون بمطالب مهمة، وعاكس الحكومة في بعض الأمور، ففي عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م) حصل بينه وبين الحكومة العراقية اختلاف شديد أدى إلى القبض عليه، وإرساله إلى محكمة البصرة، فقررت نفيه إلى الموصل بعد محاكمات عديدة، وتهم كثيرة.

وبهذه الحادثة انحلت مشيخة الجزائر، فلا إمارة فيها اليوم ولا مشيخة، وإنما أسست الحكومة العراقية قضاء الحمّار، وبعثت إليه قائم مقام وموظفي إدارة، وأبطلت المشيخة، وجعلت محلها عدة مختارين مشايخ المحلات (عُمَداً) يراجعون الحكومة في مسائل معينة لهم تحت نظام مقرر معلوم عند الطرفين.

الحويزة

إن الحويزة هي خارجة عن موضوعنا، ولكننا نذكر هنا نبذة عن مجمل أحوال مواليها لأنهم كانوا ممن حكم في الجزائر، وذلك أنه في القرن ٩هـ (١٥م) ابتدأت الثورات، واشتعلت نارها تحت زعامة محمد بن فلاح المتمهدي المشعشع كما تقدم، وهو جد حكام الحويزة، ومؤسس إمارتهم، وهم الملقبون بلفظة «مولى»، وكان ظهور ثورته في الجزائر، فنهض لمدافعته وصد غاراته أمير البلاد، وهو يومئذ من عشيرة «عبادة»، فتواقع معه، وجرت بينهما معركة شديدة أسفرت بفوز محمد بن فلاح، واحتلاله البلدة، فأخذ بزمام الأمور فيها، وأسس إمارة قوية ظلت في عقبه.

ثم إنهم نقلوا قصبة حكمهم إلى الحويزة، وتأمروا فيها، وطار صيتهم بين العرب، ولما أفضت الإمارة إلى المولى مبارك بن عبدالمطلب بن حيدر بن محسن بن محمد المتمهدي سار إلى الجزائر، وتغلب عليها في القرن ١٠هـ (١٦م)، واجتاح البلاد، وأخضع أهلها قهراً.

وفي سنة ١٠٥٥هـ (١٦٤٤م) ثارت الجزائر ثورة عظيمة، وانتشرت في جميعها الفتن، فسار إليها المولى علي خان، وأخمد نيران الثورة، وأرجع المياه إلى مجاريها، وفيه يقول ابن معتوق الشاعر الحويزي المولود بالبصرة سنة ١٠٢٥هـ (١٦١٥م)، والمتوفى سنة ١١١١هـ (١٦٩٨م) من قصيدة:

لولا إيابك للجزائر ما صفتْ   منها مشارع مائها المتكدر

أسكنت أهليها النعيم وطالما   شهدوا الجحيم بها وهول المحشر

وكسوتها حلل الأماني وإنها   لولاك أضحت عورة لم تستر

ثم في أيام المولى منصور بن عبدالمطلب ثارت الجزائر مرة أخرى، فشمّر عن ساعد الجد، وسار إليها بالجموع، وقمع الفتن، ولكنها رغم تلك الحروب والتأديب من الموالي لم تَرْعَوِ عن الثورات المتوالية، لا سيما في عهد الموالي، فكانت تسكن تارة بالقوة، وطوراً بالسياسة.

وكانت الجزائر في القرن ١١هـ (١٧م) تتنازعها حكومات أو إمارات أربع: حكومة القبان، وحكومة الدورق، وحكومة الحويزة، وحكومة البصرة، وإن تلك المناطق الأربع هي محل تنازع الحكومة العثمانية والحكومة الصفوية، والتي كانت عاصمتها مدينة شيراز، فالحكومة العثمانية تفضل فوز حكومة البصرة وحكومة القبان، كما وأن حكومة شيراز تميل إلى نصرة حكومتي الدورق والحويزة. ثم لما تولى أفراسياب على البصرة زحف فاحتل القبان. كما في تاريخ البصرة.

الكبائش أو الكبائس

جمع كبش، وهو الخروف، أو جمع كبيسة، وهي الأرض التي تزرع على رطوبة الأرض الكامنة فيها، كما تقدم، ويقولون ثمر سقي، وثمر كبسي، وإن الكبائش هي اسم لعدة عرائش فوق جزر كثيرة يفصل بعضها عن بعض ماء المستنقعات، فيضطر الشخص لركوب الزوارق عندما يذهب لقضاء أشغاله من حاجيات البيت، أو زيارة الأقارب والأصدقاء، ويحد قضاء الكبائش شمالاً حدود لواء العمارة، وشرقاً ناحية المدينة التابعة لقضاء القرنة، ومن الغرب والجنوب قضاء سوق الشيوخ.

(نفوس الكبائش): على ما قيل تقدر بنحو ٢٣ ألف نسمة.

(صادراتها): أهم الصادرات منها القصب، والبردي، والسمك، والشلب (الأرز غير المقشور)، والذرة بنوعيها، وإن أول من بني فيها بالآجر والحجارة هو أميرها الشيخ سالم بن حسن الخيون المتقدم ذكره. ثم لما تأسست الحكومة العراقية بنت هناك صرحاً سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م)، فصار مركزاً مهماً للحكومة هناك.

أجناس أهل لواء المنتفق

عموماً غالبهم أعراب من عشائر المنتفق.

(الديانة) السائدة هي الملة المحمدية السمحة البيضاء.

(المذاهب) جميع المنتفق وآل سعدون وقسم من عشائرهم يقلدون مذهب الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنه)، وأما بقية العشائر فمنهم شيعة جعفرية، وقسم حنابلة نجدية.

المنتفق وآل شبيب وآل سعدون

المنتفق: اسم قبيلة مشهورة منسوبة إلى المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الناس (أخو الياس) بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الخ، وتتمة النسب في تاريخ البحرين، فبنو المنتفق هم بطن من عامر بن صعصعة اشتهروا باسم أبيهم، فقيل لهم المنتفق، وكانت منازلهم آجام القصب بين البصرة والكوفة، وقد وفد على النبي (صلى الله عليه وسلم) جماعة من بني المنتفق، وفيهم لقيط بن عامر بن صبرة بن عبدالله بن المنتفق، وكانت الإمارة فيهم في بني معروف، كما سيأتي.

(أما تاريخ المنتفق) فغامض تفصيله، والذي نعلمه في الوقت الحاضر عن مشايخهم وحكامهم هو أنه في سنة ٣٧٨هـ (٩٨٨م) لما هجمت القرامطة على البصرة كان رئيس المنتفق وشيخهم الرجل البطل المسمى بالشيخ أصفر، فلما بلغه ذلك جمع جموعه، وسار بها نحو القرامطة ليضعف شوكتهم، فما أدركهم إلا عند قرب الأحساء، فأوقع فيهم، وجرت بينهما معركة عنيفة أسفرت عن انكسار القرامطة، وفرار قائدهم، وتمزق جموعهم، فغنم منهم أصفر مغانم كثيرة. ثم سار في أثرهم نحو الأحساء، فتحصنوا فيها، فلم يتمكن على محاربتهم، فعدل إلى القطيف، وسلب ما كان فيها من أموال القرامطة وعبيدهم ومواشيهم. ثم عاد إلى البصرة حاملاً لواء الظفر، كما في تاريخها وتاريخ الأحساء.

والخلاصة أنه كان بأعمال الأحساء وما والاها خلق كثير من العرب، وكانت القرامطة تستنجدهم على أعدائها، وتستعين بهم في حروبها، وكان أعظم قبائلهم هناك

(بنو ثعلب، وبنو عقيل، وبنو سليم)، وأظهرهم في الكثرة والعزة بنو ثعلب.

ولما اضمحلت دولة القرامطة من الأحساء، كما في تاريخها، واستحكمت العداوة بينهم وبين بني بويه بعد انقراض بني الجنابي، وعظم اختلافهم عند القائم بدعوة العباسية، وكان خالصة للقرامطة، ودعاه إلى إذهاب دولتهم فأجابه وداخل بني مكرم رؤساء عمان في مثل ذلك فأجابوه، واستولى الأصفر على الأحساء وملحقاتها، وأورثها بنيه، واستولى بنو مكرم على عمان، كما في تاريخها.

ثم حصل تضاغن بين بني ثعلب وسليم، فاستعان بنو ثعلب ببني عقيل، وطردوا سليماً من الأحساء، فساروا إلى مصر القاهرة، ومنها كان دخولهم إلى أفريقيا.

ثم اختلف بنو ثعلب وبنو عقيل بعد مدة، فتفوق بنو ثعلب، وطردوا بني عقيل، فساروا إلى العراق، وتغلبوا على الكوفة والبلاد العراقية.

وامتد ملك الأصفر، وطالت أيامه، وتغلب على الجزيرة والموصل، وحارب بني عقيل عام ٤٣٨هـ (١٠٤٦م) برأس العين من بلاد الجزيرة، فغاظ ذلك نصير الدولة بن مردان صاحب ميافارقين وديار بكر، فجمع له جموعاً من القبائل من ناحيته، وحارب الأصفر، فغلبهم، وأسر نصير الدولة. ثم أطلقه.

وظل الشيخ أصفر رئيساً للمنتفق إلى أن توفي عام ٤١٠هـ (١٠١٩م)، فجعلت الرياسة تنتقل من شيخ إلى آخر، وبقي ملك الأحساء متوارثاً في أعقاب الأصفر إلى أن ضعفوا وتلاشوا.

ثم أنه في سنة ٤٩٩هـ (١١٠٥م) اجتمعت ربيعة والمنتفق، ومن انضم إليهم من الأعراب، وساروا نحو البصرة، وهاجموها، فدافع عنها واليها حتى عجز، فأسروه، وانهزم أصحابه، ولم يقدر من بها على حفظها، فدخلوها عنوة بالسيف في أواخر ذي القعدة من العام المذكور، وأحرقوا الأسواق والدور الحسان بعد أن نهبوا ما قدروا عليه، وأقاموا ينهبون ويحرقون ٣٢ يوماً، حتى فر معظم البصريين من البلدة، كما في تاريخها.

وفي عام ٥١٧هـ (١١٢٢م) شق عصا الطاعة حاكم الحلة دبيس بن صدقة، فساق الخليفة المسترشد بالله الجنود نحوه، وحاربه حتى انهزم من الحلة فاراً بحاشيته، والتجأ إلى عشائر المنتفق. ثم اتفق معهم على مهاجمة البصرة، فساروا إليها، وأوقعوا بأهلها، ونهبوا الأموال، فوجه الخليفة نحوهم الجنود تحت قيادة البرسقي، فحاربهم حتى أخرجهم من البصرة، كما في تاريخها.

إمارات آل معروف على البصرة

وفي سنة ٥٣٢هـ (١١٣٧م) صدر الأمر من الخليفة ببغداد بتعيين الشيخ معروف رئيس المنتفق يومئذ والياً على البصرة. ثم في عام ٥٥٨هـ (١١٦٣م) حصل بعض إفسادات وتعديات من بني أسد أهل الحلة، فأصدر الخليفة المستنجد بالله أوامره بإجلاء بني أسد من الحلة، لأنه كان في نفسه عليهم شيء لمساعدتهم السلطان محمد السلجوقي لما قدم بغداد.

فسارت الجنود نحوهم تحت قيادة يزدن بن قماج بعد أن استقدم لمساعدته ابن معروف رئيس المنتفق من البصرة، وانضم الكل على حرب بني أسد حتى أجلوهم من ديارهم وهم صاغرون، وسلمت بطائحهم إلى ابن معروف، فدخلتها عشائر المنتفق، كما في تاريخ البصرة.

وظلت عشائر المنتفق في البطائح إلى سنة ٦١٦هـ (١٢١٨م) حيث حصل منهم ما كدر صفاء الأمن والراحة، فوجه الخليفة الناصر لدين الله نحوهم الجنود تحت قيادة الشريف معد المتولي على بلاد واسط يومئذ، فسار لقتالهم يقود الجيوش حتى التقى معهم في موضع يعرف بالمقيّر، وهو تل كبير بالبطيحة قرب الغرّاف على مسافة ١٠ أميال جنوب الناصرية، كما تقدم عند بحث الآثار القديمة، وكان رئيس المنتفق يومئذ معلّى بن معروف، وجرت بينهما معركة أسفرت عن انكسار عشائر المنتفق، وظعنهم من أماكنهم، واضطرارهم إلى الجلاء من البطائح، فذهبوا نحو الأحساء والقطيف ليستوطنوا فيهما، فما تمكنوا من البقاء لكثرة أضدادهم هناك، فعادوا نحو البصرة، وطلبوا من متسلمها بأن يكاتب وزارة بغداد بالعفو عنهم ليعودوا هادئين إلى مقرهم في العراق، فكتب المتسلم لهم بذلك، وسيرهم مع أصحابه إلى بغداد ليعرضوا الخضوع

والانقياد لأوامر الخليفة.

فلما قاربوا واسط لقيهم قاصد (ساعي) من الوزارة يقود سرية، ومعه الأوامر بمقاتلتهم، وعدم الإذن لهم بالدخول إلى العراق، فتحاربوا معه حتى تفوقوا عليه، وغنموا منه بعض الأسلحة، فتمكنوا بها من احتلال البطيحة، وذلك عام ٦١٧هـ (١٢١٩م)، وقيل عام ٦١٨م، وعاد جميع بني معروف إلى البطيحة، وقوي أمرهم فيها.

وظلت البطائح عامرة آهلة بالسكان إلى أوائل القرن ٨هـ (١٤م)، حيث أخذت بالتقهقر والانحطاط لاشتعال نار الفتن بين أهلها، كما تقدم.

آل شبيب

(أما آل شبيب)، فإن آل سعدون فخيذة منهم، وكانت الإمارة فيهم، والكل سادة من بني هاشم أتوا من الحجاز إلى بادية العراق، فاستوطنوها كما سيأتي.

(أما آل سعدون ونسبهم)، فإنهم منسوبون إلى الشيخ سعدون، وكان رئيسهم الذي أدركناه هو: عجيمي باشا ابن سعدون باشا بن منصور باشا ابن راشد بن ثامر بن الشيخ سعدون الكبير (الذي قتل في معركة حصلت بين المنتفق والعثمانيين حينما كانوا نازلين في بادية العراق قرب السماوة، وقد اشتهر بنوه به فقيل لهم آل سعدون)، والشيخ سعدون هو ابن الشريف محمد بن الشريف شبيب بن مانع بن شبيب بن مانع بن مالك ابن سعدون بن إبراهيم (الملقب بأحمر العينين) ابن كبشة بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم (المكني بابن فليتة) ابن مهنا بن حسن (المشهور بابن أبي عمارة) ابن مهنا الأعرج (المكني بابن أبي هاشم) ابن داود بن قاسم بن عبدالله بن طاهر بن يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج[1] بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

قد تفرع منهم عدة فصائل (كآل صالح، وآل محمد، وآل روضان، وآل راشد، وآل صقر، وآل سعدون).

ويقال: إن أول من هاجر منهم من مكة المشرفة[2] هو الشريف شبيب ابن

(١) في الأصل المطبوع: الأعرم، والصواب ما أثبتناه. (مشرف الخزانة).

(٢) الصواب من المدينة المنورة. (مشرف الخزانة).

مانع، وأخواه مهنا وبركات، وأسباب ظعنهم من مكة مختلف في أسبابه، والمشهور بين المتفق هو أن بني عمهم قتلوا عبداً للشريف شبيب المذكور، فتشاحنت قلوبهم. ثم أغرتهم أختهم نورة على الثأر من بني عمهم حفظاً لمكانتهم، لا سيما وأن ذلك العبد كان مقدماً عندهم، فتعازم شبيب مع أخويه على الانتقام من بني عمهم، وعينوا لهم يوماً. ثم هجموا فيه على بني عمهم، وقتلوا منهم جملة. ثم فرّوا من الحجاز بمن تبعهم، فتوجه مهنا ابن مانع نحو تونس الغرب، وسار بركات بن مانع نحو بلاد العجم (إيران)، وأقبل الشريف شبيب نحو العراق.

إمارة آل شبيب

أقبل الشريف شبيب بن مانع نحو العراق، وذلك بعد انقراض دولة بني العباس من العراق. أي في حدود القرن ٧هـ (١٣م)[١]. ثم تزوج بامرأة عباسية[٢]، فولدت له مانعاً[٣] ثم صالحاً.

وكان الشريف شبيب جواداً شجاعاً، فاكتسب شهرة واسعة، وطار صيته بين العشائر العراقية حتى صار مقدماً عندهم. ثم استفحل أمره حتى نفذ قوله على العشائر الملتفة عليه من بني مالك، والنازلة بحذائه، فترّيس فيهم تدريجياً. ثم تفرد بالحكم على عشائر المنتفق. ثم زاد نفوذه حتى صارت له صولة تامة على غالب عشائر العراق. ثم تسيطر على البصرة بعشائر بني مالك، فجعل يعين عليها من شاء، ويعزل من شاء، ولو لم يحصل بينه وبين الخزاعل وزبيد تشاحن وتخاذل لتمكن من حكم العراق أجمع، كما سيأتي.

وكان لما قدم الشريف شبيب بن مانع إلى العراق بعد أفول دولة بني العباس وجد هناك قبائل لها نفوذ تام في البادية، فبنو مالك كانوا مستولين على الأراضي الجنوبية من العراق (الشامية) تحت رئاسة ابن خصيفة، وأما الأجود، فإنهم كانوا متغلبين على الغرّاف (الحي) تحت زعامة آل وطحل[٤]، فنزل الشريف شبيب بجوار بني مالك، ولما

---

(١) هذا التاريخ مبكر عما مشهور، والأصح أن هجرته كانت في القرن العاشر الهجري. (مشرف الخزانة).

(٢) انفرد النبهاني بذلك، والمشهور أنه تزوج من بني مالك كما ذكر النبهاني في الهامش التالي. (مشرف الخزانة).

(٣) وقيل إن والدة مانع كانت من آل خصيفة أمراء بني مالك الذين كانوا مشايخ في بادية البصرة. كما سيأتي ذكرهم في داخل الأصل. اه. مؤلف.

(٤) كذا في الأصل المطبوع، والمشهور (آل وثال). (مشرف الخزانة).

استفحل أمره، وظهرت شوكته تسيطر أولاً على بني مالك. ثم جعل يحارب بهم من ضادَّه.

ثم بعد مدة حصل بينه وبين رئيس الأجود مشاحنة أدت إلى مشق الحسام، فجمع شبيب أعرابه، وضمهم إلى بني مالك، ومشى على الأجود، وجرت بينهما عدة معارك أسفرت أخيراً عن قتل الشريف مانع بن شبيب ابن مانع، فترَيس محله ابنه مانع.

إمارة الشريف مانع بن شبيب بن مانع

أخذ الشريف مانع بن شبيب بن مانع بزمام الأمر، وكان قائداً حربياً ذا إقدام وبسالة، فجمع الجموع من بني مالك، وجعل يواصل الحرب على الأجود حتى تفوق عليهم، وأثخن فيهم القتل إلى أن أباد معظمهم، ومحا شوكتهم، وطلب من بقى منهم الصلح[١]، وكان بجانب بني مالك فخائذ من عتيبة، وبجانب الأجود قبيلة البدور وفصيلة من الرولة والشُريفات والجوارين[٢]، ولما طلبت عشائر الأجود الصلح أجابهم الشريف مانع إلى ذلك بشروط، منها:

١- الاعتراف بأنه الزعيم الأعلى على الكل.

٢- أنه لا يجب عليه النهوض من مقعده فيما إذا قدم إلى مجلسه أحد رؤسائهم، أو حيّاه أو سلم عليه.

ومنها شروط أخر يصعب قبولها فرضها عليهم ثأراً لدم أبيه الذي قتل أثناء المحاربة معهم كما تقدم، فقبلوا تلك الشروط، وتم الصلح بينهما على ذلك مع من بقي من العشائر التي كانت منضمة إلى جانب الأجود، وصاروا من حلفائه، خاضعين له كما سيأتي.

---

(١) ويقال: إنه لم يبق من رجال الأجود إلا ٤٠ طفلاً يتيماً قتل آباؤهم أثناء الحروب، وظلوا مستضعفين إلى أن نمت عشيرتهم مرة ثانية، وعاد الفارون بعد الصلح، وطلبوا الأمان، وهذه القصة شائعة بين المنتفق، ويستشهدون لذلك بأن عشيرة الأجود تنتخي وتعتزي عند الضرورة واللزوم بكلمة (يتيم) إلى اليوم، إشارة إلى يتمهم في بادئ أمرهم بعد تلك المعارك المجحفة التي ذكرناها في داخل الأصل. اه. مؤلف.

(٢) الجوارين اسم يطلق على عدة قبائل تحالفوا، وتسموا باسم (الجوارين) لفظ مأخوذ من المجاورة، ورئيسهم اليوم حسين بن قبيح الدريس، وحسن بن ثامر بن عبيقة يرأس فخيذة منهم جاءت من حائل قديماً مع زعيمها سالم أبي عنن، فاستوطنت بادية العراق. ثم تحالفت مع الجوارين، وأنهم ينتخون اليوم عند الضرورة بأخي سعدة. اه. مؤلف.

ثم لما نمت عشيرة آل أجود، وتطورت الأحوال، جددوا التحالف مع القبائل التابعة لآل شبيب، والمنبثة في الأراضي والمدن المعبّر عنها اليوم بالمنتفق، وهي التي ترتوي من نهر الغرّاف، وما يتصل به إلى سواحل الفرات قبل أن يتفرق ماؤه في المستنقعات، وغدير الحمّار (هور الحمّار)، وأهم العشائر هناك: بنو ركاب[1] والحميد[2] وعبودة[3] وخفاجة[4]، وقسم من العشائر الصغار النازلة على الفرات، والكل كانوا يعرفون بالأجود.

وكانت الإمارة في أربعة بيوت منهم، وأظهرها (بيت وثال)، وآخرهم الشيخ علي الحيدر، وابنه الشيخ باقر، وقد أعقب باقر ابنين جعفراً وصادقاً، وهما قد دخلا في سلك العلماء، واستوطنا سوق الشيوخ، وكان بعد انحلال آل وثال جعل أمراء آل سعدون ينتخبون لهم رئيساً، تارة من المناع، وطوراً من الخليف، وآونة من ابن صبيخة، ورئيس المنتفق هو الذي يولي ويعزل من شاء منهم.

وأما بنو مالك[5]، فكانوا مقيمين عند سوق الشيوخ، وبنو سعيد[6] كانوا في الجزيرة (بين الغرّاف ودجلة)، وهؤلاء القبائل الثلاث (بنو مالك، والأجود، وبنو

---

(١) بنو ركاب زعيمهم اليوم الشيخ شلال، ومحمد بن كريم، وهم نازلون في (أبي مهيف) قرب الشطرة.

(٢) آل حميد رئيسهم اليوم موحان بن النوري، وهم نازلون عند الكرادي.

(٣) عبودة شيخهم خيون بن عبيد بن جبير، وهم نازلون عند الشطرة.

(٤) خفاجة هم من بني عمرو بن عقيل، وفي عام ٤١٧هـ (١٠٢٥م) جمعهم دبيس بن علي بن مزيد، وحارب بهم قرواشاً أمير بني عقيل، وملك منه الأنبار في تلك السنة. ثم انتقضت خفاجة على دبيس، وأميرهم يومئذ منيع بن حسان، وسار إلى الجامعين، فنهبها، وملك الكوفة، وتغلبت خفاجة على الفرات حتى منعت بن عقيل من وروده. وزعيمهم صقبان بن علي بن فضل، وهم نازلون في نواحي الشطرة. اه. مؤلف.

(٥) بنو مالك كانت الرئاسة فيهم لجيش بن خصيفة. ثم لابنه علي. ثم لابنه ثامر بن علي. ثم لابنه سليمان بن ثامر بن علي بن جيش. ثم انتقلت الرياسة إلى مصبح العرفج، وهو أيضاً من بني مالك، وظل في المشيخة إلى أن توفي عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م)، فترئس محله ابنه الأوسط سلطان نحو سنة. ثم عزل، وتعين بدله أخوه مهلهل بن مصبح العرفج سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م). اه. مؤلف.

(٦) بنو سعيد كان رئيسهم (أبو حمرة) إلى أن انحلت مشيخة آل سعدون سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٧م). ثم جعلت الحكومة العثمانية تعين على كل فخيذة وعشيرة شيخاً منها. اه. مؤلف.

سعيد) هم الذين كانوا يؤلفون تحالف المنتفق الذي كان يرأسه آل شبيب. ثم آل سعدون، كما سيأتي.

ولما اتحدت بنو مالك والأجود تحت رئاسة زعيمهم الباسل الشريف مانع، وأصبحوا قوة لا تغلب، لا سيما بعد انضمام بني سعيد أهل الجزيرة إليهم[1] اشرأبت نفس الشريف مانع إلى البصرة، فزحفت نحوها بمجموعة، فاحتلها، وجعل يحكمها، وبقي الحكم فيها لأعقابه، ولما آل أمر البصرة إلى الشيخ مغامس ابن مانع.

(١) هذا مجمل ما قيل في تحالف المنتفق الثلاثي، وأما اليوم فلم يبق من تلك الأقسام إلا جماعات قليلة لا تتحد مع بعضها إلا لغايات خصوصية. أو تصادق مؤقت لغرض من الأغراض. اه. مؤلف.

إمارة الشيخ مغامس بن مانع

جعل مقر حكمه في البصرة، وصار يدير شؤونها، وشؤون البادية إلى سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٧م)، حيث بعث برضائه واختياره مفاتيح قلعتها مع ابنه راشد بن مغامس إلى السلطان سليمان العثماني، وعرض عليه الطاعة والخضوع، فأصدر السلطان أمراً بإلحاق ولاية البصرة إلى مدينة بغداد يحكمها وال واحد.

وبعد أن تحقق لدى السلطنة كمال الخضوع والانقياد من الشيخ مغامس أسرها ذلك، فأمرت بإكرام ابنه راشد إكراماً جزيلاً، وأقرتهما على حكم البصرة بشرط أن تكون الدراهم المتعاطى بها عثمانية، وأن يخطب في يوم الجمعة دائماً باسم السلطان العثماني، كما وأنه يجب على الشيخ مغامس أن ينفذ ويعمل في البصرة بمقتضى ما تصدر له الأوامر من ولاة بغداد، فقبل الكل بذلك.

إمارة الشيخ مانع بن مغامس بن مانع بن شبيب

ثم إن الشيخ مغامس عين ابنه الشيخ مانعاً والياً على البصرة في سنة ٩٥٠هـ (١٥٤٢م)، وجعل يدير الحكم بها على ما يرام. ثم في سنة ٩٥١هـ (١٥٤٣م) ظهرت من الشيخ مغامس بن مانع بوادر المخالفة، وجعل يعاكس ولاة بغداد في بعض الأمور. ثم وافق أن لجأ إليه بعض الجناة الأشرار، فحماهم حسب عادة العرب في الدخيل، فطلبتهم الحكومة إلى بغداد، فامتنع من إرسالهم إلى بغداد، فرفع الوالي الخبر إلى دار السلطنة، فصدرت الأوامر بسوق الجنود نحو البصرة، فتوجهت تحت قيادة إياس باشا سنة ٩٥٣هـ (١٥٤٥م)، والتقى الفريقان عند الجزائر، وجرت بينهما معركة أسفرت عن انكسار الشيخ مغامس، وفراره بمن يلوذ به نحو نجد، فسار إياس باشا إلى البصرة، فوجدها خالية، فاحتلها، كما في تاريخها.

ثم في عام ٩٨٢هـ (١٥٧٣م) انتشبت الحرب بين قبائل العرب والجنود العثمانية، فتفوقت العرب على الجنود، كما تقدم في بحث خلاصة الحوادث.[1]

وفي عام ١١٠٢هـ (١٦٩٠م) عصت عشائر الجزيرة والمنتفق، وهاجموا البصرة حتى وصلوا إلى المحل المسمى بالدير، فبرز لهم والي البصرة أحمد باشا بن عثمان باشا وكافحهم، وجرت بينهما معركة أسفرت عن انسحابهم لكن بعد أن قتل الوالي المذكور.

(١) لاحظ الفارق الزمني بين هذا الخبر والخبر الذي يليه: ١٢٠ عاماً، وسبب ذلك أن النبهاني خلط بين آل مغامس آل راشد الطوال حكام البصرة، وبين آل شبيب بسبب تشابه الأسماء. (مشرف الخزانة).

ثم في سنة ١١٠٤هـ (١٦٩٢م) لما وجهت ولاية البصرة إلى خليل باشا (أخي أحمد باشا والي بغداد) حشد الجنود، وساقها نحو الشيخ مانع بن مغامس، والتقى الجمعان في الجزائر، فدارت رحى القتال بينهما، فأسفرت عن انكسار خليل باشا، وتقهقر جنوده، فاستولى الشيخ مانع على البصرة، وذلك عام ١١٠٥هـ (١٦٩٢م)، فعرضت الحكومة عن الحرب، واستمالت الشيخ مانع بزيادة مخصصاته، فخضع لأوامر الدولة، وانسحب من البصرة، فعاد خليل باشا والياً عليها.

ثم إن خليل باشا أساء المعاملة مع الأهالي حتى ثاروا عليه، وطردوه من البلدة، وأرسلوا إلى الشيخ مانع يستقدمونه، فقدم إليهم، واستلم زمام إدارة البصرة، وذلك عام ١١٠٦هـ (١٦٩٣م)، وظل يحكم في البصرة، ويدير شؤونها وشؤون عشائر المنتفق إلى عام ١١٠٩هـ (١٦٩٦م) حيث خدعه حاكم الجزيرة فرج الله بن مطلب خان، واستعمل عليه الدسائس والحيل حتى أخرجه من البصرة، وضبطها، وعين عليها من قبله داود خان، كما في تاريخ البصرة.

ثم في سنة ١١١٥هـ (١٧٠٢م) حصلت معركة شديدة بين قبائل المنتفق وقبيلة خزاعة بقرب السماوة، فتفوقت خزاعة بعد أن قتل من الطرفين خلق كثير.

وفي عام ١١٢٠هـ (١٧٠٧م) شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية الشيخ مغامس بن مانع بن مغامس بن مانع بن شبيب، وجمع قومه، وهاجم بها البصرة حتى احتلها، فساقت الدولة نحوه الجنود، ولما علم بقربها منه تحصن في القلعة التي بناها في القرنة على نهر عنتر المعروف هناك، وجعل يدافع عن نفسه حتى عجز، فاضطر إلى الانسحاب، فدخلت الجنود العثمانية البصرة وحكمتها. كما في تاريخها.

وبقي الشيخ مغامس في البادية شيخاً على المنتفق، وكان له أخ يسمى صقر بن مانع تنسب إليه اليوم الصقر، ومنهم ثويني بن سيف بن سلطان بن مهنا بن فضل بن ناصر بن صقر بن مانع بن شبيب بن مانع بن مالك، الخ.

ثم أفضت المشيخة إلى:

الشيخ محمد بن شبيب بن مانع

وظل الشيخ محمد بن شبيب بن مانع في المشيخة إلى أن آل أمرها إلى:

الشيخ منيخر الصقر

فتريس الشيخ منيخر الصقر على المنتفق عام ١١٥٩هـ (١٧٤٥م) تقريباً، وظل في المشيخة إلى أن أعقبه:

الشيخ عبدالله بن محمد

أخذ الشيخ عبدالله بن محمد بن شبيب بن مانع بزمام الإمارة، وظل يدير شؤونها إلى أن توفي عام ١١٧٥هـ (١٧٦٠م)، وكان له من الولد: ثويني وحبيب وناصر ونجم وصقر، فتقلد الأمر من بعده ابنه الشيخ ثويني:

فصل: في إمارة الشيخ ثويني بن عبدالله -المرة الأولى

تربع على أريكة المشيخة البطل الهمام الشيخ ثويني بن عبدالله بن محمد ابن شبيب بن مانع الشبيب سنة ١١٧٥هـ (١٧٦٠م) بعد وفاة والده، وجعل يوسع نفوذه، ويقوي مركزه، ويؤيد بني عمه بإسناد الوظائف لهم ليشتد عضده بأقاربه، حتى زها ملكه من عام ١١٧٥هـ (١٧٦٠م) إلى ١٢٠٠هـ (١٧٨٥م)، وكان المعاصر له ابن عمه ثامر بن سعدون بن محمد بن شبيب ابن مانع، (وهو أيضاً أخوه من أمه).

وكان لما تولى ثويني بن عبدالله رئاسة المنتفق كما تولاها من قبله أبوه وجده وأبو جده. وجه في بادئ الأمر سطوته ونفوذه نحو الأعراب المنبثين من جنوبي بغداد إلى حدود الكويت، وكان يعد من أجود العرب في زمانه وأسخاهم، فاستتب له الأمر كما أراد.

وله أيام مشهورة في الحرب، لا سيما في زمن إمارته الأولى، فمن أيامه يوم دبي (كرُبى، اسم موقع قرب البصرة)، وذلك أن عشائر بني كعب غزت أخاه صقراً، فقصدهم ثويني، وتواقع معهم، وأثخن فيهم القتل حتى أذلهم، وأسكن الرعب في قلوبهم.

ومنها (يوم تنومة)، كما في تاريخ نجد، ومنها (يوم ضجعة)، والعوام يحرفونها ويقولون (جضعة)، وسبب الواقعة هو أن عبدالمحسن ابن سرداح لما تاقت نفسه لغزو بني خالد شيوخ الأحساء[1] استعد لحربهم، واستنجد بالشيخ ثويني، فأمده بالمال

(١) ابن سرداح من بين أسرة المشيخة من بني خالد. (مشرف الخزانة).

وبالرجال، وكان رئيس بني خالد يومئذ سعدون بن عرعر، ولما تحقق لدى سعدون بأن الشيخ ثويني أمد عبدالمحسن بالرجال استعد هو للفريقين.

وفي فصل الربيع زحف كل فريق على من يليه، وأمر سعدون بن عريعر فرسان قومه بأن يشنوا الغارات على عشائر المنتفق قوم ثويني. ثم التقى الجمعان في أرض بني خالد في الموضع المسمى (ضجعة)، ودارت بينهما الحرب والطعان، وتجالدت الفرسان مدة من الزمان حتى سئمت أعراب بني خالد من الحرب، فامتطى متن الخيانة بعض رجال ابن عريعر، وتقهقروا، فتمكن الشيخ ثويني من اجتياح عشائر بني خالد، وأثخن فيهم الضرب حتى فر سعدون في خاصته نحو نجد، فغنم ثويني ذخائرهم وأنعامهم، وعاد إلى مقره حاملاً لواء النصر والظفر، كما في تاريخ الأحساء.

الحوادث في زمن إمارة الشيخ ثويني

إن من أهم الحوادث في زمنه هي زحف الأعاجم (أهل فارس) نحو المنتفق بعد احتلالهم البصرة سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٥م)، كما في تاريخها، وقد طمعوا في غزو بلاد المنتفق، فساق (صادق خان) جنوده نحو عشائر المنتفق، فبرز لهم الشيخ ثويني بجموعه، والتقى معهم في الموضع المسمى (الفضلية) قرب ساحل الفرات الغربي، وتصادمت الأبطال في ذلك المكان، وحمي وطيس القتال، فلم يك إلا برهة من الزمان حتى أدبرت الأعجام مكسورة أمام ضراغمة المنتفق، وخسروا أنفساً كثيرة، ومات معظم من سلم من القتل غرقاً في النهر، وذلك لأن قائد العجم استحسن بأن يجعل نهر الفرات خلف جنوده حفظاً لهم من حدوث طارئ يهاجمهم من الخلف، لما عرفوه من خفة سرعة خيالة العرب في الالتفاف على العدو، وقطع خط الرجعة عليه.

فكان ذلك الرأي هو السبب لدمار جنوده، لأنه لما بدأ فيهم الفشل، وأرادوا الهزيمة لم يجدوا مفراً سوى العبور في النهر إلى الجانب الآخر، فلحقتهم فرسان العرب تثخنهم ضرباً وطعناً، وهم على حافة النهر، ففقدوا معظم قوتهم، وذهب من نجا منهم إلى البصرة، ودخلوها متقمصين ثوب الفشل والقهر.

فحنق لذلك صادق خان، وصمم على إعادة الكرة على المنتفق مرة ثانية لإماطة ثوب الفشل والعار، وكسر شوكتهم، وطلب المدد من أخيه كريم خان الزندي، فأرسل إليه ما أراد من الرجال والسلاح، ولما تكاملت لديه القوة استعد للحرب، ونظم جنوده كما يرام.

وفي سنة ١١٩٢هـ (١٧٧٧م) ساق جنوده نحو بلاد المنتفق تحت قيادة محمد

علي خان الشهير بينهم بالبسالة، وكان مع عساكر العجم عشائر بني كعب، فالتقى الجمعان في المحل المسمى (أبا حلانة)، وعندما عاين العرب كثرة جنود العجم، وقوة استعدادهم جنحوا إلى السلم، وأرسلوا إلى محمد علي خان يذاكرونه في الصلح، فطمع فيهم، واستضعفهم بطلبهم الصلح، وجعل يشترط عليهم شروط تأباها شيم العرب.

فرفض الشيخ ثويني قبول تلك الشروط التي ما أنزل الله بها من سلطان، واستعد للنزال مستصوباً قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي، حيث يقول:

لما رأيت نساءنا ... يعزفن بالمعزاء شدّا

وبدت لميس كأنها ... بدر السماء إذا تبدّى

وبدت محاسنها التي ... تخفي وكان الأمر جدّا

نازلت كبشهمو ولم ... أر من نزال الكبش بُدّا

وكان محمد علي خان قد رتب مكيدة حربية للعرب مع علوان شيخ آل كثير وقت الزحف على المنتفق، فوصل خبر تلك المكيدة للشيخ ثويني وثامر بواسطة الجواسيس، فتحذرا منها، واستعدا لفلّ ما غزله قائد العجم.

ولما تصادم الجمعان، وتقارعت الأقران. حملت العرب حملة رجل واحد على خصمائهم، فلم تمض إلا ساعات حتى انفل جيش العجم المتلبد، وتقهقروا فارين دون انتظام لا يلوي أحد على صاحبه، بعد أن قتل قائد العجم، وذلك في ٢٥ ذي القعدة عام ١١٩٢هـ (١٧٧٧م).

وإن هذه المعركة صارت سبباً في تثبيط همة العجم من الولوج في أراضي العراق، ومن التوغل فيها، ولما عاد الشيخ ثويني إلى مقره رافعاً راية الظفر وفدت عليه الشعراء، وهنأته بالنصر والظفر، فأجازهم بالمجوهرات والتحف التي غنمها من العجم، وبالسيوف المرصعة النادرة الوجود.

وكان ممن أبلى في هذه المعركة بلاء حسناً حمود بن ثامر السعدون، وهو يومئذ

فتى شاباً، ومحمد بن عبدالعزيز بن مغامس، واقتصر العجم على احتلال البصرة فقط، كما في تاريخها.

وفي عام ١١٩٣هـ (١٧٧٨م) حصل خلاف بين المنتفق وقبيلة خزاعة أدى إلى مشق الحسام. ثم أسفر عن قتل ثامر بن سعدون بن محمد، وكان قد أعقب ٩ أبناء، وهم:

(حمود ومحمد) وهما أشقاء وأخوالهما بنو خيقان، (وراشد وعبدالله[١]) وهما أشقاء وأخوالهما أهل الخرج من نجد، و(ناصر وعلي وصالح) أشقاء وأخوالهم الشحمان، وعبدالمحسن وأخواله آل محسن من أشراف الحجاز[٢]، و(منصور) وأخواله من بيت كليب من ربيعة.

(١) وقد أعقب عبدالله ابنين مشاري وعمراً، فمشاري أعقب بدراً، وأعقب عمر حموداً. مؤلف.

(٢) آل محسن هاجروا من مكة إلى العراق سنة ١٠٤٠هـ (١٦٣٠م) وكان زعيمهم في سنة ١٢٧٠هـ (١٨٢٥م) عندما أنشأ الأتراك حكومة قومية في السماوة سعدون آل محسن، وكان رجلاً سفاحاً. مؤلف.

غزوة الشيخ ثويني نحو نجد

وفي أوائل سنة ١٢٠١هـ (١٧٨٥م) جمع الشيخ ثويني جموعه من المنتفق، وأهل المجرة، وأهل الزبير، وأعراب شمر، وغالب فخائذ طي، وزحف بتلك القوة نحو نجد حتى دنا من القصيم، فخيم عند قرية تنومة، وتواقع مع أهلها حتى تفوق عليهم، وغنم منهم.

ثم ارتحل بجنوده قاصداً بريدة، وهاجم أهلها حتى أخضعهم، وكاد أن يخضع بتلك الجموع سائر أنحاء نجد لتوفر قوته، كما في تاريخ نجد، ولكن بينما هو يحتل الأراضي النجدية، وإذا بمخبر يخبره بحدوث خلل في العراق يهدد مركزه هناك، وبحصول بعض الفتن في نواحي بغداد أيضاً[1]، وسعى المفسدون، وألفتوا أنظاره نحو البصرة ليكف عن التوغل في نجد.

ثم أتاه منضماً إليه حمد بن حمود شيخ خزاعة، فعطف الشيخ ثويني بجموعه متجهاً نحو البصرة حتى خيم عند قصبة الزبير، وذلك بتدبير سليمان بن شاوي، كما في الحاشية، فخرج متسلم البصرة إبراهيم بيك لملاقاة الشيخ ثويني للسلام عليه، وعندما دخل المتسلم أمر عليه الشيخ ثويني بالقبض واعتقاله. ثم ركب الشيخ مع قومه، وسار إلى البصرة، واحتلها بجموعه. ثم أمر بمصادرة جميع ما يملكه المتسلم. ثم بعد ذلك نفاه إلى مسقط، ومنها توجه المتسلم بنفسه إلى وطنه.

---

(١) وذلك أن حمداً بن حمود شيخ خزاعة كان قد شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية سنة ١١٩٩هـ (١٧٨٤م)، فوجه وزير بغداد نحوه الجنود، وتواقعت معه في الأهوار حتى كسرته، فتفرقت جموعه، وفر حمد إلى الحسكة، ولما علم عجم محمد العاصي على الدولة أيضاً بفرار حمد التحق به، وانضما معاً على العيث في أطراف العراق. ثم لحقهما بعد ذلك سليمان بن شاوي. ثم إن ابن شاوي فارقهما، وسار نحو الشيخ ثويني، وأغراه على احتلال البصرة، والكف عن التوغل في نجد. ثم حسن له بأن يسعى في خلع وزير بغداد بمكاتبة الدولة العثمانية، فانخدع ثويني بطلاوة لفظه، ووافقه على مرامه، وأرسل ثويني إلى حمد بن حمود شيخ خزاعة يستقدمه للغرض ذاته، وليتفقا على مهاجمة البصرة، كما في تاريخها. اه. مؤلف.

ثم إن الشيخ ثويني أحضر أعيان البصرة ورؤساءها، ووعدهم ومنّاهم بالمناصب، وطلب منهم بأن يكتبوا مضبطة إلى الحكومة العثمانية يطلبونه حاكماً عليهم، فامتثلوا الأمر، وكتبوا إلى الدولة بذلك، وأرسلوها مع مفتي البصرة يومئذ، فلما وصل الآستانة عرضها على أعتاب السلطنة، فغضبت غضباً شديداً، وكادت أن تأمر بصلب المفتي لولا تدارك بعض العلماء ذلك إكراماً للعلم، كما في تاريخ البصرة.

وبادرت الحكومة بإصدار الأوامر إلى وزير بغداد سليمان باشا بسوق الجنود نحو البصرة، ومحاربة ثويني، وإخراجه منها، فصدع بالأمر، وخرج الوزير من بغداد في ١٢ جمادى الأولى عام ١٢٠١هـ (١٧٨٥م) يقود الجنود بنفسه نحو البصرة، وبدأ أولاً بالمسير نحو عشيرة خزاعة، وسقاها كأس الردى، وأثخن فيها الضرب لانضمام رئيسها حمد بن حمود إلى الشيخ ثويني، كما تقدم.

وكان سليمان باشا قبل خروجه من بغداد كاتب حمود بن ثامر يستقدمه، فوفد إلى الوزير حمود منابذاً عمه ثويني، وبعد أن أخضع الوزير قبائل خزاعة زحف بجنوده نحو بلاد المنتفق، ولما وصل الموضع المسمى (أم العباس) خيّم فيه، وأقام به ثلاثة أيام، وذلك في غرة محرم عام ١٢٠٢هـ (١٧٨٦م).

ولما علم ثويني بقدوم الجنود العثمانية نحوه خرج إليهم بجملة من الأعراب وأهل الزبير، بعد أن جعل على البصرة أخاه حبيباً من قبله، وتصادم ثويني مع الجنود بأدنى المجر عند نهر الفاضلية، قرب سوق الشيوخ، وجرت بينهما معركة شديدة أسفرت عن انكسار ثويني، وتفرق جموعه، وفراره إلى الجهرة، (وهو اسم ماء غرب الكويت). ثم رحل منه متجهاً نحو بني خالد في الصمّان، فكانت مدة حكمه في البصرة نحو ثلاثة أشهر.

إمارة حمود بن ثامر بن سعدون -المرة الأولى

فدخل سليمان باشا البصرة، وأمّن الأهالي، وعين عليها مصطفى آغا الكردي، ونصب حموداً شيخاً على المنتفق. ثم عاد الوزير إلى مقره، كما في تاريخ البصرة.

وفي عام ١٢٠٣هـ (١٧٨٧م) دخلت أراضي السماوة تحت حكم حمود ابن ثامر بعد حرب دموية وقعت بينه وبين خزاعة.

وفي تلك السنة (١٢٠٣هـ) أيضاً شق عصا الطاعة متسلم البصرة مصطفى آغا المذكور، وأرسل إلى الشيخ ثويني بن عبدالله يذاكره في الأمر، وكان مخيماً ببعض عشائره غربي البصرة عند جبل صفوان[١]، فاتفق رأيهما على العصيان، بشرط أن يعاضد كل واحد صاحبه على تقوية منصبه.

ثم إن مصطفى آغا كتب محضراً لوزير بغداد قال فيه: (إن حموداً بن ثامر لا يتمكن من إدارة شؤون مشيخة المنتفق، وإن عمه الشيخ ثويني هو رجل محنك في الإمارة، وقد مارسها مدة، فينبغي تعيينه شيخاً على المنتفق)، فشعر الوزير بما أبطنه المتسلم، ولكن وافقه على تعيين ثويني مسايسة، وعزل حموداً عن المشيخة، وأرسل خلعة الإمارة لثويني حسب العادة، وجعل يسوسهما إلى أن تمكن من القبض على المتسلم، كما في تاريخ البصرة.

(١) يقصد جبل سنام القريب من سفوان. (مشرف الخزانة).

مشيخة ثويني بن عبدالله -المرة الثانية

ولما عين وزير بغداد الشيخ ثويني بن عبدالله بن محمد سنة ١٢٠٣هـ (١٧٨٧م) أخذ بزمام الإمارة، فاطمأن خاطر المتسلم بتعيين ثويني (ظناً منه بأنه نجح في مكيدته)، وظل يقوي مركزه لتتميم ما عزم عليه، وكاتب كل من وافقه على العصيان إلى ضبط أموره وأيدها. ثم تظاهر بالعصيان، فقتل رئيس بوارج البصرة (الموزع البحري)، حيث فهم بأن الوزير أمر سراً للموزع المذكور بالقبض على المتسلم، فبادر المتسلم بالقتل قبل أن يُقبض.

فعند ذلك ساق الوزير الجنود من بغداد نحو البصرة يقودها بنفسه، ولما وصل إلى الموضع المسمى بالعرجاء ترفّع الشيخ ثويني من موضعه إلى البادية، وعندما رأى مصطفى آغا تخاذل رهطه ما وسعه إلا الفرار بنفسه إلى الكويت.

ولما بلغ الوزير خبر تمزق جموع العصاة بالرعب قبل اللقاء جد في السير نحو البصرة حتى عسكر خارجها، ونصب على البصرة الأمير عيسى بيك المارديني متسلماً عليها، وأعاد حموداً شيخاً على المنتفق، وذلك عام ١٢٠٤هـ (١٧٨٨م). ثم قفل الوزير راجعاً إلى مقره في العام المذكور، كما في تاريخ البصرة.

تولية حمود بن ثامر - المرة الثانية

لما أخذ حمود بن ثامر بزمام الحكم عام ١٢٠٤هـ (١٧٨٨م) جمع جموعه من المنتفق وأهل الزبير، ومشى بهم يقودهم نحو عمه الشيخ ثويني، وتصادم معه عند جبل صفوان حتى اضطره إلى التقهقر، فغنم حمود خيامه، وبعض عتاده.

وذهب ثويني إلى الدورق من بلاد بني كعب (جنوب البصرة)، ومن ثم توجه نحو الأحساء حتى نزل عند رئيس بني خالد زيد بن عرعر، واستنصره على ابن أخيه، فاعتذر له بعدم التمكن على الغزو، بقوله أن حموداً هو منصّب من قبل الدولة العثمانية، والحرب معه يعد حرباً مع الدولة.

فغادره ثويني متجهاً إلى الكويت، ومنها إلى العراق حيث ولج بغداد خفية عام ١٢٠٥هـ (١٧٨٩م)، وذهب إلى صرح الوزارة، وألقى نفسه في رحاب الوزير سليمان باشا، وطلب منه العفو عما مضى، فعفا عنه، وقبل عذره، وأقام عنده مدة طويلة، وجعل يترجاه في إعادته على مشيخة المنتفق كلما سنحت له فرصة، وهو يتعهد للوزير بمحاربة الوهابية في نجد، وصد غاراتهم المتوالية في تلك الأيام على العراق.

وسعى في إنجاز ذلك كثيرٌ من الفارين من نجد من الوهابية في ذلك الوقت، وكاتبوا سليمان باشا في ذلك من البحرين والكويت والزبير، واسترحموا إعادة ثويني شيخاً على المنتفق ليمشي على الوهابية، فلبى الوزير طلبهم، ووجه مشيخة المنتفق لثويني عام ١٢١١هـ (١٧٩٥م)، بعد أن أمر بعزل حمود بن ثامر عن المشيخة.

تولية ثويني -المرة الثالثة

فتوجه الشيخ ثويني بن عبدالله من بغداد محفوفاً بالعساكر العثمانية بأمر الوزير حتى أوصلوه إلى مقر إمارته في موكب عظيم، وذلك سنة ١٢١١هـ (١٧٩٥م).

ولما استتب حكمه، واستقرت أموره مع قبائل المنتفق جعل يحشد الجموع من أعراب المنتفق وأهل الزبير وأعراب الضفير، وعندما تكاملت جموعه سار بهم نحو نجد في أواخر العام المذكور، واستقدم من الأحساء رئيس بني خالد براك بن عبدالمحسن الخالدي، فجمع المذكور جموعه من بني خالد، وسار بهم نحو ثويني منضماً له ليساعده على ردع الوهابية الذين انتزعوا منه حكم الأحساء، فاجتمع بالشيخ ثويني في الجهرة، وقررا بينهما خطة الدفاع والهجوم، وأقاما هناك نحو ثلاثة أشهر حتى تكاملت جنودهما، كما في تاريخ الأحساء.

وجعلت الأعراب الفارة من أمام الوهابية تقدم عليهما من كل حدب. ثم إن الشيخ ثويني أركب بعض جنوده في السفن من البصرة، ومعهم الميرة، وأمرهم بالمسير نحو القطيف، وزحف هو بنفسه يقود الجنود براً نحو الأحساء.

فلما علم بقدومهم محمد بن معيقل قائد جموع الوهابية، خامره الخوف، فارتحل بجموعه من قرية، وهو اسم ماء في الطفّ، حتى نزل بهم أم ربيعة وجودة، فأتى ثويني، ونزل بجموعه في الطف قرب موضع خصمه، فطلب محمد بن معيقل إمداداً من الأمير ابن سعود، فأمده بجموع تحت قيادة حسن بن مشاري بن سعود، وأمره بأن يكون هو القائد العام للجيشين.

فلما وصل المدد إلى ابن معيقل حصل عندهم بعض النشاط، ولكن الشيخ

ثويني لم يقصدهم بالحرب، بل أعرض عنهم، وارتحل بجموعه من الطف، وسار حتى نزل موضعاً يسمى الشباك، وهو ماء في أرض بني خالد.

وعند حط الرحال قُتل الشيخ ثويني غيلة، وذلك أنه كان منفرداً عن حاشيته أثناء نصب الخيام، فأتاه من خلفه خادم يسمى (طعيساً)، وطعنه برمح بين كتفيه[1]، فخر شهيداً، فقتل ذلك الخادم في الحال، ولم يستنطق عمن عمّده على فعلته، وحمل الشيخ ثويني إلى داخل خيمته ميتاً. ثم دفن سراً في جزيرة العماير، وأراد رؤساء قومه إخفاء موته لئلا تنفلّ جموعهم، وأخبروا بأنه مريض، وجعلوا يطلبون له القهوة والماء تظاهراً بأنه حي، وعينوا أخاه ناصراً وكيلاً عنه، وذلك في ٤ محرم عام ١٢١٢هـ (١٧٩٦م).

ولكن رغم ذلك التكتم فشا خبر موته، فانسلّ براك الخالدي بقومه، وانضم إلى حسن بن مشاري، فوقع التخاذل والفشل في بقية الجموع، فارتحلوا منهزمين لا يلوى أحد على صاحبه، فتتبعهم حسن بن مشاري بجيوشه، وظل يطاردهم حتى أوصلهم الكويت. ثم كف عنهم.

وسار بقية المنهزمين حتى نزلوا ماء يسمى (صفوان). ثم شرع إخوة ثويني في لم شعث جنودهم ليعيدوا الكرة على الوهابية مرة ثالثة، إلا أن وزير بغداد صرف نظره عنهم، وولى مشيخة المنتفق لحمود بن ثامر، وكان ثويني قد أعقب من الأبناء (براكاً و[2]).

(١) طعيس كان مملوكاً للجبور من بني خالد، ففر من سيده براك بن عبدالمحسن، ولفى عند ثويني. ثم انهزم إلى الوهابية في نجد. ثم غزاهم ثويني ذات مرة قبل هذه الغزوة، وكسرهم وسبى منهم سبياً، وفي ضمنه هذا العبد، فأخذه وأعاده إلى سيده الأول براك المذكور، فغضب العبد، وصمم على قتل ثويني، وقيل: بل إن العبد هو معمّد من قبل الوهابية بقتل ثويني، ولما حانت له الفرصة أثناء نصب الخيام طعنه طعنة نجلاء. اه. مؤلف.

(٢) لثويني عدة أولاد، ويبدو أن النبهاني لم يتذكر منهم سوى براك. (مشرف الخزانة).

تولية حمود -المرة الثالثة

لما تولى حمود بن ثامر إمارة المنتفق سنة ١٢١٢هـ (١٧٩٦م) سار في الحكم بسيرة حسنة، فخضعت لسطوته الأعراب لأنه كان معدوداً في فرسان العرب وشجعانهم، كما وأنه يعد في أذكيائهم ودهاتهم.

وله وقائع وأيام مشهورة أقرّ له فيها خصماؤه، فمن أيامه وهو فتى في حياة والده (يوم الرضيمة)، وهو يوم لسعدون بن عريعر الخالدي على ثامر السعدون، فإنه في ذلك اليوم طاعن مطاعنة الفحول، ومنها (يوم أبي حلانة) عام ١١٩٢هـ (١٧٧٧م)، وهو يوم للمنتفق على محمد علي خان الزندي قائد العجم في البصرة، كما في تاريخها، فإنه ما عرف حمود، وذكر اسمه بين الشجعان إلا في ذلك اليوم.

ومنها (يوم علوي) اسم ماء على ساحل غدير يبعد عن البصرة بنحو ٢٥ ميلاً جهة الغرب، فإنه كان فيه فارس الكتيبة، وله عدة أيام مشهورة تقدم ذكر بعضها، وفاتنا ذكر البعض الآخر لفقد مسودة تاريخ المنتفق منّا، كما وضحنا ذلك في مقدمة تاريخ البحرين.

ومن محاسن حمود بن ثامر إفشاء السلام على من عرف، ومن لم يعرف، وإطعام الطعام، حتى إنه ليلزم ضيوفه بالمقام عنده أعواماً، ومن ديدنه السؤال عن جليل الأخبار السياسة وغيرها، وإنه لذو حلم ووقار، ولما كفّ بصره آخر عمره ازداد هيبة ووقاراً، وعظم ملكه وسلطانه، واستمرت مشيخته الأخيرة إلى سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٥م)، كما سيأتي.

على أن الشيخ حموداً كان ينتقد عليه في إناءته المفرطة، وإنه لا يسمع شكاية

في عماله، ولو تظاهروا بالظلم، ولا يصغي لمنتقد على كاتبه ولو جار أو عطل أمور الرعية، وإن صاحب الظلامة يمكث في ضيافته مدة، ويأكل من طعامه في تلك المدة أكثر مما يطلبه، وهو مستبد برأيه.

الحوادث في زمن إمارة حمود

وفي سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٧م) حشد وزير بغداد الجنود، وساقها نحو الأحساء تحت قيادة الكتخدا علي بيك لمحاربة الوهابية الذين احتلوا الأحساء، وصحبه بأمر الوزير حمود بن ثامر بأعرابه، وفي ضمنهم عشائر عقيل يرأسهم يومئذ ناصر بن محمد الشبلي، وعشائر شمر، ويقودهم رئيسهم فارس بن محمد الجربا الشمري، وأصحب الوزير أيضاً مع الكل محمداً بن عبدالله بن شاوي الحميري أحد دهاة العرب في أيامه، ومعه ثلة من أهل الزبير يقودها إبراهيم بن ثاقب بن وطبان.

فسارت تلك الجموع نحو الأحساء حتى نزلت المبرّز[1]، وحاصروا قلاع البلدة، وظلت المدافع تقذف قنابلها عليهم، كما في تاريخ الأحساء، وفي أثناء مدة الحصار غزا الشيخ حمود أطراف نجد، فأغار على قبيلة سبيع، وغنم منهم إبلاً وضأناً، وكان بصحبته في هذه الغزوة فارس الجربا، وابن أخيه بنيّة ابن قرينيس[2]، وكان بنيّة أحد من اشتهر بالكرم والشجاعة والنخوة، ولما قفل حمود بغنائمه، وأقبل على الكتخدا قدّم إليه الغنيمة إمداداً للجنود، فقويت همة الكتخدا على مثابرة الحصار.

ولكن جنوده سئمت الحرب، فتمكن بعض الخونة من إفساد آراء الجند، فتظاهروا بالضجر، فاضطر الكتخدا للانسحاب، فقوي عزم الوهابية، وخرجوا في أثرهم يطاردونهم حتى أدركوهم في موضع يقال له: (ثاجاً). ثم نزلت جموع الوهابية في الموضع المسمى (الحناءة)، واشتبك القتال بين الفريقين، فقتل من المنتفق (خالد بن

---

(١) أضاف المؤلف هنا: وهو (   )، ويبدو أنه كان يريد التعريف بالمبرز أحد أقسام مدينة الأحساء، ولكنه لم يفعل. (مشرف الخزانة).

(٢) قرينيس تصغير قرناس، وهو الصقر بعد عامه الأول. (مشرف الخزانة).

ثامر) أخو حمود[1].

وبينما الفرسان في طراد وطعان، وإذا بالكتخدا قد جنح إلى الصلح بترغيب من إبراهيم ابن ثاقب بن وطبان، لأنه كان متهوماً بميلانه إلى بعض عقائد الوهابية، فجعل يلقى الرعب لدى الكتخدا، ويجسّم له هول الموقف الحرج حتى خامره الروع، وجنح للصلح، كما في تاريخ الأحساء.

وفي أواخر عام ١٢٢٠هـ (١٨٠٤م) حاصر سعود بن عبدالعزيز أمير الدرعية البصرة، وقتل وسلب وحرق، فصابر متسلم البصرة إبراهيم آغا، ودافع عن البلد مدافعة الأبطال. ثم أتاه حمود بقومه، وانضم الكل على مكافحة الوهابية حتى ألجأوهم إلى التقهقر والانسحاب من نواحي البصرة، كما في تاريخها وتاريخ نجد.

وفي ١٠ ربيع الثاني عام ١٢٢١هـ (١٨٠٥م) لما ساق علي باشا وزير بغداد الجنود نحو أراضي العجم يقودها بنفسه لمحاربة فتح علي خان، حتى أوغل في حدود إيران، وعسكر هناك. ثم وجه الجنود نحو مواقع العجم تحت قيادة ابن أخته الكتخدا سليمان بيك، فصادمته طليعة يقودها عبدالرحمن باشا جبّار الكرد الذي كان طريداً في أرض العجم، وجرت بينهما معركة دموية انهزم فيها سليمان بيك، وأخذ أسيراً عند العجم.

فلما وصل خبر الحادثة إلى خاله الوزير علي باشا اضطر إلى التقهقر، والتحصن في الجبال إلى أن قدم إليه حمود بن ثامر بقومه، فانسحب الكل بانتظام، وعادوا إلى بغداد، فدخلوها في رجب من العام المذكور، فأكرم الوزير في بغداد حموداً على علو همته، ومساعدته لدولته، وأحسن جائزته بعد أن كان بينهما تباغض شديد. ثم بعد مدة أطلق العجم سراح سليمان بيك، ورجع إلى بغداد.

وفي عام ١٢٢٥هـ (١٨٠٩م) لما بلغ وزير بغداد سليمان باشا بأن متسلم البصرة

(١) ناقض الريكي صاحب (لمع الشهاب) قول النبهاني هذا بذكر أن خالد هو ابن حمود بن ثامر، وليس أخيه، ومعظم المصادر تذكر أنه أخو حمود، وعاشر أولاد ثامر، ولم يعقب. (مشرف الخزانة).

سليم بيك ظهرت منه بوادر يفهم منها أنه يريد شق عصا الطاعة، فعند ذلك أمر الوزير حموداً بالمسير مع قومه نحو البصرة، فسار إليها، وحاصرها، وأتاه أهل الزبير مساعدين له، فجعلهم في جهة معينة تحت قيادة ابنه برغش ابن حمود، وظل الكل مثابرين على حصار البصرة حتى احتلوها، كما في تاريخها.

وفي سنة ١٢٢٧هـ (١٨١١م) لما قفل وزير بغداد عبدالله باشا راجعاً من محاربة الأكراد، وتأديب العصاة العائثين في نواحي الموصل، ووصل إلى الجديدة قاصداً بغداد مقر وزارته، بلغه هناك بأن سعيد باشا بن سليمان باشا الأول قد فر من بغداد في ٩ آب من العام المذكور ملتجئاً إلى شيخ المنتفق حمود بن ثامر ليساعده على توجيه وزارة بغداد له، أي لسعيد باشا بمكاتبة الدولة في ذلك، فغضب الوزير لذلك، ولما استراحت الجنود في بغداد أمر بحشدها مرة ثانية، وأصدر أمراً بعزل حمود عن مشيخة المنتفق لقبوله التجاء سعيد باشا إليه، وعين بدله نجماً بن عبدالله.

إمارة نجم بن عبدالله بن محمد بن مانع

وفي عام ١٢٢٧هـ (١٨١١م) عين الوزير شيخاً على المنتفق نجماً بن عبدالله أخا ثويني.

وفي غرة ذي القعدة من العام المذكور خرج الوزير من بغداد يقود الجنود بنفسه يؤم بها حموداً، بعد أن أرسل له رسلاً يطلب منه تسليم سعيد باشا، ولما امتنع من تسليمه كما هي عادة العرب في الدخيل عندهم، زحف الوزير عليه بالجنود، وعند وصوله أرض المنتفق عبر من غربي الفرات إلى الجزيرة، فانضم إليه شيخ ربيعة مشكور، وسار بقومه، وكان مشكور هو قائد أول طليعة للجيش، فتصادم مع صالح بن ثامر، وجرت بينهما معركة عنيفة أسفرت عن قتل مشكور، وتفرق قومه، فزحف الوزير بالعساكر حتى نزل قريباً من عشائر المنتفق.

ثم دارت رحى الحرب بين الفريقين، فطُعن برغش بن حمود بن ثامر، ونُقل جريحاً إلى مخيمه. ثم حمل علي بن ثامر على نجم بن عبدالله (الرئيس الجديد للمنتفق)، فقتله، فانخذل آل قشعم الموالون للوزير[1]، فقويت شوكة المنتفق.

---

(١) رئيس آل قشعم اليوم (عقاب بن صقر بن ثويني بن عبدالعزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن ناصر بن مهنا بن سعد بن غزي) بكسر الغين، وهو الذي نزح من نجد إلى أطراف العراق في القرن ١٠هـ (١٦م)، أي (غزى)، هو الذي نزح من نجد، وإنه في سنة ١١٥٢هـ (١٧٣٨م) شق عصا الطاعة عشيرة آل قشعم، فحشد وزير بغداد أحمد باشا العساكر، وسار بها يقودها نحوهم، وتواقع معهم حتى كسرهم، وفر أميرهم صقر الأول بن حمود، وغنمت العساكر منهم مغنماً مهماً من الأنعام، وكان قد أمر أحمد باشا الجنود بعدم التعرض لبيت صقر إكراماً لمنزلته. ثم طلب صقر الصلح، فصالحه أحمد باشا، وعفا عنه، وقد مدح أحمد باشا السيد عبدالله فخري زاده بقصيدة عدد أبياتها ٢٣ بيتاً جاء فيها بيت حوى الطباق والتورية والكناية:

عقاب الوغى لما بدا طار (صقرهم) = لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

والواقعة حصلت سنة ١١٥٢هـ كما تقدم، فأرخها الشيخ عبدالله السويدي في آخر بيت من قصيدة له امتدح بها الوالي أحمد باشا المذكور، وهو:

إن يضق رحب الصحارى أرخوا = هل لصقر في صحارى الهول وكر

ثم جعلت القبائل تلتحق بهم حتى انضم إلى المنتفق غالب العشائر، فحمى وطيس القتال على الوزير حتى طلب الأمان لنفسه ولطاهر بيك، ولمن معهما من الخواص، فأعطاهم حمود الأمان، ولكنه لم يف به، لأن أعراب حمود جعلوا ينهبون العساكر، ولم يبقوا لأحد منهم ما يستر به عورته، ولا ما يسد به رمقه، ولا مانع لهم.

---

٣٥ ٤٢٠ ٩٠ ٣٠٩ ٧٢ ٢٢٦ = ١١٥٢هـ (١٧٣٨م) اه. مؤلف.

إمارة حمود بن ثامر -المرة الرابعة

وبعد أن قتل نجم بن عبدالله في أثناء المعركة كما تقدم، تريّس بالقوة في مكانه حمود بن ثامر، وذلك عام ١٢٢٨هـ (١٨٢٢م)، ولما طلب الأمان الوزير لنفسه ولمن معه، وسلم نفسه. أمر حمود باعتقال عبدالله باشا الوزير المذكور ومعه طاهر بيك وشخص ثالث معهما، فكبلوا في الحديد، وأرسل بهم على سوق الشيوخ حيث سجنوا هناك.

ولما مات برغش بن حمود من تلك الطعنة التي طعنها في ميدان القتال. ذهب عمه راشد بن ثامر إلى السجن، وقتل الثلاثة المذكورين (عبدالله باشا وطاهر بيك وصاحبهما) خنقاً بالحبال، وبعد أن قبروا أعاد عليهم، فنبشهم، وقطع رؤوسهم، وشهرها ثأراً لابن أخيه برغش.

وبعد تلك الحوادث توجه سعيد باشا إلى بغداد، وصحبه حمود بقومه حتى دخلا بغداد بمحفل عجيب، فكاتب سعيد باشا الدولة العثمانية طالباً وزارة بغداد لنفسه، فأرسلت الدولة له مرسوماً بإسناد إيالة بغداد إليه وشهر زور والبصرة، فوصله في عام ١٢٢٨هـ (١٨١٢م).

فبعد ذلك أكرم سعيد باشا حموداً إكراماً جزيلاً، ومنحه جميع ما في جنوب البصرة من القرى والنخيل يستوفي وارداتها لنفسه، هي وما جاورها، وهو قسم لا يستهان به، لأن إيراده كان يقارب ثلث إيراد العراق في ذلك الزمن، ولما انتظم أمر سعيد باشا في بغداد، واستتب له الأمر رجع حمود إلى مقره.

وكان في الحقيقة زمام أمور سعيد باشا في يد حمود يديرها كيفما شاء، وقد ابتسم

الزمان للمنتفق في ذلك العصر، وأطاعهم الحاضر والبادي، وقصدتهم الشعراء، وأجازوا بالجوائز العظام التي ربما فاقت على جوائز بني العباس.

وكان لما تولى سعيد باشا وزارة بغداد عام ١٢٢٨هـ (١٨١٢م)، كما تقدم، خشي منه بنيّة بن قرينيس الجربا الطائي، وخاف على نفسه، فعبر من الجزيرة إلى النواحي الواقعة غربي الفرات، لما بين عمه فارس الجربا وآل عبيد الحميري من الضغائن، لا سيما وأميرهم يومئذ قاسم بن محمد بن عبدالله ابن شاوي الحميري، وكان سعيد باشا يميل إلى تنفيذ قوله ورأيه، فخاف بنية منهما، وظعن من الجزيرة.

وفي سنة ١٢٣١هـ (١٨١٥م) نزل بنيّة بعشيرته على قبيلة خزاعة ليكتال منهم، وكان بينه وبين الدريعي الرويلي العنزي ضغائن قديمة، فاقتفى الدريعي أثر بنية الجربا حتى نزل قريباً منه، واستنفر حموداً بن ثامر، فقدم إليه بقومه، وأرسل وزير بغداد لهما مدداً تحت قيادة قاسم بن محمد الشاوي، ومعه عساكر عقيل النجدية ليعقبوا بنية الجربا، لأن الكل يهابه ويخشاه.

فمشت تلك الجموع نحوه حتى تصادموا معه، وحصلت بينهم معركة دموية انجلت عن قتل بنية، وقطع رأسه، وإرساله إلى الوزير، وكان بنية هذا يعدّ في فرسان العرب وشجعانها، وله كعمه فارس الجربا هيبة وعظمة أيام وزير بغداد علي باشا، كما في تاريخ آل رشيد.

وفي سنة ١٢٣١هـ (١٨١٥م) أيضاً حصل سوء تفاهم بين سعيد باشا وكتخداه كاتب سره داود باشا، فهمّ الوزير باغتيال الكتخدا، ولما أحس داود باشا بالمؤامرة عليه ركب متن الحذر. ثم خرج من بغداد في ١٢ ربيع الأول من العام المذكور، وتوجه إلى كركوك مع أتباعه وحاشيته، وهم نحو ٢٠٠ رجل. ثم أرسل كتاباً إلى الدولة العثمانية، وأخبرهم بما يجريه سعيد باشا مع الرعية من سوء المعاملة والعسف في الأحكام، وبسط القول فيه بطلاوة لفظه، وحسن تحريره المشهور عنه.

فعاد إليه الجواب من السلطنة مع مرسوم مذكور فيه عزل سعيد باشا، وتولية

داود باشا وزارة بغداد، فتلاه داود باشا في مجلسه أمام الحاضرين. ثم أرسل صورته إلى حمود بن ثامر يعلمه بالأمر لأنه صديق لسعيد باشا، فلم يعبأ حمود بذلك لقوة نفوذه، وسلطته في أرض العراق.

فعزم داود باشا على عزل حمود، وتولية عقيل بن محمد بن ثامر رئاسة المنتفق، فلما بلغ حموداً ما عزم عليه داود باشا خشي على مركزه، وجنح إلى مسالمة داود باشا، وأرسل إلى سعيد باشا يشير عليه في تسليم أمر البلاد، وترك العناد، وأن لا فائدة في الحرب وسفك الدماء، حيث إن تعيين داود باشا هو صادر بموجب منشور سلطاني، فلم يصغ سعيد باشا إلى نصيحة حمود.

فاضطر حمود للارتحال من نواحي بغداد مبتعداً عن سعيد باشا، ويمم أرض المنتفق حيث نزل جنوبها، فلما بعد الشيخ حمود عن بغداد استخف أهاليها بالوزير، وثاروا عليه حتى ألجأوه إلى التحصن في بعض القلاع. ثم أرسلوا إلى داود باشا يستقدمونه بقولهم: (أقبل ولا تخف. إنك من الآمنين، وليس لك معارض ولا منازع، ونحن معك).

فأقبل داود باشا نحوهم، ودخل بغداد في ٥ ربيع الثاني عام ١٢٣٢هـ (١٨١٦م)، وهنأته الشعراء بالقصائد الغراء.

حصار الزبير وقتل ابن الزهير

حدث في سنة ١٢٣٨هـ (١٨٢١م) فتنة في قصبة الزبير ناشئة عن تباغض حصل بين آل زهير[١] ومحمد بن ثاقب بن وطبان الذي جعل نفسه وكيلاً للمنتفق، كما وضحنا ذلك في تاريخ البصرة.

وقد أرجأنا بسط الحادثة إلى الطبعة الثالثة إن شاء الله تعالى ريثما نحيط علماً بتفاصيل المسألة تماماً من ذوي الخبرة. لأن الأخبار التي تلقيناها متناقضة، وأقربها إلى الصواب ما أفادنا به صديقنا الحاج حمد بن عبدالمحسن الصالح البصري الزبيري ثم الكويتي، حيث قال:

إن حموداً بن ثامر السعدون حاصر الزبير في العام المذكور[٢]، وكان شيخ الزبير عبدالرزاق بن يوسف بن يحيى الزهير، وكان على فراشه راشد بن ثامر السعدون، وظل حمود محاصراً لها نحو ستة أشهر، وأهلها يكافحونه، ولما لم ينل طائلاً عزم على الرحيل، والعودة إلى مقره، فأجّله محمد بن ثاقب الذي كان في معية حمود، وتعهد له بتخوين أهل الزبير، وسعى في ذلك حتى تم الأمر مع آل راشد أهل حريمله، وهم من أعيان أهل الزبير. ثم عاد إلى الشيخ حمود، وأخبره بنتائج سعيه، ولكنه طلب بأن يكون هو أي: ابن ثاقب شيخاً على الزبير بعد احتلالها، وأن لا يدخلها أحد من قوم المنتفق خوفاً من وقوع نهب أو فتنة في البلدة.

(١) آل زهير أصلهم من نجد من أهل بلدة حريملء، انحدروا في جملة من انحدر من نجد فراراً من الوهابية، فنزلوا قصبة الزبير لعله في أواخر القرن ١٢هـ (١٨م)، واستوطنوها، وصارت لهم زعامة عرب الزبير، وأول من انحدر منهم يحيى الزهير، ومعه ابناه يوسف وسليمان، كما في تاريخ البصرة.

(٢) خلط النبهاني هنا بين حادثة حمود مع أهل الزبير سنة ١٢٣٨هـ، وحصار ابن أخيه عيسى بن محمد للزبير سنة ١٢٤٩هـ، وكل الأحداث التي جرت في المتن إنما وقعت في الحصار الثاني في زمن عيسى. (مشرف الخزانة).

فأجابه الشيخ حمود بقوله: (لك ذلك، ونحن ليس لنا مقصد سوى أخذ الثأر من آل زهير فقط)، لأن علياً بن ثامر السعدون قتل أثناء محاصرتهم الزبير، فقال ابن ثاقب: (أنا أسلمك آل زهير جميعهم). فاتفقا على ذلك، وطلب ابن ثاقب كفيلاً على إتمام ذلك الأمر، فاستقدم حمود رئيس الضفير سلطان بن مرشد السويط، فلما حضر هو ومعه من مشايخ خزاعة ابن منّاع[1] أمرهما بأن يتعهدا لابن ثاقب بما جرى عليه الاتفاق بين الطرفين، فتكفل سلطان السويط بذلك، وأشهد على نفسه.

فنهض ابن ثاقب، وأخذ معه جملة من ربعه، وتوجه بهم ليلاً نحو باب الزبير الشمالي، وهناك وجد عبدالرحمن بن مبارك آل راشد قد فتح الباب مع حاشيته مستعداً لملاقاتهم حسب الوعد، فأدخلهم البلدة، وذهبوا حتى تمكنوا على قبض الشيخ عبدالرزاق الزهير وإخوته، ومن يلوذ بهم من بيوتهم.

ثم نادوا في البلدة بالأمان، ولا مطلب للمنتفق في البلدة إلا آل زهير، وقد قبض عليهم جميعاً، وإن كل شخص هو باق على وظيفته كما كان من قبل، فهدأت الناس، وارتفع الحصار.

ولما مثل زعيم آل زهير الشيخ عبدالرزاق بن يوسف أمام الشيخ حمود، وأيقن بالهلاك، أحب أن يفتدي نفسه بالمال، فقال للشيخ حمود: (يا طويل العمر أحمران لا يجتمعان، دم أحمر وذهب أحمر، فاختر أيهما شئت إن أردت سفك دمنا، فها نحن أمامك، وإن أردت الذهب الأحمر، فعاهدنا على الأمان، ونحن نعطيك ما شئت منه).

فجنح الشيخ حمود إلى أخذ المال، فلما بلغ الخبر لابني علي بن ثامر السعدون أقبلا مغضبين على الشيخ حمود، وقالا له: (يذهب دم أبينا هدراً، وتشتريه بالمال)، وأوعز له بعدم القبول، فأعرض عن أخذ الفداء، وأسلمهما الشيخ عبدالرزاق ومن

(١) ابن مناع من رؤساء الأجود. (مشرف الخزانة).

معه، فأخذاهم إلى الخارج، وقتلا منهم سبعة من آل زهير.[١]

ثم ارتحل الشيخ حمود عن ضواحي الزبير بعد أن تأمر عليها محمد بن ثاقب. ثم أقامت آل زهير الدعوى على ابن ثاقب حتى تحصلت على الحكم بإعدامه، فأعدمته الحكومة، كما في تاريخ البصرة، وكان قد فر من الزبير الشيخ سليمان بن عبدالرزاق الزهير، وصحبه راشد بن ثامر السعدون، والتجأ إلى حاكم الكويت الشيخ جابر الصباح، كما في تاريخ الكويت.

وفي سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٣م) وفد على الوزير داود باشا أحد أعيان المنتفق محمد بن عبدالعزيز بن مغامس[٢]، فأكرمه الوزير، وأحسن نزله، فلما رأى توجهات الوزير نحوه ترشح لمشيخة المنتفق، حيث إنه كان له جاه ومقام عالٍ زمن الشيخ ثويني بن عبدالله وزمن حمود بن ثامر، فما وافقه الوزير على ذلك معتذراً بأنه وعد بها برّاكاً بن ثويني بن عبدالله.

وفي عام ١٢٤١هـ (١٨٢٤م) توجه إلى بغداد (حنيان بن مهنا بن فضل بن صقر) أحد رؤساء آل شبيب، فوفد على الوزير داود باشا، فأجلّه. ثم إنه طلب جلسة رسمية مع الوزير، فاجتمع به في جلسة خصوصية، وكان في صحبته محمد بن عبدالعزيز بن مغامس، فتذاكرا معه في مشيخة المنتفق، فجنح الوزير إلى عزل حمود، وتولية براك بن ثويني حسبما وعده بها.

ثم وفد على براك جماعة من كبراء قومه (آل صالح وآل شبيب)، وقدم إليه أيضاً محمد بن مناع الأجود العقيلي أحد مشائخ حلفاء المنتفق، فقوى عضد براك بهؤلاء الوجهاء، وترجّحت توليته، ولكن لم يصدر بذلك أمر رسمي.

وفي تلك السنة (١٢٤١هـ) غزا براك بن ثويني المذكور بمن معه من آل شبيب عفكاً وقاسماً بن شاوي، لأنهما كانا ممن خرج عن طاعة الوزير، وكان غالب العصاة

(١) نكرر القول أن ما سبق جرى مع شيخ المنتفق عيسى بن محمد سنة ١٢٤٩هـ، وليس مع عمه حمود. (مشرف الخزانة).

(٢) أحد أسلاف آل عزيز من حمائل السعدون، وهو خال أولاد حمود بن ثامر. (مشرف الخزانة).

منضمين لهما، الكل متحصن بين (الأهوار) الغدران، فخاض براك الماء نحوهم بقومه، وتواقع معهم حتى ردعهم. ثم عاد موفقاً.

وقد قتل في هذه المعركة من آل شبيب: دويحس بن مغامس بن عبدالله بن محمد بن شبيب بن مانع، وقتل أيضاً أحد أبناء ثامر بن مهنا بن فضل بن صقر، وكان مع براك من رؤساء العشائر شيخ زبيد.

ولما فشا خبر عزل حمود، وبلغه ذلك، تظاهر بالعصيان على الدولة، وأرسل يستقدم محمد بيك الكتخدا العاصي على الدولة، والمقيم في الحويزة، فجاءه مسرعاً، فجعلا يثيران الفتن، ويشنان الغارة على نواحي العراق، وانضم إليهما جماعة من آل قشعم وآل حميد وآل رافع[1]، فلما بلغ الوزير خبر ما أجراه حمود، حنق وصمم على عزله، وتولية عقيل بن محمد كما سيأتي.

(١) يقصد الرفيع العشيرة المعروفة. (مشرف الخزانة).

إمارة عقيل بن محمد بن ثامر

وفي سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٥م) لما وفد عقيل بن محمد الثامر على الوزير داود باشا في بغداد أكرمه، وولاه مشيخة المنتفق، وألبسه خلعة الإمارة، وأعطاه جملة من الأسلحة والذخائر، وأمره بالتوجه إلى سوق الشيوخ وطنه، ومركز إمارته، ومنزل عشائره.

ثم أرسل الوزير إلى متسلم البصرة عزيز آغا، وأمره بإعلان عزل حمود، وتولية ابن أخيه عقيل، وأمره أيضاً بالتحفظ على البصرة ونواحيها.

فلما أعلن المتسلم تولية عقيل غضب حمود، وجاهر بالعصيان، وأمر ابنيه ماجداً وفيصلاً بأن يقصدا البصرة بأعرابهما، فيحاصراها إلى أن يحتلاها، واستقدم لمساعدتهما بني كعب (شيعة المحمرة)، وكذلك استدعى سلطان مسقط السيد سعيد للغرض ذاته، فأقبل إليه بعساكره الأباضية، وملأ بأسطوله الشراعي شط البصرة، فسار ماجد بن حمود حتى نزل بأعرابه عند نهر معقل شمال البصرة، وذهب أخوه فيصل حتى عسكر على نهر أبي سلال جنوب البصرة، وانضمت إليه عساكر مسقط وبنو كعب.

وحاصر الكل البصرة، وضيقوا نطاق المحاصرة، فتجمع البصريون مع عساكر عقيل النجديين (الذين هم في داخل البصرة)، وهاجموا جموع فيصل على غرة، وحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى كسروهم، فاضطر فيصل للانسحاب من ذلك الموضع بعد تمزق جموعه، والتحق بجيش أخيه ماجد عند نهر معقل.

فهدأ روع البصريين، وصمموا على مثابرة الدفاع، ومكافحة المحاصرين بأنواع الخداع، وأرسل المتسلم رسلاً إلى سلطان مسقط، وصالحه على شيء من المال،

فأخذ، وأقلع بأسطوله من الشط، وعاد إلى وطنه، كما في تاريخ البصرة.

وكان خروج عقيل بن محمد من بغداد في ربيع الأول عام ١٢٤٢هـ (١٨٢٥م) متجهاً نحو مركز حكمه، وفي أثناء مسيرة مرّ على سليمان بيك الميراخور الذي وجهته الحكومة لتأديب العصاة، فوجده محاصراً لعشيرة الأقرع، وهم من الجبور من سبيع اشتهروا بذلك اللقب، وكان معهم آل قشعم، ومحمد بيك الكتخدا العاصي على الدولة العثمانية، ومعهم أيضاً رستم خان رئيس بعض عشائر الشيعة، وكان مع سليمان بيك قبيلة زبيد وعقيل، وشيخهم يومئذ جعفر.

وقبل وصول عقيل إليهم جرت بين الفريقين معركة دموية أسفرت بانكسار عشائر الأقرع بعد أن أصلاهم سليمان بيك ناراً حامية بمقذوفات البنادق والمدافع، فولوا مدبرين. ثم لما وصلهم عقيل أعادوا الكرة إلى عشيرة الأقرع، وتواقعوا معهم عند قلعة شخير، فأظهر فيها عقيل من الشجاعة والفروسية ما أبهر العقول، وكان صفوق الجربا مصاحباً لعقيل بأمر الوزير.

وفي تلك المدة كان أبناء حمود محاصرين البصرة، ولكن لما انسحب عنهما سلطان مسقط ضعفت شوكتهما. ثم بعد ذلك فارق فيصل أخاه ماجداً، وسار إلى والده حمود، وبقي ماجد مثابراً على محاصرة البصرة، وأوعد قومه إذا احتلوا البصرة بأن يبيحها لهم ستة أيام، فجعلوا يعملون سلالم ليتسلقوا بها سور البصرة، فبينما هم كذلك وإذا بأهل الزبير يهاجمونهم من جهة الغرب، وذلك بأمر المتسلم، وفي أثناء اشتغالهم في الحرب بصدّ هجوم الزبيريين خرج إليهم المتسلم بالعسكر من البصرة من جهة الجنوب، وأحاط بهم، وأصلاهم ناراً حامية ألجأهم فيها إلى الفرار لا يلوي أحد على صاحبه حتى وصلوا إلى حمود في مقره متفرقين بغير انتظام.

وعندما بلغ حمود وصول عقيل بلدة البغيلة[1]، وأن غالب عشائر حمود قد

(١) البغيلة: بلدة صغيرة على الشاطئ الغربي من دجلة، وكانت تسمى (النعمانية) لأنها من بناء النعمان الثالث ابن المنذر الرابع الذي تولى حكم الحيرة من عام ٣٨ ق هـ (٥٨٥م) إلى سنة ١٣ق هـ (٦٠٩م) حيث قتله أبرويز، ونصب محله إياس ابن قبيصة الطائي، ولستة أشهر من ولاية إياس بعث نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، كما تقدم في الحاشية عند ذكر البطائح.

انضمت إلى عشائر عقيل. اضطر إلى الارتحال هو وأبناؤه مع قومهم، وتوغلوا في البادية إلى أن يعرفوا حقيقة الأمر.

ثم سار عقيل مستمراً في مشيه بجموعه حتى نزل سوق الشيوخ مقر حكمه. ثم شرع في أسباب الحيلة في القبض على حمود حتى تمكن منها، وقبض على حمود، وأرسله إلى الوزير في بغداد حيث سجن هناك.

ثم بعد مدة حصل في بغداد طاعون مجحف، فأمرت الحكومة العثمانية بإطلاق سراح جميع السجناء، وكان من ضمنهم الشيخ حمود، فتوجه نحو حلب، فمرض، فمات في الطريق، فدفن في الموضع المسمى (تل أسود)[1].

وكان قد أعقب من الذكور: عبدالعزيز وبرغشاً وفيصلاً وماجداً، والأخيران هما اللذان حاصرا البصرة، كما في تاريخها، وإن أحفاد فيصل هم (حمود ومحمد وفيصل وعقاب وحمد)، والكل هم أبناء مطلق بن فيصل بن حمود.

ثم في سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) أمرت الحكومة العثمانية بأن يعاد إليها اسمها السابق (النعمانية)، فلما احتلها الإنگليز عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) أعاد العوام اسم البغيلة عليها، وظل إلى يومنا هذا. اه. مؤلف.

(١) ينفي قضية توجه حمود لحلب أن تل أسود يقع على بعد بضعة كيلومترات غرب بغداد، وبالتالي فإن حمود خرج من المعتقل مريضاً، ومات في بغداد. (مشرف الخزانة)

قيام أبناء حمود بن ثامر وقتل عقيل

فحنق أبناء حمود لموت أبيهم غريباً، وأجمعوا على الانتقام من الشيخ عقيل لأنه هو الذي أسلم أباهم للحكومة، وهم (عبدالعزيز وبرغش وفيصل[١] وماجد وسلطان[٢] وطلال[٣])، ونهضوا متجمعين تحت زعامة عبدالعزيز بن حمود، وانضمت إليهم أعمامهم أبناء ثامر بعشائرهم، فهاجموا عقيلاً، وجرت بينهما معركة عنيفة أسفرت بقتل عقيل، وتفرق جموعه، وحُمل عقيل، ودفن في الموضع المسمى صبيح[٤] في شمال شطرة المنتفق، وكان قد أعقب من الذكور فارساً وعبدالله.

(١) فيصل أعقب (مطلق بيك)، ومطلق بيك خلف حموداً ومحمداً وفيصلاً وعقاباً وحمداً. اه. مؤلف.

(٢) لا يوجد لحمود ولد اسمه سلطان، وهذا وهم وقع فيه ابن بشر صاحب (عنوان المجد)، والصحيح أن سلطان المذكور مقتله هو ابن محمد بن عبدالعزيز بن مغامس آل شبيب، وهو ابن خال أولاد حمود. (مشرف الخزانة)

(٣) طلال أعقب (عبدالله)، وعبدالله خلف (عبدالعزيز)، وعبدالعزيز خلف (عبدالله) اه. مؤلف.

(٤) صبيخ بالخاء المعجمة. (مشرف الخزانة).

إمارة ماجد بن حمود

لما تفوق أبناء حمود على عقيل وقتلوه، تعين من قبلهم ماجد بن حمود شيخاً على المنتفق برضاء أخيه عبدالعزيز الذي كان زعيم الثورة على عقيل، وجعل ماجد يدير شؤون الإمارة إلى أن آلت إلى عيسى بن محمد بن ثامر، وكان لماجد من الولد: سليمان ومحمد وعبدالعزيز وفهد[1].

(١) الصواب أن هؤلاء الأربعة هم أولاد فارس الابن الوحيد لماجد بن حمود. (مشرف الخزانة)

إمارة عيسى بن محمد

أخذ عيسى بن محمد بن ثامر بعنان المشيخة، وجعل يدير شؤون قومه إلى سنة ١٢٥٩هـ (١٨٤٢م) حيث حدث في قصره حريق هائل ليلاً، وكان باب حجرته مغلوقاً عليهم حسب العادة، فما شعر إلا والنار محدقة به من جميع الجهات، فذهل، ولم يتمكن من الخروج، ولا قدر أحد على إنقاذه، فاحترق هو وزوجته، فماتا في الحريق، فأرخت وفاته بقولهم (الشيخ حريق = ١٢٥٩)، وكان له من الولد (صالح وعبدالله)، فتولى محله أخوه بندر.

إمارة بندر بن محمد

تقلد مشيخة المنتفق بندر بن محمد بن ثامر سنة ١٢٥٩هـ (١٨٤٢م) بعد وفاة أخيه، وأدار أمور الحكم كما يرام إلى أن توفي عام ١٢٦٤هـ (١٨٤٧م)، وقد أعقب من الذكور (محمداً وحموداً)، فقام مكانه أخوه فهد.

إمارة فهد بن محمد

أخذ بزمام مشيخة المنتفق فهد بن محمد بن ثامر سنة ١٢٦٤هـ (١٨٤٧م)، وشرع في إدارة المشيخة، ولكن لم تطل مدته. بل داهمه الموت بعد ثلاثة أشهر من إمارته، وكان له من الولد: (سعدون، وثامر، وعبدالعزيز، وعبدالعالي، وعقيل).

ثم بعد موت فهد حصل تنافر في داخلية المنتفق، وتشاحن ونزاع على المشيخة أدى إلى الشقاق، ومشق الحسام بين آل سعدون: (آل محمد وآل علي وآل راشد)، وجرت بينهم معارك تفوق فيها آل محمد، وترأس منهم على المنتفق فارس بن عقيل.

إمارة فارس بن عقيل

فأخذ بزمام أمارة المنتفق فارس بن عقيل بن محمد بن ثامر، (لعله) في سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٧م)، وجعل يدير شؤون الإمارة إلى أن حصل بينه وبين ناصر ومنصور ابني راشد بن ثامر خلاف أدى إلى الحرب بين الفريقين، فأسفر بانتصار آل راشد، فسلبوا المشيخة من فارس.

وكان قد أعقب: (عقيلاً، ومزعلاً، وناصراً، وعبدالهادي، وعبدالكريم، ومنصوراً، وسيفاً، وعفاتاً).

إمارة منصور بن راشد -المرة الأولى

لما تفوق آل راشد على فارس بن عقيل، عيّنوا منهم منصوراً بن راشد شيخاً على المنتفق، فأخذ بعنان الإمارة، وشرع في تدبير الأمور، وتثبيت مشيخته. ثم حصل بينه وبين وزير بغداد خلاف أدى إلى عزله، وتعيين فهد بن علي في محله بأمر رسمي.

إمارة فهد بن علي -المرة الأولى

لما وجه وزير بغداد مشيخة المنتفق إلى فهد بن علي بن ثامر، قام بأعباء الإمارة خير قيام، وأخذ بعنان الحكم يديره على ما يرام، ولكن لم تطل مدة حكمه لحصول سوء تفاهم بينه وبين الحكومة استوجب عزله، وتولي صالح ابن عيسى محله.

إمارة صالح بن عيسى

تولى مشيخة المنتفق صالح بن عيسى بن محمد بن ثامر، وضمن من الحكومة العثمانية خراج أراضي المنتفق، ولكنه كان مصراً على الاستقلال والانفصال عن الحكومة، وعندما أخذ بعنان الأمور شرع في الاستعداد للعصيان، فبنى قلعة[1] للتحصن فيها حينما يجاهر بالعصيان، فأحست الحكومة بمكيدته، وما عزم عليه، فأصدرت أمرها بعزله في السنة التي تعين فيها لأنه ظهرت منه بوادر العصيان بعد دفعه القسط الأول من الخراج المقرر عليه، وأرجعت في المشيخة منصوراً بين راشد.

وكان لصالح من الولد: (فرحان، وسلطان، ومحمد، وعلي، ومحيسن، وفهد، وسليمان، ومطلق، ومحيا، وعثمان، وغضبان).

(١) وإن تلك القلعة مشهورة عند المنتفق (بقلعة صالح) أنشأها على الهور الغدير أمام ساحل الغبيشية، وهي باقية إلى اليوم، ومحيط بها عشائر بني أسد ربع سالم بن حسن بن خيون، وهي غير (قلعة صالح) الواقعة جنوب العمارة. اه. مؤلف.

إمارة منصور بن راشد -المرة الثانية

أخذ منصور بن راشد بزمام المشيخة، وجعل يديرها على أحسن ما يرام، فتحصل من الحكومة على رتبة باشا، فدعي (منصور باشا).

وفي عام ١٢٦٨هـ (١٨٥٠م) لما تعين محمد رشيد باشا الگوزلكي والياً على بغداد، ومشيراً لفيلق الحجاز والعراق. وجّه همته نحو أراضي المنتفق، وشرع في استخلاصها من أيدي المتغلبين تدريجاً، ليجعل إدارتها بيد الحكومة العثمانية مباشرة، فأقنع الوالي المذكور منصور باشا بإفراز السماوة بما يتبعها من قرى وعشائر لأجل أن تلحق بلواء الحلة، فقبل منصور باشا بذلك، فأيده الوالي على مشيخة المنتفق.

ثم بعد ذلك وقعت حوادث لا حاجة لذكرها، ولكنها أسفرت عن استيلاء الجنود العثمانية على سوق الشيوخ، فاضطر منصور باشا إلى الرضوخ لأوامر والي بغداد، ورضي بأن يفرز قسماً آخر من أراضيه أيضاً.

وفي ١٤ شعبان عام ١٢٧٢هـ (١٨٥٤م) تعين قائمٍ لسوق الشيوخ حسين باشا (أحد أمراء العسكر العثماني)، وبقي منصور باشا شيخاً على عشائر المنتفق فقط.

وفي سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٥م)، لما تعين عمر باشا السردار والياً على بغداد، وأخذ يدير شؤون العراق، وجّه عنايته نحو المنتفق، وشيخه يومئذ منصور باشا، فأسرّه حسن سيرته واقتداره، واطمأن خاطر الوالي بعلو همة منصور باشا. ثم لاحظ صحة الجنود المرابطة في سوق الشيوخ، فرآها غير جيدة لرداءة الهواء والماء، فأمر بسحب الجنود من سوق الشيوخ، وأعاد الحكم لرئيس المنتفق منصور باشا، ففي الظاهر يعدّ سحب الجنود إكراماً للمنتفق، وفي الباطن هو خوف على صحة الجنود، فاستسرّ

آل سعدون بذلك، وشكروا همة الوالي فيما أسداه لهم من حسن الالتفات، ومراعاة حقوقهم.

ثم إن الوالي تحصل من الآستانة لمنصور باشا على رتبة قائمقام المنتفق، مع منحه أيضاً رتبة مدير الإصطبل العامر[١]، ولقب (بيك)[٢]، وذلك في عام ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م)، وكان مركز الحكم سوق الشيوخ.

وفي سنة ١٢٧٧هـ (١٨٥٩م) جرت المزايدة في خراج المنتفق بين منصور باشا والشيخ بندر، وفي ٢٠ شوال عام ١٢٧٧هـ (١٨٥٩م) أحيلت إلى الشيخ بندر، وأسندت إليه مشيخة المنتفق.

---

(١) مدير الإصطبل كانت رتبة للملكية السيفية، تقابل اليوم رتبة قائم مقام العسكري. اهـ. مؤلف.

(٢) هي رتبة بكرلي بك، وهي أعلى من رتبة باشا. (مشرف الخزانة).

إمارة الشيخ بندر بن ناصر

تولى الشيخ بندر بن ناصر بن ثامر مشيخة المنتفق عام ١٢٧٧هـ (١٨٥٩م)، وتعهد بدفع الخراج المقرر عليه لمدة ثلاث سنوات البالغ قدره ٤٩٠٠ كيس، (والكيس يومئذ عبارة عن خمسماية قرش = خمس ليرات ذهباً عثمانياً)، وذلك الضمان بعد أن أفرز من الأراضي أبو الخصيب، وفي ضمنه باب سليمان، وكذلك أفرز منها شطرة العمارة التي ربما عبر عنها بقلعة صالح.

ثم توجه الشيخ بندر من بغداد في ٢٨ شوال عام ١٢٧٧هـ (١٨٥٩م) نحو مركزه تقله سفينة شراعية إلى سوق الشيوخ، وبقي في المشيخة نحو ثلاث سنين إلى قبل وفاته بيوم واحد، (كانت وفاته في ١ جمادى الآخرة عام ١٢٨٠هـ (١٨٦٢م).

وكان في أول السنة المذكورة قدم إلى بغداد منصور باشا، وأخوه ناصر باشا، والشيخ بندر، فجمعهم والي بغداد محمد نامق باشا[1]، وبعد المذاكرة معهم قرر إلغاء مشيخة المنتفق، فوافقه على ذلك منصور باشا المذكور.

---

(١) محمد نامق باشا تولى على بغداد المرة الثانية عام ١٢٧٧هـ (١٨٥٩م)، وأما تعيينه الأول فكان في سنة ١٢٦٧هـ (١٨٤٩م) اهـ. مؤلف.

تولية منصور باشا بن راشد -المرة الثالثة

لما صادق منصور باشا على إلغاء مشيخة المنتفق. أسند الوالي إليه وظيفة قائمقام المنتفق في ٣٠ جمادى الأولى عام ١٢٨٠هـ (١٨٦٢م)، لكن بشرط أن تدار شؤون اللواء بنظر الحكومة كما تدار بقية الألوية، وعين الوالي في الحال محاسباً للواء المنتفق سليمان فائق بيك، وتوجه بالفعل إلى محل وظيفته.

ثم بارح منصور باشا بغداد متجهاً نحو مقره، وبصحبته أخوه ناصر باشا، وعندما وصلا إلى مقرهما عارض ناصر باشا في إلغاء المشيخة معارضة شديدة، وشرع بتأسيس ثورة، وتجاهر بها، فاضطر لذلك سليمان فائق بيك المحاسب المذكور لأن يغادر مركزه فاراً من البلدة بنفسه، وتبعه بعض الموظفين بعد أن أقام في سوق الشيوخ نحو شهر، وهو ينظم الدفاتر، ويعين الخطط التي يجب اتباعها.

فعزم الوالي محمد نامق باشا على محاربة المنتفق، وإخضاعهم بالقوة، فبينما هو كذلك، وإذا بورود برقية من الآستانة تأمره بأن يجهز الفيلق، وينتظر الأوامر، فعند ذلك جنح إلى التساهل مع المنتفق، واكتفى بعزل منصور باشا، وتولية فهد بيك بن علي بدله.

مشيخة فهد بيك بن علي -المرة الثانية

أخذ بزمام المشيخة فهد بيك بن علي بن ثامر سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٢م)، وشرع في توطيد مدّ الأسلاك البرقية في أرجاء المنتفق قريباً من الفرات لتعهده للحكومة العثمانية بمدها. ثم رفعت مرتبته، ومنحته رتبة باشا لما أبرزه من الخدمات لدي حكومته، وكان أول مفاوضة جرت بمدّ هذا الخط البرقي بين بغداد والبصرة في غرة رمضان عام ١٢٨١هـ (٢٨ كانون الثاني ١٨٦٣م).

واستقام فهد باشا في المشيخة إلى سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٥م) حيث تغلّب عليها ناصر باشا، وذلك أنه بعد انتهاء مدة الضمان تريث فهد باشا في المشيخة، فذهب ناصر باشا ابن راشد إلى البادية، وجمع جموعاً من الأعراب، ومشى بهم نحو فهد باشا، وتواقع معه حتى تفوق عليه، وانتزع المشيخة منه.

مشيخة ناصر باشا ابن راشد -المرة الأولى ثم تعيينه واليا على البصرة

أخذ ناصر باشا بن ثامر بزمام المشيخة، وتفاوض مع الحكومة في ضمان المنتفق والمشيخة، فورده مرسوم يتضمن الاتفاق والشروط مكتوباً بالخط الديواني، ومؤرخاً في ٣ شعبان عام ١٢٨٣هـ (١٨٦٥م)، وملخص عبارته مع الشروط هو:

(أنه لما كانت مدة الالتزام –التعهد والضمان –في مقاطعات أراضي المنتفق قد انتهت وجب وضعها في المزايدة، لكن بعد إفراز بعض المقاطعات المجاورة للبصرة، وهي (الفياضي، والعامية، ويوسفان، وكوت إفرنجي، والكباسي الكبير، والكباسي الصغير، وجزيرة العين، والريان (وهو أمام جزيرة الصقر)، والجبارات، وكتيبان، والصفارية)، مع توابع كل المعلومات لدى أهل المقاطعات، فقد تقرر ضمها إلى عهدة الشيخ ناصر باشا بمبلغ ٤,٣٣٨,٨٧٥ قرشاً يدفع سنوياً لخزينة الحكومة في بغداد إلى مدة ثلاث سنوات. اعتباراً من أول أيلول عام ١٢٨٢هـ (١٨٦٤م) إلى سلخ شهر آب من عام ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م)، وذلك بكفالة الشيخ راشد بن صالح بن ثامر السعدون وظاهر بن منصور بن ثامر السعدون).

ولما استتب الأمر لناصر باشا عزم على الانتقام من بني عمه الذين كانوا يضادونه، ويعاكسون ما يبرم من الأمور، فركبوا متن الحذر، وتحزبوا عليه. ثم أغاروا عليه، فكافحهم، فتفوقوا عليه حتى ألجأوه إلى مغادرة مركزه، فتوجه إلى (الآستانة). ثم عاد منها بمأذونية خولت له مشيخة المنتفق. ثم ورد إليه مع بريد بغداد من الآستانة مرسوم بالوزارة في ١٠ ذو الحجة عام ١٢٨٤هـ (١٨٦٦م)، وبتعيينه شيخاً رسمياً على

المنتفق، وذلك لما أبرزه من تلبية أمر الحكومة في مد الأسلاك البرقية في لواء المنتفق بعد انقطاعها مدة طويلة، وكانت رتبته قبل ذلك (مير ميران).

وفي سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٨م) أو ٨٥هـ (٦٧م) احتال ناصر باشا على قبض عبدالكريم بن صفوق الجربا حتى قبضه، وأرسله بأمر الحكومة إلى الموصل حيث حوكم، وصلب هناك، لأمور حصلت منه ضد الدولة العثمانية، وعينت في محله أخاه فرحان باشا بن صفوق، كما في تاريخ آل رشيد.

وفي سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧٠م) لما زحفت الجنود العثمانية نحو الأحساء تحت قيادة الفريق محمد نافذ باشا، صحب معه (منصور باشا وناصر باشا) ابني راشد بن ثامر السعدون، ومعهما فهد باشا بن علي ابن ثامر السعدون، ومعهم جموعهم من عشائر المنتفق، فلما وصلوا الأحساء جرت بينهما المعركة المشهورة بوقعة الخوير، وقد أبدى المنتفق فيها بسالة تذكر، وعين على الأحساء بزيعاً بن عريعر، ولكن لم تطب بتحكيمه خواطر الأهالي، كما في تاريخ الأحساء.

وفي سنة ١٢٩٢هـ (١٧٨٤م) عينت الحكومة العثمانية ناصر باشا ابن راشد المذكور والياً على البصرة، وفصلتها عن بغداد، وعقدت بها لواء نجد[١]، وكان ذلك بهمة ناصر باشا نفسه، كما في تاريخ البصرة.

وفي عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٥م) لما ثار لواء الأحساء مرة ثانية، وكان والي بغداد عاكف باشا أنفذ أوامره إلى ناصر باشا بالمسير نحو الأحساء لتقويم أود ذلك الخلل الحاصل هناك، فلبى طلبه، وجهز الجنود مع معظم عشائر المنتفق، وتقدر بنحو عشرة آلاف رجل، وسار بالكل يقودها نحو الأحساء، فضرب العصاة، وأدب الثائرين. ثم عين على الأحساء بزيعاً العريعر. ثم عزله، وولى مكانه ابنه مزيد بيك بن ناصر باشا متصرفاً على لواء الأحساء، كما في تاريخها، لأنه رأى أن أهل الأحساء متحفزين على بزيع، فخشي ناصر باشا من إعادة الثورة.

---

(١) المراد بلواء نجد الأحساء بملحقاتها فقط. اه. مؤلف.

فعين ابنه، ونقل بزيعاً بن عريعر معه إلى البصرة، لأن أخت بزيع المسماة (نجلة) كان متزوجها ناصر باشا، وقد أعقب منها بنتاً سماها (طرفة)، فتزوجها سليمان بيك بن منصور باشا بن راشد، فولدت له عدة أولاد ستأتي أسماؤهم.[1]

(١) كانت نجلة متزوجة قبل ناصر باشا من ابن عمه بندر بن محمد شيخ المنتفق، وأنجبت له ابنه (حمود)، ثم مات عنها فتزوجها ناصر. (مشرف الخزانة)

إمارة فالح بيك بن ناصر باشا

وكذلك عين ابنه الآخر فالحاً بيك متصرفاً في لواء المنتفق، وجعل مقره الناصرية، وذلك عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٥م)، ونصبه أيضاً شيخاً على عشائر المنتفق، وبذلك تقوّى نفوذ ناصر باشا في العراق، وهابه القريب والبعيد.

وكان وكيله على أملاكه الكائنة في البصرة من قبل ولايته على البصرة: الشيخ سليمان بن عبدالرزاق الزهير شيخ قصبة الزبير، وبعد أن تعين والياً على البصرة ظل الشيخ سليمان الزهير مستمراً على وكالته، وشيخاً على الزبير.

ثم إن الأعداء غاظهم ذلك، فجعلوا يلقون العداوة والبغضاء بينهما إلى أن أمر ناصر باشا برفع يد الشيخ سليمان عن أملاكه، وطلب محاسبته، وضيق عليه في ذلك، فتحاسب معه، وتقرر بأن الباقي عند الشيخ سليمان مبلغ عظيم من النقود، فأعطاه قسماً منه نقداً، وما بقي جعل نخيله رهناً فيه عند ناصر باشا، وذهب الشيخ سليمان إلى دائرة سجلات الأملاك بالبصرة، وأجرى معاملة الرهن باسم ناصر باشا رسمياً.

وكان لما حصل التضاغن بينهما، أصدر ناصر باشا أمراً بعزل الشيخ سليمان الزهير عن مشيخة الزبير، وعيّن بدله عبداللطيف بن محمد بن عون، وبعد انتهاء معاملة الرهن بارح البصرة الشيخ سليمان متجهاً نحو الهند، ومنها إلى مكة المشرفة، حيث أدى فريضة الحج. ثم عاد إلى البصرة مريضاً، فتوفي بعد أيام قلائل في البصرة، ودفن في مقبرة الزبير، وذلك عام ١٢٩٣هـ.

ثم بعد وفاة الشيخ سليمان طلب ناصر باشا من قاسم باشا الزهير[١] فك الأملاك المرهونة، فامتنع من ذلك، فحصلت العداوة بينهما حتى عزم ناصر باشا على قبض قاسم باشا، وسجنه، فبلغه الخبر سراً، ففر من البصرة، كما في تاريخها، وتوجه إلى الآستانة، فعند ذلك أطلق ناصر باشا سراح المسجونين من أهل حرمة أضداد آل زهير[٢]، كما في تاريخ البصرة.

---

(١) إن سبب العداوة الحاصلة بين ناصر باشا وقاسم باشا الزهير. هو أنه لما عزل ناصر باشا الشيخ سليمان الزهير عن الوكالة وعن مشيخة الزبير، وتحاسب معه، وبقي لناصر باشا مبلغ عظيم من الدراهم (كما في داخل الأصل)، وكان الشيخ سليمان عازماً على مبارحة البصرة، فأخر النقود عنده، ورهن أملاكه في مقابلة الدين الذي عليه، وذلك خشية من أن يتصرف في أملاكه صهره قاسم باشا أثناء غيابه، لأن قاسماً باشا كان غاية في الكرم والسخاء، ولطالما أخذ من الشيخ سليمان أموالاً عظيمة، وفرقها في الكرم، وإسداء المعروف، فاستحسن الشيخ سليمان بأن يؤخر بعض الدراهم التي استوفاها من واردات أملاك ناصر باشا، ويرهن أملاك نفسه في مقابلة تلك الدراهم، لأمور:

(أولاً) حفظاً لأملاكه من يد متغلبة من قبل صهره أو من والي البصرة.

(ثانياً) أنه تحصل على مبلغ مهم من النقود (بدون رباً) ليستعين به على السفر، وغيابه عن وطنه إلى أن يعود، وإنها تستوفي تلك الدراهم من ريع أملاكه بدون تعب.

ثم لما عاد الشيخ سليمان مريضاً، وتوفي. وضع يده ابن خاله وصهره قاسم باشا الزهير على ثروته العظيمة، فبلغ ذلك ناصر باشا، فطلب من قاسم باشا فك الرهن من الدراهم التي تحصل عليها من تركة الشيخ سليمان، وإلا فيبيع الأملاك المرهونة، فامتنع قاسم باشا من فك الرهن، وكذلك منع بيع النخيل المرهونة، قائلاً: إنها تبقى تحت الرهن حسب الاتفاق إلى أن يسد ريعها ما على المتوفى الشيخ سليمان من الدين. ثم تعاد للورثة، فحصل بذلك التشاحن والنزاع بينهما حتى اضطر قاسم باشا إلى الفرار من البصرة (كما في داخل الأصل)، فتصرف ناصر باشا في الأملاك المرهونة عنده، وقسمها هبة لأصدقائه وذويه. وهاك أسماء الأملاك المرهونة: (الدعيجي. الشلامجة. الدرة. الطويلة. العجيراوية. كوت خلفة صالح. البدعة. والقاع التي وهبها ناصر باشا لمحمد بن عبدالله الشاعر ابن ربيعة)، فأعطى (الدعيجي) لساسون بن دانيل اليهودي، فما قبل الهبة إلا أن تسجل باسمه في (دائرة سجلات الأملاك) رسمياً، فسجلها ناصر باشا له كما أراد، وبذلك فإن ساسون هو الذي ربح من دون بقية الذين تحصلوا على العطايا والهبات شفاهياً. حيث إنه بعد عزله عن ولاية البصرة استرجعت تلك الأملاك منهم، لكن بعد أن دفع ورثة آل زهير ما على أبيهم من الدين.

(٢) أهل حرمة: هم عرب ظعنوا من نجد في القرن ١٢هـ (١٨م) زمن نهوض الوهابية، واستوطنوا قصبة الزبير، وغالبهم من سكان بلدتي حرمة وحريمله، فحرمة بلدة من توابع بلدة السدير بنجد، وحريمله من توابع بلدة الوشم، كما في تاريخي البصرة، ونجد.

أما (وقعة حرمة) المشهورة، فمجمل الأخبار: أنه في عام ١٢٨٩هـ (١٨٧١م) حصل تضاغن بين أهل الزبير وشيخ بلدتهم الشيخ سليمان بن عبدالرزاق آل زهير، حتى اضطر لمبارحة الزبير إلى البصرة، إطفاء للشر وإخماداً للفتن، بعد أن جعل على البلدة من قبله ثلاثة أشخاص يديرون أمور البلدة يرأسهم عبدالله بن حميدان، ولما استقر الشيخ سليمان في البصرة تجمهر أهل الزبير على مضادته، وإخراج أهله من بلدتهم، فجنح إلى ذلك عبدالله بن إبراهيم آل راشد، من أهل حريمله، وتعهد بنفي نساء آل زهير إلى البصرة.

ثم ذهب وأتى بدواب (إبل وحمير) إلى أمام بيوتهن، وأمرهن بالخروج جبراً إلى البصرة، فاضطررن إلى الخروج، وتوجهن بحواشيهن إلى البصرة إلا ثريا بنت ناصر الفداغ (زوجة قاسم باشا الزهير)، فإنهم غضوا النظر عن إخراجها من البلدة لكرمها المتزايد وكثرة

إسدائها المعروف لغالب أهل الزبير، وظل أهل حرمة متحزبين في الزبير ضد كل من يلوذ بآل زهير، فوافق أن قدم من عدن أحد التجار المدعو (فهد بن محمد آل راشد)، وهو أيضاً من آل راشد أهل حريملء، وكان وكيلاً في عدن لبعض تجار البصرة، ومن جملتهم آل زهير، فلما رأى ابن عمه عبدالله بن إبراهيم الراشد، منضماً إلى أهل حرمة ضد آل زهير لم يرض بذلك، وسعى في الصلح بينهما حتى أتمه، وتأكيداً للصلح، أرسل الشيخ سليمان هدية من التمر لعبدالله المذكور من البصرة إلى الزبير محملة على الإبل، إعلاناً بإتمام الصلح بينهما، فأخذها عبدالله وقبلها، وانسحب من حزب أهل حرمة، وترك أنديتهم ومجتمعاتهم، فلما تأكد لديهم صلحه مع الشيخ سليمان خشوا منه لئلا يفسد أحداً من ربعه ممن كان منضماً لهم، لا سيما وأن عبدالله ابن إبراهيم مشهور عندهم بالدهاء والشجاعة، فأصروا على اغتياله، وأودعوا ذلك إلى فراج بن زيد اللعبون، فذهب إليه، ومعه زيد بن شقير (من بني حسين)، وكان فداوياً، أي يحمل السلاح خلف عبداللطيف العون، فلاحظاه حتى تمكنا منه بعد صلاة العشاء، وهو جالس في المسجد، فأطلق زيد بن شقير عليه (قرنينة) بندقاً قصيرة واسعة الفوهة محشوة (رش) صغار الرصاص، وكان عند الإطلاق ألصق ملفظ البندق في ظهره، فلم تقتله، وإنما انغرس الرصاص في اللحم فقط، وخر الرجل على الأرض مذعوراً، وهرب المغتال ظناً بأنه انقتل، فحمل جريحاً، وأدخل في بيت محمد بن موسى بن فارس، ولما علم أهل حرمة بعدم موته تحازبوا، وأتوا إلى بيت ابن فارس، وأحاطوا به، وطرقوا الباب ليلاً ليلجوا البيت، ويتمموا على قتل عبدالله المذكور، فاحتال آل فارس على تهريبه من على ظهر أسطحة البيوت حتى أبعدوا به، وأولجوا في بيت عبدالله بن محطب.

ثم أركبوه من هناك دابة، وأرسلوه مع أناس إلى البصرة في تلك الليلة حتى أدخلوه بيت الشيخ سليمان الزهير، فبادر الشيخ سليمان في الحال بجلب الأطباء، فأجروا له عملية في إخراج شظايا الرصاص من لحمه، فأمنت حياته، وجعلت الأطباء تعالجه حتى برئ، وبقي في البصرة.

ثم أن أهل حرمة لما ولجوا بيت ابن فارس في تلك الليلة، وفتشوه، ولم يجدوا فيه غريمهم ذهبوا من حيث أتوا. ثم بعد ذلك تحقق لديهم بأن آل فارس هم الذين هربوه إلى البصرة، فأجمعوا على نفي كل من يلوذ بآل زهير، ولم ينضم إليهم، وتحزبوا على ذلك، وأخرجوا من الزبير كرهاً (آل فارس. وآل نصار. وآل مشرى. وآل شماس. وآل مطلق)، وكل من يلوذ بهؤلاء أو ينتمي لهم. بل أنهم أخرجوا أخيراً كل من لم ينضم إلى حزبهم، فتبين للحكومة أن الخطأ حاصل من أهل حرمة، حيث إنهم نفروا غالب الأهالي، وأخرجوهم من ديارهم، وهم غافلون.

ثم أن أهل حرمة وجهوا من رؤسائهم إلى البصرة عبداللطيف بن محمد بن عون وفوازاً بن زيد اللعبون أخو فراج الزيد، ومعهما جملة من ربعهم بقصد أن يبرئوا أنفسهم عند الحكومة مما نقل عنهم من المؤامرات والفتن، ويبينوا لها سبب تحزبهم، وعند وصولهم البصرة، وقبل ذهابهم إلى صرح الحكومة ألقى القبض عليهم، وسيقوا إلى السجن إلى أن يتحقق عن أمرهم.

ثم إن الحكومة أمرت جميع المنفيين من الزبير، والفارين منه بالعودة إلى أماكنهم، فأفهموا الحكومة بأنهم يخشون على أنفسهم إذا عادوا منفردين إلى الزبير، فأرسلت معهم (صالحاً آغا طابور آغاسي) بصفته مديراً لقصبة الزبير، فصحب معه جملة ممن يحملون السلاح من أهل البصرة ومحلة السبخاء والمشراق والسراجي وقردلان، وكلهم تحت رئاسة الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف الزهير، وعبدالله بن إبراهيم آل راشد، ولما أقبلوا جميعاً على قصبة الزبير بادر أهلها بإطلاق الرصاص على القادمين بعد أن حصنوا البلدة، وسدوا أبواب السور، واستعدوا للحرب، فقابلوهم بالمثل، وتبادلوا إطلاق الرصاص بينهما ساعات بدون أن يتفوق أحد الفريقين على الآخر.

ثم أن ثريا بنت ناصر الفداغ المار ذكرها نهضت من داخل البلدة، وأمرت أحد خدامها (بلالاً الريحان) بأن يجمع لها رجالاً من محبي آل زهير، ويأتي بهم على بيتها مسلحين، فأحضر لها نحو ٣٠٠ مقاتل، منهم جماعة من أهل المجمعة تحت رياسة زعيمهم عبدالمحسن بن الشيخ إبراهيم العيقي، فأدخلتهم إلى أعلا سطح قصرها، وكان مشرفاً على أهل السور المحافظين والمدافعين، وأمرتهم بإطلاق الرصاص عليهم، فما شعروا إلا والرصاص يأتيهم من داخل البلدة، فذعروا، ولم يدروا ما حصل، فتركوا السور، واضطروا إلى الهزيمة والفرار، فذهب بلال الريحان إلى السور، وفتح باب البصرة، فدخل القادمون البلدة، وجعلوا يتتبعون زعماء أهل حرمة في الشوارع، فمن وجدوه قتلوه أو سجنوه، فقتلوا ٩ أشخاص منهم (جلوي من أهل حرمة، ومحارب السويد من أهل جلاجل (بلدة بنجد)، وهو من قرابة إبراهيم المنديل، ومحمد المدلج، وهذا قتل خطأ لأنه من الأخيار، وليس له تدخل في

ولما وصل قاسم باشا إلى الآستانة شرح للدولة ما أجراه معه ناصر باشا من سوء المعاملة. ثم قدم عليه شكاية رسمية، فاستقدمت الحكومة ناصر باشا، بعد أن أصدرت أمراً بعزله عن ولاية البصرة، وعزل ابنه فالح باشا عن متصرفية لواء المنتفق، وذلك عام ١٢٩٤هـ (١٨٧٦م).

فتوجه ناصر باشا إلى الآستانة، وجرت بينه وبين قاسم باشا محاكمات متنوعة لا حاجة لذكرها، وبقي ناصر باشا في الآستانة إلى أن توفي بها سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م)، كما في تاريخ البصرة، وكان له من الأبناء (فالح باشا، مزيد باشا، مزعل باشا، مصلط بيك[1])، ولما عزل فالح باشا عن متصرفية المنتفق تعين في محله فهد باشا.

الثورة، وإنما هو من أهل حرمة فقط، ولم ينهب في هذه الحادثة بيت ولا دكان، بل ولم يتجاوز أحد على الأعراض، ولا على مهاجمة الدور طلباً للفارين، وكانت الحادثة في عام ١٢٩١هـ (١٨٧٣م). ولما تولى ناصر باشا السعدون ولاية البصرة، وحصلت العداوة بينه وبين آل زهير أطلق سراح السجناء من أهل حرمة، (عبداللطيف العون وربعه)، كما في داخل الأصل، وفي تاريخ البصرة. اه. مؤلف.

(١) لا ذكر لمصلط بيك هذا في أنساب السعدون، ويبدو أنه مات طفلاً. (مشرف الخزانة).

إمارة فهد باشا ابن علي -المرة الثالثة

تعين فهد باشا ابن علي السعدون على متصرفية لواء المنتفق سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٦م)، فأحسن السيرة في الرعية، وأمن السبل حتى أحبته الرعية، وجعل يعامل الناس بحسن السيرة والعدالة، وقد رفع المظالم، وأجرى أمور الشرع الشريف، وظل في الحكم إلى سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٨م) حيث انفصل عنها، ولم يعد إليها.

وكان له من الولد ١٢ ابناً: ضيدان بيك، ظاهر بيك، وعبدالرزاق بيك، وعبدالكريم بيك، وحامد بيك، وعبدالعزيز بيك، وعبدالمحسن باشا(١) وعبدالهادي بيك، وعبدالمجيد بيك، وسعدون بيك، ومحمد بيك. وعبدالرحمن بيك(٢).

(١) عبدالمحسن باشا صار رئيس الوزراء في الحكومة العراقية سنة. ثم بعد استعفائه من منصبه الأول صار رئيس مجلس النواب عام (١٣٤٥هـ -١٩٢٦م). ثم تعين رئيساً لمجلس الأعيان في ٧ جمادى الأولى عام ١٣٤٦هـ (١/ ١١/ ١٩٢٧م). ثم أعيدت له رئاسة الوزراء ببغداد مرة ثانية في ١٨ رجب عام ١٣٤٦هـ (١٠/ ١/ ١٩٢٨م). ثم انتحر في بغداد في ١٢ جمادى الآخرة عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) وهو في منصبه لأمور سياسية. اهـ. مؤلف.

(٢) أغفل النبهاني هنا من أبناء فهد باشا ولدين هما (عبداللطيف، وحمد)، والمجموع ١٤ ولداً. (مشرف الخزانة)

الفريق أحمد باشا

فتعين الفريق أحمد باشا[1] الملقب بـ (أبي دبوس) وكيلاً على لواء المنتفق سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٨م)، فأدار شؤونه، وبقي وكيلاً إلى سنة ١٢٩٧هـ (١٨٧٩م)، حيث ضمن فالح باشا خراج المنتفق كما سيأتي.

---

(١) أحمد باشا هو من البيكات أهل السليمانية أخو عبدالله باشا المتولي على البصرة عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٧م) كما في تاريخها. اهـ. مؤلف.

فالح باشا ابن ناصر باشا - المرة الثانية

وفي سنة ١٢٩٧هـ (١٨٧٩م) ضمن خراج المنتفق فالح باشا بمبلغ مقرر يدفعه سنوياً للحكومة العثمانية، وأخذ بزمام الحكم فيه، وجعل يدير شؤون اللواء حسبما يرام، وكان للمنتفق موضع مخصوص لبيادر الحبوب يسمى (المنشر)، يبعد عن النهر بنحو ١٥ ميلاً، فأمر فالح باشا ربعه وجميع التجار ورؤساء القبائل بتحويل بيادرهم إلى قرب النهر ليسهل نقل الحبوب من طريق النهر، فامتثلوا أمره، ونقلوا بيادرهم إلى الموضع الذي خطه لهم، وهو المسمى اليوم (شطرة المنتفق)، وذلك عام ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م)، كما تقدم ذكر بلدة الشطرة.

وفي مدّته نهبت عشيرة ميّاح باخرة نهرية تتردد بين البصرة وبغداد، وهي ملك لبيت لنج (شركة الملاحة الإنكليزية) التي أسسها في البصرة لنج سنة ١٢٧٨هـ (١٨٦٠م)، فبلّغ مديرها السفارة الإنكليزية بواسطة المعتمد البريطاني، فتذاكرت مع الحكومة في تلك القضية، فأصدرت الحكومة أمرها إلى ناصر باشا السعدون المقيم يومئذ في الآستانة بأن يرسل إلى من يعتمد عليه في العراق بالقيام لإرجاع المنهوب.

فأرسل ناصر باشا بذلك إلى ابنه فالح باشا[1]، وهو كلّف بها ابن عمه سعدون بيك بن منصور باشا، فذهب سعدون بيك إلى عشيرة ميّاح، وأجبرها بإرجاع جميع ما سلبته، وأقنعها بحسن عبارته، بعد أن هددها ببطش الحكومة إذا غضبت، فأسلمته المنهوبات، فأخذها وأعادها إلى بيت لنج، فأرسل فالح باشا بالخبر إلى والده، وهو

---

(١) أعقب فالح باشا ٦ أبناء: عبدالكريم بيك. عبدالله بيك. عقيل بيك. عبدالرزاق بيك. عبدالعزيز بيك. عبداللطيف بيك. اه. مؤلف.

(مشرف الخزانة): ابن فالح الأكبر هو (ثامر) لم يذكره المؤلف بسبب مفردة (أعقب)، وقد قتل ثامر في بغداد في حادثة معروفة خلال حياة أبيه، وأعقب ولداً هو (حمود)، ومات طفلاً، وانفطع عقب ثامر.

رفعه للحكومة، فاستسرّت بذلك، وكافأت سعدون بيك برتبة باشا وأمير الأمراء، وذلك سنة ١٢٩٧هـ (١٨٧٩م)، فدعي سعدون باشا من يومئذ.

إجلاء آل سعدون من أراضيهم

وفي أواخر عام ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) أصدرت الحكومة أمرها إلى تقي الدين باشا والي بغداد بأن يجلي آل سعدون، ومن تبعهم من أراضيهم، وذلك بسبب ما يجريه كل شخص منهم في جهته مما يخالف دعائم الأمن والراحة، فصدع الوالي بالأمر، ووجه الجنود نحو المنتفق تحت قيادة عزت باشا، وأصحب معه جملة من الأعراب.

والتقى بآل سعدون عند نهر محيرقة شمال الحي، ودارت رحى القتال بين الفريقين، وجرت بينهما معركة دموية تسمى (حرب الريّس) اضطر فيها آل سعدون للتقهقر، والظعن من أماكنهم حتى أوغلوا في برّ الشامية غربي العراق، فعادت الجنود إلى مقرها، وكان قد أبلى في هذه الحرب سعدون باشا بلاءً حسناً، وأظهر فيها من الشجاعة والفروسية ما أبهر العقول مع صغر سنه يومئذ بحضور والده منصور باشا.

ومكث المنتفق في بر الشامية نحو شهرين. ثم إن أضدادهم جعلوا يحركون عليهم الأمير ابن رشيد، ويطمعونه في غزوهم، بعد أن أفهموه بأن لدى آل سعدون نقوداً وأموالاً جمة سهلة السلب، فلما علموا بتحفز الأمير ابن رشيد عليهم ظعنوا من موضعهم، وعبروا الشط إلى الحويزة حيث نزلوا بجوار الشيخ مزعل ابن جابر ابن مرداو حاكم خوزستان ملتجئين إليه، فأكرم نزلهم، وظلوا هناك نحو سنتين.[١]

ثم أذنت الحكومة العثمانية لهم بالعود إلى الشامية بشرط أن يستقروا فيها، وأن ليس لهم حق إنشاء إمارتهم السابقة، وإعادتها كما كانت، فرضوا بذلك، وانتقلوا

(١) وفي أثناء عبورهم ولد في الزورق يوسف بن عبدالله بيك ابن منصور باشا، فلقب (حويمي) تصغير حامي لشدة انحدار الماء زمن الربيع، فيقولون (ماء حامي) على اصطلاحهم أي شديد الانحدار، وولد عجيمي باشا ابن سعدون باشا ابن منصور باشا في الحويزة سنة ١٢٩٩هـ، فسمي (عجيمي) بالتصغير لولادته في أرض العجم.

من الحويزة إلى الشامية، واستوطنوها وذلك عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م)، وظلوا هادئين بدون رئيس أو أمير معين يرأسهم.

ثم في عام ١٣٠٤هـ (١٨٨٦م) توفي منصور باشا بن راشد في بغداد، ودفن بجوار ضريح الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وكان قد أعقب ١١ ابناً، وهم: سليمان بيك[١]، عبدالله بيك، فرحان بيك، فهد بيك[٢]، سعود بيك، سعدون باشا، عمر بيك[٣]، حامد بيك، عبدالرحمن بيك، عبدالرزاق بيك، عبدالعزيز بيك.

ثم إن سعدون باشا اشرأبت نفسه للرياسة، فسعى في أسبابها، وجعل يغير ويغزو حتى تريس في الأعراب، كما سيأتي.

(١) سليمان بيك: أبناؤه: عقيل. علي، محمد، سلطان، عبدالعالي، عبدالعزيز، الحاج عبدالرزاق، ناصر، ثامر، عبدالمجيد، عبدالمحسن، وثامر، وقد أعقب علي: (فهد بيك ابن علي بن سليمان). اه. مؤلف.

(٢) فهد بيك أعقب شبلي بيك، وهو أعقب محمداً وحموداً. أه. مؤلف.

(٣) عمر بيك أبناؤه: حمود. عبدالعزيز. فحل. مسير. عبدالله. محمد: اه. مؤلف.

قيام سعدون باشا

لما عاد المنتفق من الحويزة إلى الشامية سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م)، وكان في ضمنهم سعدون باشا بن منصور باشا بن راشد، فنزل هو في موضع يقال له (شط الكار)، وهو متوسط بين الناصرية والشطرة والسماوة، وشرع يشتغل بالزراعة في ملك له هناك، لكنه جعل يكاتب بعض رؤساء العرب في أمور سياسية، ويظهر لهم اقتداره وسطوته، ويتحفز للغزو، فهابته عشائر البدير، وخشوا من أن تسري عليهم سطوته، فجعلوا يحركون عليه بعض عشائر العراق، ويغرونهم على غزوه، ويلقون العداوة والبغضاء بينهما، حتى ثارت عليه بعض العشائر، وحصل بينه وبينهم عدة معارك تفوق فيها سعدون باشا أخيراً، واغتصب قسماً من أراضيهم، وبنى فيها مخافر كالقلاع الصغار، ووضع فيها أناساً من قبله، وأمرهم بزرع تلك الأراضي، وله جُعل مقرر من ريعها، وبقي على تلك الحالة مدة، وهو يظهر قوته، وتحفزه على كل من يعارضه، أو يعارض من لجأ إليه.

ثم أنه حصل من بعض العشائر القاطنة في داخل الجزيرة عصيان على الحكومة العثمانية، وامتنعوا عن دفع الخراج المعتاد، فأصدرت الحكومة أمرها إلى سعدون باشا بأن يجمع الخراج (الزكاة) من تلك العشائر، فلبى طلبها، وسار إليهم بجموعه، وأرغمهم بدفع جميع ما فرض عليهم من الخراج، ومهد الأمور للحكومة العثمانية.

وبعد ذلك جعلت الحكومة تستوفي الضرائب جميعها بنفسها بواسطة بعض الموظفين، ينتقلون من عشيرة إلى أخرى، ومعهم قسم من الجنود للمحافظة، وإظهاراً للقوة.

ثم بعد مدة رجعت العشائر إلى العصيان مرة ثانية، وامتنعت من أداء الزكاة، فساقت الحكومة نحوها الجنود من بغداد تحت قيادة حميد باشا، فمشى بالقوة، وأتى إلى مكان العصاة، وأدب قسماً منهم، ولكنه لم يتمكن من إتمام ما بدأ حسبما يرام، فأرسل إلى سعدون باشا يأمره بإرغام بقية العشائر العاصية على الرضوخ لأوامر الدولة، فامتنع سعدون باشا من تنفيذ أوامر القائد، لأنه أتى في قوله من باب الأمر لا من باب المساعدة والالتماس. لأن سعدون باشا كان يرى نفسه يومئذ هو الحاكم والأمير المطلق في لواء المنتفق، ويود أن لو أرسلت الحكومة إليه رسمياً بجلب الزكاة، ليمتاز فضله واقتداره أمام العشائر، ولما امتنع من تنفيذ أوامر الوالي حصل بينهما جدال أدى إلى التباغض، وجعل كل واحد منهما يكتب إلى الدولة سوء سلوك صاحبه.

ثم إن سعدون باشا أدرك من قرائن الأحوال بأن حميد باشا أفهم الدولة بأن سبب عصيان العشائر هو ناشئ من تحريكات سعدون باشا، ولما ترجح لديه ما خالج ضميره، ظعن من محله متباعداً عن تلك العشائر لئلا ينسب إليه شيء من التهم، ونزل في الشامية لعله سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٨م)، وجعل مقره في الموضع المسمى[١] (شقرا)، وأنشأ فيها قصراً مشيداً. ثم سكنه.

فازدادت أهمية سعدون باشا لدى العشائر، وهابته، فخضعت له غالب الأعراب من حدود النجف إلى حدود الكويت، وفرض على الرعاة وبعض العشائر خراجاً يستوفيه منهم جبراً. ثم بعد يسير من الزمن جعلت العشائر الرحل تؤدي له الزكاة طائعة بنفسها خوفاً من غاراته المتوالية، وتأميناً لها من غزوات بعض عشائر المنتفق، لأنهم إذا انتسبوا إليه يكفّون عنهم.

ثم لما استفحل أمر سعدون باشا صار يشن الغارات في شمال داخل جزيرة العرب على حدود عشائر سورية إلى أطراف نجد جنوباً، فنشأت له سطوة وهيبة عظمى بين الأعراب، فغاظ ذلك الأمير ابن رشيد لتفوقه على غالب العشائر التي كانت خاضعة

(١) شقرا هي غير شقرا التي في داخل نجد. اهـ. مؤلف.

لآل رشيد، لا سيما وأن الأمير ابن رشيد كان هو الآمر والناهي في داخل الجزيرة، وله مرتبة عظمى عند الدولة العثمانية، ولما رأى المزاحمة لم تزل تنمو من جهة سعدون باشا مشى عليه بجموعه الشمّرية ليكسر شوكته، ويضعف قوته، وحصلت بينهما وقعة الخميسية. ثم وقعة تليل جبارة، كما سيأتي.

وقعة الخميسية -وقعة تليل جبارة

ففي سنة ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) زحف الأمير عبدالعزيز ابن متعب الرشيد نحو سعدون باشا، وهاجمه عند تل اللحم، وجرت بينهما معركة دموية انكسر فيها سعدون باشا، واحتل ابن رشيد منه بلدة الخميسية، واستقام بها بضعة أيام.

وفي تلك المدة جعل سعدون باشا يلم شعث قومه، ويؤلف فلول ربعه حتى تم له الأمر كما أراد، فمشى بالعشائر والأعراب نحو الخميسية حتى نزل الموضع المسمى (تليل جبارة)، فبرز له الأمير ابن رشيد هناك، ودارت بينهما رحى القتال ثلاثة أيام، والحرب بينهما سجال. ثم حمل المنتفق حملة رجل واحد، فأسفرت بفوز سعدون باشا، واسترجاعه الخميسية، فاضطر الأمير ابن رشيد لمبارحة تلك الأصقاع.

وتسمى هاتان الوقعتان، الأولى منهما وقعة الخميسية، والثانية وقعة تليل جبارة، وذلك عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م)، كما في تاريخ آل رشيد.

وجعلت جموع سعدون باشا تطارد عشائر شمَّر حتى أبعدوهم إلى أطراف السماوة، وبعد استقرار سعدون باشا اتفق مع رؤساء عشائره على تعقيب عشائر شمّر، حيثما يجدوهم يضربوهم، من حدود النجف إلى أطراف الكويت، حتى منعوهم من مسابلة أطراف العراق، ومن يومئذ نشأت العداوة بين آل سعدون وآل رشيد.

وقعة الطرفية أو حرب الصريف

وفي عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) لما زحف الشيخ مبارك آل صباح بجموعه نحو الشمال قاصداً الأمير عبدالعزيز الرشيد، استنجد بسعدون باشا، فأقبل إليه بعشائر المنتفق، وكان قبل ممشاه أرسل إليه الأمير ابن رشيد رسولاً، وهو سالم بن حمود الرشيد يطلب منه البقاء على الحياد، فلم يرض سعدون باشا بذلك، بل رفض الحياد، وصمم على الحرب بجانب آل صباح لأنه كان قد عقد اتفاقاً بالصداقة والوداد مع آل صباح وآل سعود، فما أمكنه نقض الاتفاق.

ولما التقى الجمعان عند الموضع المسمى (الطرفية)، وتقاتلا قتالاً شديداً أسفر عن انكسار آل صباح، وتمزق جموعهم، كما في تاريخ آل رشيد، وقد قُتل في هذه المعركة عبدالله بن منصور آل سعدون وابنه حمود.

ثم في سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) سعى السياسيون أهل الصلاح بين الأميرين بالصلح حتى تم بينهما. ثم بعد ذلك سعى الأمير ابن رشيد في الطلب من الحكومة العثمانية بأن تجري معاشاً شهرياً لسعدون باشا، فوافقت على ذلك، وأجرت له راتباً شهرياً، فجعل سعدون باشا يتقاضاه من تلك السنة إلى أن توفي.

الحوادث الحاصلة في مدة إمارة سعدون باشا

وفي سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م) عبر سعدون باشا إلى الجزيرة، من عند مقاطعة الفريجي شمال الناصرية على مسافة ٣ أميال منها، بقصد الاطلاع على أملاك له في قضاء الحي في مقاطعة عقيل ليصلح بعض جداولها، فهابته الحكومة، وأرسلت تتذاكر معه في سبب عبوره، فأفاد بأن ليس له مقصد سوى تصليح بعض جداول أملاكه.

ثم سار مستقيماً في طريقه حتى وصل أطراف الشطرة، فلما بلغه هناك بأن الأهالي تشوشت من مجيئه، وشوشت أفكار الحكومة، أعرض عن المسير إلى أملاكه، وأرسل أناساً من قبله يأتونه بريع أملاكه مع قسم من الضأن، ولما عادت الرسل بما طلب، عارضتهم في الطريق فخيذة من عشيرة عبودة، وسلبتهم جميع ما جاءوا به.

وكان سعدون باشا نازلاً في موضع يقال له (الحمزة)، فأرسل كاتبه السيد عبدالمجيد بن السيد محمد الكروي إلى مركز الحكومة في الشطرة، يخبرها بما حصل من عشيرة عبودة، ويطلب إرغامها على إرجاع ما نهبته، فوجهت الحكومة بعض رجالها لإعادة المنهوبات، فجاؤوا بها إلى صرح الحكومة، فثارت عشيرة عبودة ثورة عامة على سعدون باشا، وجعلت تنشر أعلامها، وتمر من وسط البلدة، كل فرقة تحت لوائها، ولما شاهد السيد عبدالمجيد كاتب سعدون باشا المذكور تحزبات تلك العشيرة امتنع من استلام المنهوبات، والتحق بنفسه إلى سعدون باشا، تاركاً المنهوبات عند الحكومة، وأخبر رئيسه باستحصالها، ولكنه خشي من استلامها لئلا تغتصبها منه عشيرة عبودة عند عودته إلى سعدون باشا.

ولما علم سعدون باشا بأن تلك العشيرة قد أفهمت الحكومة عنه خلاف الواقع، وحركتها عليه. أعرض عن المسير إلى الجهة التي كان قاصدها إكراماً للحكومة، وعاد إلى طريق آخر، وعبر الشط إلى جهة البدعة بقصد التغريب إلى أراضيه، وسرى ليلته حتى الزوال من الغد. ثم نزل، فخيم في غسال (موضع يبعد نحو ١٠ أميال عن الشطرة)، بقصد الاستراحة وتناول الطعام. ثم يرتحل.

فاغتنمت عشيرة عبودة تلك الفرصة، وأفهمت محمد زلام أفندي الذي كان وكيل الطابور، والموزع العسكري بأن نزول سعدون باشا في ذلك المحل لمكيدة، فساق محمد زلام نحوه جانباً من العساكر، وعبر بها مع العشائر إلى تلك الجهة، فما شعر سعدون باشا إلا بعشائر عبودة تطلق عليه الرصاص مع الجنود، وهو غافل، فجاوبها بالمثل، فانهزمت العشائر تاركة الجنود هدفاً في ميدان الوغى، فسحقها رصاص سعدون باشا، وكان عددهم ١٦٠ نفراً مع الضباط يقودهم محمد زلام، فقتل هو وإياهم، ولم ينج منهم سوى خمسة أشخاص فقط.

ثم بعد ذلك ارتحل سعدون باشا من ذلك المحل، ونزل عند صدر البدع، قريباً من الشطرة على مسافة نحو ميل منها، ليظهر الثبات والشجاعة، لأن قلطاه أفهموه بأن ارتحاله وتبعده من تلك الجهة بسرعة يعد جبناً منه، فتسقط هيبته بين العرب، فخيم هناك بقصد أن يتتبع رؤساء عشائر عبودة التي حركت الحكومة عليه حتى اضطر لمقاتلة جنود دولته.

فأوجست أهالي الشطرة خيفة في نفسها، فبعثت إليه جماعة من أشراف البلدة وأعيانها مع قسم من رجال الحكومة، وساروا نحو سعدون باشا يلتمسون منه العفو والأمان على البلدة وأهلها، وأن الذي جرى ليس برضائهم، ولا باختيارهم، فأجاب طلبهم، وأمّن روعهم، واعتذر لهم بأنه لم يقصد حرباً، ولكن لما تجاسرت الأعراب عليه ضربها مدافعة عن نفسه، وكان في ضمنهم العساكر، فأصابها رصاص بنادقه عن غير قصد منه. ثم ارتحل من محله إكراماً لهم متجهاً نحو شط الفرات بقصد العبور إلى الشامية، وأمسى على حافة الفرات، فبات هناك.

وكان لما بلغ الحكومة قتل عساكرها أمام سعدون باشا أرسلت خلفه جنوداً أخرى تحت قيادة محمد فاضل باشا الداغستاني، فعبر الفرات حتى أدرك سعدون باشا، وهو نازل على مشرعة النقيب في مقاطعة القطيعة، فأمر الجنود بإطلاق الرصاص عليه، وكان في الجانب الآخر من الشط، فما جاوبها سعدون باشا تأنياً منه في تلك الليلة، وعند الصباح عبر هو وقومه إلى بر الشامية (أراضيه)، فعادت العساكر مع قائدها إلى مقرها.

ثم أن سعدون باشا تأهب لمقاومة دولته، ونقل عائلته وحواشيه، وظعن بهم من الشامية ميمماً الجنوب، حتى أنزلهم في فنيطيس (جنوب الكويت)، وأمرهم بالمكث هناك.

ثم قفل راجعاً بقومه نحو العراق، وصار يشن الغارات على ولاية البصرة حتى تقرب من القرى والنواحي المجاورة لمدينة البصرة، بل إنه سلب ذات مرة إبلاً محملة أثاثاً من البصرة إلى الزبير لآل منديل، وكذلك سار بنفسه مع قسم من أعرابه إلى ناحية البطيحة، وأوقد في بيوتها النار فأحرقها. ثم عرج إلى الناصرية، فأغار على أطرافها، واستمر على العيث في نواحي البصرة والناصرية مدة.

فأرسلت الحكومة العثمانية نحوه جنوداً مرة ثالثة لتعقبه تحت قيادة محمد فاضل باشا الداغستاني أيضاً في سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م)، وكان مع الجنود قسم من العشائر تحت رياسة ابني عمه (فالح باشا ومزعل باشا ابني ناصر باشا بن راشد السعدون)، وخرج الكل في طلبه حتى خيموا قرب البصرة في موضع يقال له (ديم خزام) غربي الزبير على مسافة نصف ميل.

ثم ذهبت الطلائع تستكشف مقره، فلم تعثر له على أثر، لأنه كان متنقلاً في البراري، ولما لم تجد له مقراً، ولا موضعاً معيناً رجعت الجنود مع العشائر من حيث أتت.

وبعد عودة فالح باشا إلى مقره مدحه ظاهر أبو ذراع رئيس قبيلة الصمدة (من

الضفير) بقصيدة نبطية حثه فيها على التريس على المنتفق، وجاء فيها:

ديـرتـك تـو مـا تـفـتـحـت بيبانها هـمـيـلـتـك جـتـك تخـط بـرسـانهـا
سـفـيـنـتـك تـفـلّـشـت تـنـخـاك يا سـكّـانهـا[١]

فلما بلغ سعدون باشا ذلك أجابهم بقصيدة مخاطباً بها محمد فاضل باشا، ومطلعها:

مـن الـبـصـرة الـفـيـحـا وشمـال بـيـدي أسـعـرت نـيرانهـا
يا باشـا لابـتي الـلـي مـعـك افـهـم تـراني حـصـانهـا[٢]

وظل سعدون باشا مستمراً على العبث في أطراف العراق إلى أن جاءه من السلطان عبدالحميد الثاني العفو السلطاني في أواخر عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م)، فأمن جانبه، وهدأ من الفتن، وأعاد أهله وعائلته إلى مقره في الشامية.

وإن الساعي بالصلح بين سعدون باشا والدولة العثمانية هو الأمير عبدالعزيز الرشيد، وذلك لأن سعدون باشا لما ضاقت عليه المسالك، وقلّت وارداته، أرسل إلى الأمير ابن رشيد قائلاً له: (إنه لم يبق عندي إلا الخف والحافر، فإما أن تسعى بالصلح بيني وبين الدولة العثمانية، وإلا وطأت أرضك بما عندي من القوة وطأة متهالك، ولا لوم عليَّ في ذلك، فقد أنذرتك)، فدفعاً للشر سعى الأمير ابن رشيد في المذاكرة مع الدولة لما يعلمه من شجاعة سعدون باشا وبسالة أنجاله، إلى أن صدر العفو عنه، وأجرى له الراتب الشهري، كما في تاريخ آل رشيد.

ثم في صيف تلك السنة (١٣٢٢هـ) نزل في مقاطعة الصخرية، متوسطاً بين عشائر الحسينات والغزّي، فأساءت نزله، وتجرأت عليه استخفافاً به، فضربهم ضربة شعواء حتى أخضعهم لأوامره، فهابته جميع الأعراب، وعلمت بأنه لا يزال ذا قوة

---

(١) هميلتك أي فرسك. تفلشت بمعنى تهدمت وتفككت أوصالها. (المؤلف).

(٢) لابتي أي بني عمي لأن اللابة مأخوذة من قولهم حسب لباب أي خالص. اه. مؤلف.

واقتـدار.

كرم سعدون باشا ونشوء عداوته مع آل صباح

كان في أواخر سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) حصل في نجد جدب ومحل، فانحدرت بعض العشائر إلى السواحل، وإلى مدن العراق لتكتال منها، وكان من جملة من انحدر إلى العراق قسم من عشائر شمر تقلهم نحو ١٥٠٠ بعير، يرأسهم ابن سعيّد (أحد زعماء شمر)، وسار حتى نزل بقومه وافداً على سعدون باشا (عدوهم الألد) عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م)، وشكا له حال ما أصاب شمر من الضرر الحاصل من القحط، وطلب منه يوماً من عفو العرب، بمقدار ما يكتال هو وقومه، فرقّ قلب سعدون باشا لهم، ومنحهم العفو، وسمح لهم بالذهاب إلى الخميسية، والاكتيال منها شراء بدراهمهم، وإنما العفو كان تكرماً وشهامة، وإلا فيمكنه الانتقام منهم، وأصحب معهم رجلين من قومه، وهما (مسعد بن عون من عشيرة الفضول، وفرحان البلبوص من عشيرة بني ركاب)، لتعليم العشائر والأعراب بأنهم من دخلاء سعدون باشا.

وبعد أن اكتالوا وخرجوا من الخميسية، ووصلوا الموضع المسمى (دافنة)، عارضتهم سرية من أعراب الكويت بأمر آل صباح، يقودها نافع بن ضويحي مع جملة من عشيرته وأعرابه[1]، وكان عدد السرية كلها نحو ٨٠٠ خيال، ونحو ١٠٠٠ هجّان، فنهبت تلك القافلة الشمرية، وسلبتها جميع ما لديها.

فذهب رسولا سعدون باشا إلى ابن ضويحي، وأخبراه بأن هذه القافلة هي في حماية سعدون باشا، فلم يلتفت إلى قولهما، فعكفا حالاً راجعين إلى سعدون باشا،

(١) عشيرة آل ضويحي هي من الضفير. ثم انفصلت عنها، ونزلت بجوار آل صباح للأسباب المبينة في داخل الأصل. اه. مؤلف.

وأخبراه بما حصل، فبادر سعدون باشا في استنفار قومه، وذهب بهم في أثر السرية حتى أدركها عند أرض يقال لها (أرض الركي والردايف)، وأطلق عليهم نيران بنادقه.

وعند اللقاء تقدم عجيمي باشا أمام جموع والده، وهاجم البغاة، وجعل يطاردهم حتى تمكن من أسر رئيسهم نافع بن ضويحي، وأتى به إلى والده سعدون باشا، فهمّ بقتله، فتشفّع فيه ابن أخيه الأكبر سمير بيك بن عبدالله بيك ابن منصور باشا، فعفا عن قتله إكراماً لابن أخيه.

كما وإننا لا ننسى فضل عجيمي باشا الذي كان هو الساعد الأعظم في تعضيد والده، وإذاعة شهرته حتى أرغمهم إلى التخلي عن المنهوبات، بل تمكن من سلبهم نحو ٣٠٠ ذلول، وقسماً مهماً من البنادق، وعاد إلى مقره، وأسلم القافلة إلى أهلها كما هي، وأرسل معهم ابنه حمد بيك حتى أوصلهم مأمنهم.

ومن يومئذ نشأت العداوة بين آل صباح وآل سعدون، وانتفض الاتفاق المعقود بينهما.

أما سبب إغارة تلك السرية بأمر صباح على تلك العشيرة، فهو أمران:

(أولاً) أن سعدون باشا أعطى تلك العشيرة الشمَّرية (الدخالة) بدون علم آل صباح، لأنه كان قد عقد اتفاقاً مع آل صباح على مناوأة عشائر شمر ضداً في آل رشيد حكام حائل.

(ثانياً) إن عشيرة آل ضويحي لما كانت منضمة إلى الضفير، وكلاهما تحت زعامة سعدون باشا، فحصل بين آل ضويحي[1] وآل سويط زعماء الضفير خاصة اختلاف شديد أدى إلى مشق الحسام، فكان سعدون باشا معاضداً لآل سويط حتى تفوقوا، وطردوا آل ضويحي من أراضيهم، فلجأوا إلى آل صباح حكام الكويت، واتفقوا معهم ضد آل سعدون، فمن أجل ذا هاجموا العشيرة الملتجئة إلى سعدون باشا.

(١) آل ضويحي بيت من آل سويط، والخلاف داخلي بين بيت المشيخة في الظفير. (مشرف الخزانة).

ثم بعد وقعة (الركي والردايف) أرسل الشيخ مبارك الصباح من قبله (السيد خلف باشا النقيب) يعتذر إليه، ويلتمس منه إرجاع الركاب المنهوبة من آل ضويحي وأعراب الكويت، قائلاً: بأن الشيخ مبارك لم يكن عنده علم بأن تلك القافلة هي سائرة بدخالة سعدون باشا، فقبل المعذرة سعدون باشا، وأعاد إليه ما سلبه شهامة وكرماً، ولكن الشيخ مبارك كان قد حقد على آل سعدون حتى شرع في أسباب إضعاف قوتهم المعنوية التي أغاظته، بل ربما هددت مركزه لاستفحال أمر سعدون باشا يومئذ.

غزوة ثامر بيك على النوري بن شعلان ثم غزوة والده

وفي سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) غزا ثامر بيك ابن سعدون باشا أعراب الشام، قوم النوري بن شعلان شيخ قبيلة الرولة، فلم يتوفق، فعاد من حيث أتى.

فجمع والده الجموع، وسار يقودها بنفسه سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) نحو أعراب الشام للأخذ بثأر ابنه ثامر الذي كسروه في العام الماضي، وغنموا منه مغانم كثيرة، فمر سعدون باشا أثناء سيره على عشائر فهد بيك بن عبدالمحسن الهذّال، وفهد بن دغيم الهذّال، فرحّبا به، هما ورؤساء قومهما، ولم يظهر له منهما خلاف أو علائم حقد، فاطمأن خاطره.

ثم لما بارحهما متجهاً نحو النوري بن شعلان تغير فكرهما، وعزما على قطع خط الرجعة عليه أو مهاجمته، وذلك لما رأوه من ثباته المتناهي، فأمر بتجمع عشائر عنزة، زعيمهم يومئذ فهد بيك[١] ابن عبدالمحسن الهذّال، فالتفت حوله من عشائره: (العمارات[٢]، والسبعة، والفدعان[٣]، والقمصة[٤]، والدهامشة، والصقور).

(١) فهد بيك الهذال. كان قد انتخب مندوباً عن قبيلته في المجلس التأسيسي العراقي سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٤م). (المؤلف).

(٢) العمارات فخيذة من عنزة والزعامة فيهم في آل هذّال، ومساكنهم ممتدة على شاطئ الفرات شمالاً عن كربلا إلى عانة وأبي كمال وفي الأودية الكائنة غربي كربلا، وتقدر هذه الفخيذة بنحو ٥٠٠٠ خباء ومضرب، وغالب مسابلتهم واكتيالهم من (الرزازة. وخان البغدادي. وشثاثاً. وكربلا). (المؤلف).

(٣) الفدعان فخيذة من عنزة أيضاً تتجول بين حلب ودير الزور على حافتي الفرات. اه. مؤلف.

(٤) القمصة فرع من السبعة السالف ذكرهم. (مشرف الخزانة).

وانضم إليهم من عشائر العراق: كبشة واليعاقيب والغزالات والزيّاد، واتفق الكل على محاربته، لأن تغاضيهم عنه، ومروره على أرضهم لحرب النوري، مما يحط بقدرهم، فيصبحون مستضعفين بين الأعراب المجاورة لهم، كما وأن مرور سعدون باشا على أراضيهم يعد مساعدة له على جارهم النوري بن شعلان، فتنشأ عداوة جديدة بينهما، ويظلون في موقف حرج من الجانبين، فلذا قرروا المشي خلف سعدون باشا.

وعندما هاجم سعدون باشا عشائر الشام، وتواقع معهم، لم يشعر إلا وعشائر عنزة تهاجمه من الخلف، فترك حرب النوري، وعكف بقوة بأس ويأس على عشائر عنزة، وجرت بينهما معركة عنيفة انهزم فيها سعدون باشا، واضطر للتقهقر، والرجوع إلى مقره في العراق مغلوباً.

وقد قتل في هذه المعركة متعب بن فهد بيك الهذّال، ومن عشائر الشام نحو ٢٠٥، وقتل من ربع آل سعدون طعمة بن عبدالعزيز الروضان الشبيبي، ونحو ٧٠ شخصاً من عشائرهم وعشائر الضفير.

وكان لما وصل سعدون باشا دياره مكسوراً، بلغه وهو نازل بأرض يقال لها (الجريبعات) بأن الشيخ مبارك آل صباح والأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود قادمان عليه بجموعهما، لما بلغهما خبر انكساره أمام عرب الشام وعنزة، فقد كانا يترقبانه، فبادرهما سعدون باشا بالمسير نحوهما حتى تصادم معهما، وكسرهما في (وقعة هدية)، كما سيأتي تفصيل ذلك.

سبب وقعة هدية

أسبابها متنوعة، ومصادرها مختلفة، ومعظم ما اتفقت عليه الأخبار هو أن نجماً بن عبدالله السعدون[١] انفلت منه طير (صقر)، فبلغه بأن ذلك الطير اصطاده رجل من عشيرة عريب دار[٢] التابعة لآل صباح، والنازلة عند الجهرة من قرى الكويت، فأرسل المذكور يطلب طيره من الشخص الذي اصطاده، فأبى تسليمه، وحصل بينه وبين الرسول مشاجرة أفضت إلى قتل الرسول.

ثم ذهب القاتل، والتجأ بالشيخ جابر بن مبارك الصباح، فأجاره ضداً في آل سعدون، لأن العداوة ناشئة بينهما من سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م)، كما تقدم.

ولما بلغ سعدون باشا خبر قتل الرسول جرّد جموعه، ومشى بها نحو عشيرة القاتل، وأوقع بهم أخذاً للثأر، وسلب منهم ما نالته يده، وانصرف راجعاً نحو مقره، وذلك في أواخر سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م)، وعندما طرق مسمع الشيخ مبارك الصباح ما أجراه سعدون باشا أرسل يؤنبه، ويطلب منه إرجاع ما سلبه من عشيرة عريب دار، فجمع سعدون باشا شيئاً قليلاً من المنهوبات، وأرجعه إلى الشيخ مبارك، وأرسل يعتذر منه قائلاً بأنه لم يكن قاصداً بالفعل عريب دار في غزوته هذه، وإنما عثر فيها من غير قصد أثناء سيره، فأوقع بها، وإنما كان قصده في الحقيقة فصيلة من عشائر مطير.

ثم أن سعدون باشا لم يكتف بالمكاتبة، بل وجه أناساً من قبله إلى الكويت

(١) هو ابن أخ سعدون باشا، وأبوه عبدالله قتل في معركة الصريف، وقتل نجم في معركة مع الظفير بعد هدية بعام واحد، وليست له ذرية. (مشرف الخزانة).

(٢) عريب دار ليسوا عشيرة، بل هو اصطلاح يطلق على العشائر المتنوعة المقيمة قرب مدينة الكويت. (مشرف الخزانة).

ليشرحوا شفاهياً للشيخ مبارك ما اعتذر به سعدون باشا، ويطلبوا منه المصالحة، وعدم الحقد والتضاغن، ولكن الشيخ مبارك كان قد أصر على حربه لانتصارات سعدون باشا المتوالية، وثبات جأشه عند الهزيمة، وهما من الأمور المهمة عند السياسيين، فيخشى منه.

وبعد أن أرسل سعدون باشا رسله إلى الكويت، توجه بجموعه لحرب النوري بن شعلان كما تقدم، ولما رجع مغلوباً إلى دياره وجد رسله عائدة من الكويت، ومخبرة برفض الشيخ مبارك للصلح، وأنه قادم نحو المنتفق بالجموع الكويتية.

وكان الأمير عبدالعزيز السعود في تلك الأيام نازلاً على الصمّان، وهو اسم موضع يبعد عن الكويت بنحو ٤ مراحل[١]، فحضر وقابل الشيخ مبارك، وعرض عليه المساعدة، واتفق معه على حرب المنتفق.

ثم خرجت الجموع من الكويت تحت قيادة الشيخ جابر بن مبارك الصباح، ومعه الأمير عبدالعزيز السعود، ولما بعدا عن الكويت بمرحلتين اختلفا على القيادة العامة ووجهتها، لأن الأمير عبدالعزيز يريد الغزو بهذه الجموع المهمة نحو الأمير ابن رشيد الذي بهرته انتصاراته المتوالية على الأعراب، وترفع شأنه عند الدولة العثمانية، فأصبح يخشى من هجماته على القصيم وغيره.

وأما الشيخ جابر الصباح فكان يقصد بتلك الجموع الجرارة الزحف نحو سعدون باشا الذي غزا عريب دار، وخفر ذمة آل صباح، فلما تباينت آراؤهما، واختلفت مقاصدهما، اضطر إلى أن يكتبا إلى الشيخ مبارك بما حصل، ويستشيراه في الأمر، فأجابهما بأن يكون ابنه جابر هو القائد العام لتلك الحملة، وأن يسيرا معاً نحو المنتفق، فامتثلا أمره، وسارا نحو سعدون، وجرت بين الفريقين وقعة هدية.

(١) الصمّان: صحراء واسعة شمال شرق نجد. (مشرف الخزانة).

وقعة هدية أو حرب الطوال

وكان لما بلغ سعدون باشا قدوم آل صباح نحوه بعد عودته مكسوراً من الشام بادر في الحال بالمسير نحو الكويتيين قبل أن يَطأوا دياره ليفاجئهم على غرة، وهم لا يشعرون، فنجح في خطته هذه، وسار بمن بقي من فلول جموعه، وكان عددهم كما يأتي:

٧٠: من آل سعدون مع خدمهم، وانضم لهم لفيف من (الجشعم)، مع رئيسهم يومئذ عبعوب بن ياسر الثويني.

٢٦٠: من السوالم (آل حميد)، منهم ٦٠ خيالة، و٢٠٠ مشاة. يرأسهم زعيمهم منيخر بن مرشد.

٥٢: من البدور ١٢ خيالة، و٤٠ مشاة، ورئيسهما ذياب بن شحم وعباس بن عشيش.

١٢٠: من الضفير، كلهم خيالة. يرأسهم حمود بن نايف بن سلطان بن سويط.

٥٠٢: الجملة.

وكان مع الكل قسم من بني خالد يرأسهم سلمان المنديل، ومن الصمدة (وهم فخيذة من الضفير) يرأسهم ظاهر أبو ذراع، ومشى الكل حتى نزلوا أرضاً يقال لها (الجريبعات).

وأما جموع أهل الكويت الزاحفة للحرب، فالحضر منهم تحت قيادة جابر بن

مبارك الصباح، والبدو تحت رياسة علي بن خليفة الصباح، وأهل نجد تحت قيادة زعيمهم الأمير عبدالعزيز السعود.

فالتقى الجمعان في ربيع الأول عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) في أرض يقال لها (جريبعات الطوال)، ودارت بينهما رحى القتال، وحمى وطيس الحرب، فلم تمض إلا ساعات من النهار حتى انهزمت الجموع الكويتية، وأخذت بالفرار، فاقتفتها فرسان المنتفق تثخن فيهم القتل حتى ألجأتهم إلى ترك الذخائر والأثقال مع قسم مهم من الأنعام، فغنمها آل سعدون مع عشائرهم، وسموا هذه المعركة (وقعة هدية) لكثرة ما غنموه من الكويتيين بغير أذية، كما في تاريخ الكويت.

فيقال أن حصة سعدون باشا من تلك الغنيمة ٥٠٠ بعير، وقد قتل من عشائر الكويت نحو ٣٣٨ رجلاً، وقيل أكثر.

وقتل من ربع سعدون باشا خمسة، ومن الجشعم أربعة، ومن الضفير سبعة، ومن البدور اثنان، ومن (القلطة) ليل بن هتيمي المنديل، وأما الجرحى فكثيرون.

وكان قد أمر سعدون باشا أعرابه عند هزيمة أضدادهم بأن لا يقتلوا أسيراً، ولا يحملوا على الجريح، فامتثلوا أمره، ولما انتهت المعركة جمع سعدون باشا الأسراء، وأرسلهم إلى الكويت بعد أن أكرمهم، ورد لبعض أشخاص منهم سلبهم، وبهذه المكرمة نال سعدون باشا الثناء الجميل من القريب والبعيد. ثم من بعد هذه الواقعة عكفت غالب العشائر على سعدون باشا، واتفقوا معه، فتقوى مركزه.

فحنق لذلك الشيخ مبارك الصباح، وجعل يستعد لحملة أخرى، وأرسل الأمير عبدالعزيز السعود يطلب أمداداً من نجد ومن أهل القصيم ليؤلفا جموعاً قوية لا تقهر.

وأما سعدون باشا، فكانت القوة متوفرة لديه لما ناله من تلك المغانم، وهو ثمل بنشوة النصر والظفر الذي أحرزه، وعلاوة على ذلك فقد جدد اتفاقه مع الأمير ابن رشيد على حرب كل مهاجم لهما.

وفي ٢٠ رجب عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) أيضاً نزلت عشائر الضفير (الرميلة)، وهو اسم موضع يبعد عن قصبة الزبير بنحو ٣٠ ميلاً، فهابهم آل صباح، وخشوا من أن يهاجموا الكويت لتوفر عددهم، فأرسل حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح لهم سراً يستميلهم إليه، ويطلبهم إلى الانضمام له، والدخول تحت رايته ليكونوا معه ضد آل سعدون، فأبوا من أن ينقضوا اتفاقهم مع سعدون باشا، فلما يئس من استمالتهم أوعز إلى أتباعه من قبيلتي الرشايدة والعوازم المنبثين بين الزبير والكويت بأن يقطعوا الطرق على قوافل الضفير التي تسابل الزبير، وتمتار منه، فصدعوا بالأمر، وجعلوا ينهبون ما تطرف من قوافل الضفير.

ولما رأى الضفير تتابع الغارات عليهم أرسلوا إلى سعدون باشا يستقدمونه ليغزو بهم على العشائر الموالية لآل صباح، فتوجه إليهم سعدون باشا بجموعه حتى نزل موضعاً يبعد عن الكويت بنحو ٥٠ ميلاً.

وعندما علم والي البصرة حسين جلال بيك بمسير سعدون باشا نحو الكويت كره سفك الدماء بين المسلمين، واستصدر قراراً من مجلس إدارة ولاية البصرة بإرسال أحمد چلبي الصانع، ومعه بعض الأعيان للإصلاح بين آل صباح وآل سعدون، فتوجه الوفد لذلك، وفي غرة عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م) تم الصلح بين الطرفين على ما يرام، وفي ٢٧ محرم من العام المذكور أرسل الشيخ مبارك الصباح صحبة الوفد كتابين أحدهما لوالي البصرة، والآخر لسعدون باشا يتضمنان قبوله الصلح، كما في تاريخ الكويت.

فكافأت الحكومة العثمانية أحمد چلبي برتبة (باشا)، فدعي أحمد باشا الصانع.[١]

وكان قبل إتمام الصلح حصل اختلاف بين الضفير وسعدون باشا أدى إلى سرعة قبول سعدون باشا الصلح مع آل صباح بدون شروط، وذلك كما سيأتي.

---

(١) أحمد باشا بن عبدالعزيز الصانع. هو الذي تعين متصرفاً على البصرة زمن الحكومة العراقية من ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٣٩هـ (٣٠ ك٢ ١٩٢١م)، وبقي إلى ٢٥ رجب عام ١٣٤٥هـ (٢٩ ك٢ ١٩٢٧م)، حيث تعين بدله علي جودة بيك متصرفاً على البصرة، كما في تاريخها. اه. مؤلف.

الخلاف الحاصل بين الضفير وسعدون

سببه أنه في عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م) لما نزل سعدون باشا في الموضع المسمى (الروضتين) مع عشائره، كما تقدم، وكان معه غالب عشائر الضفير. ثم أن فخيذة منها ترفعت مع رئيسها نافع الضويحي إلى مسافة ستة أميال طلباً للكلأ، حيث إنه حصل في تلك السنة جدب ومَحْلٌ لقلة الأمطار، فضعفت خيلهم وأنعامهم، وكان سعدون باشا لم يعلم سبب نجعهم، فأرسل في أثرهم ابنه ثامر بيك ليرجعهم.

وعندما وصلهم بادر بإطلاق الرصاص على رعاة إبلهم، فقابلوه بالمثل لأنهم لم يعرفوا بأنه ابن سعدون باشا، فقتل من رجال ثامر (شخص ضفيري)، فعكف راجعاً إلى أبيه، وأخبره بما حصل، فعجّل سعدون باشا بقبول الصلح مع آل صباح قبل أن يشعروا بالقضية، فيشددوا عليه شروط الصلح لأن المذاكرة فيه كانت جارية بين الطرفين أثناء تلك المدة التي ذهب فيها ثامر بيك إلى الضفير، فتم الصلح بينهما عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م) كما تقدم بواسطة والي البصرة، كما في تاريخها.

ثم إن سعدون باشا أرسل إلى حليفه الأمير ابن رشيد يخبره بما اقترفه آل ضويحي، وطلب النجدة على الانتقام منهم، وتأديبهم لتجرئهم على ابنه برمي الرصاص، ولكونهم ألجأوه لقبول الصلح مع آل صباح بدون شروط مرضية خوفاً من فشو عصيانهم.

ثم ارتحل سعدون باشا من مخيمه مظهراً الرجوع نحو مقره، وجعل ينتجع في الأراضي المخصبة طالباً الكلأ لرتع الأنعام، وفي الباطن هو يريد التقرب إلى أراضي ابن رشيد لموعد اتفقا عليه، فلما تقاربا شعرت الضفير بوخامة الأمر، وسوء العاقبة،

حيث إنهم أمسوا في موقف حرج بين الأميرين.

وفي الحال بادر زعيمهم حمود بن نايف بن سلطان بن سويط بالمسير نحو الأمير ابن رشيد، وصحب معه نافعاً ابن ضويحي مع عدة من كبارهم (قلطاهم)، وتواجهوا معه، وطلبوا منه التوسط بالصلح بينهم وبين سعدون باشا، فأعاقهم عنده منتظراً قدوم سعدون باشا، ولما وصل أخبره بما حصل، ورغّبه في الصلح، فرضى سعدون باشا بذلك على شروط، منها:

١- أن يدفع الضفير له ثلاث سيوف مسميات قديمة.

٢- يدفعون له ١٣٠ رأساً من الخيل، منها ٣٠ من الأصائل.

٣- يدفعون له ٢٠٠٠ رأساً من الإبل، منها ٢٠٠ ناقة من النجائب.

فقبل الضفير تسليم ذلك (الودي)، فأرسل سعدون باشا بعض خدمه مع أناس من جهة الضفير يأتون بذلك الودي، ولما جيء به تنازل سعدون باشا عن قسم منه، ورده على الضفير إجلالاً للأمير ابن رشيد، وبعد ذلك أذن ابن الرشيد للضفير بالانصراف إلى مقرهم، فنهضوا من مجلسه، وبوادر الغضب لائحة على وجوههم.

ولما عزم الأميران على الرحيل كل منهما إلى مقره انفرد زامل السبهان وكيل الأمير ابن رشيد مع سعدون باشا، وأخبره بأن الضفير تلوح على وجوههم علائم الحقد والغدر، وربما إذا تباعدنا في المسير يستقلون جموعك فيحاربونك، ويسترجعون منك جميع ما أدوه لك، وأنت مخير في أمرين:

١- إما أن نصحبك حتى نوصلك مقرك.

٢- أو أننا نعيق رؤساء الضفير عندنا إلى أن تصل مأمنك. ثم نخلي سبيلهم، فلم يوافق سعدون باشا على الأمرين، معتذراً بأن الأول يشعر بجبنه حيث احتاج إلى من يوصله إلى مقره، والثاني تأباه الشيمة العربية من أن يحبس رؤساء قومه بعد أن

خضعوا له، وأدوا ما فرضه عليهم.

ثم ارتحل الأميران كل يقصد ناحيته، ولما بعدا عن بعضهما بثلاث مراحل، وأراد سعدون باشا النزول على الماء وجد الضفير مخيمين حوله، فأعرض عن النزول، وسار مستمراً إلى المرحلة الرابعة، فلما صبحها يريد الماء وجد الضفير قد أدلجوا ليلاً، ووصلوا قبله، وأحاطوا بالماء، فتأكدت خيانتهم لديه، فجدّ في السير قاصداً المرحلة الخامسة، فعند وصوله الماء وجدهم عليه أيضاً.

فاضطر إلى مكافحتهم، فبرزوا له، وتنازلا، فتفوق الضفير عليه لكثرة عددهم واستعدادهم، لا سيما وقد انضم إليهم في تلك المعركة بعض عشائر (الزياد وكبشة واليعاقيب)، وبعد معركة عنيفة تمكن الضفير من سلب جميع ما أدوه إلى سعدون باشا.

وقتل في هذه المعركة نجم بن عبدالله المنصور، وعبدالمحسن بن فارس بن داود السعدون، وكانت هذه الواقعة في موضع يقال له (جريبعات ضبع) في ٢٢ ربيع الأول عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م) وتسمى هذه الحادثة (غدر الضفير).

ثم ذهب سعدون باشا مع قومه مخذولاً حتى نزل على مشرعة الحماديات من أرض الشامية، فالتفّت عليه جميع عشائر المنتفق، فاشتد عضده، وكان في أثناء تلك المدة قد نقضت قبيلة البدور العهد، وذهبت بقيادة زعيمها ذياب الشحم إلى محاصرة قلعة سعدون باشا المسماة (المائعة)، فأرسل سعدون باشا قسماً من عشائره تحت رياسة ابنه عجيمي بيك لرفع الحصار عن القلعة، وإزاحة المحاصرين.

وكان في ذلك الوقت قد نهض محمد بن براك العصيمي الزبيري غيرة وحمية، وكتب إلى سعدون باشا يشير عليه في إرسال ابن أخيه يوسف بيك ابن عبدالله بيك ابن منصور باشا السعدون إلى نواحي قصبة الزبير لينضم إلى عشيرة بني مالك، ويرأسها لقطع طريق قوافل الضفير التي تسابل الزبير.

فاستصوب سعدون باشا رأيه، ووجه ابن أخيه إلى بني مالك، فجمعهم، وذهب بهم نحو الزبير، وأغار على شرذمة من الضفير، واقتطع منها ثمانية من الإبل، فقاوموه مقاومة شديدة كاد أن يفشل فيها.

ولما رأى يوسف بيك أن لا قبل له بإتمام ما بدأ به، لجأ إلى قصر خالد العون في قرية الشعيبة قرب الزبير التي اتخذها محمد العصيمي مقاماً له، وأعرض عن تلك الخطة مع الضفير.

وكان في هذه المدة قد تمكن عجيمي بيك من تأديب قبيلة البدور، ورفع الحصار عن القلعة، فأضغنوا له الحقد، وصمموا على اغتياله، حيث إن مقر البدور في نواحي (المائعة) صيفاً وشتاء، ولم يكن لسعدون باشا في تلك الأصقاع سوى تلك القلعة.

فكتبوا بينهم أوراقاً بما اتفقوا عليه فيما إذا تمكنوا من اغتيال عجيمي بيك، وختمها رؤساؤهم، فتمكن السيد ياسر من اختلاس مسودة تلك الأوراق، وأتى بها إلى سعدون باشا، فقرأها. ثم أرسلها إلى ابنه عجيمي بيك، ولما تلاها ركب متن الحذر، وشرع في تدبير الانتقام منهم.

فأتاه نحو ٧٠ رجلاً من رؤساء البدور في عيد الأضحى عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م)[١] لمعايدته حسب العادة، ونزلوا في المضيف العمومي، وكانوا عازمين على اغتياله، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك لتحذره منهم، فبعد معايدته ذهبوا بدون نتيجة. ثم بعد أيام قلائل عاد إليه بعضهم بتلك العزيمة مظهرين قصد المذاكرة معه في بعض الأمور، ونزلوا في المضيف كالعادة، وكان خاطرهم مطمئناً من عجيمي بيك لعدم ظهور حركة منه مغايرة للعادة أو تعبيس في وجوههم في مجيئهم الأول، ظناً منهم بأنه لم يشعر بما تعازموا عليه من المكيدة.

وبعد استقرارهم أرسل إليهم عجيمي بيك يطلبهم لمقابلته في داخل قصره للمذاكرة فيما يريدون، وكان قد أمر حاجبه بأن لا يأذن لهم بالدخول دفعة واحدة،

---

(١) الصواب ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) لأن سعدون باشا في عيد أضحى ١٣٢٩هـ كان قد توفي في حلب. (مشرف الخزانة).

بل يرسلهم مثنى، فصدع بالأمر، وجعل عجيمي بيك كلما دخل عليه اثنان أمر عليهما بنزع السلاح، وبشد وثاقهما، فاعتقل منهم ٧، فأحس الباقون بأن كل من دخل القصر لا يخرج منه، وخامرهم الخوف، ففروا من المضيف ناجين بأنفسهم، ولم يتمكن رجال عجيمي بيك من تأخيرهم أو اعتقالهم.

ثم إن عجيمي بيك عرّف والده بمن اعتقل من رؤساء البدور، وهم (ذياب بن شحم الزويد، وأخوه مسير، وجابر العطشان الشحم، وعباس العشيش شيخ الرسن، وعمير بن علي بن هندي)، واثنان آخران، منهما نايف بن عباس الذي أطلقه عجيمي بيك بشرط أن يذهب إلى قومه، فيعبرهم نحو والده سعدون باشا، ولما ذهب نايف المذكور إلى قومه جمعهم، وانهزم بهم نحو عشائر السماوة، فأرسل عجيمي بيك في أثرهم أناساً، فأدركوا نايفاً في الطريق مع قومه، فضربوه بالرصاص أمام قومه، فخر قتيلاً، ورجعوا إلى عجيمي بيك، وأخبروه بذلك.

ثم إن سعدون باشا أرسل إلى ابنه عجيمي بيك يأمره بقتل المعتقلين عنده، فلم يستحسن عجيمي بيك قتلهم، بل راجع أباه في أمرهم مستحسناً سجنهم في أبي غار محل قصر سعدون باشا الكائن في أرض الشامية، وأنه يحمل عشائرهم المهن الشاقة مدة حياتهم، ويجعلهم وقت الحرب أمام جموعه، وهم بالطبع يضطرون للرضوخ أملاً في خلاص مشايخهم، فيستفيد آل سعدون منهم فوائد جمة.

فلم يوافق سعدون باشا ابنه على هذا الرأي، بل ألزمه بقتلهم جميعاً، وتوعده بالشر إن لم يفعل ما أمره به، فامتثل أمر أبيه، فقتل ستة منهم، وعفا عن السابع، وهو عمير بن علي بن هندي بعد أن جز ناصيته لمعروف أسداه قديماً مع عجيمي بيك، فهذه خلاصة لسبب قتل مشايخ البدور.

ولما تسامعت عشائر المنتفق بقتل أولئك، ولم تعلم حقيقة السبب هاجت وماجت، وتعازمت على حرب سعدون باشا، وخلع طاعته، ومشت نحوه حتى حصرته في قطعة من أرضه، ولم يكن معه إلا النزر القليل من رجاله، فطلب النجدة

من الأمراء حلفائه، فلم يسعفوه، فاضطر إلى العبور إلى شط العرب، ومنه ركب سفينة، وأتى بها إلى البصرة طالباً النجدة من والي البصرة، (لعله حسين جلال بيك)، ليردع الأعراب الثائرين عليه، فوعده الوالي بالمساعدة.

ثم إن بعض أضداد سعدون باشا قلبوا فكرة الوالي، وأفهموه عكس القضية، فارتاب الوالي من سعدون باشا، وأصدر أمراً بالقبض عليه، وإرساله تحت المحافظة إلى بغداد، ومنها إلى حلب لمحاكمته بها، فقبض، وأرسل، ولكن قبل انتهاء المحاكمة توفي سعدون باشا في حلب آخر عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م).[١]

وكان قد أعقب من الذكور: (ثامر بيك، وعجيمي باشا، وحمد بيك، وسعود بيك، وعبدالكريم بيك).

(١) الصواب أن سعدون باشا توفي في أواخر عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م). (مشرف الخزانة).

قيام عجيمي باشا بن سعدون باشا

إن مما لا ريب فيه هو أن قوة سعدون باشا كانت ناشئة عن حماسة ابنه عجيمي بيك، وشجاعته كما تقدم.

وكان لما أبعد سعدون باشا إلى حلب ذهب ابنه عجيمي بيك إلى الأمير ابن رشيد، فدخل حايلاً في سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)، ونزل على فراش الأمير سعود باشا آل رشيد، فأقبلت عليه عشائر شمر للسلام عليه، وتقدم له الهدايا والتحف من الأسلحة والخيل، وهو يأبى قبولها معتذراً بأنه لم يجيء لطلب إمداد، وإنما يقصد منهم طراد يوم واحد، بل ساعة واحدة على الضفير الذين كانوا هم السبب في إبعاد والده عن وطنه، فلبت عشائر شمَّر دعوته، وتجمعت حوله.

ثم إن الأمير ابن رشيد حشد بقية الجنود مساعدة لعجيمي بيك، وخرجا من حائل، كل يقود قسماً من الجموع حتى نزلا موضعاً يسمى شقرا[1] قرب الضفير.

وأرسل لهم الأمير سعود باشا الرشيد رسلاً يأمرهم بالصلح مع عجيمي بيك، وكان الضفير متخوفين من تقرب ابن رشيد نحوهم، ولكن لما طلب الصلح منهم مع عجيمي بيك أطمأن خاطرهم، ظناً منهم بأن ابن رشيد لم يستعد لحربهم، فاغتروا بسوء رأيهم، ورفضوا قبول الصلح.

فأوفد إليهم ابن رشيد مرة ثانية أناساً آخرين يلتمس منهم ذلك ليمكّن الغرر فيهم، فرفضوا قبول الصلح، وجاهروا للرسل أخيراً بأنهم مستعدون لحرب عجيمي بيك وغيره.

(١) شقرا في أرض المنتفق، وهي غير شقرا التي في نجد. اه. مؤلف.

ولما عادت الرسل فاجأتهم الجموع الشمَّرية في الموضع المسمى (جَوَّ حِمَارِ)، وجرت بينهما معركة عنيفة دموية حملت فيها الجموع الشمَّرية حملة رجل واحد، تحت قيادة الأميرين ابن رشيد وابن سعدون، حتى جعلتهم شذراً مذراً، وذلك في ربيع الثاني عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)، كما في تاريخ آل رشيد.

ثم في محرم عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م) غزا عجيمي بيك الضفير أيضاً، وكانوا نازلين على الماء المعروف (بالشقرا)، فأخذهم، وغنم منهم، لأنه كان قد بلغه بأنهم كاتبوا بعض الأمراء يستنجدونهم على حربه، فعاجلهم بالمهاجمة حتى أضعف عزائمهم.

وفي سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م) اصطدمت باخرة إنكليزية بالبارجة العثمانية المسماة (مرمريس) الراسية في مياه البصرة، فحصل فيها طفيف ضرر أدى إلى أن تطالب الحكومة العثمانية من إنكلترا مبلغاً جسيماً من الدراهم لأجل تصليحها.

ولما كان ما طلبته الدولة العثمانية مجحفاً ارتأت إنكلترا بأن تجري تعمير تلك البارجة على نفقتها في الهند، وبعد المذاكرة رضي الكل بذلك، وانحسمت المسألة على ترميم تلك البارحة في بمبي.

فأصدرت الحكومة العثمانية أمرها بسير البارجة (مرمريس) إلى بمبي للتصليح، وحينما وصلت شرع في ترميمها بعد أن استلمت حكومة بمبي من قبطانها جميع الأسلحة والذخائر، وأدخلتها في مستودع بقصد المحافظة عليها إلى أن يتم ترميم البارجة، فلما تم الترميم طلب قبطانها إعادة ما أخذ منه من الأسلحة والذخائر، فامتنعت حكومة بمبي من التسليم إلى أن يأتيها أمر من لندن بالتسليم، وجرت المخابرات بين الدولتين في خصوص ذلك.

وكان المقصد من تعويق البارجة في الهند مسألة سياسية وهي إطالة المدة ريثما يجمع السيد طالب باشا النقيب ربعه وأعوانه، فيحتل بهم البصرة ليستقل بها.

ولما أدركت الدولة العثمانية معنى تلك الدسيسة أوعزت سراً إلى عجيمي بيك

السعدون بالمسير بجموعه نحو البصرة ليرهب السيد طالب، فصدع عجيمي بيك بالأمر، وزحف ببعض عشائره نحو البصرة حتى خيم خارجها في أواخر عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م).

فاضطرب السيد طالب من قدومه، وبطل ما كان عازماً عليه، وأرسل يستفسر عجيمي بيك عن سبب مجيئه، ويطلب منه الابتعاد عن البصرة لئلا يحصل في البلدة تشويش من قدومه، فأجابه عجيمي بيك بقوله: (كلانا عثمانيان، والعراق أجمع أراضيه عثمانية، فحيثما أحببنا نزلنا).

ثم أن عجيمي بيك أشاع بأنه لم يقصد البصرة إلا ليثأر من السيد طالب الذي سعى سابقاً في إغراء الحكومة العثمانية على والده حتى ألقت القبض عليه، وساقته إلى حلب حيث توفي بها، كما تقدم.

وظل عجيمي بيك مستقيماً خارج البصرة نحو أربعة أشهر، ولما لم ير من السيد طالب تحفزاً للثورة استأذن الحكومة العثمانية في العودة إلى مقره، فأذنت له بعد أن أصدرت أمرها بمنحه رتبة (باشا) تقديراً لخدماته التي أجراها مع الدولة، فدعي من يومئذ عجيمي باشا.

ولما عاد أرسل أخاه حمد بيك إلى البصرة ليحل محله، فقبل وصول حمد بيك إلى البصرة توجه السيد طالب إلى الكويت، فجاء البصرة حمد بيك، ونزل في العشّار. ثم انتقل إلى داخل البصرة حيث نزل في محلة السيمر. ثم أتاه منضماً إليه سالم بن حسن الخيون رئيس بني أسد.

فبعد مدة عاد السيد طالب إلى البصرة، وقبل ولوجه إليها أرسل من المحمرة إلى والي البصرة، يطلب منه إصدار الأمر بإخراج حمد بيك وأتباعه من البصرة، وإلا أثار ثورة يحرق فيها البصرة، فالتمس الوالي من حمد بيك المبارحة حقناً للدماء، وخوفاً من تداخل الأجانب في شؤون العراق، لا سيما وأن جو السياسة كان مغبراً بقدوم الحرب العظمى، فخرج حمد بيك من البصرة مع أتباعه امتثالاً لأوامر الدولة العثمانية، حاقداً

على السيد طالب فيما أجراه ضده، كما في تاريخ البصرة.

فدخل البصرة السيد طالب سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م)، ولكنٍ لم يهدأ روعه خوفاً من هجوم حمد بيك عليه، فطلب من أهل قرية حمدان رجالاً يأتونه كل ليلة بعد العشاء، فيبيتون قرب مخفر باب الزبير للمحافظة عليه من هجوم آل سعدون، لأن قصر السيد طالب في تلك الجهة.

ثم في ٢٣ رجب عام ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) عاد حمد بيك، ومعه حمود بن مطلق بن[1] حمود السعدون، مع جملة من رجالهما، وهجم الكل على البصرة من جهة باب الزبير، فصدهم رجال الدرك المقيمون في المخفر هناك، وانضم إليهم رجال حمدان، ربع السيد طالب الذين أعدهم في ذلك الموضع، فما تمكن حمد بيك من ولوج البصرة، فعاد إلى قصبة الزبير.

فحسم السيد طالب الأمر عند الوالي، وطلب منه إبعاد حمد بيك بالقوة عن البصرة ونواحيها.

وفي ٢٤ رجب العام المذكور خرجت من البصرة قوة من الجنود يقودها (قدري بيك)، وبصحبته جملة من حواشي السيد طالب، وسار الكل نحو الزبير، وأطلقوا نيران البنادق على البلدة، فقابلهم حمد بيك بالمثل. ثم اضطر للانسحاب، واتجه نحو (كُويبدة) مقر عشيرة مطير بعد أن قُتل من قوم حمد بيك ٧، وجرح ٨، فدخلت حواشي السيد طالب قصبة الزبير، ونهب عبدالكريم المشري بيت ابني عمه (محمد بيك وعلي بيك) ابني حسين باشا المشري.

ونهب رهط السيد طالب بيت محمد بن براك العصيمي، وبيت علي باشا الزهير، وبيت عبدالمحسن باشا الزهير، وكذلك بيت قاضي البلدة، والكل كانوا ممن يلوذ بآل سعدون.

(١) مطلق بن فيصل بن حمود. (مشرف الخزانة).

ولما انسحبت أعراب المنتفق من الزبير جعلت تتوعد شيخ الزبير الذي ساعد على نهب بيوت ربعهم، وترتجز بقولها:

يا طارشي لعبدالكريم اسلم ولا تسلّم عليه[1]
إن قدّر الله والرسول من الفجر نُصلها عليه[2]

وكان عجيمي باشا لما تنحى عن نواحي البصرة قصد عشيرة مطير ليؤدبها، لأنها في أثناء تغيبه نحو البصرة أغارت على إبل لسمير بيك السعدون، ابن عم عجيمي باشا الذي كان نازلاً في (إعلوى)، هو ويوسف بيك السعدون، فاستنصرا بعجيمي باشا، فأتاهما مسرعاً، واقتفى إثر عشيرة مطير حتى أدركها، فضربها، واسترجع منها المنهوبات، وأعادها لأصحابها. ثم عاد إلى مقره، وبسبب هذه الحادثة حصل التنافر بين عجيمي ومطير إلى اليوم.

فاغتنم الفرصة السيد طالب باشا، وتذاكر مع ولاة الأمور في البصرة حتى أقنعهم بمناوأة عجيمي باشا وذويه، فأصدر والي البصرة أمراً بإرسال بارجة عثمانية تسير مع عشيرة بني منصور لتضرب يوسف بيك وربعه، لأنه كان نازلاً على شاطئ غدير (هور) هناك.

وعندما سمع عجيمي باشا هذا النبأ زحف بجموعه نحو يوسف بيك وسمير بيك، وانضم لهما، فجاءت البارجة، وأطلقت مدافعها على منازل يوسف حتى هدمت قلعته المبنية هناك، فاضطر يوسف بيك لأن يرفع عائلته وأثقاله إلى الرُّميلة، وشرع عجيمي باشا يقاوم جنود تلك البارجة والعشائر المساعدة لها حتى أرغم الكل إلى التقهقر، بعد أن فقدت جملة من الجنود. ثم عاد عجيمي باشا إلى الخميسية مظفراً بهذا التفوق.

(١) الطارش في اصطلاحهم بمعنى الرسول. (المؤلف).

(٢) نصلها أي الخيل، والمراد بأنهم يرسلون الخيل، فتنصب على عدائهم، ولها صليل. (المؤلف).

وبعد وصوله الخميسية جاءه راكب من قبيلة شمر يستغيثه على عشائر مطير التي سلبت قومه تحت زعامة رئيسهم المسمى (بالأحمر)، فأمر في الحال عجيمي باشا قسماً من رجاله الفرسان بالذهاب لمناصرة قبيلة شمر، فصدعت بالأمر، ومشت نحو مطير تحت رياسة كنعان النهابة، وبرجس الخير الله عبده الخاص، وأخذوا من الخميسية خيلاً من الحَصَّانة (بائعي الخيل) لأن خيلهم كانت تعبى من المحاربة التي جرت مع رجال البارجة.

فذهبت تلك النجدة في أثر الأحمر وقومه، حتى لحقتهم عند الحويضات قرب كابدة، وتنازلت معهم حتى تفوقت عليهم، وأسرت الأحمر مع قسم من ربعه، وجاءت بهم مأسورين إلى عجيمي باشا مع المنهوبات، ولما وصلوا الخميسية أرسل عجيمي باشا عبده الخاص عودة الحسين إلى الأسرى، وأمره بقتل الأحمر رئيس العصابة، وإطلاق سراح الباقين.

فذهب العبد نحوهم، فصادف الأحمر مقبلاً مع رهطه قرب مقبرة الخميسية بقصد مواجهة عجيمي باشا، فأطلق العبد على الأحمر بندقيته، فخرّ صريعاً في المقبرة، وذلك عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م).

وبعد ذلك رجع عجيمي باشا إلى مقره في أبي صلابيخ ذنايب الفضلية على شاطئ الفرات عند نهر خطام.[١]

ثم في سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) ورد إلى عجيمي باشا مكتوب من والي بغداد (جاويد باشا) يخبره بقرب نشوب الحرب العظمى، ويستنصره باسم الدين الكف عن المشاغبات الداخلية، فلبى طلبه على شروط، وأرسلها له مع كاتبه الخاص عبدالوهاب بيك بن علي كاظم بيك، ليعقد معه اتفاقاً خاصاً لتجهيز العشائر بعد المصادقة على الشروط التي طلبها عجيمي باشا، فمنها إبعاد السيد طالب باشا خصمه الألد عن

(١) خطام سمي بذلك لكرم جده منصور باشا السعدون، لأنه كان يأمر بأن يخطم أمام المارين، فيؤمروا بالنزول في مضيفه، والخطام مقود الجمل، فشبهوا وقوف المعارضين لمن لم ينزل في المضيف كالخطام الذي يرد البعير عن مقصده. (المؤلف).

البصرة.

ولما اتجه الرسول بالوالي، صادق الوالي على جميع ما طلبه عجيمي باشا وأراده، فعاد عبدالوهاب بيك إلى عجيمي باشا، وأخبره بموافقة الوالي جاويد باشا على مطالبه، ومصادقته عليهما، فأرسل عجيمي باشا في الحال أخاه حمد بيك إلى رؤساء عشائر المنتفق يستنفرهم، ويأمرهم بالذهاب بجموعهم نحو عجيمي باشا، فأسرعوا مهرعين إليه.

ففي رمضان عام ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) نشبت الحرب العظمى، وتطورت السياسة حسب تطور الأمم، وهاجمت إنكلترا الفاو في ١٧ ذي الحجة من العام المذكور، واحتلته في ٢٦ منه.

فمشى عجيمي باشا بمن وصله من العشائر، وهم عشيرة الجوارين والشريفات وقسم من البدور، وصحبه من بني عمه (صالح النصار السعدون، وشبلي بيك السعدون)، وسار بالكل نحو البصرة للانضمام مع المجاهدين، فوصلها في ٢٧ ذي الحجة من العام المذكور، واتجه مع جاويد باشا، فأمره بالالتحاق مع الجنود المرابطة في أبي مُغيرة)، فذهب واجتمع مع صبحي بيك والي البصرة، والقائد العثماني للجنود هناك، فرآه مضطرب الأحوال متزعزع الأركان بسبب انفتال اليوزباشي أركان حرب سامي بيك قائد جنود الفاو، كما في تاريخ البصرة.

ثم ورد إلى عجيمي باشا أمر من جاويد باشا يأمره بالرجوع إلى البصرة، فامتثل الأمر، ولما عاد وجد بأن جاويد باشا قد انسحب من البصرة بالجنود، فاستقدم عجيمي باشا جماعته وقومه، فعادت إلى البصرة حتى نزلت عند باب الزبير تحت رياسة يوسف بيك بن عبدالله بيك. ثم إن عشائر البصرة جعلت تنهب البلدة، فأمرهم عجيمي باشا بالكف، وعدم الأذية للأهالي.

ثم خطب في العساكر والجنود الباقية في البصرة ونواحيها، والذين لم يتمكنوا من الالتحاق بالجنود المنسحبة، وقال لهم: (من له أهل في البصرة، فليذهب إليهم، ومن

كان وطنه غير البصرة، فليتبعنا، وهو في الأمان حتى نوصله إلى مأمنه).

وقال: (إني قد عفوت عما حصل من بعضكم من الأذية حين انضمامكم مع قدري بيك في ضرب الزبير، وضرب يوسف بيك، وإني متعهد للكل بالمساعدة التامة)، وهذه الخطبة تعد أول معاهدة مع الترك.

وجمع تلك الجنود، ولم شعثها، وسار بها إلى الزبير، فلما وصلها ارتابت غالب الجنود العثمانية من أن يغدر بهم عجيمي باشا إذا ابتعد بهم عن المدينة، لأنه بلغهم بأن بعض حواشي عجيمي باشا قد أشار عليه بأن يقتل الجنود، ويأخذ أسلحتهم وذخائرهم، لأن غالب قوّادهم كانوا ممن ضربوا عجيمي باشا وأباه من قبل.

فطلبوا من عجيمي باشا المعاهدة رسمياً مرة ثانية، فعاهدهم حسبما أرادوا، وأقسم بالله لهم على حسن نيته وصدقه معهم ومع كافة إخوانه المسلمين، فاطمأن خاطرهم، وانسحبوا معه آمنين، وجعل يحافظ عليهم ويتفقدهم حتى أوصلهم الخميسية، فدخلت الجنود الإنكليزية البصرة في ٢ محرم عام ١٣٣٣هـ (٢٢ تشرين ثاني ١٩١٤م).

وفي ١٨ جمادى الأولى من العام المذكور هجمت بعض عشائر المنتفق بزوارق صغار (مشاحيف) على البصرة، فلم تتوفق بسبب طغيان الماء الحاصل في تلك السنة، كما في تاريخ البصرة، ولكنها غنمت بعض الذخائر والأسلحة، وعادت بدون نتيجة.

وفي ١٨ جمادى الآخرة عام ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) حصلت وقعة الشعيبة الشهيرة[١] التي دامت ثلاثة أيام متوالية أبلى فيها عجيمي باشا بلاءً حسناً. ثم حصل سوء تفاهم بين قواد العرب والأتراك أدى إلى الفشل، وإلى انتحار سليمان بيك عسكر القائد العثماني لجبهة العراق. فاضطر الكل للانسحاب تاركين غالب الأسلحة والمدافع لعدم وجود دواب تحملها أو تجرها، كما في تاريخ البصرة.

---

(١) قرية الشعيبة غربي البصرة على مسافة عشرة أميال. وتبعد عن قصبة الزبير بنحو ميلين، كما في تاريخ البصرة. اه. مؤلف.

ولما أراد عجيمي باشا الانسحاب بعدهم أمر رجاله بأن يجرّوا المدافع المتروكة، فجعلت أعرابه تسحبها حتى أوصلتها إلى الخميسية.

وكان مع عجيمي باشا إخوته وشرذمة من بني عمه وذويه وقليل من عبيده وخدمه. يبلغ عدد الجميع ٤٠ رجلاً، وعندما وصلوا الخميسية وجدوا العساكر العثمانية هناك، فأسسوا خطاً للحرب بقربهم، وجعلوا يحفرون الخنادق، ويستعدون للدفاع من جهة البر.

ثم بلغهم بأن العدو قصدهم من جهة النهر، فزحفت الجنود العثمانية نحو عكيكة من طريق السفحة لتتقرب إلى النهر، ومعهم الموزع العسكري أحمد بيك أوراق، ومتصرف الناصرية حمزة بيك، فصحبهم عجيمي باشا بعد أن جعل في خط الخميسية أخاه حمد بيك مع قسم من قومه احتياطاً من أن يهاجمهم العدو من جهة البر.

ثم أن العدو تقدم وشرع يهاجمهم من جهة عكيكة، ولكنه فشل في هجومه مراراً، ولم يتمكن من النجاح، فسعى في إمالة رؤساء العشائر حتى تمكن من إمالة فرهود المغشغش من عشيرة بني خيقان بإطماعه بالدراهم حتى امتطى متن الخيانة، وأطلعهم على مسلك يساعدهم على سقوط الخطوط العثمانية بدون حرب.

ولما بلغ العثمانيين ذلك الخبر، وأن العدو سلك ذلك الطريق اضطروا للانسحاب خوفاً من المحاصرة، فسقطت عكيكة، وبسقوطها سقط سوق الشيوخ، فدخلته الجنود الإنگليزية في أول رمضان عام ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) أيضاً. ثم ذهب العثمانيون، وأسسوا خطاً آخر للحرب في موضع يقال له (مجينينة)، يبعد عن الناصرية بنحو ٧ أميال شرقاً، أي بين الناصرية وسوق الشيوخ. ثم شرعت الحرب بين الفريقين هناك.

وكان عجيمي باشا مع القوة العثمانية، وهناك تبلّغ من قبل القائد العام العثماني في بغداد بأن يذهب إلى الخميسية، ويضبطها من مهاجمة الأعداء حتى لا يتمكنوا من التقدم إلى الناصرية براً، فلبى ذلك الأمر، وذهب إلى الخميسية، وأخذ بزمام الأمر

فيها وحافظها، وحفظ الذخائر والأرزاق التي كانت هناك للعثمانيين تحت عهدة حسن أفندي مأمور الإعاشة، ومحافظ (بلك) البغالة إسترسوار، الذي كان يرأسه اليوزباشي إياس بيك، وكان في معيته من الضباط عبدالرزاق أفندي، ومولود مخلص، وكان لما سقط سوق الشيوخ فر الضابطان عبدالرزاق ومولود مخلص، والتحقوا بالجنود الإنكليزية، فبقى إياس بيك منفرداً بنفسه.

فألفتت قواد الإنكليز أنظارهم إلى إقناع ثامر بيك ابن سعدون باشا حتى أقنعوه، وطلبوا من عبدالعزيز بن سليمان السعدون، ومن إخوته المساعدة مع ثامر بيك على استخلاص الخميسية من سيطرة عجيمي باشا.

فتعهدوا بذلك، وذهبوا إلى الخميسية، وبصحبتهم السيد إبراهيم البعّاج، فوصلوها قبل مجيء عجيمي باشا، ولكنهم وجدوا هناك قوة لا طاقة لهم بمقاومتها، فلم تعارضهم، ولكنها أرسلت تراجع عجيمي باشا في مجيء هؤلاء.

فأرسل في الحال عجيمي باشا أخاه حمد بيك، وبصحبته غالب العمر. ليقنعاهم بالرجوع عن الخميسية، والكف عن الأذية، فلم يلتفتوا إلى قولهما، فأخبروا عجيمي باشا بما جرى بينهما، فعند ذلك توجه عجيمي باشا بنفسه إلى الخميسية ليلاً، وعندما سمعوا بمجيئه فروا من البلدة بدون مقاومة، فضبط عجيمي باشا إدارة البلدة، وبقي يدير شؤونها إلى أن سقطت الناصرية.

وذلك لأن العدو لما عجز عن التقدم من جهة النهر، وظل حائراً، وجد من أرشده إلى إمالة سلطان بن مناحي من عشيرة الحسينات، فنجح بانضمامه له، فدلهم سلطان المذكور على مسالك توصلهم إلى الناصرية من جهة الغدير (الهور) ليقطعوا خط الرجعة على العثمانيين، ولما شعر العثمانيون بذلك انسحبوا من خطوطهم بانتظام إلى الكوت، والتحقوا بجنودهم هناك، فتقدمت الجنود الإنكليزية، ودخلت الناصرية في ٩ رمضان عام ١٣٣٣هـ (١٩١٥م).

وأما عجيمي باشا فإنه بعد سقوط الناصرية انسحب مترفعاً إلى محل يقال له

الرمليّة التي تبعد عن الخضر بنحو ٧ أميال غرباً، وتبعد [عن] السماوة بنحو ١٦ ميلاً جنوباً، وهناك قصدهم العدو من جهة النهر، ومن جهة البر.

فجعل عجيمي باشا أخاه سعود بيك[١] في الرَّملية مع قسم من العشائر، وتقدم هو ببقية عشائر مع الجنود العثمانية نحو النهر، وحفروا هناك خنادق، وكمنوا فيها.

فأما القوة الإنگليزية الزاحفة من جهة البر، فكان بصحبتها الضفير والبدور، وعندما وصلوا الرملية تصادموا مع سعود بيك، فكافحهم حتى دحرهم خائبين.

وأما القوة الإنگليزية السائرة من جهة النهر على ظهور البوارج، فهي مؤلفة من الشرطة تحت قيادة أشخاص من المنتفق يرأسهم علي بن عبدالله المنتفقي[٢]، وحينما حاذوا الخطوط العثمانية جعلوا يمطرونها بوابل القنابل وبرصاص الرشاشات، فقابلوها بالمثل حتى صدوها عن النزول إلى البر، ولم تتمكن تلك القوة النهرية من البقاء هناك، فاضطرت لأن تتقهقر بعد أن أصيب قائدها علي بن عبدالله في يده حتى انشلت، وقتل من كبار الشرطة يعقوب بن سريدح السليم، لا سيما وقد بلغها انكسار القوة البرية أمام سعود بيك، كما تقدم.

ثم بعد أيام أرسلت إنگلترا على عجيمي باشا وربعه سرباً من الطيارات، فأمطرتهم بمقذوفاتها، فصابروا، ورابطوا، ولم تضرهم مضرة تذكر لتحفظهم وتحذرهم، وظلت مدة أيام تروح وتغدو عليهم في كل أسبوع بدون نتيجة.

وبقي عجيمي باشا مرابطاً في الرملية مع الجنود العثمانية على تلك الحالة الحرجة، مهددين من جهة النهر والبر إلى سقوط الكوت عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) حيث ورده التبليغ بأن البقاء في موضعه لا يجدي نفعاً، وعليه يجب إرسال الجنود التي معه إلى (العرضى) في بغداد، وهو مخير في نفسه في الرحيل وعدمه.

---

(١) سعود بيك بن سعدون باشا ولد سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م). (المؤلف).

(٢) هو علي بن عبدالله بن منصور بن ثامر السعدون، وكان قد ساند الإنگليز في الحرب، وجرح، وكرم بعد الحرب بوسام بريطاني استلمه في احتفال كبير. (مشرف الخزانة).

فوجه عجيمي باشا العساكر جميعها إلى العرضي حسب الأمر، وارتحل هو من الرَّملية مغرباً حتى نزل، وظل هناك مرابطاً إلى أن بلغه سقوط بغداد في ١٥ جمادى الأولى عام ١٣٣٥هـ (١١ مارس ١٩١٧م)، كما في تاريخ البصرة، وبسقوط بغداد انقطعت المخابرات الجارية بينهم وبين الدولة العثمانية لعدم وجود طرق للمخابرات.

ثم أن عجيمي باشا كاتب رؤساء عشائر عنزة يستأذنهم في المرور على أراضيهم ليتجه نحو الشمال، عله أن يجتمع بالعثمانيين، فامتنع فهد بن عبدالمحسن الهذال رئيس عنزة جمعاء من قبول المرور على أرضي عنزة قاطبة.

وأما ابن عمه فهد بن دغيم الهذّال، فإنه أذن لعجيمي باشا بالمجيء إلى أراضيه، والمرور عليها مساعدة إسلامية، وأرسل له خطاً بذلك قال فيه: (إننا نترك العداوة القديمة بيننا لوقت آخر، وأما اليوم فإنه يجب علينا أن نتفق مع إخواننا المسلمين في الجهاد ضد الأعداء)، فارتحل عجيمي باشا ميمماً أراضي عنزة حتى خيم بجوار الشيخ فهد بن دغيم الهذال.

فغاظ ذلك الأمر فهداً بن عبدالمحسن، وأرسل إلى قائد جيش الاحتلال الإنكليزي يطلب منه قوة ليمشي بها على عجيمي باشا، فلبى طلبه، ووجه إليه فرقة من الجنود الإنكليزية تحت قيادة الكولونيل لجمن[1]، ولما بلغ عجيمي باشا خبر زحف الجنود

---

(١) لجمن هذا هو الذي قتله الشيخ ضاري بن محمود رئيس عشيرة الزوبع، وذلك أنه في سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) حدثت ثورات في العراق المراد منها طلب الاستقلال التام، وأهمها ما قامت به عشيرة الزوبع حيث أدت إلى طلب الكولونيل لجمن حاكم منطقة لواء الديلم السياسي حضور رئيس قبيلة الزوبع الشيخ ضاري المذكور للمقابلة في خان النقطة الواقع بين بغداد وفلوجة.

فامتثل الشيخ ضاري الأمر، وجاء بنفسه لمواجهة الحاكم في ٢٧ ذي القعدة عام ١٣٣٨هـ (١٢ أغستوس ١٩٢٠م)، وكان بصحبته ابنه خميس وثلة من رجاله، وقعد عند مدخل الخان الذي كانت تحتله قوة من الشرطة. لأن الحاكم لجمن لم يكن حاضراً، وبعد برهة من الزمن حضر، ومعه خادمه وسائق (جواله)، فدخل واصطحب معه الشيخ ضاري إلى داخل الخان، وأخذ يتحدثان في شأن الزراعة ومحصولاتها، وبينما هما كذلك إذا أقبلت جماعة من الأعراب مخبرة بأن عصابة من اللصوص هاجمتهم في الطريق، فسلبتهم بعض مؤنهم، فأصدر الحاكم في الحال الأمر إلى ضابط الدرك بالمسير مع قسم من رجال الدرك لتعقب العصابة القاطعة للطريق، وأمره أيضاً بأن يصحب معه بضعة من رجال الشيخ ضاري، فصدع بالأمر، وسار نحو العصابة. ثم بعد ذلك جعل الكولونيل لجمن يعاتب الشيخ ضاري، ويوبخه على التعصب. ثم أغلظ القول معه حتى أمس بعواطفه. ثم ألقى على عاتقه تبعة الإخلال بالأمن، ونسب إليه، وإلى قومه وقوع تلك الحادثة، فتأثر الشيخ ضاري من حملات الحاكم المؤلمة عليه، فاستأذن للخروج، فأذن له. ثم بعد هنيهة عاد، فاستأذن الخفير بالدخول على الحاكم، فأذن له، فدخل عليه، ومعه ابنه خميس ورجل

الإنگليزية نحوه، بادر في تظعين عائلته وأثقاله، ووجههم إلى ماء يبعد عن موضعه بنحو أربع مراحل[1]، واستعد هو في محله للقاء الأعداء، فهاجمته الجنود الإنگليزية في ثاني يوم، وجرت بينهما معركة عنيفة دامت بضع ساعات، وكان النصر فيها حليفه.

ثم أتاه مساءً خبر ينبئ بأن غالب عشائر عنزة تريد الانضمام مع الجنود الإنگليزية ضده، فخشي من البقاء في مكانه خوفاً من الفشل فيما إذا حصلت معركة أخرى، فأدلج في تلك الليلة قاصداً أهله حتى نزل على عائلته سالماً.

ثم ظعن بهم متباعداً عن أراضي عنزة إلى أن خيم في أراضي شمر، وهناك أبقى عائلته وأثقاله مع قسم من رجاله وخدمه يرأسهم أخوه سعود بيك، وذهب في خاصته مع بعض خدمه نحو العثمانيين حتى أدركهم، والتحق بهم، وظل معهم يسير بسيرهم، ويتحرك حسب إرادتهم، فلما تأكد لديهم صدقه وصداقته لهم أكرموه إكراماً جزيلاً، وأعزوه إعزازاً عظيماً.

ثم منحوه في سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٨م) بلدة كرموش بملحقاتها يستغل حاصلات

آخر من أفراد أسرته، وعندما عاينوا الجمن بادر خميس بإطلاق الرصاص عليه، فخر متردياً، ونظر إلى الشيخ ضاري قائلاً له: (إلى هذا الحد تبلغ بك الخيانة)، فعند ذلك ضربه الشيخ ضاري بسيفه، فقضى على حياته، وبقتله انهدم أعظم أركان الجيوش المحتلة لأنه كان من كبار الضباط البريطانيين العارفين بأحوال العراق وتقاليد أهله معرفة واسعة، لا سيما وأنه معدود أيضاً في فحول الرجال الذين اشتركوا في المعارك التركية الإنگليزية في العراق، فأظهر فيها مهارة تامة.

ثم بعد مدة أرسلت الحكومة البريطانية قسماً من الجنود إلى خان النقطة، وأطلقت مدافعها على قلعة الشيخ ضاري، فنسفتها في ٦ محرم عام ١٣٣٩هـ (٢٠ أيلول ١٩٢٠م)، وقطعت الماء عن مزارعه، فذهب وانضم مع الثوار في أواسط الفرات إلى أن نال العراق استقلاله في ١٣٣٩هـ (١٩٢١م).

ولما حصل العفو العام عن جميع السياسيين والمجرمين لم يشمله ذلك العفو، فترفع مع قومه إلى خارج الحدود العراقية، وظل هناك إلى سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) حيث هاض عليه مرضه المزمن، فاستحسن الذهاب لسورية ليتداوى فيها، واستأجر (جوالاً) كان سائقه أرمنياً، وتوجه نحو الشام، فخانه سائق الجوال، وعكف به نحو العراق حتى أنزله عند مخفر في الحدود، فألقي القبض عليه في جمادى الآخرة من العام المذكور، وأرسل تحت المحافظة إلى بغداد حيث حوكم وهو مريض. ثم حكم عليه بالسجن الأبدي مع تحميله المشاق، فقضى نحبه في السجن بعد الحكم عليه بيوم واحد، وذلك في ٣ شعبان عام ١٣٤٦هـ (٢٥ ك٢ ١٩٢٨م)، فارتجت لموته بغداد، وحصلت فيها مظاهرات شديدة عجيبة الهيئة نشرت تفاصيلها الجرائد والمجلات، ودفن بجوار ضريح الشيخ معروف الكرخي. ثم في عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) أذنت حكومة العراق للشيخ خميس بن الشيخ ضاري المحمود بدخوله العراق. اه. مؤلف.

(١) بعد كلمة (مراحل) كتب النبهاني: يسمى (   )، ويبدو أنه نسي اسم هذا الماء. (مشرف الخزانة).

زراعتها لنفسه، (وهي من ملحقات أورفة)، وبقي هناك إلى اليوم[1] معظماً مبجلاً.

وله من الولد: (مطشر بيك، ونجم بيك، وسعدون بيك[2]).

---

(١) توفي عجمي باشا في أنقرة بتركيا في ٢٩ أكتوبر ١٩٦٠م، بعد ثلاثين سنة من طبع هذا الكتاب في طبعته الأولى. (مشرف الخزانة).

(٢) ليس سعدون بل أسعد، وولد لعجمي في تركيا ولدان هما عيسى وعباس. (مشرف الخزانة).

المنتفق زمن الحكومة العراقية

أما مدن المنتفق وقراها، فقد تشكل في غالبها دوائر ملكية رسمية، وأما العشائر فهم خاضعون لرؤسائهم كعادتهم القديمة، فتفصل بينهم في صغار الأمور، وأما كبارها فترفع إلى مراكز الحكومة الرسمية.

وأما الأعراب النائية، فإنهم جعلوا يتطلبون رئيساً يرأسهم ليدير شؤونهم طبق عوائدهم المألوفة عندهم، وقسم من وجهائهم ترشحوا للاستخدام عند الحكومة.

وبعد أن نال العراق استقلاله سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) توج الملك فيصل بن الشريف حسين بن علي ملكاً على العراق في ١٩ ذو الحجة (موافق ٢٣ أغسطس من العام المذكور)، كما في تاريخ البصرة.

تعين يوسف بيك بن عبدالله بيك بن منصور باشا بن راشد السعدون شيخاً على قسم من أعراب العراق المستخدمين للدرك، والمعبر عنهم (بالهجّانة)، وأعطته الحكومة العراقية أسلحة وذخائر، فجمع يوسف بيك حاشيته، وظهر بها إلى البادية ليحافظ على العشائر والأعراب زمن الانتجاع في فصل الربيع كالعادة، وجعل له مقراً معيناً بنفسه، وفرض على الأعراب رعاة الشياه قسماً من الشاة والمعز، يأخذه منهم سنوياً.

ثم لما درج أمره، واستتبت له الرياسة أغارت عليه الوهابية عشائر نجد سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م)، فكافحهم أشد الكفاح، فتفوقوا عليه حتى كسروه، فتفرقت عنه الجموع، فطلب النجدة من الحكومة العراقية، فلم تسعفه، فأعرض عنها.

وأرسل من قبله رسولاً إلى الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود (ملك الحجاز وسلطان نجد) طالباً الانضمام إليه، والدخول تحت حمايته، فرحب به، وأجاب طلبه، وأقره على منصبه (يرأس عشائر المنتفق). ثم أرسل له (إماماً دينياً مع آخر سياسياً كالمستشار)، فاقتفى يوسف بيك خطة الوهابية، وظل على تلك الحالة جاعلاً مركزه على ماء يسمى (صفوان) غربي البصرة على مسافة نحو ١٥ ميلاً منها.

وبقي مستمراً على تلك الحالة إلى أن تاقت نفسه لغزو الضفير، فتهيأ للإغارة عليهم، ولم يستأذن الأمير ابن سعود في ذلك، ومشى نحو الضفير، وتواقع معهم. ثم عاد غانماً إلى مقره.

ولما بلغ الأمير ابن سعود خبر ما أجراه بدون إذن غضب عليه، وسحب منه (الإمام والمستشار)، فأخفق يوسف بيك في مسعاه، واضطر إلى الرضوخ للحكومة العراقية، وأرسل يلتمس الانضمام إليها، مع العفو عما جرى منه، وأبدى أعذاراً لذلك، فقبلت عذره، وعفت عنه.

ثم ترشح لخدمة الحكومة، وجعل يضمن (الكودة) زكاة الغنم. ثم قدم عريضة يطلب فيها سكنى إعلوي (موضع على غدير متشعب من الفرات شمال قصبة الزبير على مسافة نحو ٣٠ ميلاً)، ليزرع في تلك الأراضي حبوباً بمساعدة بعض ربعه، واشتراكهم فيها سوية، فأوعدته الحكومة بالإذن.

وهذا آخر ما كتبناه عن أحوال المنتفق باختصار، راجين من أفاضل القراء إقالة عثرة القلم. إن ألم.

جدول الوفيات

١١٩٣هـ: قتل ثامر بن سعدون بن محمد في بعض المعارك ضد خزاعة.

١٢٣٨هـ: قتل علي بن ثامر بن سعدون أثناء محاصرة الزبير.

١٢٨٠هـ: في ١ جمادى الآخرة توفي الشيخ بندر بن ثامر في بغداد، ودفن في مقبرة الشيخ عمر السهروردي.

١٣٠١هـ: توفي ناصر باشا بن راشد في الآستانة.

١٣٠٤هـ: توفي منصور باشا بن راشد في بغداد، ودفن بجوار الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

١٣١٤هـ: في صفر، توفي فهد باشا بن علي بن ثامر، ودفن في الحي بجوار ضريح سعيد بن جبير.

١٣١٨هـ: في رجب، توفي الشيخ ناصر آل صقر، ودفن في الشامية.

١٣٢٠هـ: في ٢٠ شوال، توفي سليمان بيك بمنصور باشا، ودفن في الشامية.

١٣٢٥هـ: في ٢٤ شوال، توفي فالح باشا بن ناصر باشا، ودفن في مقبرة الزبير.

١٣٢٧هـ: في محرم، توفي مزعل باشا بن ناصر باشا في الغمّوقة التابعة لقضاء الشطرة، ودفن بجوار ضريح السيد أحمد الرفاعي في الجزيرة.

١٣٢٧هـ: توفي مهلهل باشا بن مزيد باشا بن ناصر باشا، ودفن في مقبرة الزبير

بجوار ضريح الحسن البصري.

١٣٣١هـ: توفي مزيد باشا بن ناصر باشا في الشامية.

١٣٤٨هـ: في ١٢ جمادى الآخرة، انتحر عبدالمحسن باشا بن فهد باشا ابن علي السعدون في بغداد.

١٣٤٨هـ: في ١٦ جمادى الآخرة، يوم ب[١]، توفي الشيخ عبدالهادي ابن منصور بن فارس بن مهنا الصقر في الجزيرة[٢].

١٣٤٨هـ: في ١٩ جمادى الآخرة، يوم هـ[٣]، توفي الشيخ راشد ابن عبدالمحسن ابن ثامر الصقر. في الجزيرة أيضاً.

---

(١) أي يوم السبت باعتبار الأسبوع يبدأ يوم الجمعة. (مشرف الخزانة)

(٢) يقصد بالجزيرة جزيرة الصقر في أرياف البصرة الشرقية. (مشرف الخزانة)

(٣) أي يوم الثلاثاء. (مشرف الخزانة)

التنبيه الأول

قد أبنّا في المقدمة بأن ما كتبناه عن أحوال المنتفق هو مقصور ومحدود إلى نشوب الحرب العظمى، وإننا قد أرجأنا التوسع فيه إلى الطبعة الثالثة إن شاء الله تعالى.

وإني أرجو ممن يهمهم أمر تلك الأقطار، من المنتفق وغيرهم. أن يتفضلوا علينا بإبراز ما لديهم من معلومات أو من رسوم وصور كبار المنتفق، أو ممن لهم علاقة ودخل في تلك الأصقاع أو متقدميهم، مع تراجم أحوالهم المعلومة لدى المخبر، بدون تكلف عبارة أو مقدمة، وذلك لنزين بهم جيد هذا التاريخ، كما وأننا في الوقت ذاته باذلون الجهد في اقتناء ما يمكن لذلك، والله المسهّل.

التنبيه الثاني

وقع في هذا الجزء عدة غلطات مطبعية، صححنا قسماً منها في ورقة الصواب[1]، وأودعنا القسم الآخر لذكاء القراء الفخام، حيث لا يخفى على كل لبيب ربط العبارات، واستنتاج المقصود منها، ومما ينبغي لكل مقتن للكتب أن يلاحظ أولاً ورقة الخطأ والصواب، لئلا يخطئ فيما يحفظه أو ينقله، بل يجب على كل مدرس أن يرشد التلامذة إلى هذه النقطة المهمة.

تم بعون الله، وحسن توفيقه: (تاريخ المنتفق) من كتاب التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية.

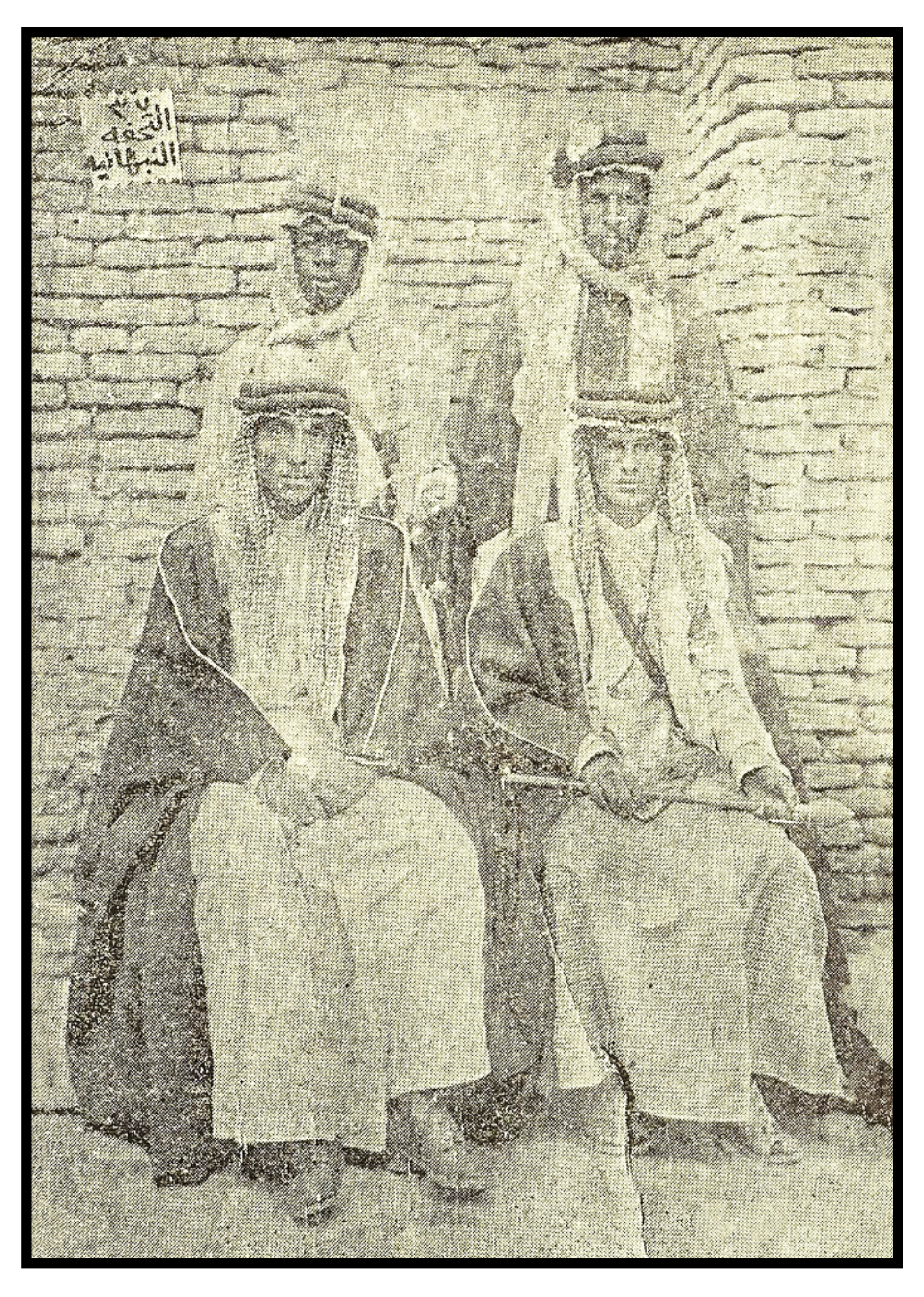
(١) تم تصحيح الأخطاء في المتن حسب ما ذكره المؤلف في ورقة الصواب. (مشرف الخزانة)



فهد باشا ابن علي الملقب بالدوّاي



ثامر بيك بن سعدون باشا



سعود بيك بن سعدون باشا، ومطشر بيك بن عجمي باشا، وهو القابض على الدبوس

(٣)

ذكرى السعدون

أو تاريخ بطل التضحية والإخلاص

لمؤلفه علي الشرقي

وبذيله مقالات علي الشرقي حول المنتفق وآل سعدون

مقدمة الخزانة

علي بن جعفر الخاقاني الشرقي. فقيه وقاضي وسياسي وشاعر عراقي. ولد في النجف سنة ١٨٩٢م، وتعلّم في مدارسها، وأولع بالأدب والشعر منذ صغره، فانكبّ على قراءته والتبحّر في علومه. نشر شعره وأدبه في عدد من صحف العراق ومجلّاتها، واشترك في الثورة العراقية ١٩٢٠م.

رحل إلى الحجاز سنة ١٩٢١ عن طريق البصرة والبحر الأحمر، وقابل الملك حسيناً في جدة ومكة. ثم عاد إلى العراق، وعين عضواً في مجلس التمييز الجعفري في ٧ تموز ١٩٢٧م. ثم مارس القضاء الشرعي في البصرة عام ١٩٣٣م، واختير عضواً في مجلس التمييز الشرعي الجعفري ورئيساً لهذا المجلس من عام ١٩٣٤ –١٩٤٧م، وبعدها عين عضواً في مجلس الأعيان.

واختير نائباً أول لرئيس مجلس الأعيان في ٥ آذار ١٩٤٩م، وجدد انتخابه في كانون الأول ١٩٤٩م، حتى عيّن وزيراً بلا وزارة في ١٠ كانون الأول ١٩٤٩م حتى ٥ شباط ١٩٥٠م، وأعيد تعيينه وزيراً بلا وزارة في ٧ أيار ١٩٥٣م إلى ١٧ أيلول ١٩٥٣م ثم في ٣ آب ١٩٥٤م، واحتفظ بمنصبه في الوزارات المتعاقبة إلى ١٤ تموز ١٩٥٨م، وقد استمّر عضواً بمجلس الأعيان إلى ثورة تموز ١٩٥٨م، واعتقل عند قيام الثورة. ثم أفرج عنه بعد مدة قصيرة.

وتوفي في بغداد يوم ١١ أغسطس ١٩٦٤م، ودفن في مقبرة أسرته بالنجف.

واشتهر في مطلع القرن العشرين كأحد رواد النهضة الأدبية في العراق، وكان له دور كبير في تطوير الشعر شكلاً ومضموناً. كما كان كاتباً مرموقاً تناول في كتبه ومقالاته

القضايا الاجتماعية والسياسية، وكان رجل قضاء وسياسة، لكنه لم يكن طوال حياته إلا شاعراً بالفطرة في رأي مير بصري الذي وصفه بـ «شاعر الأسى والألم».

ومن مؤلفاته: (ديوان علي الشرقي -الأحلام -العرب والعراق -عواطف وعواصف -ذكرى السعدون -الألواح التاريخية -النوادي العراقية -بيت الأمة وطبقاتها).

ذكرى السعدون

او

تاريخ بطل التضحية والاخلاص

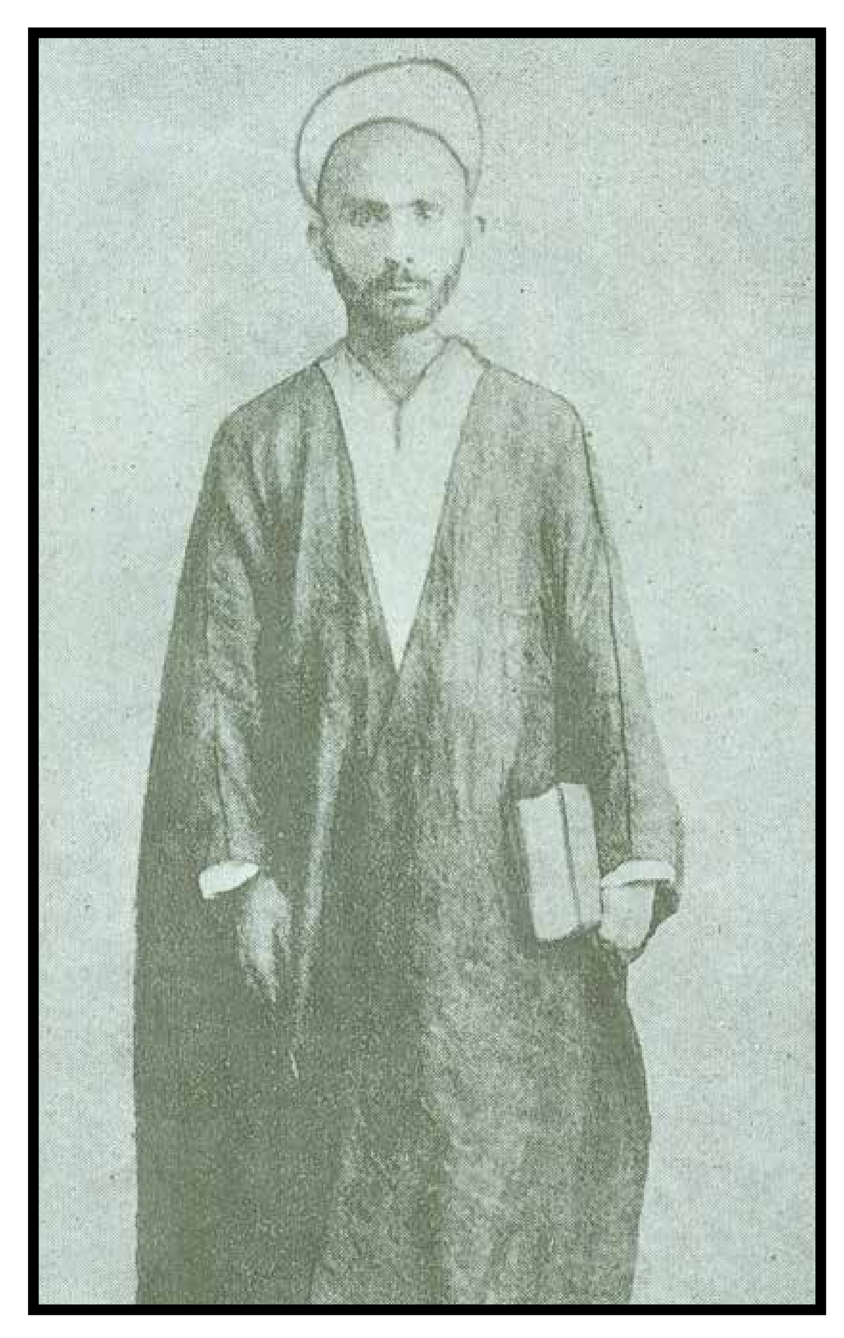
لمؤلفـــه

علي الشرقي

يطلب من ناشره عبدالحميد زاهد
صاحب المكتبة الوطنية

مطبعة الشعب – بغداد

١٩٢٩



علي الشرقي

إهداء الكتاب

سيدي، وجلالتك رمز البلاد، وأبو محنتها، فمن أولى منك بإهداء هذا السجل الممجد، بخشوع في الدم، وروعة في الروح، وجلال في الحظوة والمثول، أتقدم إلى جلالتكم، وإلى الشعب العراقي النبيل بذكرى السعدون بطل التضحية والإخلاص.

عبدالحميد زاهد

كلمة المؤلف

عفواً أبا علي. أيها المحسن إذ أنا لم أؤد الأمانة تماماً، واحتفظت ببعض السر، فذاك لأن ظروفاً قاسية، وملجئات صارمة تحول دون البوح، وعليّ عهد الشرف، وذمة الإخلاص أن لا أفرط بسرك الثمين، وأن أجتهد لاقتناص الفرصة بتجليه وإبرازه، ولئن اختفى قرص الشمس، فأرجو أن يكون في هذا الكتاب شيء من الشعاع الذي يدل عليه.

نم أيها الساهر، فقد أيقظت قومك، واسترح، فقد أتعبت من بعدك، وقد كنت أتطلب فيك، وأسبر في غورك مجدداً لآل سعدون، فإذا أنت مجدد للعراق والعراقيين، وإن صفحات تاريخ العراق الجديد، وما فيه من مدهشات ليس فيها أبهى ولا أعلى من صفحتك، وإذا كان العراق يستفيد ويستمد من مواهبك العبقرية، ومن مكانتك في النفوس، وأنت حي، فها هو اليوم يستمد من روحك، ومن الدرس الخالد الذي ألقيته عليه فوائد أبهى وأبهر.

وكانت في حياتك لي عظاتٌ فأنت اليوم أوعظ منك حيّا[١]

علي الشرقي

(١) بيت مشهور لأبي العتاهية. (مشرف الخزانة)

آل سعدون

بما أن إمارة آل سعدون هي إحدى إمارات المنتفق، وفي المنتفق نشأتُ، فإني ذاكر شيئاً عن المنتفق تمهيداً.

المنتفق

قبائل كثيرة مبثوثة من أعلا الناصرية إلى ظهر البصرة براً ونهراً، وفي القرن الثاني عشر للهجرة احتلوا قسماً من الغرّاف، وهو غراف الشطرة وقلعة سكر وقرى حطامان.

قال السيد إبراهيم فصيح الحيدري في كتابه (عنوان المجد): جميع قبائل المنتفق بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية، ويظهر من سبر الآثار التاريخية الأولى أن المنتفق أهل بادية، ولم يكونوا من القبائل النهرية أهل الريف والمدر.

جاء في كتاب العبر لابن خلدون (جزء ٢ صفحة ٢٠٢): وأما بنو عجل بن لجيم بن صعب، وهم الذين هزموا الفرس (بموقعة) يوم ذي قار، فمنازلهم اليمامة إلى البصرة، وقد دثروا، وخلفهم اليوم في تلك البلاد بنو عامر المنتفق.

وفي هذا الكلام دلالة على قدم احتلال المنتفگ لهذه البلاد، وفي القرن السادس للهجرة نزلوا آجام القصب بين واسط والبصرة، وذلك لما استقدم المستنجد بالله العباسي مقدم المنتفق ابن معروف.

جاء في بعض الكتب التاريخية أن في أخريات أمر السلاجقة كان المتولي على البصرة معروف رئيس المنتفق، وذلك سنة ٥٥٤هـ، وقد بقيت الزعامة في بنيه المشهورين ببني معروف، ويقال أنه من ربيعة، وأن بقيتهم آل معروف لجلاء بني أسد، فنهض ابن معروف بجماعة من المنتفق الذين كانوا نازلين حوالي البصرة وبجهاتها من القرن الثاني للهجرة، كما يظهر ذلك من نصوص التاريخ، ونزل ابن معروف ومن معه من قبائل المنتفق الآجام بعد جلاء بني أسد، وبقيت قبائل كثيرة من المنتفق في البادية.

وإذا أردت أن تعرف انتشار المنتفق قديماً بين العراق وجزيرة العرب تحر الربوع التي احتلوها قديماً، فمنها (الميثب) وزان مبرد. ماء بنجد لعقيل ثم صار للمنتفق (عن ياقوت الحموي)، ومنها (البيضاء) ماء لبني عقيل ثم صار للمنتفق (عن ياقوت)، ومنها (العقيق). قال الهمداني: في جزيرة العرب عقيقان. العقيق الأعلى للمنتفق، والعقيق الأسفل لطيء.

وبنو المنتفق هؤلاء عرفوا باسم أبيهم المنتفق، وهو معاوية بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من العدنانية.

هؤلاء هم المنتفق، وهذا أبوهم. أما اليوم فالمنتفق ثلاث عماير كبيرة قد اجتمعت متحدة ومتفقة، وهم بنو مالك وبنو سعيد وآل أجود، وكل هؤلاء منتفق، ويعرفون بالأثلاث، والذي يظهر من سبر الأنساب وتفتيش التاريخ أن بني المنتفق عميرة واحدة من هؤلاء الثلاثة، والأخريان إخوة بني المنتفق وشركاؤهم بالنسب الأعلى. اجتمعوا واتحدوا، فأطلق عليهم لفظ المنتفق توسعاً ومجازاً، وقد وهم من تصوّر أن لفظ المنتفق من الاتفاق، والنون من زيادات المولدين، كما هي في إجانة ونجانة، فإن المنتفق لفظة عربية، وهي اسم مرتجل لا منقول من صفة، وكتب الأنساب تذكرها بلفظة بني المنتفق لا بلفظ المنتفق.

وإليك ملاحظتنا واستظهارنا بأن العمائر الثلاث ليس كلها بنو المنتفق، فقد ذكرت كتب الأنساب أن بني مالك إخوة بني المنتفق، ويظهر أنهم من عامر بن عقيل أبي المنتفق، وكانت منازلهم بجهات البصرة كما أنهم لم يزالوا مبثوثين هناك.

جاء في نهاية الأرب (صفحة ٢٦٩)، وفي كتاب العبر (صفحة ٧١٢ جزء ٢) ما هذا نصه وفصه: (ومن بني عامر بن عقيل. بنو عامر بن عوف بن مالك، وهم إخوة بني المنتفق، وينزلون بجهات البصرة، وقد ملكوا البحرين من تغلب، واليمامة من كلاب). انتهى.

فيظهر من هذا جلياً أن بني مالك ليسوا بني المنتفق حقيقة، وإنما هم إخوة لأن

بني المنتفق هم بنو عامر بن عقيل، وهؤلاء يرجعون إلى بني عامر بن عقيل.

أما آل أجود، فهم أيضاً رفقة بني المنتفق وحلفاؤهم، وليسوا من بني المنتفق حقيقة، ولكن يجمعهم مع بني المنتفق هوازن، فإن آل أجود بطن من غزية، وغزية بطن من هوازن، وبنو المنتفق يرجعون هم وإخوتهم بنو عامر بن مالك إلى عامر بن صعصعة، وعامر بن صعصعة من هوازن، فعند هوازن يلتقي آل أجود وبنو المنتفق، فهم ليسوا من صميم المنتفق، بل حلفاء وأقارب.

وينتج مما أثبتنا أن بني سعيد هم بنو المنتفق حقيقة، ولا نعلم متى انتسبوا إلى سعيد هذا، كما أن بني مالك هؤلاء يعرفون في كتب الانتساب ببني عامر بن عوف بن مالك، ونعارهم اليوم (أبناء عامر)، ولا نعلم من أي زمان انتسبوا إلى جدهم مالك، واليوم يطلق على جمهور المنتفق (حمراء المنتفق)، وذلك كناية عن سلاحهم أو نار قراهم.

ويطلق في التاريخ على أمير المنتفق وزعيمهم (مقدم المنتفق)، والذي وصل إلينا أن بني معروف كانوا يتقدمون المنتفق في القرن الخامس والسادس والسابع للهجرة، وبنو معروف رهط من ربيعة الفرَس، وفي القرن العاشر خفت ذكر بني معروف، وكان مقدم المنتفق في البصرة راشد. ثم ولده مغامس. ثم ولده مانع، ونبغ ذكر آل سعدون، فكانت ولا تزال مشيخة المنتفق فيهم.

آل سعدون

عائلة شريفة هبطت العراق في أوائل القرن العاشر للهجرة، وأسسوا فيه إمارة كبرى دامت أربعمائة سنة تقريباً، وقد تولى المشيخة منهم شيوخ كثيرون نحصي منهم ٢٢ شيخاً.

وهم قوم يرجعون بأنفسهم إلى الحجاز، وبأنسابهم إلى أشراف الحجاز وأمرائه، فهم قرشيون هاشميون علويون، وأكبر دليل على حجازيتهم أنهم موالك[١]، ولا موالك في العراق، وإنما هم في الحجاز والمغرب، ولا صلة بين آل السعدون وبين بلاد المغرب، فهم حجازيون، ويظهر أنهم من أشراف المدينة، ويدل على ذلك عدة أمور، منها الوسم الذي يسم به آل السعدون إبلهم، والذي يسمونه (شبيبية)، فإنه قريب من الوسم المعروف عند أشراف المدينة، ومنها عمود نسب عند آل علي: بيت من بيوت آل السعدون، وهو بيت فقيد الأمة عبدالمحسن بك، ومنها شهادة جلالة الملك الحسين ملك الحجاز وأبي أشرافه.

ففي سنة ١٣٤٠هـ وجُدتُ في الحجاز، وحضرتُ البلاط الحجازي، وتشرفتُ بالمثول، وتجاذبتُ الحديث مع جلالته عن العراق وقبائل العراق، فصرح جلالته أن بين عائلة آل السعدون وعائلته الشريفة رابطة نسب، وكذلك آل السعدون يرون الرابطة، ويعدونها نسبهم الصريح الذي به يواجهون كبار العرب وذوي الأنساب العالية.

ومنها مظاهر هبوطهم إلى العراق، فإن تلك المظاهر كانت مظاهر أشراف علويين، فإن زعيم بني خالد تلك الطائفة الكبيرة في طوائف بني مالك ذلك العهد لا

---

(١) موالك. أي سنة على المذهب المالكي. (مشرف الخزانة)

يزوج ابنته من مستجير بهم مستضعف ما لم يكن عظيماً في نسبه. شريفاً في حسبه، كما هو ديدن المصاهرة وآدابها عند الزعماء الكبار من العرب.

وكما أن شروط الصلح التي خضع لها المنتفق، وهم أكبر قبيل في ذلك العهد تدل صريحاً على أن جارهم كانت فيه اللياقة التامة من حيث الحسب والنسب لأن يُملي تلك الشروط الثقيلة، وإن كان ضعيفاً في عدده وعدته، فإن كرام العرب تحترم قوة الأحساب والأنساب أكثر مما تحترم قوة السلاح والمال، ولو لم يكن الرجل شريفاً، ونسبه أعلا من كل نسب لم تستسلم المنتفق للخضوع له أبدياً. كل ذلك لأجل حادثة جوار، فإن العرب وإن بالغت في إكرام الجوار، ولكن جعلت لتلك الحقوق حدوداً ورسوماً.

وتوجد في عادات آل سعدون وألقابهم دلالات جلية على أن القوم (أشراف) علويون، منها عدم تزويجهم بناتهم إلا لأبنائهم، فلا يزوجون أكبر شريف من أشراف العرب، وذلك إذا كانت البنت سعدونية محضة. أما إذا كانت أمها غير سعدونية، فلا يتشددون في المنع، ومنها إلحاق أسمائهم لفظة (شريف) أو (سيد)، مثل الشريف حسن، والسيد ناصر، والسيد سليمان المنصور، وهذه الألقاب في العراق من خواص العلويين، وهناك أمارات كثيرة على صحة ما بأيديهم من النسب.

وجل ما أحاول في إثبات هذه الكلمات تفنيد مزاعم بعض المشوشين، ومن جملة تلك المزاعم ما نشرته جريدة (صدى بابل) البغدادية في عدد ٧٩ من سنتها الثانية لصاحبها المعلم داود. إذ ذهبت بالقوم إلى أنهم من أشراف العراق لا من أشراف الحجاز، وقد كان أشراف العراق ينزلون الجزيرة جزيرة العرب قريباً من البطايح والفرات الأسفل، ويوجد في جوار الناصرية (ناصرية المنتفق) مشهد يسمى (قبر الشريف)، وهو أحد أجداد أشراف العراق الذين نعرف من بقاياهم اليوم (آل سويط) زعماء قبيلة آل ضفير، وأن زعامة آل سويط على آل ضفير تتصل من ٣٠٠ عاماً تقريباً.

وقد لفق صاحب صدى بابل نسباً متناقضاً فيه تقطعات وفجوات كثيرة،

وفيه هوة واسعة بين أجداد آل سعدون وبين الحلقة الأولى من سلسلة ذلك النسب يقتضي لها إيجاد عشرة من الجدود حتى تتصل الحلقات، وغير ذلك، فإن آل سويط الذين هم يقيناً من أشراف العراق لم يعرفوا لهم لحمة بآل سعدون في النسب، لا في القديم ولا في الحديث على قرب الجوار، وطول الخضوع لآل سعدون، ولو لم يكن هذا التشويش مطبوعاً لما أبهنا له، ولكن ألمعت بذلك طياً لما نشر، ومحواً لما سطر، ويتألف تاريخ آل سعدون كغيره من تواريخ الإمارات العربية من دورين: بناء وهدم.

البناء

اعلم أن عائلة آل سعدون فرع من دوحة كبيرة تعرف بآل شبيب، فالشيخ سعدون الأب الثاني لهذه العائلة، وهو من أحفاد شبيب، ولآل شبيب مشيخة المنتفق سابقاً، ويمكننا أن نذكر عدة من المشايخ من آل شبيب تعاطوا إمارة المنتفق، ومنهم انتقلت الزعامة إلى سعدون آل محمد أحد أحفاد شبيب، ومن بعده ترددت في أحفاد محمد بن ثامر آل سعدون، وآل محمد، وثويني العبدالله آل محمد، وحمود آل ثامر السعدون، ومن هذا التاريخ استقرت الزعامة في آل سعدون، وفارقت آل شبيب من بعد ثويني آل عبدالله، وإذا أردنا أن نذكر البناء، فيجب علينا أن نذكره من (الساف) الأول، والحجر الأساسي.

الشريف حسن

لقد كان من جملة أشراف الحجاز في القرن التاسع للهجرة إخوة أربعة: «حسن ومسرور ومهنا وبركات»، وكان للشريف حسن بنت اسمها نورة، وولد اسمه شبيب، فوقع شجار بين الأخوة الأشراف.

ويقال أن سببه اختلاف بين الشريف حسن وأخيه مسرور الذي رغب في تزويج نورة من أحد أولاده، فامتنع الشريف حسن لأن أولاد أخيه كانوا أبناء أَمَة، وبذلك النزاع تهدم بنيان أولئك الإخوة، وتفرقوا، فذهب مهنا إلى تونس، ويقال أن سيد تونس من ذلك الصلب، وذهب بركات إلى بلاد العجم، وبقي مسرور في الحجاز.

أما الشريف حسن، فمكث في المدينة هو وولده شبيب وابنته نورة. ثم غادرها إلى محل في نجد، وأنشأ هناك قرية سميت باسم ولده (الشبيبية) تبعد عن عنيزة ١٢ ساعة للهجانة، ووسم إبله بسمة معروفة إلى الآن عند آل سعدون وعند المنتفق تسمى (الشبيبية)، ومات ولده هناك. ثم ماتت ابنته، فجزع من الإقامة هناك، وإلى الآن نعار آل سعدون وقت النخوة وساعة الكرب (أخو نورة).

فتحول الشريف حسن من الشبيبية، ونزل الباطن غربي الفرات في السهل العريض المعروف بـ (الشامية) جزيرة العرب، والباطن حد من حدود العراق ونجد اليوم، وقد كانت تلك الأراضي منزلاً لبني مالك إحدى قبائل المنتفق، فاستجار بزعيمهم شيحان بن خصيفة، فأجاره وأحسن إليه وأذمّه، وبقي مستجيراً بشيحان حتى درج، وذلك غب أربع سنوات، وانتقلت زعامة بني مالك إلى عبدالله، واقترن الشريف حسن بابنة زعيم بني خالد، وهم رهط من بني مالك، فولدت له (محمداً وعبدالله وشبيباً).

وبعد أن شبّ أولاده، وحملوا الأهبة والسلاح تجمل بهم، ولكن وقعت معركة بين آل أجود وبين بني مالك قتل فيها ولده الصغير عبدالله، وبعد أن خمدت جذوة الحرب رغب آل أجود في صلح بني مالك، فامتنع زعيم بني مالك رعاية لذمام النزيل المحترم الذي قُتل ولده، وصوناً لحقوق الجوار، فاضطر آل أجود إلى إرضاء النزيل أولاً، وجلبوا عليه كبراءهم وأولي الحشمة منهم، وطلبوا من الشريف أن يكلفهم الباهظ الثقيل من الحطام في سبيل ترضيته.

فرد عليهم: (بأني أسمح لكم كافة حقوقي جباراً قبالة وفودكم إليّ، وكرامة جلوسكم في محفلي)، فأبوا ذلك عليه، وقالوا: (نحن لا نلوث سمعتنا عند بقية العرب، فإنك نزيلنا وجارنا المحروس، ومن المحتم علينا في شرعة الذمام أن نجزل إليك، ونقدم أكبر دية عن قتيلك مع ترضية فيها حشمة، وهي عشرون بنتاً من كرام بناتنا).

وعند العراقيين عادة، وهي أنهم يدمجون في الدية بعضاً من بناتهم يقدمها آل القاتل إلى آل المقتول حتى يتزوجوا بهن، ويحملن لهم بأولاد، أولاً يسدون الفراغ الذي يتركه المقتول في تلك القبيلة، وثانياً بالمصاهرة والخؤولة يرأبون الصدع والحزازات التي توجد بواسطة القتل، ولأجل ذلك ترى عرفهم لا يعتبر المرأة أدت حق الدية حتى تلد، فلو ماتت قبل الولادة يستحق آل المقتول امرأة غيرها عند آل القاتل، فقال لهم الشريف: (نحن لا نقبل الدية عن دمائنا الكريمة).

وكان الشريف كبير النفس، كريم النزعة، وقد صادف قوماً بسطاء آنيين لا ينظرون إلى أبعد من أنوفهم، يتمسكون بعاداتهم، وإن جلبت عليهم كل ويل، فحاول أن يتصيدهم، ويضع له ما بينهم الحجر الأول من النفوذ والمكنة، فشدد عليهم في النكير، وبالغ في الإباء حتى أيقن أنهم حاضرون لكل ما يراد بهم، فقال: (أني أطلب ترضية منكم:

١- أن لا أنهض احتراماً لكل من وارد منكم عليّ.

٢- أن تكون تحية الوارد منكم علي بتقبيل يدي.

٣- أن تكون لي عندكم جباية في كل ربيع شاتان (منيحة وذبيحة) على كل بيت.

٤- أن تكون هذه الشروط نافذة على بني مالك وآل أجود معاً.

٥- أن تكون هذه الامتيازات لي ولأولادي وأحفادي ما تعاقبوا.

هذه هي الدية اللائقة بدمائنا الشريفة)، فتثاقل القوم من سماعها أولاً. ثم رضخوا لها كرامة لحقوق الجار، فأجابوه: (نعم لك علينا ذلك إن كان فيه كرامة الجار)، فذهبت زعامة ضعفاء الأحلام ضحية وفائهم، وجهلهم بمغبة الأمور.

هذا ما تحفظه صدور الواعين من المنتفق عن مبدأ الزعامة السعدونية. أما أنا فأشك في وقوع هذه القضية، وأعتبر هذا المنقول قصصاً روائياً يمثل تكون إمارة آل سعدون على المنتفق، وأن مبدأها أمور أدبية ما فيها شيء من القهر والسلطان. ثم تدرج سلف آل سعدون في الاستيلاء على تقاليد المنتفق، والقبض على مقدراتهم حتى بلغت إمارتهم إلى ذلك السلطان، وذلك النفوذ الذي تحمله تلك الشروط، وكيف ما كان المبدأ، فقد تكونت تلك الإمارة، ولنطرد البحث.

الشيخ محمد

وبعد أن درج الشريف حسن رجعت تلك الحقوق إلى أولاده، وكان زعماء بني مالك يرضخون لإمارة البصرة، وهي في ذلك الوقت كانت لآل راشد زعماء المنتفق وحكام البصرة، وقد كان راشد أبا هذه العائلة في الثلث الأول من القرن العاشر يعمل للصفويين في البصرة. ثم مال إلى العثمانيين أول دخولهم إلى بغداد، وهو أول ممثل للعثمانيين في البصرة. ثم انحاز بالبصرة عن العثمانيين إلى الفرس، وصابر جيوش بغداد، وثبت لحملات الفرس، وهكذا بقي هو وأولاده من بعده زهاء قرن من الزمان، فتارة يكونوا متسلمين عن الحكومة العثمانية، وتارة يعملون للصفويين، وقد يستقلون، وقد يجلون من البصرة مؤقتاً. ثم يعادونها.

وفي خلال ذلك الزمان عصى زعيم بني مالك المدعو عبدالله، وتمرد على أمير البصرة وزعيم المنتفق ابن راشد، فوجه الأمير إليه جيشاً لا قبل له به، وتوسط الشيخ محمد للصلح، ولقي من الأمير حظوة ومنزلة أثرت له في قلوب بني مالك أثراً بالغاً، وأصبح الشيخ محمد من ذلك العهد وسيطهم المقبول عند الأمير في كل شؤونهم المهمة كالجباية وغيرها من الرسوم الأميرية، وكل ذلك يتمكن من قلوبهم أي تمكن، ورغبوا إلى الشيخ محمد وأخيه شبيب دون زعمائهم أن يتقلدوا من الأمير وكالة الجباية لأنهم رأوا منهما التساهل والتسامح.

وبعد أمد غير بعيد وقعت مشاغبة بين بني مالك وبين الأخوين، فاستفزّ أحد الأخوين آل أجود، واستمد الآخر بأمير البصرة، فأمدهما، وتم التغلب والنفوذ لهما على بني مالك، وآل أمرهم إليهما. ثم جهز الأخوان حملة على البصرة، فاحتلت من قبلهما.

الشيخ شبيب

وتحكم فيها أحدهما، وهو الشريف شبيب، وقصده الفرس، فأخذوا منه البصرة، وذلك بعد أن قتل أخوه محمد في المعركة، وترك ولداً يقال له مانع. ثم استرجع شبيب البصرة، وتوفي، وترك ولداً يقال له محمد.

مانع الأول

فكانت الزعامة لمانع، وهو مانع الأول، ومنه استرجع العثمانيون البصرة، فنزل مانع أرض بني خاقان، وكان زعيمهم يومئذ فرحان الخاقاني، وآل خاقان هؤلاء بقية من الترك الذين تغلغلوا في تلك البلاد، واستوطنوا، ويظهر أنهم من خاقانية فرغانة التركية، لأن علية هذه القبيلة يسمون اليوم (فراغنة)، ويوجد الغالب منهم اليوم في ذنائب الفرات الأسفل على مقربة من سوق الشيوخ، وتوجد منهم فرقة تنزل فرات الحلة السيفية.

الشيخ حسن

لما توفي مانع خلفه على الزعامة ولده حسن، وكان هادئاً، فطوى بساط حياته بسلام وسكون، ولما مات خلفه:

شبيب الثاني

وقد قتل في معركة نشبت بين طوائف المنتفق.

مانع الثاني

وخلفه ولده مانع الثاني، وفي سنة ١١٠١هـ تجهز لاسترجاع البصرة، وفي سنة ١١٠٢هـ عصى الشيخ مانع الثاني، فحاربه حاكم البصرة الدفتر دار حسين باشا مراد، وانتهت المعركة بانكسار حسين باشا لتقاعد والي بغداد عن نصرته، وقد كبر نفوذ الشيخ مانع بهذا الانتصار، واستوسع حكمه حتى احتل جصان وبادرايا ومندلي، وقد كانت بادرايا يومذاك مركزاً للحكومة العثمانية، وذلك قبل إنشاء مدينة الكوت التي انتقل إليها مركز الحكومة العثمانية، وجعلت بادرايا مركزاً تابعاً لها.

ولما انتصر الشيخ مانع الثاني على حسين باشا الدفتر دار عزل السلطان حسين باشا، وأرسل بدله أحمد باشا بن عثمان باشا، واشتبك أحمد باشا مع أمير المنتفق في معركة نشبت بينهما في (الدير) قتل فيها أحمد باشا، فنصب العثمانيون الذين هم في البصرة الكتخدا حسين آغا، واتفقوا على توليته بمكان أحمد باشا، فحارب حسين آغا المنتفق، وأوشك أن يصدهم عن البصرة، ولكنه قتل.

فاتفق العثمانيون المقيمون في البصرة على حسين الجمال، فنصبوه والياً عليهم، وذلك سنة ١١٠٣هـ، فقام بالأمر حتى وجهت الولاية في البصرة إلى خليل باشا، وذلك سنة ١١٠٤هـ، فجهز جيشاً من بغداد والموصل وشهرزور، وقاد الحملة بنفسه لقتال الشيخ مانع، وحمس النزال، وحمت الحرب بين الشيخ والباشا، فانكسر الباشا، وقوي أمر الشيخ، واضطر العثمانيون إلى استمالة الشيخ مانع، فعقد معهم صلحاً شريفاً.

وبقي خليل باشا بصفة رسمية، وشبحاً ظاهرياً في البصرة كموظف للسلطان في

البصرة، ولكن البصريين سنة ١١٠٦هـ ثاروا عليه وطردوه، وسلموا المدينة إلى الشيخ مانع، وبقيت بيده إلى سنة ١١٠٩هـ.

وفي سنة ١١١٠هـ كان في الحويزة عامل للصفويين يسمى فرج خان، وكان يطمع بالاستيلاء على البصرة والقورنة والجزائر، فخدع الشيخ مانع، واستولى على البصرة، واتفق مع المنتفق، وأرسلوا مفاتيح البصرة إلى شاه العجم، فأرسل الشاه المفاتيح مع هدية سنية إلى السلطان العثماني مصطفى.

وفي سنة ١١١١هـ ولي بغداد الوزير علي باشا، وأمره السلطان بمحاربة المنتفق، فسار إليهم وحاصرهم، فصالحوه على مال، وكان في البصرة متسلماً داود خان، فخرج وتسلم البصرة حاكمها السابق حسين باشا، وكان في القرنة متسلماً ميرزا خان، وفي الحويزة فرج الله خان، وهؤلاء الثلاثة كانوا يمثلون شاه العجم، فخرج داود، وبقي الآخران في القرنة والحويزة، ولم يعترضهم العثمانيون حتى جاءت سنة ١١١٢هـ ولي بغداد إسماعيل باشا، ولم يقدر على محاربة الأعاجم، فعزل وولي بغداد دال دابان مصطفى باشا، فدخلها وحارب المنتفق والأعاجم، وقدم لمعونته والي الموصل يوسف باشا الحلبي، وحاكم العمادية قباد باشا، ووالي ديار بكر الحاج محمد باشا، وحاكم حلب أحمد باشا، وحاكم أورفه إبراهيم باشا. اجتمعوا ببغداد في شهر شعبان سنة ١١١٢هـ، وعدد ململتهم ٢٠٠,٠٠٠ فارساً وراجلاً.

فسار بهم دال دبان مصطفى باشا، ونزل على القرنة، وفتحها بعد أن فر من بها من المنتفق والعجم، وسار إلى البصرة فدخلها، وأرسل إليه صاحب الحويزة فرج الله خان يستأمنه، وسلم إليه البلد، وهرب أمير المنتفق مانع، وأرسل إلى مصطفى باشا يطلب الأمان والمصالحة على مال، فصالحه وعفا عنه، ورجع إلى بغداد.

وكان لمانع الأول أخ يقال له صالح لم تنته إليه الزعامة، ويوجد نهر كبير في البطائح يعرف بنهر صالح، وقد كان هذا النهر نابه الذكر بين نهران البطايح، وعليه قرى عامرة، وهو منسوب إلى صالح هذا.

وفي عهد شبيب الثاني امتعض آل أجود، وهم حلفاء المنتفق، وإخوتهم من ثقل وطأة تلك السلطة التي فوقت عليهم بني مالك، فاحتدمت نار الوغى بينهم وبين بني مالك، ومعهم الشيخ شبيب، ونشب القتال، فقتل في تلك المعركة الشريف شبيب.

ولما خلفه مانع الثاني أثار حرباً شعواء على آل أجود ثورة وانتقاماً حتى أبادهم، وكثر فيهم اليتم، ومن ذلك الوقت صار نعار آل أجود وقت النخوة (يتيم.. يتيم) تذكاراً إلى يتم ذلك اليوم، وحتى زماننا هذا توجد حسكة ضغن وموجدة في الصدور بين آل أجود وبني مالك توارثتها القلوب من ذلك الموقف لأن سيوف أجداد آل سعدون في تلك المعركة كانت بني مالك، وهم الذين أبادوا آل أجود، ودامت زعامة الشيخ مانع الثاني إلى سنة ١١٢٥هـ، ولما درج خلفه ولده:

الشيخ محمد

وفي سنة ١١٣٧هـ عصى أمير المنتفق الشيخ محمد على الحكومة العثمانية، فحاربه حاكم البصرة عبدالرحمن باشا، ونهب وهوّل في التأثر والمتابعة حتى أخضع المنتفق، وطلبوا الأمان، فصالحهم على أموال كثيرة.

وفي هذه السنة خلعت الوطنية عن العراق أكبر قبيلة عربية من صميم العرب، وهي قبيلة كعب، فإن زعيمها الشيخ سلمان جزع مما لاقاه من ظلم عمر باشا والي بغداد، فالتجأ إلى كريم خان الزند سلطان إيران، فأسكنه مع قبيلته بأرض الدورق، والآن توجد أمكنة في تلك الأنحاء تعرف بالسلمانية، فهي تحمل اسم الشيخ سلمان، وترمز إلى زمن هبوطه إلى تلك الأطراف.

وتوجد كلمة عند آل قشعم (جشعم) يجلبون بها، ويترنمون في وقت النخوة، وهي قولهم (أبو رقاب)، ولها مساس في تاريخ الأمير محمد آل مانع، وذلك أن الأمير محمد استعمر آل قشعم، فأذلهم واستخدمهم للمنتفق، ونقلهم معه إلى أرض (الشامية) بادية العراق، ونزل بهم (الحجرة) وهي مقر النعمان بن المنذر في بادية العراق سابقاً[١]، وله فيها آثار قصر.

ولما انقضى زمن الربيع أقبل بهم الأمير محمد، ونزل (الشرش) قرية من قرى البطايح مما يلي البادية في ظهر البصرة، وكان هناك مقره ومقر آبائه من قبله، وهناك رفات أبيه مانع، وزعماء المنتفق من القديم لا ينزلون المدن، ولا يتوسطون الحضارة، بل كانوا يحتفظون ببداوتهم، وينزلون في ظهر البصرة، وهكذا كان آل سعدون حتى

(١) الحجرة صحراء غربي العراق، وبسبب نطق الجيم ياء باللهجة العامية اعتقد المؤلف أنها بقايا (الحيرة) عاصمة المناذرة، وهذا غير صحيح، فالحيرة تبعد عدة كيلومترات عن مدينة النجف الحالية. (مشرف الخزانة)

أنهم لما نزلوا الناصرية لم يتوسطوا المدينة، بل كانوا ينزلون في ظهر الناصرية، وهكذا هم في الشطرة، فكانوا ينزلون (الكار) بادية الغرّاف، فشق على آل قشعم ذلك الانقياد والتابعية، وانفطرت مرائرهم ضيماً وهضماً.

وكان مانع أبو الأمير محمد قد خطب امرأة من علية آل جشعم، وكانوا قد أبوا عليه التزويج، ورفضوا لخطبته لأنهم كانوا يرون أنفسهم أنبل منه، ولما صاروا تحت إمرة ولده محمد ارتأوا أن يهدوا إليه تلك المرأة استرضاء، فأجابهم أنه يراها كأم له، لأنها كانت مخطوبة لأبيه، ولذلك فإنه يقبلها، ويزفها إلى قبر أبيه الموجود هناك انتقاماً من تعندهم وعنجهيتهم في الأول، ولما أصبحوا للغد حسب عادات العرب في الزفاف أخذوا يجرون الخيل للسباق ومبارزة الفرسان، ويلعبون بالسيوف (طابق) يزفون تلك المرأة إلى الموت، وبينا هم في لعبتهم إذ جمح بالأمير محمد فرسه، فسقط واندقت عنقه، ومات لساعته.

وبعد ذلك استأذن آل قشعم للرحيل، فأذن لهم، وخلصوا من ذلك الاستعباد، ومن ذلك اليوم أخذوا يتعاطون بكلمة (أبو رقاب) كأن سعدهم ساعدهم، فاندق عنق عدوهم، فهم دائماً يرمزون إلى ذلك الروح المساعد في وقت ضائقتهم.

ولما درج الأمير محمد ترك أولاداً متعددين: عبدالله، وهو جد آل ثويني، وروضان، وهو جد آل روضان، وسعدون، وهو أبو العائلة السعدونية، وهو أكبر أولاد الأمير محمد.

هذا أساس البناء لآل سعدون، وقد نقلوا كثيرا من مواد البناء من شيوخ المنتفق آل راشد، ومن الصفويين أمراء فارس والأهواز، ومن العثمانيين أمراء بغداد، وقد اشتبكوا لترسيخ هذا البناء مع شيخ العراقين (ابن قشعم)، وأزالوا سلطانه، وصار تحت نفوذهم، واشتبكوا مع مشيخة خزاعة، وإمارة ربيعة وإمامة آل سعود، وكثيراً ما سحقوا قبائل طي (بني لام).

وتم بناء الصرح التاريخي لآل سعدون، وهي إمارة ضخمة وسعت كل عراق

البصرة، وتجاوزته إلى حدود السماوة على الفرات، وقريباً من كوت العمارة على دجلة، وكل بادية العراق وبلاد البطايح، فليست مشيخة آل سعدون كغيرها من مشيخات العراق التي كانت في خزاعة وزبيد وعبادة وعقيل وربيعة وطي (بني لام). كلا، بل إنها إمارة واسعة، وقد تمايل ذلك البناء للانهدام تدريجياً حتى انهدم.

الانهدام

تم بناء الإمارة السعدونية، وتغلب على كل الطوارئ، ونهض لا يبالي بالعواصف التي كانت تهب عليه، فتعصف وتتلاشى بدون أن يهتز لها، ولكن لم يطل عمر ذلك البناء حتى أخذ يتمايل إلى الانهدام، وقد عملت على هدمه معاول ثلاثة:

١- توسع النفوذ العثماني.

٢- تمسك آل سعدون ببدويتهم في بلاد حضرية.

٣- انقسام آل سعدون على أنفسهم.

ونحن هنا نعجل لك بذكر المعول الأول (التوسع العثماني ومشيخة آل سعدون)، وفي أخريات البحث عن هذه العائلة تطلع على الأمرين الأخيرين.

كل حركات العثمانيين في بلاد العرب تدل على تخوف العثمانيين الأتراك من البلاد العربية، وشدة حذرهم، خصوصاً من بيوت الشرف والإمارة في تلك البلاد، ويمكن أن يقال أن الحكومة العثمانية عدوة البيوت النابهة في بلاد العرب، والمعول الهدام لتلك البيوت، وعسى أن يكون ذلك حرصاً على الخلافة، وخوفاً عليها من أهلها.

وموقف آل سعدون في نصف العراق، وفي كل بادية العراق جلب اهتمام الباب العالي، وحوّل اتجاهه إلى هدم تلك الإمارة، فكانت مهمة القواد والولاة الأتراك ضعضعة الإمارة السعدونية، ومناوئتها. كل بدوره وحسب دائرة اختصاصه، هذا بالحركات العسكرية، وهذا بالتحفظات السياسية، وهذا بالشروط المالية، وهذا باقتطاع

أطراف بلاد الإمارة وانتزاعها من آل سعدون.

ومن النصف الأول إلى قرن الثالث عشر الهجري اعتزمت الحكومة العثمانية على نزع البلاد من آل سعدون، وقد سلكت لذلك من طرق ثلاث:

١- المقاومة العسكرية، فقلما كانت تمر فترة في القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، ولم تصدم الحكومة العثمانية البناء السعدوني بحملة عسكرية.

٢- اتخذت الحكومة خطة إدارية فيها توطئة للاستيلاء التام، وهي السعي في إفراز ما يمكن إفرازه من بلاد المنتفگ، ولا شك أن الاستمرار على هذه الخطة يأتي على كل البلاد تدريجياً، فجعلت في كل مزايدة تقتطع شيئاً من البلاد، وتحتفظ به لنفسها.

٣- التشبث بانقسام العائلة بعضها على بعض، وجعل بعض بيضهم يكسر البعض الآخر، والذين يهمني أن أذكر للقارئ الخطة الإدارية السياسية التي رسمتها الحكومة العثمانية للاستيلاء على بلاد المنتفگ. أما الحوادث العسكرية، وحوادث انقسام البيت على نفسه، فذاك يعرفه القارئ من مطاوي البحث.

أما الخطة، فقد كانت أولاً بجعل بلاد المنتفگ ومنها البصرة إقطاعية تقتطع بأكياس معلومة عن الزعيم السعدوني، وذلك في عهد الولاة المماليك في العراق، بل وإلى عهد محمد نجيب باشا سنة ١٢٠٨هـ. ثم في عهد خلفه عبدي باشا، وقد فكر هذا في جعل البصرة إيالة مستقلة عن بغداد في الإدارة فقط، وتبقى مرتبطة في الشؤون المالية والعسكرية، واختار لهذا التعيين راغب باشا، وفي الأخير عين معشوق باشا، واعتبرت البصرة متصرفية، ولم تكن الإدارة العثمانية في أكثر من البصرة نفسها والمناوي وگردلان، وكانت بسيطة جداً، وهذا أول إفراز من الإمارة السعدونية، وبات رجال الترك متربعين في وسط الحمى، وقد كانوا ينظرون إليه من بعيد، وبهذا التربع أصبحوا يفتشون في جوانب البيت عن الضعف، ويبحثون عن الطرق المؤدية إلى هدم السور.

وفي سنة ١٢٦٨هـ عين العسكري محمد رشيد باشا والياً على بغداد، فاتبع خطة الإفراز من بلاد المنتفق، وأقنع الشيخ منصور باشا بإفراز السماوة وتوابعها، وما يلحقها من العشائر، وجعلها تابعة للواء الحلة، وبذلك انفصلت تماماً مشيخة بني حكيم عن مشيخة المنتفق.

ثم حصلت مهاترة بين شيخ المنتفگ وبين والي بغداد تقدمت فيها الجنود العثمانية، واحتلت سوق الشيوخ، وتعين العسكري حسين باشا قائمقاماً لسوق الشيوخ، أو لكل بلاد المنتفگ الفراتية، وذلك في سنة ١٢٧٢هـ، ورضخ الشيخ منصور لإرادة والي بغداد، وأفرز له موضعاً آخر من بلاد المنتفق، وفي هذه السنة عين السيد داود السعدي مدرساً ومفتياً في بلاد المنتفق.

وفي سنة ١٢٧٤هـ تعين لولاية بغداد عمر باشا السردار، فسحب الجنود المرابطة في سوق الشيوخ، ولكنه احتفظ بالأماكن المقتطعة من بلاد المنتفق، وجعل منصور باشا قائم مقام المنتفق.

وفي سنة ١٢٧٧هـ عهد توفيق باشا والي بغداد بمشيخة المنتفگ إلى الشيخ بندر بعد مزايدة جرت بينه وبين الشيخ منصور، وقد قطعت المشيخة على الشيخ بندر ثلاث سنوات، وبدل كل سنة ٤,٩٠٠ كيس، ولكن اشترط عليه إفراز (أبي الخصيب وباب سليمان وشطرة العمارة).

ثم أسندت للشيخ منصور، وعارضه الشيخ ناصر، وأفرز: (يوسفان وجبارات وباغات الصفارية والعامية والفياضي وكوت الإفرنجي وجزيرة العين والكباسي الكبير والصغير وريان).

ويهمني أن أذكر للقارئ صورة من تلك (الشرطنامات) التي كانت تقدمها الحكومة العثمانية للشيخ من آل سعدون، وذلك بعد أن تتوثق منه بسند وكفالة، وقد وجدت البحاثة يعقوب سركيس يذكر مضمون (شرطنامه) في بحث له عن مشيخة آل سعدون (في الجزء الأول من السنة الخامسة لمجلة لغة العرب البغدادية)، فآثرت نقل

ذلك المضمون، كما أني استقيت بعض المعلومات المهمة من مقال ذلك الفاضل، وإليك ما ذكر بنصه وفصه:

(لما كانت مدة (التزام مقاطعات ديرة المنتفق) قد انتهت، وجب وضعها في المزايدة بعد إفراز بعض المقاطعات المجاورة للبصرة، فقرر المجلس الكبير بحضور المشير إفراز المقاطعات المسميات: الفياضية والعامية ويوسفان وكوت الإفرنجي وكباسي الكبير والصغير وجزيرة العين وريان وجبارات وكتيبان وباغات الصفارية مع توابعها ولواحقها بحدودها المعلومة)، ووافق هذا المجلس على حط وتنزيل بدلاتها السنوية البالغة ٦١٥,٢٢٥ غرشاً من بدل السنة ١٢٨١، وهو ٣,١٦٦,٠٦٦ فوضعت مقاطعات ديرة المنتفق في المزايدة مع استثناء تلك المقاطعات التي اشترط إفرازها، وضم ١,٨٤٠,٨٢٥ غرشاً على الباقي من المطروح منه (شيخ مشايخ المنتفق (كذا) النجابة الشيخ ناصر باشا السعدون).

وبعد انقطاع الرغبات أضيف على المجموع ٤٧,٢٠٨ غروش، وكسر عن رسم خرج باب والدلالية، فبلغ البدل السنوي ٤,٣٣٨,٨٧٥ غرشاً، وبنتيجة الحساب بلغ بدل السنوات الثلاث التي تبدأ من أول أيلول سنة ١٢٨٢ أيلوليه (وسنة ١٨٧٦ ميلادية) وتنتهي في غاية آب سنة ١٢٨٥: ١٣,٠١٦,٦٢٥ غرشاً، وقد حول المبلغ في الشرطنامة إلى أكياس، فبلغ عددها ٢٦,٠٣٣ كيساً و١٢٥ غرشاً، وأحيلت (مقاطعات ديرة المنتفق) بالأكياس المذكورة إلى الشيخ ناصر باشا بكفالة راشد وظاهر آل سعدون، على أن يدفع المبلغ إلى الخزينة في بغداد بتقاسيط معلومة، وفوض الشيخ في التصرف في جميع عائدات وواردات ورسومات عشائر المنتفق على المعتاد الجاري سابقاً، واشترط عليه أنه إذا أحدث رسماً جديداً فضلة عن الرسوم المتعاملة الجارية تسأله الحكومة إعادة ما أخذه على هذه الصورة إلى أصحابه، وإذا تداخل بدل التزام سنة في سنة أخرى، فالحكومة مخيرة في فسخ الالتزام، أو في مقاضاة الفائض وفقاً للنظام. انتهى.

وبقيت المشيخة مشيخة، وإن تخللها لقب قائممقام المنتفق، ولكن الاصطلاح

الرسمي كان بلفظ الشيخ والمشيخة، وهكذا كان في (الشرطنامات) إلى سنة ١٢٨٦هـ، وهي سنة ولاية مدحت باشا على العراق، وهذا قد ختم الرواية تماماً، وطبق نظام الولايات المتبع في سائر المملكة العثمانية في بلاد المنتفق، وأجرى تمام الترتيبات والتنظيمات الإدارية، وسار بتلك البلاد العشائرية البدوية نحو المدنية، فاستقدم الشيخ ناصر إلى بغداد، ورغّبه في تحويل المشيخة إلى متصرفية وولاية، وحسّن له الترغيب في بناء حاضرة للمنتفق، وإيجاد أساليب حضرية.

وقد اقتنع الشيخ ناصر بأن الأيام قد دالت، وأن انقلاباً اجتماعياً واقع لا محالة، فأراد أن يستقبله، ولا يقاومه، وسرعان ما تنازل لقبول الجديد، وصارت المشيخة متصرفية، ولها معاون رسمي وهو عبدالرحمن بك الرجل الإداري، وقاض وهو الألوسي عبدالقادر أفندي، ومحاسب وهو الحاج محمد سعيد أفندي، ورفقاء وكتبة، فتوجهت هذه الهيئة الجديدة تحمل الوضع الجديد إلى بلاد المنتفق، أو تحمل المعاول لهدم آخر من (ساف) من بناء الإمارة السعدونية، وذلك في جمادى الأولى ١٢٨٦هـ، وأصبحت أراضي المنتفق، وإقطاعياتهم أراضي أميرية تفوض إلى آل سعدون حسب سندات (الطابو) أو قانون حق التصرف الذي أدخله مدحت باشا إلى العراق.

وتم للعثمانيين ما أرادوه في بلاد المنتفق، وكانوا يعملون عليه منذ قرون تقريباً، فقد جاؤوا على البنيان بالهدم حجارة حجارة حتى أتوا عليه، وقد تدرج العثمانيون ينقصون مملكة المنتفق من السماوة والعمارة، ومن أنحاء البصرة حتى تلاقت المساعي في الناصرية، فأطبق الحجر، وطبق المنهاج تماماً.

لقد طويت إمارة آل سعدون من تلك الأنحاء، ولكنها تركت مخلفات ثمينة ممتعة، وإليك بعض تلك المخلفات:

١- العروبة بكل مظاهرها: حتى أنك إذا طفت العراق تجد الكردية غالبة على الموصل، والتركية بادية في بغداد، والفارسية متمكنة من النجف وكربلاء، ولكنك تجد البصرة وبلاد المنتفق عربية بكل مظاهر العربية الصالحة، وذلك بسبب تلك الأمارة

العربية التي تغلبت على كل المظاهر الغير عربية[1]، وصبغتها بصبغة العروبة.

إن الدفاتر التركية وسجلات العثمانيين في القرن العاشر للهجرة المحفوظة في الآستانة تنص بأن ٦٠٠٠ بيت تركي أقطعهم السلطان العثماني إقطاعيات في البصرة على أن يقيموا هناك تعزيزاً للروح التركي، فجاؤوا وسكنوا تلك الأنحاء، ولكن المظاهر العربية تغلبت عليهم، فاندمجوا وأكلتهم اللغة العربية الأكالة، فإذا هم عرب لا يوجد فيهم ميزة من المظاهر التركية، وإذا لاحظنا قبيلة بني خاقان النازلة على فرات سوق الشيوخ، وقبيلة (قرا غول) النازلة على الغرّاف، وما هم فيه من المظاهر العربية، وعدم وجود أي شعار تركي بين تلك الأحياء، نعرف القوة الهائلة للعروبة التي كانت تتسامى مع الراية السعدونية حتى تغلبت ذلك التغلب الجبار.

٢- المزايا الفاضلة والأخلاق الطيبة في تلك الأنحاء التي تأدبت بأدب أمرائها وساداتها: فإن التقاليد العربية والعادات القومية المتبعة في بلاد المنتفق، والمبثوثة بين أحيائهم وفي نواديهم قلما تجدها بتمامها في بقية الأنحاء العراقية وبين أحيائهم، فإن الأدب والتقاليد والعادات الموجودة في دواوين المنتفق ونواديهم غير موجودة تماماً في دواوين خزاعة أو ربيعة أو عقيل أو زبيد أو طيء أو غيرهم من الأحياء العراقية، على أني احترم هذه الدواوين، ولكن المتغلغل في الأحياء العراقية يعرف قيمة ما أقول، ولم يظهر أدب آل سعدون في عرف عشائر المنتفق فحسب، بل تركوا شيئاً كثيرا منه في المدن والحواضر، فإنك تجد الطبقة الواطئة أو الوسطى في بغداد مثلاً: تعرف ذلك إذا فحصت العامل البصري من نوتي وحوذي وبستاني وصاحب حانوت، وفحصت العامل البغدادي مثلاً، فترى من الوداعة والقناعة وأدب الحديث في الطبقة البصرية ما لا تراه في غيرها.

٣- تخطيط المدن: مثل سوق الشيوخ والناصرية والشطرة، والأعمال الزراعية كالدور والتطهير، وافتراع الأنهار وشق الجداول وغرس النخيل.

(١) الأصوب لغة: غير العربية. (مشرف الخزانة).

٤- إيجاد الفكرة العربية، وبعث القضية من مرقدها، ومحاولة استرجاع الدولة العربية التي كانت معرشة في هذا القطر: فإن أول من استفز للقضية بعد أن دثرت، ومزقتها أعمال المغول والتتار والأتراك والفرس هم آل سعدون، فأول ساع للبعث، وأول دماغ حمل الفكرة الصالحة هو دماغ الشيخ ثويني العبدالله، فسعى لعقد حلف عربي يتكون من أضلاع ثلاثة (عقيل وخزاعة والمنتفق) تكون غايته طرد الأتراك من العراق، وتأسيس دولة عربية.

وقد كان الوضع في ذلك العهد يقضي أن لا يدخل وال من ولاة الأتراك (وزير مفوض) إلا وأن يستند على قبيلة من قبائل العراق المهمة تكون هي سناده في الملمات، وكثيراً ما كانت قبيلة عقيل تساند الولاة، ويكون عليها اعتمادهم، فتراجع الشيخ ثويني مع سليمان بك الشاوي شيخ العبيد مع شيخ خزاعة على أن يرفضوا حماية الولاة، ويقاوموهم.

وكان سليمان بك يؤثر على عقيل، وله عندهم الكلمة النافذة، فامتنعوا من مساندة الوالي، ولكن ساسة الأتراك صانعت شيخ خزاعة، فاجتذبته، ووقف بإزائها، وساند الوالي، إلا أن ذلك لم يثن الشيخ ثويني عن تحقيق أمنيته، ومضى هو وسليمان بك على ما اعتزما، واقتطعا كثيراً من العراق عن الحكومة التركية، وتقدموا إلى بغداد حتى أنهم انتزعوا بادرايا وأنحائها، ولكن لم تساعد الظروف على تحقيق الأمنية، وذهبت محاولة الشيخ ثويني عبثاً.

ثم جدد هذا البعث الشيخ سعدون المنصور، وكرر هذه المحاولة، وبقيت هذه البذور في البصرة وأنحائها أكثر من غيرها من أطراف العراق، وما ذاك إلا أن البصرة وبلاد المنتفق بيت هذه الفكرة، وبفضل هذه البذور التاريخية نمت اللا مركزية في البصرة زمن الاتحاديين.

وبواسطة تلك المساعي القديمة انتزعت البصرة وبلاد المنتفگ الكسوة البالية من الحكم العثماني، وطردوا الأتراك الذين تمكنوا من الوقوف مؤقتاً في أطراف بغداد، لا

في أنحاء البصرة، كل هذه المخلفات المادية والأدبية والنزعات السياسية تشهد بما كان لعائلة آل سعدون.

الشيخ سعدون

لما درج الشيخ محمد ترك أولاداً متعددين: عبدالله، وهو جد آل ثويني، وروضان، وهو جد آل روضان، وسعدون، وهو ولده الأكبر الذي خلفه على الإمارة، وعرفت باسمه عائلة آل سعدون، فهو الأب الثاني الذي نبغ ذكره، ومن عهده انقسم البيت إلى آل شبيب وآل سعدون.

وفي أيام الشيخ سعدون تحرش نفوذ المنتفق بنفوذ ربيعة، وتجاذبت الإمارتان السلطة على الغرّاف، أو على قطعة منه، فحارب الشيخ سعدون ربيعة، وتسلط على شيء من الغرّاف، وقتل في تلك المعركة الأمير حسين أمير ربيعة، وكانت حدود إمارة ربيعة (البرص) تل معروف في تلك الأنحاء قريباً من موضع ناصرية المنتفق، فتزحزحوا عنه، وبذلك يقول شاعر ربيعة مستثيراً لهم:

اليريد البرص ما ينزل بشاذي ينزل بين العبد والجادرية

(شاذي) تل على دجلة بغداد قريباً من كوت العمارة، والعبد والجادرية إقطاعيتان معروفتان أحدهما على الغرّاف، والثانية قريبة من فرات الناصرية.

واستوسقت الأمور للشيخ سعدون، وتوسع ملك عائلته، وزاحمت إمارته الفرس في خوزستان، وقد كان مقره في (كتيبان) من ضواحي البصرة، فتألب الفرس لمقاتلته، وقد أوجفوا على أحيائه بخيلهم ورجلهم، فاهتم الشيخ سعدون لذلك، وشعر بثقل الحملة، فأمر المنتفق بأن يتظاهروا بالضعف، وينسحبوا من شط العرب إلى ذنائب (أبي حلاّنة)، وهو من خلجان دجلة يصب في الفرات، وتكلف الفرس في عبور دجلة متوغلين وراء المنتفق، ولما وصلوا عرب الشيخ سعدون وثب عليهم، وناجزهم

أحر مناجزة، فانكسروا.[1]

وعلى أثر هذه الحادثة في سنة ١١٤٢هـ حصل اختلاف بين الشيخ سعدون بن محمد بن مانع وبين رجال الحكومة العثمانية، فبعث أحمد باشا كتخدا سليمان باشا ومعه العساكر، فحارب المنتفق، ونهبهم واستولى على أموالهم، وهرب الشيخ سعدون ومن سلم من قبيلته، وعاد سليمان باشا إلى بغداد.

وفي سنة ١١٥٣هـ أيضاً أرسل أحمد باشا كتخدا سليمان باشا بالجيش لحرب المنتفق، فقتل في هذه المعركة الشيخ سعدون.

(١) وقعت هذه الحادثة في زمن ثامر بن سعدون وليس في زمن أبيه كما توهم المؤلف، ولكنه سيعيد تصحيح ذلك لاحقاً. (مشرف الخزانة).

الشيخ ثامر

ورجعت الإمارة إلى ولده ثامر، فحارب ربيعة، وفتك بهم. ثم نشبت حرب بين المنتفق وخزاعة على فرات السماوة، فكانت الحرب سجالاً انتصر بها الشيخ ثامر أولاً. ثم انتصر الخزاعل، وحمس النزاع، واستحرّ القتال، فاستمات أبطال المنتفق في تلك المعركة، وفي أخرياتها جُندل الشيخ ثامر قتيلاً.

وكان الشيخ ثامر والشيخ ثويني أميرين على المنتفق في وقت واحد، ولكن تلك الإمارة في الظاهر للشيخ ثامر وحده، ولما درج انحصرت بالشيخ ثويني، وفي عهدهما طمع الفرس المستولون على البصرة في احتلال بلاد المنتفق، فسيروا جيشاً لهاماً تحت قيادة محمد علي خان أخي عبدالكريم خان الزند، فاجتمع المنتفق في (الفضلية)، وهي اليوم إقطاعية من إقطاعيات سوق الشيوخ، وهناك التقى الجيش الفارسي مع جيش المنتفق، وكانت حرباً دامية صبر لها العرب، فهزموا الفرس شر هزيمة، وأقحموهم الفرات، وغرق الكثير منهم، وغنم المنتفق خيولهم وأموالهم.

وقد كبر على صادق خان القائد العام الفارسي، والأخ الثاني لعبدالكريم الزند هذا الفشل، وحنق من هذه الهزيمة، فجهز حملة كبيرة تحت قيادة محمد علي خان أيضاً، وعززهم بأخيهم الآخر وهو مهدي خان، وبالشيخ سليمان رئيس قبيلة كعب وقبائله العربية، واستعد المنتفگ، فواقعوا الجيوش الفارسية في (أبي حلاّنة)، وبعد معارك دموية تمزق الجيش الفارسي، وقتل قائده محمد علي خان، وأخوه مهدي خان، وطارد المنتفگ فلولهم حتى أدخلوهم البصرة، وحاصروهم فيها، وقد ضيق المنتفگ على حامية البصرة، فخاف صادق خان على نفسه أن يقع في أسر المنتفق، فأخلى البصرة، ونجى إلى بلاد الأهواز متغلغلاً في البلاد الفارسية، ودخل المنتفگ البصرة،

وذلك سنة ١١٩٣هـ، وكتبوا إلى والي بغداد الكتخدا إسماعيل، فأرسل إلى البصرة متسلماً عثمانياً اسمه نعمان بك.

الشيخ ثويني

هو ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع. حمل على الخزاعل حتى استحصدهم، ونجى منهم من نجى، فاستولى الشيخ ثويني على تلك الأراضي التي كانت سبباً للحرب، ولم يعتم أن جهز عليه الفرس حملة كبرى أعظم من الحملة التي جهزوها على الشيخ سعدون، فصابرهم وصمد لهم في معارك هائلة، وكانت المناجزة في ظهر البصرة مما يلي البادية في أرض الجزائر، فانتصر على الفرس، وتأثرهم حتى عبروا النهر، وطاردهم إلى منازل عشيرة كعب.

وفي سنة ١٢٠١هـ أرسل والي بغداد عسكراً مع خالد آغا إلى حرب الحاج سليمان بك الشاوي، فلما وصل الجيش إلى الفلوجة اقتتل الفريقان، فأسر خالد آغا، وهرب العسكر، فخرج أحمد كهيه ومعه جيش، ولحقوا الحاج سليمان بك، فحاربوه، وانكسروا، فانقلبوا عائدين إلى بغداد، وتوجه الحاج سليمان بك إلى البصرة، واتفق مع الشيخ ثويني، وملكوا البصرة، وأقاموا بها متسلماً من قبلهم خالد آغا.

وفي سنة ١٢٠٢هـ خرج من بغداد سليمان باشا، واستدعى من والي الموصل الحاج سليمان باشا الجليلي عسكراً، فأرسل له ٥٠٠ نفراً من الإنكشارية، فسار بهم إلى جهة البصرة، والتقى الجيشان، فقتل من العرب زهاء ألف، ومن عسكر بغداد زهاء ١٥٠، وهرب الحاج سليمان بيك الشاوي، والشيخ ثويني، وخالد آغا، وهربت العرب، فدخل سليمان باشا البصرة، ونصب فيها متسلماً مصطفى آغا الكردي، وعاد إلى بغداد، واستولى على أملاك الحاج سليمان بيك الشاوي، فأرسل إليه الحاج سليمان يطلب العفو ويعتذر، فعفى عنه. ثم قدم الشيخ ثويني يطلب التأمين، فأمّنه وأمره بالإقامة في بغداد. ثم قدم خالد آغا طالباً العفو، فعفى عنه، واستعمله حاجباً.

وفي سنة ١٢١٢هـ أنعم سليمان باشا على الشيخ ثويني، وولاه إمارة المنتفق، وأعطاه ماية كيس وماية فرس وماية خلعة وماية ناقة.

وفي هذه السنة لما وصل الشيخ ثويني إلى قبائله تجهز، وسار بهم إلى حرب الوهابيين، فنهب ١٠٠,٠٠٠ رأساً من الغنم، وأرسل إلى سليمان باشا يستمده عسكراً، فبعث له بقبيلة عقيل مع أحد أمرائهم أحمد آغا المعروف بالعراقي الموصلي، فقاتلوهم، وملكوا منهم حصنهم، وعادوا ظافرين.

وهناك غدر رجل من الوهابيين بالأمير ثويني، فقتله، وفي الحال قتل الغادر، ورجعت العساكر إلى بغداد، ويوجد اليوم عند عرب المنتفق مثل مشهور يرمزون به عن هذه الواقعة، وهو قولهم (باع بيعة اطعيس)، يضربونه للمستميت، واطعيس هذا هو الرجل الوهابي الذي خاطر بنفسه بصفة (فدائي)، وقتل الزعيم ثويني، وكان هذا النجدي قد باع نفسه على قومه الموتورين من الزعيم ثويني بخمسمائة ريال فضية، فجاء ودخل على الزعيم في ديوانه العام بصفته وارد، ودنا ليقبل يد الزعيم، وهناك طعنه بحربة مسمومة أودته قتيلاً، وبعد ذلك أمسكوا الغادر، وقتلوه.

والشيخ ثويني هو الذي أسس مدينة سوق الشيوخ، وكان قبل ذلك يعرف بسوق النواشي رهط من أعراب تلك النواحي، ولما أنهضه الشيخ ثويني مدينة عامرة عرف بسوق الشيوخ، وهم شيوخ المنتفق من عائلة آل سعدون، وعرب المنتفق تطلق لفظة شيوخ بصيغة الجمع على الشيخ والزعيم تعظيماً وإجلالاً له من صيغة الإفراد كما هي طريقة أهل نجد وعرب الجزيرة، فسوق الشيوخ سوق الشيخ ثويني آل عبدالله، وكان قتل الشيخ ثويني في سنة ١٢١٣هـ[١]، فخلفه على الإمارة:

(١) الصواب أن مقتل ثويني كان في محرم ١٢١٢هـ، والحملة في الشهور الأخيرة من سنة ١٢١١هـ. (مشرف الخزانة)

الشيخ حمود

هو الشيخ حمود بن ثامر بن سعدون، وثأر الزعيم حمود لأبيه من الخزاعل، فنهض عليهم، ونكل أفظع تنكيل.

وفي سنة ١٢١٦هـ قدم ركب من الوهابيين على ٨٠٠ بعير، فأغاروا على عانة، وقتلوا أربعين رجلاً، ونهبوا بعض البيوت، وذهبوا عازمين على حرب اكبيسة، فحاربوهم وهزموهم، وبلغ خبرهم الشيخ حمود، فركب قاصداً حرب الوهابيين، وتأديبهم عن التعرض بحدود العراق، وكان زعيم الوهابيين في طريق الحاج ينتهز الفرصة لنهب وفد بيت الله، فأغارت عليه عرب المنتفق، ونكلوا بالوهابيين، ودمروهم شر تدمير، وعادوا إلى أماكنهم.

والشيخ حمود هو الذي أنهى مسألة الغرّاف، وحدد نفوذ ربيعة هناك، وذلك أنه اشتبك مع ربيعة في حرب على أبواب الشطرة، وقتل زعيمهم الأمير مشكوراً، ذلك الأمير الذي أبلى بلاء حسناً، وهول في تلك المواقعة، واندفعت ربيعة إلى صدور الغرّاف حيث تنزل اليوم. ثم قاتل طيء، وهم قبيلة بني لام النازلين على دجلة البصرة، واستولى على بلادهم.

وحارب خزاعة في سبيل فرات السماوة، وكانت خزاعة ترهب الشيخ حمود لأنها قد شاهدت منه منظراً رهيباً في حداثة سنه، وهو أنه في مصادمتهم مع أبيه ثامر في تلك المعركة الكبرى التي قتل بها الشيخ ثامر، أسروا جماعة من صبية آل سعدون، وفي جملتهم الشيخ حمود، وقد بالغ الخزاعل في إرضاء حقدهم، وشفاء غليلهم من آل سعدون، فقدموا لهم عشاء، وهو شيء كثير من الأرز المطبوخ، وعليه رأس الشيخ

ثامر، وقد لوث بدمائه الرز، فكزّت نفوس الأسرى من تلك المعاملة الجافية، وجزعوا من هول المنظر إلا حمود، وهو ولد القتيل الشيخ ثامر، فإنه تقدم إلى الطعام برباطة الجأش، وتعمد، فجعل ينحّي الرأس، ويأكل من الطعام الملوث بالدم، فهال الخزاعل أمر تلك النفس القوية، وتخوفوا من مغبة أمر حمود إذا رجع إلى قومه، وناجز الخزاعل بأخذ الثأر، وأرادوا قتله فوراً تخلصاً من شره في المستقبل، ولكن استعصت عاداتهم، وأبت عليهم تقاليدهم أن يقتل الأسير.

وفي سنة ١٢٣٥هـ حدثت بين سليم بيك متسلم البصرة وبين الوزير سليمان باشا القتيل والي بغداد وحشة، فكتب سليمان باشا إلى الشيخ حمود بأن يتوجه إلى البصرة، ويطرد منها سليم بيك، فحمل الشيخ حمود بالمنتفگ على المتسلم الذي كان قد استعد للدفاع، ولكن المنتفگ مزقوا المدافعين عن سليم بيك، فاضطر إلى الهزيمة نحو بلاد الفرس، ودخل الشيخ حمود البصرة، ونوه بذلك إلى والي بغداد.

وفي سنة ١٢٤٣هـ عزل الوالي داود باشا الشيخ حمود عن إمارة المنتفق، ونصب الشيخ عقيل، فغضب الشيخ حمود، وأعلن الخروج على العثمانيين، وسرح الكتائب بقيادة ولديه ماجد وفيصل لأخذ البصرة، واستنجد بسلطان مسقط السيد سعيد، فأنجده بحملة بحرية حملتها السفن إلى شط العرب، وأنشأت معسكراً في المكان المعروف بأبي سلال، واستنجدوا رؤساء بني كعب، فنفروا على ظهور الخيل، وأنشأوا لهم معسكراً في نهر معقل الذي حرفته الألسن، فصار اليوم يعرف بـ (ماركيل)، وهكذا حوصرت البصرة براً وبحراً، وقد ثبت البصريون، وأبلوا في الدفاع، ودامت المناجزة عدة أشهر انتهت بفشل المنتفق، وانفلالهم.

والشيخ حمود هذا بطل آل سعدون، والفاتح المظفر من أمرائهم، وترجمة حياته صفحة مدهشة، وكانوا يلقبونه بالأشقر[1]، وله مواقف مع الفرس في جهات البصرة، ومع بني لام في جهات نهر ميسان، ومع ربيعة في جهات الغرّاف، ومع خزاعة في

---

(١) هذه معلومة انفرد بها المؤلف، والمعروف عند آل سعدون أن أول من لقب بالأشقر هو ابنه عبدالعزيز بن حمود. ثم لقب بذلك أيضاً ناصر باشا وابن أخيه سعدون باشا، وغلب اللقب على آل سعدون جميعهم، فلقبوا بالشقران. (مشرف الخزانة)

جهات فرات السماوة، وقد انتصر في كل مواقفه، ولم يشبع تماماً من الفتك في خزاعة.

وبقي ذلك الثأر إلى خلفه الشيخ عقيل، ففتك بخزاعة، ووسع الحد إلى أعالي السماوة، ووسم حده الجديد بضربة سيف طبر بها شجرة في منازل قبيلة (الأعاجيب)، وتلك الشجرة معروفة عند العراقيين بـ (سدرة الأعاجيب)، والأعاجيب قبيلة فراتية تتبع راية خزاعة.

وفي عهد الشيخ حمود كان تقليد إمارة المنتفق لآل سعدون يأتي من حكومة بغداد التركية التي كانت تقدم قباء الزعامة من نوع الخزّ (كرك)، وفي ذلك يقول شاعر آل سعدون متحمساً:

ودّوا لاخو نورة الكرك ودّوا له　　لا يزعل ويلحج بقايا العسكر

ولكن السياسة العثمانية هادمة للإمارات العربية، ومستأثرة بكل سلطة ونفوذ في بلاد العرب، فلا يعيش معها بيت شريف أو عائلة كريمة، لأنها تتخوف دائماً على نمط السياسات القديمة في الشرق، ولو كانت على نمط السياسات الجديدة لرأيت اليوم الإمارة السعدونية في طليعة الإمارات الحية كإمارة اليمن وإمارة الرياض وإمارة مسقط، فضلاً عن مشيخة البحرين والكويت، ولكن أبت السياسة التركية إلا أن تكون سياسة هدم لا بناء فيه ولا حفيظة، فهال العثمانيين أمر الشيخ حمود، وأخذوا يعملون على هدم نفوذه، وانتخبوا لذلك الشيخ عقيل ابن أخ الشيخ حمود.

الشيخ عقيل

وهو جمرة آل سعدون في ذلك العهد، فشد العثمانيون ركنه بالمال والمقاتلة، وقصد عمه الشيخ حمود بجيش من بغداد، وبذل للعيون والعُمد من آل سعدون، فجلبهم إليه، وكان الشيخ حمود مكفوفاً هرماً قد جاوز الثمانين، ولم يعقه ذلك من أن ينهض لمقاومة الشيخ عقيل، فوقعت معركة عصيبة، وكان الشيخ المكفوف وجه فرسه على صفوف الجيش، ويشد عليها، فيتوسط المقاتلة يضرب فيهم هبراً، وأخيراً تمكن منه الشيخ عقيل، فأرسله إلى بغداد، وتوفي هناك، وقبره مشهور، ومعروف عند البغاددة، ويعرف بـ (قبر الشيخ)[1].

وكثرت الإحن في عهد الشيخ عقيل، فكان الفائز المظفر في كل مواقفه. حاربته الفرس، وحاربته ربيعة، وحصل عليه انتقاض من قومه آل سعدون، وهاجم خزاعة، وقد ختمت كل هذه المواقف بفوز الشيخ عقيل.

واحتدمت نار الحرب بينه وبين آله، وفي مقدمتهم النابهون من آل سعدون وقتئذ، وهم (عبدالعزيز وفيصل وطلال وماجد) أولاد عمه، وانحاز إليهم إخوته (عيسى وبندر وفهد)، وقام لنصرتهم صفوك الجربه زعيم شمر العراق، وكانت تلك النار بتحريش السياسة العثمانية، ودامت الحرب حولاً كاملاً انتصر فيها الشيخ عقيل، فما وهي ولا وهن، وعاود الحرب معهم بعد سنة، ودامت ثلاثة عشرة هلالاً، وانتشر الوباء في العراق، ففتك بالمحاربة، ونشبت براثنه بالشيخ عجيل، فصرعه، وقبر بقرب الشطرة، وذلك في غضون القرن الثالث عشر للهجرة، وصار الحكم إلى ابن عمه:

(١) الصواب أنها تعرف بقبر حمود، وهي من ملحقات أبي غريب غرب بغداد. (مشرف الخزانة).

الشيخ ماجد

ويوجد نهر كبير في أنهار البصرة يعرف بقرمة ماجد (من قرم النهر أي كسره)، هو لماجد هذا، كما ينسب إلى ابني عمه عمر وعلي (نهر عمر، وقرمة علي)، وصرعه الوباء أيضاً، فخلفه على الإمارة أخوه:

الشيخ فيصل

وبقى حولاً، واختلف على الإمارة مع ابن عمه عيسى بن محمد بن ثامر.

الشيخ عيسى

تغلب عيسى عام ١٢٣٤هـ[١]، وبقي شيخاً على المنتفق ٢٥ سنة[٢] لم تنشب فيها غير حرب واحدة بين المنتفق وبني لام، وكان النصر له، ومات حريقاً، ومن غرائب الاتفاق أنه كان في الليلة التي علقت النار فيه يقيم في عريش من سعف النخل الأخضر، وكانت ندوته هناك، فأكثر تلك الليلة من الاستشهاد بقوله:

يا راقد الليل مسروراً بأوّله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

إن كان سرّك ليلٌ طاب أوله ... فرب آخر ليلٍ أجج النارا[٣]

فشبت النار في أخريات تلك الليلة بالعريش، وكان الشيخ نائماً فيه، فالتهمته النار، وتولى الزعامة من بعده:

---

(١) الصواب ١٢٤٧هـ. (مشرف الخزانة).

(٢) الصواب ١٢ سنة فقط. (مشرف الخزانة).

(٣) البيتان للإمام الشافعي. (مشرف الخزانة)

الشيخ بدر[1]

وهو أخوه، فحكم ١٢ سنة كلها سلمية، وفي سنة ١٢٧٢هـ توفي، وشاخ من بعده:

(١) الصواب بندر بن محمد. (مشرف الخزانة).

الشيخ فهد

هو الشيخ فهد بن محمد بن ثامر، ودامت له سنتين. ثم شاخ من بعده:

الشيخ فارس

هو الشيخ فارس بن عقيل بن محمد بن ثامر، واستقام له الأمر بضعة أشهر، فاختلف هو وابن عمه منصور بن راشد بن ثامر، فشاخ:

الشيخ منصور

وبعد سنة استرجع الأمر فارس، واشتدت القلاقل بينه وبين ولدي راشد منصور وناصر، وفي الأخير تغلبا عليه، وقتلاه هو وإخوانه[1]، وانقسم آل سعدون على أنفسهم، فوجدت الحكومة التركية طريقاً واسعاً للتدخل في شؤونهم، وسحق قواهم، فنزعت منهم صفة الزعامة والإمارة، وجعلتهم منصوبين من قبلها، وأعطت منصوراً رتبة (أمير الأمراء)، وصيّر الشيخ باشا، ولكن لم تطل أيامه حتى حصل الانشقاق بينه وبين أخيه ناصر.

(١) الصواب أن من قتل هو عبدالله بن عجيل. أما فارس، فقد أسر وسجن في بغداد فترة ثم أطلق سراحه. (مشرف الخزانة)

الشيخ ناصر

وقد مالت السياسة العثمانية إلى ناصر، وأناطت به مشيخة المنتفق بعد أن صرفت منصوراً عنها، ولكنها أيضاً صيرت الشيخ ناصر: ناصر باشا، وكانت أيام ناصر باشا أسعد أيام هذه العائلة، ولكنها سعادة ظاهرية، فهي أشقى أيام هذه العائلة لأنها ختمت مجد آل سعدون الحقيقي. إذ أن هذه العائلة تحضّرت في زمان ناصر باشا، وتركت جمال البداوة الذي هو أساس إمارتها، ولما تتماسك في شكلها الحضري، بل انغمست في الترف، واهتمت فقط بتسجيل الإقطاعيات وأجربة النخيل بأسمائها في دفاتر الحكومة، كأنها شاءت أن تعيش بصفة ملاكين بعد أن كانت تعيش بصفة أمراء، وأصبحت مأمورة تُنصّب وتُعزل بعد أن كان لها الأمر كله.

وما تم ذلك الفوز للسياسة التركية إلا بانقسام آل سعدون، واستهتارهم بالترف والبذخ، وفي الحقيقة أصبحت نفسية تلك الإمارة يومئذ مرتبكة، وسفينتها بلا دفة، لأنها إمارة بدوية في وسط الحضارة، قد نازعتها قوة منظمة على أسس مدنية، فلا هي انكمشت بنفسها إلى بادية العراق، وتمركزت هناك متمسكة بالقاعدة القديمة القائلة (فقدان العز في الحضر)، وبعد أن تكوّن لها بادية عامرة، وظهر قوي تشرف على مدينة البصرة مثلاً، وتتخذها منفذاً يوصلها إلى العالم المتمدن، تأخذ منه ما يلزم، وتعطيه ما يلزم كما هو اليوم في الرياض والقطيف وصنعاء والحديدة.

ولا هي حلت عقال البعير، وطرحت العمود، وباشرت في بنيان إمارة حضرية تساندها روحية البلاد، وتسايرها التقاليد والآداب الاجتماعية، ولكنها ارتبكت، فلا هذا ولا ذاك، فرفعت الطراف، وشطرت الرباع بإزاء جدران الدور وشرفات القصور، وجعلت معاطن الإبل وربيطة الشاة في جنب الثكنة والمدرسة، وبقيت بدوية في الزي

والعادة واللهجة في وسط البغاددة والترك والفرس، فكان الزعيم شيخاً لا باشا.

أدرك ذلك كله ناصر، وعرف أن مستقبل آل سعدون متضعضع، وحاول التدارك فلم يستطعه، وقد كانت نظريته تأسيس إمارة حضرية قائمة على نظم مدنية، ولكنه كان كمن أراد أن يتعلم السباحة بعد أن غمره اللج، وسيأتي أن سعدون باشا آل منصور أدرك موقف آل سعدون، بل لمسه بيده، وحاول الإصلاح، ولكنه كان معاكساً لنظرية ناصر باشا، فأراد الانكماش بآل سعدون إلى بادية المنتفق، وتشييد إمارة بدوية هناك كإمارة آل رشيد وآل سعود، وبقوتها يتسلط على حاضرة المنتفق الوحيدة وهي البصرة، أو يستبدل عنها بالناصرية، ولكن سعدوناً جاء بعد زمانه بكثير، فصعب عليه ما حاول حتى مات في سبيل ما اختطه.

وقد تمت على يد ناصر باشا عدة أمور مهمة، فقد استعملته الحكومة في قمع الثائرين من قبائل الفرات الأوسط المعروفين بعشائر الدغارة، وهي بطايح الحلة قديماً، ففاز في مهمته، وقد أسس للحكومة مركز لواء المنتفق، وأقام بمعاونة مدحت باشا والي بغداد بلاداً فارهة سميت باسمه (الناصرية)، وصيرته الحكومة متصرفاً فيها. ثم استقدمته إلى البصرة ليتولى فتح الإحساء (لواء نجد) الذي هو مركز إمارة آل سعود الوهابيين، فقاد الجنود العثمانية، واستفز عموم قبائل المنتفق، وتوجه، فلقي من سفره هذا طالعاً حسناً، وحارب قبائل الفرس التي أرادت الهجوم على البصرة، فاستنقذها منهم، ونصبته الحكومة والياً على البصرة، وجعلت ولده فالح باشا متصرفاً في الناصرية.

وفي أيام ولايته سعى في توسيع الجزائر، فأقام على البطايح سداً، وحمل الفرات مما يلي القرنة إلى حيال سوق الشيوخ.

ولناصر باشا أياد جسام بين العراقيين، وكان محباً لمصلحتهم العامة، ولما أرادت الحكومة تسجيل إقطاعيات الغرّاف والفرات في بلاد المنتفق بسجل الطابو رغّب ناصر باشا إلى عموم الغرّاف والمنتفق أن تسجل إقطاعياتها بأسمائها، وقد عرّفهم مغبة

الأمر، وهي تجريدهم من أملاكهم، وأنهم يصبحون غرباء في بلادهم، ويكدون لغيرهم، فبالغ في النصيحة، ولكن أولئك البسطاء امتنعوا أشد الامتناع، وتوهموا في ذلك وساوس كثيرة، ورغم ذلك فإنه كان يشفق عليهم، ويرسل على الزعماء ليقنعهم، فكانوا يفرون في وجهه.

وفي أيامه الأخيرة نازعه في الأمر ولد عمه:

الشيخ فهد والد فقيد الأمة

فهد باشا، فكانت الحكومة قصداً لخضد شوكتهم، تعزل واحداً، وتولي الآخر، فنصبت ناصراً. ثم فهداً. ثم ناصراً، وطال زمن إمارته هذه زهاء ٢٢ عاماً. ثم فهداً. ثم ناصراً.

ولما أرادت الإجهاز على نفوذهم تماماً سيرت ناصراً إلى فروق[١]، واستبقته هناك، ونصبت فهداً مدة وجيزة، وقسمت الغرّاف تقسيمه الإداري، وأعطت فالح باشا وكالة الجباية للخراج والأموال الأميرية، وجذبت إلى فروق حفيد ناصر باشا مهلهل بك، وولدي فهد باشا عبدالكريم وعبدالمحسن بك بقصد إدخالهم المدارس العالية، وإبقائهم تحت رصد (المابين)[٢]، وهذه سياسة معروفة استعملها الترك مع عائلات الشرف والإمارة من العرب، ولم تستخدم الحكومة العثمانية أحد مشايخ آل سعدون في الإدارة خارج بلاد المنتفق إلا الشيخ فهد، فقد عهدت إليه بمتصرفية الحلة، وأقام بها زماناً.

(١) فروق من ألقاب إسطنبول. (مشرف الخزانة).

(٢) المابين: مصطلح يقصد به السلطة العثمانية في إسطنبول. (مشرف الخزانة).

الشيخ فالح

وفي ذلك العهد أنس فالح باشا من نفسه قوة، ونهضت معه عصابته، فتظاهر بالتمرد على الحكومة العثمانية، وهنا صمم العثمانيون على إجلاء آل سعدون من كل بلاد المنتفق، وصدمتهم الحكومة بوقعة كبيرة نذكرها في حوادث الغرّاف، وتم ما دبرته الحكومة، فانكشف آل سعدون إلى بلاد الحويزة من بلاد العجم، ومكثوا هناك غرباء، وتسمية اعجمي بك بن سعدون باشا رمز على الجلاء إلى بلاد العجم لأنه ولد هناك. ثم أذنت الحكومة لهم بالمعاودة، فتراجعوا، ولكن بصفة ملاكين وأصحاب إقطاعيات.



فالح باشا السعدون

الشيخ سعدون

وكان من العائدين الشيخ سعدون بن منصور باشا، وهو رجل من رجالات العراقيين، وأبو شهامتهم. كبير النفس عالي الهمة. نهض في بادية العراق وفي بلاد المنتفق، وحاول تجديد عهد آل سعدون، وذلك بامتلاك زمام المنتفق أولاً في البر والنهر. ثم يقودهم إلى تأسيس إمارة بدوية في بادية العراق مرتبطة بأهم مدن المنتفق، وكان يصاول أمراء الجزيرة يريد بذلك حملهم على الاعتراف بحقوق المنتفق الضائعة، واحترامهم لـ (وارد)، وهو لواء آل سعدون، وعده من ألوية العرب وراياتها المرهوبة.

وكان يدفع بآل سعدون للرجوع إلى البداوة والخشونة، وترك التحضر، فكانت حياته حياة جهاد قومي. حياة حروب واكتراب لإحياء مجد المنتفق، وإعادة حكم آل سعدون، ولكن كانت في طريق نهضته عقبتان لم يستطع أن يجوزهما:

– انشقاق آل سعدون، والبغضاء المستحكمة بين آل ناصر وآل منصور، فقد كان آل ناصر يهدمون ما يشيده سعدون.

– والعقبة الثانية: تحوّل قلوب المنتفق من آل سعدون، فقد وجدت في كثير من قبائل المنتفق المهمة روح ثورة على آل سعدون طلباً للتخلص من وطأتهم، ونزوعاً للتفلت من أحبولتهم. أما آل سعدون فلم يجد علاجاً لكل من يقف في طريقه غير السيف.

ولم يفسر الناس روح حركاته ومسعاه، فتوهموا أنه رجل ثوروي سفاك، وكانت سياسته الحربية إغراء الأمة بالحكومة، وإغراء الحكومة بالأمة، فيسحق القوتين بعضها ببعض ليتم له التفوق عليهما، فكان يتقلد الوظيفة، فيستثقل الشعب وطأته،

ويقاومونه، فيصور للحكومة أنهم يقاومونها، وكان يتعمد سحق الشعب للتمكن منه، ويصور لهم أن الحكومة تسحقهم حتى اضطر الشعب للتمرد عليه وعلى الحكومة، وغضبت الحكومة عليه وعلى الشعب، وحينئذ صححت غلطتها فيه، فمسكته خدعة، وسيرته إلى حلب حيث مات هناك ذلك البطل العراقي العظيم الذي مات بموته شأن المنتفق، ومجد آل سعدون، وأصبحوا في انعزال عن شؤون الإمارة.

قد انكمش الناس عنهم، وانكمشوا عن الناس، وطبخت لهم الأيام أحمض ما عندها، وقد فاتهم التدبير وقت المكنة، فلم يخلقوا لهم وحدة مع شعبهم، ولم يرتبطوا في البلاد التي هم فيها، لا بالاعتقاد ولا بالعادات ولا بالمصاهرة والاختلاط، فمكثوا غرباء متغلبين حتى انتهت مدتهم، (والتغلب لا يدوم)، فذهبت تلك الإمارة الفخمة.

والعامل الأكبر على هدمها: هو أن أكثر بلاد المنتفق نهرية تحضرت وتمصرت، وكثر اختلاط دهماء المنتفق بالحضر، وإمارة آل سعدون بدوية لا تلائم المزاج الحضري إدارياً واجتماعياً، ففسدت بذلك الاختلاط أخلاق المنتفق، وتغيرت نفسيتهم، وشوقهم الحضر إلى الحكم الإداري، وطمعت الحكومة الحضرية ببسط النفوذ على أولئك المتحضرين.

وكان في علاج ناصر باشا مساعدة للمرض، فأعان على الارتكاس بدلاً من أن يقاومه، لأن ناصر باشا قبل أن يرسخ العقيدة الحضرية في عائلته، ويربي لها مزاجاً عاماً في المنتفق يقدر به على درء الأمراض والأعراض التي تهدد المزاج في وقت التحول والانفعال استشحط دفعة واحدة، وطفر للتحول، فانقلب الطب مرضاً. إذ أنه فتح الطريق للحضر قبل أن يفتح الطريق للحضارة في بلاد المنتفق، وعبّد لهم السكك، وأنهض الأسواق والدور، وسجل الإقطاعيات، واختلط بالموظفين والتجار، وتوسط بآل سعدون العرب الأقحاح بحبوحة الحضارة، وجعل يبث في شبيبتهم، ويرغبهم في مخالطة الأتراك، وتعلم آدابهم ولغتهم، والمهاجرة إلى بلادهم لتلقي العلوم الإدارية والآداب الحضرية. كل ذلك بعد أن اعتقد انهدام الإمارة، وبعد أن توغل الأتراك في أصقاع المنتفق، فهلا كان ذلك والجرح لما يغضب، والخرق لما يستوسع.

وآخر عهد آل سعدون بالزعامة أنها كانت نزاعاً بين آل ناصر، والنابه اليوم منهم عبدالله بك آل فالح، وإبراهيم بك آل مزعل، وبين آل منصور، والنابه منهم اعجمي باشا بن سعدون آل منصور القاطن اليوم في البلاد التركية لأنه ساند الأتراك في حركاتهم الحربية، ووقف معهم جنباً إلى جنب حتى انجلى عن العراق بانجلائهم، وطوي بطيتهم، لأن محاولته للزعامة العامة على بلاد المنتفق دفعته أن يصطبغ بصبغة تركية، ويعتنق مبدأ الاتحاديين الذين كانت مقاليد الملك بأيديهم، فقام بأعمال تركية اتحادية هدمت كل ما بينه وبين قومه العرب، وبعد الهدنة والمتاركة لم يجد له مكاناً لائقاً بين قومه ومواطنيه، ففضل الهجرة والبقاء في بلاد الأتراك.

وفي أول عهد الاحتلال الإنكليزي أو في الدور العسكري للإنكليز في عراق البصرة وبلاد المنتفق حسب الإنكليز حساباً لآل سعدون، وأخذوا منهم الحيطة، فقاوموا اعجمي من جهة، وحجروا على أملاك عبدالله آل فالح، وأجربة نخيله من جهة أخرى، ولما وضعت الحرب أوزارها، وصفا كل حساب حتى حساب آل سعدون رفع الحجر عن أملاك عبدالله بك، ولكنهم حددوا ملاكية آل سعدون في المنتفق، واختطوا بذلك وضعاً شاذا لحقوق التصرف في لواء المنتفق من دون بقية الألوية العراقية التي تتمتع بقانون حقوق التصرف التركي حسب وثائق (الطابو).

وقد أحدث زوال إمارة آل سعدون فراغاً محسوساً في بادية العراق، ولا زالت القبائل النجدية وعرب الجزيرة تتحرش بحدود العراق، وتغزو الرعاة العراقيين، وتأخذ منهم ضريبة المرعى، وهم داخل حدود أوطانهم، والحكومة المدنية لا يتيسر لها ضبط وتأمين الحقوق تماماً في البادية، وبين البدو في ذلك الدوّ المقفر، وقد كانت بادية العراق أمنع منها اليوم حين كانت راية آل سعدون تخفق، وإمارة المنتفق حية، فقد مر عليك أن الشيخ حمود حارب الوهابيين لأنهم غزوا (عانة وكبيسة).

وفي كل سنة من هذه السنين يغزو الوهابيون في بادية ناصرية المنتفق وبادية السماوة وبادية البصرة، فيسحقون العراقيين، ويدوسون ثنيتهم، وينكفئون راجعين بالغنائم والأسلاب في أمن وسلام لا تتعقبهم إلا برقيات الاحتجاج.

فإمارة آل سعدون لم يستغن عنها العراق، وإذا لم يشعر بعوز لها في المدن والحواضر، ففي البادية فراغ ملموس لا يسده غيرها، ولكن مع هذا الاضطراب، فلا تزال تلك الإمارة مطوية، ومن رأيي أنه لا يمكن أن تحمى بادية العراق بالمعاهدات مع النجديين وعرب الجزيرة ما لم يكن لنا لواء عراقي يخفق في تلك البادية له سراية العراق التاريخية التي كانت موجودة في عهد كل الحكومات العراقية.

هذا ما كان من جهة الإمارة البدوية لآل سعدون، وأما من جهة الزعامة المدنية والإدارية، فقد تقيض لها الزعيم فخامة عبدالمحسن بك الذي بعث مجد آل سعدون، وأعاد ذكرهم يرن في العواصم والمراجع العالية، فعساه يكون مجدداً وباعثاً، وسنعقد فصلاً خاصاً لفخامته.

وعائلة آل سعدون اليوم تنقسم إلى بيوت كثيرة منهم: آل حمود، وآل علي، وآل روضان، وآل فهد، وآل ناصر، وآل منصور، وآل عقيل، وآل محمد، وآل سليمان، وآل صالح، وآل براك، وآل داود، وآل بندر.[١]

هؤلاء آل سعدون. أما أعمامهم، وأبناء جدهم الأعلى آل شبيب، فهم اليوم: آل صقر، وآل عزيز، وآل راشد، وآل سبتي، وآل حمادة، وآل برغش، وآل نجرس.[٢]

---

(١) خلط هنا كثيراً بين بيوت آل سعدون، والصواب أن أبناء ثامر السعدون التسعة وتفرعاتهم كالآتي: (آل حمود بن ثامر -الماجد والمطلق، وآل محمد بن ثامر -العجيل والعيسى والفهد المحمد والبندر، وآل راشد بن ثامر -الناصر والمنصور، وآل عبدالله بن ثامر -المشاري والعمر، وآل عبدالمحسن بن ثامر -البراك والمشرف، وآل صالح بن ثامر، وآل منصور بن ثامر -العبدالله والداود والحسين والظاهر، وآل ناصر بن ثامر -الشياع والزيد، وآل علي بن ثامر -الفضل والسطام والفهد العلي والزيد العلي والدوشان، والنصار). (مشرف الخزانة).

(٢) لم يذكر من آل شبيب: (آل عثمان، وآل علي، وآل ناصر، وآل روضان، وآل محمد). (مشرف الخزانة).

بطل التضحية عبدالمحسن بك

(قربان الاستقلال وضحية الحرية)

ذي المعالي فليعلوَنْ من تعالى   هكذا هكذا وإلا فلا لا[١]

ولد في ناصرية المنتفق في حوالي سنة ١٢٩٧هـ وعاش ٥١ عاماً. والده فهد باشا الذي توفي في سنة ١٣١٣هـ[٢]، وعبدالمحسن بك يوم ذاك في فروق يدرس مع أخيه عبدالكريم بك.

وله من الأخوة ما عدا عبدالكريم بك: عبدالرزاق بك وهو الولد البكر لفهد باشا[٣] وعمره اليوم ٦٥ سنة، ومحمد بك وعمره ٥٦ سنة، وعبدالعزيز بك وعمره ٥٠، وحامد بك وعمره ٤٥، وعبداللطيف بك وعمره ٤٢، وعبدالهادي بك وعمره ٤٠، وعبدالرحمن بك وعمره ٣٦، وحمدي[٤] بك وعمره ٣٤، وعبدالمجيد بك وعمره ٣٢ سنة.

والأم التي أنجبت عبدالمحسن بك من علية بيوت آل السعدون ومن الأميرات السعدونيات، وهي كريمة فيصل التركي آل رشيد[٥].

---

(١) بيت معروف للمتنبي. (مشرف الخزانة)

(٢) الصواب أن وفاة فهد باشا كانت سنة ١٣١٤هـ. (مشرف الخزانة)

(٣) الصواب أن بكر فهد باشا هو ضيدان. مات قبل أبيه، وله ذرية. (مشرف الخزانة).

(٤) هو حمد وليس حمدي. (مشرف الخزانة).

(٥) الصواب آل راشد من حمائل آل شبيب.

ترعرع في حضن الشرف والإمارة، وبقي في بلاد المنتفق حتى بلغ من العمر ١٢ سنة، وكانت قد تأسست في فروق مدرسة أبناء الزعماء والأشراف، فرغب السلطان عبدالحميد إلى فهد باشا في أن يرسل نخبة أبنائه إلى فروق لينتسبوا إلى تلك المدرسة، وبالطبع كان المقصد من هذه الرغبة سياسياً، فاختار فهد باشا من بين أولاده عبدالمحسن بك، ولكن عبدالمحسن استوحش أن يفارق حي الأمراء ونوادي الشيوخ نازحاً مغترباً إلى فروق، فتطوع أخوه عبدالكريم بك إلى مرافقته، وحينئذ اطمأنت نفسه، ورضي بأخيه سلوى عن الأهل والوطن، وتوجها معاً إلى الآستانة، ولما تخرجا من تلك المدرسة دخلا المدرسة الحربية العالية، فتخرجا منها ضابطين في الجيش، واختارهم السلطان عبدالحميد مرافقين له في بلاطه (المابين)، وبقيا كذلك إلى إعلان الدستور، وترقيا في أثناء ذلك في الجندية إلى رتبة (بيك باشي)، ولكنهما استقالا من الجندية بعد سقوط عبدالحميد، وانخرطا في سلك الاتحاديين.

ورجع عبدالكريم إلى الوطن، وبقي عبدالمحسن بك في فروق، وكان قد اقترن بعقيلة نبيلة تركية من عائلة ضاربة في الشرف وطيب المحتد أنجبت له شبلين: علي بك وعمره ١٩ سنة، وهو الآن في جامعة برمنگهام في إنكلترة، وواصف بك وهو صبي يعد ٩ سنوات من العمر.[١]

وانتخب نائباً عن لواء المنتفق في مجلس المبعوثان التركي، وهكذا بقي ممثلاً للعراق، ومحافظاً على النيابة في الدورات الانتخابية، ووقعت كارثة الحرب العظمى وهو في فروق، وبعد الهدنة أقفل آيباً إلى بلاده، وما عتم أن كر راجعاً إلى فروق لتسوية شؤونه لأنه اعتزم على أن يقطن في العراق، ويلازم تربة وطنه المقدس حياً وميتاً.

وفي ١٩٢٢م عاد إلى العراق، وتجول بين البصرة وبلاد المنتفق وكوت الأمارة قليلاً، فعين وزيراً للعدلية في الوزارة النقيبية الثانية. ثم وزيراً للداخلية في الوزارة النقيبية الثالثة. ثم تولى رياسة الوزارة، فشكل وزارته الأولى. ثم صار رئيساً للمجلس التأسيسي.

(١) لم يذكر المؤلف ابنتي عبدالمحسن، وهما: (عايدة، ونجلاء). (مشرف الخزانة)

ثم وزيراً للداخلية في وزارة الهاشمي. ثم شكل وزارته الثانية، وأسس حزب التقدم الذي لم يزل إلى آخر ساعة هو رئيسه وحامل مبادئه. ثم استقال عن رياسة الوزارة، وانتخب رئيساً لمجلس النواب في دورتين.

ثم شكل وزارته الثالثة، فحل المجلس النيابي، وباشر في إجراء انتخاب نواب أنشط وأكثر دربة من نواب المجلس المنحل، وذلك تمهيداً لما يريد أن ينهض به من المطالبة بحقوق البلاد، ولما استيأس من الحصول على مطاليب البلاد (رفس الكرسي)، واستقال من الوزارة كاحتجاج على التصلب الذي كان يلاقيه في حصول تلك الآمال كما ستقف عليه تفصيلاً، وكم بذلت جهود وقطعت وعود في سبيل حمله على عدم الاستقالة، فلم تطب نفسه، لأنه لم يجد فيها بصيصاً لسراج الأمل، وهكذا مضت الاستقالة، فانتخب رئيساً لمجلس النواب.

ومن هذا التاريخ بدت مظاهر التأثر أو القنوط تبدو عليه، ولكنه كان يغطيها برزانته وابتسامته العذبة، وكم حاول أن يزهق من العراق، وينجو بذلك القلب المثخن بالجراح إلى الآستانة، ولكن المقامات العالية حركت نخوته وإخلاصه، واستنبضت عرقه الكريم، وناشدته بالعروبة والوفاء لها، فتحول عن سفر الآستانة إلى نزهة صيفية قصيرة يقضيها في ربوع لبنان، وتوجه إلى بلاد الجبل.

وكانت حالة البلاد السياسية متضعضعة تتطلب سياسياً حازماً حنكته التجارب، والأبصار شاخصة إلى عبدالمحسن، والثقة تحوم حوله مرفرفة، وهو تحت شجرة الأرز اللبنانية، في هذه الظروف تفتحت بعض الشقوق من السياسة المصمتة، فأرسلت بصيصاً من شعاع الأمل، وذلك أثر تقلد وزارة العمال الشؤون البريطانية، فاجتذب عبدالمحسن بك من لبنان اجتذاباً، وعلى أثر حضوره العاصمة كلف بتشكيل وزارته الرابعة.

فاشترط في قبول التشكيل إعطاء الوعد الصريح من المراجع العالية للحليفة بإلغاء المعاهدات والاتفاقيات، وإعطاء العراق كرسياً في مجلس عصبة الأمم بدون قيد

ولا شرط، والدخول في مفاوضات لعقد معاهدة جديدة على أساس الاستقلال التام، وأن يسعف في بنود المعاهدة إسعافا يمكن للعراق من الوقوف على قدميه في عام ١٩٣٢م، فلاقى تنشيطاً ومساعدة جدية من السر كلايتن صديق العرب العاطف على قضيتهم مساعدة أنبضت البرق بين بغداد ولندن، ورنت أسلاكه بتقارير كلايتن الطافحة بأحقية المطالب العراقية حتى تساهلت تلك المراجع التي كانت متصلبة.

وطيرت النبأ الطيب الذي نغصه القدر المفاجئ بوفاة السر كلايتن في أهم وقت وأدق ظروف الحاجة إليه، فتسلم السعدوني ذلك الربح السياسي، ومسك عليه بكلتا يديه، وشكل وزارته الرابعة، وبين يديه مصباح الأمل والرجاء يشع بزيت التجربة والحذق السياسي، وقد راعى في تأليف وزارته هذه قضية البلاد أكثر من الاعتبارات الحزبية، فنهض في حفلة مراسم تشكيل الوزارة، ويده مملوءة بالربح السياسي، وقلبه طافح على لسانه بذلك الخطاب اللامع بالبهجة والظفر، وإليك هذا الخطاب في حفلة تلاوة الإرادة بوزارته الرابعة:

خطاب رئيس الوزارة

أشكر حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك المعظم على الثقة التي أولاني وزملائي إياها بدعوتنا إلى تسلم مقاليد الحكم في هذا الظرف الذي تجتاز به البلاد مرحلة خطيرة من حياتها السياسية، وأدعو إلى الله أن يطيل بقاء جلالته.

أيها السادة: اطلعتم على البيان الرسمي الذي نشر قبل يومين في الصحف عن العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا العظمى، وأظن أنكم لاحظتم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية قد أجابت مطاليب العراق إلى درجة ما، فإنها أعربت عن استعدادها لتأييد دخول العراق في عصبة الأمم سنة ١٩٣٢م من دون قيد وشرط، ولعقد معاهدة لتنظيم العلاقات بين البلدين على أساس الاقتراحات الجديدة للاتفاق الإنگليزي المصري.

إن موافقة حكومة صاحب الجلالة البريطانية على ما تقدم ذكره من المطاليب العراقية لدليل ساطع على السياسة المنطوية على التساهل وبعد النظر التي عزمت على انتهاجها إزاء هذا البلد الذي يرتبط وإياها بروابط الود والصداقة.

لقد أنعمت وزملائي النظر ملياً في جواب الحكومة البريطانية هذا، فاقتنعنا بأنه محقق لشطر كبير من رغائب الأمة العراقية التي لا ترضى عن الاستقلال التام بديلاً، ومن أجل ذلك لبينا نداء سيد البلاد وسندها الأعظم، وقبلنا دعوة جلالته إلى تسلم زمام أمور الحكومة مع كمال الارتياح، آخذين على أنفسنا بذل كل ما لدينا من الجهود والمساعي للسير بسفينة الدولة إلى الهدف الأسمى الذي ترمي إليه الأماني الوطنية في ظل عرش جلالته المفدى.

إنني على ثقة بأن جميع موظفي الحكومة سيساعدوننا على قضاء مهمتنا، وذلك بتوجيه اعتنائهم إلى المسؤوليات المترتبة عليهم، والقيام بواجبات وظائفهم حق القيام، ولي وطيد الأمل بأن روح المودة والألفة ستكون دائماً سائدة بين الموظفين العراقيين والبريطانيين، وإني أدعو الجميع إلى مراعاة أحكام القانون الأساسي والتمسك بها، وأحذرهم من الانحراف عنها بأي وجه من الوجوه.

أضرع إلى الله تعالى أن يوفقنا جميعاً إلى خدمة البلاد خدمة صادقة، والسير بها إلى أوج الرفاه والسعادة.

وقد توسع في بيان خطته للوزارة الرابعة في الخطاب الذي ألقاه في جلسة حزب التقدم الأولى يوم أول تشرين الثاني ١٩٢٩م، وهذا خطابه:

أيها السادة:

تعلمون جيداً أن انتهاء المدد المعينة في الاتفاقيتين المالية والعسكرية كان قد وضع العراق في موقف دقيق للغاية، وقد أخذت السلطات العراقية تشعر بخطورة هذا الموقف، وما يتطلبه من اهتمام وعناية وجهود عظيمة منذ سنة ١٩٢٧م، فحاولت الحكومة العراقية حينذاك معالجة الوضع الراهن، وذهب جلالة الملك إلى لندن يحمل مصرحاتها، ويتولى أمر المفاوضة مع السلطات البريطانية مباشرة، وقد اطلعتم في حينه على ما توصلت إليه الحكومة العراقية في ذلك التاريخ، ولا أريد أن أذكر لكم نتائج تلك المفاوضات، والأسس التي بنيت عليها معاهدة سنة ١٩٢٧م، فقد أصبح ذلك الأمر معروفاً.

ثم على أثر استقالة الوزارة العسكرية عقب توقيعها على المعاهدة المذكورة دعيت إلى تأليف الوزارة للمرة الثالثة كما تعلمون، وكنت وزملائي الوزراء نقدر صعوبة الموقف، وكان أول ما فكرنا به، ووجهنا اهتمامنا إليه هو الاستناد إلى إرادة الأمة العراقية النجيبة عندما نقدم على معالجة قضية البلاد الكبرى.

هذا ما دعانا إلى حل المجلس السابق الذي تفرقت كلمته، وكثرت فيه النزعات السياسية المختلفة، ودعوة الأمة إلى انتخاب نواب عنها يعربون عن غايتها، ويقدرون وضع البلاد، ويجعلون مصالحها فوق كل اعتبار، فلما فاز حزبكم الموقر في الانتخابات، ونال معظم المقاعد النيابية في مجلس الأمة، رأيت وزملائي الوزراء أن قد أصبح في وسعنا الشروع في معالجة قضية البلاد بحزم وتؤدة، والسير بها بخطوات ثابتة مطمئنة.

وعليه دخلنا في المفاوضات مع الحليفة، وأبنّا وجوه نظر الحكومة العراقية بشأن تعديل الاتفاقيتين المالية والعسكرية كما كنت قد عرضته عليكم في حينه، ولا يسعني في موقفي هذا إلا أن أعرب عن اغتباطي وتقديري لتلك المواقف الشريفة التي وقفها حزبكم الموقر عندما كانت الوزارة تطالب بحقوق البلاد، وتكافح في سبيل استقلالها، فلقد اتخذت الوزارة من مؤازرتكم إياها حجة، ومن تأييدكم لمطالبها برهاناً استعانت به على المضي في عزمها على تحقيق رغائب الشعب العراقي النبيل.

أيها السادة:

إن إرادة الأمم محترمة عند كل الحكومات الراقية، ولا سيما حكومة صاحب الجلالة البريطانية، فقد حازت قصب السبق في احترام إرادة الشعوب، فلما تحقق لديها أن مطالبنا هي جزء من مطالب الأمة العراقية، وهي مستندة إلى حقوق عهدية، لم يبق أمامها إلا الاعتراف بها.

تعلمون أيها السادة أنني استقلت من رياسة الوزراء في العام الماضي على أثر حبوط المساعي الذي بذلناها، وكنت أعتقد أن استقالتي ستتيح لرجال الحكومة البريطانية في العراق الفرصة التامة للوقوف على ما تكنه ضمائر العراقيين على اختلاف مراكزهم وطبقاتهم، وقد تألفت الوزارة السويدية، وكان المرحوم السير جلبرت كليتون يراقب الأمور عن كثب، ويدرس الأحوال والميول السياسية السائدة في المجتمع العراقي، وقد رأى بنفسه أن الإقدام على تأليف الوزارة كان صعباً بالنظر للاستياء العام الذي حصل من جراء فشل المفاوضات.

وأخيراً ألف توفيق بك السويدي وزارته بشرط الاحتفاظ بحقوق البلاد المصرح بها في نصوص الاتفاقيات، وقد تمسكت وزارة السويدي بكل المطالب التي أبداها الحزب، كما أن الحزب ساند هذه الوزارة التي لم تحد عن المبادئ التي قبلها هو فيما سبق، وقد كان الفقيد السامي الذي تحقق بنفسه هذه الرغبة العامة في تحقيق الأماني الوطنية خير واسطة للتفاهم بين الحكومتين العراقية والبريطانية، ولما تألفت حكومة العمال في إنكلترة رأى صاحب الجلالة ملك البلاد المعظم الفرصة سانحة لفتح باب المفاوضات، والمطالبة بحقوق البلاد، فاستدعاني جلالته لتأليف الوزارة الحاضرة لإتمام العمل الهام الذي كنا قد بدأنا به في العام الماضي بتعضيد حضراتكم.

سادتي: لابد وأنكم اطلعتم على البيان الرسمي الذي نشر في الصحف قبيل تسلمنا مقاليد الحكم، وأظن أنكم لاحظتم فيه أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية قد أجابت مطالب العراق إلى حد ما، فإنها أعربت عن استعدادها لتأييد دخوله في عصبة الأمم في سنة ١٩٣٢م بدون قيد وشرط، ولعقد معاهدة لتنظيم العلاقات بين الحكومتين على أساس الاقتراحات الجديدة للاتفاق الإنكليزي المصري.

لقد أمعنت وزملائي النظر ملياً في جواب الحكومة البريطانية هذا، فاقتنعنا أنه محقق لشطر من رغائب الأمة العراقية التي لا ترضى عن الاستقلال التام بديلاً، ومن أجل ذلك لبينا نداء سيد البلاد، وقبلنا دعوة جلالته إلى تسلم زمام أمور الحكومة مع كمال الارتياح، آخذين على عاتقنا بذل كل ما في استطاعتنا من الجهود والمساعي للسير بسفينة الدولة إلى الهدف الأسمى الذي ترمي إليه الأماني الوطنية في ظل عرش جلالة الملك المفدى.

إن دخول العراق عصبة الأمم أيها السادة يعني انتهاء المعاهدة والاتفاقيات الحاضرة برمتها، وحينئذ تعقد معاهدة جديدة على أساس الاستقلال التام، ومراعاة مصلحة الطرفين المتعاقدين.

إن خطة وزارتنا في هذه المعاهدة صريحة، وقد وردت الاقتراحات البريطانية،

وستبين الحكومة العراقية وجوه نظرها فيها، حيث إن الحكومة العراقية ترى أن هناك فروقاً جديرة بالاعتبار بين وضع البلاد المصرية، وبين وضع العراق السياسي والجغرافي، ولهذا ترى من الضروري ملاحظة هذه الظروف عند النظر في الاقتراحات المذكورة، وعند ورود هذه الاقتراحات سأعرضها عليكم مع ملاحظات وزارتنا واقتراحاتها المتقابلة بشأن الظروف التي أشرت إليها.

أيها السادة: لابد وأنكم اطلعتم على الاقتراحات الإنگليزية المصرية، وكيف أنها قد قبلت بالترحيب في أغلب المحافل والأحزاب السياسية هناك، فعقد العراق معاهدة على عين الأسس مع الاحتفاظ بمراعاة الفروق المار ذكرها لخطوة كبيرة في حياة العراق الدولية، ولما كانت الحكومة العراقية متمسكة بحقوقها بشأن مسؤولية الدفاع، فهي ستعد لائحة قانونية لهذا الغرض، وتقدمها إلى المجلس عند إكمالها، وذلك للقيام بما أخذته على عاتقها من مسؤولية ضد التجاوز الخارجي، وحفظ الأمن الداخلي.

أيها السادة: لقد أخذ حزبكم على عاتقه إدارة مقدرات الدولة، وجدير بكم أن تمعنوا بهذه المهمة الدقيقة الصعبة بالنظر لما أظهرتموه في مواقف عديدة من الحرص والغيرة على مصالح هذه البلاد، وقد حملتني حسن نيتكم وصدق عزيمتكم على أن أغتنم فرصة الاستفادة من خبرة ذوي الرأي الذي سبق لهم التوغل والاشتغال في شؤون الدولة.

ولهذا رأيت من الصواب أن أشرك ياسين باشا الهاشمي في العمل الذي أخذنا على عاتقنا القيام بكل إخلاص، وياسين باشا معروف بحسن بلائه في القضايا الوطنية، فقبول هذه الشخصية الممتازة في حضيرتنا لدليل واضح على حسن نوايانا، وعدم اهتمامنا بالفوارق الحزبية أمام قضايا البلاد، وأنا لا أشك في أنكم تشاركوني في قناعتي هذه، وأسأل الله أن يسدد خطانا، وأن يوفقنا لما فيه خير البلاد تحت ظل عرش جلالة سيدنا الملك المعظم.

وقام بوزارته القوية وزارة الأقطاب والباشاوات مشمراً لإصلاح مهمات الأمور،

وتصفية شؤون الدولة، وغربلة الدوائر والرواتب والموظفين، وتحديد الاستشارة.

ولعبدالمحسن بك ثلاثة مواقف كبرى في بناء الحكومة العراقية:



عبدالمحسن السعدون

الموقف الأول

قبل سنيّات قام ابن الفريكة[1] برحلة أدبية سياسية في كل بلاد العرب، وتنقل في بيوت الإمارات العربية، ووضع خطواته ونكاته التحليلية، وآرائه في كتاب أسماه (ملوك العرب)، وقد نوّر الريحاني في كتابه هذه كثيراً من الزوايا المظلمة، ولكن نوره في العراق كان بصيصاً، وكتابته عن العراقيين كانت بالمداعبة أشبه منها بالتاريخ، فكانت مثل الزغردة لذيذة في الصوت والنبرة، ولكنها فارغة من المادة لا تقبل التحليل، فالريحاني العراق شاعر لا كاتب.

كتب عن سلاطين لحج كإمارة عربية، وذكر أن السلطان منهم رعويته لا تشمل أكثر من ثلثماية نسمة، وراتبه لا يتعدى ١٥٠ ربية، فكأنما شغف باليمن، وأراد أن يملأها إمارات كمزرعة البصل كلها رؤوس، فوضع قلمه وراء مكبرة ترسم الفرد عائلة، والحي مملكة، ولكنه في العراق ندم على ذلك الإسراف، واقتصد اقتصاداً فاضحاً، فجعل العائلة فرداً.

أجل إنه استطرد إمارة السعدون بنت الأربعمائية سنة التي نبغ فيها ٢٢ أميراً، والتي حكمت نصف العراق، وقسماً من جزيرة العرب أجيالاً عديدة. طوى كل ذلك في ذكر عبدالمحسن بك على أنه التفت إلى ورائه، وقال لقد فضحت نفسي في إغفال ذكر آل سعدون، وأحسبه قالها مجاملاً، ولكنها الحقيقة جرت على لسانه، ويعجبني تحليله للشخصية البارزة في عبدالمحسن، ووصفه الصادق، فإذا أردت أن أكتب بالمطابقة والمساواة لابد لي وأن أشاركه فيما قال، ومن هذا القول تعرف: إن عبدالمحسن بك تبدو فيه العروبة الحقة. أما الآخرون من ذوي الشخصيات الكبار

---

(١) يقصد أمين الريحاني، والفريكة بلدته في لبنان. (مشرف الخزانة).

الذين يصارعونه أو يلعبون معه الورق، ففي ظاهرهم مستعجمون مستتركون متفرجنون ليس في القالب والهندام فقط، ولكن السعدوني في العراق، ومن صميم العرب، ووجهه أصدق أخباره.

السعدوني فيه مضاء، وليس فيه جفاء. رجل سكوت، ولكن عندما يتحرك الفم تسارع نفس جذابة، فتمتزج بكلماته القليلة. عبدالمحسن السعدون العربي السكوت العزوم. فعّال لا قوّال. انتقل من كرسي العدلية إلى رياسة الوزراء، ونفسية البلاد متزعزعة ممتعضة، فأقدم على عمل يعد من أهم الأعمال التي قامت بها الحكومة العراقية. خفف فيه على العراقيين ثقل القيود التي تضعضع منها العراق والعراقيون، وتمم عقد الملحق بين حكومة العراق وحكومة بريطانيا، ووضعت وزارة السعدوني الدستور الأساسي، وأصدرت قراراً يوجب مباشرة الانتخابات للمؤتمر الأساسي، فاعترضت سبيله ما اعترض سبيل سلفه من التعاريج السياسية والالتواءات، وعاكسته أصول ونزعات، وصارعته شخصيات بارزة متمكنة من العراقيين، وراسخة في العراق.

فأقدم السعدوني السكوت العزوم بالرغم من تردد جلالة الملك والمندوب السامي على العمل الذي يعد من أكبر أعماله فيه العزم والشجاعة، وأحدثت ضجة في البلاد، وكان المظن أنها تؤدي إلى ثورة ثانية، ولكن ثبت السعدوني، وانكشف القتام، فإذا الضجيج أكثر من الحجيج، وإذا المغبة رضوخ وطمأنينة، وانقلبت المسألة من الخطر المادي كالقومة والثورة إلى حركات أدبية ضعيفة كالاحتجاجات الخفيفة، وتبادل الكتابات.

ولكن بعد هذا أحس بعض الخاصة في الدواوين بسلك كهربائي انكليزي حرك دار الانتداب في بغداد، فتأثر القصر الملكي أجل قال........، فقالت الوزارة الوداع..... ما أجمل التغيظ في الرجل الجري العادل، وما أفخم عبدالمحسن بك في صراحته.

هذا الزعيم السعدوني صريح إذا قال، مخلص إذا مال، وإليك كلمته بعد الاستقالة

من تلك الوزارة التي كان ينشد فيها المثل الأعلى للعراقيين تغيظ، وودع ديوان الوزارة، ولسان حاله يقول:

غـزلـت لـكـم غــزلاً دقـيـقـاً ولم أجـد   لـه ناسـجـاً مـنـكـم فـكـسـرت مـغـزلي

كلمة أحببت لأن أسعي لرفع الغشاوة الفكرية عن إخواننا الشيعة، وإنارة بصائرهم بالحقائق. لقد قمت بهذا الأمر في هذا المحيط وهذا الزمان، وتحملت من الأعباء ما تحملت لأفتح لأخي الوزير الشيعي، فيتمم ما بدئت به. هذا هو الزعيم السعدوني، وهذا مبدؤه وحلمه، وهو في موقف العمل.

الزعيم السعدوني عذب المحضر. تذوق من حديثه حلاوة الصدق. عليه رونق الإخلاص، فكان ينفذ في قلب جليسه، ويؤثر في نفسيته أثراً مكيناً من الوداعة الموقرة، والظرف المحتشم الجاذب، وكرم الشمائل والأدب الشريف والملامح النبيلة.

وقد كانت طويته في السياسة العراقية التي ربما خفيت على الكثيرين مرتكزة على ثلاث دعائم:

١- تقديس الوطن العراقي.

٢- الإخلاص لجلالة الملك.

٣- حب البرلمان.

وقد صرحت وصيته الجليلة الصادرة في وقت صدق لا مراء فيه بالنقطتين المهمتين من تلك الثلاث، وطالما ألقى عليّ في الحديث الخاص والحوار السري دروساً وطنية عالية، ونفخ من روحه الوديعة قبساً من النار المقدسة، وسقاني من رحيق الوطنيات.

كان يرى في تربة العراق المحبوبة بذوراً صالحة، ويعتقد أن في الدم العراقي رواسب وبقايا حفظتها الوراثة من مجد الآباء وتاريخهم الذهبي لابد وأن تبدو مزاياها وتظهر مواهبها، والتاريخ يعيد نفسه.

سألته يوماً عن السبب الذي حدا به لاختيار تربية نجله علي بك تربية فنية، وجعل اختصاصه في علم طبقات الأرض والمعادن، فشرح أسباباً عديدة أهمها قوله: «إني أحب خدمة تربة الوطن العراقي أكثر من كل شيء، وبما أن هذا الاختصاص أقرب إلى خدمة التربة المقدسة، وأوصل إلى إظهار مزاياها، اخترته لولدي».

دخلت عليه ديوان رياسة الوزراء في أثناء تصلبه على مطالب البلاد الوديعة التي قدمها إلى الحليفة بحرص وتكتم، فقلت: «اختلفت الناس على بابك فيما تريد أن تعمل، وفي عمل ما تريد، وأنا تلميذك الصغير، ومن حملة مباديك، فهل في الوسع أن تلقي عليّ ضوء ينوّر بعض الزوايا حتى أتذوق اللذة، وأتروّح من ألم الافتكار العميق؟».

فأفاض عليّ بدرس عال في الإخلاص الوطني، وبرغمي أن لا أجد سعة لإثباته لأنه يتطلب وثائق وبرهنة، وليس عندي شيء من ذاك إلا ما انطبع على لوح القلب من حديثه الممتع ومشافهته العذبة، ولكني أختزل عبارة سامية من ذلك الحوار القيم، وهي قوله: «أني بلغت ما بلغ امرؤ بجاهه ومنصبه وبلغة عيشه، ولم يبق لي غاية أسعى لها إلا التاريخ، وقد ركبت الطريق، فأما الوصول إلى الغاية الوطنية، وأما الوقوف الأبدي لهذا النبض».

فقلت: «وكم هم الذين في حزبك يشاركونك في هذا التذوق السامي؟».

فقال: «الاعتقاد رصين، والأمل وطيد بأن الحزب يكوى بحرارة الإخلاص الذي أحمله، وغالباً أجد روحي تتوزع عليه، ويندفع بقوة الحق إلى مشاركتي».

وكان يعتقد أن في شخصية جلالة الملك، والجوهر المتلألئ في ملامحه. ذلك المجدد الذي يتطلبه البعث والإحياء العراقي، وإن جلالته رمز العروبة، ومن الشخصيات التاريخية في العالم العربي، وإن ذلك الجوهر النفيس من تلك العقود التي تحلى بها تاريخ العرب.

وخلاصة اعتقاده أن شخصية جلالة الملك وفي الوضع الملكي أكبر نعمة سياسية للعراق والعراقيين، وأمانة لمحسن بك أؤديها، وقد كان برزانته السياسية، وعدم اطمئنانه إلى كثير من خلطائه، حريصاً على التكتم والاحتفاظ بهذه الأمانة، وكان يعلق آمالاً سياسية كبرى على البرلمان، ويرى أن الغاية السياسية فيه أكبر من الغاية التشريعية.

وتلح عليّ الرغبة أن أزيد وأتكشف في تحليل نفسية السعدوني، وأستعرضه للقارئ على ضوء التتبع والاستقراء، وأجلو عقيدته السياسية بوضوح، لأن رزانته، والتسرع في الحكم المرافق لأكثر العراقيين، قد أسدلا ستاراً على ذلك اللوح السامي.

إن الدم الذي كان يجري في عروق السعدوني، وهو الدم العربي الزاكي الذي كوّنه التاريخ من الشرف والنبل والطيبة كان أكبر مصدر لعزة نفسه وقوتها، وفيه أكبر ذخر للعروبة وتاريخها، فنفس عبدالمحسن قوية بالإيمان القومي والإخلاص الوطني، وبما تسرب إليها من عزة الأجداد وطموحهم.

فمن عناصرها التاريخية السيادة وإباء الضيم، فهي نفسه خشنة في العز والجلد، ولكن الظروف القاسية التي وجد فيها، وما وصل إليه شعبه من الضعف الاجتماعي طبعته على المرونة والملاينة، فلم يبق للسعدوني القوي النفس، الضعيف الشعب، إلا أن يسلك بالقضية من شارع اللباقة والفطنة، سلك وعيناه شاخصتان إلى الهدف الأسمى تعلوهما فتورة المرونة والحنكة، ومن ورائهما تلك النفس الصلبة. مشى السعدوني بين الموج والعاصفة مشية رزينة، وتصرف تصرف حكيم، تارة يقف، وتارة يمشي، وطوراً يثب.

كان في العهد العثماني عربياً مجاملاً للاتحاديين، وهو يتميز منهم غيضاً، وإليك بعض ما جاء في تحريره لأخيه عبدالكريم بك في سنة ١٣٢٦هـ، فقد كتب له: (إني جربت هؤلاء القوم، فوجدت أن الحياة معهم عيب[1] وخزي. عليك أن تتنحى عن الاشتراك معهم).

---

(١) في الأصل المطبوع: عاب، ولا معنى لها. (مشرف الخزانة).

ولكنه كان لا يرى خيراً للعرب في صراع الأتراك، ويستنسب أخذ الحق بالمجاملة والمصابرة، وكان بعد العثمانيين عراقياً محضاً في السياسة، ولكنه صديق البريطانيين، ويعتقد أن نجاح القضية بالملاينة لا بالمخاشنة، ويحرز بالعقل لا بالعاطفة، فساير وصابر، وكان دائماً يتجمع للفرصة، فإذا لاحت له ثارت تلك النفس القوية بإخلاصها ممثلة دوراً رهيباً لصلابة الإيمان وعزة الشرف:

لله سرٌّ في بناية محسنٍ[1] سبحان باني هذه الأعصاب
هو مستقيمٌ ملتو هو لينٌ صلب هو الواعي هو المتغابي

وسأوافيك بثلاثة مظاهر من ثورة تلك النفس الكبيرة تعرفك مقدار القوة والمضاء الذي في قرارة محسن بك، وفي غوره.

(١) إن هذين البيتين لشاعر النيل في وصف ثروت، وللشبه التام بين ثروت العراق محسن بك وثروت مصر، وصدق الوصف نقلتهما لمحسن. (المؤلف).

الموقف الثاني

عاد إلى الديوان ثانياً، وقد احتاجه الموقف، والعراق آخذ بالتأهب للحياة الجديدة، الحياة البرلمانية، يعد نفسه ويحضر أهبته لافتتاح أول دورة لأول برلمان عراقي، فأراد فخامة السعدوني أن لا يكون البرلمان العراقي ناقصاً في حياته الدستورية عن غيره من برلمانات الأمم الديمقراطية، وذلك لعدم وجود حركة حزبية في البرلمان العراقي، فسدّ الثغرة، وعلّم العراقيين واجبهم في هذا الدور المهم، ووضع منهاج حزب التقدم مماشياً فيه لعقلية الأمة السياسية، وقابليتها الاجتماعية، ونظم خططه، ودعا النواب لاعتناق مباديه، فصادف إقبالاً وتلبية عاجلة، وساندته الأكثرية الساحقة من النواب، بل لو أخرجه من قفص البرلمان، ودعا العراقيين إليه لاعتنقته الأكثرية من الأمة.

وعندما التأم المجلس رأينا صفوف حزب التقدم المتراصة تشعر الهيبة حشداً، لها الكلمة النافذة والإشارة المتبعة في الاقتراع على المهمات، وقد مضت الدورة غير الاعتيادية، وبعدها الدورة الاعتيادية الأولى، وذو الرياستين يدير الوزارة، ويدير المجلس بحزبه حزب التقدم الذي أخذ يطبق خططه ومنهاجه، ولكن في الدورة الثانية تسربت شؤون إلى حزب التقدم أوجدت فيه شللاً وضعفاً، فلم يتضامن، ولم يحفظ هيبته وتأثيره، فرأى فخامة السعدوني صعوبة القيام بتمشية مهام الحكومة مع مجلس متضعضع لا يمكن الاعتماد عليه لعدم التناسب الحزبي فيه، وضعف المبادئ الديمقراطية، وعدم رسوخ العقائد السياسية.

فركز بين اثنتين: إما حل المجلس والمباشرة بانتخاب أعضاء جدد يمكن الاعتماد على مبادئهم ودربتهم، وإما الاستقالة من رياسة الوزراء، ولكن بعض المراجع العالية لم يوافق على حل المجلس بحجة أن العراق في مستهل حياته البرلمانية، فنفض السعدوني

أطرافه، واستقال، ولكن الحوادث من بعده برهنت على صدق نظريته، وبقي ذلك المجلس متذبذباً لا ينفع ولا يدفع، وبعد هنات وعضات كلف السعدوني بتشكيل الوزارة ثالثاً، فاشترط لقبول التكليف إجراء نظريته القاضية بحل المجلس، ولما حصل على الموافقة صدع بتشكيل الوزارة، والجو متبلد بالغيوم.

الموقف الثالث

البلاد كالبحر الهائج، والسفينة تحت عواصف وزوابع مقلعة تنذر بالخطر، وأركان المحنة:

١- شتات في رأي الأمة، واختلال في الصفوف.

٢- تبلبل في مجلس الأمة، وحزبية مضطربة، وأكثرية محلولة.

٣- التواءات، وعقد، ومفاجئات خطيرة في ديوان رئيس الوزارة والبلاط الملكي ودار الاعتماد. حيرة في بغداد، وغموض في إكس لبان[١]، وجهود في لندن.

٤- ارتباك في الوزارة العسكرية أدى إلى انخراق، أدى إلى ترقيع، أدى إلى عدم تضامن، فاستقالة.

حينئذ مست الحاجة إلى فخامة عبدالمحسن بك السعدون، وما عنده من خبرة وتدبير، وما له من مكانة وثقة عند العراقيين وحلفائهم، فاستلم الدفة بعزم هادئ، ومضاء وديع، ومن أظهر مزايا عبدالمحسن أنه يغلب الراكضين بمشية وئيدة، ويقابل العواصف بعواطف وبنسمة خفيفة، يركد الزوبعة، فتخطى الرؤوس، وجاء يمشي على مهل إلى الديوان يعالج قضيتين: الحالة الداخلية، والموقف الخارجي، وقد ابتدأ عمله بالمجلس المتبلبل، ففرط عقده، ورجع إلى الأمة يستفتيها في شؤونها المهمة بوساطة نوابها الجدد، ومسح على البلاد بيد من الطمأنينة والتأثير البليغ، فتعدلت الصفوف، وتوحدت الكلمة، وركد كل العجاج، وأجالت الأمة سهامها نازلة للاقتراع الجديد.

---

(١) إيكس لبان منتجع في جنوب شرق فرنسا، ولم أفهم المقصود هنا، ولعل الملك فيصل الأول كان ينتجع هناك في تلك الفترة. (مشرف الخزانة).

وجاء يوم ١٩ مايس سنة ١٩٢٩م، فتمت الانتخابات، وتكامل عقد النواب يضم أكثرية تقدمية تحمل مبادئ فخامة السعدوني مشرع حزب التقدم، وهي صدق النظر، وصدق العمل، وبعد أن استند على الأكثرية الساحقة في المجلس، وأنس تلك الروح المطمئنة خارج المجلس تقدم إلى الوجهة الخارجية، ومن ورائه صفوف الأمة المتساندة، وفي محفظته آمالها، واستهل تعاطيه المفاوضات بذلك التصريح الذي صفق له المعارضون أكثر من غيرهم، وعاهد الله والوطن على الجهاد والتضحية في سبيل البلاد راجياً أن يعود إلى المجلس وفي يديه ربح العراق، والحلق المفصم من الاتفاقيتين المالية والعسكرية، وحينئذ يعرف العراقيون بحق أن الزعيم هو الذي يملأ يديه بالأعمال، لا الذي يملأ فمه بالأقوال.

وهنا يجمل بي أن أعرفك كيف تغضب النفوس الكبيرة، عرفت فيما تقدم من هو عبدالمحسن الهادئ الوديع المسالم، وهنا أعرفك من هو عبدالمحسن المتصلب الثائر، ومن هو ذلك البحر الراكد السطح، ولكن البركان في جوفه يتغيظ.

يمكنني أن أقول أن الثورة العراقية التي هدأت في القطر لم تهدأ في نفس عبدالمحسن، واستمرت مشتعلة إلى الليلة التاريخية والساعة الرهيبة، ولكنه كان سلمياً بالطبع، ويرى أن العراقيين ضعفاء، فالسلم أنجح الطرق لقضيتهم. كان ثائراً على نفسه مهدئاً لشعبه، وإليك ثلاثة مناظر من تلك الشعلة:

الثورة الأولى

عند وضع البناء المبارك، والانتخاب للمؤتمر التأسيسي الذي يقرر شكل الحكومة العراقية، ويضع المعاهدة الأولى مع بريطانيا، ويصادق على القانون الأساسي. ذلك القانون الذي صيغت حلقاته من ذهب الآمال العراقية، ولم يستهل شعب من الشعوب الشرقية المتحفزة التي هي بمستوى الشعب العراقي أو أعلى منه سوية عمله السياسي، وبنيان كيانه بقانون أساسي يعطيه أكثر مما أعطى العراقيين القانون الأساسي العراقي.

فشبك محسن بك عشر أنامله على ذلك الربح السياسي، وقدمه للعراقيين بسكينة وهدوء، ولكن العراق كان غير وادع، ونفسيته غير مستقرة، والرأي العام فيه ذائب، والعاصفة لما تركد، وكانت فيه بقايا زعازع الحرب العامة، وهزاهز الثورة، دعايات وتحمسات سلطت العاطفة على العقل، فتزعزعت الثورة في الصدور، ودقت ساعة الخطر، وحاذر محسن بك على فوات الربح السياسي، وأن يحلق ذلك الطائر الميمون بعدما صاده العراق، فثارت نفسه الكبيرة مجازفاً بأخطر المقدمات اعتماداً على شرف النتيجة واثقاً أن الغاية تبرر العمل.

وما كانت ثورته ثورة شخص في أمة، بل ثورة أمة في شخص، فركب الموجة، وجابه العاصفة، وحرك الدفة بمهارة وإخلاص، وجاء يزجي بالسفينة بين الموج والعاصفة حتى بلغ ميناء السلامة، فحمد له العراقيون حسن المغبة، وانقلب ذلك العناد السياسي إلى تمجيد البطولة.

الثورة الثانية

عندما مرت أعوام أربعة على المعاهدة العراقية البريطانية، وجاء الوقت المضروب لتجديد النظر، والدخول في مفاوضات جديدة، وكان قد استجمع في وقوفه واختباراته آمالاً جمة، وآلاماً عديدة.

لقد عرف ما في العراق، وما يحتاج إليه من الوجهة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، ونظر إلى الجيران وما في نفوسهم وأدمغتهم وبلادهم من التحفز للإصلاح، فقرأ عن تركيا، وعن إيران، وعن مصر.

مهد الطريق للسعي، وطرق باب المفاوضات بيده اليسرى، وفي اليمنى مطاليب البلاد المعتدلة، طالباً بحسن نية إرخاء الكتاف، وقد أنصفه رجال الإنكليز المشتغلون معه في السياسة العراقية، ووافقوه على أحقية ما يطالب، وأنه قليل من كثير، ورفعوا موافقتهم وتقاريرهم إلى مراجعهم العالية، ولكن يظهر أن تلك المراجع نظرت في المسألة من وجهة أوسع مما نظر إليها في العراق، فلم ينظروها قضية عراقية فقط، بل سياسة واسعة وشاملة للعراق وغيره، ورأت هناك ارتباطات واشتباكاً بين سياسة العراق وسياسة غيره من بعض الأقطار، فلم توافق على مطاليب السعدوني، رغم المساعي والتقريرات التي رفعت من رجال السياسة البريطانيين المقيمين في العراق الموافقين مبدئياً لمحسن بك.

فلما استيأس من المساعي التي ذهبت مع كل تشبثاته الوديعة ضياعاً ثارت نفسه الكبيرة، وتغيض ذلك البحر الهادئ، فركل الكرسي، وترك العبء لغيره عسى أن ينهض به.

الثورة الثالثة

وكانت آخر وأشد احتداماً من غيرها، والواقد لهذه الشعلة الرهيبة أمران طويلان عريضان جمعتهما جملتان ناريتان في وصيته التاريخية، وأشد ما كان يهيجه ضعف التربية السياسية في العراق، وفقد العون والمساعدة وتلك المعارضة القارصة التي لا يرتضيها في السلوك السياسي للعراق والعراقيين.

ثار العراق في عام ١٩٢٠م للحصول على مبادئه العالية، وثار السعدوني بشخصه على شخصه للحصول على تلك الغاية السامية، ولكن ثورة السعدون كانت أحر وأسمى، فإن تلك الميتة الحمراء التي اختارها أعلى من تلك الثورة الحمراء. إن ثورته على نفسه أحدثت في القطر العراقي ثورة وديعة وقورة حتى كأن روحه الثائرة الوديعة توزعت على القطر كله، وأصبح الشعب بمثل زعيمه الجليل، فهو هزة عميقة يعلوها الوقار والرزانة، ولم تكن تلك التضحية بنت ساعتها، ولكن يظهر أنه ادخرها كمسعى أخير لخدمة بلاده، فقد سبقتها تأثرات وتأهبات.

ومن استعداده لها أني دخلت عليه قبل شهرين تقريباً على أثر عودته من لبنان، وقلت له: (إنك تعلم أني دونت شيئاً عن تاريخ عائلة آل سعدون، وإني أعتقد أن تلك الإمارة البدوية لطفها الزمان والأحوال الاجتماعية إلى زعامة مدنية تمثلت في شخصك، فأنت مجدد آل سعدون، وأبو زعامتهم المدنية، فأحب أن تتحفني بشيء عن تاريخ حياتك).

فقال لي: (لا توجد في حياتي إلا معجزة واحدة، وستقف عليها بعد موتي).

فأجفلني الجواب، ولكني تماسكت وابتسمت قائلاً: (أرى ذلك بعيداً إن شاء

الله).

فقال: (إني لا أبعد عليك بالوعد، وسيكون ذلك قريباً).

ومن علائم التأثر العميق أن الفقيد العظيم بعد عودته من لبنان تجاذب مع أخيه عبدالكريم بك حديث وفاة المرحوم صبيح نشأت الذي توفي بالسكتة القلبية، فقال لأخيه عبدالكريم: (ليتها كانت لي، فما بالها ذهبت إلى صبيح)، فقال له شقيقه: (يومك بعيد إن شاء الله، وحياتك النافعة دائمة)، فقال: (لا. إني لا أرى لذة في حياة لا توصل إلى اجتناء الثمر، وإني أريد الموت المفاجئ بحيث انقلب عن الكرسي جسداً هامداً).

ومن أمارات العزم على التضحية أنه قبل الليلة التاريخية بأسبوع تقريباً اشترى محفظة، واختص بها، ولم تكن من لطف سيرته البيتية وعطفه الممتاز على عائلته أن يختص بمحفظة دونهم، أو يقفل شيئاً عنهم، فوضع أشياء لم يعلموا بها في تلك المحفظة، وقفلها، واحتفظ بالمفتاح، فاستغربت عقيلته أم العراقيين[1]، وقالت: (ما هذه المحفظة، وما فيها؟).

فأجاب أن: (لا لزوم لكم في هذه المحفظة، ولا بما فيها).

ولما ألحت في السؤال أجابها متلطفاً: (إن فيها دراهم).

فقالت: (إننا في حاجة إلى دراهم).

فقال: (دعوا هذه الدراهم، وأنا سأوافيكم بدراهم غيرها).

وعند عودته إلى البيت ثانياً حمل بعض الدراهم، ودفعها إلى عقيلته، وفي الليلة التاريخية أخرج المفتاح، وفتح تلك المحفظة التي كانت فيها الخرطوشة التي وضعها في المسدس، وأطلقها على نفسه.

---

(١) يلقب الشرقي زوجة عبدالمحسن بأم العراقيين تشبيهاً لها بأم المصريين زوجة سعد زغلول. (مشرف الخزانة).

ويظهر أنه كان يوم الاثنين ١١ ت٢ سنة ٢٩م معتزماً على الثورة على نفسه، فقد كان مستعراً، وقد زاده أواراً تلك الضجة في مجلس النواب، وما اشتملت عليه من قوارص، فاندفع بذلك التصريح الذي تشم منه رائحة البارود الذي انفجر في المسدس، وهذا تصريحه:

سادتي: قد نقد بعض الإخوان منهاج الوزارة، واعتقدوا أن الحكومة مسرورة ومبتهجة بهذا المنهاج، والحال أنه لا يمكن لأية وزارة في هذه البلاد أن تكون مسرورة ومبتهجة. إذ أنها دائماً معرضة للتنقيد بأية صورة كان!

إن الوزارات المختلفة سعت كلها إلى الحصول على حقوق البلاد، ولكن الظروف لم تساعد، قد اتهمني البعض بأني رجعت عن مطاليبي، واكتفيت بالتصريح البريطاني الأخير، والمطاليب كانت تتضمن كما تعلمون تعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية، وأقرّ هنا بأن الحكومة العراقية قد تساهلت بكل معنى الكلمة للحصول على الاتفاق مع الحليفة، ولكنها لم تتمكن من الحصول على ما أرادته. إنما اصطدمت برفض مطاليبها، فما وجدت بعد ذلك طريقاً إلا الاستقالة، فاستقلتُ كما شرحت ذلك يوماً.

ثم أن حليفتنا المعظمة صرحت بقبول العراق في عصبة الأمم في سنة ١٩٣٢م، والتصريح له أهمية عظيمة. إذ أنه بدخول العراق في عصبة الأمم تلغى جميع المعاهدات والاتفاقيات، وتعقد الحكومة معاهدة جديدة على أساس الاستقلال التام للعراق، وأقول لكم أيضاً أن السياسة قد تبدلت بعد ذلك التصريح، وأصبح الوزراء يقومون بكل ما جاء في القانون الأساسي.

وتساءل بعض الإخوان قائلاً: إذا لم تدم وزارة العمال البريطانية، فما تكون النتيجة؟

أنا أقول أن التصريح إنما هو وعد الحكومة البريطانية لا وعد شخص، فإن لم تنجز الحكومة الإنكليزية وعدها، فحينئذ على الأمة العراقية أن تقوم بواجبها لتحصل

على حقها واستقلالها، لأن هذا يتحصل بالقوة، والقيام بالواجب بطريقة جدية، لا بالأقوال والاعتراضات.

أما الاتفاقية المعقودة بين العراق وإيران، فهي اتفاق وقتي، وإن إيران لن تستفيد فيه من الامتيازات القديمة، وقد سألنا وزارة العدلية في أمر تقديمها إلى المجلس التشريعي، فقالت لا لزوم لتقديم الاتفاقيات المؤقتة، ولكن إذا أراد المجلس أن تقدم إليه، فإننا نقدمها.

ثم أن حكومة حليفتنا المعظمة قد أرادت أن تعطي العراق مجالاً واسعاً ليقوم بمسؤولياته العامة بصفته حكومة مستقلة، ولكي يدخل في عصبة الأمم في سنة ١٩٣٢م، ويبرم معاهدة جديدة. هذا الذي قالته الوزارة، وهو أمر ليس فيه تبجح، كما أن الوزارة لم تظهر في حالة غير طبيعية!

والذي يدلك على احتدامه، ويلمسك مبلغ تأثره، طلبه تطبيق القانون الداخلي على النائب الذي تشاجر مع رئيس مجلس النواب، فإن ذلك الطلب بعيد عن تسامح السعدوني وتساهله ووداعته، ولكنه صدر عن نتيجة تهيج شديد، واحتدام مستعر، والذي يدلك على أن جلسة يوم الاثنين زادته أواراً قوله إلى بعض زملائه في الليلة التاريخية: (أرأيت، أسمعت ما قام به المهاجمون والمعارضون في البرلمان؟)، فأجابه الزميل: (نعم)، فقال له: (إنما مثلي معكم مثل موسى مع أصحابه. إذ قالوا له (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون). ماذا أكون، وأنا وحدي، وأنتم ما فيكم الباسل؟).

ومن تأهباته أن فقيد الأمة وبطل التاريخ العراقي كان في يوم الأربعاء ١٣ ت٢ سنة ٢٩م في ديوان رياسة الوزراء، فدخل عليه بعض رجال الديوان مخبراً عن ورود شخص محترم، فقال له: (إني ضيق الصدر، أرجوك أن تعتذر إليه)، فأجابه الموظف: (ألا تضرب له وعداً يزورك فيه)، فقال: (إذا حضرت الديوان غداً، فليأت)، واستغرب الموظف من تردد فخامته في حضور الديوان غداً، فقال: (هل يجد صاحب الفخامة

وعكاً في مزاجه، أو أنه اعتزم على جولة خارج العاصمة)، فأجابه: (قلت لك. إذا حضرت الديوان، فليزرني).

ومنها أنه كان قبيل الساعة الرهيبة في النادي العراقي يلعب البوكر، فسأله أحد زملائه: (متى تدعو حزب التقدم للاجتماع؟)، فأجاب: (إن ذلك سيعود إليكم، فمتى ما أردتم اجتمعتوا).

ورجع بطل التاريخ العراقي في الثالثة والنصف ليلاً من النادي العراقي إلى بيته (بيت الأمة)[1]، وبعد تبديل الثياب تقدم إلى مائدة العشاء، ولم يتناول إلا حبات من الفستق، فخرج من غرفة الطعام إلى مكتبه، وتناول القلم والقرطاس، وكتب كتابه التاريخي إلى ولده علي بك، أو إلى الشعب العراقي، وهو رابط الجأش متوازن القوى.

وكانت كريمته قريبة منه في المكتبة. ثم أخرج مسدساً، وأفرغ فيه خراطيش، وبدت على وجهه الكريم بوادر التأثر، والعزم الخطير، فأرعبت كريمته، وأحست بذعر، فهتفت مذهولة بأمها الحنون، وسرعان ما قذفت أم العراقيين بنفسها في المكتبة، ففزعت من هول المشهد، ومسكت على يده اليسرى، ولكن المسدس كان بيده اليمنى، وقالت: (ارحم أولادك).

إلا أن بطل التضحية جذبها برفق، مشيحاً بوجهه الكريم عن منظر المكتبة، ومن فيها. ذلك المنظر المدهش، متنحياً إلى باب ينفذ إلى البهو المطل على دجلة، وبين الباب والبهو تمكن من تصويب المسدس إلى مقتل من مقاتله، ودوى ذلك العيار الناري الذي ردد صداه العراق، بل العالم العربي، وسيردده التاريخ الخالد، وخرّ ذلك البطل صريع الشهامة والشرف.

ولم يلفظ نفسه الأخير حتى أدركه معالي عبدالعزيز بك القصاب، فألفاه وفيه رمق، فقال له: (ماذا صنعت؟. لقد هجمت بيوتنا)، فرد عليه بابتسامة رقيقة يعرفها جلاسه وخلطاؤه، وفزع معالي القصاب إلى الهاتف يعج بالأطباء ويستنجدهم، ولكن

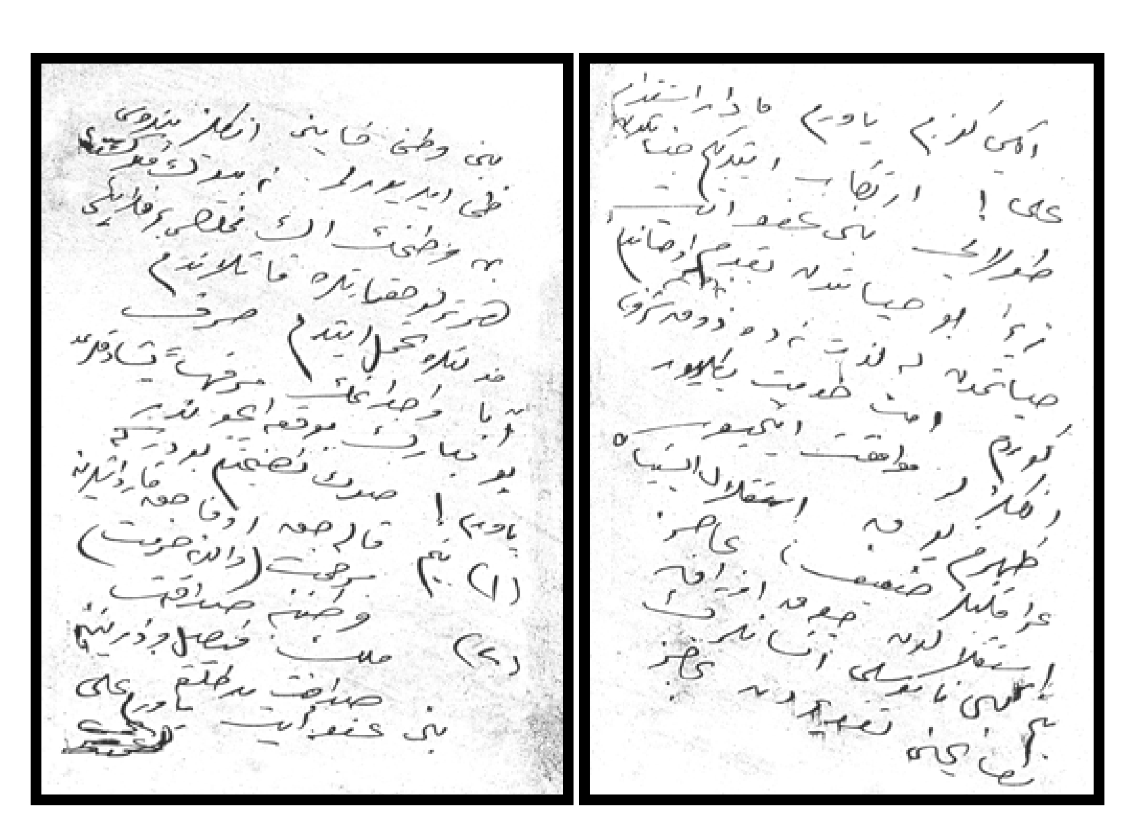
(١) تشبيه آخر من المؤلف لعبدالمحسن بسعد زغلول الذي كان بيته يلقب ببيت الأمة. (مشرف الخزانة).

حم القضاء، وسمت تلك الروح مرفرفة بجناحي الشهامة والنبل والمقدس.

وفي هذا المشهد التاريخي، وما فيه من روعة وجلال ورهبة وشرف وإرادة سامية وتضحية وآمال أمة وآلامها، وتنزي قلوب، ورفيف أرواح، وذلك الدم الزاكي الناطف الذي كتب الكتاب الأحمر للقضية العراقية يقرأه الجيل العراقي اليوم، والأجيال المقبلة، ثلاثة عناوين ارتسمت بوضوح على ذلك اللوح السامي.

العنوان الأول

الوصية الغالية، أو السجل التاريخي الذي كل لفظة منه تحمل من الشرف والإخلاص والحنو البار والمنطق السياسي والبعث الموقر، ألف معنى.



وصية عبدالمحسن السعدون بخط يده، وهي باللغة التركية

العنوان الثاني

الخواطر ومجال الآمال والآلام بين المسدس المملوء ناراً، وبين القلب المفعم بكل خاطر جليل، ويد تلك العقيلة الشريفة المرتعشة، فلله ذلك المجال بين المسدس والقلب في تلك الثانية المملوءة بالمدهشات، وما فيه من عزم وحسرة وألم ولذة، وتاريخ أمة يعبر بلمحة بصر، ورفع ستار، وإسدال ستار، وتفكيك رموز، وحل معقدات بساعة حارة، وعيار حار، وقلب حار. عملية تمت في أقل من ثانية، ولكنها استجمعت تاريخ بلاد، وسجل شعب.

العنوان الثالث

تلك الابتسامة الأخيرة فما أغلاها، وما أعلى ما فيها من رمز. بطل العراق يتلقى الموت باسماً. فتّش كل الابتسامات اللذاعة، واستعرض ابتسامة الحب الشريف، والعشق المقدس، وابتسامة الظافر يتذوق لذاذة ظفره، وابتسامة الوالد البار في وجوه ذويه المرتاعين، وابتسامة الأمين، وقد سلم أمانته بعد الخوف عليها والوجل، وابتسامة البطل الباسل، وقد اعصوصب الأمر، وهلعت القلوب وابتسامة الجرح الحمراء، وابتسامة الخاشع المتلذذ بألم الواجب.

فتش كل الابتسامات الوديعة الوقورة لا ترى أسمى، ولا أنبل من ابتسامة بطل العراق الأخيرة، وما هي ابتسامة، ولكنها الروح النشيطة تتقلص من ذلك البدن الذي أتعبه الواجب، وكدّه الشرف في سحابة عمر مملوء بالمآثر الخالدة. ما هي ابتسامة، ولكنها سر عبدالمحسن بك السكوت يبوح به في آخر ساعة.

إن سر العظمة في السعدوني هو الذي جعله محترماً في كل النفوس، فأهم عناصر زعامته احترام كل عراقي لذلك السر الكامن في أخلاقه ومواهبه، وهو الذي هز حتى الحجر العراقي تلك الهزة العنيفة لفقده، فمن أراد أن يقتص أثره، ويشغل ذلك الفراغ الذي تركه، فليبحث في أخلاق السعدوني ومزاياه عن سر تلك العظمة التي جعلته ناقعاً في قلوب الناس، وكانت الأمة تخافه احتراماً وإخلاصاً. أما غيره فيحترمه الناس خوفاً.

أنا لا أظن ذلك السر في زعامته التاريخية، ولا في عروبته المحضة، ولا في وداعته الجذابة، ولا في طيبته ومسالمته، ولا في جلده ومصابرته، ولا في تسامحه وتساهله، ولا

في شهامة نفسه ونخوته العالية، ولا في صراحته ومضائه، ولكن بيت ذلك السر في إخلاصه ونزاهة ضميره. نعم في ضمير السعدوني الطاهر ذلك السر، وتلك الموهبة العلوية، فرجال الضمائر الطيبة هم الرابحون، ولو لم يتاح لهم إلا ساعة واحدة من العمر كله لإبراز ضمائرهم لكانت كافية لتشريف العمر كله، بل وتعظيمه في عمر التاريخ.

انتهى محسن بك بإبداء ذلك السر في تلك الابتسامة، ولكن ابتدأت الأمة العراقية بتلك النهاية المجيدة.

راح الدور الشخصي، وجاء الدور الاجتماعي الرهيب.

يوم الخميس ولا أزال مروعاً وجل الفؤاد لكل يوم خميس

أصبحت الأمة يوم الخميس، وفوجئت بذهول ودهشة من النبأ المريع، فجفلت مذعورة منكمشة من هول الخبر، وعظم وقعه ورنته، فوقف نبض كل قلب، وكانت فترة عامة في دم الناس، وأن العاصفة خشعت لجلال الحادث خشوعاً عاماً، وما انتشر (ملحق العالم العربي) إلا ونفخ في الناس ناراً كاوية، وكأن حرارة تلك الطلقة خالطت دم كل قارئ وسامع، وأودعت في عمق نفسه دوي ذلك المسدس الرهيب، فانتفضت الأمة انتفاض المحموم من سماع فقرات الوصية التاريخية، وأثرت لغة الدم النبيل في الناس أمضّ أثر، فكأن دم السعدوني الشريف يتحدث إلى الناس بلغة يفهمها الدم الجاري في العروق، وكأن تلك القطرات المنتشرة توزعت حرارتها على دم الشعب الجاري في عروقه، وحقاً كأن تلك الوصية التاريخية معنونة بالأثر القائل (ما يخرج من القلب يمضي إلى القلب)، فقد خرجت هذه الوصية التاريخية من قلب السعدوني الطاهر، ومضت إلى قلب كل عراقي بحرارة ماضة.

لقد كنت ترى كل قارئ مطبوعاً بطابع التأثر النفسي يقرأ وهو مخطوف اللون. واجف القلب. متهدج الصوت. تقاطع ألفاظ قراءته قطرات دموعه.

إن تلك الوصية هي الدفقة الأولى للدم الحار الذي تدفع من الجرح. إن تلك الوصية الجليلة جددت العراق، وأعادت تاريخه المجيد.

نعم، فقد جدت الحال، وسارت القضية العراقية سيراً حقيقياً، واستهلت تضحية البطل الباسل ديوان العمل الجدي، وقد كنت في نفسي آسفاً على القضية حانقاً على العراقيين لقلة العمل الجدي. إذ أن كل تاريخ مجيد، وبنيان أمة لا يكون إلا بتضحيات ومفاداة، ومن بعد عام ١٩٢٠م اكتسبت الجمرة رماداً، وخارت العزائم، وتطلعت القضايا الشخصية، وانزوت القضية العامة، وبقيت مسألة العراق مقطومة بخلاف قضايا الشعوب المتوثبة، فإن درجة الحرارة تتصاعد فيها مع الزمان، والمساعي تتكامل يومياً، والجهود تتلاحق، ولكن الساعة الأخيرة للسعدوني بك هزت الأمة هزاً عنيفاً عميقاً، واستهلت بالتضحية الباسلة ديوان العمل الجدي، والآن فالرجاء ملء نفسي، والنجاح ألمسه لمساً.

موكب التشييع أو محشر الأمة

نـصـفـان بــغــدادٌ، فـنـصـفٌ محشرٌ ساحـاتـه اكـتـضّـت، ونـصـفٌ بلقعُ

ما طلعت شمس الخميس المروع، إلا وطلعت معها ورقتان مجللتان بالسواد تخاطفهما الناس، فلم أر أحداً إلا وإحدى الورقتين مرفرفة ذعراً واندهاشاً بيده، فكأن الناس مسكوا على قلوبهم المذعورة بأيديهم ورقة منشور جريدة (العالم العربي) التي كانت تنفخ في الناس ناراً، وورقة منهاج مراسيم تشييع جثمان فقيد الأمة التي أذاعته الحكومة، وسرعان ما أغلقت العاصمة أسواقها، وأخلت دورها، وعطلت مدارسها، وصدرت الإرادة المطاعة بتعطيل الدواوين والدوائر.

ووقف كل عمل بذهول وارتياح، إلا عمل واحد هو تدافع سيل الجمهور الكئيب إلى اتجاه دار الفقيد العظيم، ونكس العلم العراقي الخافق حزناً، وشاركت الدول الأجنبية الحكومة العراقية، وشعور الأمة في إظهار شعور الحزن، وشعار الأسى، فنكس الوزراء المفوضون والممثلون السياسيون والقناصل أعلام دولهم.

عج الشعب فازعاً إلى الطرق المؤدية إلى دار الفقيد، وإلى الحضرة الگيلانية التي تقرر أن تكون المقر الأخير لبطل العراق، فكانت الحفلة تدل على شعور حار، وأسى عميق.

جمهور لا يقل عن ٢٠٠,٠٠٠ نسمة، نظمه الخشوع، وعلته السكينة، ورتبته الوطنية الصادقة ليس فيه جلبة إلا صدحات الموسيقى الحزينة، وصفير الحسرات الحارة، وحسيس نبضات القلوب الواجفة، وسح قطرات الدموع، وقد قام المحامون، وهم في طليعة الموكب المهيب أحسن قيام، وهكذا تألف الموكب: رجال الجيش

فرساناً ومشاة منكسة البنادق وضباطهم، والشرطة وقد اصطفوا سماطين على جوانب الطريق، واصطفت كشافة العاصمة وطلبة المدارس على حافتي الطريق، وعليهم شارات الحداد، ويحملون الأعلام السود مكتوب عليها آيات الوطنية المفجوعة.

وكانت الساحات المجاورة لدار الفقيد، والتي كانت مجاورة للشارع الكبير الغاص بالمشيعين، وطبقات الدور، وشرفات المنازل تعج عجيجاً، وفي تمام الساعة الثانية والنصف بعد الظهر تعالت أصوات البكاء إيذاناً بتشييع البطل، فخرج النعش محمولاً على مدفع، وقد جلل بالراية العراقية التي شاركت العراقيين، واحتضنت الفقيد الجليل الذي فداها بتلك التضحية الخالدة، وضمت الصدر الذي قد ضمها.

وتقدم الموكب فرسان الشرطة، وفي طليعتهم معاون الشرطة العام، فوحدات من الجيش العراقي تمثله تمثيلاً كاد أن يكون تاماً. ثم موسيقى الجيش، وحف بنعش الفقيد وكيل القائد العام، ومدير الشرطة العام، وآمر منطقة بغداد، ومدير شرطة بغداد، وأقرباء الفقيد، ورؤساء الدين من العلماء الأعلام، وتلاهم حضرة صاحب السمو الملكي الأمير غازي المحبوب ممثل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم، وسار وراء سموه أركان البلاط الملكي ملكيين وعسكريين، وسار بعدهم فخامة العميد البريطاني السامي بالوكالة، وأركان دار الاعتماد البريطاني، فرئيسا مجلس الأعيان والنواب، فأصحاب المعالي الوزراء، فجناب قائد سلاح الطيران العام، وأركان حربه، فالوزراء المفوضون، والممثلون السياسيون والقناصل والأعيان والنواب، فالمستشارون وكبار موظفي الدولة، فأمراء الجيش العراقي، وضباط الشرطة، وتلامذة المدرسة الحربية، فأعيان العاصمة، وأشراف الأقاليم والنواحي المجاورة للعاصمة، وبقية العلماء ورجال الدين، وأعضاء مجالس إدارة اللواء والبلدية وغرفة التجارة، فأعيان الجاليات الأجنبية، فممثلو النقابات والمهن، ورجال الصحافة والمحامون والأطباء، وأصحاب المهن الأخرى الحرة، فعدد غفير كبير جداً من سائر الطبقات، وكانت ثلة من الشرطة في مؤخرة موكب الجنازة الذي لم تكن العين تدركه.

ولما بلغ النعش العطفة المؤدية من الشارع العام إلى الشارع المؤدي إلى الحضرة

الگيلانية أوقف حضرات المحامين عربة النعش. ثم حملوا نعش صريع الوطنية الخالدة على أعناقهم بالتناوب بين البكاء والعويل، حتى بلغوا باب الحضرة الخارجي، فأنزلوا النعش، وأدخلوه ساحة الحضرة حيث احتشدت الجموع، ووقف الشيخ زامل آل مناع أحد نواب المنتفق ومن كبار رجالهم مؤبناً، فألقى خطبة حماسية، وألقى حضرة عبدالله بك ثنيان نيابة عن المحامين خطبة بليغة، قال فيها: (أيها الراحل العظيم عبدالمحسن بك السعدون. إن مجازفتك بحياتك في سبيل وطنك وبلادك لهي الشاهد العدل، والدليل القاطع أنك رجل عظيم، فنم بسلام، فأنت في ذمة الله والتاريخ).

وصلي على نعش الفقيد، وعاد حضرات المحامين، فحملوا جثمان الفقيد إلى حيث ووري بالبكاء والعويل، وبين طلقات المدفعية التي أطلقت إجلالاً وتعظيماً للراقد.

الكتاب الأحمر للقضية العراقية أو الوصية التاريخية

ولدي وعيني ومستندي علي:

أعف عني لما ارتكبته من جناية، لأني سئمت هذه الحياة التي لم أجد فيها لذة وذوقاً وشرفاً. الأمة تنتظر الخدمة. الإنكليز لا يوافقون.

ليس لي ظهير، العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء عاجزون، وبعيدون عن الاستقلال، وهم عاجزون عن تقدير نصائح أرباب الناموس أمثالي.

يظنون أني خائن للوطن، وعبد للإنكليز. ما أعظم هذه المصيبة. أنا الفدائي الأشد إخلاصاً لوطني، قد كابدت أنواع الاحتقارات، وتحملت المذلات، مخلصاً في سبيل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها آبائي وأجدادي مرفهين.

ولدي، نصيحتي الأخيرة لك هي:

١- أن ترحم إخوتك الصغار الذين سيبقون يتامى، (وتحترم والدتك)، وتخلص لوطنك.

٢- أن تخلص للملك فيصل وذريته إخلاصاً مطلقاً

أعفني يا ولدي علي.

١٣ -١١ -٢٩م

عبدالمحسن السعدون

وقد وقع في ذيل الكتاب كل من: فخامة ياسين الهاشمي، وفخامة ناجي باشا السويدي، ومعالي خالد بك، ومعالي عبدالعزيز بك القصاب، وسعادة جميل بك المدفعي متصرف لواء بغداد، وسعادة محمد سليم بك مدير الشرطة العام، الذين حضروا إلى دار الفقيد على إثر وقوع الفاجعة، شاهدين على أن هذا الكتاب وجد على منضدة الزعيم الراحل في مكتبته الخاصة، وهو مكتوب بخط الراحل العظيم.

مأتم الأمة وحداد البلاد

شمل الحزن العاصمة، وكانت مدينة بغداد مأتماً عاماً في كل سحابة يوم الخميس وليلة الجمعة، فما بيت لم تقم فيه ثاكل، ولا قلب لم يشترك في الجرح، وبدت شارات الحداد، فكانت في النهار غلق الأسواق، وتعطيل الأعمال، ورفع الأعلام السود على المقاهي والحوانيت، ورفعت كل مدرسة علماً أسود كتبت عليه عبارة تدل على حزن عميق، وكانت في الليل وحشة وسكون، فقد سكنت تلك المعازف، وخرس الحاكي، وسدت دور اللهو ومسارح الرقص والتمثيل والسينما حداداً، ولم تشاهد بغداد ليلة خرساء موحشة مثل تلك الليلة، وصدرت الإرادة الملكية المطاعة بتعطيل جميع الدوائر الرسمية في يوم الخميس، وأصدرت وزارة الداخلية أمراً بتنكيس العلم العراقي المحبوب في كل دوائر القطر العراقي حداداً.

وأقيم مأتم رسمي في ديوان فخامة رئاسة الوزراء، فقد صدر بلاغ رسمي جاء فيه: (ابتداء من يوم السبت ١٦ تشرين الثاني إلى يوم ١٨ تشرين الثاني سيفتح دفتر خاص في ديوان رياسة الوزراء لتسجيل أسماء الذوات الذين سيقومون بواجب التعزية للحكومة)، وجلل ديوان رئاسة الوزراء بالسواد ثلاثة أيام.

أما بيت فقيد البلاد، فقد أصبح بيت الأمة العراقية يتموج بالشعب العراقي المفجوع، وقد اخضلت حجارته بالدموع، ومسحت أركانه بالقلوب الحزينة، وعقد حزب التقدم جلسة كئيبة في عصر الجمعة، وأعلن الحداد.

وفي يوم السبت عقد مجلس النواب جلسة حداد مهيبة، فلم تكن ترى في المجلس غير شارات الحداد، ولم تسمع إلا أصوات البكاء، وكان مقام الرئاسة ومقاعد الوزراء

مجللة بالسواد، وقد نصب رسم الفقيد العظيم في المحل الذي كان يجلس فيه المرحوم، وقد أحيط الرسم المبارك بشارات الحداد وأكاليل الزهور.

وفي الساعة المضروبة فتحت الجلسة، فتعالت أصوات البكاء والعويل في جميع صفوف النواب، وشرفة المستمعين، بحيث إن المجلس اهتز اهتزازاً، وتقرر أن يقف النواب وقفة الحداد، فوقف الجميع «النواب والمستمعون» حداداً في سكوت عميق، وانتهت الجلسة.

وصدرت الإرادة الجليلة بإسناد رئاسة الوزراء إلى فخامة ناجي باشا السويدي، وجرت حفلة استيزار صامتة وباكية، ورغب صاحب الجلالة بمناسبة الفاجعة أن تتلى الإرادة بدون مراسيم، وقرر الوزراء أن لا يقبلوا التبريكات، وأن يزوروا ضريح الفقيد العظيم بعد تلاوة الإرادة.

وهكذا توجهوا تواً إلى مقر الفقيد، وكان أعضاء حزب التقدم ومعظم النواب من الأحزاب مجتمعين، وبعد قراءة الفاتحة تقدم فخامة ناجي باشا إلى الضريح الكريم، والدموع منهمرة، والزفرات تكاد تقطع عليه الكلام، وفاه بما خلصته جريدة العالم العربي:

(أيها الراحل الكريم. أتقدم إلى ضريحك العزيز. أتقدم أنا ورفاقي الذين كانوا يحيطون بك إحاطة الهالة بالقمر، وها هم يحيطون الآن بك:

مثل نجومٍ فقدت بدرها   أو كنظامٍ فقد الواسطة

وقلوبهم كسيرة تخفق حزناً على ما أصابهم بفقد رئيسهم الأعظم، وأنا وإياهم نقسم على ضريحك الطاهر بأننا سنضع تضحيتك العظمى نصب أعيننا لتكون لنا مناراً نستهدي به في سبيل المبادي السامية التي ضحيت نفسك من أجلها، فنم مستريحاً. إنك ستحيا وتحيا مبادئك.

وفود الجهات وحملة الأكاليل

لم يكتف الشعب العراقي النجيب أن أمطر العاصمة بوابل البرقيات النارية حزناً وجفلة، وأقام المآتم في طول البلاد وعرضها، وناحت منابر مدنه وحواضره بطل التضحية، ولكن مدنه المهمة جعلت توفد الوفود للطواف بضريح الفقيد العظيم يحملون الأكاليل، وأول ما جاء وفد كربلاء يحمل إكليلاً باسم لواء كربلاء، وآخر وفد كان وفد الموصل الذي حمل إكليلاً باسم الموصل، وإكليلاً باسم محامين الموصل، وفاضت رجال الوفد بالخطب المفجعة التي سنثبت بعضها تحت عنوان (منبر السعدون).

اجتماع المحامين ومقرراتهم

اجتمع محامو العاصمة اجتماعاً وطنياً حاراً وكئيباً، وبعد البكاء، وندب الفقيد العظيم انتخبوا «لجنة تخليد ذكرى السعدون»، وأقرّت اللجنة:

١- إقامة حفلة تأبينية في يوم الأربعين.

٢- تسمية الشارع المؤدي إلى بيت الفقيد باسم «شارع السعدون».

٣- السعي لدى الحكومة في استملاك دار الفقيد، على أن يكون القسم الخارجي بيتاً للأمة، والداخلي لسكنى عائلة الفقيد، ومراجعة الحكومة لتخصيص راتب ممتاز لعائلة الفقيد.

٤- السعي لدى العائلة في الاحتفاظ بملابس الفقيد، وما استعمله من الأدوات حين وقوع الحادثة، وتحرير الوصية التاريخية لتكون ميثاقاً وطنياً.

٥- السعي في جمع تبرعات من كافة العراقيين لإقامة تمثال للفقيد العظيم.

وتوالت اجتماعات اللجنة، وثابرت على أعمالها متأثرة بألم الحزن، ولذة الجهاد الوطني.

الاجتماع التأبيني في حزب التقدم

ما كاد نواب حزب التقدم يدخلون بنايته حتى فاضت مآقيهم بالدموع، وارتفع العويل والبكاء والنحيب، فكانت ساعة مشهودة تتفتت لمرآها الأكباد، وبعد مدة هدأ بعض هذا الاضطراب الشامل، وبدئ بتلاوة الفاتحة تتخللها الحسرات على فقيد البلاد الأعظم، وعميدها الجليل.

ثم دخلوا القاعة العامة، فلبثوا خمس دقائق وقوفاً صامتين حداداً على الراحل العظيم، وأعقب ذلك أن نهض نائب الحلة السيد أحمد أفندي الراوي، فأبّن الراحل الكريم بعبارات مؤثرة كانت تخفق عند سماعها القلوب، وقد حث الحزب على التمسك بمبادئه حتى النفس الأخير، وأن تكون وصيته لولده العزيز منهجاً للحزب الموقر.

ثم أعقبه خير الدين العمري، وأبّن الفقيد بكلمات تنم عن عاطفة مشتعلة، ومما قاله: (إن عبدالمحسن السعدون وضع الحجر العتيد للاستقلال العراقي الحقيقي بإهراقه دمه الزكي على بناء الاستقلال). ثم قال بـ (أن روح الفقيد تتلو عليّ الآية الكريمة القائلة: [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم] فهل أنتم سامعون)، فضج الحزب مؤيداً مبادئ الزعيم الراحل.

ثم نهض معالي ناجي باشا السويدي، والعبرات تكاد تخنق صوته، فأطرى على الفقيد المغفور له بما يستحقه من التبجيل والتعظيم، وعاهد الحزب على اتباع سنته ومبادئه، ومما قاله: (إن العظماء لا يؤبنون داخل البنايات، ولا يذكرون في قاعات الأحزاب فحسب، وإنما السير على مناهجهم فيه أعظم ذكرى وتأبين للعظماء).

وتلاه فخامة ياسين باشا الهاشمي، فتكلم بأسلوب مؤثر بليغ قائلاً: (إنني جئت هنا كصديق لأعزيكم بفقدان رئيسكم الجليل، ولأظهر ما في قلبي من العواطف نحو الفقيد العظيم الذي أحدث بفقدانه فراغاً لا يملأ إلى سنين عديدة). ثم شرح مزاياه، واعتذر عما جرى له من المخالفات للزعيم الجليل، وقال: (إني أريد أن أستميحكم عفواً عما مضى بعد أن أظهر من هو المخلص، ومن هو المسيء). ثم وصف المزايا السامية والصفات العالية التي جبل عليها الفقيد العظيم، ومن متانة الأخلاق ومحاسنها، وأن البلاد قد فقدت به زعيماً عظيماً، وأن الخسارة لا تخص العراق فحسب، بل الشرق والعالمين الإسلامي والعربي قاطبة.

وفي الختام أوصى الحزب بالتضامن، وبالتجنب من كل ما يؤول إلى الانشقاق. ثم حذر الحزب أن يقع في هوة الانشقاق لئلا يصبح فريسة للغير، وإذا وقع ذلك فسيكون أول المفترسين له، وسلم وخرج.

ثم نهض بعده كل من نائب ديالى عز الدين بك النقيب، وعبدالرزاق بك الأزري، فعددوا أيادي الفقيد العظيم الغرّ، ومساعيه البيضاء في سبيل إعلاء شأن هذه الأمة، ونيل مقاصدها السامية، وانبرى بعد ذلك خطيباً الحاج عبدالمحسن جلبي شلاش، فأبّن الراحل الأعظم بعبارات بليغة، وتكلم معظم نواب الحزب بعبارات كانوا يخرجونها قطعاً من أفئدتهم الكليمة، وقرروا إرسال برقية مفعمة بالشعور السامي إلى أخ الفقيد ونجله، وأن يكتب كتاباً بالمعنى نفسه إلى حرمه المصون.

الحفلة البرلمانية التأبينية الكبرى للفقيد العظيم

١- هيئة المجلس النيابي الحزينة المهيبة:

في هذه الجلسة أيضاً كان القماش الأسود مجللاً منصة مقام الرئاسة ومنضدته، ومقاعد الوزراء ومناضدهم، وقد أخلاها الوزراء، وتفرقوا في صفوف النواب، ولم يبق في المحل الوزاري سوى رسم المغفور له الرئيس العظيم المحبوب عبدالمحسن السعدون، فكان ذياك الرسم الكبير الكريم قائماً في محل صاحبه، ومحتاطاً بإكليل فخم من الزهور النضيرة المختلفة الألوان، وملقياً على أعضاء المجلس تلك النظرات النافذة إلى القلوب تنشئ فيها الهيبة والولاء للمضحي بحياته وبنفسه لإسعاد الوطن المفدى!

وكانت عواطف الحزن العميق والألم الشديد، بارزة من نفوس الجميع، ومتجلية في وجوههم وحركاتهم وسكناتهم.

٢- فتح الجلسة:

فتحت الجلسة النيابية التأبينية في الساعة التاسعة من صباح أمس، وحضرها جميع النواب الحاضرين في بغداد، كما أن شرفات المستمعين كانت غاصة بالناس، وفي مقدمتهم حضرات إخوان الفقيد العظيم، ورأينا كذلك في مقدمة المستمعين سعادة مصطفى مخلوف بك قنصل مصر الشقيقة حاضراً، مشاطراً العراقيين ألمهم الشديد.

وأخذ توفيق السويدي رئيس المجلس يعلن ما ورد على المجلس من الخارج والداخل من برقيات ورسائل التعزية، وذكر أن سعادة قنصل فرنسا زار هو وأركان القنصلية

مقام الرئاسة، وقدم إلى مجلس الأمة تعازيه.

ثم نادى الرئيس أن منهاج الجلسة منحصر في تأبين فقيد الوطن العظيم، وقال: (أن الذين طلبوا الكلام ٢٤ نائباً، فليتكلم رئيس الوزراء).

فتكلم رئيس الوزراء والخطباء الآخرون كما سيأتي بيانه، وعند انتهاء الخطب اقترح سلمان البراك (نائب الحلة) على النواب أن يقدموا التبرعات السخية متسابقين إلى تخليد ذكرى الرئيس الأعظم بنصب تمثال عظيم له، وصاح البراك: (أتبرع أنا بألف ربية، وأرجو إخواني النواب والوزراء والأعيان أن يتسابقوا في التبرع)!

ثم تليت الاقتراحات التي قدمها النواب رؤوف ألوس، خير الدين الدفتري، السيد مهدي، جميل الراوي، وغيرهم، فعرضها الرئيس على المجلس، وهذه خلاصتها:

١- إرسال برقية تعزية إلى علي بك نجل الفقيد، وكتاب تعزية إلى الأسرة السعدونية.

٢- الطلب من الحكومة أن تقدم إلى المجلس الاقتراحات المناسبة لتخليد ذكرى الفقيد، ولمؤاساة عائلته، وإعطائها مخصصات فوق العادة.

فصرح رئيس الوزراء أن رجال الحكومة قد تذاكروا في الموضوع بعد حفلة الدفن، وقرروا لزوم القيام بالواجب بتقديم ما يجب من الخدمات لعائلة الفقيد الجليلة، والصرف اللازم لتخليد الذكرى، ومن جملتها تقديم راتب خاص للعائلة، وتسمية محلة مشروع المنازل باسمه، وغير ذلك، وعندما تألفت الوزارة طلبت من الوزراء إعداد ما يلزم لوضع قانون خاص بهذا كله، فأنا أرحب بهذه الاقتراحات، وأطلب إحالتها إلى الحكومة، فوافق المجلس باتفاق الآراء على هذه الاقتراحات.

٣- ناجي السويدي رئيس الوزراء:

وقف ناجي السويدي، ولا نقول أنه انتصب لأنه نظر إلى رسم المغفور له الرئيس

المحبوب، فانحنى احتراماً وتأثراً، والبكاء يخنق صوته، وظل هكذا وهو يتكلم بصوت منخفض -لشدة التأثر -بحيث إننا لم نقدر أن نضبط عباراته. إنما استطعنا أن نفهم أنه بين ما يشعر به (من ألم وعذاب لوقوفه هناك يرثي أخاه وزميله، ويؤبن ذلك السياسي المحنك الذي شق أخيراً بموته طريقاً للحياة الحقيقية الكاملة).

وتمادى الخطيب يصرح للمجلس: (إن الفقيد العظيم لا يستريح في مضجعه الأبدي إلا إذا رأى زملاءه يسيرون على الخطة التي خطها لهم بدمه الكريم لتحقيق أماني البلاد).

وختم مكرراً وباكياً: (إذا كان السعدون قد مات، فإن مباديه لم تمت، وإن العراق سيبرهن عند تمسكه بتلك المبادئ بأن الحرية والاستقلال والرفاه هي من حقوقه، وأنه يعرف أن يتمتع بها!).

٤- خطبة الهاشمي:

اسمحوا لي يا سادتي أن أنسى في هذه اللحظة موقفي فيما يتعلق بالمسؤولية، وأن أؤبن الراحل العظيم بصفتي معارضاً في هذا المجلس، وأن أتكلم عما كنت أشعر به في مختلف الأوقات، وإن كان الكلام الذي ليس مقرونا بالأعمال لا يفيد، خصوصاً الكلام الذي يصدر بلا تفكير!، وهل من سبيل إلى التفكير في هذه اللحظة التي فيها ننظر إلى رسم الفقيد الكريم. مكللاً بالزهور، وروح الفقيد اللطيفة ترفرف على رؤوسنا؟

أخشى أن تأخذني العاصفة الهائلة التي تقلع الأشجار المورقة التي تسكن فيها الطيور، وتنشئ أوكارها!، لقد قلع الكثير من تلك الأفكار الرديئة المسببة من دعايات مضرة، وظهر للعيان أن القائم على الكرسي ليس خائنا للوطن!

أستميح كل سامع، وأستميح الرقيب الذي يرقب كل حركاتنا، ويرقبنا حتى عندما نشرع في القيام بواجباتنا نحو الراحل الكريم!

لا أدري بأية ناحية من نواحي مزاياه أبدأ، أأبدأ بالناحية الخلقية، أو النفسية، وأنتم كلكم شاهدون ما هو عليه من النبل والكرم.

اكتفي بالإشارة إلى ذلك الأدب الجم، والابتسامة الخلابة التي ما كانت تفارقه. أما تواضعه الخلقي، فقد أثار فيكم وفي خصومه الإعجاب العظيم، فلم يتكلم عن نفسه في حياته. إنما أظهر كل ما في نفسه عند مماته، وسن لكم منهاجاً مستقيماً كتبه بدمه الزكي.

لم يكن الراحل العظيم بالخطيب المفوه والقانوني البارع، ولم ينبغ من شعبة الفن. هذا صحيح، وكم خانه البيان في التعبير عما يريد قوله من الرد على كلام المتكلمين!، كم من مرة اكتفى بالقول البسيط للتعبير عن أوضاع السياسة المعقدة!، ولكنه كان بعيداً في سكوته العميق عن الهفوات، وعادلاً في حكمه على خصومه!

إنه في هذا قد كان وحيداً وعظيماً. أما إذا أردتم إلا النبوغ، فإنه قد نبغ في فن واحد عظيم مهيب، وهو فن التضحية العظيمة بالنفس في سبيل الوطن!

لقد رفع رؤوسكم بهذه التضحية العظيمة رغم الأنوف الشامخة، وخصوصاً الكبير منها!

هل أحدثكم الآن عن حياته السياسية، وكلكم شركاء له فيها، وكلكم شهود عليها؟، وهل هنا متسع من الوقت الثمين لذكر كل ما يجب ذكره في هذا الموضوع؟. أنا لا أرى في هذه الندوة سوى جلال الراحل العظيم الذي اقتطف من بينكم، وهو أسطع زهرة من زهور العراق، وهو الرئيس في كل شيء.

لقد ابتدأ بالصداقة مع البريطانيين ساعياً إلى التفاهم والتآزر من أجل مصالح العراق، وسار في هذا الطريق لأنه رأى البلاد تحتاج إلى ذلك ما دام كيانها مهدداً. ثم أمعن النظر في الأمر، وبالغ في الإمعان حتى ظن صديق له ورفيق في عمله أنه قد أصبح لين القياد لأن يساق إلى مذبح الاستعمار، ولكن خاب ظنه عندما ظهر ما

في قلب الفقيد من صلابة وإباء!، لقد نسي خائب الظن منبت الفقيد، وغاب عنه أن البادية التي أنجبت أجداده لا تثمر إلا النفوس الأبية، ولا تغذي بألبانها إلا الأصول الزكية الوطنية!

أما وقفته الأخيرة في هذا المجلس، فقد كانت عظيمة جداً، وقد أصبحت أعظم عندما أعقبها بتضحيته العظيمة!. كان ناقماً في تضحيته، وصادقاً بكلامه الذي خطه بدمه!

قد أراد البرهان على الاستقلال، فقيل له هذه الجنود البريطانية والطيارات والموظفون يهدونكم إلى الاستقلال!، فقال وهل كل ذلك في هذا استقلال العراق؟، ولماذا أنتم تحرسون البلاد، وإلى متى تطير طياراتكم في أجواء البلاد؟، لماذا لا تتركون هذه كله لنا نقوم به نحن العراقيين؟

شهد الفقيد العظيم الوطن المسمى بالطفل العراقي يتألم من اليد الخشنة الماسكة معصمه، واسمها يد المشورة، وكان الطفل العزيز يحس بوخز الأظافر النافذة في جسمه وقلبه، شهد الفقيد الكريم هذا، وتعذب، وسعى إلى إصلاح حال الطفل. ثم فداه بدمه، مبيناً في وصيته ما دعاه إلى ذلك!

بدأ الراحل العظيم وصيته بالاستغفار من ابنه، وأن نستغفر من روحه كل ما صدر منا من المعارضة والمخالفة، فإننا ما كنا نعارض ونخالف شخصيته، وما كنا نقصد إلا أن نعبر عن آرائنا بالصراحة التي عودنا إياها، كنا نريد مساعدته ليفهم الصديق أماني البلاد.

شكاه، وله ملء الحق أن يشتكي من أنه بلا ظهير، ولكن هل لي أن أصرح بتلك الشكايات على رؤوس الأشهاد؟، ولكن لا بأس من القول. قد قام الراحل العظيم بكل هذه الأعمال، ولم يسمع منا إلا التنديد والتنقيد إنه لم يشكر له عمل!، فإن بكى العراق على هذه التضحية العظمى، فما عليه إلا أن يتذكر المنهاج الذي خطه الفقيد بدمه، والعبارات النارية التي أملاها عليكم في خطبته الأخيرة.

العظام يخلدون بأعمالهم في حياتهم، ولكنكم تعلمون أن الحظ لم يسعد الراحل العظيم أن يقوم بما كان يريده من الأعمال البارزة في حياته، إلا أنه قدم أعظم عمل بارز، وذلك في تضحيته هذه، فعليكم أن تقطعوا عهداً على أنفسكم بأن تسيروا بأمانة وإخلاص على مبادئه، وتحققوا رغائبه، وأسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته.

٥- خطبة السيد عبدالمهدي (من المعارضين):

القارعة هائلة موجعة، فإذا قصر البيان، فلا لوم ولا تثريب. يعز علي أن يكون موقفي هذا بينكم موقفاً أؤبن فيه كرم المحتد، ونبل النفس، ودماثة الأخلاق. هذه المزايا العظيمة التي تجسمت في شخص فقيدنا العظيم عبدالمحسن السعدون.

أيها السادة: إن لساني ليعجز دون الإحاطة بما للفقيد العظيم من الأخلاق الشريفة، والمزايا الجليلة التي أنزلته منزلة التبجيل والتعظيم، فإذا غاب على أحد بعض أدوار حياته، فله من الخاتمة العجيبة ما يعجب به من حياة عربي صميم لا يخضع لضيم، ولا ينقاد لعسف.

نعم، لقد عاش السعدون في كل أدوار حياته حياة عربي صميم يأبى الذل، ويعاف الضيم، وهي التي دعته إلى هذه التضحية العظيمة الفذة في بابها، والواحدة تحت عنوانها. هذه التضحية التي سيذكرها التاريخ بأحرف من نور. هذه التضحية التي يقف عندها أبناء الحاضر والمستقبل خاضعين خاشعين معترفين أن عبدالمحسن السعدون هو رسول الوطنية الصادق.

ناشدتكم الله، هل سمعتم أو قرأتم تضحية كهذه؟، وهل يطالب الفقيد بعد هذا بدليل على قوله: (أنا الفدائي الأشد إخلاصاً لوطنه)؟. كلا كلا!. ثم أن ميراثه الجليل إن استثمرناه أرحنا الفقيد نفسه، وأفدنا البلاد، فلنتخذ من مثال تضحيته مثالاً نسير به إلى المثل الأعلى مبينين بالفعل أن منّا عبدالمحسن السعدون!

وصيته يجب أن تنقش على قلب كل عراقي، ويجب أن تتخذ كمثال قومي لا

نحيد عنه. تلك الوصية التي خطها وعاملان يتنازعان قلبه العزيز: حب البلاد وحب الحياة، فآثر حب البلاد على حب الحياة. مرحى مرحى!

نم هنيئاً يا عبدالمحسن. لقد قتلت نفسك لتحيي أمة، ولكن هل نحن مستيقظون؟

علوٌّ في الحياة وفي الممات لعمري أنت إحدى المعجزات[1]

٦- خطبة عبدالعزيز القصاب:

(كان يبكي بشدة من أول كلمة إلى آخر كلمة).

كنت أول من حضر الفقيد حين مفارقته الحياة، فوجدته في آخر رمق من الحياة، وبعد وصولي إليه ببضع دقائق طارت نفسه الزكية، ويداي مشتبكتان فيه أريد إبقاءه، ولا أقدر!، وكنت أول من تشرف بوصية الفقيد إذ وجدتها مفتوحة، فوق الأوراق الرسمية على منضدته.. تلك الوصية التي تضمنت كل ما يلزم لنا من الحكمة والإرشاد والتوصيات!

لقد اشتغلت مع الفقيد في ثلاث وزارات، فلم أصدف منه تكليفاً يتعلق بشخصه الكريم، وكان حريصاً على منفعة بلاده دائماً. لقد ثبت الفقيد على وعوده التي بيّنها في استقالته، وأن ثباته على هذه الوعود هو الذي ساقه إلى التضحية والسخاءِ بالحياة!

٧- خطبة جميل الراوي:

(صك الاستقلال إنما يكتب بالدماء القانية!)

ونحن أناسٌ لا توسّط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر[2]

---

(١) مطلع قصيدة مشهورة للأنباري في رثاء الوزير ابن بقية. (مشرف الخزانة)

(٢) بيتان معروفان لأبي فراس الحمداني. (مشرف الخزانة)

هكذا يقول لسان حال الفقيد الراحل عندما وجه إلى قلبه الكبير فوهة مسدسه. نعم خطب الرئيس الجليل الحرية الحسناء له ولبلاده، ولما أعياه أمر الوصول إليها رجح أن يودع هذه الحياة الفانية على عيش ممزوج بالآلام الفادحة والأحزان المبرحة. رجح ظلمات القبر مع راحة الضمير على حياة منغصة بالأسف والأسى.

يعز عليّ أن أقف موقف المؤبن لرئيسنا الجليل وزعيمنا النبيل الذي وإن غاب عنا شخصه، فإن مبادئه السامية وأخلاقه الرفيعة لا تغيب عنّا.

عبدالمحسن لم يمت!. نعم لم يمت!، فهو حي بمبادئه الماثلة!. حي بأعماله الخالدة!. حي بوصاياه ونصائحها الباقية!. حي بكل معاني الحياة!. سوى أن شخصه المحبوب قد غاب عن العيون!. وا أسفاه، ولكن هذه الغيبة عن العيون جاءت بعد أن احتل من القلوب أرفع مكان وأعز مرتقى!

ضحى عبدالمحسن بنفسه على عتبة باب الاستقلال والحرية!. لأنه يعلم أن باب الحرية لا يفتح إلا إذا طرق بأيد مضمخة بالدماء، وقلوب مفعمة بالإخلاص والإيمان!

وللحرية الحمراء بابٌ بكل يدٍ مضمّخةٍ يدقُّ

(شوقي)

أراد زعيمنا الراحل بتضحيته الخالدة أن يعلمنا بأن صك الاستقلال إنما يكتب بالدماء القانية، ويفتدى بالنفوس الغالية!، والنفوس الحرة الأبية لا ترى الحياة حياة إلا في ظلال الاستقلال والحرية!

حرّكنا بسكوته!. يقول مؤبن الإسكندر الكبير عندما رآه جثة هامدة: لقد حركتنا بسكوتك، والشعب العراقي أحق بهذه الكلمة أن يقولها على جثمان الراحل الكريم، فإن سكون زعيمه الجليل أحدث فيه رجة عنيفة، وهزة شديدة سوف يكون لها أثرها العظيم ونتائجها الثمينة!

نعم. سكن أبو علي بعد أن حرك الشعب بكلمته الخالدة في هذه القاعة، ووصيته الثمينة عندما وقف على باب التضحية تلك الكلمة التي ستردد صداها الأجيال الآتية ما بقي في هذا الوطن عرق ينبض بالاستقلال، وقلب يخفق بالإيمان!

وقبل أن أختم كلمتي أريد أن أعرض على الزملاء الأجلاء رأياً لا أظن إلا أنهم سيجمعون على تحبيذه، ذلك أن يقوم أعضاء هذا المجلس الموقر بإحضار تمثال عبدالمحسن بك السعدون يمثله وهو جالس على كرسيه هذا، ليكون خير تذكار لنا وللأجيال الآتية عند مناقشة الشؤون العامة في هذه القاعة، وفي ذلك ما فيه من إيقاد نار الحمية في الأفئدة، وتنبيه النفوس، وحثها على انتهاج سبل التضحية في المواقف المهمة والحوادث الملمة.

٨- خطبة خير الدين العمري:

سادتي: عالجت المعاني، فأعيتني الكلمات، فهذه نزوة مما في القلب، ونفثة مما في الصدر أتلوها، وقد خانني الارتجال.

سادتي: أستميحكم العفو لاستهلالي كلمتي بصفتي من أبناء الموصل، فأذكر ما لراحلنا الكريم على تلك الربوع من الأيادي البيض. أياد خطت على قلوبنا نحن أبناء الشمال آيات التمجيد والحمد لا تمحوها الأيام، وقد كان للزعيم الجليل في نجاح قضية الموصل القسط الأوفر، وقد كابد أعظم الشدائد في سبيل المحافظة على تلك البقعة العزيزة من هذا الوطن، فلعبدالمحسن اليوم في كل بيت هناك مناحة ومبكى.

ثم أعود كعراقي يعز عليه علو شأن البلاد، فأقول: إن لمن أصعب الأمور الإعراب عما يحمله العراق أجمع، ترابه وماؤه وسماؤه ومن يعيش على أرضه، من الإجلال نحو هذا العظيم الذي أضحى علماً يستضاء بسناء نوره، وقد قيل وسيقال كل ما يثبت للملأ بأن العراقي يعرف التمجيد لما يجد مستحقه، فعبدالمحسن اليوم أيها السادة وقد دخل في ذمة الله والخلود ممجد من الناس والأرض والسماء، وكفى بذلك درساً بليغاً لمن يريد أن يتذكر.

لم تحتو هذه القبة أيها السادة لابن السعدون إلا تلك الأقوال الهادئة الحكيمة الموصية للأمة بالصبر، الموحية للأفئدة الخالصة بالمرحمة لهذا الوطن المنكود بأبنائه، وتلك الحكمة الهادئة هي التي أذابت ذلك القلب السامي، ودكت ذلك الجبل الراسخ دكاً.

إن الراحل الكريم قد أراد كما يريد العظماء أن يعلي شأن بلاده، فأثبت للعالم بأن العراقي لا يموت إلا حينما يريد الموت، فمات ميتة أحيت الأموات، وبعثت من في قبور الضلال، فنادى بأبناء هذه الأمة، فاستجابوا، وستتجاوب ذلك النداء نواح الشرق سهوله وجباله ووديانه، وسيعلو ذلك الاسم، اسم عبدالمحسن إلى الأوج الأعلى، فيتلألأ في سماء الشرق كوكباً لا يطفي له نور، ولا يستمر له سطوع، فتبزغ في أجوائنا بدوراً وشموساً يفر من سناها لصوص الفضيلة ودعاة البهتان.

ثم ميزة للفقيد أذكرها بعد كل شيء، وهي (العمل الكثير، والقول القليل). هذه أيها السادة أيها الأخوان المجروحين في صدور ضمائرهم هي الخطة المثلى لأبناء هذه البلاد، فاعملوا ولا تقولوا، ومن يموت فليقل لأولاده، ولمن في الصلب، فهذه هي الوطنية الحقة، وطنية عبدالمحسن الخالدة، فاقتفوا أثر هذا العظيم بالشعور الحي، والعقيدة الراسخة، وهناك الفلاح.

ألا رحمة الله عليك يا أبا علي، فقد كنت عظيماً في كل نواحيك، فكن لنا معيناً في استيحاء الحقيقة، وأنت المثل الأعلى المتناهي في العلو، وهكذا هكذا، وإلا فلا لا.

جلسة الأعيان التأبينية

بعض ما دار في مجلس الأعيان من الخطب التأبينية التي ألقيت في الجلسة المنعقدة يوم ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩م، والتي خصصت لذكرى فقيد الأمة والوطن الرئيس الجليل عبدالمحسن بك السعدون.

١- خطبة رئيس مجلس الأعيان:

مما يضاعف أسفي وحزني انعقاد هذه الجلسة لذكرى فقيد الوطن والأمة فخامة عبدالمحسن بك السعدون رئيس الوزراء. ذلك البطل الباسل الذي بذل قصارى جهده في خدمة البلاد والأمة العراقية النجيبة مرخصاً في سبيل إعزازها كل غال وثمين، ومضحياً من أجلها بكل شيء حتى حياته العزيزة ونفسه الشريفة السامية الوثابة، فمضى نقي البُرد طاهر الذيل كريم الأخلاق جميل الذكر طيب المآثر حسن المزايا، مترفعاً عن هذا العالم الموبوء إلى عالم لا يشوبه الكدر، ولا تزعجه الآلام. بعيداً عن الخداع. بعيداً عن المكر. بعيداً عن الكذب. بعيداً عن المراء. بعيداً عن الدسائس. بعيداً عن الاحتيال. بعيداً عن التلون. بعيداً عن الخذلان.

حقاً أقول. أن فخامة عبدالمحسن بك السعدون كان شريفاً في نفسه. ماجداً في بيته. سامياً في شعوره. متيناً في أخلاقه. رفيعاً في آدابه. صلباً في عقائده. جريئاً في إقدامه. نزيهاً في أعماله. مخلصاً في وطنيته، وناهيك عن مزايا أوقفت مثل صاحب الجلالة المعظم تجاهها كئيب المنظر، مسجور القلب، دامع العينين، فعسى أن تكون حياته وسيرته درساً بليغاً لنا، وتضحيته وتفاديه نبراساً نستضيء به في سبيل غايتنا، فجدير بمجلسنا الموقر أن يقف تجاه هذا الخطب الفادح معلناً حداده بالصمت برهة

من الزمن لا تقل عن الخمس دقائق، وبعدها يتكلم من شاء من حضرات الأعيان بما يوحي إليه ضميره الطاهر تجاه هذا البطل المحبوب.

(وهنا أوقفت الجلسة ٥ دقائق، والكل وقوف).

٢- خطبة آصف أفندي قاسم آغا:

سادتي: أولاً أفتتح كلامي بالتضرع إلى المولى جل شأنه أن يديم لنا بقاء سيدنا ومولانا جلالة الملك المفدى، وأن يمتع البلاد بطول حياته.

ثانياً أقول: أني لا أرى حاجة لتعداد وتفصيل مزايا الراحل الجليل فخامة رئيس الوزراء المغفور له عبدالمحسن بك السعدون، وهي أشهر من نار على علم. إن المصيبة قد أدمت القلوب بدرجة يصعب وصفها، ولن يسبق لها مثيل، وإن الحزن الذي عم البلاد من أدناها إلى أقصاها لهو أكبر برهان على عظمة ذلك الشخص الكبير، وما قام به من الخدمات الخالصة النزيهة لهذه البلاد في حياته ومماته، فالذي أراه من أقدس الجوائب على الأمة العراقية النجيبة أن تقدس تلك الروح الطاهرة الأبية، وأن تتخذ ما جاء في وصية الفقيد العظيم من الحكمة البالغة درساً وعبرة لا يقبلان النسيان لنجاحها في مبتغاها، نابذة ومتلافية كل ما يعرقل جهود رجالها العاملين المخلصين، وعلى رأسها جلالة سيدنا الملك المفدى بكل تأمل وتآزر، وأكتفي بهذا سائلاً المولى الرحمة الواسعة لروح الفقيد والسعادة للأمة، وأقترح على المجلس العالي أن يقرر إظهار تأثراته وأسفه بكتاب مخصوص معزياً الأسرة السعدونية المحترمة.

منبر السعدون

ننشر هنا ما فاضت به القلوب الحارة في تأبين الراحل الخطير، وبما أن سيد البلاد صاحب الجلالة أول وأعظم من أبّن الفقيد، فإنا نبدأ هذا الفصل بكلمته العليا التي تفضل بإلقائها في دار الفقيد صباح يوم الفاجعة بعد أن وقف جلالته أمام جثمان الفقيد بخشوع مهيب، وقال: (لقد خسرتك يا عبدالمحسن، وخسرتك البلاد خسارة عظيمة).

ثم تفضل جلالته، وقال: (إني آسف جداً لهذا الخطب الجسيم الذي رزئنا به، ومما يدعو إلى الفخر أن عبدالمحسن بك قد ضحى بحياته في سبيل الواجب والوطن، يجب علينا من جهة أخرى أن نجد سلوى وتعزية في هذا الحادث الذي دل على أن العراق لن يموت لأن تربته تنجب رجلاً عظاماً من أمثال عبدالمحسن بك السعدون. لقد قام عبدالمحسن بك بواجبه، وخدم وطنه خدمة صادقة في الحياة والممات. أسأل الله أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة، وأن يلهمنا جميعاً الصبر والسلوان).

* * *

- كلمة تأبين الأستاذ إبراهيم حلمي التي ارتجلها في دار الفقيد قبل إخراج النعش:

أيها السادة:

لم يبق لي ما أقول بعد أن أبّنك مليك البلاد، وأبّنتك الأمة كلها بسيرها وراء نعشك الطاهر خاشعة لتاريخك وأمجادك محترمة بطولتك ونبلك، فيبكي فيك الأهل

والأصدقاء الأب الرحيم، والوالد الحنون، والسيد الندب، وتبكي فيك الحكومة رئيساً حازماً، وسياسياً بارعاً، وعربياً مخلصاً لم تبخل بدمك وبروحك ساعة تعذر الالتئام، واندمل الجرح، وعز الدواء، وتبكي فيك البلاد ابنها البار، وبطلها المغوار، وخادمها المخلص الأمين.

لقد كنت شريفاً في حياتك نزيهاً في سيرتك. قوياً في عزيمتك. سامياً في سياستك، وها أنت تموت ميتة الشريف الباسل. ها أنت سقراط هذه الأمة وقفت بين أمرين. إما المجازفة بحياتك، وإما المجازفة بكيان الوطن، ففضلت الأولى على الثانية، فضربت مثلاً أعلى في الجرأة والأقدام والبسالة النادرة التي تتراخى أمامها عزائم أشباه الرجال وأنصاف الوطنيين.

يا ابن السعدون وسليل الأكارم وفقيد الأمة والبلاد: إذا أنت توسدت الثرى، ونمت في هذه التربة التي ضحيت في سبيلها ما ضحيت، وقدمت ما قدمت من خدمات جليلة، فقد ضربت للناس عامة، ولأبناء وطنك خاصة كيف يعاف الرجل النبيل مظاهر العز الكاذب والفخفخة الباطلة في هذه الحياة المليئة بالخداع والأباطيل، وكيف اشتريت بدمك الطاهر الشريف المنحدر من أصلاب أجدادك مجداً عزّ على الأكثرين من أبطال الشعوب والأقوام، وكيف هان في عينيك كل ما حباك به التوفيق من إجلال وإكرام لتكون ضحية هذا الوطن التواق إلى أمجاده، النزّاع إلى استقلاله، وهكذا صفعت الخصوم صفعة قوية، وهكذا كنت حازماً في الحياة والممات.

ألا في سبيل الله ما قدمت، وفي ذمة الوطن ما ضحيت، وفي كرامة التاريخ ما قمت به من أعمال خالدة، فلقد كنت مفرجاً للكروب، ومترفعاً عن الدنايا والمطامع، وكنت رجل الدولة للدولة، لا للأشخاص والأفراد، وكنت ممثلاً حقاً لروح فيصل العظيم الذي لا يفرق بين أبنائه، وإنما هو يكلأهم بعنايته ورعايته، وأنت بوصيتك الكريمة الخالدة قد خططت بدمك الشريف ميثاقاً وطنياً سيكون قبلة هذه الأمة، وكتابها المقدس، وأنت لم توص ابنك علياً فقط بالإخلاص للمليك العظيم وسلالته المحبوبة، وإنما أوصيت أبناء العراق أجمع، فأنت أبو العراق، وابنك الأخ الصميم

لشباب العراق الناهض، عمدة النهضة، وكماة الموقف، وحماة الذمار، فنم مستريحاً أيها الرئيس الحبيب، بينما يحيي المعذبون بضمائرهم وخسائسهم، ونم نومة البطل الهادئ، فأنت بذلك خليق وجدير.

إلى روح زعيم الأمة السعدون

القصيدة الغراء الدامية التي ألقاها حضرة الشاعر الكبير محمد مهدي أفندي الجواهري في بيت فقيد البلاد عبدالمحسن بك السعدون، وذلك عصر الجمعة الماضية، وهي القصيدة التي نعتقد أنها كافية لتخليد ذكرى هذا الشاعر القدير، ورفعه إلى مصاف كبار شعراء العالم العربي:

فيم الوجوم؟ وجومكم لا ينفعُ ... نفذ القضاء، وحُمَّ ما لا يدفعُ

فيم الوجوم؟ (أبو عليٍّ) قد مضى ... وقد انقضى الخير الذي يُتوقّع

وقد اختفى رمز البطولة، وانطوت ... تلك المحاسن والشمائل أجمع

***

الشعب محتشدٌ هنا يتسمّع ... ماذا يقول الشاعر المتفجّع؟

احذر لساني أن تكون مقالةً ... ليست تليق به، فإنّك تُقطع

يا سادتي أما اللسان فواهنٌ ... متلجلجٌ، فلتخطبنكم أدمع

يعتاق إبداعي ارتباك عواطفي ... فإذا هدأن عواطفي فسأبدع

وستحمدون قصائداً مهما علتْ ... قدراً، فقدر (أبي عليٍّ) أرفع

***

أُمّوا ضريح (أبي عليٍّ)، واكشفوا ... فيه الرؤوس، وفي الشدائد فافزعوا

وإذا أحلّت بالبلاد مصيبةٌ ... فتوسّلوا بزعيمها، وتضرّعوا

قولوا له يا من لأجل بلاده هدراً مضى: إنّ البلاد تُروّع

هذا الضريح ضريح أمّة يعربٍ فيه خيار خصالها متجمّع

إن كنت لم أسجد، ولم أركع، فما قدري ركعت عليك أو لا أركع؟

فسيركع التاريخ فوقك كلّه وسيركع الوطن الذي بك يمنع

وسيركع الجيل الذي شرّفته وتمرّ أجيالٌ عليك وتركع

ولسوف تركع نخوةٌ، وعروبةٌ وشهامةٌ، وصراحةٌ، وتمنّع

للموت فلسفةٌ وقفتُ إزاءها متخشّعاً، وبرغم أنفي أخشع

أ يموت شهمٌ كل عضوٍ نافعٌ منه، ويبقى خامل لا ينفع؟

ناشدتهم، وقد اعتليت حفيره أ أبو عليٌّ وسط هذا مودع؟

أ هنا ينام فتى يُهاب، ويُرتجى أ هنا يُعاف فتى يضرُّ، وينفع

انهض فُديتَ أبا عليٍّ، وارتجل بين الجموع قد استتمّ المجمع

واسمعْ فُديتَ (أبا عليٍّ) قيلتي أسفاً، وإنّك ميّتٌ لا تسمع

ماذا فعلتَ(أبا عليٍّ) إنها ينبو الأريب بها، ويعيا المصقع

وافت مروّعةً، فهوّن خطبها وأتت أناساً هادئين، فروّعوا

أ علمت إذ أطلقتها (ناريّةً) ما أنت بالوطن المفدّى تصنع

وإذ انتزعتَ (زناده) مستورياً عن أيّ شكلٍ للعربة تنزع

***

يا مدفع الأبطال إنك حاملٌ من كان ينهض حين يعجز مدفع

من خاض أمواج السياسة رافعاً رأساً، وربّ مخاضةٍ لا ترفع

يمشي إليها بالرويّة مدركاً بالشبر ما لا تستطيع الأذرع

يكفيك من أبناء شعبك غيرةً ... حمراء أنْ صنعوا الذي لم يصنعوا
نصفان بغدادٌ، فنصفٌ محشرٌ ... ساحاته اكتضّت، ونصفٌ بلقع
متموجو الأشباح حزناً ما بهِ ... إلّا حشاً دامٍ، ووجهٌ أسفع
مرصودةٌ ستّ الجهات لساعةٍ ... نكراء محسودٌ بها المتطلّع
وتوجّع الملك الهمام، ولم يكن ... إلّا لأعظم حادثٍ يتوجّع
انقضّ فوقك كالعقاب، وإنه ... لسواك عن إلمامةٍ يترفّع
وهفا فؤادٌ كالحديد، وأسبلتْ ... عينٌ تفاخر أنّها لا تدمع
ولقد يعزّ على المليك، وشعبه ... والمشرقين نجيعك المتدفّع
لا يرتضى الوطن الذي فدّيته ... بالنفس أن تدمى لكفّك إصبع

***

هبة العروبة للبلاد.. أهكذا ... مستدمياً متظلّماً تُسترجع
تأريخ شعبٍ سُوّدت صفحاته ... فأتى فبيّضهنَّ هذا المصرع
هذي الرجولة ضُيّعت ممنوحةً ... واليوم يُعرف قدرها إذ ترفع
حصدتْ خصومك حسرةً وخجالةً ... حتى لودّوا أنهم لم يزرعوا
كانت حياتك للبلاد منافعاً ... جلّى، وإنّك في مماتك أنفع
غيّرت راهنة الأمور بطلقةٍ ... مستقبل الأوطان منها يلمع
يُنسى دويّ مدافعٍ وعواصفٍ ... وأزيزها حتى القيامة يُسمع
ووقفت أقطاب السياسة موقفاً ... يرتدُّ حيراناً به المتضلّع
يتساءلون بأيّ عذرٍ نختفي ... عن شعبنا، وبأيّ وجهٍ نطلع؟
واسترجعوا أحكامهم مرفوضةً ... ناسٌ بحكمهمُ عليك تسرّعوا

غـطّـى عـلـى المـتـبرّعـين مـبـجّـلٌ   بحـــيـــاتـــه لـــــبـــــلاده يـــتـــبرّع
قـولـوا لأشـبـاه الـرجـال تـصنّـعاً   إلّا تـكـونـوا مـثـلـه، فـتـقـنّـعـوا
لا تـزعـجـونا بالـتـشـدّق شعبكم   بـسـوى انـتـحـاركـم لـهُ لا يقـنـع
سـلـفـاً يـقـوّم بالـــدم اسـتـقـلالـه   فـــإذا صـدقـتـم بادّعـــاءٍ، فـافـعـلـوا

***

أمـا كـتـابـك فـهـو أفـضـل مـا وعـى   واعٍ، وخـــزي مـعـاشـرٍ إن لم يـعـوا
طـــرسٌ عـلـى الـتـاريـخ يـفـخـر أنّـه   مـن كـلّ مـا يحـوي أجـلُّ وأرفـع
دسـتـور شـعـبٍ لا يُمــسّ، وشـرعـةٌ   هـي فـوق مـا سـنّ الـرجـال وشـرّعـوا
هــذي الـوصـيّـة ذخـره إن أعـوزت   طـــيّـــارةٌ، وبـــنــــادقٌ، ومــــدرّع
مـشـت الأنـامـــل هــــادئـاتٍ فـوقـهـا   والمـــوت يمـشـي بـيـنـهـنَّ ويـسـرع
قـرّعـت شـعـبك أن يـعـقّـك، مـرحـباً   بأبي الـبـلاد عـلـى الـعـقـوق يـقـرّع
وشـكـوتـه أن لـيـس يـسـمـع ناصـحـاً   نم هــــادئاً إنّ الـبـلاد سـتـسـمـع

محمد مهدي الجواهري

يا أيها النواب

القصيدة التأبينية المبكية التي نظمها حضرة الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري لتأبين فقيد البلاد العظيم بمناسبة الجلسة التأبينية التي عقدها مجلس النواب في صبيحة أمس:

يبكي عليك، وكلّه أوصابُ ... شعبٌ يمثّل حزنه النوّابُ
غطّت على سود الليالي ليلةٌ ... وعلى المصائب كلّهنّ مصاب
المجلس المفجوع ودّع أهله ... وبكتك أروقةٌ له وقباب
قد جلّلته وجللتهم رهبةٌ ... فهل البلاد يسودها إرهاب
كادت تحنّ لفقد وجهك ساحةٌ ... فيه، ويسأل عن دخولك باب
عبءٌ على الأوطان ذكرى ليلةٍ ... عن مثل مصرع مُحسنٍ تنجاب
عن مصرعٍ في المجلسين لأجله ... وهما البلاد بأسرها إضراب
بالدمع يسأل عن غيابك سائلٌ ... في المجلسين، وبالدموع يجاب
هذي الثمانون التي هي جلّ ما ... ارتضت البلاد، وضمّت الأحزاب
متجلببون سكينةً وكآبةً ... ومن السواد عليهمُ جلباب
متشنّجون يخالهم من راءهم ... للحزن أنّهمُ عليه غضاب
ناجي لسان النثر قم واخطب بهمْ ... وأعن لسان الشعر يا ميرابو
هدّئ بنطقك روعهم قد أوشكت ... للحزن أن تتشنج الأعصاب

ولقد أقول لرافعين أصابعاً ... ليست تحسّ كأنّها أحطاب
رهن الإشارة تختفي أو تعتلي ... وينال منها السلب والإيجاب
ماذا نويتم سادتي: هل أنتمُ ... بعد الرئيس كعهده أخشاب
هل تنهضون إذا استثيرت نخوةٌ ... أو تجمدون كأنّكم أنصاب
هل أنتمُ إن جدّ أمرٌ ينبغي ... توحيد شملكم به أحزاب

***

يا أيها النواب حسبكمُ علاً ... قولي لكم يا أيها النواب
روح الرئيس ترفّ فوق رؤوسكم ... ارعوا لها ما تقتضي الآداب
سترى حضوراً غائبين بفكرهم ... سترى الذين بلا اعتذار غابوا
سترى الذين له أساؤوا تهمةً ... وإلى البلاد جميعها هل تابوا
سيقول إن خبثت نوايا منكمُ ... اخشوا رفاقي أن يحلّ عذاب
لتكن محاكمة الخصوم بريئةً ... في قاعكم، وليحسن استجواب
تأبى المروءة أن يقدّس خائنٌ ... أو أن يطول على البريء حساب
من أجل أن ترعوا مبادئ محسنٍ ... لتكن أمامكمُ له أثواب
متضرّجاتٌ بالدماء زكيّةٌ ... فيهنَّ للجرح البليغ خطاب
فيهنّ من تلك الرصاصة فتحةٌ ... هي للتفادي إن وعيتم باب
ليكن أمامكمُ كتابٌ صارخٌ ... فيه ثوابٌ يُرتجى وعقاب
فيه الوصيّة سوف تحنو رأسها ... عجباً بها الأجيال والأحقاب

***

أوحـــى الـزعـيـم إلى الجـزيـرة كلّها   أن لـيـس يـــدرك بالـكـلام طـلاب
يا هـــذه الأمـــم الـضـعـاف تـــروّياً   لا تنهـضـي صـعـداً، وأنـــتِ زغـاب
لا تـقـطـعـي سـبـبـاً، ولا تـتـهـوري   نــزقــاً إذا لم تـكـمـل الأسـبـاب
لا تــدن مــن ظـفـر الـقـويّ، ونابـه   إن لم يـكـن ظـفـرٌ لـديـك وناب
وإذا عتبت عـلى الـقـويّ، فـلا يكن   إلّا بأطـــــراف الحـــــراب عـتـاب
فـــإذا تـركـتِ لـه الخـيـــار، فإنه   أشـهـى إلـيـه أن يـكـون خـراب

***

هــذا الـقـصـيـد (أبا عــلــيٍّ) كـلّه   حــــزنٌ، وكــــلّ سـطـوره أوصـــاب
ثــق أنّ أبـيــاتي لـســان عـواطـفـي   ثــق أنّ قـلـبي بـيـنـهـنّ مــذاب
الحــــزن يمـلـؤهـا أســـىً، ومـهـابـةً   ويمـــدّهـــا بالــــروح مـنـه شـبـاب
مـنـسـابـةً لـطـفـاً، وبــين سطورها   حـــزناً عـلـيـك مـدامـعـي تنساب
مـــاذا عـسـى تـقـوى عـلـى تمثيله   بمـصـابـك الـشـعـراء والـكـتّـاب
ضمّوا القلوب إلى القلوب دوامياً   ستكون أحسن مـا يـكـون كتاب

محمد مهدي الجواهري

المرثية الكبرى للفقيد الأكبر

القصيدة الخالدة المخلدة لذكرى ضحية الوطن فخامة عبدالمحسن بك آل السعدون للأستاذ محمود الملاح:

فوادحُ خطبٍ سيلها متتابعُ وأحداث دهرٍ كلّهنّ فواجعُ
إذا قلتُ ثاني الحادثات قد انقضى جرى ثالثٌ في إثره ثمّ رابع
فتلك فلسطينٌ تفيض جروحها ومن سوريا دامٍ يسيل ودامع
ومصرَ على جمر المطال كأنّها من اليأس بحرٌ موجه متدافع
على الشرق فتقٌ في السويس بليّةٌ فهل ثمّ كيما يخلص الشرق راقع؟
وفي المغرب الأقصى تئنّ عروبةٌ لأنبائها تستكّ منّا المسامع
وفي الشرق ضجّاتٌ كضجّات مغربٍ كما ضاعفت نسخ الكتاب الطوابع
كأنّ ربوع الشرق في زفراتها براكين زادت شرّهنّ الزوابع
سينتبه النوّام من غفلاتهم قياماً، فلا يبقى على الأرض هاجع

***

وفي (الرافدين) اليوم أعظم نكبةٍ لوقعتها ثارت لعمري الزعازع
لقد طبق الأرض الحداد، فصبحها كجنح الدياجي فارقتها الطوالع
هنالك حزنٌ للهضاب مجلّلٌ سواداً، وحزنٌ جلّلته الأضالع
تتخالف الأحوال في درجاتها كذا اختلفت أحوالهنّ المصارع

فثمّة شهمٍ حتفه في يمينه ... وثمّة قدمٍ للحتوف يصانع
وثمّ فريقٍ للزمان مسالمٌ ... وثمّ فريقٍ للزمان مقارع

***

فقدنا بعبدالمحسن الشرف الذي ... لسائر أنواع المكارم جامع
وما كان عبداً للمحاسن إنّما ... له كامل الإحسان كالعبد تابع
إذا التمس الأقوام مجداً مخلّداً ... فذلك مجدٌ بين برديه قابع
غذته السجايا الصالحات بثديها ... فما مثله يُلفى لدى الناس راضع
تأثّر أشياخاً لدن كان يافعاً ... فأصبح شيخٌ يقتفيه، ويافع
أراد أناسٌ أن يجاروه في العلا ... وكيف تجاري الجون صفراء فاقع[1]
ضحيّة قومٍ ما دروا كنه فضله ... ولا عرفوا سرّ الذي هو شائع
وربّ كريمٍ ضاع بين معاشرٍ ... كعقدٍ نفيسٍ، فهو في الفحم ضائع
كعثمان في الأشرار راح مجندلاً ... ولم يرض أن يحمي الحشاشة دارع
فوالله ما خان البلاد سوى امرؤٍ ... به سعةٌ في شدقه، فهو بالع

***

سليل العلا هلّا التمست ذريعةً ... سوى الموت إذ سدّت عليك الذرائع
وأنّى لجفنٌ منك غضّ على القذى ... غداة هوت فوق الرؤوس المقامع؟
وقال لشريانٍ يجول به الإبا ... لي الذمّ أن يمنعك منّي مانع
أيجري دم الأمجاد فيك، وأمّتي ... لقد قُصمت منها الظهور الفظائع؟
رأيت اعوجاجاً ظاهراً، وتلوّناً ... فلا عضد لي يوم الكفاح يُشايع

(١) الجون: الفرس الأدهم. (المؤلف).

فـقـدتُ مـطيعـاً بينـهـم لنصائحي ولم يـبـق لي إلّا المــســدّس طـائـع

فـخـذ طـلـقـةً مـنـهُ أقـيـك بهـا الـردى فـإنّ الـردى عيـش الـفتى، وهـو ضـارع

زرعـــــتُ لآمـــــال الـــعـــراق نـــواتهـا إذا أحـسـنـوا اسـتـغـلال مـا أنا زارع

فليسـت نـواة المجـد إلّا (رصـاصـةٌ) يمـنّ بهـا يـومـاً عـلى الـقـلـب صـادع

***

حـليمٌ تأنّ في الحـيـاة، وفي الـردى تأنّ عــلــى أنّ الــنــفــوس جـــوازع

فــخــطّ كــتــابــاً بالـــــيراع، ودونـــه يـــــراعٌ لأبـــــواب المــنــيّــة قـــارع

يـــــراعٌ بــه خــطّ الــوصــاة لأهـلـه وآخـــر خـــطّ المجـــد، وهـــو مـسـارع

فتـلـك حـــروفٌ في الـطـروس كئيبةٌ وذاك وســـامٌ في الـــتراب لسـاطـع

فيـا لــك (طـغـرا) نُمّـقـت بمـسـدّسٍ غــدت في جـبـاه الـعـرب مـنـه لـوامـع

أســـال دمـــاً فـــوق الـترائــب قـانـيـاً ولــكــن بــدت مــنــهُ صـفـاح نـصـائـع

كـميتٌ جـرى مـن صـدره، فجـرى به كـميتٌ إلى صـدر الـفـخـار يـسـارع[1]

لـقـد طـــوّع الـعـليـا نجيـع انـتـحـاره كـمـا طـوّقـت أجـيـادهــنّ الـسـواجـع

***

فـمـن ينتـحـل مـن بـعـد ذا وطـنـيّـةً ولا ينـتـحـر، فـهـو الـكـذوب المخـادع

ولـيـس مـرامـي أن تـضـحّـي خـلائـقٌ ولـكـن مـرامـي أن تـضـحّـى المنـافـع

قـيـاسٌ صـحـيـحٌ لا يـنـافـيـه منطقٌ وإن خـالـفـتـني في الـقـيـاس مـنـازع

فـمـا دنّـس الأقــــوام، وهـــي بـريئـةٌ سـوى أنـفـسٍ قـد دنّـسـتـهـا المطامـع

هـم اتّخــذوا دعـوى الـبـلاد بضـاعـةً فـبـارت لـسـوء الـقـصـد منـهـم بضـائـع

(١) الكميت الأول الدم، والثاني الفرس. (المؤلف).

لعمرك ما ضعف الجسوم بلاؤنا ولكنّما أخلاقهم والطبائع

***

تأثّل ملكاً فوقها كلّ ناكثٍ وصار له فيها قرىً ومزارع

وأثرى بأموال البلاد أجانبٌ ومات مديناً ربّهنّ المدافع

ولا يحمل النفس الكريمة في الورى أخو بطنةٍ منه الكروش جوائع

يرى المجد كلّ المجد في حشو بطنه وإن أضحت الأوطان وهي بلاقع

فلا دين صدقٍ وزاعٌ لخلاقه ولا شرف عن غيّه هو رادع

ألا أنّ زنداً من حلى الخير عاطلاً لتفضله عند القياس الأكارع

***

دوى الجوّ لما زايل النعش داره وغصّت بأعناق الرجال الشوارع

ينوء به في الحمل كاهل مدفعٍ كما لو تولّت حمل ليثٍ أصابع

على أسل الأجفان فليحمل الورى جنازة (قرمٍ) غسّلته المدامع

بأية عينٍ رحت تبكي غضنفراً كنائسها يبكينه والجوامع

فما خصّ أرضاً دون أرضٍ بعطفه كما لم تخصّصها الغيوث الهوامع

غدا البرق مشغولاً بنعي مهذّبٍ وبردٍ على آثاره ومطابع

مجامع يوم الارتحال تقوّضت وقامت على أنقاضهنّ مجامع

كذا الشمس لو مالت عن المركز الذي تدور به اختلّت هناك المطالع

دوت طلقةٌ ليلاً بآفاق دجلةٍ فيا (مكدونلد) هل لها أنت سامع؟

تململ منها راكدٌ وتحرّكت شجونٌ وهاجت بالنيام المضاجع

وطـلـقـة نارٍ في مخـــارم عـاشـقٍ ... سيلقى صداها شـاسـعٌ ثمّ شاسع

رأيـت رخيصاً كل ما الـعرْب قدّموا ... وهــذا دمٌ غــالٍ فـهـل أنـت قـانـع؟

تصاممت كالأسلاف عن صوت أمّةٍ ... إلى أن دوت في الخـافـقـين المرابـع

تـوارثـتـمـوهـا كــابــراً بـعـد كـابـرٍ ... خــلائـق يُخـطـي مـن يـقـول بـدائـع

***

عـلـى صـفـحـات الـرافـديـن شـهـادةٌ ... مــســطّــرةٌ لـــولا المـــيــاه مــوائـع

سـتـحـفـظـهـا في صـدرهـا قـطـراتها ... وتحـيـا بمـــزنٍ حمّـلـتـهـا مــراتـع

ويــروى بها زرعٌ وضــرعٌ وضـمـن ذا ... ســيروى بها جـيـلٌ مـع الـــزرع يانـع

إذا هـطـلـتْ فـوق الـشـوامـخ طأطأتْ ... ذراهــا كـمـا صـلّـى إلى الحـق خـاشـع

***

شــرائـع دهـــرٍ لا يحــول قـضـاؤهـا ... ولـلــدهـر بــين الـعــالمـين شــرائـع

فـأمـا قــويٌّ نافـذ الحـكـم في الـدّنا ... وأمــا ضـعـيـفٌ فـهـو لـلـحـكـم خاضـع

فيا شعب قحطان احتمل كلّ جفوةٍ ... إلى أن تمـاشـي جـانـبـيـك المـدافـع

وحـــتّى تـرى في سـاحـتـيـك فـيـالـقٌ ... يـنـادون لا اسـتـقـلال إلّا المعـامـع

فـمـولـود الاسـتـقـلال مـا حمـلـتْ بـه ... إناثٌ، ولــكــن حمّـلـتـه المـعـامـع

قـوابـلـه أيـــدي الـكـمـاة، وحـزمـهـم ... حـضـانـتـه، والمــرهــفــات المـراضـع

***

تـسـلّـل شـعـري في رثاء مـكّـرمٍ ... وفـاضــت بـه بـعـد الجـمـود منـابـع

عيون الـقـوافي ساعدتنا على البكا ... غــداة شـكـت منّـا الـعـيـون الـدوامـع

إذا رفـع الإنـسـان قـدر بـلاده فـكـلٌّ لـه بالـقـول والـفـعـل رافـع
وإن وضـع الإنـسـان قـدر بـلاده فـكـلٌّ لـه بالـقـول والـفـعـل واضـع

***

إلـيـك حـفـير الـترب جثـمـان مـاجـدٍ رجـعـنـا بـه، والـكـلّ لـلـترب راجـع
وديـعـة قـومٍ لا تُـردّ لأهـلـهـا إذا أدّيـت يـوم الـوفـاء الـودائـع
ومـا آل سـعـدونٍ مـصـابـون وحـدهـم ولـكـنّـهـم في ذا المـصـاب طـلائـع
ولـولا افـتـئـاتٍ واهـتـضـام لحقّـهـم لـقـلـت لهـم أنـتـم بهـذا تـوابـع
فـلـيـس عـلـيـكـم كـارث الأمـر واقـعـاً ولـكـن عـلـى أهـل الـعـراقـين واقـع
أقـيـمـوا لـه نـصـبـاً بـذروة حـالـقٍ وصـوغـوا روايـاتٍ عـلـيـه وطـالـعـوا
فـمـا عـطّـر الأرجـاء مـثـل شـذا فـتيً تـبـرّع بالـغـالي، ومـا ثمّ بـائـع

محمود الملاح

ميتة البطل الأكبر

القصيدة الرائعة التي تلاها الأستاذ الرصافي مساء أمس في دار الفقيد:

هكذا يدرك في الدنيا الكمال ... هكذا في موتها تحيا الرجال

هكذا يشرف موت المبتغي ... شرفاً ليس إذا ريم ينال

من كعبدالمحسن الشهم الذي ... حقّه بالموت عزّ وجلال

ما بعبدالمحسن السعدون إذ ... رام قتل النفس مسّ وخبال

بل رأى أوطانه يرهقها ... من بني الغرب انتداب واحتلال

فانتضى الهمّة كي ينقذها ... كانتضاء السيف ما فيه كلال

مارس الأحوال حتى إنه ... شاب في إصلاحها منه القذال

أعمل الرأي وقد جادله ... فيه بعض القوم واشتدّ الجدال

خذلوه فاغتدت آراؤه ... كسهامٍ كسرت منها النصال

كم غدا ينصحهم حتى إذا ... راء أن الداء في القوم عضال

ورأى أن الذي يرجوه من ... طلب استقلالهم شيءٌ محال

جاد للأوطان منه بدم ... لسوى أوطانه ليس يُسال

والفتى الحرّ له في موته ... سعةٌ إن ضاق بالنفس المجال

إنه لما أرادت نفسه ... ميتةً حمراء ما فيها اعتلال

ميتة الأبطال فيها شممٌ ... طأطأت من دونه الشمّ الجبال

نال بالموت حياة ما لها أبد الدهر فناءٌ وزوال

هو حيٌّ أبد الدهر فما ضرّة من هذه الدنيا انتقال

إن يكن قد زايل القوم فما لمساعيه عن القوم زيال

أو يكن عن أعين القوم اختفى فله في أنفس القوم خيال

وإذا التأريخ أجرى ذكره أخذ التأريخ بالفجر اختيال

فاندبوا يا قوم منه بطلاً هو للأبطال حسنٌ وجمال

واقتفوا منه نصيحاً مخلصاً هو للإخلاص في الدنيا مثال

وأقيموا عالياً تمثاله فهو للأوطان عزٌّ وجلال

واقصدوا مرقده حجاً فلا غرواً وإن شدّت لمثواه الرحال

واتركوا الغرب وأهليه ولا تسمعوا منهم إلى ما قد يقال

وعلى أنفسكم فاتّكلوا خاب من فيه على الغير اتّكال

فالمواعيد التي قد وعدوا كلها منهم خداعٌ واحتيال

كلما قال لنا ساستهم نقضت أقوالهم منهم فعال

هكذا كونوا وإلا فاعلموا أنما استقلالكم شيء محال

معروف الرصافي

كتبت لنا قبل الممات وصية

القصيدة المؤثرة التي ألقاها حضرة الأستاذ الخطيب الشاعر الشيخ محمد علي الشيخ يعقوب في فاتحة فقيد الوطن في الجامع الهندي، عصر يوم الجمعة. في النجف الأشرف:

أبيت سوى الإحسان حيّاً وميّتا ... فإنك في الحالين للشعب محسنُ
قضيت عزيز النفس لم ترض أن ترى ... بلادك يوماً للمذلة تذعن
تجلّت نواياك الحسان إلى الورى ... فلا يستطيع الطعن من رام يطعن
وكانوا على شكٍّ بأنك صادق ... فلما فديت الشعب بالنفس أيقنوا
وعرّفتهم أن المبادي صحيحة ... فماذا يقول الخائن المتلوّن
ولما رأيت الاستقالة لم تكن ... تقيل عثاراً والعدوّ مهيمن
تكهنت في العقبى وسوء مصيرها ... وقد يدرك الغايات من يتكهّن
فضحّيت دون الشعب نفساً ثمينةً ... لعلمك أن الشعب أغلى وأثمن
رعى الله من يرعى البلاد وأهلها ... على مضضٍ فيما يسرّ ويعلن
تعاظمتَ في كل النفوس مهابةً ... فكلّ مصابٍ بعد يومك هيّن
بكته شعوب العرب غرباً ومشرقاً ... وماجت له من دهشة الخطب لندن
فلم يلق ما ألقيت سعد بمصره ... ولا أيقظ الأجيال مثلك ولسن
كتبتَ لنا قبل الممات وصيةً ... ستكتب في أحشائنا وتدوّن

صدعت بها في البرلمان مصرّحاً لو أن الأولي في البرلمان تفطّنوا

فيا ضاعناً عنّا ولكنّ ذكره إلى الحشر باقٍ بيننا ليس يضعن

إذا الوطن المحبوب كنت فداءه فأيّ فؤادٍ ما به لك موطن

وما هي إلا صيحة الحقّ قد علت ليسمع هذا العالم المتمدّن

وما دفنوا في الترب شخصك وحده ولكنّها آمال قومٍ ستدفن

إذا سطر التاريخ ذكر ابن حرّةٍ فباسمك ذاك الذكر سوف يعنون

الحفلة الكبرى على ضريح الفقيد العظيم باسم الموصل

عندما حانت الساعة الرابعة بعد ظهر أمس تقاطر الموصليون من أعيان ونواب وموظفين ومعلمين وضباط، وكل من كان في بغداد من الموصليين، وحضر عن عائلة الفقيد توفيق السعدون، وغيره من أعضاء الأسرة الكريمة، وحضر فخامة رئيس الوزراء، وفخامة رئيس مجلس النواب، وسماحة نقيب الأشراف، والوزراء، والنواب على اختلاف مناطقهم، والمحامون، وقسم عظيم من الذوات، وازدحم جم لا يقل عن خمسة آلاف نفس.

وفي الساعة الرابعة والربع أقبل الجمع، وفي مقدمتهم رئيس الوزراء، ورئيس المجلس النيابي، والوزراء، والعين آصف أفندي آل آغا، ونواب الموصل، والمحامون، وافتتحت الحفلة بآي من القرآن المجيد تلاه الرئيس سعيد يحيى الموصلي بصوته الشجي، وبعد تلاوة الفاتحة تقدم ممثل بلدية الموصل حضرة صالح جلبي حديد، وبعد أن فاه بالكلمات الآتية وضع الإكليل البديع على ضريح الفقيد الجليل: (لي الشرف أن أكون وسيطاً لتقديم هذا الإكليل باسم مدينة الموصل إلى ضريح الفقيد العظيم فقيد الأمة والوطن عبدالمحسن بك السعدون رمز الإخلاص لما قام به من جلائل الأعمال لإسعاد البلاد، حتى بتضحية حياته المقدسة، والذي له اليد العليا في القضية الموصلية، واختتم كلامه تالياً الفاتحة الشريفة على روحه الطيبة).

ثم تلا العين آصف أفندي، وفاه بالخطبة الآتية بمزيد الخشوع والألم، فأبكى الحاضرين.

سادتي: ليس بالهين توفية الموضوع حقه في هذا الموقف المهيب، والقلوب جازعة، والأعصاب مرتجفة حزناً وكمداً على مصرع الرئيس العظيم، ومصابه الجسيم، فأول كلمة أقولها: ما أسعدك أيتها التربة المباركة، وقد أحرزت شرفاً باذخاً في ذمة التاريخ باحتفاظك في الصميم بفقيد الأمة العراقية المودع إلى رحمة الله ورضوانه.

ألا فدعني أوجه الخطاب إليك أيها الزعيم العظيم، يا عبدالمحسن السعدون. واحد الأمة، ومنتهى آمالها. يا من تبوأت بحميد فعالك، وفريد خصالك أرفع منزلة وأجل مكانة في قلوب الشعب العراقي النجيب، مجاهداً الجهاد الحسن بإخلاص وشهامة في كل مراحل حياتك، نابذاً حب المظاهر الجوفاء والأمجاد الزائلة، وجعلت مماتك الذي ارتج له الكون أعظم برهان على ما قمت به من كبير الأعمال وروح التضحية في سبيل حرية الوطن وإسعاد الأمة، فنسجل بمداد دمك الطاهر على صفحات قلوب الأمة ديناً وواجباً على ممر الأجيال والأزمان.

فقل لي بحقنا عليك يا أبا علي، أي مكرمة لك ننسى؟. أتواضعك الذي توج هامتك الشريف بأكاليل العز والمهابة والوقار، أم ما فطرت عليه من ضروب الفضائل وحلو الشمائل. أم رأفتك وحنانك على المجتمع بطبقاته في السراء والضراء حتى على من تعمد الإساءة إليك.

فيا لك من رجل عظيم أجاد وأبدع في رسم مناهجه التي ينظر إليها الملأ كميثاق قومي واجب الاتباع والاحترام.

أما نحن الموصليون، فهيهات ننسى مواقفك الشريفة التي وقفتها مناضلاً عن القضية الموصلية بمضاء وعزيمة وحنكة، ما جعل غير المستطاع مستطاعاً، فسجلناها لك في أعماق قلوبنا بمعروف، وشكر يدوم ولا ينتهي.

وها نحن الآن مع كثير من إخوانك المخلصين، محيطون بضريحك، عنوان المجد والوقار، وقلوبنا تضطرب جزعاً وكآبة، وعيوننا تذرف عبرات الأسى على فقدك الأليم ساعة وضعنا هذا الإكليل على ثراك العاطر باسم الموصل الآسفة وعامة أهلها بشعور

الإجلال والتعظيم كبرهان ناصع يرمز إلى تلك الروابط المبرورة التي تصلنا وإياك حياً وميتاً على ممر الأزمنة، وكدليل ناطق على أنا لا نبرح متمسكين بمبادئك الشريفة، ومواظبين على كل عمل صالح من شأنه أن يبهج روحك الطاهرة، وأنت تنظر إلينا من عليين بارتياح وحنان في وسط جنان النعيم، فسلام على قبرك أيها الراحل العظيم.

ثم تقدم المحامي نوري العمري، ووضع إكليلاً لطيفاً باسم محاميّ الموصل ملقياً الكلمات الآتية بلهجة مؤثرة:

يعز عليّ أيها السادة أن أقف هذا الموقف المحزن المهيب وسط هذا الاجتماع الهائل الذي ضم نخبة صالحة من أرباب الحل والعقد، ومنوري البلاد لوضع إكليل باسم محامي الموصل على ضريح الرئيس الجليل فقيد الوطن، ممجداً فيه التضحية العظيمة التي أثارت اللواعج، وأسكبت العبرات.

إذا ما وقفنا على قبرك أيها الراحل العظيم خاشعين، والزفرات تتصاعد من أعماق أفئدتنا، وإذا ما بكتك البلاد بأسرها، وبكاك القوم على اختلاف نزعاتهم، وتباين مناهجهم، وشيعك عشرات الألوف بمزيد الحزن والأسى، فذلك لأن القوم أجمعوا على تقديسك وتعظيمك، مقدرين فيك الشرف وعزة النفس والإباء العربي الذي فطرت عليه، فعشت شريفاً بمبدئك في حياتك، وشريفاً بريئاً في موتك.

أيها السادة: لم يأل الفقيد العظيم جهداً في مسعاه، فقد كان رحمه الله مثالاً للجد والإخلاص، فإذا ما اهتز العراق بأرجائه متألماً من نكبته به، فذلك لأنه فقد دماغاً مفكراً، وزعيماً مخلصاً، وخادماً أميناً لبلاده.

وإذا ما شاركتنا البلاد العربية في نكبتنا هذه، فذلك لأنها وجدت ركن البلاد الرئيس الجليل يعمل لمجد الوطن، وبناء عظمته.

فلئن غبت يا ابن السعدون عن أعيننا، فلن تغيب ذكراك عن أذهاننا، فإن روحك الطاهرة ستبقى خالدة أبداً مدى الأيام والأجيال. نعم وستبقى خالداً بمبادئك

الشريفة القويمة الثابتة، والتي فضلت أن تجود بروحك دونها، فعلمت القوم كيف يجب أن تحافظ المبادئ السامية، وكيف يموت الأبي الشريف في سبيل تحقيقها، فكنت المثل الأعلى في التضحية.

فسلام عليك، وعلى مبادئك الشريفة التي لا حياة للبلاد بدونها، تلك التي انبثق نورها، فأنار السبل، فكانت نبراساً يهتدي بها القوم من بعدك، وسلام على روحك الطاهرة، وسلام عليك يوم تبعث حياً.

أيها السادة: إن روح الفقيد العظيم تناجيكم قائلة: (اعملوا فسيرى الله عملكم).

وتلاه شريف الفضلي، وألقى خطبة كتبها ليلة وفاة الفقيد الجليل، وتلاه تلميذ من دار المعلمين العليا، وأحمد أفندي الحلي، ووضع المصور عبدالكريم أفندي الذي كان مصوراً للفقيد إكليلاً من الورد على الضريح.

ثم تقدم خير الدين العمري نائب الموصل، وشكر الحاضرين باسم الموصل لحضورهم، ودعاهم في الختام لاستماع الآي المجيدة، فتلى المومى إليه الرئيس سعيد يحيى الموصلي شيئاً من (القرآن الكريم)، وأهداه إلى روح الفقيد الجليل، وانفضت الحفلة التي جاءت آية بالكمال والمهابة.

دمعة سوري على الفقيد العظيم

أيا عبدالمحسن: بكيتك، ولم أعرفك في حياتك، ولكن مماتك عرّف العالم فيك، وكان مماتك صفحة لامعة سطرت فيها تلك الحياة المجيدة، فبكيتك كما بكاك العالم.

هي دمعة ذرفتها على الإخلاص والشهامة وحب الوطن. دمعة على التضحية العليا، وفي تلك الدمعة عانقت سوريا المتألمة شقيقها العراق المكلوم.

إيه أيها الراحل العظيم. ما الذي كان ينقصك في الحياة حتى مللتها؟. أهو العز والجاه، وكانا موفرين لديك. أم الألقاب والرتب، وكانت مبذولة لك. أم الرئاسة والزعامة، وكانتا في يديك. أم الشرف والغنى، وكرم المحتد المعروف عنك أباً عن جد. لم عافت نفسك هذا المجد، وسئمت وأنت الموصوف بسعة الصدر وطول البال!

وما هي إلا طلقة حتى فتحت صدرك لشعبك وللعالم ليقرأ فيه مسطرة بأحرف من دم تلك الكلمات النارية:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم[1]

ومن بين دوي الرصاص القاتل، وحشرجة النفس المتألمة، وتدفق الدم الغزير من جنبك أسمعك تهمس: كان ينقصني هذه التضحية السامية.

طلقة أصابت فؤاد كل عراقي، لا بل كل عربي. طلقة أودت بجسدك، ولكنها أحيت نفسك وشعبك إلى الأبد.

---

(١) بيت مشهور للمتنبي. (مشرف الخزانة)

ألا ترى هذا الشعب كيف سرت حماستك الوطنية إلى عروقه. ألا تراه كيف قام يفديك وينشد بوطنيتك وافتدائك المقدس. ألا تراه كيف وقف فوق جثمانك، والتف حول نعشك يقسم باتباع المثل الأعلى الذي أردت أن تلقيه عليه. ألا تسمعه يردد بين الزفرات والشهقات: (إذا مات منا سيد.. قام سيد).

إن عراقك لحي يا أبا العراق، فلا تقلق، وإن أفئدته متفقة على الغاية السامية التي كنت تنشدها، فلا تيأس، وإن غصن الاستقلال الذي رويته من دمك الحار قد أخذ يخضر، ويرتفع فلا تجزع.

ألا نم مستريحاً مطمئناً، فإن وصيتك الخالدة ستبقى محفوظة في صدر أمتك.

وأنت أيها الشعب الكريم لا تنس، وعسى أن يكون لك في هذه الدمعة بعض العزاء.

ورحمات الله عليك يا عبدالمحسن!

- الدكتور رياض مخملجي

***

أثبت كلمة هذا الفاضل السوري تقديراً لهذه العارفة، وما فيها من عاطفة جليلة وشعور سام، واستنسب هنا أن أوجه نفثة إلى الأهل الخلص. إلى من يجمعنا وإياهم الجرح. إلى شقيقي العراق: سوريا ومصر، كلمة بغداد إلى دمشق وإلى القاهرة. أن العراق لا زال يشارك القطرين العزيزين في الدمعة والابتسامة، ولا زالت المظاهرات تتلاحق في بغداد لكل أمر ذي بال يكون في سوريا أو مصر.

قام العراق بعرضه وبطوله مسانداً ومشاطراً لسوريا في ثورتها الحمراء، فكانت بغداد أحر وأحمى من بيروت لحوادث دمشق، وكانت فلسطين في بغداد لواقعة فلسطين، وكانت الصحف العراقية جارية الأنهار مشحونة الأعمدة بالعناوين الكبيرة

البارزة في محنة مصر الدستورية، وكان جهاد القلم العراقي أكبر من جهاد القلم المصري في القضية المصرية، وقد ألف التأبين العراقي لسعد زغلول كتاباً ضخماً طبعته مطابع بغداد بعنوان (ذكرى سعد).

وإذا تأملت دواوين شعراء العراق، وشعرهم السياسي والاجتماعي نجد الديوان يتألف من ثلاثة أضلاع: مصر وسوريا والعراق، فهل يجمل بسوريا ومصر أن لا تقوم بمظاهرة وفاء للعراق والعراقيين. إذا هي لم تعمل لتلك اللحمة الواشجة العروق بين الأقطار الثلاثة أي مظاهرة عراقية، وأي محنة مرت على بغداد، فتحسست لها مصر أو شعرت لها سوريا هذه الفاجعة الكبرى للوطن العراقي، وهذه التضحية الخالدة في سبيل العروبة، وإرخاء كتافها، هذا يوم عبدالمحسن الذي رسم على كتاب الجهاد الوطني طابعاً جليلاً، وشق طريقاً جديداً للسالكين.

أين صداه في سوريا، وأين رنته في مصر؟

رصاصة

كلمة للأستاذ الكبير المحامي رفائيل بطي صاحب جريدة البلاد -كتبت ليلة الحادث المروع:

طفحت الكأس، وبلغت روحه التراقي. اسودت الدنيا في عينيه، فحقر الحياة، فإذا به يقدم على التضحية. التضحية بحياته في سبيل مبادئه. إنها آية الفداء، وعبرة الأزمان.

عالج عبدالمحسن بك السعدون السياسة العراقية سبع سنوات، مضطلعاً بمسؤولية الحكم، رئيساً للوزارة تارة، وطوراً وزيراً فيها، وجابه المطامع الاستعمارية في السياسة البريطانية التي يسمونها لنا تخفيفاً للوقع في السمع بالسياسة الانتدابية، فتمثلت هذه السياسة أمامه فاغرة فاها لابتلاع جميع الخيرات التي هي من حق العراقيين وحدهم، وشهد الأجنبي يصنع السلسلة بعد السلسلة، والغل بعد الغل، ليكبل بها أيدي العراقيين وأعناقهم، ويزيدهم وثاقاً، وينفرد بالحكم والسلطان.

وقد ظن الرجل في أول أمره أن الأيام كفيلة بتغيير الأطوار، فينال العراقيون حقوقهم تامة غير منقوصة لو بعد حين، وحسب أن الوعود الخارجة من أشداق الساسة البريطانيين، والعهود المرسومة بأناملهم الصلبة محققة ومنفذة لا محالة، وأخاله انخدع في من خدع بقول الأميركي الوديع الرئيس ولسن: (يجب أن تسير السياسة والأخلاق جنباً لجنب)، ولكن الأيام والسنين خيبت عنده الظن الآثم، وكذبت الحوادث المتعاقبة الحسبان الخاطئ، فإذا وزيرنا الأكبر في وهدة من اليأس عميقة.

والسعدوني عربي يخفق في صدره قلب حر يأبى العبودية، ويختلج في نفسه حس

القوة والجبروت، وهو فوق ذلك مفطور على الشهامة، مفعم قلبه بالعاطفة، مليئة نفسه بالغيرة، وفي كل يوم ينقضي عليه وهو في دست الحكم تتسع حدقة عينيه، فتتكشف له حالة أمته وبلاده، فيراها مجللة بالعبودية، عزلاء من السلاح في ميدان الصراع، فتزداد همومه، وتغمره الكآبة الخرساء فيتحمل على مضض.

وبقليل من الفراسة كان يقرأ من ينظر إلى وجه الوزير الأكبر وغضونه بأن الرجل مثقل بنكد ممض، تنوء به نفسه الكبيرة على قوتها وجلدها، وكلما التفت السعدوني إلى الماضي، واستعرض في ذاكرته تاريخ البلاد رأى العراقيين الجدود قد عاشوا برغد ورفاه، فانكفأ متألماً لما يعانيه أحفادهم اليوم من الذل والشقاء.

ذل وشقاء يسودان العراق مصدرهما سيادة الأجنبي وضعف البلاد وفقرها. أما السياسة الانتدابية فحريصة على استبقاء العراق ضعيفاً فقيراً.

وفي العراق أمة شاعرة بالحيف الواقع عليها، تصرخ طالبة العمل، وهي في صراخها مفرقة الجهد موزعة القوى تتطلب الزعيم الذي يجمع شملها.

أدرك عبدالمحسن السعدون هذا الشعور يفيض في قلب الأمة، وسمع صراخها في طلب العمل لتخليصها مما هي عليه، وحاول أن يكون الزعيم المنتظر، فوقفت في طريقه القوة المسيطرة.

لا تستقل أمة بغير المال والرجال، ولن تستطيع أن تشذ الأمة العراقية عن هذه القاعدة، وهي تتفانى في السعي للاستقلال. أما المال فيعرف الوزير الأكبر كما يعرف كل أحد بأن السياسة الانتدابية تحول دون وصوله إلى أيدي العراقيين.

وفتش الرجل عن الرجال الذين يريدهم، فلم يلقهم، وعني بصنعهم، بل صنع منهم كثيرين، ولكنه وجد أخيراً أن ليس فيهم من يصح أن يكون له ظهيراً.

فارتعد السعدوني من وقوفه وحده في هذا المعمعان، وهاله تفرق الأمة وفقرها، تجاه عناد الإنكليز في سياستهم الانتدابية، واشتدت عليه وطأة الضمير في الحث على

الواجب، واجب العمل الذي تصرخ في طلبه الأمة ليوصلها إلى الاستقلال.

فضاق الرجل ذرعاً، واستلهم سجيته، فألهمته الخدمة الجلى، والدم المزكى، فأقدم على التضحية بنفسه.

وتناول المسدس، وصوّبه نحو قلبه، فمزقه برصاصة، ففارق الحياة ضحية طاهرة لآمال الأمة، وطلبها للاستقلال، فتمت له آية الفداء، وبدا في مصرعه أعظم منه في حياته، وكان دوي الرصاصة الذي هز بلاده أبلغ من كل قول خطب به قومه، فرسم بدمه طريق الخلاص بما عجز عن رسمه في مذكراته السياسية.

رصاصة صوبها وزيرنا الأكبر نحو قلبه، فقضى بجسمه، وخلد بروحه. مات عراقي فرد، فأحيا الأمل في العراقيين الملايين، ورفع راية شرفهم.

إن الجثمان الطاهر الذي سيحمل غداً على القلوب إلى المرقد الأخير هو أقوى احتجاج صارخ على السياسة البريطانية في هذه البلاد، وأثمن وثيقة ستسجل في تاريخ الصراع بين العراق وبريطانية.

فهل سيحسن أبناء قومنا هذا الظرف التاريخي الذي خلقه السعدون بمصرعه.

انطلقت الرصاصة... فانعكس صداها: لقد مات رجل من أمة حية.

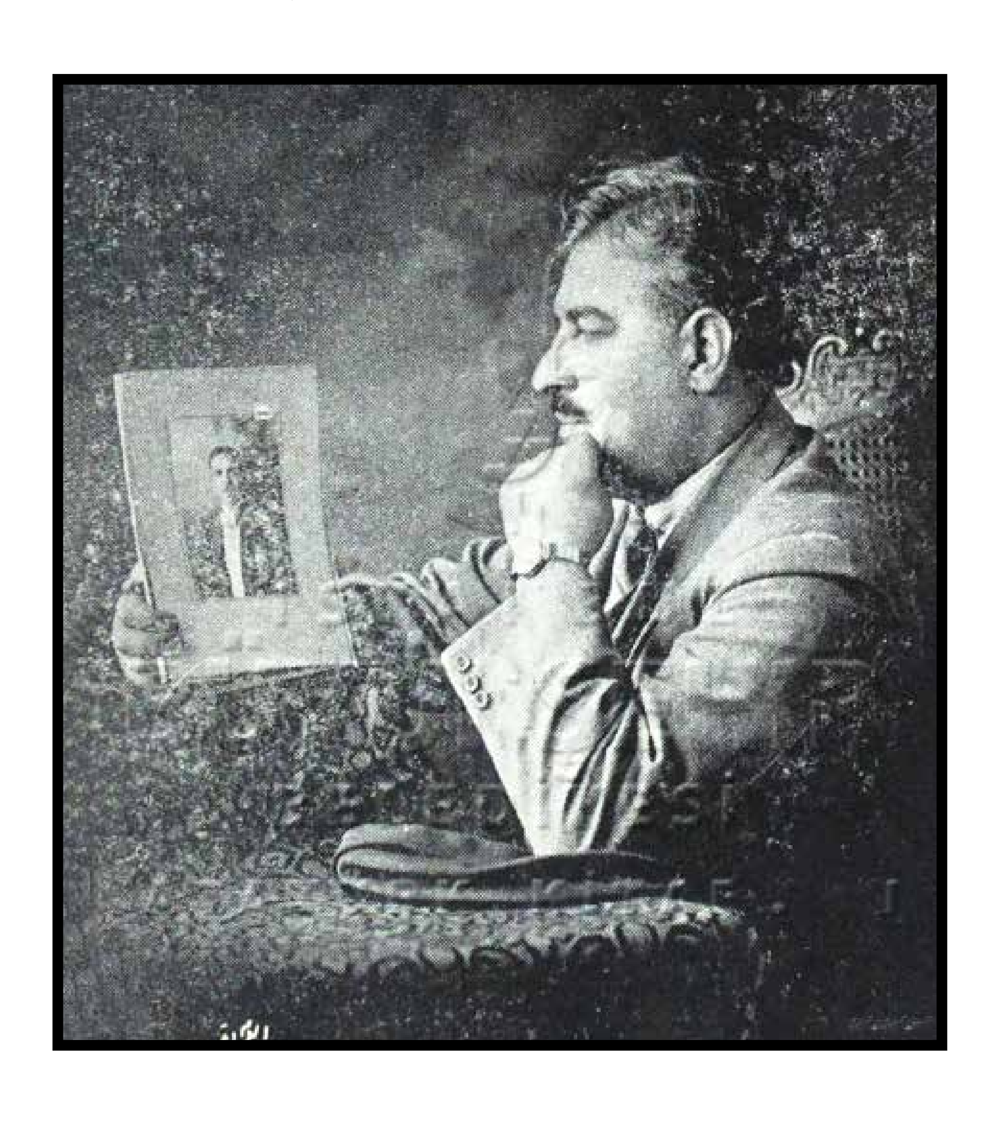
قضى عبدالمحسن السعدون ابن الأمة العراقية، فاعتبروا بدمه المهراق بيمينه إن فاتتكم عبرة في حياته، يا أبناء الأمة المتوثبة.

ليلة ١٤ -١١ -١٩٢٩م

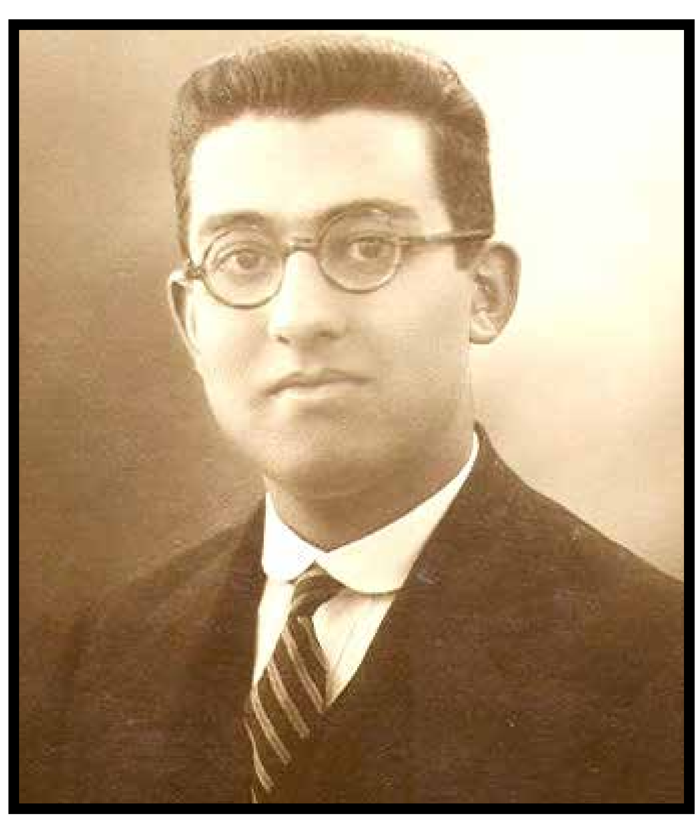
رفائيل بطي

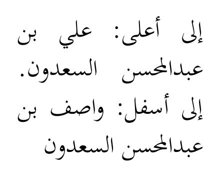
جميل بك روحي مرافق رئيس الوزراء

جميل بك من الشباب العراقي الذي يفتخر بهم العراق، وقد رافق فقيد البلاد في أكثر أوقاته، وحمل مباديه، ورغب أن يرافق رسمه لرسم الفقيد في هذا الكتاب.







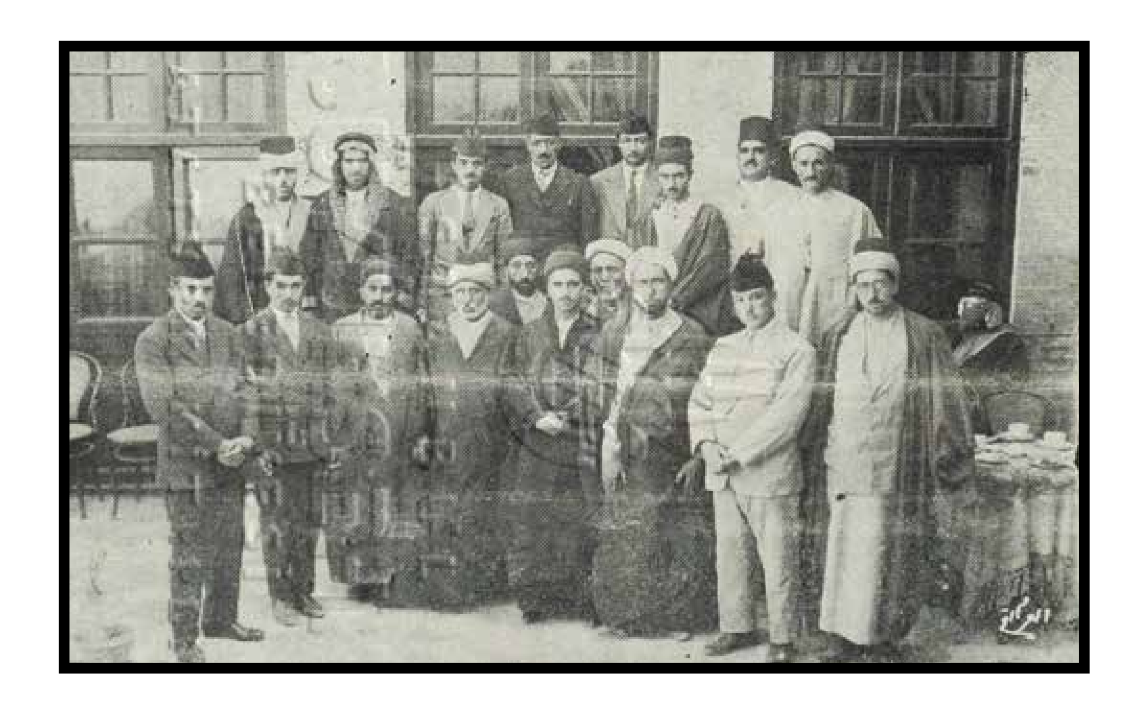


إلى أعلى: علي بن عبدالمحسن السعدون.
إلى أسفل: واصف بن عبدالمحسن السعدون





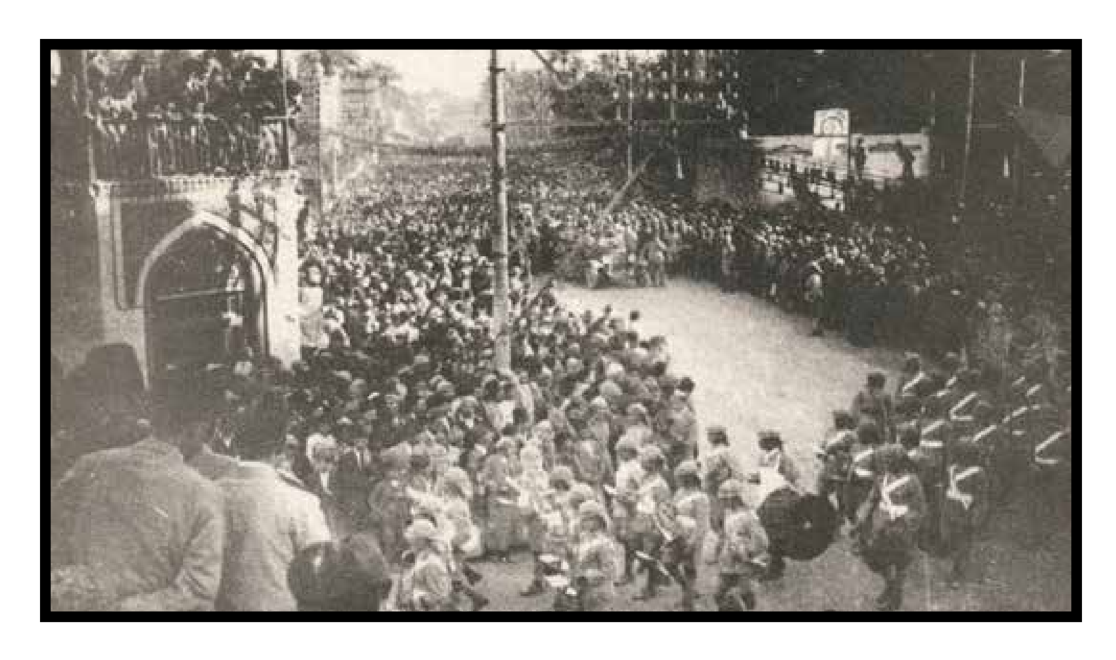
إلى أعلى: المدفع يحمل جثمان عبدالمحسن السعدون.إلى أسفل: رجال الدين يتقدمون جنازة عبدالمحسن السعدون



إلى أعلى: المدفع وفد كربلاء في عزاء عبدالمحسن السعدون.إلى أسفل: الحزن يخيم على المجتمعين في منزل عبدالمحسن السعدون بعد انتحاره



من مشاهد المشيعين في جنازة عبدالمحسن السعدون



مقالات علي الشرقي حول المنتفق وآل سعدون

التقاليد العربية

للعراق حضارة وبداوة، فالمدن والقرى والأرياف هي العراق الحضاري، والبادية هي العراق البدوي، ومنذ القرن العاشر للهجرة افترقت بادية العراق عن حواضره في الوضع السياسي والإداري، فالعراق المتحضر كانت تتنازعه سلطتان: الحكومة التركية في المدن غالباً، والمشيخة للقرى، وأصبح مرتبكاً متزلزلاً بين السلطتين.

أما البادية العراقية، فأنها موطن الأهل الخالص، وباب الرجال الصالح بقيت عربية بحت لم تطأها قدم الأجنبي، ولم يجاذب السلطة العربية فيها مجاذب، وبقيت الراية العراقية في بادية العراق عالية ومحترمة بين أمراء الجزيرة، وكانت إمارة بادية العراق لزعيم بني خالد، تلك العشيرة التي كان نفوذها يمتد من البادية العراقية بادية السماوة إلى اليمامة في نجد.

ثم كانت لخفاجة. ثم لخزاعة. ثم لآل سعدون، وفي أواخر القرن الحادي عشر للهجرة اشتهر بإمارة بادية العراق الشيخ عبدالواحد الكعبي، وكانت له راية العراق في باديته، وله سراية الحاج العراقي الذي كان يتمتع بحمايته في جزيرة العرب، وهذا الشيخ يستند على قوة قومه كعب، وحلفائهم خزاعة، وله ذكر نابه بين رجالات القرن الحادي عشر في العراق، خصوصاً عند أدباء الفرات في ذلك العهد، وقد حفل بناحية كبيرة من آثارهم الأدبية، وله آثار عمارة قائمة حتى اليوم في مدينة النجف، كالجامع الواقع في سوق الصاغة من السوق الكبير، وقبره بجنب ذلك الجامع.

وآخر راية عراقية في البادية هي راية آل سعدون، وكانت في آخر أيامها الزاهية

بيد الشيخ سعدون بن منصور[1] بن ثامر بن سعدون الكبير، وكانت لها حقوق محترمة عند كافة عرب الجزيرة.

وهكذا بقيت البادية العراقية وحدة غير مجزأة بتجزئة الإمارات والمشيخات في العراق الحضري، وخضعت للمنتفق من طفوف هيت الفلايح إلى الكويت والرياض، فالشيخ ثامر السعدون[2] تقوم قيامته عندما سمع أن عادية من بدو الجزيرة عدت على بادية العراق، وفي يوم من أيام العرب بلغه أن جريدة من خيل الوهابيين النجديين أغارت على بادية هيت، وروعت بعض الأحياء العراقية، فما كان منه دون أن ينهد بخيله، ويقطع خط الرجعة على المعتدين، ويضربهم الضربة القاصمة.

وبادية العراق كغيرها من بلاد الجزيرة تكثر فيها في الشتاء والربيع الغارات والوقائع بين القبائل التي تراود تلك البقاع، ففي عهد ناصر السعدون[3] المعروف عند عرب الجزيرة بالأشقر صالت الراية العراقية على بعض أحياء عنيزة[4].

وبعد الاشتباك تغلبت وامتلكت من الماشية والبيوت، وكانت غزوة رابحة أثرت فيها رجالات المنتفق من كثرة الغنائم، وركزت رايتها في وسط تلك الأحياء النهرية، ويضرب رواق للسيد ناصر، وتحتشد عيون العشيرة ومساعيرها، وللنادي السعدوني أدب ومزايا جليلة لا زالت نوادي عمائر المنتفق مطبوعة بطابعها، ذلك الطابع الذي جعلها تمتاز عن سائر نوادي الريف العراقي.

أجل، بينما ذلك النادي في هالة من الوقار راكس في سكوته وسكونه الرتيب المهيب، وإذا بفتاة جميلة متجلببة بأجمل بزة تتخطى الرؤوس، وتتوسط النادي غير

(١) الشيخ سعدون بن منصور بن ثامر بن سعدون، من رجالات العراق المشهورين، وهو مجدد أسرة آل سعدون، ومحيي جذورها في منتفك العراق -جنوب العراق..

(٢) ثامر آل سعدون من البارزين في الأسرة والمدافعين عنها، وقد ذاد عن هيت عند غزوة الوهابيين لها.

(٣) ناصر السعدون: تحضرت الأسرة وتركت البادية، وتجزأت إلى أقسام متعددة، وامتلكت الإقطاعيات، حيث مالت السلطة العثمانية لتبعد عنه الشيخ منصور.

(٤) يقصد عنزة القبيلة الوائلية المعروفة، وليس عنيزة المدينة المعروفة في القصيم. (مشرف الخزانة).

هيابة ولا وجلة، فأكبر رجال المنتفق ذلك المنظر، وطأطأوا رؤوسهم لأن الشيوخ من آل سعدون متشددون بحجاب المرأة، وديوانهم تتهيبه الرجال، فكيف تتخطاه امرأة متبرجة بزينتها. حادث مريع ليس له مثيل في نوادي آل سعدون، فيطأطئ ناصر برأسه، ويزجر الفتاة زجرة تبلغ أقصى الحي قائلاً: ما شأنك؟

فتجيب برباطة جأش وتماسك: يا أشقر.. الله في تقاليد العرب.

- ماذا تعنين؟

- إني فتاة غريبة من أهل هذا الحي، وقد خطبت لفتى من فتيانه، فكان الزفاف البارحة، وصبحت الحي غاراتكم، وسوف تقول نساء الحي هذا من شؤم العروس، ويتطير مني، فأناشدك الله بتقاليد العرب راغبة إليك أن تأخذني معك، فإني لا أستطيع البقاء.

ويخشع الشيخ لذلك الصوت الرقيق، ويقدم ذلك الاحتجاج الأدبي الصارخ، ويعطف عليها بحنو الوالد قائلاً: ارجعي يا عفيفة إلى خبائك، فسوف أجعلك ميمونة مباركة... إنا لا نهتك الستر، ولا نزعج حلائل الكرام.

وينادي مناديه في غزاة المنتفق أن اتركوا كل غنائمكم حرمة لهذه الفتاة.

ومنحها من حلاله الخاص الشيء الكثير، وطوى مخيمه راجعاً بالمنتفق كما جاءوا فارغين من كل الغنائم إلا من الشيم والحرص على تقاليد العرب.[1]

---

(١) الألواح التاريخية للشرقي، ص٤٩.

يرموك المنتفق

في عام ١٩١٣م ملت حكومة العراق العثمانية صيال عشائر المنتفق الثائرة، ويصمم والي بغداد وقائد الجيش جاويد باشا على منازلة عشائر المنتفق، مبتدئاً بالعشائر المحيطة بالشطرة. وجه أربعة عشر طابوراً من الجيش النظامي، واستنفر كافة عشائر الغرّاف من مدينة الحي إلى مدينة الشطرة[١]، فكانت الملحمة تبلغ الأربعين ألفاً حتى أن بعض الأفخاذ تخاذل من عشيرته، وانضم إلى جند الحكومة، ولم يصمد للمحنة إلا مئات، وكأن الدنيا قد تجمعت عليهم.

ولكنهم بعد أن ثبتوا للصدمة الأولى تضعضعوا، وانكشفوا قليلاً إلى ما وراءهم من ضفة (الشنفة: يرموك المنتفق)، والتجأ زعيم العبودة إلى زعيم خفاجة، ذلك البطل الشهم علي بن فضل، فهب للذب والحماية، ونفرت خفاجة لنصرة اللاجئ الذي تخلف عنه قومه إلا القليل، ويخطب الزعيم في ذلك القليل قائلاً: غداً تكون الجولة، فلا بد وأن نكون في الطليعة، وخفاجة سند لنا، لا نتركهم يتقدموننا لأن الطلب على رقابنا لا رقابهم.

فهزت القوم النخوة، وهب الشمم بروائحه الطيبة، وقالوا: نحن لها دون سوانا.

وسرعان ما نصبوا بيت الحرب (كناغ)، وهو بيت تنقل إليه الجرحى والقتلى، واحتفروا فيه حوضاً كبيراً حملت النساء إليه الماء من النهر، وهن يزغردن إلهاباً لحمية الرجال، ووقف زعيم القوم يثير العزم والنخوة بزجله الحماسي مخاطباً زوجته: (شيدي واذبحلج بيه باشا)، أي ارفعي البيت وسأذبح لك به باشا قرباناً.

(١) الشطرة: مدينة كبيرة من أقضية محافظة ذي قار.

وفي الأصيل زحفت تلك الململمة على أولئك المصاليت الذين تفاءلوا خيراً لأنهم يعتقدون بأن الزحف في وقت الأصيل لا يربح المعركة، واستقبلهم المناضلون، وقد أوصى الزعيم النسوة بالتقاط الجرحى والقتلى لأن الرجال في الحومة، وغص الفرسان في تلك الموجة العارمة التي غمرت المشاة من المدافعين، وامتد النزاع ونطفت العروق شارقة بالدم، وورمت الأنوف بالحمية. الشعار يخفق، والنعار يدوّي، والشباب يتهافتون مهفهفا.

وما مالت شمس ذلك اليوم إلا وفصد العرق، ونزت الرابطة القومية، فمالت العشائر ميلة واحدة على الجيش، وهم يزجلون: (يا ابن العم حنت عوجانا)، أي أوحشت أضلاعنا، وضربوا في أقفية الجيش، فاختل نظامه، وارتبكت صفوفه، وانسحب متستراً بجدران الشطرة، والرجال تتعقبه، ولم تكن تلك الغلبة لعشائر الشطرة والغرّاف، بل لكل عشائر المنتفق، وكما كانت معركة اليرموك الفاصلة، كانت معركة (الشنفة) الفاصلة، ولم يبق للأتراك نفوذ أو سلطان.[1]

(١) الألواح التاريخية للشرقي، ص٨٧.

الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود

في عام ١٢٨٢هـ مات فيصل بن تركي أمير نجد من آل السعود، فتنازع أولاده، ويهتبل الفرصة محمد بن عبدالله آل رشيد حاكم حائل الذي نصبه السعود، فانتفض عليهم، واستولى على نجد بمعونة الحكومة العثمانية، ومعونة ولدي محمد علي باشا خديوي مصر إبراهيم باشا وطوسون، فانهارت الدولة السعودية الثانية، ووقع الكثير من آل السعود في الأسر.[١]

ولكن الإمام عبدالرحمن وولده عبدالعزيز لجئا إلى الكويت لما بينهم وبين آل الصباح من وشيجة رحم[٢]، وكان عبدالرحمن قد قعد به تقدم السن، وهدمته الصدمة. أما ولده عبدالعزيز، فشاب تلوح عليه مخايل الفتوة وشارات الحزم، وكان يقلب الجمر، ويستلم التدبير لاسترجاع ما فات، وقد نهد مبارياً للشيخ مبارك الصباح يشاركه المغامرات والحروب حتى كأنه قائد من قواده، والصلة بينهما صلبة وطيبة.

ولما لم يكن بإزاء عبدالعزيز عميرة كبيرة غير المنتفق فكّر في استنفارهم، وكان مقدم المنتفق يوم ذاك الشيخ فالح السعدون، وكان نازلاً بادية الكار، وهو نهر جاف يقال أنه بز النيل الذي احتفره أو كراه الحجاج.

وعندما هم عبدالعزيز باستنفار المنتفق شد ركابه قاصداً فالح، وإليك النبأ الذي قصه عليّ الشيخ ضاري الفهد السعدون، والشيخ ضاري نبيل يلمع بالفطنة، وتدور

---

(١) خلط الشرقي بين نهاية الدولة السعودية الأولى التي انتهت بالهجوم المصري على نجد، وبين نهاية الدولة السعودية الثانية التي تمت على يد ابن رشيد، فجعلهما حادثة واحدة، وبينهما في الحقيقة أكثر من سبعين عاماً!. (مشرف الخزانة).

(٢) الشيخ مبارك هو ابن لولوة ابنة محمد الثاقب شيخ الزبير، والثاقب من نفس الأسرة التي يعود لها آل سعود، ومن هنا كانت وشيجة الرحم التي يقصدها المؤلف. (مشرف الخزانة)

عروقه بشرف المحتد، حذق صدراً من الأدب العربي والتركي، وقد رشحته آدابه ودماثة خلقه أن يكون سفيراً لزعيم المنتفق.

لقد حدثني بمثل رائع عن شخصية عبدالعزيز السعود قائلاً: كانت مضارب الشيخ منتشرة في بادية الكار، وفي ضحوة يوم، ونحن في مضيف الشيخ تطلع علينا خمس ركائب، ولما دنت عرفنا مقدمها عبدالعزيز السعود، فاستقبل بما يليق به، وضربت له مضارب خاصة مزودة بما يلزم حسب عادة آل السعدون مع الضيف المحترم.

وغبّ إقامته ثلاثاً بحفاوة وتجلة يحدس الشيخ فالح أنه جاء لاستنفار المنتفق، وفزعتهم لاسترجاع الرياض، فدعاني للاعتذار منه، وأرفقني بخمسة أكياس (مزاود)، في كل مزودة ألف ليرة ذهبية، وحمل بعير من الكسوة الفاخرة، وخمس بنادق من النوع الجديد (مارتين)، قائلاً لي: قدمها إلى عبدالعزيز، وقدم له اعتذاري، وأن هذه الهدية للرفقة، والنقود يصرفها لقواته.

فجئت عبدالعزيز، وهو في مضربه، وبيده محضرة ينكت الأرض بها، فقلت له: عمك يعتذر، وهذه أقل عون للرفاق الذين معك، فما كان منه غير أن ضرب الأرض بخيزرانة قائلاً: يا رفاق.. الركائب.

والتفت إلي قائلاً: بلغ العم أني جئته ليوم من أيام العرب، لا للأسمال والبدر، وركب لفوره عائداً من حيث أتى، وتركني وما معي.[1]

---

(١) الألواح التاريخية للشرقي، ص١٢٢.

التصميم العربي

لقد كنت عام ١٩١٤م في شطرة المنتفق، ويشتبك المتخاصمان من أهل المدينة (السناجر، وآل أبي شمخي)، ويصاب بطل من آل أبي شمخي، فحمله إخوانه وهم يبكون.

وقد كان فيه رمق، فقال لإخوانه: لا تبكوا عليّ، وامضوا في تصميمكم في المحافظة على المنفذ للشارع. إنه باب الخطر، ولا تبكوا على من ذهب في يومه، وهو اليوم الأغر، سمعته يخاطبهم، وقد كشطت الرصاصة جلدة ما بين عينيه، وكان مخه يلوح من مقدم الرأس.

وفي ناحية من نواحي الشطرة إقطاعية تسمى (أم الحنطة) يقطنها جماعة من عشيرة العبودة، يرأسهم جار الله بن حسين، وفي معركة مع جنود العثمانيين كان جار الله في مرقب مبني باللبن، وهو الطابوق غير المشوي، وبيده بندقية يصب رصاصها على الجيش، ويشعر من قصف المدفعية بهذه تهز المرقب، فيصمم على الدفاع، ويركل المرقب برجليه قائلاً: (إخسأ، فإن فوقك من لا يُزعزع).

وما أشبه موقف جار الله بموقف زعيم عربي أطلقت المدافع على البيت الذي هو فيه، فمادت أعمدة البيت من شدة القصف، فما كان من الزعيم دون أن يتناول سلاحه صارخاً: (قر.. يا بيت. إنهم يريدون ميدي لا ميدك).[1]

---

(١) الألواح التاريخية، ص١٣٥.

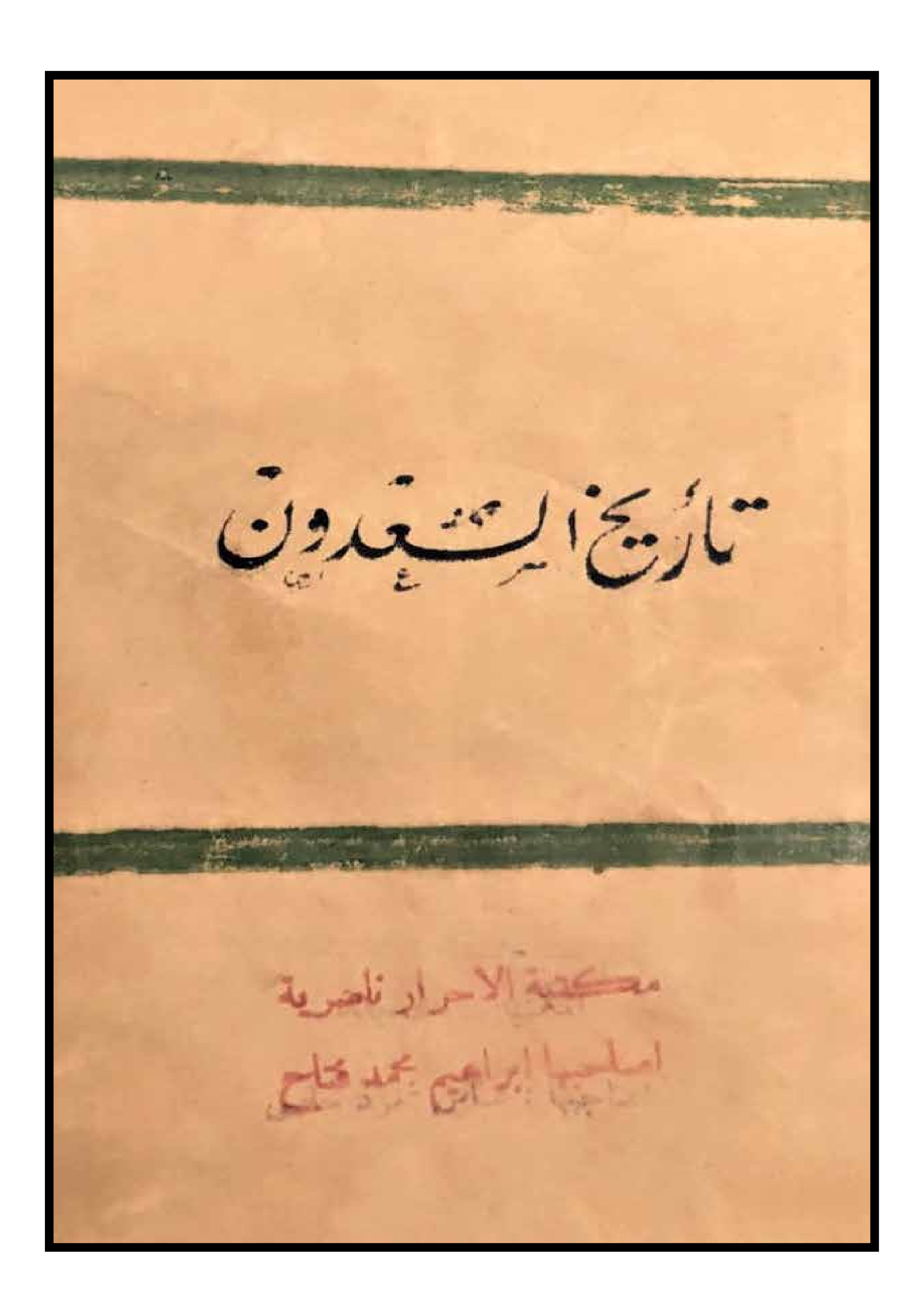
(٤)

تاريخ السعدون

تأليف

عبدالله الناصر

مطبعة الراعي في النجف -١٩٤١م



تاريخ السعدون
مكتبة الاحرار ناصرية
اصحابها ابراهيم محمد فالح

الإهداء

إلى صديقي السيد إبراهيم محمد بك فتاح أهدي هذا الكتاب اعترافاً بما له من الفضل على النهضة الثقافية في (المنتفگ).

الناصرية في ١٥-٣-١٩٤١م

عبدالله الناصر

كلمة الناشر

لقد جاء هذا الكتاب مقنعاً للغلة والغرض التاريخي. إذ هو يحتوي على قسمين:

القسم الأول، ويتضمن نسب آل السعدون، وكيفية نزوحهم، وتأريخ إمارتهم، وأهم أحداثهم السياسية، وفيه بحث مستوف لحياة الزعيم الخالد عبدالمحسن بك السعدون بجميع أطواره، والأسباب التي أدت إلى انتحاره.

والقسم الثاني، يشتمل على مآثرهم وتقاليدهم وعاداتهم الاجتماعية، ولا غرابة بذلك، فإن آل سعدون لهم طابعهم في شئون حياتهم، وفضلاً عن هذا وذاك، فالكتاب يضم بين دفتيه من الملاحظات والتعليقات والقصائد ما لم يستغن عنه أحد من القراء على اختلاف نزعاتهم، وهذا هو الذي حبب لي نشره بالنظر لما فيه من الفوائد.

الناصرية في ٢١-٣-١٩٤١م

إبراهيم محمد فتاح

صاحب مكتبة الأحرار في الناصرية

القسم الأول

من هم آل السعدون

آل سعدون هم عائلة شريفة هبطت العراق في أوائل القرن العاشر للهجرة، وأسسوا فيه إمارة كبرى، دامت أربعمائة سنة تقريباً، وقد تولى المشيخة منهم شيوخ كثيرون، وهم قوم يرجعون بأنفسهم إلى الحجاز، وبأنسابهم إلى أشراف الحجاز وأمرائه، فهم قرشيون هاشميون علويون، وأكبر دليل على حجازيتهم أنهم موالك، ولا موالك في العراق، وإنما هم في الحجاز والمغرب، ولا صلة بين آل السعدون وبين بلاد المغرب، فهم حجازيون، ويظهر أنهم من أشراف المدينة، وتدل على ذلك عدة أمور، منها الوسم الذي يسم به آل السعدون إبلهم، والذي يسمونه (شبيبية)، فإنه قريب من الوسم المعروف عند أشراف المدينة.

ومنها، عمود نسب عند آل علي، وهو بيت من بيوت آل السعدون، وهو بيت فقيد الأمة عبدالمحسن بك.

ومنها شهادة جلالة الملك الحسين ملك الحجاز وأبي أشرافه، ففي سنة ١٣٤٠هـ وُجدتُ في الحجاز، وحضرتُ البلاط الحجازي[1]، وتشرفتُ بالمثول، وتجاذبت الحديث

(١) الكلام منقول عن علي الشرقي، فهو الذي حضر البلاط، وليس المؤلف. (مشرف الخزانة)

مع جلالته عن العراق وقبائل العراق، فصرح جلالته أن بين عائلة آل السعدون وعائلته الشريفة رابطة نسب، وكذلك آل السعدون يرون الرابطة، ويعدونها نسبهم الصريح الذي به يواجهون كبار العرب وذوي الأنساب العالية.(١)

ومنها مظاهر هبوطهم إلى العراق، فإن تلك المظاهر كانت مظاهر أشراف علويين، فإن زعيم بني خالد تلك الطائفة الكبيرة في طوائف بني مالك ذلك العهد لا يزوج ابنته من مستجير بهم مستضعف ما لم يكن عظيماً في نسبه، شريفاً في حسبه، كما هو ديدن المصاهرة وآدابها عند الزعماء الكبار من العرب، وكما أن شروط الصلح التي خضع لها المنتفق، وهم أكبر قبيل في ذلك العهد تدل صريحاً على أن جارهم كانت فيه اللياقة التامة من حيث الحسب والنسب لأن يُملي تلك الشروط الثقيلة، وإن كان ضعيفاً في عدده وعدته، فإن كرام العرب تحترم قوة الأحساب والأنساب أكثر مما تحترم قوة السلاح والمال، ولو لم يكن الرجل شريفاً، ونسبه أعلى من كل نسب لم تستسلم المنتفق للخضوع له أبدياً، كل ذلك لأجل حادثة جوار، فإن العرب وإن بالغت في إكرام الجوار، ولكن جعلت لتلك الحقوق حدوداً ورسوماً.

وتوجد في عادات آل سعدون وألقابهم دلالات جلية على أن القوم (أشراف) علويون، منها عدم تزويجهم بناتهم إلا لأبنائهم، فلا يزوجون أكبر شريف من أشراف العرب، وذلك إذا كانت البنت سعدونية محضة. أما إذا كانت أمها غير سعدونية، فلا يتشددون في المنع، ومنها إلحاق أسمائهم لفظة (شريف) أو (سيد)، مثل الشريف حسن والسيد ناصر والسيد سليمان المنصور، وهذه الألقاب في العراق من خواص العلويين.

وهنا أمارات كثيرة على صحة ما بأيديهم من النسب(٢) عُلم أن عائلة آل سعدون فرع من دوحة كبيرة تعرف بآل شبيب، فالشيخ سعدون الأب الثاني لهذه العائلة، وهو من أحفاد شبيب، ولآل شبيب مشيخة المنتفق سابقاً، ويمكننا أن نذكر عدة

(١) ص٩، ١٠ من كتاب ذكرى السعدون للأستاذ الشرقي. (المؤلف).

(٢) نفس المصدر ص١١.

من المشايخ من آل شبيب تعاطوا إمارة المنتفق، ومنهم انتقلت الزعامة إلى سعدون آل محمد أحد أحفاد شبيب، ومن بعده ترددت في أحفاد محمد بن ثامر آل سعدون آل محمد، وثويني العبدالله آل محمد، وحمود آل ثامر آل سعدون، ومن هذا التاريخ استقرت الزعامة في آل سعدون، وفارقت آل شبيب من بعد (ثويني آل عبدالله).

مشيخة الشرفاء

الشريف حسن أو الرائد الأول

كان للشريف حسن، وهو الجد الأعلى لهذه العائلة أخاً اسمه مهنا، وكان للأول بنت، وللثاني ولد، فطلب الثاني لأخيه تزويج ابنته من ابنه، فامتنع الأول، أي الشريف حسن، كون ابن أخيه هذا هو ابن أخ من أمة، ومن أثر ذلك تنازعا، واشتد النزاع بينهما، فارتحل الشريف حسن المشار إليه من الحجاز إلى المدينة[١]، فلم تطب له الإقامة فيها، حيث ارتحل منها، ونزل على بني مالك في الموضع المعروف (بالباطن)، فأحسن زعيمهم ابن خصيفة جواره. ثم تزوج من بنت رئيس بني خالد، وهم فصيلة من بني مالك، فأنجبت له ثلاثة أولاد، وهم: «محمد وعبدالله وشبيب».

وظل على هذا النحو شطراً من الدهر. ثم حصلت معركة بين الأجود وبني مالك، فقتل فيها ابنه عبدالله، ولما وضعت حربهم أوزارها طلب الأجود الصلح مع بني مالك، فامتنع بنو مالك صيانة لدم جارهم المهدور، فاضطر الأجود إلى فصله، وعرضوا رغبتهم إلى الشريف حسن والد القتيل، فامتنع، وبالغ في الممانعة مدعياً أن الدية المألوفة عندهم لا تتناسب ودمهم[٢]، فأظهروا استعدادهم للنزول على رغبته،

---

(١) هنا خطأ من المؤلف، فالأخوين كانا في المدينة أصلاً، وصواب الجملة: (من المدينة إلى القصيم). (مشرف الخزانة).

(٢) حتى الآن فإن آل سعدون لا يأخذون مالاً، ولا يقابلون نساءً على نحو ما هو جار بين سائر القبائل، وإنما يستكفون بجلاء القاتل وأهله ردحاً من الدهر. (المؤلف).

وقبول ما يفرضه مهما عظم شأنه، فطلب له منهم بعض الطلبات التي اعتبرت بمثابة الدية.

الشروط[1] التي اشترطها الشريف حسن، وهو الرائد الأول على قبيلة الأجود، كدية عن قتل ابنه:

أما الشروط، فهي:

١- أن لا أنهض لكل قادم منكم.

٢- أن تقبلوا يدي.

٣- أن تؤدوا لي الذبيحة والمنيحة.

٤- أن يشمل ذلك بني مالك.

فوافقوا بدورهم، ووافق بنو مالك أيضاً مراعاة لما انعقد عليه العرف، وذلك أن من حقوق الجوار أنه إذا قُتل للجار أحد، أو سلب منه شيء، يجب على الجار أو المستجار به أن يقدم أغلى شيء لديه، أو يقوم بأخطر عمل يستطيعه لجاره، بالإضافة لاسترجاع حقه، ويسمونه بتعبيرهم (بياض وجه)، وبذلك بُذرت أول بذرة للإمارة السعدونية.

(١) استدراك: سقطت عفواً من الطبع. (المؤلف). ورأينا إثباتها في محلها في هذه الطبعة المحققة. (مشرف الخزانة).

مشيخة الشريف محمد

كان أمير بني مالك عبدالله قد عصى على أمير البصرة وزعيم المنتفگ حينذاك ابن راشد، فوجه إليه الأمير جيشاً عرمرماً لمحاربته، فأدرك الشريف محمد سوء عاقبة بني مالك الذين له معهم رابطة الحلف والولاء إذا ما وقعت بينهم وبين الأمير حرب، بالنظر لقوة الأمير، فتوسط بينهما للصلح، فصادف توسطه قبولاً، فخلّص بني مالك من هلاك محتم، فأضاف بذلك لمكانته ومنزلته في قلوبهم درجات، مما جعلهم يبالغون في الانقياد له، والنزول على رغائبه، وبذلك استطاع هو الآخر أن يصعد مدارج من السلم العالي، حيث كوّن له مركزاً بين القبائل (المنتفگية) من جهة، والإمارة الراشدية من جهة أخرى، وكان يسانده ويشد أزره في هذا المضمار أخوه الشريف شبيب.

مشيخة الشريف شبيب الأول

ولم يلبث الأخوان حتى أعدا العدة، وأغارا على البصرة، فانتزعاها من الأمير، وتولى أمرها الشريف شبيب برضاء أخيه الشريف محمد الذي سبقت إليه الإشارة، ولكن بعد ذلك بقليل غزاها الفرس، واستولوا على البصرة بعد أن جرت بينهما وبينهم معركة قتل فيها الشريف محمد، وبعد ذلك بزمن يسير أعاد الكرة الشريف شبيب، واستأنف الحرب معهم، فتغلب عليهم وأخرجهم، وعادت إمارته على البصرة، فلبث حتى وافته المنية.

مشيخة الشريف مانع الأول

وآلت المشيخة إلى الشريف مانع الأول، ولم تمض على مشيخته مدة حتى داهمته الدولة العثمانية، فأخرجته من البصرة.

مشيخة الشريف حسن الثاني

ثم آلت المشيخة إلى الشريف حسن الثاني، وبقى شيخاً على المنتفگ دون البصرة حتى مات، ولم يحدث في حكمه ما يستحق الذكر.

مشيخة الشريف شبيب الثاني

فآلت المشيخة إلى ابنه شبيب[1]، وظل شيخاً حتى مات.

(١) لقد زعم البعض إن الشريف شبيب الثاني قتل في المعركة التي نشبت بين قبائل المنتفگ، والصواب أن الذي قتل فيها هو الشريف مهنا. (المؤلف).

مشيخة الشريف مانع الثاني

ثم تولى المشيخة بعده ولده الشريف مانع الثاني، ولما ملك زمام الأمور ابتدأ في حصد بعض القبائل واستئصالهم ثأراً لمهنا، حتى لم يذر منهم سوى النساء[1]. ثم أظهر منافسة للدولة العثمانية المستولية على البصرة إذ ذاك، فأرسلت له قوة عظيمة تحت قيادة الدفتردار حسين مراد، واشتبكا في معركة عنيفة أسفرت عن انتصار الشريف مانع، فامتد نفوذه، وشملت سلطته جصان وبيدرايا ومندلي اللائي كن سابقاً تحت النفوذ العثماني المطلق.

وبعد ذلك بقليل أعادت الكرة الدولة العثمانية، فوجهت له جيشاً كثير العدد والعدة، تحت قيادة أحمد باشا، والتقى الجمعان في الموضع المعروف بـ (الدير)، واقتتلا قتالاً شديداً، فقتل القائد أحمد باشا، فتراجعت القوة العثمانية إلى مدينة البصرة، ونصب بعده علي حسين الجمال والياً. ثم أقيل بعد زمن قليل، وعين بدله خليل باشا، فأعد الأخير العدة، وقام يحارب مع الشريف مانع انتهت بفشله (أي خليل باشا).

من هنا كلت مساعي الدولة العثمانية، فأذعنت وطلبت منه الصلح على أن تبقى الولاية بقاءً شكلياً -أعني صورياً- فوافق الشريف مانع، فعين لولايتها الباشا المنكسر خليل باشا، وقد صادف ذلك سنة ١١٠٤هـ، وسارت الحالة على هذا الوضع زهاء سنتين تقريباً. ثم سئم البصريون وجود الوالي الآنف الذكر، فثاروا عليه وأخرجوه، وطلبوا إلى الشريف مانع إدارة شؤونها من قبله نفسه، فلبى طلبهم، ودخل

---

(١) كان من بين النسوة نساء حوامل، فأنجبن أولاداً فلما نموا وكثر نسلهم أخذوا ينتخون في الشدائد والكروب بكلمة (يتيم). (المؤلف).

البصرة سنة ١١٠٦هـ، ولبث فيها ثلاث سنوات تقريباً بصفته شيخاً وواليًا معاً. ثم خرج منها مخدوعاً من قبل أحد نصابي الفرس يدعى فرج الله خان، وظلت سلطته ونفوذه مقصورتين على المنتفگ حتى توفي، وذلك سنة ١١٢٥هـ.

مشيخة الشريف محمد

ثم انتقلت المشيخة للشريف محمد، وقد قضى حياته شيخاً، ولم يطرأ عليه طارئ ما.

مشيخة الشريف سعدون

لما مات الشريف محمد أعقب ثلاثة أولاد، وهم «سعدون وعبدالله وعبدالمنعم»، فتولى الشريف سعدون الرئاسة، فنافسته ربيعة، فحاربهم وانتصر عليهم، واستولى على قسم من أراضيهم، واتخذ من أراضي كتيبان مقراً له، ومن أثر ذلك شعرت الفرس بثقل وطأته، وأوجست خيفة منه، فوجهت جيشاً لمناجزته، فدافع ونجح في دفاعه أيما نجاح. ثم سيرت نحوه الحكومة العثمانية جيشاً لكسر شوكته، فناهضهم، وقتل في تلك المعركة.

وسعدون هذا هو الذي عرفت باسمه العائلة السعدونية، وتفرع منه البيت إلى شطرين: آل شبيب وآل سعدون.

مشيخة الشريف ثامر

فتولى الأمر من بعده ولده الشريف ثامر، وظل حتى قتل في معركة حصلت بين المنتفگ والخزاعل.

مشيخة الشريف عبدالله بن محمد

فآلت المشيخة إلى الشريف عبدالله بن محمد ابن شبيب بن مانع، وظل في المشيخة حتى أن مات سنة ١١٧٥هـ[١]، فآلت المشيخة إلى ابنه.

(١) بل ظل عبدالله حياً حتى الغزو الفارسي للبصرة سنة ١١٨٩هـ، فخلفه ابن أخيه ثامر السعدون في المشيخة، وبعد مقتل ثامر سنة ١١٩٣هـ آلت المشيخة لابن عمه وأخيه من جهة الأم ثويني بن عبدالله. (مشرف الخزانة)

مشيخة الشريف ثويني عبدالله بن محمد[1]

تربع على أريكة المشيخة البطل الهمام الشيخ ثويني ابن عبدالله بن شبيب بن مانع الشبيبي[2] سنة ١١٧٥هـ، وكان لما تولى قد وجه في بادئ الأمر سطوته ونفوذه نحو الأعراب المنبثين من جنوب بغداد إلى حدود الكويت.

وكان يعد من أجود العرب في زمانه وأسخاهم، فاستتب له الأمر كما أراد، وله أيام مشهورة في الحرب لا سيما في زمن إمارته الأولى، فمن أيامه (يوم دُبي)، وهو اسم موقع قرب البصرة، وذلك أن عشائر بني كعب غزت أخاه صقراً، فقصدهم ثويني وقاتلهم، وأثخن فيهم القتل حتى أذلهم، وأسكن الرعب في قلوبهم.

ومنها (يوم تنومة) كما في تأريخ نجد، ومنها (يوم ضجعة)، والعوام يحرفونها ويقولون (جضعة)، وسبب الواقعة هو أن عبدالمحسن ابن سرداح لما تاقت نفسه لغزو بني خالد شيوخ الإحساء[3] استعد لحربهم، واستنجد بالشيخ ثويني، فأمده بالمال وبالرجال، وكان رئيس بني خالد يومئذ سعدون ابن عريعر، ولما تحقق لدى سعدون بن عريعر بأن الشيخ ثويني أمد عبدالمحسن بالرجال، استعد هو للفريقين.

وفي فصل الربيع زحف كل فريق على من يليه، وأمر سعدون بن عريعر فرسان قومه بأن يشنوا الغارات على عشائر المنتفگ قوم ثويني. ثم التقى الجمعان في أراضي

(١) ملخص بتصرف من كتاب (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية) تأليف الشيخ محمد الشيخ خليفة. (المؤلف).

(٢) الصواب: ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع بن شبيب. (مشرف الخزانة).

(٣) ابن سرداح من بيت مشيخة بني خالد، وبالتالي فإن تمرده كان تمرداً داخل بين الأسرة الحاكمة. (مشرف الخزانة).

بني خالد في الموضع المسمى (ضجعة)، ودارت بينهما الحرب والطعان، وتجالدت الفرسان مدة من الزمان حتى سئمت أعراب بني خالد من الحرب، فامتطى متن الخيانة بعض رجال ابن عريعر، وتقهقروا، فتمكن الشيخ ثويني من اجتياح عشائر بني خالد، وأثخن فيهم الضرب حتى فر سعدون (أي رئيسهم) في خاصته نحو نجد، فغنم ثويني ذخائرهم وأنعامهم، وعاد إلى مقره حاملاً لواء النصر والظفر.

الحوادث في زمن إمارة الشيخ ثويني

إن من أهم الحوادث في زمنه هي زحف الأعاجم (أهل فارس) نحو المنتفگ[1]، وقد طمعوا في غزو بلاد المنتفگ، فساق صادق خان جنوده نحو عشائر المنتفق، فبرز لهم الشيخ ثويني بجموعه، والتقى معهم في الموضع المسمى (الفضلية) قرب ساحل الفرات الغربي، وتصادمت الأبطال في ذلك المكان، وحمى وطيس القتال، فلم يك إلا برهة من الزمان حتى أدبرت الأعاجم مكسورة أمام ضراغمة المنتفگ، وخسروا أنفساً كثيرة، ومات معظم من سلم من القتل غرقاً في النهر، وذلك لأن قائد العجم استحسن بأن يجعل نهر الفرات خلف جنوده حفظاً لهم من حدوث طارئ يهاجمهم من الخلف، لما عرفوه من خفة سرعة خيالة العرب في الالتفاف على العدو، وقطع خط الرجعة عليه، فكان ذلك الرأي هو السبب لدمار جنوده، لأنه لما بدأ فيهم الفشل، وأرادوا الهزيمة لم يجدوا مفراً سوى العبور في النهر إلى الجانب الآخر، فلحقتهم فرسان العرب تثخنهم ضرباً وطعناً، وهم على حافة النهر، وفقدوا معظم قوتهم، وذهب من نجا منهم إلى البصرة، ودخلوها متقمصين ثوب الفشل والقهر.

فحنق لذلك صادق خان، وصمم على إعادة الكرة على المنتفگ مرة ثانية لإماطة ثوب الفشل والعار، وكسر شوكتهم. طلب المدد من أخيه كريم خان الزندي، فأرسل إليه ما أراد من الرجال والسلاح، ولما تكاملت لديه القوة استعد للحرب، ونظم جنوده كما يرام.

وفي سنة ١١٩٢هـ ساق جنوده نحو بلاد المنتفگ تحت قيادة محمد علي خان

(١) الصواب أن هذه الحادثة وقعت في مشيخة ثامر السعدون الذي خلف عمه عبدالله حوالي سنة ١١٨٩هـ، وكان ثويني مساعداً له. (مشرف الخزانة)

الشهير بينهم بالبسالة، وكان مع عساكر العجم عشائر بني كعب، فالتقى الجمعان في المحل المسمى (أبو حلاّنة)، وعندما عاين العرب كثرة جنود العجم، وقوة استعدادهم جنحوا إلى السلم، وأرسلوا إلى محمد علي خان يذاكرونه في الصلح، فطمع فيهم، واستضعفهم بطلب الصلح، وجعل يشترط عليهم شروطاً تأباها شيم العرب، ورفض الشيخ ثويني قبول تلك الشروط إلى ما أنزل الله بها من سلطان، واستعد للنزال مستصوباً قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي، حيث يقول:

لما رأيت نساءنا يعزفن بالمعزاء شدّا
وبدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدّا
وبدت محاسنها التي تخفى وكان الأمر جدّا
نازلت كبشهمو ولم أر من نزال الكبش بُدّا

وكان محمد علي خان قد رتب مكيدة حربية للعرب مع علوان شيخ آل كثير وقت الزحف على المنتفگ، فوصل خبر تلك المكيدة للشيخ ثويني بواسطة الجواسيس، فتحذر منها، واستعد لفلّ ما غزله قائد العجم، ولما تصادم الجمعان، وتقارعت الأقران، حملت العرب حملة رجل واحد على خصمائهم، فلم تمض إلا ساعات حتى أنفل جيش العجم المتلبد، وتقهقروا فارين بدون انتظام لا يلوي أحد على صاحبه بعد أن قتل قائد العجم، وذلك في عام ١١٩٢هـ.

وأن هذه المعركة صارت سبباً في تثبيط همة العجم من الولوج في أراضي العراق، ومن التوغل فيها، ولما عاد الشيخ ثويني إلى مقره رافعاً راية الظفر وفدت عليه الشعراء، وهنته بالنصر والظفر، فأجازهم بالمجوهرات والتحف التي غنمها من العجم، وبالسيوف المرصعة النادرة الوجود.

غزوة الشيخ ثويني نجد

وفي أوائل سنة ١٢٠١هـ جمع الشيخ ثويني جموعه من المنتفگ وأهل الهجرة وأهل الزبير وأعراب شمر وغالب فخائذ طي، وزحف بتلك القوة نحو نجد حتى دنا من القصيم، فخيم عند قرية تنومة، وتواقع مع أهلها حتى تفوق عليهم، وغنم منهم.

ثم ارتحل بجنوده قاصداً بريدة، وهاجم أهلها حتى أخضعهم، وكاد أن يخضع بتلك الجموع سائر أنحاء نجد لتوفر قوته كما في تاريخ نجد، ولكن بينما هو يحتل الأراضي النجدية، وإذا بمخبر يخبره بحدوث خلل في العراق يهدد مركزه هناك، وبحصول بعض الفتن في نواحي بغداد.

فعطف بجموعه متجهاً نحو البصرة حتى خيم عند قصبة الزبير، فخرج متسلم البصرة إبراهيم بك لملاقاة الشيخ ثويني للسلام عليه، وعندما دخل المتسلم أمر عليه الشيخ ثويني بالقبض واعتقاله. ثم ركب الشيخ مع قومه، وسار إلى البصرة، واحتلها بجموعه. ثم أمر بمصادرة جميع ما يملكه المتسلم. ثم بعد ذلك نفاه إلى مسقط، ومنها توجه المتسلم بنفسه إلى وطنه.

فبادرت الحكومة العثمانية بإصدار الأوامر إلى وزير بغداد سليمان باشا بسوق الجنود نحو البصرة، ومحاربة ثويني، وإخراجه منها، فصدع بالأمر، وخرج الوزير من بغداد في ١٣ جمادى الأولى ١٢٠١هـ يقود الجنود بنفسه نحو البصرة، وبدأ أولاً بالمسير نحو عشيرة خزاعة، وسقاها كأس الردى، وأثخن فيها الضرب لانضمام رئيسها حمد ابن حمود إلى الشيخ ثويني، وكان سليمان باشا قبل خروجه من بغداد كاتب حمود ابن ثامر يستقدمه، فوفد على الوزير حمود منابذاً عمه ثويني.

وبعد أن أخضع الوزير قبائل خزاعة زحف بجنوده نحو بلاد المنتفگ، ولما وصل الموضع المسمى (أم العباس) خيم فيه، وأقام به ثلاثة أيام، وذلك في غرة ١٢٠٢هـ، ولما علم ثويني بقدوم الجنود العثمانية نحوه خرج إليهم بحملة من الأعراب وأهل الزبير بعد أن جعل على البصرة أخاه حبيباً من قبله، وتصادم ثويني مع الجنود بأدنى المجرة عند نهر الفضلية قرب سوق الشيوخ، وجرت بينهما معركة شديدة أسفرت عن انكسار ثويني، وتفرق جموعه، وفراره إلى الجهرة (وهو اسم ماء غرب الكويت). ثم رحل منه متجهاً نحو بني خالد في الصمّان.

وأسندت المشيخة إلى حمود بن ثامر، ولكنها ما لبثت أن عادت إلى الشيخ ثويني ثانية، وظل زهاء سنة أو أكثر، واجتذبها حمود ثانية. ثم استرجعها ثويني ثالثة، ولما استتب تحكمه، واستقرت أموره مع قبائل المنتفگ جعل يحشد الجموع من أعراب المنتفگ وأهل الزبير وأعراب الظفير، وعندما تكاملت جموعه سار بهم نحو نجد في أواخر العام المذكور، واستقدم من الإحساء رئيس بني خالد براك بن عبدالمحسن الخالدي، فجمع المذكور جموعه من بني خالد، وسار بهم نحو ثويني منضماً له ليساعده على ردع الوهابية الذين انتزعوا منه حكم الأحساء، فاجتمع بالشيخ ثويني في الجهرة، وقررا بينهما خطة الدفاع والهجوم، وأقام هناك نحو ثلاثة أشهر حتى تكاملت جنودهما، وجعلت الأعراب الغارة من أمام الوهابية تقدم عليهما من كل حدب.

ثم أن الشيخ ثويني أركب بعض جنوده في السفن من البصرة، ومعهم الميرة، وأمرهم بالمسير نحو القطيف، وزحف هو بنفسه يقود الجنود براً نحو الأحساء، فلما علم بقدومهم محمد بن عقيل قائد جموع الوهابية خامره الخوف، فارتحل بجموعه من قرية، وهو اسم ماء في الطف، حتى نزل بهم أم ربيعة وجودة، فأتى ثويني، ونزل بجموعه في الطف قرب موضع خصمه، فطلب محمد بن عقيل إمداداً من الأمير ابن سعود، فأمده بجموع تحت قيادة حسن بن مشاري بن سعود، وأمره بأن يكون هو القائد العام للجيشين.

فلما وصل المدد إلى ابن عقيل حصل عندهم بعض النشاط، ولكن الشيخ ثويني لم يقصدهم بالحرب، بل أعرض عنهم، وارتحل بجموعه من الطف، وسار حتى نزل موضعاً يسمى الشباك، وهو ماء في أرض بني خالد.

وعند حط الرحال قتل الشيخ ثويني غيلة، وذلك أنه كان منفرداً عن حاشيته أثناء نصب الخيام، فأتاه من خلفه خادم يسمى (طعيساً)، وطعنه برمح بين كتفيه، فخر شهيداً، فقتل ذلك الخادم في الحال، ولم يستنطق عمن عمّده على فعلته، وحمل الشيخ ثويني إلى داخل خيمته ميتاً. ثم دفن سراً في جزيرة العماير، وأراد رؤساء قومه إخفاء موته لئلا تنفلّ جموعهم، وأذاعوا أنه مريض، وجعلوا يطلبون له القهوة والماء تظاهراً بأنه حي، وعينوا أخاه ناصراً وكيلاً عنه، وذلك في ٤ محرم ١٢١٢هـ، ولكن رغم ذلك التكتم فشا خبر موته، فانسل براك الخالدي بقومه، وانضم إلى حسن بن مشاري، فوقع التخاذل والفشل في بقية الجموع، فارتحلوا منهزمين لا يلوي أحد على صاحبه.

مشيخة حمود بن ثامر

ثم استقرت المشيخة في حمود بن ثامر، وقام في الأمر، فأوقع في الخزاعل مجزرة عظيمة[1]، ونكل بربيعة، وقتل رئيسها، وأوقع الرعب في قلوب الوهابيين، وردعهم أيما ردع عن التعرض للحدود العراقية، وقد جرت له عدة معارك مع الفرس بقرب البصرة، وظفر بجميعها، ويعد بحق هذا الرجل في طليعة زعماء هذه الأسرة العظماء، الأمر الذي جعل الولاة والوزراء المنكوبين يلتجئون إليه، ويستمدون القوة منه لاستعادة مناصبهم، وخضد شوكة أعدائهم.

والأجدر من ذلك أنه قد دامت مشيخته أربعين سنة، قضى عشرين منها بصيراً، وعشرين أعمى، وقد أسر في معركة حصلت بينه وبين خصمه عقيل الذي استمد القوة من الدولة العثمانية لمناجزته، لأنه في أثناء المعركة طلب لمن حوله أن يولي وجه فرسه نحو القوم، فيمّموه وأغار، وأخذ يضرب بسيفه دون جدوى، فقبض عليه، وأرسل إلى بغداد حتى مات.

وقد اختلف الرواة بتعيين مرقده، فمن قائل أنه أطلق سراحه لمناسبة طاعون حل في بغداد، وتوجه إلى حلب، ومات دونها، وقبر في التل المعروف بـ (تل أسود)، ومن قائل أنه قبر في بغداد.

---

(١) لقد تكهن عرافو الخزاعل بحصول هذه المجزرة من يد ذلك الشخص، وذلك لظاهرة بدرت منه في حداثته، وتلك هي أنه في المعركة الأولى التي نشبت بين المنتفگ والخزاعل، والتي قتل فيها والده الشريف ثامر كانت الخزاعل قد أسرت رهطاً من المنتفگ، من بينهم السعدوني حمود بن الشيخ القتيل، فقدمت لهم الخزاعل صحناً من الأرز مغروس في رأس القتيل الشريف ثامر إلى الأسرى الذين من بينهم ولده حمود المشار إليه، فانكمش جميع الأسرى، وأمسكوا عن الأكل، ما خلا نجله حمود، فإنه جعل يحول مجاري الدم، واستمر بالأكل، فلما لاحظ ذلك منه العرافون، أخبروهم بسوء العاقبة من الرجل، وأشاروا عليهم بقتله، ولكن العرف والتقاليد الحربية صدتهم عن ذلك. (المؤلف).

مشيخة عقيل بن محمد بن ثامر

فاستلم المشيخة بعده عقيل بن محمد بن ثامر، وقام في أمرها، وبالغ في المحافظة على الأمن فيها، حتى أنه وضع خصافاً من التمر فوق مجموعة من البردي، ووسمها بالسمة المشهورة بـ (الشبيبية)، وأهملها في نهر الفرات، وظلت تتقاذفها الأمواج أمداً طويلاً، وكلما قذفها التيار على ضفة مأهولة دفعها الحي إلى وسط النهر خشية من الشيخ عقيل، تجربة ومقياس منه للأمن.

وقد واجه عدة حروب، منها مع الفرس، ومنها مع ربيعة والخزاعل، وكذلك مع بني عمه بتحريض من الدولة العثمانية، وقد مات في إبان العقد الخامس من القرن الثالث الهجري.

مشيخة ماجد بن حمود

ثم آلت المشيخة إلى ماجد بن حمود، وظل شيخاً حتى وافته المنية، ولم يجر بعهده شيء ما.

مشيخة فيصل بن حمود

ثم تولى فيصل، ولكنها لم تدم[1] له أكثر من سنة واحدة.

(١) في الأصل المطبوع: تدوم، والأصح أنها مجزومة. (مشرف الخزانة).

مشيخة عيسى بن محمد

فانتقلت المشيخة إلى عيسى بن محمد، وذلك سنة ١٢٣٤هـ[١]، ودامت مشيخته ٢٥ سنة، ولم تجر في الفترة التي مرت به حروب سوى موقعة واحدة بينه وبين بني لام، وأسفرت النتيجة عن فوزه، وقد مات محروقاً. إذ كان في تلك الليلة بكنف في عريش من القصب.

(١) الصواب هو ١٢٤٧هـ. (مشرف الخزانة).

مشيخة بندر بن محمد

وبعد موت عيسى بن محمد تولى الأمر أخوه بندر بن محمد سنة ١٢٥٩هـ، ولبث شيخاً إلى أن توفي سنة ١٢٦٤هـ، وهو الذي قال فيه عبدالغفار الأخرس عندما قدم بغداد:[(١)]

قَدِمْتَ فحيَّاك المهيمنُ بندرا ... لترجعَ مسروراً وتمضي مُظفَّرا
وأقبلتَ بالعيد السَّعيد مبجَّلاً ... فهلَّل هذا العيدُ فيك وكبَّرا
بشهرٍ محيَّاك استهلَّ هلالُهُ ... فقُلنا هلالُ العيد لاح مبشّرا
فلا ليلَ إلّاَ فيكَ أَصبحَ مُقمِراً ... ولا صُبحَ إلّاَ في جبينك أسفرا
وقلتُ لنفسي والأَماني لم تزل ... تخيّل لي إمكان ما قد تعذّرا
عسى أن أرى من بعد عيسى وبندر ... ببندر ما قد كنت في بندر أرى

(١) هو السيد عبدالغفار بن السيد عبدالواحد بن السيد وهب. ولد في بلدة الموصل بعد العشرين والمايتين والألف من الهجرة النبوية، ونشأ في بغداد المحمية، ولم يزل يجول في العراق مرتحلا وجلا طوراً مثرياً، وطوراً مقلاً، فتارة في البصرة، وتارة على بغداد، يتنكب الأغوار منها والأنجاد، وفي إبان صباه كان قد أرسله المرحوم الوزير الخطير والمشير الكبير حضرة داود باشا والي بغداد عليه رحمة الملك الجواد إلى بعض بلاد الهند ليصلحوا لسانه الخرس، وما كان فيه من الكلام قد احتبس، فقال له الطبيب أنا أعالج لسانك بدواء، فأما أن ينطلق، وإما أن تموت، فقال: لا أبيع كلي ببعض، وكر راجعاً إلى بغداد، وبقي فيها مدة يكابد منها بعضا من اليسر، وبعضاً من الشدة، وفي عام التسعين بعد المائتين والألف عزم على التوجه إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان ذلك الأثناء في البصرة الفيحاء، فتمرض هناك بعد أن أقعد، وكر راجعاً إلى مدينة الزوراء يكابد الآلام والداء. ثم في شهر رمضان من ذلك العام أيضاً عاد إلى البصرة، وبه من المرض حسرة وأي حسرة، وصار نزيلاً في بيت صاحب البيت المعمور (الشيخ أحمد نور)، فلم يزل ينتقل به المرض من جهة ما عرض لجوهر حياته من أنواع العرض إلى حين الزوال من يوم عرفة، فتوفاه الله، وكان آخر كلامه من الدنيا: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فشيعت جنازته أفاضل البصرة، وبقلوبهم على فقده حسرة وجمرة، وصلوا عليه بعد صلاة العيد، وبعد التكبير والتمجيد، ودفنوه بمقبرة الإمام الحسن البصري خارج قصبة سيدنا الزبير). «عن ديوانه».

وللأخرس قصائد كثيرة بآل سعدون، لا سيما في ناصر باشا، وهي من عيون شعره. راجع ديوانه ص٧١ و١٢٧ و١٢٨ و١٨١ و٢١٨ و٢٢٠ و١٤٢ و٣٧٠ و٤٢٨ و٤٥٥.

رعيتُ بهم روض المكارم مزهراً وأُسْقِيتُ منهم عارض الجود ممطرا
وكانوا على روض المجرَّة أمَّةً تَفَجَّرَ من أيديهمُ الجود أنهرا
وتلك ديار أورِثوها منيعةً حَمَوْها ببيض تقطر الموت أحمرا
فكم طائل قد رامهم بخديعةٍ ولكنَّه ما طال إلّاَ وقصَّرا
وكم قائل لي هَلْ وجدت نظيرهم فقلتُ له أين الثريَّا من الثرى
ذكرت ومن ينساهم القلب ساعةً على أنَّني فيهم أَذوب تَذَكّرا
زماناً بهم طلق المحيَّا ومنزلاً من العزِّ أمسى بالحديد مسوَّرا
تدرّ علينا الخير أخلافها المنى وكان لنا في الدَّهر أنْ نتخيَّرا
أَلم تنظر الأَيَّام كيف تبَدَّلَتْ بأَحوالها والدَّهر كيف تغيَّرا
وكانتْ أُمورٌ ما هنالك بعدها يكادُ لها الجلمود أنْ يتفطَّرا
وقد كانَ ذاك المنهل العذب صافياً بهم قبل هذا اليوم حتَّى تكدَّرا
وقامت لها ساق على سوق فتنة تباع بها الأَرواح بخساً وتشترى
إلى أنْ تلافيتَ العشيرة فارعَوَتْ وأصبح فيها آمراً ومُؤَمَّرا
وأَخْمَدْتَ تلكَ النَّار بعدَ وقودها وقَد أَوْشَكَتْ لولاك أَنْ تتسعَّرا
جمعتَهُم بعد الشتات وسُسْتَهم وأَقْصَيْتَ منهم من عَصى وتكبَّرا
وما راح يستغني عن الرأي عسكرٌ وكم دمّر التدبير والرأي عسكرا
وما كانَ أقواها لديك قبيلة لو انتصرت للبأس نصراً مؤزَّرا
إذا الحرُّ ألفى الضَّيمَ شرط حياته رأى الرأي فيها أنْ يموتَ ويقبرا
لقد فازَ من أصبحْتَ في النَّاس شيخَهم ومن كنتَ فيه هادياً ومدبّرا
دعوتَهُم للخير إذ ذاك دعوةً كشفتَ بها عنهم من الضُّرِّ ما عرا

سلكتَ سبيلَ الأَوَّلـــين فلـم تَجِـدْ عن الرُّشد أو تُلقى عن الـورد مصدرا
سَعَيْتَ إلى المجـد الأَثيـلِ مُوَفَّقاً ومَـن حَـلَّ بالتَّوفيق صَـدراً تصدَّرا

مشيخة فارس بن عقيل

فآلت المشيخة إلى فارس بن عقيل، ولبث شيخاً زهاء سنتين، وبعد ذلك انتزعها منه منصور بن راشد، وذلك سنة ١٢٦٦هـ.

مشيخة منصور بن راشد السعدون

فتولى الأمر منصور بن راشد، والتف المنتفگ حوله، وقى سلطانه بمؤازرة أخيه المغوار ناصر، وظل كذلك وقت. ثم لاحظت منه ومن أخيه الدولة العثمانية تطاولاً عليهما، وعدم الاحتفال بأوامرهما، فعمدت لتغذية روح الحقد الكامن في صدور بعضهم على بعض الناتج من الغيرة الحمقاء، وجعلت تؤمل كل فرد منهم بالزعامة، فاشتد الصراع بينهم، وتفاقمت مشاكل زعامتهم، وبذلك تمكنت من عزل منصور، وعينت بدله فهد بن علي.

ولكنه ما كاد يستلم زمام الأمر حتى عزل، وجيء بصالح بن عيسى، وما هي إلا أيام حتى رفعت يده. ثم أعيدت إلى منصور، ولبث حيناً، فعزل، وجيء ببندر بن ناصر آل ثامر، وقام بالأمر بعض أشهر. ثم عزل، وأعيدت إلى منصور ثالثة، وظل يدير شؤونها حيناً، ولكن ما كان من أخيه ناصر من مناوأة للسياسة العثمانية الرامية لإلغاء المشيخة المنتفگية حدا بالدولة العثمانية بعزله، وإسناد المشيخة إلى فهد بن علي ثانياً، وذلك سنة ١٢٨١هـ.

مشيخة فهد باشا بن علي

واستلم الأمر فهد باشا بن علي، ولبث يدير شئون المشيخة حتى أواخر سنة ١٢٨٣هـ حيث انتزعها منه ناصر، وكان فهد مشهوراً بالعدل والاستقامة.

مشيخة ناصر باشا بن راشد السعدون

تولى ناصر باشا الأمر سنة ١٢٨٣هـ، وقد صادفت توليته تقلص نفوذ العائلة السعدونية، وضعف شوكتها التنفيذية. هاتان اللتان حصلتا من دسائس الدولة العثمانية كما قلنا سابقاً. إذ هي اتخذت معهم سياسة بعث المشاحنات، وخلق المشاكل التي تسبب بينهم الحزازات من جهة، واختزال عشائرهم بوسائل الإغراء من جهة أخرى، وعلى أثر ذلك فقد جامل المرحوم ناصر باشا الدولة العثمانية رغم ما يحمل لها من غل وشنآن، فخضع لها خضوعاً مادياً حيث دفع لها بدل الخراج ككل الأمراء السعدونيين، ووافق على إنشاء مركز متصرفية الناصرية التي سميت باسمه، وعينته متصرفاً عليها، فظل ناصر باشا بصفته متصرفاً من ناحية، وشيخاً من ناحية أخرى.

وفي سنة ١٢٨٨هـ استدعته الدولة العثمانية لغزو الأحساء، فصادف هذا الطلب هوى ورغبة منه، فغزاها في محفل من بواسل المنتفگ تسانده من قطاعات الجيش النظامي، واحتلها، وتحطمت الإمارة الوهابية القائمة بالأمر حينذاك بوقت قليل، وعين عليها متصرفاً، وقفل راجعاً إلى بلاده، وإدارة مشيخته حتى أوائل سنة ١٢٩٢هـ، فحدثت في البصرة فوضى واضطراب، فلم تر الدولة العثمانية بُداً من الاستعانة به، واستقدامه للتنكيل بالعابثين، فطلبت إليه التدخل بالأمر، فاستفزه ذلك، وسارع فتدخل بالأمر، وطارد المفسدين، ومثّل بهم أيما تمثيل. ثم حارب القبائل الفارسية التي كانت تتربص الدوائر، وتتحين الفرص للاستيلاء على البصرة، وبهذه المناسبة قال الأخرس في ناصر:

مَحَوْتَ بسَيف سَطوتك الفَسادا   بحكْمٍ قَد أَرَحْتَ به العبادا

دَخَلْتَ البصرة الفيحاءَ صُبحاً ... ونارُ الشّرِّ تَتَّقِدُ اتّقادا
وقد عَبَثَتْ يدُ الأَشرار فيها ... وطالَ فسادهم فيها وزادا
لقد حَكَمَتْ بها جُهَّال قومٍ ... يَرَوْنَ الغيَّ يومئذٍ رشادا
عَمُوا عمَّا بَصُرْتَ به وصَمُّوا ... فما بلغوا بما صنعوا مرادا
فلو عُرِضَ الصَّوابُ إذَنْ عليهم ... بحالٍ أَعْرَضوا عنه عنادا
وهل تثِقُ النفوسُ بعين راءٍ ... يرى لونَ البياض بها سوادا
تفاوَتَتِ العُقول بما نراه ... مَداركُها قياساً واطّرادا
ومن حقّ الرّئاسة أنْ نراها ... لأَورى النَّاس إنْ قَدَحَتْ زنادا
وأَعلاها لدى الآراء رأياً ... وأرفعها وأطولها عمادا
خطوبٌ ما مضى منهنَّ خطبٌ ... بطارقِ ليلةٍ إلّاَ وعادا
وكم هَدَرَتْ دماءٌ من أُناسٍ ... وأموالٌ لهم نَفِدَت نفادا
بحيثُ الأَشقياء استضعفتهم ... وَقدْ طال الشقا وقد تمادى
ولمَّا ساءَت الأَحوال فيهم ... ولا نَفَعَ الحِفاظُ ولا أفادا
ولم يُرَ مَنْ يُسَدُّ به خِلالٌ ... إذا ما أَعْوَزَ الأَمر السدادا
وباتَ النَّاس في وَجَلٍ عظيم ... يُريعُ السَّمعَ منه والفؤادا
دُعيتَ لكشفِ هذا الضرّ عنها ... ولا يُدعى سواك ولا يُنادى
ومنذُ قَدِمْتَ مدعوّاً إليها ... أَرَحْتَ بما قَدِمْتَ به العبادا
عَلِمْنا أنَّ رأيَك فلْسفيٌّ ... وأنَّك تَكشِفُ الكُرَبَ الشدادا
وتَنْظُرُ بالفَراسة من يقينٍ ... فَتَنْتَقدُ الرِّجالَ بها انتقادا
وما قَلَّدتهم بالرأي منهم ... وَلَمْ تحكُم لهم إلّاَ اجتهادا

لـقـد أَخمـــــدْتَ نـــيراناً تَـلَـظَّـى	وتـلـك الـنـار قـد أمـسـتْ رمـادا
وقَـــــرَّتْ أعــــيُنٌ لــــولاك باتَـــتْ	عـلـى وَجَـــلٍ ولم تـذق الـرقـادا
جُــزِيــتُــم آل راشـــد كـــلَّ خـيرٍ	فـفـيـكُـمْ تـعـرِفُ الـنَّـاس الـرشـادا
لـكـم صَـــدْرُ الـرئاسـة في المـعـالي	وأَنـــتُـــمْ في بـني الـعـلـيـا فُـــرادى
تـديـن لـك الأَقـاصـي والأَداني	وتـنـقـادُ الأُمـــور لـك انـقـيـادا
وقُــــدْتَ صِـعـابها ذُلُـــلاً وكـانـتْ	عـلـى الأَيَّام تأبى أنْ تـقـادا
لـقـد فـــازَ المـشـيرُ بـك اتّـكـالاً	عَـلَـيْـك بما يُـــؤَمّـــل واعـتـمـادا

ولم تلبث الدولة العثمانية أن عينته والياً على البصرة، وفصلتها عن ولاية بغداد، وضمت إليها لوائي المنتفگ والأحساء، فعين ولده فالح متصرفاً على الناصرية، ولم تكد تمضي على ولايته بضعة أشهر حتى ثار أهالي الأحساء، فتوجه نحوهم بجيش جرار، وأخمد ثورتهم، وعزل المتصرف السابق الذي كان هو يومئذ بزيع العريعر، وعين بدله ابنه الآخر مزيداً، وعاد لمركز ولايته.

غدر الدولة العثمانية به

ولا يزال كذلك حتى سنة ١٢٩٤هـ، حينئذ لاحظت الدولة العثمانية أن الأمور قد مهدت لناصر باشا. إذ كان هو والياً على البصرة، وولده فالح متصرفاً على الناصرية، بالإضافة إلى ثروته المالية، فخشيت الدولة نفوذه واستقلاله، وما هي إلا أشهر حتى طلبت إليه الحضور في الآستانة بدعوى انعقاد مجلس الشورى، وكونه والياً، فأجاب طلبها، وذهب للآستانة، وحجز هناك عن المجيء حتى وافته المنية سنة ١٣٠٠هـ.

فالح باشا بن ناصر باشا

بعد أن حجزت الدولة العثمانية ناصر باشا في الآستانة أصدرت أمرها بعزل ولده فالح باشا عن متصرفية الناصرية، وعينت بدله فهد باشا، وما هي إلا أشهر أقالت فهد باشا المذكور، وأرسلت الفريق أحمد باشا لإدارة شؤون المنتفگ، وظل مدة، فلم يستطع الاستمرار بالعمل، فأسند القيام بأمر المنتفگ إلى فالح باشا ثانية بموافقة الدولة، وكر راجعاً.

وبقي فالح باشا يدير شؤون المنتفگ حتى سنة ١٢٩٨هـ حيث سيرت نحوهم (أي نحو آل سعدون) الدولة العثمانية جيشاً عظيماً تحت قيادة عزت باشا، تسانده ربيعة وبنو لام، فلما وصلت القوة قرب الحي بالموضع المعروف اليوم (بأم العظام) تصدى لها آل سعدون تحت راية فالح باشا وعمه منصور باشا وفهد باشا، وغيرهم من زعماء السعدون، فالتقى الجمعان، واقتتلا قتالاً عنيفاً، فأسفرت النتيجة عن انكسار آل سعدون، وجلائهم إلى الشامية. ثم العبور إلى الحويزة، وتلك كانت هي القاضية، حيث منها فارقت السعدون تلك الإمارة العظيمة الشأن.

سعدون باشا بن منصور باشا

أدرك سعدون باشا بن منصور باشا تلاشي كيان العائلة السعدونية، وانحلال شأنها، وذهاب عظمتها بعد عودتها من منفاها، فعمد لاتخاذ البادية مضرباً، وجعل يناجز المشايخ، ويشن الغارات عليهم ناشداً من وراء ذلك إنشاء إمارة سعدونية في الجزيرة العربية على أنقاض إمارتها المتهدمة، ولكن ما كان من اختلاف في وجهة النظر بينه وبين بني عمه، وتخاذل العشائر المنتفگية، وتنصلها من العائلة السعدونية من جهة، وما كان عليه من الحاجة للعدة والعدد من جهة أخرى قد فتّ في عضده، ولكنه لم يثبط عزيمته حيث مضى في شأنه ردحاً من الدهر.

ثم شعر في عجزه شعوراً دفعه لاستنهاض المنتفگ، فاستنهضهم، وألح بالاستنهاض، فلم يجد استنهاضه نفعاً، فعمد لإيذائهم، والنيل منهم. الأمر الذي حملهم على محاربته إلى جنب الدولة العثمانية، وقد جرت له مع الدولة العثمانية عدة معارك، ومن أشهرها معركة (محمد زلام)، ولم تلبث الدولة العثمانية أن قبضت عليه، وأرسلته إلى حلب، وظل فيها حتى مات سنة ١٣٣٠هـ.

الزعيم الخالد عبدالمحسن بك السعدون

هو عبدالمحسن بن فهد السعدون، نشأ بدوياً، وقضى شطراً من حياته في البادية[1]. ثم أرسله والده، هو وأخاه عبدالكريم إلى مدرسة الأشراف التي تأسست في الآستانة، فنجحا منها، وانتميا إلى المدرسة الحربية العالية، وما كادا يتخرجان منها حتى بادر السلطان عبدالحميد، فطلبهما مرافقين له، وظلا بمرافقته حتى إعلان الدستور. ثم استعفيا، وانتسبا إلى الاتحاديين، فعاد أخوه عبدالكريم إلى وطنه، وظل عبدالمحسن في الآستانة حيث تزوج من امرأة تركية. ثم صار نائباً عن لواء المنتفگ في المجلس التركي.

وبعد أن وضعت الحرب العظمى أوزارها جاء للعراق. ثم كر راجعاً إلى الآستانة، وفي سنة ١٩٢٣م عاد إلى العراق، وعين وزيراً للعدلية في وزارة النقيب الثانية. ثم وزيراً للداخلية في الوزارة النقيبية الثالثة، فرئيساً للوزارة. ثم عين رئيساً للمجلس التأسيسي. ثم وزيراً للداخلية في وزارة ياسين الهاشمي. ثم صار رئيساً للوزارة مرة ثانية، وأسس حزباً يدعى بـ (حزب التقدم)، ففني بفنائه. ثم صار رئيساً لمجلس النواب في دورتين. ثم رئيساً لوزارة ثالثة، واستقال. ثم دعي لتأليفها رابعة، فشكلها، وبها صار حتفه كما سيأتي.

---

(١) كان في ذلك الوقت يتلقى دروساً خصوصية عن معلم تركي. (المؤلف).

انتحاره والأسباب التي حملته عليه

كان[١] مجلس العصبة قد أثبت ما قرته اللجنة الأولى -يد بروسل[٢] -على شرط أن تعقد بريطانيا والعراق معاهدة جديدة لمدة خمس وعشرين سنة.

وحملت بريطانيا قرار العصبة، وسارعت في تنفيذه، فوصلت المعاهدة إلى بغداد، فوقعها رئيس الوزارة عبدالمحسن السعدون بعد أن وعده المندوب السامي فيما يتعلق بالاتفاق المالي، وبدخول العراق عصبة الأمم.

ثم جاء الرئيس بالمعاهدة إلى المجلس، فتصدت لها المعارضة، وطلبت أن تحال إلى لجنة خاصة للدرس، فرفض عبدالمحسن السعدون الطلب، وكانوا قد رفعوا إليه عريضة يلحون فيها بالإسراع في المناقشة، وعندما أخرج المتفرجون خرج رجال المعارضة، فلم يبال الرئيس بذلك[٣]، أقفلت أبواب المجلس، واستأنفت الجلسة بكلمة من الرئيس وجيزة صريحة شديدة:

«أيها السادة. إذا رفضنا أن نقر هذه المعاهدة خسرنا الموصل، وما زال الأمر كذلك، فلا بأس إذا جاملنا المندوب السامي في طلبه، بل في طلب وزير المستعمرات، وهو أن يتم الإقرار قبل افتتاح دورة المجلس النيابي البريطاني»، فوافق المجلس بعد الحوقلة والاتكال على الله، وأقر المعاهدة في ١٨ كانون الأول بما يقارب الإجماع.

وفي هذه المعاهدة عاد الإنكليز إلى تعديل نص عهدهم الذي يتعلق بدخول

(١) ملخص بتصرف من كتاب (فيصل الأول) للمرحوم أمين الريحاني. (المؤلف).

(٢) عن مسألة الحدود التركية العراقية. (المؤلف).

(٣) تلك كانت هي الظاهرة التي أوهمت المعارضين، فرموه بالخيانة والمبالغة بالموالاة للإنكليز. (المؤلف).

العراق عصبة الأمم، فجاء كما يلي: (عندما تنتهي المعاهدة الأولى، عملاً بالملحق المعقود في شهر نيسان سنة ١٩٢٣م، وبعد ذلك في كل أربع سنوات متوالية إلى أن تنتهي الخمس والعشرين سنة –أي مدة المعاهدة الجديدة –تنظر الحكومة البريطانية فيما إذا كان ممكناً أن تتوسط لإدخال العراق في عصبة الأمم).

ومن هنا حبطت آمال الوزارة السعدونية، وأيقنت بسوء العاقبة، ولكنها ظلت متأملة حتى أبرمت المعاهدة الثلاثية التي عقدت في أنقرة في الخامس من شهر حزيران سنة ١٩٢٦م، فاعترفت تركية بخط (بروسل)، وسلمت للعراق بولاية الموصل، ولما رأت أن المعاهدة المشار إليها ما حلت من العقد كلها غير عقدة واحدة، هي الحدود التركية العراقية، وظلت الاتفاقات الإضافية، المالية منها على الأخص والعسكرية، مفتوحة للبحث للمحادثة، للنزاع بينما هي كانت تنتظر على الأقل تسوية المشاكل المالية، وتقويمها في اتفاق جديد، فقد استعفى رئيسها عبدالمحسن حرداً ناقماً، وشكلها السويدي حتى شهر آب سنة ١٩٢٩م، فأقيلت الوزارة السويدية، وكلف عبدالمحسن السعدون بتأليف وزارة وطنية قوية تتمكن من معالجة الأمور في تطورها الجديد، فقبلها على شريطة أن تقبل الحكومة البريطانية اقتراحات المندوب السامي القاضية بإلغاء الشرط الذي يقيد وعدها بالتوسط لدخول العراق في عصبة الأمم.

نظرت تلك الحكومة في الاقتراحات المرفوعة لها من قبل المندوب السامي نظرة جديدة، فبدت لها هذه المرة في غير وجهها السابق. أو بالحري بدأت الحكومة ترى ما فيها من العدل والإنصاف والحكمة الناضجة، وقد تيقنت أن العراق تقدم تقدماً يذكر في السنوات الخمس الأخيرة، فظهر التحسن خصوصاً في إدارته المالية، وفي الأمن العام.

لذلك كان جوابها صريحاً جلياً مقنعاً، فقد تضمن الوعد الشافي غير المقيد بشرط ما أن ترشح العراق للعضوية في عصبة الأمم في عام ١٩٣٢م، وأن تعلم مجلس العصبة بذلك في جلسته المقبلة، كما أنها قررت العدول عن معاهدة ١٩٢٧م، فسرّ عبدالمحسن السعدون وتفاءل، وافتتح أول جلساته (١٩ أيلول) بخطبة رائعة مجنحة،

وهو فخور أن وزارته هذه تمثل البلاد كل التمثيل، ومتيقن أن ستكلل أعمالها بالفوز الباهر.

بيد أن الأقدار قد استمرت في تمردها، وما لبث المتفاوضون أن علموا أن قلب المسألة لم يتغير تغيراً يذكر، فقد كانت الحكومة البريطانية تظن أن وعدها المطلق بالتوسط لدخول العراق في عصبة الأمم يحمل العراقيين على قبول المعاهدة الجديدة، وإن كانت بمضمونها لا تختلف كثيراً عما تقدمها.

وفضلاً عن ذلك قد اختلف المتفاوضون مقاماً ومزاجاً، فالذي مثّل المفوضية -أي المفوض السامي بالنيابة -كان[1] يثير الأحلام، ولا يسودها، وكانت الوزارة فيما سوى فكرة التعاون[2] على اختلاف أو تباين في العقليات والنزعات.

أضف إلى ذلك أن العقبات الثلاث الكأداء كانت لا تزال قائمة في طريق المفاوضات، وهذه العقبات هي: الاتفاق المالي، والاتفاق العسكري، وقوة الطيران البريطانية في العراق، فالوطنيون المتطرفون يتقدمهم ياسين الهاشمي استمروا يحاجون بخصوص ملكية مرفأ البصرة، وسكة الحديد العراقية، وثمنها، وأصروا على التجنيد الإجباري بمساعدة القوات البريطانية إذا اقتضى الأمر، وظلوا يعترضون على إنشاء قوة بريطانية للطيران في العراق لأن ذلك ينافي السيادة الوطنية والاستقلال.

أما الرئيس عبدالمحسن، فقد كان يرى رأيه السديد في التطرف وأضراره، ويحاول أن يبني جسراً للعبور بين وزارته والمفوضية، وكان في بعض الأحيان يرى عجز المفوضية أو ترددها في التعاون، فيخرج عما ملك من نفسه، محتدم الغيظ، منددا، مهدداً، فأثار ذلك عليه المتطرفون والإنكليز معاً.

---

(١) أن المندوب السامي الذي جرت بعهده المأساة هو غير المندوب السامي الذي قدم اقتراحات للحكومة البريطانية يطلب فيها رفع الشرط الذي يقيد دخول العراق في عصبة الأمم، وقد كان المندوب السامي الذي رفع الاقتراحات مشهوراً في الميل إلى العراق، بل العرب، وقد مات قبل وصول الموافقة على اقتراحاته بثلاثة أيام، واسمه: السر غلبرت كلايتون. (المؤلف).

(٢) قام من بين أعضاء الوزارة ياسين الهاشمي وناجي السويدي ونوري السعيد. (المؤلف).

وقد فاته، وفات زملاءه أن عصبة الأمم نفسها قد ترفض قبول العراق عضواً فيها بالرغم من توسط بريطانيا العظمى، هذا الوجه الجديد من وجوه المحتمل عرضه المندوب السامي (الجبار) بالنيابة، فزاد في الطين بلة، فغمز السعدون قناته في إحدى المحادثات، وقد ذكره في جلسة أخرى بأن عبدالمحسن السعدون هو الوحيد من وزراء العراق كلهم الذي وقف في أحرج المواقف دفاعاً عن الإنكليز.

وما كان (الجبار) بالنيابة ليلين، فازداد سخط عبدالمحسن، وفي مجلس الملك فيصل ذات ليلة ضرب المائدة بيده، وهو يقول للمندوب السامي بالنيابة: (لا أقبل هذا منك، وأني أذكرك بأنك تخاطب رئيس الوزارة العراقية).

إلا أنه استمر في سعيه لإقناع المتطرفين، وإلانة جانبهم، فكان يجادل ويجامل، فيحسن الحجة، ويحسن النصح، وكان عند تشبثهم بغير المعقول يعصف ويزمجر ويرتعد. تنازعت في صدره الوطنية والحقيقة، بل نظراً وعملاً، وكفى بالمرء هذا الاضطراب، وهذا الشقاق الداخلي، أضف إلى ذلك ما جاءه من الخارج، مما زاد في محنته، فقد حملت عليه صحافة بغداد حملات منكرة، وتكاتفت حوله غيوم المفوضية، وهي مثقلة بالغل والشنآن.

أجل، كان السبيل سبيله يزداد كلما تقدم فيه غلظة وشدة وظلاماً، فصار يسمع أصواتاً تناجيه، ولا تؤاسيه. سمع همس الباطل، وسمع همس القدر، بل رأى نفسه بين حجري الرحى، أي الواجب والشرف، ولم يكن في إمكانه أن يرجع، ولا أن يتقدم. تقطعت في صدره أوصال العزم والإيمان. أوقفه العجز، واستولى عليه القنوط، فإذا كان لا يستطيع أن يسكت المنددين به من أبناء وطنه، والمتحاملين عليه من الإنكليز، أفلا يستطيع أن يسكت قلبه. أن ينزع منه لسان الحياة، لقد سأل نفسه غير مرة هذا السؤال.

وفي ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩م أجاب عليه جواباً فاصلاً نهائياً حيث انتحر، وكتب وصيته الخالدة.

الوصية

(الأمة تنتظر الخدمة. الإنكليز لا يوافقون. ليس لي ظهير. العراقيون الذين يطلبون الاستقلال ضعفاء، وعاجزون، وبعيدون كثيراً عن الاستقلال. هم عاجزون عن تقدير أمثالي من أصحاب الشرف. يظنونني خائناً للوطن، وعبداً للإنكليز. ما أعظم هذه المصيبة. أنا الفدائي لوطني الأكثر إخلاصاً قد جرت عليّ أنواع الإهانات، وتحملت أنواع المذلات. وما ذلك إلا من أجل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها آبائي وأجدادي).

وقد أفاض الكتاب والشعراء بفاجعته هذه، وسنذكر بعضها:

خطبة الهاشمي

اسمحوا لي يا سادتي أن أنسى في هذه اللحظة موقفي فيما يتعلق بالمسؤولية، وأن أؤبن الراحل العظيم بصفتي معارضاً في هذا المجلس، وأن أتكلم عما كنت أشعر به في مختلف الأوقات، وإن كان الكلام الذي ليس مقروناً بالأعمال لا يفيد، خصوصاً الكلام الذي يصدر بلا تفكير!

وهل من سبيلٍ إلى التفكير في هذه اللحظة التي فيها ننظر إلى رسم الفقيد الكريم. مكللاً بالزهور، وروح الفقيد اللطيفة ترفرف على رؤوسنا؟

أخشى أن تأخذني العاصفة الهائلة التي تقلع الأشجار المورقة التي تسكن فيها الطيور، وتنشئ أوكارها!

لقد قلع الكثير من تلك الأفكار الرديئة المسببة من دعايات مضرة، وظهر للعيان أن القائم على الكرسي ليس خائناً للوطن!

أستميح كل سامع، وأستميح الرقيب الذي يرقب كل حركاتنا، ويرقبنا حتى عندما نشرع في القيام بواجباتنا نحو الراحل الكريم!

لا أدري بأية ناحية من نواحي مزاياه أبدأ، أأبدأ بالناحية الخلقية أو النفسية، وأنتم كلكم شاهدون ما هو عليه من النبل والكرم.

أكتفي بالإشارة إلى ذلك الأدب الجم، والابتسامة الخلابة التي ما كانت تفارقه. أما تواضعه الخلقي، فقد أثار فيكم، وفي خصومه الإعجاب العجيب، فلم يتكلم عن نفسه في حياته. إنما أظهر كل ما في نفسه عند مماته، وسن لكم منهاجاً مستقيماً

كتبه بدمه الزكي.

لم يكن الراحل العظيم بالخطيب المفوه، والقانوني البارع، ولم ينبغ من شعبة الفن. هذا صحيح، وكم خانه البيان في التعبير عما يريد قوله من الرد على كلام المتكلمين!

كم من مرة اكتفى بالقول البسيط للتعبير عن أوضاع السياسة المعقدة!، ولكنه كان بعيداً في سكوته العميق عن الهفوات، وعادلاً في حكمه على خصومه!

إنه في هذا قد كان وحيداً وعظيماً. أما إذا أردتم إلا النبوغ، فإنه قد نبغ في فن واحد عظيم مهيب، وهو فن التضحية العظيمة بالنفس في سبيل الوطن!

(لقد رفع رؤوسكم بهذه التضحية العظيمة رغم الأنوف الشامخة، وخصوصاً الكبير منها).

هل أحدثكم الآن عن حياته السياسية، وكلكم شركاء له، وكلكم شهود عليها؟، وهل هنا متسع من الوقت الثمين لذكر كل ما يجب ذكره في هذا الموضوع؟

أنا لا أرى في هذه الندوة سوى جلال الراحل العظيم الذي اقتطف من بينكم، وهو أسطع زهرة من زهور العراق، وهو الرئيس في كل شيء.

لقد ابتدأ بالصداقة مع البريطانيين ساعياً إلى التفاهم والتآزر من أجل مصالح العراق، وسار في هذا الطريق لأنه رأى البلاد تحتاج إلى ذلك ما دام كيانها مهدداً. ثم أمعن النظر في الأمر، وبالغ في الإمعان حتى ظن صديق له ورفيق في عمله أنه قد أصبح لين القياد لأن يساق إلى مذبح الاستعمار، ولكن خاب ظنه عندما ظهر ما في قلب الفقيد من صلابة وإباء!

لقد نسي خائب الظن منبت الفقيد، وغاب عنه أن البادية التي أنجبت أجداده لا تثمر إلا النفوس الأبية، ولا تغذي بألبانها إلا الأصول الزكية الوطنية!

أما وقفته الأخيرة في هذا المجلس، فقد كانت عظيمة جداً، وقد أصبحت أعظم

عندما أعقبها بتضحيته العظيمة!

كان ناقماً في تضحيته، وصادقاً بكلامه الذي خطه بدمه!

قد أراد البرهان على الاستقلال، فقيل له هذه الجنود البريطانية والطيارات والموظفون يهدونكم إلى الاستقلال!، فقال وهل كل ذلك في سبيل استقلال العراق؟، ولماذا أنتم تحرسون البلاد، وإلى متى تطير طياراتكم في أجواء البلاد، لماذا لا تتركون هذه كله لنا نقوم به نحن العراقيين؟

شهد الفقيد العظيم الوطن المسمى بالطفل العراقي يتألم من اليد الخشنة الماسكة معصمه، واسمها يد المشورة، وكان الطفل العزيز يحس بوخز الأظافر النافذة في جسمه وقلبه.

شهد الفقيد الكريم هذا، وتعذب، وسعى إلى إصلاح حال الطفل. ثم فداه بدمه، مبيناً في وصيته ما دعاه إلى ذلك.

بدأ الراحل العظيم وصيته بالاستغفار من ابنه، وأن نستغفر من روحه كل ما صدر منا من المعارضة والمخالفة، فإننا ما كنا نعارض ونخالف شخصيته، وما كنا نقصد إلا أن نعبر عن آرائنا بالصراحة التي عودنا إياها. كنا نريد مساعدته ليفهم الصديق أماني البلاد.

شكاه، وله ملء الحق أن يشتكي من أنه بلا ظهير، ولكن هل لي أن أصرح بتلك الشكايات على رؤوس الأشهاد؟، ولكن لا بأس من القول، قد قام الراحل العظيم بكل هذه الأعمال، ولم يسمع منا إلا التنديد والتنقيد. إنه لم يشكر له عمل!

فإن بكى العراق على هذه التضحية العظمى فما عليه إلا أن يتذكر المنهاج الذي خطه الفقيد بدمه، والعبارات النارية التي أملاها عليكم في خطبته الأخيرة.

العظام يخلدون بأعمالهم في حياتهم، ولكنكم تعلمون أن الحظ لم يسعد الراحل

العظيم أن يقوم بما كان يريده من الأعمال البارزة في حياته، إلا أنه قد قام بأعظم عمل بارز، وذلك في تضحيته هذه، فعليكم أن تقطعوا عهداً على أنفسكم بأن تسيروا بأمانة وإخلاص على مبادئه، وتحققوا رغائبه، وأسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته.

إلى روح زعيم الأمة السعدون

قصيدة الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري:

فيم الوجوم؟ وجومكم لا ينفعُ نفذ القضاء، وحُمَّ ما لا يدفعُ

فيم الوجوم؟ (أبو عليٍّ) قد مضى وقد انقضى الخير الذي يُتوقّع

وقد اختفى رمز البطولة، وانطوت تلك المحاسن والشمائل أجمع

***

الشعب محتشدٌ هنا يتسمّع ماذا يقول الشاعر المتفجّع؟

احذر لساني أن تكون مقالةً ليست تليق به، فإنّك تُقطع

يا سادتي أما اللسان فواهنٌ متلجلجٌ، فلتلهبنكم أدمع

يعتاق إبداعي ارتباك عواطفي فإذا ملكت عواطفي فسأبدع

وستحمدون قصائداً مهما علتْ قدراً، فقدر (أبي عليٍّ) أرفع

***

أُمّوا ضريح (أبي عليٍّ)، واكشفوا فيه الرؤوس، وفي الشدائد فافزعوا

وإذا ألمّت بالبلاد مصيبةٌ فتوسّلوا بزعيمها، وتضرّعوا

قولوا له يا من لأجل بلاده هدراً مضى إنّ البلاد تُروّع

هذا الضريح ضريح أمّة يعربٍ فيه خيار خصالها متجمّع

إن كنت لم أسجد، ولم أركع، فما ... قدري ركعت عليك أو لا أركع؟
فسيركع التاريخ فوقك كلّه ... وسيركع الوطن الذي بك يمنع
وسيركع الجيل الذي شرّفته ... وتمرّ أجيالٌ عليك وتركع
ولسوف تركع نخوةٌ، ورويّةٌ ... وشهامةٌ، وصراحةٌ، وتمنّع
للموت فلسفةٌ وقفتُ إزاءها ... متخشّعاً، وبرغم أنفي أخشع
أ يموت شهمٌ تستظلّ بخيره ... دنيا، ويبقى خامل لا ينفع؟
ناشدتهم، وقد اعتليت حفيره ... أ (أبو عليٌّ) وسط هذا مودع؟
أو تهزؤون بقدره ما هذه ... الأحجارُ ما هذي الصخور الأربع؟
أ هنا ينام فتى يُهاب، ويُرتجى ... أ هنا يُعاف فتى يضرُّ، وينفع
انهض فُديتَ (أبا عليٍّ)، وارتجل ... بين الجموع قد استتمّ المجمع
واسمعْ تشرّف باستماعك قيلتي ... أسفاً، وإنّك ميّتٌ لا تسمع
ماذا فعلتَ؟ لقد أتيت عظيمةً ... ينبو الأريب بها، ويعيا المصقع
وافت مروّعةً، فهوّن خطبها ... وأتت أناساً هادئين، فروّعوا
أ علمت إذ أطلقتها ناريّةً ... ما أنت بالوطن المفدّى تصنع؟
وإذ انتزعتَ زناده مستورياً ... عن أيّ شكلٍ للمواطن تنزع؟

***

يا مدفع الأبطال إنك حاملٌ ... من كان ينهض حين يعجز مدفع
من خاض أمواج السياسة رافعاً ... رأساً، وربّ مخاضةٍ لا ترفع
يمشي إليها بالرويّة مدركاً ... بالشبر ما لا تستطيع الأذرع
يكفيك من أبناء شعبك غيرةً ... حمراء أنْ صنعوا الذي لم يصنعوا

نصفان بغدادٌ، فنصفٌ محشرٌ ... ساحاته اكتضّت، ونصفٌ بلقع
متماوج الأشباح حزناً ما بهِ ... إلّا حشاً دامٍ، ووجهٌ أسفع
مرصودةٌ ستّ الجهات لساعةٍ ... نكراء محسودٌ بها المتطلّع
وتوجّع الملك الهمام، ولم يكن ... إلّا لأعظم حادثٍ يتوجّع
وانقضّ فوقك كالعقاب، وإنه ... لسواك عن إلمامةٍ يترفّع
وهفا فؤادٌ كالحديد، وأسبلتْ ... عينٌ تفاخر أنّها لا تدمع
ولقد يعزّ على المليك، وشعبه ... والمشرقين نجيعك المتدفّع
لا يرتضى الوطن الذي فدّيته ... بالنفس أن تدمى لكفّك إصبع

***

هبة العروبة للبلاد. أ هكذا ... مستدمياً متظلّماً تُسترجع؟
تأريخ شعبٍ سُوّدت صفحاته ... فأتى فبيّضهنَّ هذا المصرع
هذي الرجولة ضُيّعت ممنوحةً ... واليوم يُعرف قدرها إذ ترفع
حصدتْ خصومك حسرةً وخجالةً ... حتى لودّوا أنهم لم يزرعوا
كانت حياتك للبلاد منافعاً ... جلّى، وإنّك في مماتك أنفع
غيّرت راهنة الأمور بطلقةٍ ... مستقبل الأوطان منها يلمع
يُنسى دويّ مدافعٍ وعواصفٍ ... وأزيزها حتى القيامة يُسمع
ووقفت أقطاب السياسة موقفاً ... يرتدُّ حيراناً به المتضلّع
يتساءلون بأيّ عذرٍ نختفي ... عن شعبنا، وبأيّ وجهٍ نطلع؟
واسترجعوا أحكامهم مرفوضةً ... ناسٌ بحكمهمُ عليك تسرّعوا
غطّى على المتبرّعين مبجّلٌ ... بحياته لبلاده يتبرّع

قـولـوا لأشـبـاه الـرجـال تـصنّعاً إلّا تـكـونـوا مـثـلـه، فـتـقـنّـعـوا
لا تـزعـجـونا بالـتـشـدّق إنّـنـا بـسـوى الـتـخـلّص منكمُ لا نقنع
قـد يـدفـع الـدم مـا يحـيـق بأهـلـه فـإذا صدقتم بادّعـاءٍ، فـافعـلوا

***

أمـا كـتـابـك فـهـو أفـضـل مـا وعـى واعٍ، وخـزي مـعـاشـرٍ إن لم يـعـوا
طـرسٌ عـلـى الـتـاريـخ يـفـخـر أنّـه مـن كـلّ مـا يحـوي أجـلُّ وأرفـع
دسـتـور شـعـبٍ لا يُمـسّ، وشـرعـةٌ هـي فـوق مـا سـنّ الـرجـال وشـرّعـوا
هـذي الـوصـيّـة ذخـره إن أعـوزت طـيّـارةٌ، وبـنـادقٌ، ومـدرّع
مـشـت الأنـامـل هـادئاتٍ فـوقـهـا والمـوت يمـشـي بـيـنـهـنّ ويـسـرع
قـرّعـت شـعـبـك أن يـعـقّـك، مـرحـباً بأبي الـبـلاد عـلـى الـعـقـوق يـقـرّع
وشـكـوتـه أن لـيـس يـسـمـع ناصـحـاً نم هـادئاً إنّ الـبـلاد سـتـسـمـع

محمد مهدي الجواهري

* * *

القصيدة التي ألقاها الأستاذ الملاح:

فـوادحُ خـطـبٍ سـيـلـهـا مـتـتـابـعُ وأحـداث دهـرٍ كـلّـهـنّ فـواجـعُ
إذا قـلـتُ ثـاني الحـادثات قـد انـقـضى جـرى ثـالـثٌ في إثـره ثمّ رابـع
فـتـلـك فـلـسـطـينٌ تـفـيـض جـروحـهـا ومـن سـوريا دامٍ يـسـيـل ودامـع
ومـصـرَ عـلـى جمـر المـطـال كـأنّهـا مـن الـيـأس بحـرٌ مـوجـه مـتـدافـع
عـلـى الـشـرق فـتـقٌ في الـسـويـس بـلـيّـةٌ فـهـل ثمّ كـيـمـا يخـلـص الـشـرق راقـع

وفي المغرب الأقصى تئنّ عروبةٌ   لأنبائها تستكّ منّا المسامع
وفي الشرق ضجّاتٌ كضجّات مغربٍ   كما ضاعفت نسخ الكتاب الطوابع
كأنّ ربوع الشرق في زفراتها   براكين زادت شرّهنّ الزوابع
سينتبه النوّام من غفلاتهم   قياماً، فلا يبقى على الأرض هاجع

***

وفي (الرافدين) اليوم أعظم نكبةٍ   لوقعتها ثارت لعمري الزعازع
لقد طبق الأرض الحداد، فصبحها   كجنح الدياجي فارقتها الطوالع
هنالك حزنٌ للهضاب مجلّلٌ   سواداً، وحزنٌ جلّلته الأضالع
تتخالف الأحوال في درجاتها   كذا اختلفت أحوالهنّ المصارع
فثمّة شهم حتفه في يمينه   وثمّة فدمٍ للحتوف يصانع
وثمّ فريقٍ للزمان مسالمٌ   وثمّ فريقٍ للزمان مقارع

***

فقدنا بعبدالمحسن الشرف الذي   لسائر أنواع المكارم جامع
وما كان عبداً للمحاسن إنّما   له كامل الإحسان كالعبد تابع
إذا التمس الأقوام مجداً مخلّداً   فذلك مجدٌ بين برديه قابع
غذته السجايا الصالحات بثديها   فما مثله يُلفى لدى الناس راضع
تأثّر أشياخاً لدن كان يافعاً   فأصبح شيخٌ يقتفيه، ويافع
أراد أناسٌ أن يجاروه في العلا   وكيف تجاري الجون صفراء فاقع[1]
ضحيّة قومٍ ما دروا كنه فضله   ولا عرفوا سرّ الذي هو شائع

(١) الجون: الفرس الأدهم. (المؤلف).

وربّ كـريمٍ ضاع بين معاشرٍ كعقدٍ نفيسٍ، فهو في الفحم ضائع
كعثمان في الأشرار راح مجندلاً ولم يرض أن يحمي الحشاشة دارع
فوالله ما خان البلاد سوى امرؤٍ به سعةٌ في شدقه، فهو بالع

***

سليل العلا هلّا التمست ذريعةً سوى الموت إذ سدّت لديك الذرائع
وأنّى لجفنٌ منك غضّ على القذى غداة هوت فوق الرؤوس المقامع؟
وقال لشريانٍ يحول به الإبا لي الذمّ أن يمنعك منّي مانع
أيجري دم الأمجاد فيك، وأمّتي لقد قُصمت منها الظهور الفظائع؟
رأيت اعوجاجاً ظاهراً، وتلوّناً فلا عضد لي يوم الكفاح يُشايع[1]
فقدتُ مطيعاً بينهم لنصائحي ولم يبق لي إلّا المسدّس طائع
فخذ طلقةً منهُ أقيك بها الردى فإنّ الردى عيش الفتى، وهو ضارع
زرعتُ لآمال العراق نواتها إذا أحسنوا استغلال ما أنا زارع
فليست نواة المجد إلّا (رصاصةٌ) يمنّ بها يوماً على القلب صادع

***

حليمٌ تأنّى في الحياة، وفي الردى تأنّى على أنّ النفوس جوازع
فخطّ كتاباً باليراع، ودونه يراعٌ لأبواب المنيّة قارع
يراعٌ به خطّ الوصاة لأهله وآخر خطّ المجد، وهو مسارع
فتلك حروفٌ في الطروس كئيبةٌ وذاك وسامٌ في التراب لساطع
فيا لك (طغرا) نُمّقت بمسدّسٍ غدت في جباه العرب منه لوامع

(١) في الأصل المطبوع: عضدي، والصواب ما أثبتناه. (مشرف الخزانة).

أسـال دمـاً فـوق الـترائـب قـانيـاً ... ولـكـن بـدت مـنـهُ صـفـاح نـصائـع
(كميتٌ) جرى من صدره، فجرى به ... كـميتٌ إلى صـدر الـفخار يـسارع[1]
لـقـد طـوّع الـعـليـا نجيـع انـتـحـاره ... كـمـا طـوّقـت أجـيـادهـنّ الـسـواجـع

***

فـمـن يـنتـحـل مـن بـعـد ذا وطـنـيّـةً ... ولا يـنتـحـر، فـهـو الـكـذوب المخـادع
ولـيـس مـرامـي أن تـضـحّـي خـلائـقٌ ... ولـكـن مـرامـي أن تـضـحّـى المنـافـع
قـيـاسٌ صـحـيـحٌ لا يـنـافـيـه مـنطـقٌ ... وإن خـالـفـتـني في الـقـيـاس مـنـازع
فـمـا دنّـس الأقـوام، وهـي بـريـئـةٌ ... سـوى أنـفـسٍ قـد دنّـسـتـهـا المطـامـع
هـم اتّخـذوا دعـوى الـبـلاد بـضـاعـةً ... فـبـارت لـسـوء الـقـصـد مـنـهـم بـضـائـع
لـعـمـرك مـا ضـعـف الجـسـوم بـلاؤنـا ... ولـكـنّـمـا أخـلاقـهـم والـطـبـائـع

***

تأثّـل مـلـكـاً فـوقـهـا كـلّ نـاكـثٍ ... وصـار لـه فـيـهـا قـرىً ومـزارع
وأثـرى بأمـوال الـرجـال أجـانـبٌ ... ومـات مـديـنـاً ربّهـنّ المـدافـع
ولا يحـمـل الـنـفـس الـكـريمـة في الـورى ... أخـو بـطـنـةٍ مـنـه الـكـروش جـوائـع
يـرى المجـد كـلّ المجـد في حـشـو بـطـنـه ... وإن أضـحـت الأوطـان وهـي بـلاقـع
فـلا ديـن صـدقٍ وزاعٌ لخـلاقـه ... ولا شـرف عـن غـيّـه هـو رادع
ألا أنّ زنـداً مـن حـلى الخـير عـاطـلاً ... لـتـفـضـلـه عـنـد الـقـيـاس الأكـارع

***

(١) الكميت: الأول الدم، والثاني الفرس. (المؤلف).

دوى الجوّ لمّا زايل النعش داره	وغصّت بأعناق الرجال الشوارع
ينوء به في الحمل كاهل مدفعٍ	كما لو تولّت حمل ليثٍ أصابع
على أسل الأجفان فليحمل الورى	جنازة (قرمٍ) غسّلته المدامع
بأية عينٍ رحت تبكي مظفّراً	كنائسها يبكينه والجوامع
فما خصّ أرضاً دون أرضٍ بعطفه	كما لم تخصّصها الغيوث الهوامع
غدا البرق مشغولاً بنعي مهذّبٍ	وبردٍ على آثاره ومطابع
مجامع يوم الارتحال تقوّضت	وقامت على أنقاضهنّ مجامع
كذا الشمس لو مالت عن المركز الذي	تدور به اختلّت هناك المطالع
دوت طلقةٌ ليلاً بآفاق دجلةٍ	فيا (مكدونلد) هل لها أنت سامع؟
تململ منها راكدٌ وتحرّكت	شجونٌ وهاجت بالنيام المضاجع
وطلقة نارٍ في مخارم عاشقٍ	سيلقى صداها شاسعٌ ثمّ شاسع
رأيت رخيصاً كل ما العرْب قدّموا	وهذا دمٌ غالٍ فهل أنت قانع؟
تصاممت كالأسلاف عن صوت أمّةٍ	إلى أن دوت في الخافقين المرابع
توارثتموها كابراً بعد كابرٍ	خلائق يُخطي من يقول بدائع

***

على صفحات الرافدين شهادةٌ	مسطّرةٌ لولا المياه موائع
ستحفظها في صدرها قطراتها	وتحيي بمزنٍ حمّلتها مراتع
ويروى بها زرعٌ وضرعٌ وضمن ذا	سيروى بها جيلٌ مع الزرع يانع
إذا هطلتْ فوق الشوامخ طأطأتْ	ذراها كما صلّى إلى الحق خاشع

***

شرائع دهرٍ لا يحول قضاؤها ولـلـدهر بين العالمين شرائع
فأما قويٌّ نافذ الحكم في الدّنا وأما ضعيفٌ فهو للحكم خاضع
فيا شعب قحطان احتمل كلّ جفوةٍ إلى أن تماشي جانبيك المدافع
وحتّى ترى في ساحتيك فيالقٌ ينادون لا استقلال إلّا المعامع
فمولود الاستقلال ما حملتْ به إناثٌ، ولكن حمّلته المعامع
قوابله أيدي الكماة، وحزمهم حضانته، والمرهفات المراضع

***

تسلّل شعري في رثاء مكّرمٍ وفاضت به بعد الجمود منابع
عيون القوافي ساعدتنا على البكا غداة شكت منّا العيون الدوامع
إذا رفع الإنسان قدر بلاده فكلٌّ له بالقول والفعل رافع
وإن وضع الإنسان قدر بلاده فكلٌّ له بالقول والفعل واضع

***

إليك حفير الترب جثمان ماجدٍ رجعنا به، والكلّ للترب راجع
وديعة قومٍ لا تُردّ لأهلها إذا أدّيت يوم الوفاء الودائع
وما آل سعدونٍ مصابون وحدهم ولكنّهم في ذا المصاب طلائع
ولولا افتئاتٍ واهتضام لحقّهم لقلت لهم أنتم بهذا توابع
فليس عليكم كارث الأمر واقعاً ولكن على أهل العراقين واقع
أقيموا له نصباً بذروة حالقٍ وصوغوا رواياتٍ عليه وطالعوا

فـمـا عـطّـر الأرجــاء مـثـل شـذى فـتيً تـــبرّع بالــغــالي، ومــــا ثمّ بائـع

محمود الملاح

ميتة البطل الأكبر

القصيدة التي ألقاها شاعر العراقي الكبير معروف الرصافي:

هكذا يدرك في الدنيا الكمالُ ... هكذا في موتها تحيا الرجالُ

هكذا يشرف موت المبتغي ... شرفاً ليس إذا ريم ينال

من كعبدالمحسن الشهم الذي ... حقّهُ بالموت عزٌّ وجلال

ما بعبدالمحسن السعدون إذ ... رام قتل النفس مسّ وخبال[1]

بل رأى أوطانه يرهقها ... من بني الغرب انتداب واحتلال

فانتضى الهمّة كي ينقذها ... كانتضاء السيف ما فيه كلال

مارسَ الأحوال حتى أنّهُ ... شاب في إصلاحها منه القذال

أعمل الرأي، وقد جادله ... فيه بعض القوم، واشتدّ جدال

خذلوهُ، فاغتدت آراؤه ... كسهامٍ كسرت منها النصال

كم غدا ينصحهم حتى إذا ... راء أنّ الداء في القوم عضال

ورأى أن الذي يرجوه من ... طلب استقلالهم شيء محال

جاد للأوطان منه بدمٍ ... لسوى أوطانه ليس يُسال

والفتى الحرّ له في موته ... سعةٌ إن ضاق بالنفس المجال

إنّه لما أرادت نفسه ... ميتةً حمراء ما فيها اعتلال

---

(١) ستقرأ لنا تعليقا على ذلك. (المؤلف).

ميتة الأبطال فيها شممٌ طأطأت من دونه الشمُّ الجبال
نال بالموت حياةً ما لها أبد الدهر فناءٌ وزوال
هو حيّ أبد الدهر، فما ضرّهُ من هذه الدنيا انتقال
إن يكن قد زايل القوم، فما لمساعيه عن القوم زيال
أو يكن عن أعين القوم اختفى فله في أنفس القوم خيال
وإذا التأريخ أجرى ذكره أخذ التاريخ بالفخر اختيال
فاندبوا يا قوم منه بطلاً هو للأبطال حسنٌ وجمال
وأقيموا عالياً تمثاله فهو للأوطان عزٌّ وجلال
واقصدوا مرقده حجّاً فلا غروَ أن شدّت لمثواه الرحال
واتركوا الغرب وأهليه ولا تسمعوا منهم إلى ما قد يقال
وعلى أنفسكم، فاتّكلوا خاب من فيه على الغير اتّكال
فالمواعيد التي قد وعدوا كلّها منهم خداعٌ واحتيال
كلما قال لنا ساستهم نقضت أقوالهم منهم فعال
هكذا كونوا، وإلا فاعلموا أنما استقلالكم شيءٌ محال

تعليق: وما كان مجنوناً ولا سكراناً:

لقد تعرض البعض للمرحوم عبدالمحسن بانتحاره، فمنهم من رماه بالنوبة الجنونية، ومنهم من قال أنه سكران، إلى غير ذلك من الأقوال الشائنة، مما حدا بشاعرنا الكبير معروف الرصافي أن يقول مشيراً إليها:

ما بعد المحسن السعدون إذ رام قتل النفس مس وخبال

فيا ليت شعري، هل أن القائلين بهذا كانوا قد تأملوا، وأمعنوا في التأمل والتفكير، مع ملاحظة بعض العواطف والاعتبارات التي كثيراً ما تفترض على الإنسان إيثار الموت على الحياة قبل إطلاقهم هذا الهراء، أم لا؟

إني لا ألبث أن أقول أنهم لم يكونوا قد لاحظوا ذلك، ولا شيئاً منه. إذ أنهم بقولهم هذا لم يقيموا وزناً للاعتبارات، ولا للفروق والتمايز بين النفسيات. أما ولو كانوا قد أعاروا تلكم شيئاً من المراعاة والالتفات، لعلموا لأول وهلة بمبلغ حرص بعض الروحيات على قيمتها المعنوية، ومدى محافظتها على استبقاء شرفها، وتالد عزها ومجدها، وبذلك لم يسوغوا لأنفسهم التشدق بمثل هذه الأقوال.

ولا يعني هذا الشرح أني أحاول إثبات فضيلة الانتحار، والدفاع عن مساوئه، وأعتمد الدلائل الأخلاقية في تأييده، ولكن الاحترام الجليل الذي نفحص به عاطفة الشرف لهو كفيل بإيضاح الغاية من الانتحار في بعض الأحيان.

أن من يقرأ قصيدة (جارث) المشهور يتضح منها بأن الموت في بعض الظروف خير من حياة ذليلة وعيش وضيع، وأرى (جارث) يتفق تماما في قصيدته: (إذا أصيب الشرف بمكروه لم تبق في الحياة غاية –والموت خير وسيلة لاجتناب الترذل والابتعاد عن معايبه المحتمة).

إن سقراط[1]، وهو من كبار فلاسفة العالم لم يحجم عن قتل نفسه، على حين أن تلاميذه يقولون بأنه كان على سعة من اجتناب الموت، وإنقاذ حياته.

وإذا كان الانتحار يعني قتل الإنسان نفسه لا أرى في موت سقراط شيئاً يختلف عن هذه الحالة، والأنكى من هذا وذاك، لا أسمع أحداً يصف عمل سقراط بالجريمة (أو بالجنون والسكر)، حتى ولا أفلاطون الذي كان عارفاً بتفاصيل القضية لم يجز لنفسه أن يصف موته «أي موت سقراط» بالانتحار وقتل النفس.

(١) البوشيد وللدكتور انازونيتوبه. (المؤلف).

وإني معهم لو كان انتحاره ناتجاً عن طارئ مفاجئ أو ثورة عارضة، ولكن لدينا من الأحوال والقرائن ما يدل على تأهبه وإصراره على الانتحار بمدة تربو على الأسبوع، ومنها موادعته إلى زامل المناع قبل الفاجعة بخمسة أيام، ولما سأله زامل عما ينويه، لم يجبه، وكانت بادية عليه سمات الامتعاض، ومنها: طلبه إلى إخوانه الحضور إلى بغداد قبل الحادث بثلاثة أيام.

ومنها: (أنه كان في يوم الأربعاء ١٣ تشرين الثاني سنة ٢٩م في ديوان رئاسة الوزراء، فدخل عليه بعض رجال الديوان مخبراً عن ورود شخص محترم، فقال له: إني ضيق الصدر، أرجوك أن تعتذر إليه، فأجابه الموظف: ألا تضرب له وعداً يزورك فيه، فقال: إذا حضرت الديوان غداً فليأت، واستغرب الموظف من تردده في حضور الديوان غداً، فقال: هل يجد صاحب الفخامة وعكاً في صحته، أو أنه اعتزم على جولة خارج العاصمة، فأجابه: قلت لك إذا حضرت الديوان فليزرني).[١]

ومنها (أنه كان قبل الساعة الرهيبة في النادي العراقي يلعب البوكر، فسأله أحد زملائه: متى تدعو حزب التقدم للاجتماع، فأجاب: أن ذلك سيعود إليكم، فمتى ما أردتم اجتمعتم).[٢]

على أنني مع كل ذلك لا أتورع من القول: أنه لو فرضنا جدلاً كان المرحوم في ذلك الوقت سكراناً، أو منتاباً بنوبة، فحسبه فخراً، يكون الدافع الذي حمله، والأسباب التي حرضت عواطفه على ذلك هي الانتقاص من وطنه، وانحراف مكانته بين أبناء بلاده، كما صرح بوصيته الخالدة.

---

(١) ذكرى السعدون للشرقي ص٨٠.

(٢) نفس المصدر.

القسم الثاني

وأما مآثرهم فأكثر من أن تحصى، ومنها:

١ -[1] العروبة بكل مظاهرها، حتى أنك إذا ألفت العراق تجد الكردية غالبة على الموصل، والتركية بادية في بغداد، والفارسية متمكنة من كربلاء، ولكنك تجد البصرة وبلاد المنتفگ عربية بكل مظاهر العربية الصالحة، وذلك بسبب تلك الإمارة العربية التي تغلبت على كل المظاهر غير العربية، وصبغتها بصبغة العروبة.

إن الدفاتر التركية وسجلات العثمانيين في القرن العاشر للهجرة المحفوظة في الآستانة تنص بأن ٦٠٠٠ بيت تركي أقطعهم السلطان العثماني إقطاعيات في البصرة، على أن يقيموا هناك تعزيزاً للروح التركي، فجاؤوا، وسكنوا تلك الأنحاء، ولكن المظاهر العربية تغلبت عليهم، فاندمجوا، وأكلتهم اللغة العربية الأكالة، فإذا هم عرب، لا يوجد فيهم ميزة من المظاهر التركية، وإذا لاحظنا قبيلة بني خاقان النازلة على فرات سوق الشيوخ، وقبيلة (قرا غول) النازلة على الغرّاف، وما هم فيه من المظاهر العربية، وعدم وجود أي شعار تركي بين تلك الأحياء، نعرف القوة الهائلة للعروبة التي كانت تتسامى مع الراية السعدونية حتى تغلبت ذلك التغلب الجبار.

٢- المزايا الفاضلة، والأخلاق الطيبة في تلك الأنحاء التي تأدبت بأدب أمرائها وساداتها، فإن التقاليد العربية، والعادات القومية المتبعة في بلاد المنتفگ، والمبثوثة بين أحيائهم وفي نواديهم قلما تجدها بتمامها في بقية الأنحاء العراقية وبين أحيائهم، فإن الأدب والتقاليد والعادات الموجودة في دواوين المنتفگ ونواديهم غير موجودة تماماً في

---

(١) ذكرى السعدون للشرقي من ص٢٩ إلى ٣٢. (المؤلف).

دواوين خزاعة أو ربيعة أو عقيل أو زبيد أو طيء أو غيرهم من الأحياء العراقية، على أني احترم هذه الدواوين، ولكن المتغلغل في الأحياء العراقية يعرف قيمة ما أقول، ولم يظهر أدب آل سعدون في عرف عشائر المنتفگ فحسب، بل تركوا شيئاً كثيراً منه في المدن والحواضر، فإنك تجد الطبقة الواطئة أو الوسطى في البصرة وفي بلاد المنتفگ غير الطبقة الواطئة أو الوسطى في بغداد مثلا: يعرف ذلك إذا فحصت العامل البصري من نوتي وحوذي وبستاني وصاحب حانوت، وفحصت العامل البغدادي مثلاً، فنرى من الوداعة والقناعة وأدب الحديث في الطبقة البصرية ما لا تراه في غيرها.

٣- تخطيط المدن مثل سوق الشيوخ والناصرية والشطرة، والأعمال الزراعية كالدور والتطهير، وافتراع الأنهار، وشق الجداول، وغرس النخيل.

٤- إيجاد الفكرة العربية، وبعث القضية من مرقدها، ومحاولة استرجاع الدولة العربية التي كانت معرشة في هذا القطر، فإن أول من استفز للقضية بعد أن دثرت، ومزقتها أعمال المغول والتتار والأتراك والفرس هم آل سعدون، فأول ساع للبعث، وأول دماغ حمل الفكرة الصالحة، هو دماغ الشيخ ثويني العبدالله، فسعى لعقد حلف عربي يتكون من أضلاع ثلاثة: عقيل وخزاعة والمنتفق، تكون غايته طرد الأتراك من العراق، وتأسيس دولة عربية.

وقد كان الوضع في ذلك العهد يقضي أن لا يدخل وال من ولاة الأتراك (وزير مفوض) إلا وأن يستند على قبيلة من قبائل العراق المهمة تكون هي سناده في الملمات، وكثيراً ما كانت قبيلة عقيل تساند الولاة، ويكون عليها اعتمادهم، فتراجع الشيخ ثويني مع سليمان بك الشاوي شيخ العبيد مع شيخ خزاعة على أن يرفضوا حماية الولاة، ويقاوموهم، وكان سليمان بك يؤثر على عقيل، وله عندهم الكلمة النافذة، فامتنعوا من مساندة الوالي، ولكن ساسة الأتراك صانعت شيخ خزاعة، فاجتذبته، ووقف بإزائها، وساند الوالي، إلا أن ذلك لم يثن الشيخ ثويني عن تحقيق أمنيته، ومضى هو وسليمان بك على ما اعتزما، واقتطعا كثيراً من العراق عن الحكومة التركية، وتقدموا إلى بغداد حتى أنهم انتزعوا بادرايا وأنحائها، ولكن لم تساعد

الظروف على تحقيق الأمنية، وذهبت محاولة الشيخ ثويني عبثاً.

ثم جدد هذا البعث الشيخ سعدون المنصور، وكرر هذه المحاولة، وبقيت هذه البذور في البصرة وأنحائها أكثر من غيرها من أطراف العراق، وما ذاك إلا أن البصرة وبلاد المنتفق بيت هذه الفكرة، وبفضل هذه البذور التاريخية نمت اللامركزية في البصرة زمن الاتحاديين، وبواسطة تلك المساعي القديمة انتزعت البصرة وبلاد المنتفگ الكسوة البالية من الحكم العثماني، وطردوا الأتراك الذين تمكنوا من الوقوف مؤقتاً في أطراف بغداد لا في أنحاء البصرة.

كل هذه المخلفات المادية والأدبية والنزعات السياسية تشهد بما كان لعائلة آل سعدون من مآثر وفضائل.

البحث الثاني: تقاليدهم وعاداتهم الاجتماعية

التربية عندهم:

يعوّد الطفل، ويشب متعوداً مشبعاً بروح تقديس الوالدين، واحترامهما احتراماً عظيماً لحد لا يتمكن معه محادثتهما، والجلوس بقربهما، حتى يبلغ سن الرشد، فإذا ما بلغ أشده حينئذ يسمح له بالاختلاف إليهما، على أن يتناءى عنهما في المكان مع التزام الصمت والاحتشام، كما يلقن خفض جناح الذل لذويه وأقاربه ممن هو أكبر منه سناً.

تكوين في البطولة:

عندما يترعرع الصبي يعلم الرماية والفروسية، ويعوّد على احتمال المشاق، ومواجهة المخاطر والصعوبات، ويلقن استهجان الموت الطبيعي، والاستخفاف به، وقد بلغ منهم هذا أنه إذا أصيب الصبي بجرح، وجيء به لأهله مضرجاً بالدماء، يقابله أهله وذووه بقولهم: (عريس.. عريس)، وتتعالى الزغاريد، وتقام الأفراح والولائم.

ومن أثر هذا تجد السعدوني على جانب عظيم من التسامي الروحي والقوة المعنوية لحد يوهمك أنه متكبر، وليس هو من التكبر في شيء، لا سيما عند الشدائد والكروب، بل وحتى في حالة الاحتضار، فإنك إذا وجدت سعدونياً جريحاً لا تستطيع أن تتبينه، ما لم تر الجرح بعينيك على ما ترى منه من التظاهرات والابتسامات الموهمة.

النسب والحسب:

العائلة السعدونية من أشد الناس تعصباً ومغالاة في المحافظة على النسب والحسب، الأمر الذي سبب عدم اتصالهم في أبناء بلادهم من طريق المصاهرة. إذ أنهم لا يزوجون نساءهم من أحد غيرهم مهما سمى نسبه ورفع حسبه، وكذا لا يزوجون أبناءهم الذين أمهاتهم أماء أو سرايا[1] بناتهم الصحيحات الحرائر، بل يزوجونهم من اللائي هن مثلهم، حيث في عرفهم أن من كانت أمها أمة أو سرية منقوصة، وبذلك لا يجوز العقد عليها كما لا يصح اتخاذها أمة، ومن أجل هذا، فقد قتل عبدالله بك الفالح، عبدالله الصانع (مدير الداخلية العام) عندما تزوج الثاني كريمة المرحوم عبدالمحسن بك السعدون.

المرأة عندهم:

لعلي لم أكن مسرفاً ولا مبالغاً إذا قلت أن ليس ثمة أحد على وجه البسيطة من بلغ أو يبلغ الحد الذي بلغه آل سعدون في الإنقاص من المرأة، والمبالغة في تحجيبها[2]. كيف لا وهم الذين يحظرون اختلاف الرضيع لرضيعته، والربيب لربيبته إذا جاوزت السابعة أو الثامنة من السن!!

والأنكى من ذلك هو عدم مواجهة بنت الأخ إلى عمها، واحتجاب الفتاة عن أخيها وأبيها بعد زواجها شطراً من الدهر.

كيفية الزواج عندهم:

أما الزواج عندهم، فيجري تبعا لرغبات الخدم وأذواقهم، حيث إذا أراد أحدهم الزواج يرسل من بين خدمه لاستيصاف المرأة المراد الزواج منها، ومن أثر ذلك كثيراً ما ينتهي بالفراق والطلاق.

---

(١) مذهب التسري والإماء شائع عندهم. (المؤلف).

(٢) لاحظ أن كاتب هذا الكلام من نفس الأسرة التي ينتقصها، وهو انتقاص لا يرى فيه معظم أهل البادية إساءة، بل يعتبرونه تعبيراً عن حمية وغيرة على الأسرة. (مشرف الخزانة).

نظر السعدوني في مسألتي المال والوظيفة:

إن للسعدوني نظرة خاصة في مسألتي المال والوظيفة. إذ هو يحتقر المال وطلابه، وينظر بكثير من التبجيل والاحترام لمن لا يقدّر المال، ولا يحسب للتوفير والادخار، بل وقد بلغ منه استهجان المال أن يمتنع عن حمل الدراهم، والتعاطي بالقبض والإقباض، ولا تزال تلك الروح أو هذه المادة موجودة عند الذين لم ينفعلوا بالحضارة.

وكذلك يؤثر الجندية على جميع المسالك الحكومية، بل على كافة مسالك الحياة العامة.

(٥)

الشرف المصون في تاريخ آل سعدون

تكمن أهمية هذا النص أنه أول محاولة وصلتنا لكتابة تاريخ مشيخة آل سعدون للمنتفق، فقد نشرته جريدة (صدى بابل) البغدادية على ٤ حلقات ابتداء من ٢٦ فبراير ١٩١١م، ومن الواضح أنها أطول من ذلك، ولكنها اكتفت بتلك الحلقات.

و(صدى بابل) هي صحيفة أسسها يوسف غنيمة مع داود صليوا في بغداد عام ١٩٠٩م. كانت من أول الصحف العراقية، وقد كانت تصدر في كل يوم جمعة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

وهذا نص الحلقات:

صاحب الامتياز والمدير المسؤول
المعلم داود صليوا
قيمة الاشتراك
في بغداد : خمسة وعشرون قرشاً
في الخارج : ثلاثون »
في ايران : خمسون »
خليج فارس : ١٠ روبيات
النسخة الواحدة : عشر بارات
السطر من الاعلان في الصحيفة الاولى
وفي الثانية والثالثة ... وفي الرابعة قرشان
القيمة في كل ذلك تدفع سلفاً



المراسلات
لا تقبل جميع الرسائل والتحارير التي
لم تكن خالصة اجرة البريد ممضاة بامضاء
صاحبها العادي
جميع مراسلات [صدى بابل] يجب
ان تكون معنونة باسم ادارة [صدى بابل]
عنوان التلغرافي : بغداد ، الصدى ،
ان ما لم ينشر من الرسائل الواردة على
صدى بابل لا حق لمراسلها باسترداها
والمطالبة بها

(قد اتلفت بالدنا حوادث الدهر فمن ... اضلاع القرب وطالت صبحها سمر)
(كادت بها ... من ... سحراً ... رنة صدى بابل عن اسمى الخبرا)

... ربيع الاول سنة ١٣٢٩ في ٥ آذار سنة ١٩١١ (صحيفة سياسية ادبية خادمة لترقي الوطن تصدر في الاسبوع مرة موقتاً) وفي ٢٠ شباط سنة ١٣٢٧

الفصل الثاني تابع العرب

... جزيرة العرب الاصلية . وتعرف بجزيرة العرب ... وهي شبه جزيرة لا جزيرة متوسطة بين افريقيا ... يا وموقعها الى طرف الجنوب الغربي منها وهي ... كل مربع مساحتها ٢٨٥٠٠٠٠ كيلومتر يحدها ... شمال سوريا ومن الشرق الفرات حتى مصبه في ... العجم وبعض بحر الهند ومن الجنوب بحر الهند ... ور ومن الغرب بوغاز باب المندب والبحر الاحمر ... السويس تجتازها سلسلة جبال قاحلة تمتد على ... البحر الاحمر وبحر الهند تتشعب منها تلال واودية ... وبها جبال شمر وطويق وفيها كثبان من الرمال ... ها اكم صخرية تغطي اكثر من ثلث الجزيرة ... ل منها الغوار والجاف تجودها السماء بالغيث ثلاثة ... في السنة من حزيران الى ايلول في اليمن ومن تشرين ... الى شباط في نجد وعمان فتحصل النباتات وليس ثم ... ت والانهار الاينابيع قليلة في بعض الانحاء لا تكفي ... د ولكن المياه غزيرة في الاودية تحت الرمال تحفر ... الركايا والآبار فيستقونها وغالبها ملح ولكن العرب ... ونه . والحر في الصيف شديد الا انه يحتمل لانه ... ه ايضاً . وتنقسم هذه الجزيرة الى خمسة اقسام ... اليمن واقسامه حضرموت ومهرة وعمان وشمر ... الخ وسمي هذا القسم اليمن لوقوعه عن يمين الكعبة ... ستقبلت المشرق .

... والثاني الحجاز وفيه مكة ويثرب وهي المدينة وسمي ... لانه حاجز بين تهامة ونجد وفي جنوبي مكة جبل ... يه الغار المشهور والى شرق المدينة جبلا طي وهما ... سلمى ذكروا انهما اسماء شخصين من العرب كان ... ها اجا يعشق سلمى وكانت العوجاء تجمع بينهما فصلبوها ... على الجبلين فسميا بهما . والثالث تهامة وهي بين اليمن جنوباً والحجاز شمالاً والرابع نجد وهي ما يتصل بالشام شمالاً والعراق شرقاً والحجاز غرباً واليمامة جنوباً وهي اطيب ارض في بلاد العرب وفيها ارض العلية التي كان يحميها كليب بن وائل بن ربيعة واتصل بحادثة الى قتله واشتباك حرب البسوس التي يضرب بها المثل . وجبله اجا الى ... العربية الفصيحة بعد تعادي الاسلام الا في ... والخامس اليمامة وهي بين نجد واليمن وتسمى العروض ايضاً لاعتراضها ... جبال هذه الاراضي جبلا سيناء وحوريب حيث انزل الله الشريعة على موسى النبي وجبل فاران وجبل هرون الذي دفن فيه هرون اخو موسى النبي والى جهة الشرق منه وادي موسى وهو موقع مدينة بترا القديمة قصبة العربية الصخرية عند اليونانيين والرومانيين .

واشهر مدن بلاد شبه جزيرة العرب بلدة كانت تسمى في الزمان القديم البابلي والبلية والناسة . واما الآن فتسمى مكة ويقال بكة ايضاً بالباء الموحدة المفتوحة وقيل ان بكة يطلق على بطن مكة لازدحام الناس فيه لانه من بكه اي زحمه ويسمونها ام القرى ولا يدخلها الآن احد ممن يخالف دين الاسلام وفي بها المسجد الحرام الذي في وسطه الكعبة وطول هذه المدينة نحو ميلين وعرضها نحو ميل واحد وليس فيها نبع الا ماء بئر زمزم فاجرى اليها الخليفة المقتدر بالله العباسي الماء من مسافة بعيدة في قناة ومن اماكنها المشهورة الصفا والمروة وهما بحذاء جبل ابي قبيس وكذا وادي منى وجبل عرفات والمزدلفة وبطن محسر وغير ذلك .

لها بقية

تابع الشرف المصون في تاريخ آل سعدون

وبعد وفاة مانع خلفه ولده شبيب ثم خلفه مانع الثاني وبوقته حاصر العجم البصرة في ايام دولتهم وسلطتهم واستولوا عليها وبنوا قلاعاً واستحكامات منيعة في الارض المسماة سوت (وهي بعد عن القرنة مسافة ساعتين) على ضفة مجرى الدجلة والفرات وسدوا نهر الفرات في مقابل القرنة (وفي هذا تقول العامة شرشوا الشط اي سدوه بالبردي وسميت تلك الارض بالشرش الى اليوم وفيها مدير من قبل الحكومة) اما مانع فجمع بقوته جيشاً جراراً وشن الغارة على العجم فقتلهم شر قتلة واخرجهم من البصرة ونواحيها واحتلها وتسلمها (وبعد ذلك اليوم صار يسمى الحاكم على البصرة متسلماً من تولية عبدالله باشا عليها) ثم هدأت الاحوال واستتب الامن وامتد العدل والانصاف في ايامه حتى مات وكان قد اشتهر بالعفة والصلاح وحسن التدبير والسياسة وماعات قبر بالشرش لان مقره كان يومئذ هناك وقد خلف ثلاثة اولاد محمد ومناس وبدر فخلفه ولده محمد وكان شجاعاً شديد البأس ذا حزم وعزم . اذا قصد امراً لا ينثني حتى يكمله . ومن اعماله المشهورة ما يروى عنه . انه كان لاحد اتباعه شركة في خيل مع احد من قبيلة الخشم (كما هي العادة عند العرب الى يومنا هذا) وكانت الخشم يومئذ رؤساء قبائل بابل (اي الحلة واطرافها) فذهب ذلك الرجل الى شريكه يطلب حل عقد شركته فرفض الخشمي طلبه وبلغ الامر شيخ الخشم فطرده واهانه تجبراً وعتواً وقال له اولئك القوم استهزاء منهم (انك لا تحصل على مالك حتى امير من تبعة محمد المانع وتترك الشرش . فرجع الرجل يائساً واخبر محمداً بما كان فاستشاط غيظاً وجهز في الحال جيشاً جراراً واعد العدد الكافية له بالعسكر من الخيل المسرجة والسيوف القواطع والحراب اللوامع والذخيرة الطائلة وتوجه نحو الخشم حتى وصل بمدة الى الارض المسماة الجربة في نواحي الحلة حيث كانت مقراً للخشم فخيم في قربهم دون ان يبدي اشارة بشام منها ومضى برقعة ... اوقعه ... المشاهد الحتميون تلك البلاد المعيدة والجيوش الكثيرة ... اوا شيختهم

..........[1]، وبعد وفاة مانع خلفه ولده شبيب. ثم خلفه مانع الثاني، وبوقته حاصر العجم البصرة في أيام دولتهم وسلطنتهم، واستولوا عليها، وبنوا قلاعاً واستحكامات منيعة في الأرض المسماة سويت -وهي تبعد عن القرنة مسافة ساعتين -على ضفة نهري دجلة والفرات، وسدوا نهر الفرات على مقابل القرنة، وفي هذا القول تقول العامة «شرشوا الشط» أي سدوه بالبردي، وسميت تلك الأرض بالشرش إلى اليوم، وفيها مدير من الحكومة.

أما مانع، فجمع بقوته جيشاً جراراً، وشن الغارة على العجم، فقتلهم شر قتلة، وأخرجهم عن البصرة ونواحيها، واحتلها وتسلمها، ومنذ ذلك اليوم صار يسمى الحاكم على البصرة متسلماً من تولية عبدالله باشا عليها. ثم هدأت الأحوال، واستتب الأمن، وامتد العدل والإنصاف في أيامه حتى مماته، وكان قد اشتهر بالعفة والصلاح، وحسن التدبير والسياسة.

ولما مات قُبر بالشرش لأن مقره كان يومئذ هناك، وقد خلف ثلاثة أولاد: (محمد ومغامس وبدر)، وكان محمد شجاعاً شديد البأس ذا حزم وعزم. إن قصد أمراً لا ينثني حتى يكمله، ومن أعماله المشتهرة ما يروى عنه أنه كان لأحد أتباعه شركة في خيل مع أحد من قبيلة القشعم -كما هي العادة عند العرب إلى يومنا هذا -وكانت القشعم يومئذ رؤساء قبائل بابل -أي الحلة وأطرافها -فذهب ذلك الرجل إلى شريكه يطلب حل عقد شركته، فرفض القشعمي طلبه، وبلغ الأمر شيخ القشعم، فطرده وأهانه تجبراً وعتواً، وقال له أولئك القوم استهزاءً منهم به: (إنك لا تحصل على مالك حتى نصير من تبعة محمد المانع، وننزل الشرش).

فرجع الرجل يائساً، وأخبر محمداً بما كان، فاستشاط غيظاً، وجهز للحال جيشاً جراراً، وأعد العدد الكافلة له بالنصر من الخيل المسرجة، والسيوف القواطع، والحراب اللوامع، والذخيرة الطائلة، وتوجه نحو القشعم حتى وصل بعدته إلى الأرض المسماة

(١) العدد ٧٩ الذي بدأت فيه (صدى بابل) نشر حلقات هذا البحث لم نعثر عليه في المكتبة الرقمية العالمية، ولهذا بدأنا بالحلقة الثانية.

«المجرية» في نواحي الحلة، حيث كانت مقراً للقشعم، فخيم قربهم دون أن يبدي إشارة يشام منها وميض برق عداوة أو قصد نزال، ولما شاهد القشعميون تلك القبائل العديدة والجيوش الكثيرة أتوا شيخهم، وكان ذا شيبة -غير أنه كان حليماً -وتوامروا فيما بينهم، فقر رأيهم على أن يرسلوا الطلائع والجواسيس، فبثّوا العيون، فأقبلت الجواسيس إلى ديوان الشيخ محمد عند الغروب، واستضافوه وحيّوه، فرد عليهم التحية أحسن رد كأنه لا يعلم من أمرهم شيئاً، ولا يدرك السر من استضافتهم إياه، وأظهروا من التودد والرصانة ما لا مزيد عليه، فكانوا يترصدون حركات الشيخ وسكناته، وينقدون كلامه مع خواصه وحاشيته وبطانته، فلم يقفوا على أثر لضالتهم المنشودة فضلاً عن العين لأن الشيخ قضى تلك الليلة بالمسامرة بين سؤال عن ماشية عربه، ومنادمته جلساءه حتى ارفضّ مجلسه العمومي، فدخل صيوانه الخصوصي الذي بين ديوانه والخباء، وصار يلعب بالشطرنج مع خواصه، فقتل هزيعاً من الليل باللعب والمسامرة، وهو لا يأتي بشيء يستدل منه على الحرب أو ما يرتاب فيه من النزال، فعاد أولئك الجواسيس من الغد صفر اليدين خالين من كل معرفة كانوا يؤملون الوقوف عليها.[١]

وعند الصباح اجتمعت القشعم لدى شيخهم في الديوان، واستدعوا الجواسيس، وسألوهم عما رأوا وسمعوا وعلموا من أمر الشيخ محمد، فأجابوا أن الشيخ محمد رجل ذا لهو وطرب يقضي آناء الليل وأطراف النهار بما لا يجدي نفعاً، فإننا رأيناه تارة يسأل عن مواشيه، وطوراً يقضي الساعات بلعب الشطرنج، وأخرى يلهو بالمنادمة. أخيراً إننا لم نر فيه من التشبث والحصافة ما يستلفت النظر أو يحير الفكر أو يلزم منه الحذر.

فلما سمع القشعمي ووزراؤه هذا الكلام تحيروا، وأخذتهم الدهشة. ثم أطرق برأسه، وتفكر ملياً. ثم رفع رأسه، وأقبل على من حضر، وقال: (أصغوا يا قوم إلى مقالتي، وعوا بأحلامكم كلامي. إن الشيخ محمد المانع هزبر لا يدانى، وليث لا يقاوم، وبحر

(١) إلى هنا تنتهي الحلقة الثانية في العدد ٨٠ من (صدى بابل)، ٥ مارس ١٩١١م.

لا يسبر غوره، ولا يدرك قعره. ذو قوة وبأس وشدة ومراس. واسع الصدر. رحب الذراع. كتوم لسره، وهذا دليل على سمو عقله، وغزارة ذكائه، فإنه يخيل إليّ أن ليس أحد أربط منه جأشاً).

وبعد أن توامروا طويلاً، وبنوا وهدموا، وصاغوا وكسروا، وقاسوا بمرجاس العقل قوته وقوتهم، وعلموا أن لا قدرة لهم عليه، واعترفوا بعجزهم عن منازلته وقتاله قرّ رأيهم بوحدة الكلمة على أن يلبوا أمره، ورجحوا الصلح على المبارزة، ومن الغد ساروا بأجمعهم إليه، وأظهروا له كل خضوع وتذلل، وأبدوا من المودة والانكسار ما حال بين عزيمته عليهم، فعدل محمد عن الحرب، واشترط عليهم أن يتبعوه إلى أرض الشامية، ويقال لها «الحجرة»، وهي مقر النعمان بن المنذر المعروفة بالخورنق، فلم يسعهم إلا التلبية والإذعان، فساروا أجمع حتى نزل بهم في تلك الأرض، وكان الفصل ربيعاً، ولما انقضى فصل الربيع أقبل بهم إلى أرض الشرش، وأقاموا ثمة احتفالاً جمع أوصاف المسرات، ومعاني الأفراح، ومظاهر البهجة ما لا يحيط بها أوصاف الواصفين.

فلما استقر بهم المكان استدعى الشيخ محمد الرجل، وأمره أن يذهب إلى شريكه القشعمي، ويطالبه بماله، فذهب وطالبه على مرأى من شيخه القشعمي بقوله: (إنكم وعدتموني متى نزلتم إلى أرض الشرش، وحكم عليكم الشيخ محمد، تعطوني حقي من الفرس، وها قد آن الوقت الذي يجب فيه أن تفوا بوعدكم، وتؤدوا ما عليكم)، فوقع هذا الكلام على مسامعهم كصاعقة تمنوا معها الموت، فسالت لها مآقيهم دماً وانكساراً وذلةً واحتقاراً، فسلموا للحال للرجل ماله، وهم صاغرون. ثم كسوه، ورفقوا به، وقدموا له هدايا وتحف ما جلب خاطره، ورضى به عنهم، فودعهم وانصرف، وأعلم شيخه محمد بما كان.

أما أولئك فدهشوا، وأخذتهم الحيرة من بسالة هذا الشيخ وغيرته، فإنه لأجل كلمة واحدة فعل ما فعل، وأضمر لهم في قلبهم سوءاً لغيّهم وخيلائهم، ولم يشف غليلاً إلا بأخذ الثأر والانتقام، وأي ثأر، فشق عليهم الأمر، وانفطرت مرائرهم حزناً وكمداً، وتفتت أكبادهم.

وكان مانع أبو الشيخ محمد قد خطب ابنة من القشعم، وكانوا قد أبوا أن يزفوها إليه، ورفضوا خطبته إياها، ولما صاروا تحت إمرة محمد، وشاهدوا من شجاعته وإقدامه رأوا أن يهدوه تلك المرأة استرضاء له، فأجابهم إنني لا أراها إلا كأم لي لأنها كانت مخطوبة لأبي، ولهذا سوف أزفها إليه على قبره الموجود هناك، وذلك انتقاماً على إصرارهم وتعندهم وتجبرهم، وفي الغد لما أصبحوا بدأوا حسب عادة العرب بسباق الخيل، ومباراة الفرسان، ومبارزة بالسيوف -ما يسمونه هنا طابق -فرحين متهللين، وأصوات أفراحهم وجلباتهم آخذة بعنان السماء، وبين هم في لعب وسباق إذ جمح بالشيخ فرسه، فسقط واندقت عنقه، ومات لساعته، فتحول الفرح إلى حزن على آله وأصحابه، والعكس تحول الحزن إلى سرور لدى القشعميين، وصدق القول: (مصائب قوم عن قوم فوائد.. فوائد قوم عند قوم مصائب).

وخلف الشيخ محمد ثلاثة أولاد أكبرهم سعدون، ولما نال سعدون من الشهرة والصيت العظيم، وما كان له من السطوة وحسن السعد والجد نسبت هذه الأسرة إليه، ولقبت بآل سعدون، وأوسطهم عبدالمنعم -وهو جد الروضان -وأصغرهم عبدالله -وهو الجد الأكبر للشيخ ثويني المحمد.

ولما قضوا المأتم حسب عادة العرب ترأس على قومه ولده الأكبر الشيخ سعدون، وبعد استيلائه مدة أشهر استأذنت القشعم للرحيل إلى وطنهم، فصرّح لهم، فلما خلصوا من عبودية آل سعدون أخذوا يجلبون -وبتعبير العامة يهوسون -ويصيحون: «نحن أبو رقاب»، أي كأن سعدهم غلب، فانكسرت عنق عدوهم، ولم تزل القشعم حتى الآن تتلفظ بكلمة أبي رقاب.

ولما ترأس الشيخ سعدون واستولى، واستوثق له ما أراد، واستفحل أمره، وعمت سطوته، وشاع وذاع صيته، ودبت الغيرة بالعجم، فحشدوا الجيش، وجمعوا العدة للحرب، وساروا نحو البصرة كاظمين الغيظ والحنق، وكان الشيخ سعدون يومئذ ساكناً بمحل يسمى «كتيبان» -الذي هو الآن بملك مزيد باشا أحد سلالة هذه العائلة -قرب حدود العراق يبعد أربع ساعات عن البصرة، فلما رأى الشيخ نية بني فارس،

وتألبهم عليه أخذ يفكر في إعمال الحيلة ليتخلص من شرّ عدوه، ويقدم على الإيقاع به أمر قسماً من جيشه أن يهربوا أمام الفرس إلى جهة نهر يسمى «أبا حلانة» متفرع في الفرات، وجعل القسم الأعظم أن يأتي الفرس من ورائهم، ففعلوا كذلك، فهلك من الفرس جم غفير عند عبورهم نهر دجلة.

ولما وصل الفريقان المحل المذكور ذبحهم الشيخ شر ذبحة، وقطع دابر شرهم، وما نجا منهم إلا قليل، وقد استحال ماء النهر إلى دم، ولم يعد صالحاً للشرب أياماً كثيرة.[١]

بيد أن ما أصاب الشيخ من المشقة والتعب أجهده، فمات، فخلفه ابنه ثامر، وفي أيامه انتشبت الحرب بينه وبين الخزاعل لسبب حدود بعض الأراضي بينهما، فقتل بعد قتال مدة ثمانية أيام، حتى خلفه ثويني بن عبدالله بن محمد -أي حفيد محمد المانع -فحمل على الخزاعل، فذبحهم، ودمرهم على بكرة أبيهم إلا قسماً منهم تولى وهرب، وسيطر ثويني على الأراضي التي كانت سبباً للحرب، ولم يعتم أن جهز الفرس العساكر ثانية، وأشهروا الحرب على المنتفق، فنشب القتال بينهم في أرض الجزائر من جهة ثويني، فاستظهر عليهم، وانتصر كما انتصر أسلافه، وأخذ يتبعهم ويقفو أثرهم حتى عبروا النهر. ثم تأثرهم حتى وصلوا ديار عشيرة كعب.[٢]

وعند نهاية هذه المعاركة سار نحو عشيرة ربيعة، وكانوا يومئذ في أراضي كوت الإمارة -أي إمارة ربيعة ونواحيها -وذلك لخلاف وقع لأجل حدود أراضي القبيلتين، ودامت رحى الحرب بينهما تدور مدة حربه عليهم، وتملك على أملاك ربيعة، ففروا من أمامه، وهم لا يعلمون مصيرهم.

ثم توجه بعسكره المظفر وعدته نحو ديار الوهابي في أرض نجد ماشياً إليها عن

---

(١) هذا الواقعة حدثت في زمن ثامر بن سعدون، وليس في زمن أبيه. (مشرف الخزانة)

(٢) صدى بابل، ع ٨١، ١٢ مارس ١٩١١م.

طريق الصحراء، ولما وصل الدرعية[1] -وهي استحكام في أرض نجد -حاصرها من كل جهة، فلما ضاق الحال بأهله، وطالت مدة المحاصرة أيقنوا عندئذ بالهلاك، جمع الوهابي وزراءه، وأهل رأيه، وعقد مجلساً، وبعد مباحثات طويلة ومحاورات سياسية أجمعوا على أن لا حيلة لهم إلا أن يقتلوا ثويني الرجل الشجاع بخدعة. ثم قر رأيهم أن يستأجروا رجلاً يقتله غدراً ودهاءً، فاستخدموا عبداً اسمه طعيس، واستأجروه، فباعهم نفسه طمعاً بالمال، فتسلح بحربة مسمومة أعطاه إياها الشيخ الوهابي، فوفد طعيس على الشيخ ثويني، وسأل عنه مظهراً الشكاية من ظلم من قومه، وهو يستنجده ويستغيث به، فلما تمكن من مقتل منه طعنه بتلك الحربة الملعونة، فقضت عليه، ومات، وذلك سنة ١٢٢٠هـ[2]، فلما شاهد أتباعه صنع طعيس بشيخهم، أخذوه فمزقوه إرباً إرباً حتى صار يضرب المثل ببيعة طعيس، نسبة إلى بيعه نفسه طمعاً بالمال، وهكذا انسحبت تلك العساكر العظيمة إلى أراضي البصرة ونواحيها.

وتولى من بني عمه: حمود ابن ثامر في السنة ذاتها، وكان رجلاً حليماً ذا خلق واسع، وصدر رحب.

تحفزت الفرس لغزو بغداد، وكان الوالي عليها يومئذ علي باشا المشهور، وبدالّة الصداقة القوية العرى بينهما طلب الوالي من حمود ردع الفرس عن غيّهم، فجمع حمود العرب والعدة، وعبر نهر دجلة من قرب إيوان كسرى، وسار بأهبته إلى كفري، فانتصر عليهم، وأرجعهم إلى حيث أتوا، فنال الحظوة لدى الحكومة العلية، ورفعة الشأن.

ثم حدث بعدئذ نزاع بين الشيخ حمود وبين ابن عمه نجم -وهو أخو ثويني -بن عبدالله بن محمد بسبب المشيخة طمعاً بالرياسة، فاستغاث نجم بعبدالله باشا والي بغداد آنئذ، فأعانه، وساعدته قبائل بابل وغيرهم، وتألبوا معه، وساروا إلى أرض

(١) غير صحيح أن حملة ثويني وصلت إلى الدرعية، بل إن أقصى ما وصلت عليه هو (الشباك) قرب الجبيل على الساحل الشرقي للخليج العربي. (مشرف الخزانة)

(٢) الصواب هو سنة ١٢١٢هـ. (مشرف الخزانة).

الحمزة، وهي تبعد مسافة أربع ساعات عن الناصرية، وكانت يومئذ محلاً مؤقتاً للشيخ حمود، فانتشبت بينهم الحرب، ودامت أياماً وليالي حتى أتى الله الشيخ حمود بالنصر على أعدائه، فذبحهم، وكان أول من ذبح نجم هذا.

ثم صفى الزمان للشيخ حمود، وامتدت أيام حكمه أربعين سنة قضى نصفها الأخير أعمى العينين، بيد أنه كان بصير العقل يحكم بالعدل في جميع الأمور كلية وجزئية، فاشتهر بالحلم والعدل والوداعة. ثم مات مأسوفاً عليه.

وتولى الحكم بعده عجيل بن محمد بن ثامر بن سعدون سنة ١٢٤٢هـ، وهو ابن أخي حمود. قضى أياماً قليلة بالسكينة والطمأنينة، لكنه في السنوات العشرة الأخيرة من تسلطه تعدت قبيلة الخزاعل مرة أخرى حدود الأراضي، فنشب بينهم القتال، ولم يعتم أن تسلط عليهم ودمرهم.

ثم زحف على عشيرة بني لام لتعديهم حدود شطرة الإمارة التي كانت ملكاً لعجيل، فزحف عليهم، وبدد شملهم، وأرجعهم مدحورين على ديارهم، وفشا بعد ذلك بين عشيرته الوباء، وأهلك منهم خلقاً كثيراً، فساءه ذلك جداً، وبكى بكاءً مراً لفقده زعماءه، وأركان عشيرته، ووجوه قبيلته، فلما رأت عشيرة كعب ما حل بعجيل وقبيلته انتهزت الفرصة، وجمعت أطرافها، فأعدت المعدات، وتأهبت للحرب، ونادت: يا للثارات[1] انتقاماً من عشيرة سعدون التي طالما دمرتهم، وغادرت قلوبهم مكلومة لا يلتئم جرحها.

ولما علم ما قد أعدته الفرس في انتهاز هذه الفرصة للانتقام وأخذ الثأر ضاق صدره، وبكى بكاءً شديداً على فقده أركان قبيلته. ثم ذكر قومه الذين طالما رجعوا من ميادين الحروب، ومصادمة المشقات، وما عانوا في بحر تلك المدة، سيما ما كان من إصابتهم بداء الوباء المهلك، وفقد ذوي القربى سهد تلك الليلة سهاداً لم يغمض له فيه جفن، وبات يرعى النجوم بعين مغرورقة بالدموع. ثم أخذ يفكر ملياً

(١) صدى بابل، ع٨٢، ١٩ مارس ١٩١١.

في سبيل النجاة من هذه الشدة، فأنتجت له همته، ودلته فطنته أن يجعل في بيت كل من أعرابه خبزاً ولبناً وشعيراً، ويضع فيها السم حتى إذا أكل منها إنسان أو حيوان لا يسلم من الموت. ثم أوقد ناراً في الخيم طول الليل، وأخذ يبعد بعربه عن مكانهم ليأتوا العجم من ورائهم، فيتأثروهم، وكان الفصل قيضاً، فلما أتى الفرس ليلاً، ورأوا النار مشبوبة وقفوا عن بعد، حتى مضى من الليل ثلثاه، وهم ينتظرون حتى يغشى النوم أعين عرب عجيل، وعند الهزيع الأخير من الليل هجم الفرس على الخيام، والليل مرخ سدوله، والظلام داج، وأخذوا يخبطون خبط عشواء، ولما طر النهار شاربه، ولم يروا أثراً للعرب، ورأوا الطعام والماء واللبن عمل بهم عامل الشره على الأكل والشرب منها، وهم نشاوى من حميّا الفرح والمسرة حتى أخذت بهم سكرة الموت من ذلك السم الناقع، فأقبل عندئذ عرب عجيل، وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً، ولم ينج منهم إلا عدد قليل كانوا قد ولوا مدبرين، ولجأوا إلى الفرار للنجاة بأنفسهم.[١]

وهكذا كانت انتصارات هذا الرجل متوالية الواحدة بعد الأخرى، ولم يعتم أن احتدمت نار الحرب بينه وبين أبناء عمه ثانية، وهم عبدالعزيز وطلال وماجد وفيصل، وانحاز إليهم إخوته عيسى وبندر وفهد، وقام لنصرتهم صفوق الجربا شيخ شمر، وأتمروا كلهم على أخذ زمام الحكم من يده -أي الشيخ عجيل -، ودامت هذه الحرب حولاً كاملاً، وكانت النصرة فيها لعجيل، وهو مع هذا كله لم يرتخ عزمه، ولا وهنت قواه، فعاد إلى الحرب ثانية معهم بعد سنة، ودامت ثلاثة عشر شهراً. ثم شن عليهم الوباء غارة فتكة، واشتدت وطأته، وأنشب براثنه بعجيل، فصرعه، فقبر بقرب الشطرة، فتشتت عربه.

وصار الحكم إلى ماجد ابن عمه. ثم مات هذا أيضاً بالوباء، وتخلفه أخوه فيصل، وحكم سنة واحدة، وانتشبت الحرب بينه وبين عيسى بن محمد بن ثامر -وهو ابن عمه -، فتغلب عيسى، وذلك سنة ١٢٣٤هـ[٢]، وبقي حاكماً خمساً

(١) لم نسمع بهذه الحكاية في غير هذا المكان، ونعتقد أنها من خيال الرواة، ولا صحة لها. (مشرف الخزانة)

(٢) لاحظ التخبط في التواريخ، فإذا كان عجيل قد حكم سنة ١٢٤٢هـ، ووقعت في عهد أحداث. ثم خلفه ماجد ثم فيصل،

وعشرين سنة[1]، ولم تشب في أيامه سوى نار حرب واحدة بينه وبين بني لام، وكانت النصرة له، ومات سنة ١٢٥٩هـ حريقاً، فشاخ بعده بندر بن محمد بن ثامر، فحكم اثنتي عشرة سنة، وكانت أيامه سلمية، ولم يحدث ما ينغص عليه رغد عيشه.

ثم شاخ بعده سنة ١٢٧٣هـ بندر الناصر، ومات سنة ١٢٨٠هـ. ثم شاخ سنة ١٢٨١هـ فهد بن محمد بن ثامر، وحكم سنتين لم يتخلل صفاءه فيها كدر. ثم شاخ بعده فارس بن عجيل بن محمد بن ثامر، واستقام بضعة أشهر، فاستخلفه منصور باشا بن راشد بن ثامر. ثم تغلب عليه بعد سنة من مشيخة فارس المشار إليه، إلا أنه لم تمض أيام على فارس هذا إلا أن عادت القلاقل بينه وبين منصور باشا وناصر باشا ولدي راشد، فذبحا فارساً وإخوته.[2]

ووقع بين آل سعدون الشقاق الداخلي والانقسام، فقشعت غيومه الحكومة العثمانية السنية، وبددت شمله، فدخلت بينهم، وشيخت عليهم منصور باشا، وأنعمت عليه برتبة أمير الأمراء، ولكن لم تطل له المدة لما وقع بينه وبين أخيه ناصر باشا المعروف بالأشقر والهدام من القلاقل والخلف، فمالت الحكومة إلى ناصر باشا، فعزل منصور باشا، وأنيطت المشيخة بعهدة ناصر باشا المومئ إليه سنة ١٢٨٣هـ، فأقامته الحكومة السنية متصرفاً على الناصرية، وهو الذي شيدها، ودعيت باسمه «ناصرية»، وكان على جانب من البسالة والكرم حتى لقبوه بالهدام، فطلع كوكب سعده، وعلا مجده، وله أعمال خطيرة، وانتصارات عديدة منها انتصاره على عشائر الدغارة التي أشهرت العصيان على الحكومة السنية.

فنال من العز والكرامة والاعتبار من لدن الحكومة، فولته البصرة، وتولى عوضه لواء المنتفق ولده فالح باشا، وقام ولده الثاني مزيد باشا متصرفاً على الأحساء،

فكيف يخلفهم عيسى سنة ١٢٣٤هـ، بل الصواب أن حكم عيسى كان ١٢٤٧هـ. (مشرف الخزانة)

(١) يبدو أن هذا الخطأ في تأريخ مشيخة عيسى بن محمد التي بدأت حقيقة سنة ١٢٤٧هـ، واستمرت ١٢ عاماً، والذي وقع فيه علي الشرقي وعبدالله الناصر في كتابيهما جاء نقلاً من هنا. (مشرف الخزانة)

(٢) خلط واضح في تراتب شيوخ المنتفق وسني حكمهم، ولا يعتد بما ورد في المتن بهذا الشأن. (مشرف الخزانة)

ولحسن دراية ناصر باشا وسياسته وتدابيره وعدالته أخذت الأحوال مجراها من الاستواء، وسارت سيراً حسناً، وصار الأمن والاطمئنان سائدين، والراحة العمومية ضاربة أطنابها في البصرة ونواحيها والأحساء وأطرافها ولواء المنتفق وما جاوره، حتى أنه أعلن أن تفتح أبواب الدور ليلاً ونهاراً، ومن سرق منه شيء يأتي، ويأخذ عوضه المثل مثلين.[1]

(١) صدى بابل، ع٨٤، ٢ أبريل ١٩١١م.

زيارة عبدالله الفالح وسعدون باشا لبغداد

قامت جريدة (صدى بابل) البغدادية بتغطية الزيارتين اللتين قام بهما الشيخ عبدالله الفالح وخاله الشيخ سعدون باشا لبغداد لمقابلة والي بغداد ناظم باشا (كلاً على حدة)، ونظمت الأشعار في مدحهما، وهذا ما جاء في تلك التغطية:

١- صدى بابل ع٥٤: ٢٠ شعبان ١٣٢٨هـ

«أتيت أهلا ووطئت سهلاً ومرحباً بقدومك»

لقد قدم على الباخرة حضرة صاحب الحمية الأصيل النبيل الشيخ عبدالله بك الفالح، الشريف المحتد هاشمي النسب سيد الأعراب وزعيمها حفيد ناصر باشا آل سعدون، لزيارة حضرة ملاذ الولاية وقومندان فيلقها السادس الفريق الأول ناظم باشا المعظم، أطال الله عمره، وقد حظي بزيارة دولته نهار السبت الماضي، فلقي من الإعزاز من لدن دولته ما قرّ به عيناً، وطاب خاطراً، فعاد وهو يثني ثناءً طيباً حميداً على ما رأى من الاحتفاء به من دولته أيده الله.

وكان في أثناء زيارته هذه قد أهدى ٥٠٠ ليرة لإتمام آليات الفيلق السادس، وخمسين ليرة مساعدة لمستشفى الولاية، فنشكر لحضرته صنيعه وإكرامه، ونثني على أريحيته العربية وشيمته الحاتمية ثناءً طيباً حميداً، وننشر لحضرته هذا الثناء على أعمدة الصدى ما سيكون مخلداً لحضرته في تاريخ الأعمال الخيرية على الدوام.

وقد تشرفت بحضرته نهار الأحد الماضي، وهنأت حضرته بالأبيات الآتية:

«الركن المرسوخ في تهاني سلالة أكرم الشيوخ»

قـدومـك مجـدٌ فيـه تـزهـو الأكـابـر وحسـبـك فـخـراً أن تـقـرّ الـنـواظـرُ
فما المجـد إلا منتهى فضلك الـذي لـه صـورة العليا الـذي أنـت صائر
فـلـو كـان لـلـمجد المـؤثّـل منطقٌ لأثــنى عـلـى عـلـيـاك وهــو يجاهـر
فـأنـت أبـو الأفـضـال والمجـد والنهى ومـا عـقـدت إلا عـلـيك الخـنـاصـر
ولا غـرو أن تـلـقـاك مـنهـا كـرامـةٌ لهـا مـنـزلٌ فـيـه تـغـالي المـفـاخـر
ومـا قلت عـن جـهـلٍ بفضلك إنّمـا مـع الـعـلـم تأتـيـنـا الـقـوافي تشاطر
وكـم مـن جـليـلٍ غــرّه فـيـك جـدّه فأمسى ذلـيلاً في المـلا وهـو خاسر
تـقـلّـدت جيـد الـدهـر أفـخـر درّةٍ بهـا جيـد نظمي مـن نـداكـم زاهـر
مــآثـرك الــغــرّاء حـلـيـة مـفـخـرٍ تـقـلّـدهـا الأعـنـاق وهــي جـواهـر
فـإن حـاول الـعـاتي الـكنـود جسـارةً جـحـوداً بـدت منّـا وجـوهٌ شـواكـر
فحقّـك إنّ الفضل في الـنـاس خلّةٌ تــزان بهــا أخــلاقـنـا والـسـرائـر
لكم من بديع الفضل ما لـو جمعته فــأبحـر جـــودٍ بالــنــوال زواخـــر
فما الجـود إلا مـزن كفّيك في الـورى ومـــا أنـــت إلّا لـلـمـكـارم ناصـر
إذا ما جرى في الـنـاس ذكـر مقامكم وجـــوهٌ بـدت كـالـبـدر منّـا سـوافـر
زكــوت فـمـا ألمـمـت يـومـاً بـريـبـةٍ ويزكو الفتى من حيث تزكو العناصر
مناقب فـخـرٍ فيـك يا سبط ناصـرٍ فحسبك فـخـراً مـا تـقـول العشائر
فـكـم لي بـكـم يا آل راشـــد غــرّةٌ مــن المـــدح مـا فـيـهِ تـقـرّ الـنـواظـر
وإنّي بـكـم يا آل ناصـــر شــاعــرٌ ولـكـنّ مـدحـي في سـجـايـاك قـاصـر
إذا غــرّدت فـيـه الحـمـام تـطـوّقـت بـعـقـدٍ مـن المجـد الأثـيـل الحـنـاجـر
فـحـسـبـكِ يا بـغـداد عــزاً ومـفـخـراَ بملـقـى جـلـيـلٍ قـد أتـى وهـو زائـر

فـأهــلاً بـعـبـدالله أهـــلاً ومـرحـبـاً وطـئـت لـنـا سـهـلاً فـطـابـت بـشـائـر
بـكـم ناصـــر يحـيـي بـبـغـداد ذكـره أيا شيـمـة الأعـــراب والـسـعـد ناصـر
أعـــدت إلى الـــزوراء ذكـــراً لـنـاصر كـمـا عـاد بـدر الأفـق لـلأفـق زائـر
على الرحب يا مـولاي جئت مبجلاً فـجـاءت تهـنّيـك الـقـوافي الـبـواكـر
فدم وارق واسلم وابتهج واعتضد وسد عـلـى الـدهـر مـا غـنّى وأنـشـد شـاعـر

ومما هو مقرر معلوم عندنا. لما قدم حضرته البصرة أهدى ٣٠٠ ليرة إلى تعزيز الأسطول العثماني، ولا غرو فإن هذا السخاء والكرم لمزية خاصة بآل سعدون توارثها الخلف عن السلف، فضلاً عما لهم من الخدمات الجزيلة التي لا تحصى للدولة العلية أيدها الله، وناهيك ما كانوا يتبرعون به من العطايا الجمة لإعانة الحكومة السنية لما فطروا عليه من الحمية الطائلة، وحباً بالتنصل إلى الدولة العلية، وذلك شيء كثير تضيق به صحف الأوراق أن نسرده، ونأتي به نسقاً، فاكتفينا بالإلماع إلى النزر القليل منه، وإن كان من الكل جزؤه ليكون قلادة درية يتزين بها جيد العصر والكرم. على أننا حذراً من تعجيز القوم والإطالة نضرب صفحاً في هذا المحضر عن ذكر أعمال أسلافه الكرام وجده ووالده الكثيرة الجليلة التي خلدها تاريخ فضلهم في بطون سجلاته.

وحسبك ما تبرع البك المشار إليه في السنة المنصرمة من جيبه الخاص بألف ليرة لسد حاجيات الجنود الذين كانوا في الشطرة، وأنه حياه الله وبيّاه قد جمع الله فيه مع خلق الشجاعة والبسالة مزية الجود والكرم ودماثة الطبع ولين العريكة ما يأتينا به مصداقاً لقولنا كل من شهد مزاياه الجليلة، وأفضاله وأعماله وتشرّف بناديه. كيف لا وإن هذا الشبل ابن ذلك الأسد، «فرحم الله الجدود، وحبذا ما خلّفوا».

وأكبر دليل لنا على ذلك ما نال ناصر باشا من الحظ الوفي وحسن الالتفات والحب من ساكن الجنان السلطان عبدالعزيز في أيام تولية شهيد الحرية والدستور المرحوم مدحت باشا، فإنه هو الذي مهّد بين الحساء، وبسط الأمن، وهو الذي قبض

على عبدالكريم شيخ شمر، وسلمه إلى الحكومة، وهو الذي ذلل عصاة الدغارة أولئك البغاة، وأتى بهم إلى محجة الطاعة، وهو الذي بحذقه وحكمته وحسن نباهته وصائب رأيه حلّ عقدة مسألة سلب الميل الإنكليزي بعد أن كانت الحكومة الإنكليزية قد أخذت لها أهمية كبرى، وأحلتها أعلى محل من الاعتبار بحيث لم تجد الحكومة السنية رجلاً أقدر منه لتعهد المسألة إلى درايته حتى حلها بألطف ما كانت تنتظر منه الدولة العلية، مما جعل لسان الإنكليز يقصر عن الكلام فيها، ولهذا أعدته الحكومة السنية من فطاحل الرجال، وعظماء الساسة والتدبير والاقتدار.

وكفى بناصر باشا رجلاً حاز من حسن الصيت والشرف أيام ولايته على البصرة في أيام خلافة السلطان ساكن الجنان المشار إليه بامتداد ظل الأمن الذي كان نتيجة العدالة التي كانت إحدى مزاياه الجليلة، وقد كان ولده فالح باشا متصرفاً في لواء المنتفگ، وولده الثاني مزيد باشا متصرفاً في الحساء، فأصبحت الحكومة في طمأنينة البال آمنة على صندوقها من الاختلاسات، مع قلة المصاريف التي كانت تجري في أيامهم لأية حاجة دعت لما كانوا يبذلونه من الهمة والاعتناء والعدالة والصدق والإخلاص للدولة.

وعلاوة على هذا لا يخيل لنا أن لساناً يستطيع على أن يصف قيمة ما كان يقدمه ناصر باشا من الهدايا إعانة وخدمة للحكومة دون ابتغاء عوض.

وإن أولاده النجباء قد حذوا حذوه، ولا مرية «إن الولد على سرّ أبيه»، سيما في أيام فالح باشا، وذلك في أثناء ولاية مخلص باشا على البصرة إذ كانت الحكومة في مضايقة لأجل تجهيز الجنود إلى المنتفگ لقمع الثورات، وتسكين القلق، فلما رأى فالح باشا من ضيق صندوق الخزانة قدّم «من ذات نفسه» ستة آلاف ليرة إلى الصندوق بطريق الأمانة، ولم تزل إلى الآن باقية لم يستردها، ولا استعاض عنها بشيء.

على حين أن ولده حضرة الشيخ عبدالله بك لم يزل يدفع الخُمس من جميع وارداته وأملاكه للحكومة دون تعلل أو مماطلة.

فهذا جزء من كل. نأتي به الآن في هذه العجالة، ولا بد لنا من العود إلى هذا البيان في الآجل القريب إن شاء الله.

ولدى ختام هذه العجالة نثني بنوع خاص على يد الشيخ عبدالله بك السخية، وأريحيته العربية، وكرمه الحاتمي، وما أحق أن نقول فيه ما قيل في جده ناصر باشا:

أعـــدتّ شبـاب الـدهـر بعـد مشيبه　　　فـعــاد عـلـينـا عــهــده المـتـقــادم

لـئـن ذكـــروا في الجـــود كـعبـاً وحـاتمـاً　　　فـأنـت بهـــذا الـعـصـر كـعـبٌ وحـــاتمُ

فلعمري ليس من هجاك إلا كمن هجا الورد، لأنه أمن منكر ما أبدى من الشهامة والغيرة في المحافظة على حقوق أعراب تلك النواحي التي طالما كان سعدون باشا يشن عليها غارات الجور والتعدي حتى استقرّ لها الأمان، وحصلت لها الراحة، فصرف في سبيل ذلك من الأموال الطائلة زهاء ٤٠ ألف ليرة.

أما هو الذي أوقف نفسه لخدمة الدولة فيما مضى كما فيما حضر، وما يستقبل من الزمان لا تعز عليه الأبدان والأموال في سبيل نصرتها، وكل ذلك أوضح من نور الشمس لكل ذي عينين. كما سبق لأجداده ووالده الكرام من الخدم التي لم تزل ألسن الحمد تثني على تلك مآثرهم السنية التي أعقبت لهم جميل الذكر، وتركت لهم الفخر على غابر الدهر.

٢- سفر مبارك

قد سافر على الطائر الميمون حضرة الشريف ابن الأشراف عبدالله بك آل فالح المحترم على الباخرة «بغداد» مودعاً بالسلامة، فنتمنى لحضرته سفراً مباركاً سعيداً هنيئاً بالأمن والسرور والطمأنينة، سيراً ونزولاً، حلاً وترحالاً، داعين لحضرته بوصوله سالماً إلى المقر المقصود، وقد قلنا في وداعه منظومة شائقة سننشرها في العدد الآتي إن شاء الله.

٣- صدى بابل ع٥٥: ٢٧ شعبان ١٣٢٨هـ

«السفر الميمون في وداع الشيخ عبدالله بك آل سعدون»

عفا أثراً عنّا علام علاما ... على الطائر الميمون رجّ سلاما
قدمتَ فلا أوحشت أرضاً وطأتها ... على القرب من ملقاك فارغ ذماما
وإن من يرى حفظ الذمام فريضة ... فترعون فيهِ حرمةً ومقاما
فنلت من العلياء كلّ كرامةٍ ... وسدتَّ رجالاً في الجلال تماما
رعى الله ذيّاك الجناب بأمنه ... وحيّ حمى بالعزّ حيث أقاما
أتيت فزوّدت الفؤاد هيامه ... وما زاد إلا في سناك غراما
فما دام من مرآك للعين لذّةٌ ... ولا طاب جفني في نواك مناما
فأنتم أسرتم قلب كلّ متيّم ... بشيمة أعرابٍ فطاب خياما
كأن سويعات النوى فيك أشهراً ... وما الشهر إلا في فراقك عاما
لحى الله دهراً حال بيني وبين من ... له منزلٌ في القلب فاق مقاما
ولو كنت أدري لو دريت وحقكم ... بهول النوى شفّ القلوب سقاما
وكم تفخر الأعراب يا آل راشد ... كما افتخرت بغداد فيك أماما
وأبقت لنا الأيام ذكراً لناصر ... له آل سعدون يجل كراما
وأبقيت في الزوراء ذكر ابن فالح ... وأحييت فيهِ عنصراً وذماما
بجودٍ وحلمٍ واقتدارٍ وعفّةٍ ... وشيمة أعرابٍ تفيح ثماما
أيا راجلاً قف للوداع مسلّماً ... ولا تنس عهداً في الحمى وذماما

فسر في أمان الله يا ابن فالح بسعدٍ وعزٍّ في العلاء تسامى
علوت على متن البخار مجلّلاً فذلّت لعلياك الصعاب تماما
ألا سر بحفظ الله في مركبٍ جرى بأمن «وباسم الله مجراها» داما
وأختم ما استهللت فيه الدعا لكم على الطائر الميمون رجّ سلاما

٤- صدى بابل ع٦٠ بتاريخ ١٠ شوال ١٣٢٨هـ

«ساداتنا العرب وسعادة الشيخ سعدون آل سعدون»

إن ألطف ما تدبجه يد القلم، وأجمل ما ينمقه بنان اليراع، جليل الثناء على أريحية السادة العظام والشرفاء الفخام الذي ظهروا بطراز الإنسانية، وازدانوا بمطرف الكرامة، فشيدوا صرحاً من المجد والافتخار لهذا الدور الجديد الشريف. دور المشروطية الملقّب بدور العدالة والحرية والإخاء والمساواة تحت هلال العلم المنصور، من كل عنصر من عناصر دولتنا العلية الذين تركّب منهم جسم أمتنا العثمانية، فأضحى كل منهم في مركزه عضواً فعالاً عاملاً، سيما في قطرنا العراقي الذي ضم أولئك الأعضاء من عناصر مختلفة، وركّبها في هذا الجسم الشريف كلاً في منزلته ومقامه، وعلى قدر الحاجة إليه، فاتحدوا ممتزجين بوحدة الكلمة، وائتلاف القلوب بالحب والوداد والمساواة التي هي الدعامة الأولى في عمران الرقي، بعد أن كانوا متبايني الآراء موغري الصدور متنافري القلوب.

وما ذاك إلا بحسن سياسة وتدابير حضرة صاحب الدولة ناظمنا الحازم، وتحت راية العدالة التي خفقت بنودها على يد همته السامية في هذا القطر الذي مما برحت أبناؤه تقر لدولته بالفضل الغزير، وتدعو له بطول النصر والبقاء فضلاً عمّا يخلّد له ذكراً جميلاً وفخراً جليلاً، لم تطمع في محوه الأيام كلما شوهدت المشروعات السامية التي باشر بها، والأعمال الخيرية التي يسعى لها.

وناهيك ما تراه من ساداتنا شيوخ العرب الشرفاء الكرام الذين بهم يفخر قطرنا متوافدين على دولته توافد الأبناء الأمناء المخلصين إلى حضن أمهم الدولة العلية بالحب والولاء، مظهرين لها شعائر الإخلاص وأمائر الطاعة التي فتحت أحضانها لقبولهم كأولاد أعزاء، وبسطت ذراعها لمعانقتهم كأبناء أمناء.

فوفد حضرة سعادة الشيخ مزيد باشا آل سعدون. ثم تأثره سعادة الشيخ عبدالله بك الفالح آل سعدون المفخمين اللذين لهما القدح المعلى في الشرف الأعلى، وما تكرما به من الهدايا لسدّ حاجيات الفيلق، مما أوجب لهما المدح والثناء. كل ذلك مما كان الباعث على ربط عرى الاتصال بوثيق الحب بينهما وبين حضرة صاحب الدولة والينا المعظم الناظم الحازم. وفّقه الله إلى كل خير وسعادة.

ومما هو خليق بالذكر الآن وفود سعادة سعدون باشا آل السعدون المفخم زعيم أسياد العرب لزيارة حضرة صاحب الدولة والينا الناظم الحازم، وقد حظي بزيارة دولته للمرة الأولى في الليلة التاسعة والعشرين من شهر رمضان. إذ دعاه دولة ناظم عقد إصلاحنا المؤبد إلى الإفطار، فأحسن استقباله، وأكرم ضيافته، وعزّز مقامه، وتحفّى بسعادته، وعندئذ أخذا يتجاذبان أطراف حديث الاستئناس والمجاملة ما تقرّ به عين كل وطني غيور يسرّه الاتفاق والائتلاف، سيما ائتلاف عناصر دولتنا العلية تحت رايتها الخافقة بالسلام، «وعلى رؤوس الأمة بأسرها من أي عنصر كان». خلّد الله أركانها ودعائمها، وثبّت سلطنتها على مدى الأزمان ما دام الدوران وأشرق المنيران.

قدم سعادته على الباخرة «مجيدية» منذ بضعة أيام من مقرّه، مالكاً زمام السلامة، وهو أعزه الله شيخ جليل الصفات عظيم الشأن. له من سعة الأخلاق وطيب الجانب ما يكلّ عن وصفه القلم، ويعجز عن تبيانه لسان اليراع، وقد حال بين انتهاز فرصة تقديم التهاني لسعادته على لسان الصدى شروق هلال عيد الفطر، لذا تأخرنا عن إصدار صحيفتنا، كما لم نتمكن من تقديم التهاني لجميع ساداتنا وإخواننا المسلمين، فنسأل المولى أن يعيده عليهم بالهناء والسرور والارتياح والحبور إلى سنين عديدة وأعوام مديدة، وعليه فقد قمت بتقديم التهاني لسعادته مشافهة مع

بعض أبيات أملتها على السليقة العياء، فقلت:

«الدر المكنون في مدح الشيخ سعدون»

إلى السيّد الأسنى نزمّ رحيلا ... ومن يحتمي بالغير بات ذليلا

ومن يحتمي في ظلّ طودٍ شامخٍ ... يظلّ أميناً في ذراه طويلا

ومن يرتضي بالدون مقتنعاً به ... فليس من العليا ينال جليلا

أيا بهجة الآنام والمجد والندى ... إلى بابكم حقاً مطيب رحيلا

فإنكَ تولي قاصديك كرامةً ... وما ضيم يوماً من حميت نزيلا

جرى كفّكَ الهامي شآبيب نعمةٍ ... روت ظامئاً في الفضل منه غليلا

سريعٌ إلى الحسنى بجودٍ ومنّةٍ ... وتجري من الفعل الحميد سيولا

لك الله ما أنداكَ كفاً وبشرةً ... أنلت بما نُوّلتُ منك جزيلا

فلا غرو أن يُعزى لك الفضل كلّه ... كأنّكَ قد أصبحتَ فيهِ كفيلا

فما أمَّكم ذو المدح إلا وعاد من ... نداكم بآيات المديح قؤولا

بلغت إلى العلياء إذ أنت أهلها ... فكانت على ذاك الجلال دليلا

بك آل سعدون تناهت بفخرها ... وجرّت من المجد الأثيل ذيولا

أيا واحداً أضحيت في سادةٍ لهم ... من المجد ذكرٌ والعلاء أثيلا

قدمتَ فأهلاً بالسعادة والعلى ... على الرحب الأسنى أتيت جليلا

بكم تفخر الزوراء يا خير زائرٍ ... كما افتخر الأعراب فيك أصيلا

ألا اهنأ بعيدٍ عاد عزّاً ونعمةً ... ومن أثمد الإقبال ظلّ كحيلا

بعمرٍ طويلٍ عيشه قد زها ترى ... ورغدٍ على طول الزمان ظليلا

ولا برحت أيام عزك في صفا ... وبرج أعاليك السماء [طويلا

ولا زال مكمود الفؤاد عدوّكم   بقسمته الظئر و

على أن ما شاهدته من تلك المزايا التي يتصف بها سعادته خليقة بأن يزفّ لها كل لسان عربي أفكار الثناء، ويجلو مخدرات أبكار المديح على منص.... بشهامته وشيمته العربية، ومما أدهشني ما فاه به أطال الله بقاءه في أثناء تجاذبنا أطراف الكلام عند ثنائي على ما رأيت من مآثره الغراء وذكري مناقب أجداده الكرام:

لا تقل أصلي وفصلي أبداً   إنما أصل الفتى ما قد حصل

فوقع مني هذا البيت موقعه من العجب من حب سعادته إلى الوصول إلى شرفه الشرف بجدوده، فإن هذا أعظم ما يذكر لسيد مثله، ويخلد فعله الجميل، ويعقبه منه الفخر الجليل على أن الفخر بالجدود عارٍ لا ثبات له.

ومما دلني على سامي فكره وثابت عقله، قوله أعزه الله أن العرب الآن ساهون عن الهبوب إلى تحقيق العلوم والآداب والتمدن، وهم في سبات عميق عن إعادة مجدهم السالف لا يعرفون له قدراً، ولا يعيدون له مجداً، والواجب عليكم أنتم أرباب الصحافة أن توقظوهم من سباتهم، وتوعوهم من غفلتهم تلك، فعلى يدكم بعد أرباب الحكم إصلاح الأوطان وسعادة البلاد، وبحضكم إياهم تترك منزلتهم هذه الخاملة. إذ لا واسطة كالصحف تنبهها من غفلتها، وتصعد بها إلى قمة إدراك ما تحتاج إليه من الآداب في سبيل سيرها نحو التقدم إلى غير ذلك، وواجب علي أن أقرّ لسعادته بسمو الإدراك وعلو المنزلة وجلالة تقدير الأمور حقها.

ثم أظهر دولته من أمائر اللطف وشعائر الأدب من محاسن آل السعدون، ومزاياه الفاخرة التي تزينت بها صحف التاريخ، لا سيما في بسط الأمن وتمهيد سبل الاطمئنان بين عشائر جزيرة العرب خصوصاً، أثنى دولته على مساعي الدولة المبرورة التي أتت بنتائج حسنة جليلة يحق بها الفخر في فتوح نجد، وخفقان راية أعلام الحكومة في هضابه، ونشر جناح رأفتها على أهله، كما هو المشهور بين العموم.

ثم دعا دولته سعادته ثانية مساء يوم السبت، حيث جمع هناك بين سعادة مبعوثنا الأديب ؟؟؟ بك وسعادته.

وجرى ثم مراسيم السلام العسكري لسعادته، وعزف اللحن الموسيقي باحتفال يليق بمقامه الجليل. ثم أطلعه على المشروعات الجليلة التي قام بها في ضاحية العاصمة، وأساس الثكنة التي أنشئت بهمته وحسن سعيه بمدة قليلة، فدعا سعادته لدولته، وأثنى على جليل أعماله الخيرية المأثورة.

وبعد تناول الطعام قام رئيس أركان العرب وقائد الفرقة النظامية صاحب السعادة حسن رضا بك والضابطان في هيئتهم النظامية إلى محل استعراضهم، وبرزت إمارات الوداد والإخلاص بين المدعوين وهيئة العسكرية التي أكدت خلوص الوداد، وحقيقة الحب بينهم وبين سعادته.

وهذا من جليل مآثر حكومتنا الدستورية التي جمعت بين أبنائها القريبين والبعيدين، فأخذ سعادته يثني على السجايا الأثيلة والمزايا الجليلة التي اتصف بها ناظمنا الحازم، ودعا بدوام نصر المشروطية والقانون وثبات عدالته ومساواته التي هي العلة الأولى لترقي أصقاع الدولة وتأييدها وتخليد سلطنتها وتأييد أيام سلطان الدولة المباركة جلالة مولانا شوكتلو (محمد رشاد الخامس)، وفيض أمنه وعدله على الأمة بأسرها. آمين.

(٦)

تاريخ المنتفق

وضع هذه الرسالة باللغة التركية سليمان فائق

نقلها إلى اللغة العربية محمد خلوصي الناصري

مطبعة المعارف – بغداد: ١٣٨٠هـ (١٩٦١م)

مقدمة الخزانة

(تاريخ المنتفق) هو كتاب مجمّع عن مقالات كان ينشرها المؤلف في جرائد إستنبول، وقد دافع فيها عن مواقفه، وهاجم مشيخة المنتفق بشكل حاد، وهذه ترجمة المؤلف:

(هو سليمان فائق بن طالب كهية من شركس العراق. ولد عام ١٢٣٠هـ (١٨١٤م)، وكان متصرفاً للواء البصرة للفترة ١٨٦٥ -١٨٦٦م، وشغل مناصب مختلفة في الدولة العثمانية كان عالِماً بفنون الأدب والنثر والتأريخ والتراجم وطبقات الرجال، وتضلع باللغة التركية، وأَحاط بدقائقها، وتبحر في آدابها حتى أصبح من مشاهير عصره في الأدب التركي، كما أنه ألم ألماماً واسعاً بتأريخ العراق، وله مجلس في محلة الحيدرخانة في بغداد يحضره الأعيان والأدباء من رجالات العرب والأتراك، وله مؤلفات مخطوطة قليلة منها كتاب (تأريخ مماليك بغداد)، و(كتاب رسائل المنتفق)، و(مرآة الزوراء).

وتوفي في يوم الخميس ٢٨ جمادى الآخرة ١٣١٤هـ (٣ ديسمبر ١٨٩٦م)، ودفن في محلة الحيدرخانة في باحة مسجد صغير خلف متصرفية لواء بغداد سابقاً.

وأولاده هم: (نعمان بك سليمان كان من بالتقوى والصلاح، وتوفي في ١١ صفر سنة ١٣٣٤هـ، ومراد بك سليمان، ومحمود شوكت باشا رئيس وزراء (الصدر الأعظم) الدولة العثمانية (٢٥/ ١/ ١٩١٣ -١١/ ٦/ ١٩١٣م)، وخالد بك سليمان الذي كان وزيراً لوزارة المعارف ووزارة الزراعة في العراق، والذي أبلى بلاءً حسناً من أجل القضايا الوطنية والسياسية، فترأس الحكومة العراقية في وقت شدتها).

تاريخ المنتفق

وضع هذه الرسالة باللغة التركية

سليمان فائق

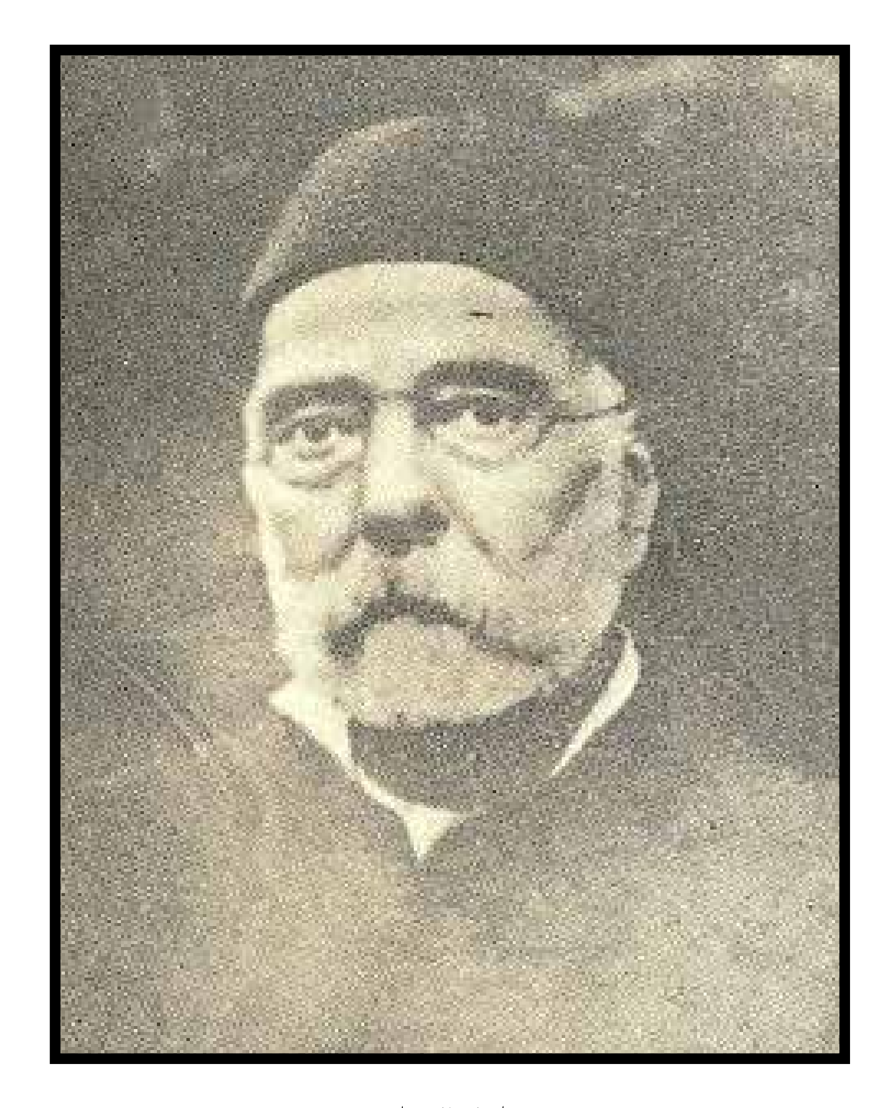
نقلها الى اللغة العربية

محمد خلوصى الناصرى

يطلب الكتاب من محمود حلمى صاحب المكتبة العصرية في بغداد

ثمن النسخة (١٠٠) فلس

مطبعة المعارف ـ بغداد
١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م



سليمان فائق بك

المقدمة

امتاز مجلس السيد حكمت سليمان رئيس وزراء العراق في العهد الملكي بالدعة والحشمة، واشتهر صاحب المجلس بالنبل وكرم المحتد، وإنك لتجد في هذا المجلس الكهل والشاب والأديب والسياسي والصحفي والقريب، فتدور فيه بينهم أحاديث تاريخية منوعة، وطرائف أدبية مستملحة، وتستوفي القصص التاريخية معظم الأوقات، فالناس يبحثون دائماً عن الماضي، ما قرب منه وما بعد.

وبينما كان الحديث يدور ذات يوم حول المؤلفين العراقيين وآثارهم القلمية. عرف أن السيد سليمان فائق، والد السيد حكمت سليمان، كان من الإداريين الأفذاذ الذين أسهموا في تسجيل حوادث العراق الماضية، وأن له عدة مؤلفات بعضها مطبوع، وأكثرها ما زال مخطوطاً، وكانت كلها باللغة التركية، لغة الحكومة الرسمية السائدة في أيامه، فعرضتُ على السيد حكمت سليمان فكرة طبع هذه المؤلفات، خدمة لأبناء هذا البلد، وإحياء لذكرى والده، فلم يبد اعتراضاً على هذا العرض.

ولما كان الأستاذ محمد نجيب الأرمنازي سبق أن عرّب كتاب (تاريخ المماليك في العراق)، وكانت في مكتبتي نسخة من هذه الترجمة، فقد تم طبعها حالاً.

ولما روجعت قائمة مؤلفات السيد سليمان فائق، وجد أن كتابه (تاريخ المنتفق) هو الآخر نقل إلى العربية، وهذه النسخة العربية موجودة في خزانة الأستاذ كوركيس عواد، فاستعرتها منه ونسختها بيدي، وواليت تحقيقها، وإضافة بعض الكلمات إليها ليستقيم معناها ومبناها. ثم راجعت الأستاذ الكبير الشيخ علي الشرقي، ورجوت منه أن يولي هذه المخطوطة عنايته، بصفة كونه أحد المتخصصين بتاريخ المنتفق وحوادثه،

فتفضل مشكوراً وراجع الكتاب من أوله إلى آخره، ولما كانت ملاحظاته وتعليقاته ذات أهمية. جعلت بعضها في الهامش. أما بقية هوامش الكتاب فهي لي، وكذلك كل ما في العضادتين [ ] في صلب الكتاب، فهو من عندي وعلى مسؤوليتي.

لم تكن لغة ترجمة الكتاب متينة، ولكنها تفي بالمرام، ولا يعسر فهمها على القارئ الهمام، ولم يكن في الإمكان مراجعة هذه الترجمة على الأصل التركي، لأن الأصل عبارة عن مقالات متسلسلة نشرت في صحف دورية متفاوتة، وبأوقات مختلفة، والظاهر أن نسخة الأستاذ كوركيس عواد هذه هي النسخة الوحيدة التي سلمت من دواهي الحدثان، لأني كلما بحثت عن نسخة أخرى لمقابلتها، والتثبت من صحتها، باءت جهودي بالفشل، ومما يزيد في قيمة هذه النسخة أني وجدت فيها تصويبات مهمة بقلم المحقق الكبير المرحوم يعقوب سركيس، وهي تصويبات لها قيمتها التاريخية.

السيد عبدالرزاق الحسني

الخبر الصحيح عن عشائر المنتفق

مساكن المنتفق:

إن رواة الأخبار ونقلة الآثار قد اتفقوا على الأخبار الآتية عن أحوال عشائر المنتفق:

فمساكن هذه العشائر الجغرافية كائنة في الجانب الغربي من مدينة البصرة، جامعة لمنافع نهرين عظيمين[١] كنيل مصر. ذات خيرات ومنافع عظيمة، وكانت هذه الأراضي قديماً مراحل ومنازل قبيلة (بني مالك) وقبيلة (الأجود) من قبائل العرب المشهورة.[٢]

(١) يريد به ماء دجلة والفرات.

(٢) ليست كل منازل المنتفق هذه الرقعة الصغيرة التي ذكرها الكاتب. إنما هي مواقع واسعة في الطول وفي العرض. برية ونهرية. أما البرية فتكاد تشمل كل بادية العراق. من اليمامة إلى البصرة، وكانت منازلهم فيها: (الشبيبية، والميثب، والبيضاء، والعقيق، وهو العقيق الأعلى، والباطن، وهو اليوم حد من حدود العراق ونجد، وأبو غار)، وأما النهرية فكانت تشمل كل شط العرب مصعدة في الفرات إلى ما وراء (السماوة) عند (سدرة الأعاجيب)، ومادة في دجلة إلى ما وراء (العمارة). ثم تقلصت من الجهة النهرية، حيث اختزلتها الحكومة العثمانية قطعة قطعة، وأدخلتها في حيازتها النظامية، ولم يبق إلا (لواء المنتفق) الذي أقحم فيه مدحت باشا النظام الحضري، فمن عهد معشوق ابتدأ الاختزال، واستمر في عهد نامق باشا ومنيب باشا ثم نامق باشا ثانية ورشيد باشا وهدايت باشا ومدحت باشا، وآخر ما تبقى في الجهة الفراتية فقط وهو (لواء الناصرية)، وأول ما تأسس فيه من مراكز الحكومة هو (قضاء العرجة)، والعرجة هذه واقعة على الجانب الأيمن للفرات. ثم انتقل القضاء إلى (سوق الشيوخ)، وتأسس (قضاء القرنة) ولواء (مركز الناصرية) الذي سمي بـ (المركز). أما الجهة البرية فكانت كما ذكرنا كل بادية العراق بحدودها الحالية محروسة بنفوذ آل سعدون، ومن قبلهم بنفوذ أجدادهم آل شبيب، ويرفرف عليها العلم العراقي المعروف باسم (وارد).
ع. الشرقي

سبب تسمية المنتفق بهذا الاسم

ولما كانت طبيعة أتربة هذه الأراضي كثيرة المنافع، لعذوبة مياهها، وجودة هوائها، فقد حصلت بين عشيرتي بني مالك والأجود الرقابة. ثم بتطاول الأمد انقلبت الرقابة عداوةً، فحدثت بينهما المشاجرات والمشاحنات، وامتد القتال بينهما كامتداد حرب البسوس، طبقاً للمثل السائر: (فقد أزعجت الآساد في غاباتها والطير في أوكارها).

وفي تلك الأثناء قدم رجل من الحجاز يدّعي السيادة والشرف، فنال منزلة رفيعة عند العموم. ثم إنه تداخل في الأمر، واجتهد بإصلاح ذات البين، وتأليف قلوبهم، وتوحيد كلمتهم، فحصلت له الإجابة والطاعة والانقياد التام من الطرفين، وذلك على شرط أن لا يكون أحد رئيساً عليهم من أمراء ورؤساء العشيرتين المذكورتين. إذ لو ينتخب الرئيس من إحدى العشيرتين لمال بسابق الطبيعة إلى تقديم آله وذويه وأقاربه، وآنئذ تنفر القبيلة الأخرى، وتتجدد الحروب والضغائن الكامنة في الصدور، فاتفقوا على أن يكون الرئيس عليهم السيد المومى إليه، وجزموا أنه إذا قبل الرئاسة عليهم ينقادون لجميع أوامره بكمال المحبة والطمأنينة، وبذلك تزول الضغائن من البين.

أما السيد فإنه أجابهم لما طلبوا، ونجح باتحاد واتفاق هاتين الطائفتين العظيمتين، وكان من أجلّ مآربه ومنويّات ضميره الصعود إلى أريكة الإمارة، فوضع اسماً لهما (المتّفق) ليكون تذكاراً له. ثم بإضافة حرف النون سميت عشائر المنتفق، وبقي هذا الاسم علماً عليهم حتى اليوم.[1]

---

(١) اقرأ (الملحق الأول) في آخر هذا الكتاب عن سبب هذه التسمية.

انحياز المنتفق بجنب الدولة العثمانية

ثم لما دخلت مدينة بغداد بأسرها في عداد الممالك العثمانية، وذلك باهتمام وإقدام السلطان سليمان القانوني[1] سنة إحدى وأربعين وتسعمائة أظهرت عشائر المنتفق الطاعة والانقياد لسلطنة آل عثمان، وكان آنئذ حاكم مدينة البصرة وأميرها ورئيس أمراء تلك الأنحاء كافة: راشد بك ولد مغامس.

(١) عاشر سلاطين آل عثمان، وفي زمانه اكتملت تنظيمات الدولة وقوانينها حتى إن المؤرخين اصطلحوا على تلقيبه بلقب القانوني، وقد امتدت مدة سلطنة (سليمان القانوني) من سنة ١٥٢٠ إلى سنة ١٥٦٦ الميلادية.

تسليم مفاتيح البصرة للدولة العثمانية

وقد جاء في تاريخ النخبة أنه: بعد أربع سنين، أي سنة خمس وأربعين وتسعمائة، سلّم الحاكم المشار إليه (راشد) مفاتيح قلعة البصرة وسائر القلاع إلى وزير السلطان الملقب بمير محمد، وهذا أيضاً قدمها لأعتاب السلطان سليمان القانوني، وآنئذ أصبحت مدينة البصرة التي لا تقل وارداتها عن البلاد الهندية (إن حكمها من هو عالم بإصلاح الأراضي) بعداد الممالك العثمانية.[١]

ثم أن رؤساء وأمراء عشائر المنتفق المار ذكرهم، والذين هم من أولاد وأحفاد ذلك الرجل الشريف الذي توفق لاتحادهم، وأصبح رئيساً عليهم. بدأوا بعد زمن يظهرون العداوة والبغضاء للدولة العلية، ويخالفون أوامرها، وبتعبير آخر أنهم قد جعلوا البغي والعصيان عادة لهم بعدما كانوا أطوع العشائر للدولة.

(١) اقرأ الملحق الثاني في نهاية هذا الكتاب عن كيفية تسليم مفاتيح البصرة للعثمانيين.

استيلاء المنتفق على البصرة

قد سبق أن أمراء عشائر المنتفق أخذوا بمناوأة الدولة كلما سنحت لهم الفرصة، فكانوا بحكمة الله ينالون العفو والمرحمة من قبل السلطنة في كل عصيان ومخالفة يقومون بها، ولكن بعد تأديبهم، وفي هذه المرة قد استولوا تمام الاستيلاء على مدينة البصرة في بعض قيامهم المخالف، بعد أن سلموا مفاتيحها سلماً للدولة، ولما كان زمان بغيهم وقيامهم وعصيانهم يصادف وقت انشغال الحكومة السنية بالغوائل والمشاغل الداخلية، مما يجعل الحكومة مجبورة على التغامض والتساهل معهم على معاملاتهم غير المشروعة، بقيت البصرة بأيديهم.

استيلاء أمير الحويزة على البصرة

ثم بعد استيلائهم على البصرة، تغلّب عليهم أمير الحويزة، التي كانت من الممالك الإيرانية المجاورة لمدينة البصرة، لما بينهم من الخصومات المتوالية القديمة، وضبط منهم مدينة البصرة وحكمها، وبيّن الحالة لدولته، وقد رأت الدولة الإيرانية العلية أنها إذا ألحقت مدينة البصرة في عداد ممالكها لا تكون موافقة لسياسة سلطنة آل عثمان، فلأجل أن تكون الرابطة الودية بينهما متمادية قوية، أمرت بتسليم جميع مفاتيح قلعة البصرة لمقام الخلافة العظمى، وبذلك قد استحصلت امتنانها، وأمنت منافعها من غير وجهة.

موقف المنتفق وظهور الدعوة الوهابية

خلاصة القول على الإجمال: إن دائرة المنتفق لم تخل زمناً من البغي والعصيان والفساد، منذ دخلت مدينة البصرة بعداد الممالك العثمانية إلى أن ظهرت غوائل الطائفة الوهابية، وهذه الحالة لم تزعج الولاة والمأمورين المجاورين لمدينة البصرة فقط، بل أزعجت كافة هيئات الدولة على الإطلاق.

ولما استولت الطائفة الوهابية على الحرمين الشريفين، انجبرت ولاة وبغداد آنئذ على التغامض عن أعمال رؤساء عشائر المنتفق، لكي يوسعوا ويزيدوا قواهم، فيتمكنوا من إخماد فتنة الوهابية، حيث كانت دائرة المنتفق وسط قطعة نجد[1] التي هي منبع الوهابية، وعلى هذا فقد استفاد المشايخ المومى إليهم من هذه الحالة، وتطاولت أيديهم على القرى المجاورة لهم، ونهبوها وغصبوا أموالها، حتى دخلت بحوزة تصرفاتهم أماكن كثيرة، ولما تفاقم الخطر في البلاد العثمانية، انتهز الفرصة قبل فواتها الغازي السلطان محمود خان[2]، وكسر نفوذ الهيئة الباغية بسطوته القاهرة، إلا أنهم بمرور الأيام وتعاقب السنين والأعوام ازداد تغلب وتسلط العشائر، فاستولوا على كافة الجهات المجاورة لهم، ما عدا نفس مدينة البصرة وقرية أو قريتين، وأذاقوا أهاليها العناء وأنواع الآلام.

---

(١) أين ديار المنتفق من نجد؟. خلط جغرافي غريب من المؤلف. (مشرف الخزانة).

(٢) يريد به (السلطان محمود الثاني) الذي حكم من سنة ١٨٠٨ إلى سنة ١٨٣٩م.

قيام الشيخ ناصر [الصواب حمود الثامر] زمن سليمان باشا الصغير

ولما ظهر الاختلال الكبير ببغداد بزمن ولاية سليمان باشا الصغير (كوجك). أعلن أيضاً الشيخ ناصر[1] [الصواب حمود الثامر] عصيانه على الدولة رسمياً، وباشر بقطع الطرق، فجاء لتأديبه أحد كبار الدولة العلية حالت محمد سعيد أفندي، ولما وصل دار السلام، وتوفق بعد حرب عنيف لمحو الهيئة الباغية[2]. طلب من الباب العالي تعيين سعيد بك مخدوم[3] سليمان باشا الكبير المشهور عند الكبار والصغار بتعمير البلدان، فلم يسعف طلبه، بل تعين والياً على بغداد عبدالله آغا الذي هو أحد عتقاء سليمان باشا الكبير.

(١) أظنه أنه يريد ناصر آل راشد، وهو ابن أخي حمود الثامر.
(مشرف الخزانة): بل يريد حمود الثامر نفسه إذ لم يكن ناصر قد ولد في ذلك التاريخ.

(٢) لدى فائق وهو موظف تركي أن أي تحرك عربي ضد الأتراك هو بغي!. (مشرف الخزانة)

(٣) مخدوم في مصطلحات العثمانيين بمعنى (ابن). (مشرف الخزانة)

ولاية عبدالله باشا

كان عبدالله باشا يعتبر سعيد بك رقيباً له، ولذلك كان يتحذر منه، وكذا سعيد بك كان ينفر منه، حيث إنه من عتقاء أبيه، وبالنهاية ظهرت المنافرة بينهما علناً، فقرّ قرار عبدالله باشا وأعوانه على إعدام سعيد بك المسكين، وهو بريء غافل، غير أن أراجيف معاون الوالي طاهر آغا وسائر أركان معيته في الولاية حسّنوا لعبدالله باشا تلك النية السيئة.

هروب سعيد بك إلى المنتفق

(كل سر جاوز الاثنين شاع). نظراً لهذه القاعدة الكلية شاع الخبر وذاع، فاستخبر سعيد بك بما نواه عبدالله باشا، فقر قراره على أن يفرّ خفيةً، وليقع دخيلاً عند متفق والده وصاحب أبيه الخاص شيخ دائرة المنتفق على الإطلاق الأمير حمود الناصر[1] [الصواب الثامر]، وذهب تواً إليه، فأكرمه وأعزه غاية الإعزاز والإكرام حسب عادة العرب النجباء مع الضيوف، ولما علم عبدالله باشا بالخبر أصبح منفعلاً متغيضاً وتكدّراً، بل ومتأثراً من وجود سعيد بك عند حمود الثامر، مع أنه كان في ذلك الوقت ذا سيطرة وقوة واقتدار عظيم، وفي الحال كتب كتاباً إلى حمود الثامر يأمره بتسليم الدخيل.

(١) يريد به حمود الثامر كما في (مطالع السعود) للشيخ عثمان بن سند، و(أربعة قرون من تاريخ العراق) للونكريك وغيرهما، وقد صححنا هذا الاسم الذي جاء مغلوطاً (حمود الناصر) في عدة مواضع من الكتاب ليستقيم المعنى، والشيخ حمود الثامر بطل آل سعدون.

حمود الثامر وعبدالله باشا

وكان حمود الثامر متعهداً ومتكفلاً للحكومة أن لا تظهر من عشائره أدنى مخالفة وعصيان على الحكومة، ولكن لما كانت عادة سائر العربان يأبون تسليم الدخيل، وإن كانوا لا يعرفونه، فكيف والدخيل هو ابن سيده ومتفقه؟، وكان هو من أكابر سادات وأشراف العرب، وإذا سلمه يكون ذلك عاراً عليه وعلى عائلاته، فعرض مراراً لعبدالله باشا أن لا يكلفه بشيء يوجب على عشيرته العار والشنار.

أما عبدالله باشا فإنه وافق على فكر حمود الثامر أولاً، وأراد أن ينفذ أمره بذلك، لكن معاونة طاهر آغا لم يوافق، وبيّن له محاذير متعددة، وعليه أصدر أوامره اللازمة بتسليمه مغلول اليدين، وإذا لم يسلمه يعدّ حمود ناقضاً للعهود.

موقف حمود الثامر

أما حمود الثامر فإنه حينما وصل الأمر القائل بتسليم سعيد بك إليه، انشغل باله، وتشتت أفكاره، وفي الحال عقد مجلساً كبيراً يحتوي على الأمراء والرؤساء وعشائر آحاد العربان، وباشر يقرأ عليهم الأمر الواردة من قبل الولاية، وكان الأمر محرراً باللغة العربية، وبعد أن ختم قراءة الكتاب نهض حمود الثامر بذاته، وألقى خطبة بليغة على الحضّار، وهذا مآلها:

خطاب حمود الثامر:

(أيها الأمراء والرؤساء والمشايخ!

أخاطبكم اليوم لعلمي إنكم أنتم الممثلون للعرب، وإني أعلم أيضاً أنه قد تجسمت فيكم الشهامة والغيرة الحميرية، وبما أنتم أمراء ورؤساء القبائل، أخاطبكم بخطاب يليق بكم، فليكن معلوماً أيها الأجلاء العظام والسادة الكرام أن دخيلنا سعيد بك لما علم أن حياته بخطر، وأن الداعي كنتُ المتفق الخاص لوالده، التجأ إلينا، لكي يتمكن من المحافظة على حياته المهددة بالخطر، ووقع دخيلاً عندنا، وها هو ذا، تعرفونه وتعرفون أباه، وتعرفون منزلة أبيه، وهو من ذوي البيوت لا من العتقاء والسوقة.

وإني قد تعهدت وتكفلت بحمايته حماية مطلقة، وأنه الدخيل عندي، ولم تظهر له أدنى مظاهرة تشغل الحكومة، بل ولا يتحرك بحركة مخالفة لرضاء الدولة، وكررت هذه الكيفية للولاية مراراً، فلم تفد جميع مراجعاتي واسترحاماتي، ولذا لم يبق للحكومة حق إن خالفتها وعصيتها، لأني قد اخترت جواب السلب، وأمرتنا الولاية بهذا الأمر الذي قرأته عليكم بتسليم الدخيل، فإن لم نسلمه تأخذه الحكومة من عندنا قسراً بقوة السلاح، وهذا تهديدهم كما سمعتموه.

وقد حاكمتُ نفسي مراراً بكيفية تسليم الدخيل، فأبت نفسي وشيمتي العربية تسليم الدخيل كتسليم الشاة إلى القصاب، وجزمت وعزمت على أن أقاوم وأدافع الحكومة بكل مجهودي وقوتي لآخر نفسي، فإن عجزت عن المقاومة أكون مجبوراً علي ترك أولادي وعيالي، وآخذ دخيلي، وأهرب به إلى الديار النجدية، حفظاً لناموسي وشرفي.

فمن كان منكم يكره هذه الحالة، فليعتزل إلى جنب، واعتقدوا أني لا أجبر ولا أُكرة أحداً على أن يكون معي، فكل منكم مختار برأيه، حيث إن هذه المسألة هي خاصة بنفسي، وعائدة عليّ، ولا شك أن هذا هو ناموسي وشرفي، ولا أقبل أن يدنس، وأن يكون فيه عار، وتسليم الدخيل هو أكبر عارٍ علينا، ولهذا لابد لي أن أهرق آخر قطرة من دمي للمحافظة على الناموس.

واعلموا جميعاً إنني لا أكلف أحداً منكم بتكليف لا يطيقه).

إلى آخر ما قال من الكلمات الحماسية، فتوصل لاكتشاف ما في ضمائرهم، فأجابه الحضّار كافة بلسان واحد قائلين:

(ألم نكن نحن مثلك عرب، ومن العرب؟. أما نحن الذين قبلناك رئيساً علينا لعلمنا أنك الرجل الوحيد، بل الشريف الغيور الفريد المتصف بهذه الديار، فكما أن شيمتك العربية تأبى تسليم الدخيل، فشيمتنا وغيرتنا العربية تأبى أيضاً أن نعتزل عنك بمثل هذا اليوم الأسود، وكيف تقبل شيمتنا الاعتزال عنك، فلا نبقيك أنت ودخيلك ما دام فينا دم الحياة؟، وها نحن حاضرون نفدي أنفسنا وأرواحنا ومالنا في سبيل تخليص دخيلك، ولو كان من آحاد الناس. كيف وهو ولد سليمان باشا الذي أعلى شأننا واعتبارنا؟، والله يا رئيسنا اعلم جيداً أننا لنفدّي كل غال ورخيص، ونتبعك بكل ما تأمرنا به، فلتطمئن نفسك الزكية، واعتقد أننا تابعوك لكل خطب، وباتباعنا لك نجد النجاة والنصر والظفر النهائي.

ولما وصل الخبر [عن] إعلان العصيان من قبل عشائر المنتفق إلى بغداد، اعتقد

عبدالله باشا أنه لا يمكنه أخذ سعيد بك كما يروم بسهولة، ولهذا أمر بتجهيز فيلق من الجنود المعلّمة (المدرّبة)، وتمكن من جمع ما يتجاوز على ثلاثين ألفاً من الجنود، وأكمل مهماتهم وسيّرهم، ومعهم أضخم المدافع، فتوجهوا عن طريق الحلة والسماوة.[1]

(١) في صفحه ١١ من المجلد الأول من كتاب (مباحث عراقية) للمرحوم الأستاذ الكبير يعقوب سركيس: (وكان طلوعه من بغداد في شهر شوال سنة ١٢٢٧هـ (١٨١٢م) على الحلة، وصار مسيره بالشامية، أي على شاطئ الفرات الأيمن.

انحياز الجيش بجنب سعيد بك

لكنه اتكل على القوة الداخلية كاتكال الولاة السابقة، ولم يعلم أن بين هذه الجنود ما يتجاوز على ستمائة أو سبعمائة نسمة من الآغوات الجسورين المعتبرين، وكلهم من خدم سليمان باشا الكبير، ولم يقبلوا قتل ابن أميرهم، فبدأوا بالفرار إلى طرف سعيد بك. كل ليلة خمسة وسبعة مع أجهزتهم.

وقد نصح الأمراء الذين يحبون المسالمة عبدالله باشا قائلين له: إن هذه الجنود التي جهزتها أكثر أمرائها وضباطها من حشم سليمان باشا، ولا يسعهم محاربة ابن سيدهم وأميرهم، ولا تفشل بهذه الحركة.

ولكن (إذا جاء القدر عمي البصر). لم يسمع النصح، وقد صمّت أذناه عما قالوا له، فأوقعه الله في هوة المهالك والخطر.[١]

(١) وفي اليوم الثاني من شهر صفر سنة ١٢٢٨هـ نهار الأربعاء تقدم الوزير بعساكره الوافرة، وتقدم حمود بجنوده، ولم يعلم الوزير أن العسكر جميعهم خائنون عليه، فولوا ناكسين.

مذاكرة الجيش في هذه المسألة

ولما كان في هذا الفيلق الجديد أناس كثيرون هم من عتقاء المرحوم سليمان باشا، أبت نفوسهم الزكية أن يحاربوا ابن من تربّوا بنعمة أبيه، وقالوا بعضهم لبعض: هل يليقٍ بنا أن نحارب العرب سكنة الصحاري والبوادي، وهم يفدون أرواحهم لكونه نزيلاً عندهم، ونحن تربينا بنعمته ثم نعود نحاربه ونقتله؟. إن هذا لشيء مناف للإنسانية، ولا يقتحم على هذا العمل إلا من كان من غير صلب أبيه، فلأجل أن نكون مثالاً للعالم بأسره يجب علينا أن نسل سيوفنا لاستخلاص روح ابن سيدنا وأميرنا.

إنفاذ التصميم الأخير

ولما تجمعت الجموع بمحلّ يقال له (غليوين)، وصفّوا الجنود نظام الحرب، وشكلوا القلب والجناحين، ورتبوا فرق الكشافة، وعيّنوا جنود الاحتياط، والتقى الجمعان، وثار ثائر الحماس، فعند أول مرمى خرج من فم المدفع قبل أن يصل هديره لأسماع المتحاربين انفصل قسم كبير من الفيلق، وقدره ما يتجاوز الألفين من الأسود، ودقت طبولهم، ورفعت أعلامهم، وتوجهوا بكمال الترنم والإنشاد نحو طرف سعيد بك، وعلى هذا بطلت الحرب بتاتاً، والقسم المتبقي حينما شاهدوا عزلة أمرائهم أعلنوا مخالفتهم حالاً، واقتدوا بأثر رؤسائهم، والتحقوا بهم أيضاً، وبقي في الميدان الباشا المومى إليه مع خدمه الخاص ومعاونه طاهر آغا مع قسم قليل من الجنود الاحتياط، والجنود الاحتياطية أيضاً لما شاهدوا حالة قائدهم وخوفه، وذهاب الرؤساء إلى ذلك الطرف، اعتزلوا القائد، وتبعوا من هرب كتيبة بعد كتيبة.

استقبال سعيد بك للجيش

أما سعيد بك فإنه كان يستقبل وفود الجنود، ويرحب [بهم] بكل لطف وبشاشة، وبناء على حسن أعمالهم ووفائهم زيدت أضعاف منّته منهم، واتفقت جميع رؤساء القبائل وأمراء الجنود، واتحدوا جميعاً على أن يكون الوالي العام على الخطة العراقية سعيد بك المشار إليه، وأخذ بزمام الأمور بكف كفايته.

هروب عبدالله باشا وإعدامه

فلما رأى عبدالله باشا هذه الحالة التعيسة، وهى عزمه وخارت قوته، وفرّ هارباً مع خدمه نحو مدينة بغداد، وعقّبهم كل التعقيب حمود الثامر، رئيس قبيلة دائرة المنتفق على الإطلاق، فقبض عليهم، وجاء بهم إلى الفيلق، فسجنوهم وأعطوهم المعلومات اللازمة إلى الباب العالي، وأخبروهم بكيفية الواقعة مفصلاً، وطلب سعيد بك توقيف الجناة عنده، ورأى أن بقاءهم في الحياة موجب لبقاء حياته في الخطر، وعليه قرّ رأي العموم على إعدامهم، فأعدموهم حالاً، وهم عبدالله باشا ومعاونه طاهر آغا.

توجه سعيد بك إلى بغداد

وعند الختام توجه سعيد بك إلى بغداد، وأخذ جميع أدوات الحرب والمهمات اللازمة، وسحب الفيلق الجرار إلى مدينة السلام، وأمّن راحة الأهلين، وأعطى المعلومات إلى الباب العالي، واستتب الأمن والراحة في جميع الأطراف، وصدّق الباب العالي ولايته على مدينة البصرة وبغداد وكركوك [شهر زور].[١]

(١) قال ابن حوقل: شهرزور مدينة حصينة عليها سور يسكنها الأكراد، ووصفها الرحالة ابن المهلهل: شهرزور مدينات وقرى فيها مدينة كبيرة، وهي قصبتها في وقتنا هذا يقال لها نيم راه عند الفرس، ومعناه منزل نصف الطريق، لأنها تقوم في نصف الطريق بين المدائن (طيسفون) وشير، وتقع أراضيها اليوم في لواء السليمانية.
ليسترنج: بلدان الخلافة العباسية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ص٢٢٥ — ٢٢٦.

اعتلاء كلمة المنتفق

وبناء على هذه الوقعة الكبيرة نالت عشائر المنتفق الشهرة العظيمة، وانتشر خبر حمود الثامر في كل الأطراف، وهابته العشائر، وقد لقبته بسلطان البر، وبدأوا يسمونه (سلطان حمود الثامر).

إحالة المدن إلى حمود الثامر

والممالك التي هي من مضافات مدينة البصرة التي كانت ليس في حوزة العثمانيين أعطى سعيد بك أوامر عامة بإمضائه، وألحقها إلى حمود الثامر، وكذلك جميع ملحقات البصرة وقلعة القرنة التي كانت عائدة للحكومة، فإنها دخلت في حوزة رؤساء المنتفق أيضاً، و(تلك الأيام نداولها بين الناس).[١]

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

ولاية داود باشا

وخلاصة الكلام، دام هذا الحال بهاتيك الحوالي مدة مديدة، حتى وصلت إلى درجة بحيث بدأ حمود الثامر لا يعطي الأهمية للولاة وسائر الأمراء. ثم لما جاء داود باشا خلفاً لسعيد باشا أرسل إلى حمود أحد أعاظم رجال بغداد، ومن أشرافها الكبار إبراهيم بك آل عبدالجليل لمصلحة هامة، وبعد وصوله إلى المنتفق لم يقبله حمود لمواجهته إلا بعد مرور شهر، وما ذلك إلا تحقيراً لداود باشا.

القبض على حمود الثامر

أما داود باشا فإنه بعد أن أتم عمله، وتوفق بنجاح عظيم في حروب إيران، ووضع أمهات المصالح تجري بمجاريها وفقاً للنظامات، جلب لطرفه عجيل السعدون ابن أخي حمود الثامر المار ذكره ببعض الوسائط الخفية، وجعلهم مأموراً على مشيخة المنتفق، وأرسل بمعيته شرذمة قليلة من الجنود، وحينما وصلوا قرب المنتفق، التقت الجنود، وتهاجم الفريقان، واشتد القتال بينهما سويعات من النهار، فتغلب الجنود على حمود وآله وأعوانه المارقين حتى أسروا حمود، وجاؤوا به إلى بغداد مخفوراً.

ثم أمر الوالي داود بإنزاله ضيفاً عند إبراهيم بك الذي لم يقبله[1] لمواجهته إلا بعد شهر، وهذا لم يحصل منه أدنى قصور وفتور بخدمته وحرمته، إلا أن الجزاء من جنس العمل حيث لم يقبله لملاقاته ومواجهته، ولو مرة واحدة إلى يوم وفاته.

(١) يريد به رسول داود باشا إلى شيخ المنتفق، وهو إبراهيم بك آل عبدالجليل.

عزل داود باشا وقيام العشائر

ولما خذل حمود الثامر كما شرحنا، وعزل عن المشيخة، حصلت الواردات بضمائم كثيرة، وشوهد نفوذ سلطة الحكومة هناك، لكنه قبل أن يتم الانتظام ويستتب الأمن المقصود، جاء الأمر القائل بعزل داود باشا من ولاية بغداد، وانفصل عن منصة الحكم، وانقرض أوجاغ [أي الأسرة] المماليك[1]، وتبدلت إدارة الحكومة، وعادت الأحوال السابقة في دائرة المنتفق، وازداد طغيان العشائر وعصيانها أضعافاً مضاعفة، حتى أن أقل العشائر قوة أعلنت العصيان، وخالفت الأوامر بعد أن كانت صادقة مطيعة، وأصبح انضباطهم من الأمور المستحيلة، وصار الحكم لمن غلب بين العشائر، والقوي يأكل الضعيف، حيث لا رادع لهم ولا آمر، ودامت الفوضى بين العشائر العراقية ودوائر المنتفق قائمة على قدم وساق إلى تاريخ سبعين ومائتين وألف.

(١) لاحظ أن المؤلف من بقايا المماليك، ولهذا نجده يرسم صورة قاتمة لأحوال العراق بعد ذهاب دولتهم. (مشرف الخزانة).

ولاية رشيد باشا

وبعده عين خلفاً لداود باشا، رشيد باشا المشهور بالگوزلكي(1) [صاحب النظارات]، وفي أثناء ولايته في بغداد وكثرة اختلاطه مع رؤساء العشائر وسائر رؤساء العرب، أحاط علماً كافياً بالأحوال السابقة والحاضرة واللاحقة، وعليه قام وجعل من أهم وظائفه تخليص الرعايا من أيادي المتغلبة الظالمة، وبها يمكنه حصر الواردات الأميرية للحكومة بعد أن كان المتغلبة يأخذونها لهم، ولم يعطوا منها قرشاً واحداً للحكومة، فاستناداً على القوة العسكرية التي شكّلها وجمعها لهذا الغرض لا غير، توجه نحو

(1) المعروف تاريخياً أن الذي خلف داود باشا في بغداد هو علي رضا باشا اللاز الذي أرسلته الحكومة العثمانية ليقضي على حكومة داود باشا، وعلى داود نفسه، إلا أنه فضّل إرسال داود باشا إلى الآستانة، وأوصى به خيراً، بعد أن قضى على حكومته وأعوانه قضاءً مبرماً، وجاء في ص١٢٨ -١٢٩ من حولية [سالنامه] بغداد التركية الخامسة عشر الصادرة في عام ١٣١٧ ثبت بأسماء ولاة بغداد، ننشر منه ما يهم موضوعنا:

اسم الوالي	سنة مجيئه	مدة ولايته
داود باشا	١٢٣٢	١٤ سنة
لاز علي رضا باشا	١٢٤٦	١٦ سنة
محمد نجيب باشا	١٢٥٨	٦ سنوات
عبدالكريم نادر باشا	١٢٦٤	سنة وستة أشهر
وجيهي باشا	١٢٦٦	عشرة أشهر و٢١ يوماً
محمد نامق باشا	١٢٦٧	تسعة أشهر وخمسة أيام
گوزلكي محمد رشيد باشا	١٢٦٨	خمس سنوات و١٧ يوماً
سردار أكرم عمر باشا	١٢٧٣	سنة وأربعة اشهر
سر كاتبي مصطفى نوري باشا	١٢٧٥	سنة وأربعة أشهر
أحمد توفيق باشا	١٢٧٧	ستة أشهر و٢٢ يوماً
محمد نامق باشا (ثانية)	١٢٧٧	سبع سنوات ونصف السنة
تقي الدين باشا	١٢٨٤	سنة واحدة
مدحت باشا	١٢٨٥	ثلاث سنوات و٢١ يوماً

ولا يبعد أن يكون صاحب الكتاب أراد أن يقول: (ولما جاء عهد رشيد باشا الگوزلكي)، فأزل به القلم، وأثبت ما هو مدون هنا، أو أن يكون المعرّب أساء فهم المؤلف، فكتب ما هو مثبت، والله أعلم.

العشائر، وضربهم الضربة القاضية، وأجبرهم على الخضوع للدولة قهراً.

وهكذا أدّب المتغلبين حتى نال مقصده المطلوب من التأديب، فازدادت سلطة وشوكة الحكومة بين كافة قبائل العرب، وبينما هو فرح بهذا الظفر الأبدي، وشاع اسمه وذاعت شهرته، تمرّض بمرض الخنّاق [وهو التهاب الحنجرة من البلعوم]، وبدأت الأطباء بمعالجته، فسقوه علاجاً خطأً منهم، وانتقل إلى رحمة ربه الغفور بتأثير الدواء -رحمة الله تعالى عليه -قبل أن يتهنّى بظفره.

خلاصة أعمال رشيد باشا

رأينا من الأمور اللازمة أيضاً إيضاح وتفسير الوقائع التي حصلت بزمن ولاية المشار إليه (رشيد باشا).

إن هذا الوالي الكبير المقدام أول ما باشر بوظيفته المودوعة له. فتش وفحص أحوال الولاية جيداً، وفي تلك الأثناء كان كيلو الشعير يباع في بارتين، وكيلو الحنطة في خمس بارات[1] في قضاء الحلة التابع لولاية بغداد، وكانت في مدينة البصرة تباع قية [أوقية] الشعير بأربعين بارة، وقية [أوقية] الحنطة بثمانين بارة، بل ولا تقع في اليد بهذه الفئات.

وسبب ذلك أن رؤساء عشائر دائرة المنتفق لما أحدثوا بأراضيهم أخذ رسومات الكمرك من الحبوب التي تمر بأرضهم، ولا يمكن نقل الذخائر إلى البصرة بواسطة نهر الدجلة [كذا] والفرات، حيث انقطعت عن البصرة الحبوبات العراقية لإحداث هذه الرسوم، وكانت الحبوبات التي تجلب من بلاد إيران والهند تستهلك فيها، ولهذا ارتفعت أسعار الحبوب إلى ذلك الحد، وأحاط علماً بأمر عصيان العشائر وبغيهم وفسادهم، فجهز عليهم جيشاً عرمرماً، وزحف لتأديبهم، واحتل قضاء السماوة، وأدّب عشائرها الساكنة هناك وسائر أفراد العربان، فأظهر سطوته القاهرة، فهابته العربان، وخضعت لجميع أوامره.

ثم توجه بجنده مع العشائر نحو المنتفق، وخذل ناصراً وأعوانه أخو منصور شيوخ المنتفق، وأذل المتمردين، وأخضعهم لاتباع قوانينه قهراً بعد أن كان يحارب الجنود الشاهانية التي كلما ذهبت لتأديبه سبّب شهادة الألوف من الجنود، فلأجل ذلك

---

(١) البارة: عملة تركية هي ١ من ٤٠ من الغرش الصاغ (الصحيح)، والليرة العثمانية تساوي مئة غرش صاغ، فتكون الليرة أربعة آلاف بارة.

استكبر استكباراً، وكان لا يعطي أدنى أهمية للحكومة غروراً وعناداً منه، ولما تغلب عليه الوزير المشار إليه، أخذ رؤسائهم وأمرائهم أسراء، وضبط بلادهم، ونهب أموالهم ومواشيهم، وتوفق للغو الرسوم التي أحدثوها، وأصبحت حينئذ مناقلات الأنهر المار ذكرها تجري بكمال الطلاقة والحرية، وصغّر نفوذ المشيخة المذكورة، وحدّدها على شروط، وضبط أغلب الأماكن من يد المتغلبة، فأشرقت شمس سلطة الحكومة على كافة أنحاء العراق، إلا أنه –ويا للأسف –اختطفته يد المنون قبل تكميل ما نواه في ضميره السالم، رحمه الله.

ثم تعين بمحله والياً على بغداد عمر باشا السردار الأكرم.

تعيين السردار الأكرم عمر باشا والياً على بغداد

بعد وفاة رشيد باشا تعيّن بمحله والياً على بغداد عمر باشا السردار الأكرم، فإنه اغتر بقوته وبسلطة الحكومة القاهرة، فسلك خلاف مسلك سلفه، فقد سحب الجنود من قصبة (سوق الشيوخ) لأمور مستورة، وخفيت عنّا، زاعماً أن هواءها وماءها لا يوافق [كذا] أمزجة الجنود، ويمكنه تأديب عشائر المنتفق بطابور وطابورين عند ظهور تمردهم وعصيانهم، فيؤدبهم بقوة قليلة، وهذا الرأي مخالف لأفكار سلفه كل المخالفة.

وبعد انسحاب الجند من تلك الأنحاء عاد نفوذ وتسلط العشائر على هاتيك البقاع بعد أن ضبطت بتدابير دفتردار ولاية بغداد مخلص أفندي زمن رشيد بك، فتدابيره الماهرة وحركاته الصادقة أجبرتهم على أداء الرسوم الأميرية، ولكن ما الفائدة، فقد عكس الأمر بزمن ولاية عمر باشا بعد انسحابه عنهم.

وأما بحث وخامة الهواء الذي يستدل به عمر باشا، فإنه صنعي لا طبيعي، وسببه: أن شيوخ المنتفق فتحوا الجداول الكائنة بجوار قراهم وقصباتهم، وجعلوا مياهها تجري على الأراضي، وأحاطت بالأطراف. فعلوا ذلك عن قصد منهم، وبذلك حدثت التعفنات الكثيرة المتولدة من هذه المياه الراكدة، فأحدثت سبباً عرضياً، مع أنه كان أسهل واسطة لدفعها سد أفواه هذه الأنهار والجداول، ولم تبق هذه الأمور إلا أياماً قلائل.

أحمد توفيق باشا

ولما جاء والي ديار بكر أحمد توفيق باشا والياً على بغداد، ضبط أبا الخصيب وغيرها من الأقضية، وضرب عشيرة بني مالك ضربة قاضية، وكسر شوكتهم ومهابتهم.

محمد نامق باشا ولغو المشيخة

ثم جاء والياً على بغداد محمد نامق باشا للدفعة الثانية عند ختام التزام المشيخة، [فـ] جلب إلى عنده كبار المشيخة وأحفاد الشيوخ، وتشبثت بفصل بعض الأماكن منهم كما تصوّر ذلك رشيد باشا المرحوم من قبل، وقد تعهد منصور بك أحد أعضاء المجلس الكبير في بغداد، وقال: (لا حاجة إلى القوة، فأنا أتعهد وأضمن بإدخال دائرة المنتفق كلها بعداد الممالك العثمانية، وأسعى غاية السعي على تطبيق قوانين الحكومة العادلة فيها كما تدار شؤون الولايات إن نصبتموني قائم مقاماً عليها).

فلما رأى نامق باشا إصابة فكره، بحيث تحقن الدماء، وتزول الغوائل من البين، وأن بلغو أصول المشيخة الأمر الخيري لصالح الحكومة والأمة. أعلن لغو المشيخة، ونصبه قائم مقاماً في بادئ الأمر، إلا أن المير المومى إليه لما لم يكن له وقوف على اللغة التركية، ولا عنده علم بأصول الإدارة، وأحوال مجريات السياسة، ولو أنه كان مطلعاً على أحوال العشائر، وله دراية وروية كاملة، ولصغر سنه لا يمكن تعيينه قائم مقاماً حالاً، لكنه رأى من المناسب أن يعينه محاسباً ومعاوناً لقائم مقام ينصب هناك، فتعين قائم مقاماً أحد أشراف بغداد سليمان فائق بك الذي كان قائم مقاماً في خانقين، وعين المير المذكور بمعيته، ومعاوناً له، ومستشاراً بصفة محاسب، غير أن منصور بك كان يعرف نفسه أنه هو القائم مقام.[١]

ولما باشر بوظيفة القائم مقام المومى إليه، قامت قيامة أخيه ناصر الموصوف بالبغي والفساد، وبدأ يعلن ويخابر دوائر الحكومة بأكاذيب ومفتريات عجيبة ومتنوعة، وأظهر

---

(١) هذه الفقرة تربك القارئ، وتبعده عن الحقيقة التي يظهرها السياق وحقائق التاريخ، فمنصور باشا هو المعين بمنصب القائمقام، وفائق هو المحاسب. (مشرف الخزانة)

للعشائر أضرار القائم مقامية، وقال إنها ضرر كبير لصالحهم حالاً ومستقبلاً، وحرّك أغلب العشائر وهيّجهم، وقتل وأعدم البعض من غلمان المحاسب المومى إليه سليمان فائق بك، وجمع جميع أقاربه ومن ينتمي إليه لأجل المشورة معهم، وقال:

(لا تعتبروا المحاسب المار ذكره من آحاد الأروام، حسب زعمهم هم الأتراك، وأبناء بغداد يتكلمون باللغة التركية من موظفين الحكومة، بل هو من أكابر أولاد المماليك، وله تعلّقات كثيرة في مدينة بغداد، ولا يمكننا قياسه بسائر الأروام حتى نقتله، فإذا فعلنا ذلك تقوم علينا القيامة، ويتجسم جرمنا وذنبنا بنظر الحكومة، حيث أن لأقاربه استطاعة كبرى على تشجيع وترغيب ولاة بغداد لأخذ الثأر والانتقام منّا، وما عدا ذلك فمن أغلب الاحتمالات حدوث الاختلافات والتفرقة بيننا، وحينئذ تتبرأ من قتله هذه الطوائف المخالفة، وتقول أن قتلة فلان القبيلة الفلانية المنسوبة للفرقة الفلانية، ويصبح موقعنا من أحرج المواقع).(١)

ولكن محبّو [كذا] السفك، وخدام البغي والفتن حسّنوا جواباً لهذا الرأي، وأن وقوعه بعيد الاحتمال، وإذا فعلنا ما نتصوره تهيبنا الحكومة، وتخاف من اتساع سطوتنا، فقرّ قرارهم أن يفرقوا بين المحاسب وولده وغلمانه وسائر المأمورين والمستخدمين بالمقارعة، ويوزعوهم على الطوائف الموجودة، وكل طائفة تقتل وتعدم الذين يكون قتلهم على أيديهم.

وكان هذا القرار قد تقرر بدار ندوة الأمير ناصر، ولما اتفق رأيهم على هذه الفكرة، وأبلغوا منصور بك بذلك. رأى منصور بك في نفسه أن المحاسب نزيله وضيفه، فعظم عليه تسليمه للذبح، وأساساً كانت هذه الفكرة تخل بشرفه وحيثيّته وناموسه، لأن من قواعد العرب [أنها] لا تسلم النزيل إلى أعدائه، ولو هلك وهلكت كافة طائفته، وعلى الخصوص كان منصور يعرف المحاسب حق المعرفة، وله صداقة ومحبة معه، فأبلغهم قائلاً: (إنني إن لم أقتل مع المحاسب أنا وسائر أولادي وأقاربي وحاشيتي. لا أسلم ضيفي لكم لتقتلوه، وهذا الجواب قطعي لا أتخلف عنه أبداً، فليكن معلومكم أيها الظلمة).

---

(١) يؤلف فائق مثل هذه الأقوال ليبين لجرائد الآستانة أهميته، وخشية العشائر من مكانته وقوته. (مشرف الخزانة).

فلما اطلعوا على جواب منصور بك، علموا أن في قتلهم هذا يتهيّج عليهم منصور بك، ولابد أن يحاربهم، فيكون الأمر أعظم، وعليه قد كفوا عن فكرتهم المتصورة، ولم يقع شيء، لكنهم لم يرضوا بتحويل المشيخة إلى قائم مقامية، وأعلنوا عصيانهم في أكثر الأطراف، وتمردوا عن الطريق السوي، وبدأوا يقطعون الطرق، وينهبون الأموال والمواشي، حتى أنهم غصبوا ونهبوا جميع الذخائر التي كانت من مرتبات الحجاز، ولم يقنعوا بذلك، بل إنهم تجاوزوا إلى أعظم ذنب قد اقترفوه، وخربوا الخطوط التلغرافية الممدودة بين لواء الحلة وبغداد، وما قصدهم من ذلك إلا ليكبروا مقدرتهم في نظر الحكومة ويرهبوها حسب زعمهم، وقد أهانوا المحاسب ومن [معه] وحقّروهم.

انعقاد المجلس الكبير في بغداد بشأن المنتفق

ولما ظهر عصيانهم، وتعددت جرائمهم التي اقترفوها، وتكاثرت الشكايات عليهم، وعطلوا أمور الحكومة، وأزعجوا أركان هيئة الدولة، شكّل نامق باشا مجلساً كبيراً تحت رئاسته في بغداد، وكان أعضاء المجلس مختلطين من الأمراء الملكية والعسكرية لإطفاء هذه الطائفة الباغية، وقلعها من أساسها، وكانوا يتذاكرون على مقدار العساكر التي يرسلونها، ومن أي جهة يلزم سوقها حتى تتمكن جيداً من تأديبهم ومحوهم.

وبينما هم يتذاكرون إذ وردهم الأمر القطعي من قبل نظارة الحربية بجعل قوة الفيلق السادس على أهبة السفر عموماً، مع انتظار الأمر الأخير من غير إفاتة وقت ما، وعلى هذا انفسخ المجلس وقراره، وأمر الوالي بتهيئة الفيلق إلى السفر، وأعلن النفير، وتهيأ مع أكمل العدة بمدة قليلة، وبقى ينتظر الأمر الأخير.

جلب سليمان بك إلى بغداد

وفي تلك الأثناء أبان للحكومة أمين أفندي كاتب العربية الذي كان يرى وظيفة كتابة العربية عند المشايخ والرؤساء بوظيفة (قبو كتخدا لغي)[١] أن جميع العربان وسائر الطوائف قد تعاهدوا فيما بينهم على أن لا يقتربوا من الحكومة، ولا يأمنوا منها، فحصل سكون عند المجلس، وبعد تفكير قليل رأوا أن يجلبوا سليمان فائق بك المحاسب المار الذكر، وبواسطته يمكنهم جلب ناصر إلى بغداد، وعليه قرّ قرارهم، وعينوه مأموراً لهذه المسألة الهامة.

وقد توفق سليمان فائق بك لجلب الأمير ناصر إلى بغداد بعد إعطائه العهود والمواثيق لئلا تغدر الحكومة بحياته، ولما حضر أمام الوالي، كلفوه بأن يلتزم دائرة المنتفق من حيث الإيراد، لكي يوجهوا له المشيخة، فقبل على شرط أن يترك له محلّين من الأماكن، ويضم ألف كيس على التزامها السابق [والكيسة هي ما ساوت خمسمئة قرش خالصة، وتسميها العرب ريّح بالك، أو أبو خمس ليرات]، وأعطوه المشيخة، وقرّ قرارهم على هذه الصورة.

إلا أن الحكومة ليس لها أمنيّة [ثقة]، ولا اعتماد عليه بحركاته وأطواره السابقة، لكن بدلالة سليمان فائق بك قد جلب إلى بغداد، ورأوا أن التزامه المشيخة كان أمراً طبيعياً لا بد منه، فلأجل أن يستفيد من فكر الحكومة الآتي اتفقوا رعاية للاحتياط خفية مع فهد، وأبعدوا سليمان فائق بك بصفته محاسب إلى البصرة، وفهّموا منصور بك أنه

(١) أصل كلمة كتخدا فارسية مركبة من (كت –دار) و(خدا –رب)، فيكون المعنى (رب الدار)، أو ما يسمى عند العرب (القهرمان)، وهي وظيفة كانت مشهورة في العهد العثماني، وتطلق بشكل مجازي على مساعدي كبار رجال الدولة كالصدر الأعظم والولاة، وكانت العادة أن يصطحب كل وال (كتخدا) له، وأصبحت لهذه الكلمة مشتقات ككتخدا الحرم، حيث تكون الوظيفة شخصية لا رسمية تنتهي بانتهاء ولاية الحاكم.

لكونه لا يترك بعض الأماكن، ولا يتعهد بضم البدلات اللازمة للتأدية. رجحوا إحالة المشيخة إلى فهد بك. ثم بدأ ظهور الاختلافات وعلائم العصيان من قبل أتباع ناصر ومنصور، وقد هجموا على بعض القرى، واختلت الأمنية.

طلب فهد بك للقوة

وقد استمدّ الشيخ المومى إليه من الحكومة أن يمدوه ويقووه ويعضدوه قبل أن يتفاقم الأمر، ويعظم الخطب، فأجابت طلبه الحكومة حالاً، وأرسلت له طابوراً[1] عسكراً من المشاة من موقع العمارة، مع مدفعين من المدافع الصغيرة التي تسمى بالمدافع الجبلية، وأرسلوها بباخرة، ولما وصلت العساكر إلى البقاع المقصودة لم تر حاجة إلى ضرب البنادق، بل اكتفوا بضرب بعض الدانات [قنابل]، فضربوا مرمياً، وألحقوه الثاني، فتشتت شمل العشائر، وهربوا كارهين ميدان الوغى.

(١) الطابور: اصطلاح عسكري يقابل (الفوج) في الجيش العراقي، وقوامه ألف رجل.

مسير الجيش إلى المنتفق

لكن لأجل استقرار وتثبيت مسند المشيخة لعهدة فهد بك، فقد أرسل شبلي باشا قائم مقام الحلة آلاياً[1] من الخيالة، ومقداراً من العساكر المشاة، فتوجهوا نحو المنتفق من البر، وطابور المشاة من النهر بواسطة السفائن النهرية، وبأثناء الطريق تصادفوا مع أشقياء المنتفق، وتصادمت جنود المشاة مع الأشقياء، وبناء على حركة قائد الطابور البيكباشي[2] بحركة منافية لقواعد الفنون الحربية ومباينة لها، بل تحرك بحركة غير معقولة. انهزم الطابور من أمام الأشقياء شر هزيمة، ولم يسلم أحد منهم غير ثمانين نفراً، وقد أحرز ضباط الطابور مع قائدهم درجة الشهادة بهذه المعركة الصغيرة.

ولما وصل الخبر السيء إلى شبلي باشا رجع خائباً مع خيالته، خوفاً من المصادفة مع الأشقياء، ولم تحصل فائدة ما من هذه التدابير، ولم يستقر أمر فهد باشا.

(١) الآلاي: يقابله (اللواء) في الجيش العراقي، وقوامه أربعة طوابير (أفواج). أما عدد أفرادها فأربعة آلاف جندي.

(٢) البكباشي: رتبة عسكرية يقابلها (مقدم) في الجيش العراقي.

مسير حافظ باشا إلى المنتفق

ثم بعد هذه الفاجعة قد عينت الحكومة فرقة من العساكر تحت قيادة رئيس أركان الفيلق السادس حافظ باشا للتنكيل بالأشقياء المرقومة، واستقرار أمور فهد بك، وتوجه إلى هاتيك الأطراف، فلما عثر على الأشقياء ضربهم الضربة القاضية على حياتهم، وقتل منهم عدداً كبيراً، ولم يبق ملجأ لرؤسائهم، وجاء بمنصور بك وناصر بك أسراء[1]، وأقاموهما في بغداد بشرط أن لا يخرجوا منها، وخصصت الحكومة لهما رواتب لإعاشتهما.

(١) مبالغة من خصم معاند، وإلا فلم يتم أسر منصور وناصر بالمعنى المعروف للأسر، وسياق الكلام يبين مبالغته. (مشرف الخزانة).

مطالعة الكاتب

كان اللازم على حافظ باشا أن يلغي أصول المشيخة، ويحوّلها إلى قائم مقامية، حيث كانت من أسهل الأمور عليه، لأنه أدّب الأشقياء بهمة عسكرية جزئية، وخضعت لهيبته كافة قبائل هاتيك الأطراف، ولا يمكن لأكبر ذات أن يتكلم أمامه، وكان من الممكن أن يفعل ما يريد، ومع هذا فاتته هذه الفرصة بسحب العساكر حالاً، وهذا موجب للأسف العظيم[١]، حيث إنه لم يذهب إلى تلك الأطراف إلا لتأديب الأشقياء، واستقرار أمور فهد بالمشيخة، ويعاونه على تنفيذ أوامر الحكومة، وكان قد تبلغ بهذا من قبل الوالي، لكنه رأى واجتهد بفكره أنه لو سعى بلغو المشيخة [إلغائها]، وقلبها إلى قائم مقامية، يجب عليه حينئذ أن يبقي قسماً من الجنود هناك يحكم بين العشائر، ولعدم رسوخ قدم الحكومة هناك، ربما ينتج هذا الحال على الحكومة نتائج وخيمة، فلهذا رجّح فكر سحب العسكر من هناك، وأبان لهم أن الحكومة ثابتة على قولها:

(١) هذا الأسف وهذه الحسرة خاصة بسليمان فائق كاتب المقالات الذي لا يرى مصلحة العراق إلا من خلال مصلحته الشخصية، ولا تهمه مصلحة عرب العراق ومكوّناته. بل مصلحة المكوّن الذي ينتمي له. (مشرف الخزانة)

تشكيل لواء نجد

أجل إن حافظ باشا مصيب بفكره، حيث شوهد الأمر الذي يماثله في تشكيل لواء نجد، وذلك بناء على مراجعة عبدالله الفيصل آل سعود، سيقت إلى سواحل الأقطار النجدية العساكر، وبعد حرب وقتال شديدين شكلوا هناك متصرفية تسمى (لواء نجد)، وأخيراً شوهدت خساراتها ومضراتها من جراء لغو المشيخة حالاً، وسنأتي بتفاصيلها وبمباحثها المخصوصة.

سليمان فائق بك وسبب تبعيده عن بغداد

قد ذكرنا آنفاً كيفية تعيين سليمان بك محاسباً في دائرة المنتفق، وقد بقي هناك مدة ثلاثة أشهر، وتحمل كل إهانة وتهديد في المنتفق وفي سوق الشيوخ، و[نوّهنا] بعودته منها، ومراراً حوصر هناك، ورمته العشائر بالحجارة، وضربته بالبنادق، وأرادت قتله، وهاجت طوائف العشائر وماجت، وهو لا ينفك عن إظهار صداقته وخدمته لصالح الملة والوطن، وصرف أموالاً طائلة من كيسه إلى أن وصل إلى بغداد. ثم أرجعته الحكومة لأجل أن يجلب الأمير ناصر من المنتفق بأحسن وأسلم صورة.

ولما جاء إلى بغداد لم يكتف نامق باشا بذهاب دراهمه من كيسه، حيث صرفها لإخماد الفتن وتسكين الهياج، ولم يعطه ما صرفه من الخزينة لشدة إمساكه وبخله، وعلاوة على حسن خدمته ومكافأته لموفقياته الفعلية والجدية، أبعده عن بغداد نفياً لسوء ظنه فيه، حيث كان يظن أنه من أعوان الأمير ناصر، ويا ليته لو نفاه إلى الأماكن الطيبة، بل أبعده إلى محل مشهور بوخامة الهواء، وهي البصرة، بصفته محاسب المالية.

فذهب إلى البصرة، واهتم بوظيفته، وأسرع بإنهاج المرتبات الحجازية، وحافظ على البلاد التي ألحقت إلى البصرة، واستردت من دائرة المنتفق من مكائد العشائر، ولما رأت الحكومة اهتمامه الخارق للعادة، وسعيه المتواصل لتوسيع سلطة الحكومة، عينته قائم مقاماً على لواء البصرة مكافأة لخدماته الصادقة الناجحة، وما نال هذه المكافأة المعنوية الإلهية إلا لحسن نيته، وصفاء ضميره.[١]

(١) هذا ليس حديث مؤرخ، بل هو دعاية موظف لنفسه أمام قراء الجريدة، وبالتالي، فيجب أن تعامل نظرته وتصريحاته من هذا الباب. (مشرف الخزانة).

ولما وقعت الواقعة مع جنود شبلي باشا، وسمعت بها عشيرة بني مالك التي هي بجوار البصرة، هاجت وهجمت على الجنود هناك بكل قوتها، وقد أخذ هذا الخبر بواسطة التلغراف الذي كان ممدوداً إلى قضاء السماوة، وعليه فقد جمع سليمان بك وجهز من صنوف الأهالي ما يتجاوز الألفين جندياً وسلّحهم، وزادت القوة الموجودة هناك، وأحضر المدافع، وأكمل سائر المهمات الحربية بزمن قليل، ولما رأت القبيلة المذكورة تشبّثه بتكثير القوة، واستعداده للمكافحة قبل أن يأتيه المدد، لم تعتبر القبيلة بهذه القوة، وظنّت إنها يمكنها تشتيت شمل العساكر لغرورها بشجاعتها.

ولما تقارعت السيوف بالسيوف، وهدرت المدافع، وطنّت البنادق. وقع على قلوبهم الرعب والخوف، وتركوا في ميدان الوغى قتلاهم وجرحاهم، وفرّوا هاربين عن مكافحة الأبطال، وكان مقدار ما تلف من القبيلة ما يتجاوز الستمئة قتيل، وجاؤوا إلى أبواب الحكومة أذلاء خاضعين نادمين على ما جنته أيديهم الأثيمة، ولم تقبل الحكومة دخالتهم إلا بإعطاء الكفالة، وبأن يكفلوهم الذين كانوا تحت أيادي ظلمهم وجورهم واعتسافهم من الأهالي، ولما كفلتهم الأهالي قبلت دخالتهم، وما ذلك إلا كسراً لعزة نفوسهم وتحقيراً لهم.

وعلى هذه الكيفية خلصت تبعة الدولة وسائر أفراد الأهالي من شر مضارهم ومظالمهم، وأصبحت الملة كلها ألسنة تشكر اهتمامه، مادحة لإقداماته الصالحة النافعة للملة والدين.

منصور بك وهربه

وبعد وقوع حادثة حافظ باشا لم يبق ملجأ في أنحاء المنتفق لمنصور بك، فاضطر على أن يهرب إلى أماكن بعيدة لا تصلها الحكومة، وهاجر وبقي مدة يتجول في الفيافي عائشاً بين العشائر الوحشية، وكانت له بعض الأملاك في مدينة البصرة، فضبطتها الحكومة لتراكم الرسوم الأميرية عليها، وضاق به الأمر ذرعاً، وزاد حرمانه ويأسه، ولاسيما كانت صعاليك العرب تتهدده وتزعجه، مع إنه كان من سادات القبائل والعشائر، ومن أكابر وأشراف الأمة العربية ليس له مثيل، وكلما تمضي الأيام تزعجه العربان، ورأى أن هذه الحالة تعيسة جداً لا نهاية لها، فكتب إلى بعض وجوه مدينة البصرة يسترحم أن يتوسطه ويلتمسه من القائم مقام سليمان فائق بك، فراجع المتوسط القائم مقام، وأبان له الكيفية، واسترحم منه أن يسعى لتحصيل العفو عنه.

العفو عن منصور بك

أما سليمان فائق فإنه وإن كان قد أصابه ضرر ومحن عديدة من منصور بك، إلا أنه حينما تآمرت القبائل على قتله، أخذته الشيمة العربية، فمانع وخالف مؤتمر العرب كل المخالفة، وقد رقّ لحاله، وكتب إلى الوالي نامق باشا، وبيّن محاسن هذه الذات إذا جاء وبقي تحت سيطرة الحكومة، واسترحم عفوه عن جرائمه، وذلك لأجل أن يخلّصه من هذه الورطة المهولة مقابلةً له كما خلّصه من قبل.

فهد بك لا يوافق على العفو عن منصور بك

أما والي بغداد فإنه قد مسك طريق الاعتدال بهذه المسألة، وعليه قد بلّغ وأصدر أوامره إلى القائم مقام سليمان فائق بك بأن يعطيه الأمان، وكتب الكيفية القائم مقام إلى منصور بك، وجرت المخابرة بينهما بشأن العفو، وكان قد استرق [هذا] الخبر شيخ المنتفق فهد، وكان يعتقد أن وجود منصور بك يكون مانعاً لتنفيذ سياسته المنشودة، ومخالفاً لأفكاره، فبدأ يخابر الولاية زاعماً أنه قد ضيّق على منصور بك كثيراً، فإذا أراد الالتجاء إلى البصرة أيضاً يقتضي تضييقه.

دهاء فهد بك

وكان فهد لا مثيل له في الحيل، فإنه كان يخاطب الولاية بصورة، ومن طرف آخر كان يحرض العشائر، ويقول لهم: (إني أعلم أن الأروام، أي الأتراك، أهل مكر وحيل ودسائس عظيمة لا نظير لهم في الغدر)، وكان يوصل الأخبار إلى منصور بك من طرف آخر، ويقول له: (إن الأتراك سيعفون عنك إذا وقعت دخيلاً عليهم، ويستثنون أملاكك من الخراج)، ويظهر نفسه أنه صديق حميم لمنصور بك.

وأما منصور بك ولو أنه كان يعد من دهاة العرب، إلا أنه قد تورط بقبول وساوس عن إخوانه وأقاربه الشيطانية، وهواجسهم النفسانية، واتبع أفكارهم الفاسدة، وخالف الحكومة العثمانية، ولما اشتد ساعد الحكومة، وضربتهم تلك الضربة، وشتت شملهم وتفرقوا، لم يسلم من لسانهم، حيث بدأوا يتهمونه بالتهم التي لا تعقل، ولا أساس لها [من الصحة]، وأظهروا له الخصومات المتنوعة، ولما شاهد هذه الحالة منصور بك من إخوانه وسائر أقاربه، ولم يعينوه، و[إن] كلاً منهم يلاحظ منفعته الشخصية خلافاً لما كان يعمله منهم، لم يبق له وثوق واعتماد على كل إنسان.[١]

ثم جاء إلى محل يبعد عن البصرة قدر ثلاث ساعات، وطلب أن لا ترفع رتبته، وأن تعاد عليه أملاكه. ثم يسلم نفسه إلى الدخالة، وأخبر بهذه الكيفية القائم مقام، فرأى القائم مقام أنه ليس من الأمور المناسبة أن يتكلم ويكتب هذا، فأصر على منصور بك أن يأتي دخيلاً متوكلاً على الله تعالى بلا شرط، و[لكن] لم يفد ما نصحه به، وأصر منصور بك على طلب الشروط، فحرر القائم مقام طلب شروط منصور بك إلى والي

(١) تقييم المؤلف لشخصيات معارضيه ينبع من رغبته في الدعاية لنفسه وتشويه من لا يتوافق مع خطواته لهدم مشيخة المنتفق. (مشرف الخزانة).

بغداد نامق باشا، فجاءه الجواب القطعي أن تكون دخالة منصور بك بلا قيد ولا شرط، ولا يجوز اجتماع الدخالة مع شروط. ثم حرر إلى منصور بك القائم مقام صورة أمر الولاية، وأنه لا يجوز قبول الدخالة مع شرائط وقيود، فلم يوافق منصور بك، ورجع إلى محله السابق.

تعقيب منصور بك

ولما سمع والي بغداد برجوع منصور بك، كتب إلى شيخ المنتفق جواباً لتحاريره الأولية، وإلى قائم مقام البصرة سليمان فائق بك أن يجهزوا على منصور بك فرقة عسكرية ويعقبوه. ثم جهزوا قدر ألفين جندياً، وخرج فهد لتعقيب منصور بك، وبقى مدة يعقّبه، فلم يجد له أثراً، ولم تحصل فائدة من سفر شيخ المنتفق.

وخلاصة القول أن منصور بك حينما رجع آيساً من الدخالة مع عشيرته، وعاش في البوادي بين العربان قدر سنة، ولم تبق له درجة يتحمل السفالة، رجع على سليمان فائق بك يطلب الدخالة منه بلا قيد وشرط، تخلصاً من هذه الحياة، واسترحم الشفاعة من القائم مقام، وأن يرحم بحاله.

أما سليمان فائق بك فاعتماداً على أمر الولاية السابق، قبل دخالة منصور بك بلا قيد وشرط، وأخبر الولاية ببرقية: (أن قبلنا دخالة منصور بلا قيد وشرط حسب أوامركم السابقة)، فجاءه الأمر يأمره بالمجيء إلى بغداد مع منصور بك للمواجهة، فذهب سليمان فائق بك ومنصور بك إلى بغداد معززين مكرمين.

تفصيل لقبول الدخالة وإباءة سليمان بك

كنا قد ذكرنا آنفاً دخالة منصور بك، وقبول دخالته بلا مأذونية، وقد أخبر القائم مقام سليمان فائق بك الولاية: (أن قد قبلنا دخالة منصور بك) من قبيل إعطاء المعلومات لا غير، وقد تأخر الجواب ليومين.

أما منصور بك فقد استنكر تأخير الجواب وتنكّر، ولكن بعد وقوعه في شبكة الحكومة، ولا يمكن خلاصة بوجه من الوجوه، وقد أخذته الحيرة العظمى، وأخذ يفكر في أمره، وفي اليوم الثالث من وصوله إلى مدينة البصرة استفسر بصورة لطيفة من قائم مقام البصرة سليمان بك عن [سبب] تأخر الجواب، فأدرك مقصده المير المومى إليه لشدة ذكائه وفرط فهمه أنه قد تنكر وتوحش من تأخر ورود الجواب من الولاية، فقال لمنصور بك مخاطباً:

(أيها الأخ الحميم: لا يجب عليك أن تتفكر وتلاحظ من تأخر جواب الولاية، ولا تتنكر، ولا تخف أبداً، فإني لم أقبل دخالتك بأمر من عندي، بل بناء على أمر الولاية قبلتُ دخالتك، فكانت دخالتك باسم الحكومة لا باسمي، فإذا كان آمري تسوّل له نفسه الرجوع عن كلامه، ويكتب إليّ بإحضاركم محفوراً، فإني مجبور على أن أحافظ على شرفي وناموسي وحيثيّتي تجاه العالم، وإن سبّب ترك رتبتي القائم مقامية فقط، وإن تكن الرتبة أكبر من مقام الولاية درجةً وبهاءً. أتركها ولا أحاذر، وإذا احتاج الأمر أترك ما تحت ملكي من الأملاك والأموال، وأهجر وطني، ولا أسلمك ليد ظالمة، ولتعلم أني مجبور على محافظة حياتك ما دمت حياً إلى أن تصل وطنك آمناً سالماً على نفسك).

برقية سليمان بك

ثم بذلك اليوم حرّر [سليمان بك] برقية لمقام الولاية قائلاً فيها: (إني قد قبلتُ دخالة منصور بك اعتماداً على أوامركم، وأملي وطيد بشهامتكم أنكم لابد أن تنفذوا عهدكم ووعدكم، فعدم ورود جواب برقيتنا الأولى قد استوجب اضطراب فكر ضيفي وحزنه)، وأبان محزونيته أيضاً على محزونية ضيفه، وطلب سرعة إعطاء الجواب ببرقية ليطمئن قلب ضيفه ودخيله.

جواب البرقية:

ولم تمض سويعات من الزمن إلا وورود الجواب معتذراً قائلاً: (إننا لم نخاطبكم على قبول وعدم قبول دخالة منصور بك، وليس لنا فكر سيء في السكوت. بلغوا مزيد الاحترام لحضرته)، وأمر بحضورهما إلى بغداد للمواجهة لا غير.

سفر سليمان بك ومنصور بك إلى بغداد

ثم سافر سليمان فائق بك ومنصور بك إلى بغداد، وعند وصولهما سارا تواً لمقام الولاية لمواجهة الوالي، وكان آنئذ نامق باشا مشغولاً بقراءة وتحويل أوراق المأمورين على العادة، وبعد إتمام وظيفته نظر إلى سليمان فائق بك، وسأل خاطره.

وفي أثناء محاورته مع المير المومى إليه، أعطى التفاتة ونظرة إلى منصور بك، وخاطبه قائلاً: (إيه يا منصور!. إن من أغرب التصادف حين ذهابكم إلى المنتفق، ذهبت مع سليمان فائق بك، وعدتم من البصرة سواء)، و[كان] قصده بهذا الكلام تلطيف منصور بك ظاهراً، ومراده الأصلي أنه حينما ذهبوا إلى المنتفق كان سليمان فائق بك بمعية منصور بك، والآن هو جاء بمعية سليمان بك، وبواسطته ودلالته جاء دخيلاً، وكان قصده من هذه تنبيهه بصورة لطيفة، ويذكره عواقب الأمور.

تأنيب الوالي لمنصور بك وتلطيفه

ثم بعد هذه الملاقاة أعطى الأوامر القائلة بذهاب المأمورين كل إلى وظيفته، وبناء على هذا الأمر أراد السفر المير المومى إليه لمحل مأموريته، فأمر بتأخيرهما، وخاطب منصور بك قائلاً:

(إن من الأمور البديهية والطبيعية، ومن جملة معتقداتنا أن الشريعة الإلهية، ومقتضى القوانين الموضوعة العرفية، قد سنّت الجزاء والمكافأة حسب الأفعال التي تفعل، وإذا أمعنّا النظر، وتأملنا في دقائق الأمور نرى أن الفاعل الحقيقي هو واجب الوجود، وأن كافة هذه الوقائع هي من المقدرات الأزلية السبحانية، فإني حينما نصبتكم قائم مقاماً على دائرة المنتفق ما كان لي فيكم سوء نية، لا عليكم ولا على آلكم وذويكم وعشيرتكم.

ثم كنت أتأمل من تعيينكم ظهور منافع خيرية لصالح المملكة التي تخصكم أنتم أكثر من الغير، فظهرت حركاتكم عكس ما كنا نأمله، وخلاف مقاصدنا، وما سبب ذلك إلا المشيئة الإلهية، فهكذا اقتضت إرادة الباري جلّ وعلا، فعلى هذا إني قد أعطيتك الرأي والأمان، فليسترح قلبك، وليطمئن بالك، وأقم في بيتك، ولا تتفكر، ولا تلاحظ، ولا تأخذك الوهميات، فإن عفونا لا يتبدّل، ونعتقد أن العفو خير من الجزاء. قال الله تعالى: (وإن تعفوا أقرب للتقوى)[1]، فاتبعنا معنى كلامه تعالى وامتثلناه.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣٧.

مشيخة المنتفق والرئيس فهد بك

ثم بقيت دائرة المنتفق وحواليها باسم المشيخة تحت التزام فهد بك مدة ثلاث سنين حسب المعاهدة، ولما كملت المدة طلبت الحكومة حضور فهد بك في بغداد لأجل مزايدة التزام المشيخة المذكورة.

وبهذه، الأثناء قد طُلب سليمان فائق بك أن يحضر بغداد لأجل أن يخدم الملة والدولة بأمور شتى، وكان رؤساء قبائل المنتفق يحبّون بقائه هناك إلى انتهاء مدة الالتزام ليستفيدوا من بقائه، وبيّنوا لمقام الولاية محاذير كثيرة بمجيء سليمان فائق بك إلى بغداد، حيث تخلو المنتفق من المأمورين والرؤساء.

ولا شك أن ذلك لا يوافق فكر الولاية، وعلى هذا ما أسعفت الولاية استئذان سليمان فائق بك بالمجيء إلى بغداد، وأمرته أن يصرف النظر الآن. ثم وضعت دائرة المنتفق بالمزايدة، وزيد إيرادها عن السنين السابقة مبلغاً جسيماً مع تفريق بعض الأراضي حسب الشروط، وقرّ قرار المجلس بإحالة المشيخة إلى عهدة ناصر، وأعطت الولاية الأوامر بسحب يد فهد من الأشغال، وبلغت تعيين ناصر.

تلطيف ناصر بك برتبة أمير الأمراء

ثم قد أغفلوا مقام الولاية بالأراضي التي فرّقوها، فاعطوا لكل بستان ومزرعة وجنينة وعرصة اسماً، وكبّروها مع إنها صغيرة، فكثّروا له الأراضي. مثلاً اسم ارض واحدة جعلوها أربعة أو خمسة أسماء وهي واحدة، وهذه إنما استفادوها من عدم وجود سليمان فائق بك، حيث إنه كان مطلعاً على هاتيك الحوالي تمام الاطلاع.

وبناء عليه، لما أكثر ناصر بك من تفريق الأراضي حسب الظاهر. أنهته الولاية لرتبته، فجاءته رتبة أمير الأمراء، وبعد تفريط الأمر، علمت الولاية من إشعارات سليمان فائق بك حقيقة هذه الأراضي، وأحست بخطئها، وأضمرت في نفسها أن تزيد الأراضي بعد ختام الالتزام، وتستوفي ما فات، إلا أن الدهر الخؤون لم يساعد هذه الديار العراقية، حيث قبل أن يتم إصلاح ما أفسدته الأيام في العراق، تحوّل نامق باشا، وانتصب بمقام نظارة الحربية، وانفصل عن الولاية.

وقد أثّر انفصاله عند أغلب الأهلين، وساءهم ذهابه من العراق، حيث كان من أكبر المعمّرين، لأنه رجل إداري بكل معنى الكلمة. ساس الرعية أحسن سياسة، وأدّب الطوائف الباغية، وجعل للحكومة نفوذاً كبيراً وسلطة عظيمة، وأسس دوائر للصنائع، ورقّى التجارة، ونشر العلم بين طبقات الأمم العراقية، وكان تقياً يحب العلماء ومجالستهم، وأكثر الجوامع والمساجد، وبث روح الحياة، فأثمر سعيه بأقل زمن.

مناسبة أو علاوة ناسب ذكرها وسفر نامق باشا

إن هذا الوالي كان قد جاء قبل هذا والياً على بغداد، وكان الفساد والفجور والعصيان قبلاً ظهر في أواخر ولاية نجيب باشا الأسبق، ومهما سعى لمحو الفساد وقلع جذوره لم يفلح، لأنه أخطأ بوشاية بعض المفسدين من المتقلّبة، ولم يتمكن من قلع هذا الفساد كلياً، ولهذا كانت قد ضجرت الجنود من المحاربات الداخلية، وكذلك الأمة قد نفرت [منه]، حيث كان سمّاعاً لكل ما يسمعه، ولهذا لما سمعت الملة تعيينه ثانية على بغداد ازداد نفورهم وكدرهم، لأن العوام والخواص من أبناء العراق كانوا ينظرون إلى الظاهر، ولا يتحرّون الأسباب الموجبة ولا يدققونها، فلهذا زادت محنتهم واضطرابهم.

وبينما هم منكسرو الخواطر والعواطف إذ أشرقت عليهم شمس العدالة ما لم يروها بزمن خلافة العباسيين، وظهر خلاف ما كانوا يأملونه، فإنه أكثر [من] الزروع، وأمّن الراحة العمومية، واستتب الأمن بكل نواحي البلد، وتوفّرت التجارة، وازدادت ثروة الأهلين، وقلع كل فساد، ومحا الفتن، وأغلق أبواب [شهادة] الزور والبهتان، ولطم أفواه النمامين، وقطع لسان الكذابين ودابر المفسدين.

وبعد أن فارق بغداد كما ذكرنا آنفاً، خرجت لتشييعه كافة طبقات البغداديين: رجالاً ونساءً، وصبياناً وأطفالاً، وحينما تحركت العجلة به نادى جميع الحضّار: (عليك عون الله، فاذهب بسلام راشداً مهدياً أيها المقدام)، وصرخوا بأعلى أصواتهم، ولم يبق متنفس لم يبك على فراقه. رحمة الله تعالى عليه وعلى أمثاله الغيورين على الأمة.

ولاية تقي الدين باشا

ثم تعيّن بعد الوزير المشار إليه، الوزير تقي الدين باشا، وفي أول يوم جلس فيه على منصة الحكم، لم يرق بنظره رئيس دائرة المنتفق ناصر باشا. ثم ضاعف ظلمه وتعدياته على العشائر والمساكين بما لا يمكن وصفه، فاضطرت أكثر العشائر على ترك أوطانهم وديارهم، وهاجروا إلى اطراف أراضي إيران الجنوبية ببقاع الحويزة قرب المحمّرة، وعمروا بلاداً بأراضي إيران، وخربت وانمحت الزراعة من العراق، وما سبب ذلك إلا شدة الجور والظلم، فكانت ولاية الوزير عبارة عن تخريب البلاد ليس إلا، وبقي زمناً، وتعين بمحله الوزير مدحت باشا، فبالعدل سعادة الأوطان، وبالظلم خرابها.

سليمان بك وجرائد الآستانة

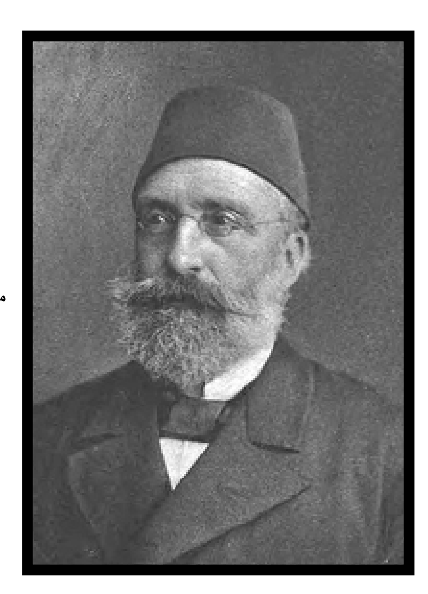
وكان آنئذ قائم مقام مدينة البصرة سليمان فائق بك، فإنه طالما حذّر الوزير تقي الدين باشا، وبيّن له الخطر الذي ينجم من الظلم على الرعية، وإن أغلبهم بدأوا يهاجرون تاركين أوطانهم، وقل إيراد الميري، ودوام هذا الحال باعث لأحوال مهولة، فلم يثمر سعيه ومخابراته، فاضطر إلى إيصال خبر هذه الأحوال السيئة إلى مسامع المقامات العالية بواسطة جرائد الآستانة، وكتب المقالات الطوال، ونشرها على صفحات الجرائد، وصاح وناح إلى أن كلّ من الكتابات[1]، وربما أثّرت أقواله في الجرائد، وحققوا أحواله، فعزلوه من الولاية، وعيّنوا عوضاً عنه مدحت باشا والياً، والدليل على تأثير كتابة سليمان فائق بك ورود برقية من الآستانة تبشره بتعيين مدحت باشا.

(١) واضح بأن مقالات سليمان فائق عن مسألة المنتفق هي أكثر مما ورد في هذه الرسالة، ويبدو أنه شن حملة إعلامية طويلة في جرائد الآستانة لتشويه مشيخة المنتفق، ونقد من لا يوافق آراءه من مسؤولي الدولة في العراق. (مشرف الخزانة).

ولاية الوزير مدحت باشا

وأول يوم وصل فيه الوزير مدحت باشا إلى بغداد، طلب ببرقية حضور سليمان فائق بك لمواجهته، وبناء على أمره جاء إلى بغداد، وحظي بملاقاته، واستفهم منه المعلومات اللازمة والمتعلقة بأحوال المنتفق، فأعطاه المعلومات التامة، وبيّن له التدابير التي يجب اتخاذها وتطبيقها، وكان قد بقي زمن قليل من ختام مدة التزام مشيخة المنتفق، فلهذا أيضاً طلب حضور ناصر باشا إلى بغداد لتجديد الالتزام.

إلا أنه[١] بعد أن تعرّف بالوزير المشار إليه مع أطرافه وحاشيته، أراد أن يصيبهم بشبكة كيده، فقدم عريضة قال فيها: (أنه قد بقي من مدة الالتزام قدر شهرين، وهذا الوقت هو أوان التحصيل وجباية الأموال)، ولئلا تحصل مغدورية طلب تأخير الالتزام إلى الوقت المرهون، فأسعف طلبه، وعلّق المسألة إلى وقتها.



مدحت باشا

(١) أي ناصر باشا.

تحويل البصرة إلى متصرفية

ثم بحسب التشكيلات التي وافق عليها المجلس الكبير، تحولت البصرة إلى متصرفية، وأبقاها بعهدة سليمان فائق بك، وأوصاه بتأكيد وسرعة إنجاز التشكيلات الجديدة، ولئلا يكون مانعاً لتأخيره، أعطاه الأمر بالذهاب إلى محل مأموريته، وأوصاه بالأمة خيراً، وأن لا ينفك عن قانون العدالة الصارم قيد شبر.

مشايخ المنتفق والالتزام

ثم لما حان وقت التزام المشيخة، طلب الوزير حضور سليمان فائق بك [إلى] بغداد، فجاء إلى بغداد حالاً، غير أن ناصر باشا كان قد تأخر عن المجيء بضعة أيام، فتواجه سليمان فائق بك مع فهد باشا كثيراً قبل مجيء ناصر باشا، وتذاكر بأمر الالتزام، وقد رغّبه على ترك الأراضي والقرى والمزارع الواقعة على ضفاف نهر شط العرب ونهر دجلة، والأراضي الممتدة من القرنة[1] إلى ما فوق الحمّار[2] الواقعة على نهر الفرات، (وكانت تبلغ وارداتها السنوية عشرين ألف ليرة عثمانية)، وإعطاء المشيخة ببدلها السابق.

فأظهر فهد باشا نفسه طالباً وراغباً على هذه الشروط، إلا أن ناصر باشا يوم قدومه إلى بغداد ذهب لملاقاة الوزير، وقبله لحضوره، وعند ملاقاته بادره مخاطباً: (إن فهد باشا يترك الأراضي المعلومة، وطلب المشيخة ببدلها السابق، وبما أنكم من الذين لكم اليد هناك، فما تقول؟).

فأجابه ناصر باشا تواً: (أيها الوزير العالي الهمم!. إن الفقير بهذه الساعة جئتُ، ولم أذهب للبيت لأستريح، فهذا الشيء الذي تأمرون به يقتضي له تفكّر وتأمل واستشارة، فأسترحم أن تعطوني مهلة قدر يومين. ثم بعد انقضائها أعرض على مسامعكم النزيهة ما افتكره)، فأجابه الوالي لما طلب، وأعطاه مهلة قدرها ثلاثة أيام.

---

(١) القرنة: موقع اقتران دجلة بالفرات، ومنه اسمها، وهي اليوم قصبة تبعد عن البصرة شمالاً ٧٥ كيلومتراً، ويقطنها ٤٥٠٠ نسمة.

(٢) الحمّار -بتشديد الميم -بحيرة تقع بين البصرة والناصرية، وتبلغ مساحتها (٥٢٠٠) كيلو متر مربع.

حيرة ناصر باشا ومنويّات الحكومة

ثم لما خرج [ناصر] من مقام الولاية، وذهب للاستراحة في بيته، تذكّر أن ذهاب هذه الأراضي المراد تركها، مثل قصبة (مدينة)[1] وجزيرة البصرة هي أساس قوة المنتفق، ويبلغ قدر النفوس الذين يحملون فيها السلاح ما يتجاوز الثلاثين ألف فارس، فإذا تركها لم تبق له قوة، بل بتركها تذهب سطوته، وهذا هو أصل مستند المشيخة، فعظم عليه الأمر، وحار في أمره حيرة كبيرة، ولاسيما وكان المتداخل في الأمر سليمان بك، فضاقت به الدنيا على رحبها، وطمس في بحر الهموم والغموم، لعلمه أنه إذا ترك هذه الأراضي تتوسع المسألة، أي تنمحي المشيخة وتنقرض تدريجاً.

هذا ما كان من أمر ناصر باشا، وأما سليمان بك فإنه كان يفتكر بأنه إذا وافق على هذه الشروط ناصر باشا، فهل يمكنه إقناع فهد بك على ترك أراضي أخرى، وكانت هذه الفكرة تجول في خاطره، فلم يسترح باله.

(١) المدينة (بالتصغير) –كجهينة –ناحية جسيمة تابعة لقضاء القرنة، وتشمل قسماً من ضفة الفرات اليمني، وقسماً من ضفته اليسرى.

انفراج الأزمة على ناصر باشا

ثم في هذه الأثناء ذهب لإيفاء مراسم تبريك القدوم إلى بيت ناصر باشا، رجل منسوب إلى الجماعة الموسوية في بغداد، ومن أبالسة المأمورين، وواسطة ارتكابهم وسائر فضائحهم المذمومة، والدليل الوحيد لسرقة الأموال الأميرية ونهب الأمة[١]، فتجاذبا أطراف الحديث، والحديث ذو شؤون وشجون، وسأله عن سبب كدره وغمه، فأخبره ناصر باشا بالمسألة على وجه التفصيل، وأبان لليهودي محاذير ترك هذه الأراضي، وأنها ثقيلة عليه.

فلما وقف هذا اليهودي على المسألة تماماً، تعهّد له بإجرائها على ما يروم ناصر باشا ويريد، ولا أعلم ماذا عمل اليهودي، حيث وضع مسألة الباشا المشار إليه حسب مطلوبه ورأيه، والتزم المشيخة بزمن يسير بلا ترك أراضي، وخلافاً للشروط، وما عدا ذلك تعهد له بإرجاع الأراضي التي كانوا قد تركوها سابقاً بزمان الولاة السابقين الذين لم يتوفقوا على تركها للحكومة إلا بعد عناء شديد.

(١) اسم هذا اليهودي (عزرا) كما ورد في آخر هذا الكتاب، والظاهر أن عزرا أخ حسقيل المشهور صراف حالت أفندي الذي ورد ذكره في كتاب (تاريخ المماليك في بغداد) للمؤلف، الصفحتين ٤٦ و٤٧.

معاون الوالي رائف أفندي واليهودي

ثم ذهب اليهودي في اليوم الثاني لحضور [مجلس] رفيقه معاون الوالي رائف أفندي (تويسز رائف: أي عديم الشعر)، وتذاكر معه بمسألة المنتفق خفية، واعترضوا على الوزير، وأبانوا محاذير وسيئات ترك الأراضي قائلين له: (كما أن بغداد والبصرة ممالك عثمانية، كذلك مدينة المنتفق وأطرافها من الممالك العثمانية، فما هو المقصود من ترك بعض الأراضي، وإبقاء الأراضي الباقية تحت سلطة المشيخة، فهل إنكم لا تعتبرونها من الممالك العثمانية أم ماذا؟

فإذا كان الجواب لا، فلماذا تعطونها بالالتزام تحت سيطرة ظلم المشايخ وغيرهم؟، فاللازم على الحكومة أن تجعل لها تشكيلات، وتفصل دائرة المنتفق مع أراضيها، وتجعلها متصرفية، وتعين لها متصرفاً ناصر باشا، فتكون الجميع بقبضة الحكومة، بلا ترك أراضي، فإن مثل ترك الأراضي كمثل الذي يأخذ الدراهم من جيبه الأيسر، ويضعها في جيبه الأيمن، ويقول إني كسبت هذا، والحال الدراهم دراهمه).

فأقنعوا مدحت باشا بوساوسهم، وجعلوا مذاكرات سليمان بك ومباحثاته الطويلة نسياً منسياً، وعلى هذا استراح بال ناصر باشا، ونال ما يرومه.

اعتماد مدحت باشا على معاونه

أما مدحت باشا فكان يعتمد على رائف أفندي تمام الاعتماد، فليتصور صاحب الإدراك والفهم القوة الجاذبة بين رائف أفندي وناصر باشا، بحيث أنهما اتحدا، وصارت كلمتهما هي الكلمة العليا، فما هي يا ترى؟. إلا أنه في آخر الأمر وقع رائف أفندي في هوة عميقة، وسنذكرها مفصلاً مع كيفية مجازاته بعد أن كان يترقب المكافأة والمناصب الرفيعة.

والحاصل بناءً على تشكيلات الولاية الجديدة. تعيّن ناصر باشا متصرفاً على المنتفق، وذهب لإجراء التشكيلات هناك، وعاد سليمان بك إلى البصرة على وظيفته.[١]

---

(١) ابتداءً من عهد معشوق باشا أخذ العثمانيون بتقليص الزعامة البدوية، وإنهاء نفوذ آل سعدون، وقد اشترك في ذلك: معشوق باشا، وداود باشا، وسليمان باشا، ونامق باشا في ولايته الأولى وفي ولايته الثانية، ورشيد باشا، ومنيب باشا، وعبدالله آغا، وسعيد بك، وهدايت باشا، ومدحت باشا، وكانت نهاية التصفية على يد مدحت باشا. لقد أفهم مدحت باشا الزعيم السعدوني، وهو الشيخ ناصراً. أن العراق لا يصلح لإمارة بدوية أبداً، وأن المشيخة زائلة. إن لم تكن اليوم فغداً، وإني أريد أن أعطيك روح الزعامة، فلا تهمك الألفاظ. تعال نقلب الشيخ باشا، والزعامة وظيفة كبيرة، والشرطنامه ورقة تفويض، وعلى مثل هذا تمت الموافقة، وقام مدحت باشا بعدة أعمال:

أولاً– انتزاعها موقع (المزيرعة) و(الشرش) ومدينة بني منصور من نفوذ المنتفق، وتأسيس قضاء القرنة.

ثانياً– تأسيسه مدينة الناصرية، وجعلها لواء.

ثالثاً– إماتته لشط (الكار) بسبب إقامته سد الدغارة.

رابعاً– إقحامه التعليمات العثمانية الصادرة عام ١٨٦٤م حول تفويض الأراضي الأميرية، وتطبيقه الفقرة (أ) من المادة الخامسة بتأسيس مديرية الدفتر الخاقاني.

ومن هنا يطوى سجل آل سعدون إلا في مظاهر هينة لا قيمة لها في تاريخهم، مثل متصرفية فالح باشا، وقبلها ولاية ناصر باشا على البصرة، ومن بعدها الاعتراف بمشيخة سعدون باشا ابن منصور باشا، وأخيراً نصّب الإنگليز في عهد الاحتلال إبراهيم بك ابن مزعل باشا متصرفاً في لواء المنتفگ.

ع. الشرقي

الثورة في الحلة

وبتسويل اليهودي المار ذكره، عينوا متصرفاً لقضاء الحلة، ولم يكد يصل هذا المتصرف إلى محل مأموريته حتى باشر بنهب الأموال، وإكراه الرعية على إعطاء الرشوة بدعاوى مزورة، واستعرت نيران العصيان بالحلة، فأرسلت الحكومة طابوراً من الجنود، فهجموا عليهم وقتلوهم وجرحوهم كلهم إلا ما قل وندر، وعليه جهز الوزير مدحت باشا قوة كبيرة، وذهب إليهم، فلم يتوفق من إخماد الفتنة، ومهما حاول إطفائها يزداد لهيبها حتى اتسعت، وانتشرت إلى كافة أنحاء الخطة العراقية.

سنوح الفرصة لناصر باشا

أما ناصر باشا فإنه استفاد من ظهور الاختلال في الحلة فرصة ثمينة لإجراء أغراضه، وسولت له نفسه تكثير المظالم والتعديات على حقوق الغير، بدل التشكيلات التي كان ملزوماً بإجرائها، ولم تنهه نفسه عن غيّها، بل أسرع وعيّن المأمورين للجباية، وأرسلهم لكل طرف، وزادت مظالمه على الرعية، وكبر أمره، وهو إذ ذاك في بغداد مع قسم من الخيالة بمعية مدحت باشا، حسب الأوامر والدعوة من قبل الحكومة، وأصبحت دائرة المنتفق قطعة جور وفساد بهذه المدة، ولا تستطيع القبائل مخالفة ناصر باشا خوفاً من شره وكيده.

سفر الجيش إلى الحلة

ثم إن الجنود المظفرة حينما خرجت تحت قيادة الوزير الخطير مدحت باشا لكفاح الأعراب الثائرة في الحلة وأطرافها. وقع قتال عنيف ومعارك شديدة بين العساكر والعربان، ولم تحصل نتيجة حسنة للحكومة. ثم ظهر البغي والفساد عند عشائر الدغارة، فتوجهت الحكومة نحوهم لإطفاء نار هذه الثورة، ورأت الهيئة العسكرية أن تسد نهر الدغارة سداً محكماً تأديباً للثائرين، وبذلك السد تعطلت أراضٍ كثيرة من الزراعة والحراثة.

وبالأخير رأت الحكومة أن سد هذا النهر قد استلزم مضرة الخزينة أكثر من الأهالي، وأصاب الحكومة ضرر كبير من نقص الأموال، مع أنهم صرفوا أموالاً طائلة ومهمات حربية كثيرة، عدا سفك الدماء التي وقعت، والمحن والمشاق العظيمة التي تكبدتها الحكومة، فصادفت من جرائها الضرر العام، ولم تنتفع بشيء، فاضطرت آخر الأمر على فتح هذا النهر.

وأما السبب الباعث لهذا: عدم وقوف الأمراء على مزاج وطبيعة الأهالي، وحرمانهم من نور السياسة، فكان جل اعتقادهم بأن السياسة والكياسة هي سلاح العاجز، وسلاح القوي السيف الحاد، ولكن أين فائدة السيف؟، وهل تمكن السيف من إطفاء ثورات العرب؟. كلا بل زاد نارها، واشتد سعيرها وأوارها، فعادوا خاضعين لأمر السياسة حينما رأوا أن جميع أعمالهم وتشبثاتهم الشخصية والجدية لم تثمر، بل بقيت تحت حكم اللا شيء، وما وضع السيف بموضوع السياسة إلا كوضعه بموضع العصا.[1]

---

(١) أصل البيت: (ألم تر أن السيف يزري بقدره –إذا قيل أن السيف خير من العصا).

ونعتقد أن البيت المقصود في المتن هو قول المتنبي: (ووضع الندى في موضع السيف بالعلا –مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى). (مشرف الخزانة)

فكانت جميع هذه الوقائع درس وعبرة لمدحت باشا وزير بغداد. استفاد منها كل الاستفادة، كما استفاد نامق باشا حينما ولي بغداد في الدفعة الثانية من الفتن والغوائل الثائرة زمن نجيب باشا، وبالأخير صحّح هفواته التي حصلت من نتيجة تلك المشاجرات التي لا طائل تحتها، وليس لها نهاية.

منويات مدحت باشا

وكانت جل مقاصد مدحت باشا إصلاح حالة العشائر بالقوة الترهيبية وبالسيف، وتصغير نفوذ دائرة المنتفق ليس إلا، ولما لم يثمر كل ما عمله من التشبثات، وأسفرت النتيجة بالضرر عليه. علم آنئذ بخطئه إذ بهذه الوقوعات قد اتسع نفوذ دائرة المنتفق، وسرت إلى الأطراف، وانضمت إليها كافة القرى والأراضي الأميرية، حتى أنهم استولوا على مدينة البصرة، وزاد نفوذهم، وسبب ذلك سوء الإدارة لا غير.

إغفال مدحت باشا وتفاقم الفتن

قد ذكرنا آنفاً أن من جملة شرائط مشيخة دائرة المنتفق ترك الأراضي الواقعة على ضفاف شط العرب ونهري دجلة والفرات، وإلحاقها إلى لواء العمارة ولواء البصرة، وكان قد وقع الاتفاق على هذه الشروط، إلا أنه حينما جعلوا دائرة المنتفق متصرفية حسب تشكيلات الولايات. بقي القرار القائل بترك الأراضي على حالته بلا تنفيذ.

ثم لما ذهب ناصر باشا لمحل مأموريته، خابر الولاية على عدم ترك الأراضي، وجرّح بمدعيات سليمان بك المار ذكرها، وطلب من الولاية كشف هذه الأراضي، وإلحاقها إلى أقرب لواء، وكانت هي أقرب محل إلى المنتفق، وهكذا أغفلوا مدحت باشا، مدعين أن أقوال سليمان بك مجهولة، وهذه ظاهرة لذي عينين، فحسّنوا له الأمر، ولم تترك الأراضي، وعليه قد نقص إيراد الميري عن السنين السابقة، فذهبت أعمال الولاة السابقة والشاقة والمحن المتنوعة إدراج الرياح بعد أن نالوا الموفقية بفصل هذه الأراضي عن مشيخة المنتفق. أهذه هي الإدارة الجديدة، أم هذه هي السياسة المنشودة؟

عودة مدحت باشا إلى بغداد وسفره إلى البصرة

ثم رجع مدحت باشا بعد غائلة الحلة إلى بغداد، وعاد ناصر باشا إلى دائرته ومركز حكمه بلاد المنتفق. ثم أخيراً عزم الوزير مدحت باشا على السفر إلى لواء البصرة لتفقد شؤون المملكة، فذهب إليها، واستقبله الأهلون أحسن استقبال، وكان معه اليهودي المار ذكره، وكان قد أدرك درجة كفاية ناصر باشا ودرايته، ملاحظاً بل خائفاً هدم أركان ما بناه مع ناصر باشا من الغير، وفي البصرة أيضاً باع فنه ومهارته العالية، وتوفق لمرامه أحسن توفيق، وسنذكر أعماله بالبصرة بمحلها.

ثم إن الوزير مدحت باشا حينما وصل إلى مجمع النهرين وملتقى البحرين (دجلة والفرات) بقضاء القرنة الكائنة شمالي البصرة. شاهد بأم عينيه القرى والأراضي المصمم فصلها، واستفسر حالة أهاليها، فأظهر منّتهم ورغبتهم بالانفصال، وخلاصهم من الجور والظلم، واعترف أمامه الأكابر والمشايخ المجتمعون عنده بالظلم الذي لحق بهم. ثم أمر بانفصالها، وأعطى القرى مركزاً في القرنة، وعيّن لهم قائم مقاماً تابعاً للواء البصرة، وبلّغ الحاضرين عنده: (إن عليكم أن تراجعوا قائم مقام القرنة بسائر أعمالكم)، فأظهروا له رغبتهم وشوقهم له، وأنهم سيبذلون قصارى جهدهم وسعيهم في أمر الزراعة والحراثة، لكونهم خلصوا من الأيادي الظالمة، وشكروا فعله هذا، ودعوا له بالموفقية لصالح البلاد.

مجيء ناصر باشا إلى القرنة ثم إلى البصرة

ثم بعد أيام قلائل جاء ناصر باشا من المنتفق، ومرّ بقضاء القرنة، وكان يقصد مدينة البصرة، وحينما رأى الحالة قد تغيرت، جمع رؤساءها وأعيانها، وخاطبهم قائلاً: (إنكم تابعون لدائرة المنتفق، فإن رضيتم بانفصالكم عنّا تندمون حين لا ينفع الندم، وهدّدهم، وعليه كدّر القائم مقام رفعت بك، وأهانه بمظاهراته التي أجراها هو وأعوانه في القرنة.

ثم قفل إلى البصرة، وذهبت تواً لمعلم العقل والكمال، وأستاذه في الحيل [اليهودي]، وذكر له كيفية فصل هذه الأراضي، وإنها أضرت بدائرة المنتفق ضرراً كبيراً، وعليه ذهب اليهودي إلى حضور الباشا، وذكر له سوء عاقبة ترك الأراضي، وأنه يوجب يسبب لإحداث غوائل كبيرة، واختلال عظيم أكبر من اختلال الحلة، فالأحسن إبقاؤها على ما كانت عليه دفعاً للغوائل التي تقلق راحة الحكومة، وأبان له عناد ناصر باشا في مسألة ترك الأراضي.

مذاكرة مدحت باشا لسليمان بك في مسألة الأراضي

وبناء على ما تقدم، سأل من سليمان بك الوزير مدحت باشا قائلاً: (إن ناصر باشا متعنّد في مسألة ترك الأراضي، ومنصور بك لا يظهر نفسه، ولا يقترب منّا، فعجباً هل بوسعنا أن نجد من بوسعه أن يوافق على ترك الأراضي؟).

فأجابه سليمان بك قائلاً: (كان فهد باشا أعطى كلاماً على هذه العهود حينما كنا في بغداد، ولو كلفته الحكومة بعد تكليف ناصر باشا وموافقته، لترك الأراضي المزبورة، وحسب ظني أنه كان يقبل بترك الأراضي الأخرى، ويرغب بالالتزام. أما الآن فهو في بغداد، ولا أعلم فكرته ومقصده).

فقال الوزير: (إنا إذا أحلناها لغير ناصر باشا، وهجمت علينا عشائره، فماذا نعمل؟).

فأجابه: (لا تغركم عشائر هذه الأصقاع، فإنهم ليسوا بمحاربين مثل عشائر الحلة، فباستطاعة الحكومة أن تؤدب البغاة بطابور واحد من الجند تأديباً كافياً ضامناً للأمن والراحة، ولاسيما عشيرة السعدون.

فعشيرة السعدون: هي شعبة متولدة من اجتماع عشيرة بني مالك والأجود الذين ذكرناهم آنفاً، ومن رئيسهم الذي أتى من الأقطار النجدية، فإن هذه العشيرة قد فسدت محاسن مزاياهم وأخلاقهم الفطرية لكثرة ظلمهم وتعدياتهم، وتبدلت بداوتهم بالحضارة،

وفراستهم بالجهالة، ولم تبق رذيلة وجور وفسق واعتساف إلا ارتكبوه[1]، وأغلب طوائف العشائر متنفّرون منهم، ومنكسرو الخواطر من مظالمهم، ولا يمكنها الوقوف أمام أدنى قوة، بل بقوة جزئية يجبرها على قبول كل طلب، وهذا شيء محقق).

فبهت الوزير وسكت، ولم يتكلم بكلمة.

ثم قال سليمان بك: (إنكم قد فهمتم خطأكم من أن الأمور تنتهي بقوة السلاح، فهذه النظرية لا يمكن تطبيقها على العموم، لأن عشائر الحلة والخزاعل شيء، وعشائر هذه الأطراف شيء آخر، وإن غوائل الحلة أرهبتكم لأنهم قوم محاربون. أما هؤلاء فليس كما تظنون، وإن فاقوا على عشائر تلك الأطراف عدداً، وإنكم تحاذرون تكرر حدوث الغوائل، وتحبون المسالمة، لكن بهذه المسألة قد انحطت قوة الحكومة وسلطتها، فهنا أي عشائر المنتفق يمكننا أن نؤدبهم بالقوة الجبرية، وما قصدي من هذه الكلمات إلا إزالة واهمتكم، وتثبيت جنانكم، فإن الكثير من المخالفين يذكرون لكم قوتهم وعددهم، وما ذلك إلا لترويج مقاصدهم ومنافعهم الذاتية ليس إلا).

أما الوزير مدحت باشا فإنه عدل عن تقاريره وإفاداته الشفهية بخصوص إفراز الأراضي، وحصل على مرامه ناصر باشا، ونال كل ما كان يتمناه.

---

(١) كلام حاقد تجاه أسرة كريمة لها مكانتها بين زعامات العرب، وواضح أنه يحمل الغل في قلبه بسبب فشل تخطيطاته، وعزله من منصبه، واتهامه بالاختلاس، في حين ترقى خصمه ناصر باشا السعدون إلى أعلى المناصب، ومنها ولاية البصرة (مشرف الخزانة).

تحريك ناصر باشا على سليمان بك

فبدأ ناصر باشا يحرك أهالي البصرة، ويحرضهم على أن يقدموا الشكايات المتعددة، ويطلبون من الوالي عزل سليمان بك، فلم يجسر أحد من الأهالي على ذلك، ولكن [كثر] عليه القيل والقال بقصد إيصال الخبر إلى مسامع الوزير، ولكن لا تثمر شكاياتهم ما دام سليمان بك حاكماً عليهم.

ولما رأى ناصر باشا خيبة ما نصبه من الحيل والدسائس، أشاروا عليه، فعلّموه أن يتكلم مع الوزير بغير صورة، وقال له: (أيها الوزير الخطير. إنكم تطلبون مني التشكيلات الجديدة في دائرة المنتفق، وتطلبون إنجازها، فهذا شيء لا يمكن الوصول إليه إلا بعد زوال سليمان بك من البصرة، فمادام سليمان بك حاكماً في البصرة لا أستطيع على التشكيلات، وتكون التشكيلات المطلوبة خيالاً لا غير).

استعفاء سليمان بك بإشارة من مدحت باشا

وعليه أرسل الوزير مدحت باشا على سليمان بك، وخاطبه قائلاً: (يا سليمان بك!. صار لك مدة أربع خمس سنوات تحكمون في البصرة، وحسب مشاهداتي واستماعي أن قد نفرت منكم الأهالي ورؤساء المنتفق، وأراهم متوحشين من عندكم، فاللازم عليكم أن تعطوا استعفاء، وتستريحون في بلدكم، فإذا فعلتم ذلك أكون ممنوناً ومسروراً).

ثم أجابه سليمان بك قائلاً: (إني لأعجب من نفسي كيف تحملت الأذى والجفاء طول هذه المدة في مثل هذا المحل الموصوف بوخامة الهواء والماء، وإني لأشكر أمركم وإخطاركم، حيث الآن قد استراح بالي من هذا العناء).

وبعد مقابلة الوزير بهذا الكلام، خرج من عنده، وحرر استعفاءه، وأرسل به إلى الوزير.

امتنان الوزير من ذلك:

أما مدحت باشا فإنه استرّ غاية السرور من هذا المير المومى إليه، حيث وافقه بلا توقف. ثم اطّلع على ما حرّر بأمره الذي أعطاه إلى وكيل سليمان بك، حيث يقول أن سبب عزل سليمان بك هو استعفائه، وبناء على استعفائه عيّنكم وكيلاً عنه.

وكان يبدي الوزير محظوظيته ومنّته من الوجوه ومن المأمورين، حيث إنه كلما أخطرهم سارعوا إلى الموافقة والامتثال، وأي فائدة من عدم الامتثال؟. إذ أن ناصر باشا

وأعوانه مهما تشبثوا بشيء يحصل لهم طبق مرامهم، ولهذا قد زاد تبصرهم في النظر إلى الأشياء البعيدة لتأمين منافعهم، وإن هلكت الأمة برمتها، وقد رقصوا طرباً بانفصال سليمان بك عن البصرة، لأنه كان عقبة كؤوداً أمام مطامعهم ومظالمهم.

ترجمة سليمان بك

أما سليمان فائق بك، فكان من سكنة بغداد، ومن متنفذيها، وله حاشية كبيرة في بغداد وخارجها، وكان كثير التردد على الآستانة، فلهذا له أودّاء وأصحاب كثيرون هناك، فحصل عندهم تأثّر كبير على انفصاله بلا حق، وباشرت أعوانه تخالف إجراءات الحكومة، ولو أن الذبابة هي لا شيء، لكنها تخبّث المعدة، فخدشوا أفكار الوزير، وحصلت ولولة عظيمة، وشاع ذكر الصراف اليهودي [عزرا] وذاع، وأخذت الألسن تذكر وتحدّث عن ارتكاب اليهودي بأشياء لم تعرف من قبل.

طلب الحساب من سليمان بك

ثم اتهم سليمان بك بالاختلاس عند المحاسبة بقدر ثمانية عشر ألف كيسة، والكيسة هي خمس ليرات، فيكون المجموع تسعون ألف ليرة، وبقي في البصرة لإعطاء المحاسبة قدر سنة، وبالنتيجة لم يتبين اختلاس غرش واحد، وظهرت براءته عند رؤية الحساب.

ثم اتهموه عند بيع الحبوب، قائلين إنه باع قية [أوقية] حنطة في عشرة قروش، وأمر أن تقيد بسبعة، فارتكب من هذه المقادير الألوف من القروش، وكانت هذه الإفادة إفادة الصراف والمحاسب، فاحتج عليهم، وقال: (إن هذه الفئات انقطعت في المجلس، وفيها مضبطة المزايدة والإحالة، فعليكم بتدقيقها)، ولما دققت لم يتبين عليه شيء، فبهت المفتري، ونجاه الله تعالى من إفكهم وأياديهم الأثيمة.

وبقيت مدينة البصرة مأكلاً للولاة والأمراء وشيوخ دائرة المنتفق، وذهبت أعمال الولاة السابقة أدراج الرياح، واختل نظام الملك، واستبدت الولاة بأفعالهم، وزاد الظلم والجور، وخرب ما كان عامراً، وترأس من كان سافلاً، ولا سامع لنداء الناصحين، وحتى اليوم نشاهد تأخر العراق وحواليها، حتى أصبحت مطمح دول الأغيار والمستعمرين، وتمكنوا من بثّ بذور الفساد في هذه الخطة، وهذا قليل من كثير، وسنذكر تفاصيل وقائع المنتفق على التفصيل بمقالاتنا الآتية إذا سنحت لنا الفرصة الأخرى. إن شاء الله[1]، وهو الموفق والمعين.

(١) يبدو أن فائق كان يريد إكمال حملته العدائية لتشويه مشيخة المنتفق، ولكن إنصراف الدولة عنه وعن ادعاءاته جعلته يتوقف عن ذلك. (مشرف الخزانة).

((تمت كتابة هذه الرسالة الوجيزة، منقولة من نسخة معرّبة من الأصلية التركية، وكان تمامها يوم الثلاثاء من شهر رجب الفرد لاثني عشر يوماً خلت منه لسنة ست وثلاثين وثلاثمائة وألف[1])).

(١) يوافق يوم ٢٣ أبريل ١٩١٨م. (مشرف الخزانة).

الملحق الأول: أسباب تسمية المنتفق بهذا الاسم

(المنتفق) لفظة عربية، واسم مرتجل ليس بمنقول من صفة، فمن الوهم ما تصوّره البعض أن (المنتفق) من الاتفاق، والنون من زيادة المولدين. إن هذا الاسم عريق ضارب في القدم قبل أن تتصل بنو مالك بالأجود، وكتب الأنساب تذكر (بنو المنتفق)، وبنو المنتفق هؤلاء عرفوا باسم أبيهم المنتفق بن معاوية بن عامر بن عقيل، فلا صحة لما ذكر في سبب التسمية.

إن بني مالك وآل أجود ليسوا من صميم بني المنتفق، فقد ذكرت كتب الأنساب أن بني مالك إخوة بني المنتفق، وإن آل أجود حلفاء بني المنتفق، وعليه فيظهر أن بقية بني المنتفق اليوم إما أن يكونوا (الجوارين والشريفات والصبحة[1])، وهم بدو في بادية البصرة، أو أنهم (بنو سعيد) أهل قري (حطامان)، وسعيد هذا أب ثان اشتهر في بني المنتفق، فانتسبوا إليه، وإن بني سعيد اليوم ثلث من بني المنتفق، باعتبار أنهم وبني مالك والأجود أثلاث.

وفي القرن الخامس كان بنو المنتفق ينزلون ريف البصرة، وكان يقال لهم أهل السعفة، ويقال لزعيمهم مقدّم بني المنتفق، وتقدموا إلى بطائح الغرّاف، وعلى الأكثر كانت الزعامة فيهم للأغراب عنهم، فكانت لقوم من ربيعة يقال لهم (بنو معروف)، ومن بعدهم لحكام البصرة (الطوال)، وهم آل راشد، وهم من ربيعة أيضاً، ومن بعدهم كانت لآل شبيب، ومن بعدهم آل سعدون. هذه الزعامة العامة.

---

(١) لعله يقصد آل صبيخة من كبار الأجود. (مشرف الخزانة).

أما زعامة بني مالك فكانت لآل خصيفة، وزعامة آل أجود كانت لبني وثال، وهم أجداد آل حيدر، البيت المعروف في (سوق الشيوخ). أما آل مناع، فليسوا بالعريقين في زعامة آل أجود. إنما هم منصوبون لآل سعدون وتابعون لهم، ومما تقدم نرى أن ما جاء في تسمية المنتفق، وما جرّ إليه البحث من مبدأ زعامة آل سعدون على المنتفق قصص روائي أشبه بأسطورة.

ومن التتبع والبحث يلوح أن مبدأ زعامة آل شبيب، وانتقالها من بعدهم إلى أحفادهم آل سعدون، هو أن رجلاً محترماً اسمه (الشريف حسن) هبط من جهة المدينة المنورة، ومعه ولده شبيب وابنته نورة، ويموت ولده شبيب، وإحياءً لذكره ينشئ الشريف حسن حول قبر ولده قرية يسميها (الشبيبية)، وهي اليوم معروفة في بادية نجد والعراق، ويسم إبله بسمة يطلق عليها اسم (الشبيبية)، وهي السمة التي يسم بها آل سعدون إبلهم إلى اليوم، وكذا كافة بني المنتفق. ثم تموت نورة، فيجزع عليها أشد الجزع، وحتى يومنا هذا نجد نعار آل سعدون (إخوة نورة).

ويهجر الشريف حسن مكانه في الجزيرة هابطاً إلى بادية العراق (الشامية)، وينزل على زعيم بني مالك شيحان بن خصيفة، فأذمه وأكرم وفادته، ويقترن الشريف حسن بابنة زعيم بني خالد، وهم رهط من بني مالك، وحتى اليوم يقرّ آل سعدون بخؤولة بني مالك، وأنجبت بنت زعيم بني خالد (محمد وعبدالله وشبيباً). ترعرعوا بين أبيهم الشريف وأخوالهم الكرام، ودرج الشريف حسن، وبقي أولاده في رعاية أخوالهم زعماء بني مالك الذين كانوا يخضعون لحكام البصرة من (آل راشد)، وكانت مخايل النبوغ وإمارات النبل تلوح على قسمات أولاد الحسن.

وتحدث مشادة بين زعيم بني مالك وآل راشد الذين زحفوا على بني مالك بجيش لا قبل لهم به، ويتوسط الشيخ محمد ابن الشريف حسن بين أخواله وآل راشد، فيصادف حظوة وقبولاً، وينكشف الجيش عن بني مالك، ويصبح في ذلك العهد الوسيط المقبول الموفّق، وقد تمكن من قلوب بني مالك أيّ تمكن، فرغبوا إليه وإلى أخيه شبيب الثاني دون زعمائهم أن يتقلدا من آل راشد وكالة الجباية، فكان هذا مبدأ الزعامة.

ويحدث خلاف ومقاطعة بين عشائر بني مالك وعشائر آل أجود، فيقود الأخوان جموع بني مالك، وتكون مجزرة كبرى يفنى فيها آل أجود تقريباً، وتخضع بقيتهم إلى زعامة الأخوين، وتسمع اليوم نعار آل أجود في الشدائد (يتيم) إحياءً لذكرى ذلك اليوم المبيد. أما نعار بني مالك فهو (أولاد عامر) نسبة إلى جدهم الأعلى عامر.

ع. الشرقي

الملحق الثاني: آل راشد والحكومة العثمانية

كان حكام البصرة في القرن العاشر للهجرة قوم من ربيعة يعرفون بـ (الطوال)، يقال لهم آل راشد، وهم من زعماء تلك الأنحاء، وكانت الإمارة في خمسة منهم: (غانم بن بدر، ومهنا بن رحمة، ومغامس بن محمد، ومغامس الثاني، وراشد بن مغامس)، وراشد هذا هو الذي سلّم مفاتيح البصرة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني متظاهراً بتسليم البلاد، وما كان إلا مخادعاً، فبدهائه جعل البصرة كرة تدحرجها الحوادث بين الصفويين، ومركزهم في شيراز، وبين العثمانيين المنكمشين في بغداد، والشيخ راشد يلعب على الحبلين. أما كرة لعبه فلم تكن إلا مدينة البصرة وگردلان والمناوي فقط، وبقية النواحي كانت بيد المتغلبة من العشائر، ومناطق نفوذ، ولم تكن لهم رغبة في الانحياز إلى العثمانيين.

وكانت أهم العشائر المناوئة بني المنتفق وموالي الحويزة، ودامت الحرب سجالاً بين بني المنتفق والحكومة العثمانية من جهة، وبين الحكومة وموالي الحويزة والفرس من جهة أخرى، والبصرة تتعاورها الأيدي بين هؤلاء وهؤلاء.

في سنة ١٢٠٢هـ، وفي عهد مشيخة ثويني آل عبدالله، يتفق الشيخ ثويني والحاج سليمان بك الشاوي وخالد آغا وهو قائد كردي، اتفقوا على محاربة العثمانيين، فامتلكوا البصرة، وتقدموا إلى جهة بغداد حتى بلغوا (بادرايا)، وكانت يومئذ مركز الحكومة العثمانية قبل إنشاء مدينة الكوت، ولكن الوالي سليمان باشا زحف بململة كبيرة من الجيوش العثمانيين، وتغلّب عليهم، وبعد انكشافهم عن البصرة يحصل التفاهم والعفو.

وقد كانت حركات الوهابيين على طفوف العراق تزعج الحكومة العثمانية أيما إزعاج، حتى قامت لها قيامة الآستانة، وتشبّثت بعدة تشبثات: منها الاهتمام بقصبة الزبير وتحصينها، ومنها إنشاء (الخميسية) في بادية سوق الشيوخ وجعلها مخفراً قوياً، ومنها تجهيز الشيخ ثويني لمحاربة الوهابيين، ويتقدم الشيخ براية المنتفق زاحفاً على الوهابيين، وبعد الظفر بهم يغدر به فدائي اسمه (طعيس) الذي باع نفسه على قومه الموتورين، ودخل على الزعيم في ديوانه العام بصفة وافد، ودنا ليقبل يد الزعيم، فطعنه بحربة مسمومة أردته قتيلاً.

وفي عهد حمود الثامر توفي سليمان باشا والي العراق الذي كانت له أيادٍ مشكورة على الشيخ حمود الثامر، وبعد وفاة سليمان باشا أراد رؤساء الجيش وقادته نصب ولده سعيد بك والياً للبصرة بمكانه، ولكن الآستانة اختارت عبدالله آغا لولاية بغداد، وهو أحد أصحاب سليمان باشا، وصار عبدالله آغا يحاول التخلص من بقية سليمان باشا وولده سعيد بك خوفاً منه على ولايته، ويتحسس سعيد بك، فيلتجئ إلى الشيخ حمود الذي أكرم وفادته، وتعهد بحمايته، ويزحف عبدالله آغا بجيوش كثيرة على الشيخ حمود، وتنشب المعركة الضروس، ولكن قواد الجيش تذاكروا عهد سليمان باشا، وراموا أن يحفظوه في ولده، وسرعان ما انحازوا عن عبدالله آغا الذي اضطر إلى الهزيمة، ويتعقبه المنتفق، فيقبضون عليه، ويسجنونه في (سوق الشيوخ).

وفي تلك الواقعة يصاب (برغش) ولد الشيخ حمود، ولما مات متأثراً بجراحه يأمر الشيخ حمود بإعدام الوالي عبدالله آغا، فيعدمه راشد أخو حمود ووالد ناصر باشا، ويطلب الشيخ حمود من الآستانة تنصيب سعيد بك والياً، ويساند طلبه كبار الجيش، فتنزل الآستانة على رغبتهم، ويتم نصب سعيد بك والياً على العراق، والشيخ حمود على البصرة، وامتدت زعامة الشيخ حمود طيلة أربعين عاماً، قضى عشرين منها وهو كفيف البصر، وكانت مدة زعامته ملأى بالحوادث والحروب مع جنود السلطان، ومع خزاعة ومع طي وهم بني لام ومع ربيعة.

ولما انقضى عهد سعيد بك، وجاءت ولاية داود باشا قابلها الشيخ حمود بالاستعلاء

والاستهتار، فلم يكن مذعناً لأوامر الولاة، خصوصاً وأن داود باشا جاء خلفاً لسعيد الذي رفع شأن حمود إلى أعلى المراقي، وأرسل داود باشا إلى الشيخ حمود أحد رجالات بغداد المدعو إبراهيم بك، فتغافل عنه الشيخ حمود، ولم يقابله إلا بعد أمد، مبدياً عدم الاهتمام بالرسول والمرسل.

فعمل داود باشا على إزاحة الشيخ حمود، وأغرى به ابن أخيه الشيخ عقيل، حيث أسند إليه مشيخة المنتفق، وعزّزه بالجند، فقابلهم الشيخ حمود، وأبلى في تلك المعركة البلاء الحسن، وكان يشدّ على القوم وهو أعمى، ويقول لأصحابه: (وجّهوا فرسي على أكبر مجموعة)، وكبا به فرسه، فقبض عليه، وسلّم إلى العثمانيين الذين جلبوه إلى بغداد، ويأمرٍ داود باشا بإنزاله ضيفاً على إبراهيم بك الذي كان قد تهاون في مقابلته يوم جاءه رسولاً، وبقي الشيخ حمود في بغداد حتى مات، ودفن خارج البلد من جانب الكرخ، وقبره اليوم معروف عند الأعراب بقبر الشيخ أو قبر الشيخ حمود.

ع. الشرقي

(٧)

نبذة من تاريخ بغداد والبصرة والمنتفق

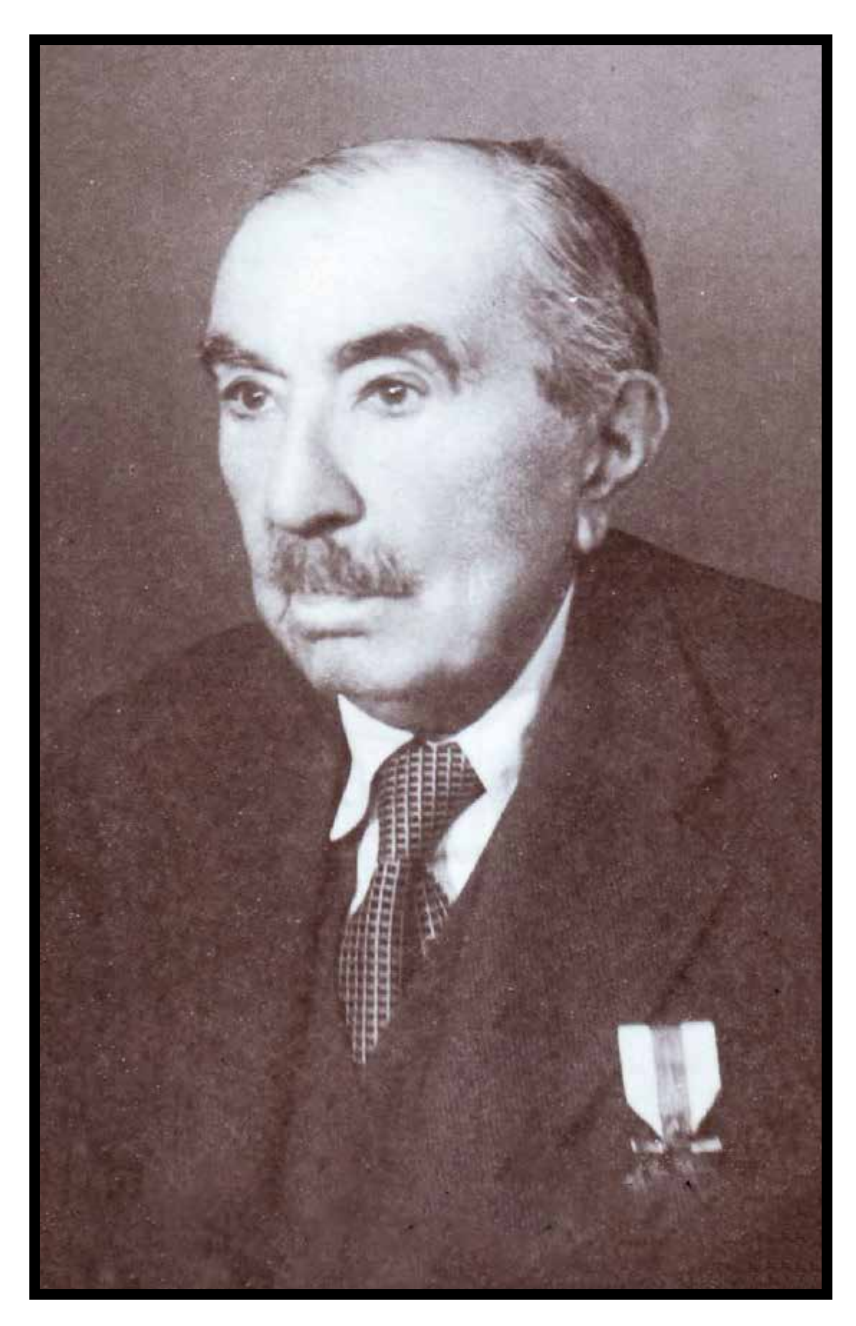
في أوائل القرن التاسع عشر من الميلاد

تأليف: ميخائيل عبود -ت ١٨١٤م

تحقيق: يعقوب سركيس

بيان مختصر شرح ما حدث بايام عبد الله باشا والي بغداد الذي هو
اول المماليك الذي اشتراه سليمان باشا نفسه حارب العجم وكان
جاعلا جبهجي بعد تقدم الاوقات الذي قتل فيه سليمان باشا الصغير
محل عهد الوزارة بواسطة عبد الرحمن باشا الكردي في سنة [illegible]

في تاريخ سنة ١٢٢٦ في شهر ربيع الثاني صار نزاع فيما بين اسعد بيك
ابن سليمان باشا وبين طاهر اغا كتخدا عبد الله باشا ولنشأة الى
قيل ان نية الغدر في تكبيه والدليل لذلك ضبط املاك الموجوده
من ابيه ولذلك خرج باحدى الايام الى التنزه وصار قاصداً
الهزيمة وعدم الرجوع الى بغداد وحيث شاع خبر حالاً توجه الناس
من قبل الوزير عبد الله باشا على تحصيله وارسال الامان لكي يحضر
الى بغداد وتنتظم هذه المادة بالتروي وكان الموجود يومئذ في
بغداد المستر ريج بانه صاحب جاه واعتبار عند الوزير الكامل
فيه وفي اول شهر جمادى الاول جاء اسعد بيك ودخل بغداد
وتوجه الى مواجهة الوزير ومع المستر ريج الذي اخذ من الوزير عهد
الامان عليه ومكث مدة في بغداد ومسامحين من طرف الوزير ولكن
طاهر اغا الكهية لا زال يظهر منه اشارات البغض على اسعد بيك
وحيث شعر بذلك وتأكد بان الكهية قاصد قتله خرج من بغداد



يعقوب سركيس

مقدمة المحقق

أذكّر قراء (لغة العرب) الغراء[1] ما كنت قد دونته في جزءها الحادي عشر من سنتها الثانية، وهو قسم من ترجمة سعدون باشا، وكنت قد علقت هناك حاشية بشأن حمود[2] الثامر[3] آل سعدون، معربة عن كتاب التاريخ العثماني لأحمد راسم، ومستندة على ثقات الرواة، وقد جاء فيها أيضاً بوجه الاستطراد لمحة من تاريخ بغداد، تعريباً عن الكتاب المذكور، ولم أقف في غيره على تفاصيل وافية تشفي غليل مطالع التاريخ عن تلك الأزمنة.

وربما لم تدون الوقائع بالإيضاح الكافي، أو دوّنت ثم عبثت بها يد الدهر، وها إني قد عثرت على نبذة تاريخية[4] بين أوراق حواها صندوق وجدته في دار الشاب الأديب الحسيب، الحلبي الأصل، والبغدادي المولد، واللاتيني الطقس، لطف الله[5] أفندي ابن نصر الله بن فتح الله بن نعمة الله بن المقدسي يوسف بن ديمتري الخوري

(١) نشر المؤرخ العراقي يعقوب سركيس تحقيق هذا النص في عددين متتابعين من مجلة لغة العرب البغدادية، وكان نشر الأول في الجزء ١١ –من السنة ٣ –عن جمادى الآخر ١٣٣٢هـ (آيار ١٩١٤م)، من ص٥٦٣ إلى ٥٧٤، بينما نشر الثاني في الجزء ١٢ من السنة ٣ عن رجب ١٣٣٢هـ –حزيران ١٩١٤م، من ص٦٣٩ إلى ص٦٥٩.
ثم أعاد سركيس نشر التحقيق في كتابه (مباحث عراقية)، القسم الأول، ص٧ –٤٤، وقد اعتمدنا على كلا المرجعين مع تغليب الثاني لكونه المتأخر حيث نشر سنة ١٩٤٨م بإشرافه.

(٢) كنت قد قلت في حاشية ص٥٠٧: ٢ أن قبر حمود الثامر معروف بقبر الشيخ من باب الشهرة، والصحيح أن قبر هذا الشيخ معروف بقبر حمود، بدون كلمة الشيخ، فأرجو العذر عن الزلل.

(٣) في لغة العرب (الناصر)، وهو غلط طبع، والصحيح الثامر (بثاء) كما بأعلاه.

(٤) لقد أبقيت سبك عباراتها على حالها بغير أدنى تغيير، وما لم يتيسر لي قراءته أبقيت محله خالياً منه، وقد علقت بعض الحواشي على ما ظننت أنه يحتاج إلى فهمه الذين لا يحسنون لغة عوام العراق، أو ليسوا منهم.

(٥) أنا آسف على فقدانه، فقد توفي في ٢٦ كانون الأول ١٩٤٧م.

عبود[1].

وهذا الصندوق طوله نحو متر واحد، وعرضه نحو نصف متر، وكذلك ارتفاعه، وهو مملوء رسائل كان قد بعث بها أجداد أسرته الكريمة، بعضهم إلى بعض، من حلب وبغداد والبصرة وأزمير وكلكتة وغيرها، بقصد التجارة، ودوام الوداد بين الأقارب، وفيه الأوراق التجارية الواردة إليهم من سورية والعراق والهند وإيران، وتواريخ أوراق هذا الصندوق تتعلق بأواخر القرن الثامن عشر للميلاد وأوائل القرن التاسع عشر، وفيها شيء نزر من صكوك شرعية صادرة من قضاة حلب، يرتقي تاريخها إلى أواسط القرن السابع عشر.

وهذه الأوراق، وإن كان أغلبها تجارياً، فإنها لا تخلو من الفوائد التاريخية في غير بابها هذا أيضاً. إذ قد ذكر أصحابها في سياق كلامهم حوادث ووقائع بلدة سكنوها لأقارب وأصدقاء وتجار قطنوا في غيرها، وقد خصص أهلها شيئاً من هذه الأوراق للدين والتاريخ والأدب وغيره.

وما هذه الدفينة إلا جزءاً ضعيفاً من أوراق التهمتها نار شبت في ٧ رمضان ١٣٢٦هـ (٢ ت١ سنة ١٩٠٨م) في خان الموما إليه لطف الله أفندي عبود[2]، فأحرقت جميع ما فيه، ولم تكن هذه الأوراق المحترقة مهملة، بل كان قد خصص لها فيه حجرة مبنية بالطاباق، معقودة به كما هو نسق بناء الخان المذكور، وليس في بنائها من المواد القابلة الاشتعال سوى أخشاب الباب والطاقات، بحيث نفذت النار منها، فأمست طعمة لها ونصيباً.

---

(١) آل عبود، كما تناقلته ألسنة أفراد الأسرة، وأيدته عناوين وتواقيع الرسائل ودفاتر الحساب التي وجدتها، والتي سيأتي ذكرها، ومن هذا البيت حضرة السري الحسيب شكر الله أفندي فتح الله عبود القاطن الآن في بيروت، وأعرف أيضاً أنه كان من هذه الأسرة قبل نحو ٢٠ سنة أعضاء يقيمون في مصر ومرسيليه، هم من أحفاد إلياس ديمتري الخوري عبود، وإلياس هو أخو المقدسي يوسف.

(٢) هو الخان المعروف باسم جده فتح الله عبود المولود في حلب في ٢٢ أيلول سنة ١٨٠٥م، والمتوفى في ١٦ ك١ سنة ١٨٩٤م في بغداد، وهذا الخان ملاصق للمزار المسمى (بنجه علي) وهو على بعد نحو ٥٠ متراً في الشمال الغربي من جامع مرجان الشهير في مدينتنا الزوراء.

وهذه الأوراق المحترقة كان ينوف قدرها على نحو عشرين صندوقاً كصندوقنا المحكي عنه، وقد حوت أعمالاً تجارية متسلسلة التواريخ حتى صدر القرن العشرين، عائدة كلها إلى الأسرة المذكورة، وفيها من الكتب المخطوطة وغيرها ما يندر وجوده، وكان قد اهتم بحفظه الخلف عن السلف.

ومن هذه الأوراق ما هو مختص بأحدهم (فتح الله عبود) الذي عرفه كثير من معاصرينا، وكان يعتني بالأوراق المنتقلة إليه أشد الاعتناء منذ حداثة سنه، وقد زادها ما اقتناه بذاته، فكان يدوّن الوقائع في تقاويمه اليومية كما كان يفعل سلفه. هذا فضلاً عما حوته مفاوضاته التجارية والأهلية من الشؤون الجمة، وكنت ترى عنده الجرائد نفسها عن السنين المتعددة الطويلة مجموعة مجلدة، ومنها (الزوراء) منذ ابتداء انتشارها.

ولحسن الحظ كان قد بقي من هذه الأوراق في دار السكنى الصندوق الذي ساقني إلى هذا المقال، ورب معترض يرمي إلى قلمي الزيغ عن الصدد. إنما أوردت شيئاً عما يتعلق ببعض أحوال هذه الأسرة، طلباً لتوثيق القارئ الكريم بها لما سيأتي من ذكر حوادث وأخبار ذات بالٍ في التاريخ.

فإني لاحظت بوناً عظيماً بين ما ذكرته (سالنامات) ولاية البصرة من أسماء (متسلميها)، وسني نصبهم، وبين ما أفادتنا به النبذة التي أكتب هذه الأسطر توطئة لها، وقد أقرت سالنامة ولاية البصرة سنة ١٣٠٩ بافتقارها إلى الأخبار، وطلبت إلى الذين يعرفون مثل هذه الأمور أن يفيدوها بما عندهم، فزادني طلبها هذا نشاطاً، ولبيته إذ قد سنحت الفرصة بذلك.

وأما صاحب النبذة، هو الحلبي أصلاً، والرومي الملكي طقساً، الشماس ميخائيل بن المقدسي يوسف بن ديمتري الخوري عبود، المتوفى في ١٨ آب سنة ١٨١٤م في كلكتة، ونبذته هذه موجودة بخط يده، ويظهر جلياً من نسق تحريرها، ومن تقويم له وجد بين الأوراق. أنه كتبها في البصرة حيناً بعد حين على توالي حلول الوقائع، والله

أعلم، فإنه علام الغيوب.

يعقوب نعمة الله سركيس.[1]

(١) (لغة العرب): كاتب هذه المقالة، هو يعقوب أفندي بن نعمة الله (نعوم) بن آكوب جان بن سركيس بن آكوب جان بن مقصود، وهو ابن عمة لطف الله عبود الذي وجدت عنده هذه الأوراق التاريخية النفيسة.

صورة النبذة بحروفها

بيان مقتصر، شرح ما حدث بأيام عبدالله باشا والي بغداد، الذي هو أول مملوك الذي اشتراه سليمان باشا.

بعد أن صار يسير[١] العجم، وكان جاعله جبقجي[٢]، وبعده تقدم إلى وقت الذي قتل فيه سليمان باشا الزغير[٣]، حصل على الوزارة بواسطة عبدالرحمن باشا الكردي[٤] في سنة ١٢٢٥هـ (١٨١٠م).

(١) أسير.

(٢) والأصح جبوقچي، والكلمة تركية بمعنى الموظف الذي يعتني بأدوات التبغ، وبتحضيره في وعائه للتدخين.

(٣) الصغير.

(٤) هو من آل بابان. راجع ص١٦٦٤ من التاريخ العثماني لأحمد راسم.

التنافر بين الوالي وأسعد بك

في تاريخ سنة ١٢٢٧هـ في شهر ربيع الثاني، صار تنافر فيما بين أسعد بك[١] ابن سليمان باشا، وبين طاهر آغا كيخية[٢] عبدالله باشا، واستبان إلى البيك نية الغدر من الكهية[٣].

والدليل لذلك ضبط أملاكه الموهوبة له من أبوه، ولذلك خرج بإحدى الأيام إلى التنزه، وصار قاصداً الهزيمة، وعدم الرجوع إلى بغداد، وحين شاع الخبر، حالاً توجه أناس من قبل الوزير عبدالله باشا على تحصيله، وأرسل له الأمان لكي يحضر إلى بغداد، وتواسط هذه المادة باليوز[٤] الإنكليز الموجود يومئذ في بغداد، وهو مستر ريج[٥]، بما أنه صاحب جاه واعتبار عند الوزير المشار إليه.

وفي أوائل شهر جمادى الأول جاء أسعد بك، ودخل بغداد، وتوجه إلى مواجهة الوزير، ومعه مستر ريج الذي أخذ من الوزير عهد الأمان عليه، وبقي مدة في بغداد، ومستأمن من طرف الوزير، ولكن طاهر آغا الكهية لا زال يظهر منه إشارات البغض على أسعد بك.

---

(١) لا يزال بعض الأعراب يسمونه إلى عهدنا هذا (أسعد) خلافاً لنص التواريخ.
(مشرف الخزانة): يقصد أن اسمه الحقيقي هو (سعيد).

(٢) تصحيف كتخدا التركية الفارسية الأصل.

(٣) والأصح كهيا، وهي لفظة تركية، لغة في كتخدا.

(٤) الباليوز هو القنصل، ولا يزال كثيرون يسمونها بالاسم الذي ذكره صاحب النبذة، والكلمة رومية الأصل. تصحيف بايلوس Baylos.

(٥) وبالإفرنجية Rich.

لجوء أسعد بك للمنتفق

وحين شعر بذلك، وتأكد بأن الكهية قاصد قتله، خرج من بغداد في شهر شعبان سنة ١٢٢٧هـ، وتوجه إلى عند حمود آل سعدون شيخ المنتفق، وقصده بالحماية.

والمذكور، بما أنه قديم في المشيخة من زمان أبو أسعد بك، سليمان باشا، قبل الولد بكل إكرام ومحبة، وكان قد سبق قبله جاسم بك ابن الشاوي[١]، منهزماً من الوزير، وجاء إلى عند حمود، لأنه لم يجد له مكان يلتجئ فيه سوى هذه العشيرة، وشيخها حمود الذي مع أنه كفيف[٢]، حسن تدبير، وعقله لا يوصف.

وحين بلغ عبدالله باشا حصول أسعد بك عند حمود، زعل الكهية، هيجه بالغضب، وكتبوا إلى حمود يطلبوه منه بالمعاتبة: (بأنه ما يكفيك ضبط أراضي البصرة وأثمارها، ومنع إيراد الميري عليها، ومدة سنتين ما قدمتوا لنا الذي عليكم، بل الذين يشردون من طرفنا تحميهم وتلفيهم[٣] عندك، فنحن نسمح لكم عن كل ما فعلتوه من تعطيل إيراداتنا، ونروم أن تسلمونا جاسم بك شاوي، وأسعد بك ابن سليمان باشا).

فكان جواب حمود إلى الوزير: (إن جميع ما حررته من جرى تعطيل إيرادكم، والمحصول الذي حاصل لنا، فهو بالحقيقة، ولا أنكره، ونحن من القديم إلى الآن، خدام لسلفاكم ولكم، وأما من طرف البيكاوات الموجودين عندي، فما يمكن تسليمهم،

(١) لا أظنه إلا من آل شاوي البيت الشهير.

(٢) بمعناها الفصيح أي الأعمى.

(٣) بمعناها المتعارف بيننا، أي تقبلهم وتبقيهم، وقد ذكرنا الألفاظ العامية ألفاظاً فصيحة لمن يجهل تلك اللغة المفسدة أو المحرفة عن أصلها.

لأن مثل هؤلاء أناس أجواد جاؤوا لعندي، فيقتضي عليّ أن ألفّيهم، وأسعد بك ابن أبوه[1] الذي نحن خدامه، ونذكر حسن فعائله معنا، فعاد غير ممكن أن نسلمه ولا غيره. كل من يجي إلى حيّنا).

فاشتد غضب الكهية من هذا الجواب، وبدأ في ديوانه يتكلم على حمود بالذميمة، ويقول: (ما أحد يقص رأسه غيري)، وصار يحرك غضب الوزير على البيك وحمود، حتى أرضاه لمرامه، وأمر بجمع عساكر.

وكان طلوعه من بغداد في شهر شوال سنة ١٢٢٧هـ (١٨١٢م) على الحلة، وصار مسيره بالشامية[2]، والعساكر تنتقل إليه من لاوند[3] وأكراد وترك، من كركوك

(١) الصواب أبيه. (مشرف الخزانة)

(٢) بالمعنى الذي لا نزال نفهمه، وهو الشاطئ الأيمن من الفرات وما يليه من بلاد العرب، وكان يسميه الأقدمون (طف الفرات).

(٣) اللوندي من الجند المتطوعة في دولة المماليك، وكان يقال لرئيسهم (شهلوند)، وكان لكل لوندي ثلاثة أسلحة نارية، ويتحتم عليه أن يشتري لنفسه جواداً، ويطعمه على حسابه، ولم يكن من الأصائل، ولم يكن اللوند يعرفون صناعة التصرف في الأسلحة، لأنهم كانوا متطوعة بدون سابق خبرة في المحاربة، ويعدون من عساكر الدرجة الثانية (راجع تاريخ بغداد في الأزمان الحديثة باللغة الفرنسوية للأديب هوار في حاشية ص٢٠٥)، ومما قاله أحمد راسم في حاشية له من كتابه التاريخ العثماني ص١٤٨١ و١٤٨٢ ما تعريبه: كان يطلق البنادقة كلمة (له وانت) على الجند المتسلحة الذين كانوا يأخذونهم من الشرق، والكلمة بمعنى (عسكر الشرق)، فقلبنا كلمة (لونت) إلى (لوند)، وقلنا لرئيس ها العسكر (شهلوند)، وقد تقيد عندنا من أهالي الولايات الساحلية عسكر بهذا الاسم بعد سنة ألف، وكان هؤلاء نحو خمسين ألفاً، كان خمسهم مشتغلاً في الأسطول. أه.
وفي متن كتابه المذكور في ص١٢٢٤ و١٢٢٧ وما يليها ما ملخصه تعريباً: ومن أهم أمور سنة ١٢٠٧م شروع الحكومة في تنظيم العسكر، فأنشئ النظام الجديد العسكري، وابتدئ بتدريب رجاله في مزرعة (لوند)، وكان للجند بندقيات ذات حراب، ووضع لهذا النظام الجديد قانون مخصوص، وأول ما عمل به كان في مزرعة لوند، ولهذا عرف (بقانون مزرعة لوند). أه. وقد جاء أيضاً بحث عن لوند في ص١٤٦٤ من الكتاب المذكور وفي ما يليها، فارجع إليه إن شئت، وفي معجم لاروس الحديث المصور في مادة Levanti (لوانتي) عسكر في بحرية تركية، وفي مادة Levantin (لوانتن) نوتي من سواحل تركية وآسية الصغرى، وفيه أيضاً Levantin لوانتن: نوتي يؤخذ مما كان بجيش من طوائف الجند في سواحل البحر المتوسط.
(لغة العرب): نحن لا نوافق هؤلاء الكتاب على أصل كلمة (لوند)، فالكلمة معروفة عند الفرس قبل أن يدخل البنادقة هذه الديار الشرقية، وقبل أن تكون أدنى علاقة معهم، ومعناها عندهم الحر المستقل، فأخذ البنادقة هذه الكلمة من الترك، ومنهم الإيطاليون، ومنهم الفرنسويون، وكان اللوند أيضاً عسكراً خاصاً بالباشا، ومن حرسه الخاص.

وأرويل[١]، وعروبية العراق، وعگيل[٢]، وبراطلية[٣] وتفنجلية[٤]، حتى صار جملة العسكر الحربي ينيف على ثلاثين ألف عليقة للخيل والبغال، عدا الجمال، ومعه من الأطواب عدد ١٠، وقنبر[٥] عدد ٣، وزنبرك[٦] عدد.

المراد أن ركبة هذا الوزير ملوكية، ما اتفق مثلها في أيام سلفاه حين ركوبهم على العربان، وطلب من البصرة ثمانية مراكب يتوجه بهم قبطان باشا إلى سوق الشيوخ، وحالاً توجهت بذخائرها.

وبدأ الوزير يقطع مراحل في المسير، والناس ما تعلم الأسباب التي قصدته على التقدم لمحاربة حمود والبيك.

---

(١) كما نسميها اليوم أيضاً، وهي أربيل المعروفة.

(٢) أي عقيل، وهو من عسكر الأعراب، وكان أغلبهم من نجد.

(٣) البرطلية عند العامة جمع برطلي (بفتح الباء والراء وسكون الطاء وكسر اللام وتشديد الياء المثناة في الآخر)، وهذا أصله (براطه لي) التركية نسبة إلى براطة، بمعنى صاحب البراطة أو لابسها، والبراطة من العمرات (ملابيس الرأس) على ما قاله أحمد راسم في كتابه التاريخ العثماني في حاشية ص١٥٦١ في بحثه عن العمائم إذ قال: (شاطر براطه لري)، وشاطر هنا بمعناها التركي وهو الموظف يومئذ بمرافقة الضباط الكبار الذين كانوا من حاشية السلطان أو الإنكشارية، ويمشون بجانب أفراسهم، وبريد العراقيون ببرطلي في يومنا هذا الرجل الوقح أو الذي لا يرضى بحقه أو ما شابه ذلك. أما البرطلية في ذلك العهد فكانوا عسكراً على ما أظن.
(لغة العرب): نستأذن الكاتب في مخالفة رأيه، وعندنا أن البراطلي تصحيف براتلي التركية، (ومعناها المزود بالبراءة السلطانية)، وكان البرتلية أو البرطلية طائفة من العسكر لهم امتيازات خاصة بهم، ومن كان كذلك فلابد من أن يباهي أو يفاخر بما عنده من الآلاء الخاصة به، فيطغى ويبغي ويظلم ويجرم، ويأتي بأنواع المنكرات والموبقات.
وربما كان البراتلي نسبة إلى برات، وهي مدينة من ديار الأرناؤوط (أي ألبانية) المشهورين بكبر الجسم وشدة الجراءة والإقدام، وبطباع تقرب من الوحشية، كأنهم يشعرون بأنهم لم يولدوا في العالم إلا لمعاقبة الناس العصاة، ولهذا كان الأرناؤوط في كل عصر أهل صراع وقراع، وربما كان أغلب المزودين بالبراءة السلطانية (أي البراتلية) هم براتلية من جهة الموطن، أي براتلية امتيازاً وموطناً، وعلى كل حال يسمي العراقيون (برطلي) الرجل الكبير الجسم الجريء المقدام الذي لا يقنع بما يعطى، ويطلب فوق ما يستحق، ويحب الخصام لأدنى أمر على حد أوصاف البرطلية الأرناؤوط.
ونخير على هذه الآراء الثلاثة رأي حضرة الأديب الناقد العجيب الذكاء صديقنا العزيز ع. ن، وقد أدرجناه في باب الأسئلة والأجوبة، فراجعه تحكم بالإصابة له.

(٤) لم يرد بذلك إلا جمع تفنگجي بمعنى (حامل البندقية) وهو العسكر المتسلح.

(٥) القنبر آلة يقذف بها القنبرة أو القنبر بالفرنسية obusior والقنبرة obus.

(٦) الزنبرك أو الزنبورك: مدفع صغير خفيف الحمل ينقل على الدواب، وقد يقال فيه أيضاً الزنبلك، وكان يتخذ في عهد المماليك.

ولكن أخيراً ظهر السبب، وهو أن حسب العادة القديمة يقتضي في شهر شوال يأتي إلى الوزير فرمان التقرير[١] من الدولة العلية، وبهذه السنة وخروه[٢] عنه، وصارت التاتارية[٣] تشتغل، وتطلبوا عليه مبالغ، لسبب أن أسعد بك كتب على الوزارة، وله رجال تساعده في المحروسة[٤]، ودارك[٥] الشتاء على العسكر، وهو بالبرية.

ولا زال يقطع مراحل إلى أن دخل شهر محرم سنة ١٢٢٨هـ (كانون الثاني سنة ١٨١٣م)، حتى تقدم إلى قرب عشيرة المنتفق، وركب الجسر[٦]، وعبر إلى الجزيرة.

وفي أوائل شهر محرم وصل تاتار غاسي الوزير عبدالله باشا، ومعه قبي جوقداري[٧] واشتهر عنهم أنهم جايبين المنصب من الدولة إلى عبدالله باشا، وصار فرح في بغداد، وأتانا الخبر إلى البصرة صحبة ساعي الإنگليز، وكان وصوله في ٥ صفر سنة ١٢٢٨هـ، وأمنت وفرحت الناس بذلك.

(أملاً بأنه قريباً تنتهي الأمور، ويسلك الطريق الذي تعطل، حيث جملة ماچوات[٨]

---

(١) فرمان التقرير هو فرمان الإبقاء في المنصب.

(٢) أي أخروه، وهو من باب الإبدال، والكلمة عامية.

(٣) هم سعاة البريد، والكلمة تدل على أن التاتار أو التتر كانوا يستخدمون لنقل البريد منذ ذلك العهد أو قبله، ولا يزال يطلق اسم (التتر أو التاتار أو بواسطة التتر) على البريد الذي يرد إلينا بطريق الأناضول أو الموصل وكركوك.

(٤) أظنه أراد الآستانة.

(٥) أدرك وقارب.

(٦) أين كان محل هذا الجسر؟ لا أعلم.

(٧) (قبي جوقدار أو قبو جوقداري أو قبو جوقه داري) هو موظف الولاة لدى الباب العالي يومئذ.

(٨) الماچوات جمع ماچوة، ويقال فيها أيضاً الماشوة، والجمع ماشوات، ويلفظ مفردها بفتح الميم بعدها ألف يليها چيم مثلثة فارسية أو شين مضمومة ثم واو مشددة مفتوحة وفي الآخر هاء، وذكرها صاحب أقرب الموارد بصورة الماشوت وزان جالوت، وقد نقلها عن صاحب محيط المحيط، وهذا عن فريتغ، وفريتغ عن دساسي، وهذا خطأ في النقل، والأصح ما أوردناه، والماشوة أو الماچوة كالمهيلة (راجع لغة العرب ٢: ٩٦) إلا أنها أكبر منها حجماً، وكان أهل بغداد والبصرة يسافرون عليها قبل وجود البواخر في ديارنا، والكلمة أرمية الأصل من (ماكوتا) بمعناها، وأعراب العراق يلفظون الكاف چيماً مثلثة كما أشرنا إليه غير مرة.
(لغة العرب): لم نر هذه الكلمة في كتب تواريخ العباسيين، ولم نقف على استعمالها إلا في النصف الأول من القرن الماضي قبل سير البواخر في الرافدين، فهل هي تحريف Manchua (منشوة) الواردة في مقدمة الناقل لرحلة تكسيرا Texeira إلى الإنگليزية؟

قريب عدد ٥٠، غالبهم شاحنين أموال وقهوة وسقوطات[١]، ومبتدأ تحميلهم من شهر شعبان، وغالب قهوة الموسم تحملت بهم، حتى يمشوا كار[٢] حسب المعتاد.

وظهرت هذه الأمور، وتوخروا، وأموال الناس عدا تعطيلها عليهم، بعضها عدم[٣] من الأمطار والنشل[٤]، لأنه مال مهيّت[٥] بين أيدي السگمانية[٦]، وبعد أن كانوا في الشط، أدخلوهم إلى العشار، وإحدى الماچوات طبعت[٧]، وأموال الناس تجركت[٨].

المراد، ترى التاجر في ضيقة خلق لا توصف، والأموال نزلت أقيامها من جرى عدم سلوك الطريق، والكساد في بغداد، ولا بد من بعض الاختلال، والقرش ما يحصل، حتى يرسلوا للبصرة، ولذلك صار ضيقة على الناس، والوعود الباطلة في عطاء الحق أكثر من بغداد وحلب).

(الص١٣)، وهناك أنها من السفن البحرية في أواخر القرن السادس عشر.

(١) العطريات والعقاقير، والكلمة عامية.

(٢) بضع سفائن شراعية تسير في الفراتين، ويزيد عددها على العشرة إلى ما فوق، ولا زالت الكلمة معروفة عندنا إلى يومنا هذا (راجع لغة العرب ٢: ١٠١).

(٣) تلف.

(٤) بمعناها الفصيح، وهو الإسراع بالنزع والخطف.

(٥) تصحيف (متيه) المشدد العين، وهو بالمعنى الذي نعرفه أي مهمل بلا رقيب أو حارس.

(٦) جمع سگمان، والمقصود سگمن التركية، وهو جندي كانت وظيفته مثل وظيفة المبذرق (الجندرمة) في عهدنا هذا.

(٧) أظنه أراد غرقت، ومعناها الفصيح عيبت.

(٨) نعلم أن العامة عربت جورك التركية، فقالت جرك (وزان عنق). ثم اشتقت منه فعلاً، وصرفته فقالت جركه فتجرك (وزان كسره فتكسر) أي أتلفه فتلف.

انتصار المنتفق على الوالي

وفي يوم الثاني من شهر صفر سنة ١٢٢٨هـ نهار الأربعاء، تقدم الوزير بعساكره الوافرة، وتقدم حمود بجنوده، ومعه أسعد بك مع عسكر قليل عثمانلي محتوى عنده، وصارت الواقعة للحرب، ولم يعلم الوزير أن العسكر والآغاوات والكاركلية[١]، جميعهم خائنين عليه، ويريدوا أسعد بك، والمكاتبات متصلة لهم منه بأنه هو الوزير، والمنصب جاي[٢] باسمه.

فحالما بدا الچنك[٣]، وضربت الأطواب، أول مرة تبدد عسكر المنتفق، وكاد يعدم، فأولاً اللاوند خرجوا من العسكر، ونكسوا بيارقهم، وتبعهم الكرد مع باشاواتهم وآغاواتهم. ثم الكاركلية والعثمانلي أتباع الباشا بنفسه.

وأما العروبية جميعهم بدوا ينهبوا نقل الأورضي[٤] مع الجباخانة، جميعها على الأجمال ساقوها، وولوا ناكسين، والعسكر جميعه صار في طرف أسعد بك، وما بقي عند الباشا سوى العگيل والبرطلية والتفنگجية، ونشلت أيديهم عندما شافوا الخيانة، فرجع الباشا والكهية إلى الصيوان، وأتاهم بعض الشيوخ، ومنهم راشد أخو حمود و....[٥] قبل حمود، وأتوا بهم إليه، ودخلوهم لعنده مسوقين كالغنم.

(١) أصلها كاركر التركية الفارسية الأصل بالياء والهاء. ثم أبدلت بصورة كاركل. ثم جمعت، ومعنى كاركر التركية الفعال والمؤثر، وكان يراد بها أحد موظفي ذلك الزمان بدون شك.

(٢) جاءٍ أو آتٍ.

(٣) لفظة تركية وهي الحرب الشديدة.

(٤) وهو الأردو التركية أو الأورودو أي الجيش.

(٥) فراغ في المنشور، ولعله بمعنى (رجال). (مشرف الخزانة)

وفي حال دخولهم، أخبروه بما أنه كفيف، وثقوه بتعذيرهم على فعلهم معه، وأمر برفعهم إلى سوق الشيوخ، وحالاً أخذوهم، ومعهم قبجيلار كهيسي[١]، وناصر الشبلي شيخ العگيل، وحبسوهم في سوق الشيوخ بأمر حمود شيخ المنتفق.

وأسعد بك جلس في صيوانه، وبدت المنتفق وعربان العشيرة ينهبوا أورضي الوزير، حتى الخزنة تقاسموا الذهب بالشقابين[٢]، الذي حسبوه من عدد أحماله قريب ستة لكوك ذهب سكة، عدا سكة الفضة من قرش وريال، وعدا طواقم الفضة التي توجد عند هكذا وزير.

المراد، جميع ما وجد بالأورضي من كلي وجزئي حصل بيد عرب المنتفق، وما اكتفوا بهذا، بل بعد توزيعهم ذلك جميعه في بيوتهم، بدوا يسلبوا العسكر، ويأخذوا سلاحهم وهدومهم، والذي ما يسلم بالحال يقتلوه، والذي التجأ في صيوان البيك خلص من التشليح[٣]، ولكن حصانه وسيسنته[٤] راحوا من يده، وجميع القطرات[٥] تقاسموها العربان، وجميع ذلك العسكر منه براطلية وتفنلگجية[٦] ولاوند بقيوا عرايا.

وكذلك بعض الأكراد والأرولية[٧] والكركوكلية، وآغتهم إبراهيم آغا الذي كان متسلم البصرة سابق تشلح وبقي عريان، ودخل إلى عند البيك، حالاً أمر له بكسوة، ولبسه زخرجي باشي[٨]، وبعض من آغاوات وابن باشوات الكرد أخذوا أوادمهم،

(١) والأصح قبوجلر كهياسي، وهو أحد الموظفين الكبار عند الترك.

(٢) جمع شقبان، وهو مقدار ما يمكن أن يحمله الإنسان، ويضعه في عباءته لنقله، وهو لغة في الشگبان على ما قاله صاحب تاج العروس.

(٣) التشليح بمعناه الفصيح أي التعرية، وهي من أصل أرمي.

(٤) هل أراد السايسخانة التركية، وهي الدواب المحملة التي يركبها السواس وغيرهم؟

(٥) بمعناه الفصيح، وهي جماعة من الدواب على نسق واحد.

(٦) لا أظنه أراد إلا تفنگجية، وقد سها قلمه في كتابتها.

(٧) نسبة تركية إلى أرويل وكركوك على ما نعرفه.

(٨) تصحيف زغرجي باشي، وهو رئيس الزغرجية أو ضابطهم، والزغرجي هو الموكل بحفظ كلاب صيد رئيسه في الأصل. ثم صار

وانهزموا راجعين، وبعضهم بقيوا عند البيك.

وأما العرب اغتنوا من هذه النهيبة غناءً لا يوصف، وترى العربي لابس الكرك[١] وزبون القطني[٢] وهو حفيان[٣]، وكل يوم يأتوا بالخيل والبغال يبيعوها بالسوق.

وفي الچنك ما قتل أناس كثير، سوى نجم ابن شيخ ثويني[٤] ابن عم حمود الذي خان[٥]، وراح عند الباشا، ولبس شيخ، وبعض من جنوده، ومن طرف حمود ابنه الكبير المسما[٦] (برغش) المشهور في صورته ومنظره العجيب وفروسيته، ففي وقت الحرب تقدم إليه واحد من أبناء باشاوات الكرد، وكلاهما مدرعين، وطعنه برمح على الدرع الداوودي[٧]، وهو قاطع[٨]، ومزق الدرع، وثنا[٩] عليه بالخشت[١٠]، وهو طارحه

لقب وظيفة.

وقلت في حاشية ص٥٧٢ عن الزغرجي باشي ما معناه اللفظي، وأنه ضابط الزغرجية، وفاتني أن أقول أن الزغرجية جند من الإنكشارية (راجع ص١٩٢ من كتاب روضة الكاملين شرح شفيق نامة لمحمود جلال الدين وحاشية ص٧٨٦ من التاريخ العثماني لأحمد راسم، والكتابان باللغة التركية)، وأنه مختص بزمان الحرب (راجع ص٥ من كتاب سجل عثماني ياخود تذكرة مشاهير عثمانية لمحمد ثريا بالتركية)، والظاهر أن في عهد هذه النبذة قد تغير نظامهم فإنهم كانوا قبلاً إنكشارية موظفين بمحافظة كلاب الصيد المختصة بالسلطان، والزغرجي كان من المقربين منه، فتقليد الوالي لمنصب الزغرجي باشي بدل على وقوع تغيير في نظامهم السابق.

(١) الفرو، والكلمة تركية.

(٢) نوع من الأقمشة كان مرغوباً فيه يومئذ.

(٣) حافٍ.

(٤) الصواب أن نجماً هو شقيق ثويني وليس ابنه. (مشرف الخزانة)

(٥) الذي كان قد خان.

(٦) الصواب المسمى.

(٧) نسبة إلى داود النبي (عم)، وهو بمعنى المكين المحكم الصنع.

(٨) أي وكان الرمح حاداً قاطعاً، فقطع الدرع.

(٩) أراد ثنى بمعناها الفصيح، أي ارتد عليه بالضرب.

(١٠) كلمة تركية فارسية الأصل، وهي قضيب من الحديد طوله نحو متر، وقد يخدد فينزل فيه الذهب، وفيه مقبض، وينتهي آخره بسنان محدود يتخذ للطعن.

للأرض، وتحاوطته[1] جنوده، وجابوا إلى عند أبيه.

ولا زالت العرب تنتهب العسكر، ولا أحد يقدر يكلمهم، وأما أسعد بك حالاً لبس داود أفندي (الذي كان آخذ أخته بنت سليمان باشا[2]، وكان محبوب منه، وهو صاحب تدبير ومعقول، وكان عند عبدالله باشا دفتردار) كهية، وكتب أمر بيورلدي إلى البصرة باسم المتسلم حالاً، وهو رستم آغا، وأرسله صحبة سلاح داره[3] محمود آغا.

(١) أراد كانوا عليه كالدائرة.

(٢) وعليه يكون داود أفندي صهراً له.

(٣) هو الموظف يومئذ بحفظ أسلحة الأمراء وغيرهم.

أحوال البصرة

وأما أحوال البصرة بقيت بنوع ما مرتاحة إلى يوم السبت مساء ٥ صفر سنة ٢٨هـ، وتواردت الأخبار بأن أوردي الوزير انكسر، واختلت البلد.

وثاني يوم نهار الأحد، وضعوا قلقات[١] في القهاوي والأسواق، وجميع الدكاكين تفرغت من الأموال، وصار الخوف بقلوب الناس.

ويوم الثلثا وصلت المراكب مال البصرة (الذي كان طلبهم الوزير، وسافر بهم قبطان باشا إلى قرب سوق الشيوخ، ولكنه بعد وصوله أتاه تحريض من أسعد بك، وما عاد ظهر منه أذية إلى العربان، ولا عاد تقدم إلى السوق، بل بقي متوخراً)، ورموا المراسي بمكانهم قبل توجههم.

ويوم الثلثا صباحاً وصل أيضاً السلاح دار، ومعه البيرولدي[٢]، وصار له آلاي[٣] بدخوله إلى السراي، والمتسلم[٤] استقبل الأمر من الدرج، ودخلوا للديوان، وتلي على سماع المتسلم بحضور قبطان باشا والأعيان والمشايخ، يذكر فيه بأنه حضر له من الدولة العلية منصب وزارة بغداد، والعزل إلى عبدالله باشا، وبأن يوم الأربعاء في ٢ صفر الساعة ١ وقفوا للمحاربة، والعسكر حالاً خان، وأتا إليه، وقد استولى الأمر،

(١) أراد جمع قوللق، وهو الخفر أي الجماعة من المحافظين.

(٢) نوع من الأوامر الرسمية.

(٣) تركية، معناها كما نعرفه اليوم المراسيم التي تجري بأبهة وعظمة.

(٤) هو الموظف بإدارة لواء من قبل وال أو متصرف، وذلك قبل (التنظيمات الخيرية).

والخطاب إلى رستم آغا المستلم بما أنه من أتباع وخدام أبوه[١] الصادقين يقيمه متسلم البصرة تقريراً، ويحرضه مع بقية الأعيان على الحفظ والصيانة إلى البلد.

وشاع اسم أفندينا أسعد باشا، وأمنت الناس، وقد أمر المتسلم والأعيان والمشايخ جميعاً أن يتوجهوا إلى مواجهته، وأن المتسلم يجيب له ٩٠ ألف (غرش) من ثلاثة تجار بأساميهم بموجب أمر منه، وهم: الحاج يوسف الزهير ٤٠ ألف، وسليمان بن الفداع[٢] ٣٠ ألف، وخالد بن رزق ٢٠ ألف، وحينما المستلم عرض عليهم الأمر، اجتمعوا تجار الكبار، وفصلوا مع المتسلم التسعين بستين ألف غرش عين[٣]، وفرضوها على كافة التجار، منها على اليهود ٢٠ ألف، وعلى الخواجة جبرا أصفر[٤] ٢٠ ألف، والبقية على التجار الإسلام جميعاً.

وطلعت المباشرية من طرف السلاح دار والمتسلم في تحصيل القرش الذي لا يوجد بهذه الأيام، حتى أن بعض اليهود تدينوا في المئة ستة بالشهر، ووفروا على ذواتهم الضرب والبهدلة[٥] من المباشرية[٦]، لأنهم ضربوا بعضاً، وهجموا على بيوت البعض من الرعية، حتى اتصلوا إلى سحب الخناجر في البيوت مع السب والتشتيم، حتى أنهم من يوم الأربعاء إلى يوم الجمعة مساءً ما بقي شيء من الطلب، بل جميعه

(١) الصواب أبيه. (مشرف الخزانة)

(٢) لا أشك أنه أراد الفداغ بالغين المعجمة في الآخر. اسم أسرة كريمة.

(٣) قال أحمد راسم في تاريخه العثماني ص١٦٠٢ عند كلامه على النقود في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة ما هذا تعريبه: ارتفع سعر ذهب (اليلديز) بحيث إنه بعد أن كانت قيمته نحو أربعة غروش ونصف صعد إلى تسعة غروش بل إلى عشرة. أه. وقرأت في تقويم لصاحب هذه النبذة أن اليلديز كان يساوي في البصرة ستة غروش وربعاً وشيئاً، وذلك في منتصف رمضان سنة ١٢٢٧هـ. ثم ارتفعت أسعاره حتى بلغت ستة غروش ونصفاً في ٢٠ شوال سنة ١٢٢٧هـ، وقد كان سعره في أوائل المحرم من سنة ١٢٢٦هـ تسعة غروش وربعاً، ولا يخفى على المطالع أن أسعار النقود لم تستقر على حالة واحدة، وبعد ذلك سمي القرش (شامياً)، ولا يزال قسم من لواء المنتفق يعرف الشامي والقرش (وتلفظ الجرش بالجيم أو بالكاف الفارسية) بمعنى واحد، واليوم عندهم الشامي أو الجرش ثلث المجيدي، وهو من دراهم المعاملة، لا من الدراهم الموجودة حقيقة.

(٤) هو والد حنا أو حنوش أبي الكونت جبرائيل أصفر القاطن اليوم في البصرة.

(٥) التحقير، كما نعرف ذلك.

(٦) جمع مباشر من موظفي الحكومة يومئذ، وهي بغير معناها الحالي.

حصل بالسراي، والمتسلم أعطى فيه أوراق إلى كل بقدر تسليمه على أنه دين على الگمرك.

وفي هذه الأيام اهتموا الأعيان والمشايخ في صف بقج[١] هدايا إلى أسعد باشا، ليصحبوها معهم ويواجهوه، حتى أنهم أشروا مبالغ من مال سورتي[٢] وكجرتي[٣]، وأكثره تمام زر[٤]، ونيم زر[٥]، بقج، لائقة لوزير ابن وزير[٦]، وكان توجههم نهار الأحد ١٢ صفر ١٢٢٨هـ (١٨١٣م)، وكان الحاج يوسف الزهير[٧] شدّ[٨] هدية مفتخرة من قماش وتفاريق[٩] وتمام زر وشوش جوزه[١٠] ومسابح[١١] لولو، وأرسلها مع ابنه حاج عيسى قبل توجه المتسلم والأعيان.

---

(١) جمع بقجة (وزان غرفة) المقصورة من بوغجة التركية، والبقجة هنا بعنى مقدار من المنسوجات لا يتجاوز الشگبان ملفوف بقطعة من نسيج تكون غلافاً له، وتطلق الكلمة على هذا الغلاف وعلى محتوياته من باب تسمية الشيء بما يحتوي عليه.

(٢) أراد النسبة إلى سورات في الهند، ومنه السورتي أو الصورتي من الطاقات أو الطوائق وواحدتها طاقة، وهي قطعة من أي نسيج كان قائمة بذاتها تكفي لتفصيل قباء، وقد تزيد عنه شيئاً أو تنقص عنه.

(٣) أراد النسبة إلى كجرات من الهند.

(٤) (زر) فارسية بمعنى الذهب، و(تمام زر) هو النسيج الذي لا يدخل وشيه غير القصب (الكلبدون)، وربما كانت تلك النقوش كثيرة.

(٥) (نيم) فارسية أي نصف (نيم زر) هو النسيج الذي يدخل وشيه شيء غير القصب (الكلبدون)، وربما كانت نقوشه قليلة.

(٦) أراد التعظيم والتبجيل.

(٧) أسرة شهيرة لا زالت معروفة إلى اليوم.

(٨) بمعنى هيأ الهدية وأحضرها.

(٩) التفاريق (ولا يستعمل مفردها) طائفة من الطوائق المتنوعة الأشكال. قيل خصت بالأغباني والنيم (بكسر النون وفتح الياء).

(١٠) أراد زجاجات النارجيلة لتقوم مقام الجوزة الهندية التي يوضع فيها الماء، ولم يبطل استعمال هذا النوع نوع الإناء (وهو الجوزة الهندية) إلا من أمد قريب جداً، وربما وجد منها شيء لا يذكر، والشوشة أصلها (شيشة) أي زجاجة، ومسلمو بغداد يقولون (شيشة)، ونصاراها يقولون (شوشة).

(١١) جمع مسبحة بمعنى سبحة.

وما بقي بالبلد سوى ديوان أفنديسي[1] سابقاً[2]، وضع[3] قايم مقام، وهو حمو رستم آغا، وعنده كم واحد من أوادم الباب[4]، وبما أن شيخ العگيلِ ناصر الشبلي ممسوك ومحبوس، وفي البصرة نسيبه شيخ مبارك شيخ العگيل، حالاً شرد[5] إلى الزبير[6]، ولبسوا[7] عوضه مخرج[8] بن دهام الذي أخوه عند شيخ حمود، ولهذه الأسباب، وفراغ البلد من الحكام لا زالت الناس يتحسبون[9] من الشر والفساد، والأسواق ليس مستأمنة.

(١) موظف في ذلك العهد (المكتوبجي) في الولاية، أو (مدير التحريرات) في اللواء.

(٢) السابق.

(٣) شبيه ومثيل.

(٤) الحكومة.

(٥) فر.

(٦) القصبة الشهيرة التي تبعد عن البصرة نحو عشرة كيلومترات.

(٧) ألبسوه، والعادة يومئذ أن يلبس الآمر خلعة لمن يوليه أحد المناصب، وتختلف الخلعة باختلاف المنصب.

(٨) لعله مفرج. (مشرف الخزانة)

(٩) يتوقعون مرتابين.

وفاة برغش بن حمود

وفي يوم ١٤ صفر سنة ١٢٢٨هـ وصل خبر من عند حمود من الواردين بأنه يوم الخميس ١٠ صفر مات برغش ابن حمود من عظم الصوابات التي أصابته[١]، وحالاً مضى راشد أخو حمود إلى سوق الشيوخ، وقتل عبدالله باشا وكهيته طاهر آغا وقبوجيلار كهيسي[٢]، ودفنوهم، وأما ناصر الشبلي اشترى دمه[٣] بخمسين ألف غرش عين، وجابوه من السوق[٤] إلى عند حمود، وبقي مقيد.

وحين وصل الخبر إلى أسعد باشا طلب روس المقتولين، فقيل إنه نبشوهم من قبورهم، وقطعوا روسهم، وأتوه بهم، لكي يرسلهم إلى بغداد، لأنه حين وصل خبر انكسار الأوضي[٥] صار ببغداد فتراً[٦]، وآغات[٧] الينيجرية حاصر بالقلعة، واختبطت البلد.

وأما عرب المنتفق لا زالوا يتجاسروا على اختلاس خيل وحوايج العسكر الضعيف،

---

(١) كل ألم أو جرح نشأ من طعنة أو سقطة.

(٢) والصحيح قبوجيلر كهياسي، وهم اسم موظف في ذلك العهد.

(٣) أعطى فدية عن نفسه.

(٤) اختصاراً لسوق الشيوخ.

(٥) غلط من أورضي المصحفة من أوردو.

(٦) أراد فترة (المتركة) بصورة فترت بمعنى الفتنة والثورة التي تكون في المدينة.

(٧) التاء زائدة، وأراد آغا، وزيدت التاء لتحسين الصوت على الأذن.

لأن العثمانلي لبّاس القاووق[1] حصل في بهدلة واحتقار لا يوصف من العرب، إلى أن ضاقت بهم، واشتكوا إلى أسعد باشا، وحالاً رحل من قرب حمود، وبعد عنه كنحو[2] ثلاثة[3] ساعات، وتنبه بالأوضى أن ينطروا دوابهم بالليل من الحرامية[4].

ومضى الشيخ حمود لمواجهة سعادته، وسؤال خاطره، فأمر له أن يعطى من البصرة ٣٠ ألف عين[5] نقدي، ودفتر تفاصيل[6] وشال[7] وشكر[8] وقهوة، يبلغ بمقدار ٣٠ ألف، وأتى بها بيرولدى إلى المتسلم في إعطاها، وكان وصول ذلك يوم الثلاثاء ١٥ صفر، وكان المتسلم قد توجه فوصل الأمر بيد القايم مقام، وجمع التجار، وأعطوه جواب عن النقدي ما يخصنا، بل يبقى إلى وقت حضور المتسلم.

وأما التفاصيل والشال وغيره نتوازعه[9]، وكل يقدم من عنده ما يحصل إلى أن يصير حاضر إلى وقت مجيء المتسلم، على أن يسلموه إلى السيد على ابن سيد حسين[10] وكيل حمود.

---

(١) من ملابيس الرأس كالفيس (الطربوش) منخفض عريض يلف عليه عمامة عرضها إصبعان أو ثلاث (راجع حاشية ص٧٩٣ من التاريخ العثماني لأحمد راسم).

(٢) الكاف زائدة.

(٣) الصواب ثلاث. (مشرف الخزانة)

(٤) اللصوص.

(٥) أراد الغرش بذاته، وليس غرش المعاملة، وقد قرأت في تقويم صاحب النبذة بتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٢٢٦هـ الموافق أواخر حزيران وأوائل تموز سنة ١٨١١م أن المتسلم نبه على أنه لا يجوز أن يصعد سعر الغرش بعينه أزيد من خمسين في المائة عن سعر غرش المعاملة.

(٦) جمع تفصيلة العامية، وهي الطاقة أو القطعة من النسيج التي لا تنقص عن أن تكون (قنبازاً) قباء، وما أشبه إذا فصلت.

(٧) نسيج من أفخر شعر المعزى يعمل في كشمير وغيرها.

(٨) سكر.

(٩) نتقاسمه.

(١٠) أظنه ابن عم السيد عبدالجليل ابن السيد يسين ابن السيد إبراهيم ابن السيد طه ابن السيد خليل الطبطبائي الحسني البصري، وقد وجدت قصيدة من نظمه بين أوراق آل عبود، وهي بخط أحدهم الأولين يهنئ بها المذكور السيد حسين ابن عمه السيد

وفي ١٦ صفر نهار الأربعاء ويوم الخميس دخل إلى البصرة جملة[١] عربان من المنتفق وغيرهم، واختلت البلد، بأن البعض منهم مضوا إلى السوق، وبلصوا[٢] الدكنجية[٣] بشيء يساوي ٥ رومي[٤] أعطوا ٣ رومي، ولذلك خافوا الناس، وسكّرت[٥] الأسواق، ويوم الجمعة ما عاد يوجد أحد بالدروب[٦]، وانتصبت القلقات في القهاوي والأسواق.

ففي يوم السبت ١٩ صفر وصل جوقدار[٧] راجعاً من عند المتسلم قبل وصوله إلى الأرضي[٨]، فوصل له كرك[٩] ثاني للمتسلمية[١٠] من قبل أسعد باشا، وحيث هو متوجه لمواجهته، سار بطريقه، وأرسل أحد جوقداريته بالمجدة للبصرة، وصار شنك[١١]

إسماعيل بزواج ابنه السيد علي بابنة عمه السيد حامد في رجب سنة ١٢١٤هـ (١٧٩٩م)، فعددته طباطبائياً لاتفاق علو مقام وكالة الشيخ حمود، واتفاق اسم السيد علي ابن السيد حسين باسم من هنئ والده بزواجه، والله أعلم، وآل طباطبائي بيت لا يزال معروفاً في البصرة.

(١) جماعة.

(٢) أخذوا من.

(٣) أراد دكانجية جمع دكانجي التركية العربية، وهو صاحب الدكان.

(٤) رب قارئ يظنه ذهباً كما ذكره أحمد راسم (راجع كتابه العثماني في حاشية ص٤١٧)، فإن الرومي يومئذ لم يكن في هذه البلاد إلا مرادفاً للغرش بعينه الذي سبق البحث عنه، وقد ثبت لنا هذا من تقويم صاحب النبذة ودفاتر حسابات بيته العائدة إلى لك العهد.

(٥) سدت.

(٦) الطرق.

(٧) كان الجوقدار في سابق العهد موظفاً بتقديم (القفطان) أو (الخفتان) (نوع من الأردية راجع حاشية ص٧٩٥ من التاريخ العثماني لأحمد راسم) للسلطان (راجع حاشية ص٢٦١ من الكتاب المذكور، وتجد زيه مصوراً في ص١٠٥٤ منه) ثم تحول معنى اللفظة بعدئذ إلى غير هذا المعنى، وكان اسماً لأحد موظفي الحكومة.

(٨) وجدنا أردو محرفة بصور مختلفة، وهذه منها.

(٩) أراد كورك التركية، وهو الفرو، وإلباس الخلع عادة جارية على ما مر بنا.

(١٠) وظيفة المتسلم.

(١١) أراد شنلك التركية، وهي المعالنة بالأفراح في أعياد الأمة، ويدخل فيها الإنارة ليلاً بالقناديل وغيرهما.

بالصراي[١]، واستقرت البلد نوعاً بوصول المجدة[٢].

ويوم ٢٤ صفر وصل الحاج عيسى زهير إلى البصرة، راجعاً من مواجهة أسعد باشا، وقد قبل الهدية منه، وأنعم عليه، وأمر بفرس جيدة مرختة[٣] أن تعطى له لأجل والده الحاج يوسف، مع بيورلدي بخصوص الگمرك أن يعطي ٣ في ال ١٠٠ حسبما كان يعطى في أيام عبدالله باشا، ومعه تواردت الأخبار عن عزل المتسلم، وقبطان باشا، وغالب الدائرة[٤].

وفي يوم الأحد ٢٧ صفر وصلوا الأعيان والمشايخ، ويوم الاثنين ٢٨ صفر دخل المتسلم سليمان بك فخري زاده، الذي هو موصلي الأصل، وكان دخوله بالآلاى، وقرأ فرمان متسلميته من أسعد باشا، وجعل معه رستم آغا متسلم البصرة سابقاً لكي يحاسبه، وحضر معه گمركجي نعمان آغا، وقبطان باشا عمر آغا سهر[٥] إبراهيم آغا.

واستقرت البلد، وأمنت الناس، وحالاً المتسلم طالع[٦] دلال على الحنطة، لا أحد يأخذها إلى برّات[٧] البلد، ولا من أهل البحر تنبيه صارم، لأنها كانت المن[٨] في ٧،

---

(١) السراي التركية، وأراد دار الحكومة أو دار الإمارة.

(٢) قصده مزده التركية الفارسية الأصل، وهي البشارة.

(٣) الرخت كلمة تركية فارسية الأصل، وهي هنا بمعنى سرج الفرس المحلى بالفضة والذهب، وقد اشتق منها العامة فعل رخت المشدد الخاء ومنه مرختة.

(٤) الموظفون، وربما جاءت بمعنى المقدمين منهم، واللفظة ما زالت معروفة في اصطلاحات الحكومة، وأظن أن أصل وضعها مشتق من اتخاذ الآمر مركزاً يحف به جماعة الموظفين بصورة دائرة من باب المجاز.

(٥) صهر.

(٦) أظهر.

(٧) خارج.

(٨) المن الحالي في البصرة ستون حقة آستانة، أي عبارة عن ٧٧ كيلوغراماً، وأظن أنه كان يومئذ ما هو الآن، وقد ثبت عندي من أوراق آل عبود أنه كان يقسم إلى أربع وعشرين أوقية أو أوجية كما هو جار إلى يومنا هذا.

والرز الجات[١] في ٨، والبصري[٢] في ٥، وإذا ما خرج من ذلك شيء إلى خارج البصرة يتناسب أثمانه من غير تنبيه.

ثم في أوايل شهر ربيع الأول رحل أسعد باشا، وسار معه شيخ المنتفگ حمود، ومعه مقدار ألفين خيال برفق الباشا، يوصل معه إلى بغداد، ويمر على العربان والعشاير الذين على طريقهم.

(وأما ما كان من الأمر الوارد من أسعد باشا بثلاثين ألف غرش كما تقدم القول، وكان رستم آغا توجه من البصرة، فقد ترك، وما سلموه إلى وكيل حمود، ولكن لزم[٣] للوزير ذخاير[٤]، واشتراها من آل سوق الشيوش[٥] بمبلغ ٣٠,٠٠٠ رومي، ثلاثين ألف عين.

وكان هناك بالودي[٦] حاج عيسى الزهير، فأمر الوزير في بيورلدي إلى حاج

---

(١) أظنه جنساً من الرز.

(٢) أظنه جنساً آخر من الرز.

(٣) اقتضى.

(٤) بمعناها التركي، وهي الحبوب أو المؤن.

(٥) ما هو إلا غلط قلم، والصحيح سوق الشيوخ، قصبة على الفرات، وهي اليوم مركز قضاء بهذا الاسم، وقد تصفحت كتاب رحلة (سيستيني) المسمى رحلة من القسطنطينية إلى البصرة عام ١٧٨١م (١١٩٦هـ) المترجم من الإيطالية إلى الفرنسية المطبوع في عام ٦ للجمهورية (١٧٩٧م -١٢١٣هـ) Voyage de Constantinople a Bassorah on ١٧٨١ par Scstini، فلم أقف فيه على ذكر سوق الشيوخ، بل قد بحث عن (العرجاء أو العرجة) (اليوم فوق الناصرية بنحو ثلاثة كيلومترات، قرية على ضفة الفرات بهذا الاسم، وكذلك كوت المعمر (اليوم قرية بين الناصرية وسوق الشيوخ على ضفة الفرات اليمني)، وغيرهما، ولم يأت بكلمة عن سوق الشيوخ، وهاك قول صاحب كتاب (وصف باشوية بغداد): Description du Pachalik de Bagdad تأليف M... المطبوع في باريس في مطبعة ساجو Sajou عام ١٨٠٩م: سوق الشيوخ قصبة، وليس فيها ما يذكر، بل سوق موسم يروج فيها بيع غلات أراضي الأعراب، وتنفق فيها محصولات صنائعهم. ثم ذكر كوت (كوت المعمر) أو (العرجاء) أو (العرجة) وقال أنهما قصبتان عامرتان، فاستدل من هذا التاريخ أن سوق الشيوخ لم تشيد إلا بعد ١٧٨١م (١١٩٦هـ)، والطاعنون في السن يروون عن الذين قبلهم أنها حديثة العهد، وفوق كل ذي علم عليم.

(٦) أراد: أردو.

يوسف بمبلغ ٢٠ ألف، وإلى ابن رزق[١] بألف ٦، وشيخ سالم ألف ٤، بأنهم يدفعوا ذلك، وبعده يحولهم على الگمرك في البصرة، والحاج عيسى تكفل إلى أصحاب الطلب بالمبلغ.

وفي أوائل شهر ربيع الأول انطلب ذلك المبلغ، وأما هم أي التجار المذكورين فرضوا[٢] منه على التجار الباقين من الإسلام، وخصصوا إلى اليهود مبلغ ألف ٥، وللخواجة جبرا ٧٠٠ رومي، وقبضوها إلى أهل سوق الشيوخ قيمة الذخاير، وبعده أيضاً انطلب من الباب[٣] دراهم، وأخذوا من التجار).

(١) قد جاء ذكر ابن رزق في ص٤٥ من كتاب (وصف باشوية بغداد)، ويقال قد انقرض الآن هذا البيت.

(٢) سنوا وأوجبوا عليهم.

(٣) الحكومة.

دخول الوالي وحمود إلى بغداد

وسار الوزير في طريقه، ومعه الشيخ حمود، ووصل إلى بغداد، وكان دخوله إلى بغداد نهار الأربعاء ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) بالفرح والسرور من آل[1] البلد جميعاً.

وقبل دخوله طلع لملاقاته السيد عليوي ينيجر آغاسي[2]، ولبسه وأمنه، وبعد دخوله أيضاً لبسه، ولبس درويش آغا القائمقام على وظيفته، لأن داود أفندي ما قبل أن يلبس كهيه، وابن الشاوي جاسم بك لبس باب عرب[3]، وتمكن بالشغل[4].

وأما من جهة حمود، فأقام برّات البلد، بعد دخول الوزير بأيام ٥، ودخل بإكرام من قبل الوزير، ونزل في حوش سليمان باشا، وصار له تعيين من الباب، ومعه أولاده عدد ٢ فيصل وطلال، وإخوانه منصور وعبدالله، وبراك ابن أخيهم[5]، وبعض الاتباع من أوادمه[6]، وبقية عسكره وزعوه على بيوت الآغاوات.

وأقام في بغداد، وهو بالصداقة والمودة مع أسعد باشا، وقيل إن الباشا يروح يزوره

---

(١) أهل.

(٢) تصحيف وتخفيف يكيجريلر (الكاف تلفظ نوناً) آغاسي، وهو كبير الإنكشارية.

(٣) وظيفة يرجع إليها الأعراب في ذلك العهد.

(٤) تمكن من إدارة الشؤون وتمهدت له.

(٥) أي كان مرافقي حمود من آل سعدون خمسة هم: ولداه فيصل وطلال، وأخواه منصور وعبدالله ابني ثامر، وابن أخيه براك بن عبدالمحسن بن ثامر، والمؤكد أن معه بقية من أبناء عمه من آل شبيب، وحاشية من المرافقين من المنتفق. (مشرف الخزانة)

(٦) رجاله، وهي جمع آدمي بمعنى الرجل جمعاً مكسراً عامياً.

في بعض الأيام، وحمود ما يخرج من البيت بما إنه كفيف.

واستقرت البلد، ولكن صار بها غلاء، حيث الحنطة صارت الوزنة[1] في[2] ١٤، والرز في ....[3] وهلم جرا بقية الأشياء.

(١) الوزنة كانت يومئذ أربع وعشرين حقة آستانة، أي عبارة عن نحو ثلاثين كيلوغراماً وثلاثة أرباع الكيلوغرام كما ثبت لي من أوراق آل عبود، وقد أيدته ص١١٧ من كتاب (وصف باشوية بغداد).

(٢) يلوح لي أن هذا العدد يدل على قرش رائج ببغداد، فقد قرأت في دفتر للشماس ميخائيل صاحب هذه النبذة بتاريخ رجب سنة ١٢٢٨هـ ورمضان سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) أن غرشين مع ثمن الغرش مع بارتين (والغرش هو ٤٠ بارة) من معاملة بغداد تساوي رومياً واحداً من النقود الحقيقية، وجاء أيضاً أن (الرومي) موشح بطغراء حميدية، فتكون ال ١٤ قرشاً تساوي تقريباً ٤٣ قرشاً صحيحاً من دراهمنا في هذا اليوم على حساب الليرة ١٠٨ قروش صحيحة.

(٣) فراغ في الأصل المنشور.

عودة لأحوال البصرة

وفي أواخر شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) حضر إلى البصرة السيد عليوي مقيداً مساق بأمر الباشا، وضعوه بالسراي محبوساً، وقيل أنه عليه أمر بقتله، ولكنهم مهلوه بالبصرة. إذ أن مستر ريچ Ritche باليوز الإنگليز صديقه، وبينهم صداقة كلية، ويؤملوا بخلاصه، وإذ قد حضر أمر بالعفو عنه، ولكنه بقي محبوس.

وفي ١١ جمادي الأولى سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) حضر عبدالرزاق آغا باش جاوش[١] الإنگليز من بغداد، ومعه بيورلدي من الباشا في إطلاق سيد عليوي من الحبس، وإنه يجلس في بيت الإنگليز، ويتعين له في الشهر ماية عين لمصروفه، وحالاً مضى عبدالرزاق آغا، وأخرجه من السراي، وأتى به إلى الفكترى[٢]، وأعطوه أوضتين[٣]، وقد قبله مستر كوهين[٤] بكل كرامة لائقة، وبعده في ١٨ جمادي الأولى توجه مركب مناريس[٥]، وأرسلوه صحبته إلى بوشهر[٦].

وأما ما كان من طرف سليمان بك متسلم البصرة، فإنه كما تقدم القول يوم وصوله نبه على الحنطة لا تخرج من البلد، وقد استقام التنبيه كم يوم قليلة، وراحت

(١) بمقام أول القواسين في عهدنا.

(٢) Factory الإنگليزية، وهو محل لوكلاء شركة تجارية تكون في بلاد الأجانب، وهي هنا محل شركة الهند الإنگليزية، كالقنصلية في هذا الوقت.

(٣) غرفتين.

(٤) Cohen.

(٥) اسم المركب.

(٦) أو بوشير: بلدة على خليج فارس.

إليه الناس، وتكلموا معه، وقبل الرشوة، وصاروا يشحنوا بتاتيل[1] إلى البحر، وصارت الحنطة قليلة، وثمنها من ٧ إلى ٨، والتمن كذلك غلا[2]، ورجعت المسألة كما كانت، والناس ما تستهاب[3] المتسلم، لأنه أفيونجي[4]، وكل ساعة عقله في رأي، نظير الجهال[5] العديمين المعرفة.

وعدا ذلك، صدر منه شفاعات[6] كلية، والدائرة غالبهم صاروا يشربوا عرق، وشراب وسكر، وهو دائماً مكيّف[7] من الأفيون، ويحكم حكومات[8] بغير استقامة.

وصارت الناس تنفر منه، والتجار كذلك غالبهم تخاربوا[9] معه، ومنهم الحاج يوسف الزهير، وطلع للزبير، وبقي هناك، ومستر كوهين باليوز الإنكليز كذلك احتصر[10] منه، وقيل إنه كتب في حقه، وقبله موسيو رايمند[11] باليوز فرنسا كان متزاعل[12] معه، واقتضى له التوجه لبغداد لسبب وفاة موسيو اندريا كورنسه[13]،

(١) جمع يتيل بفتح الباء وتشديد التاء المكسورة، هو سفينة شراعية من سفائن البحر على غير طرز البغلة ودونها حجماً تسفّر إلى الموانئ القريبة.

(٢) غلا سعره.

(٣) تهابه.

(٤) من التركية، وهو الذي يسكر بعصارة الخشخاش.

(٥) الأحداث.

(٦) محاميات وأظنها هنا، أهي التي على غير وجه الحق.

(٧) فرح ومسرور من الكيف وهو الفرح.

(٨) أحكام.

(٩) تقاطعوا.

(١٠) غم.

(١١) غلط، صحيحه ريموند وهوجان Jean Raymond (من مخطوط وهو تقويم الوقائع للآباء الكرمليين).

(١٢) مغتاظ.

(١٣) دو كورنسه De Coraneez قنصل فرنسا في بغداد (من مخطوط وهو تقويم الوقائع للآباء الكرمليين).

وتوجه من البصرة، وهو زعلان[1] من المتسلم، ولا عاد يوجد في البصرة أحد راضي منه.

وفي غرة جمادي الأولى وصل لبغداد تاتارية بمجدة الطواخ[2] إلى أسعد باشا، وصار شنك وفرح، وافى الخبر إلى البصرة في ١١ جمادى الأولى، وصار شنك.

---

(١) مغتاظ.

(٢) أراد توغ أو طوغ، قال أحمد راسم في الصحيفة ٢٠ و٢١ من كتابه ما ملخصه: التوغ علامة شبيهة بالشعر المنتشر، وهو شعر مصبوغ يتخذ من ذنب الفرس، كان يوضع في السابق على راية كبيرة في الممالك الشرقية في بلاد الترك والهند والصين، وكان يطلق عليها اسم (حاليش). ثم أبدل شكل (التوغ)، فكان يوضع في رأس عود بضع كرات شعر أبيض وأسود تجعل على شعر الفرس المنثور المصبوغ بالأحمر، وعلى هذا كله فلكة بشكل كرة من ذهب. ثم سميت أخيراً هذه (الحاليشات) (توغ)، فالتوغ الذي بعث به السلطان السلجوقي إلى عثمان الغازي كان من هذا النوع.
وبعد ذلك أعطيت (التوغات) في حكومتنا لأصحاب المناصب العالية على أن تكون علامة مميزة لهم، فكان يعطى أصحاب منصب أمير اللواء وبك السنجاق توغاً واحداً، ومير ميران بكلربكي توغين، والوزراء ثلاثة، والصدر الأعظم خمسة، وفي أثناء المحاربة كان يوجد مع ركب السلطان سبعة توغات. أه. وتجد رسم التوغ في حاشية ص٢٢ من الكتاب المذكور، وكذلك في معجم لاروس الحديث المصور في لفظة Though مع بحث عنه.

سطوة حمود الثامر

وبعد ذلك، في نصف جمادى الأولى نهار السبت، طلع الشيخ حمود من بغداد بعز وإكرام جزيل من الباشا، وقد نال من الباشا والدائرة أموال غزيرة لا تحصى ولا تعد، عدا حوايل التي صارت له على البصرة من إيرادها.

المراد. أن حمود بهذه المادة حصل على لكوك (ليس آلاف)[١]، لا يتصدق بها.[٢]

ولما كان الباشا في السوق عندهم أوهب إلى إخوة حمود غالب كويات[٣] البصرة، مثل حمدان[٤] ومهيگران[٥] والسراجه[٦] وغيرهم، بأن يكون إيرادهم لهم، وأما حمود حين رأى كل ذاك الإكرام والإيراد، عدا خزنة عبدالله باشا، بما أنه عاقل مدبر، رأى أن ما وهب إلى إخوته أولد له اسم كبير[٧]، وثانياً ليس له، بل لأخوته الذي يرغب أن لا يتقووا، ويصير لهم إيراد وافر.

فأخذ من إخوته الأوامر، وردّها على أسعد باشا بقوله: (أنا لا أرغب يصير

---

(١) لعل فيها مبالغة.

(٢) لا يصدّق بها.

(٣) جمع كوي التركية أي القرية.

(٤) نهر شهير من أنهر البصرة منشعب من شط العرب (راجع لغة العرب ٣: ٦٣).

(٥) كتبها بالكاف الفارسية، وتقال أيضاً بالجيم، وهو من أنهر البصرة الشهيرة ينشعب من شط العرب (راجع لغة العرب ٣: ٦٣).

(٦) أراد السراجي، وهو النهر الشهير من أنهر البصرة ينشعب من شط العرب (راجع لغة العرب ٣: ٦٣).

(٧) نبه ذكره.

لك خصارة[1]. أنت عليك مصاريف وعساكر، وهذا شيء لا يناسب أخذه منك، وثانياً حين وهبته ما كنت ولي الأمر، والآن أنا أرجعه عليك)، فقبل كلامه، وأخذ أوامره التي كان أعطاها، ويعلم الله كم من العطايا نال عوضها، وأدخلها لخزنته، وحرم أخوته منها.

وفي ٢٠ جمادى الأولى وصل إلى سوق الشيوخ، وهو بنفس وزير، وصاحب الأمر والتدبير، وقبل طلوعه عزل لمن أراد، ونصب لمن أراد، وبما أن سليمان بك متسلم البصرة من صدقانه، ما أراد عزله، وبقي في البصرة إلى أن في تاريخ غرة جمادي الأخرى سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) من زيادة ظلمه، صار من الحنطة في ٩ عين، مع أنه وقت موسمها، والرز الجات في ١٠، والبصري في ٧، وهلم جرا بقية الأشياء.

وأما من جهة حمود، فإنه من جملة الإكرام الذي حازه من الوزير، حصل على بلد حمدان[2] التي هي مالكانة[3] إلى أسعد بيك من أيام أبيه، ولها إيراد بالسنة ٢٠ ألف عين، فهذه قدمها إلى حمود صباحية[4] دخوله على بنت آل جشعم[5] التي تزوجها في بغداد، وبقية البلاد[6] التي على شط العرب منها كان ضابطها، هو وإخوانه من سابق، والباقي منها حصلت بيده.

المراد، جميع النخيل الذي على شط العرب، ويصير منه إيراد للباشا، حصل بيد حمود وبيد إخوته، وإن شاؤوا يسلموا ميرية، لأنهم مصرفين بالأمر، ويحكموا ولا يحكم عليهم، والصغير من عرب المنتفگ بالبصرة يتكلم بنفس عالي، لا يرد، ولا أحد يقدر

---

(١) خسارة.

(٢) حمدان قرية لا بلدة.

(٣) تركية فارسية الأصل، هو الملك العظيم من الأراضي والمزارع وما شبهها.

(٤) ما يهدى في اليوم التابع لليلة العرس، واليوم تستعمل عامة النصارى كلمة (صبحية).

(٥) هم من مشايخ عشائر العراق الشهيرين، ولا يسعنا البحث عنهم هنا.

(٦) أراد القرى.

يجاوبه.

الغلاء في البصرة

والمتسلم سليمان بك مقيماً بالبصرة بقوة حمود، والبلد آلت للخراب من كثرة الظلم، وعدم الالتفاتة[1] إلى معاش الفقرا، والجور من طرفه، ومن طرف الدائرة على كافة أرباب البضائع، لأن كافة لوازمهم[2] بلا قيمة، ويلتزم كل منهم أن يبيع بزايد حتى يطالع الفرق[3].

وحيث لا يوجد من يمانعه، اتصلوا على بيع وقية الباذنجان نصف وثمن، والقرع[4] والبامية المياية[5] التفاح نصف وثمن، وهلم جرا بقية الأشيا كافة، شيء لا يوصف، ولا يتصدق حصوله بالبصرة والجور على التجار في طلب القرض، لأن المبالغ الذي كانوا يطلبوها قطعوا منها جانب وافر من گمرك أموال بنكاله، والمتسلم مديون مسبوق، والهدايا منه متصلة للباب[6] وإلى حمود، ويكلف التجار إلى قرض.

والحاج يوسف طلع للزبير من شهر ربيع الثاني، وبقي في الزبير، والشيخ سالم

(١) حسن الالتفات والرفق.

(٢) الحاجات.

(٣) يأخذ العوض.

(٤) وقية بلفظ العوام بسكون الواو وكسر القاف وتشديد الياء، أو الوجية بالجيم عوضاً عن القاف، هي اليوم أيضاً عيار مستعمل هناك يزن حقتين ونصف من حقق الآستانة، أو نحو ثلاثة كيلوغرامات وخمس الكيلوغرام، ولا تزال معاملة هذا الوزن جارية في قسم من لواء المنتفق.

(٥) لا يزال أهل البصرة يتعاطون بيع الباميا وشرائها بالعدد.

(٦) الحكومة، والمراد هنا حكومة بغداد.

توجه للكويت، وبقية التجار متعادين أيضاً معه، وبقي في الميدان[1] الخواجا جبرا أصفر، كل كم يوم يطلبوا منه قرضة، وبالجهد حتى يخلص منهم، مع أن له عندهم قلم دراهم، ولولا نظر مستر كوهين باليوز الإنگليز عليه كانوا أخذوا منه كثير.

ومن بعد وصول الشيخ حمود لمكانه، توجهت له الهدية من سليمان بك المتسلم، وتوجهوا الأعيان جميعاً لمواجهته، حتى (بيبي[2] خدّوج[3]) بنت شيخ قاسم[4] بنفسها، ورجلها شيخ قاسم، ومن بعد توجههم بكم يوم جاء للبصرة عثمان الريريسي (كذا) الذي كان قبطان ماچوة لابس شيخ على العگيل، وقد انعزل ابن دهام، ووقف عثمان عوضه.

فكان إلى العرب علوفة[5] ٧ أشهر، بيرق[6] عدد ٢٥ في ٢٥ زلمة[7]، تبلغ علوفة ٧ أشهر، ٢١ ألف عين، ولسبب ضيقة الحاصلة عند الباب كانوا يوعدوهم من جمعة إلى جمعة، فقاموا بيوم ٢٠ جمادى الآخرة، وطلبوا حقهم، وأرادوا يعلموا فرد فذلكة[8]، وكان يومئذ الشيخ عبدالمحسن ابن رزق مجاورهم، تكلم مع كبرائهم، وراح للمتسلم توسطه بينهم على أنه بعد ٣ أيام يسلمهم، فمضى خمسة، ولم يكن منه شيء.

فتجمعوا بأسلحتهم نهار الخميس ٢٥ جمادى الآخرة، وتوجهوا إلى السراي مانعوهم، وتوجه شيخهم لعند المتسلم أوعده، فأتى ليقنعهم، ما أمكن، هجموا

(١) بقي في المسألة ١٢٠ مقدار وافٍ.

(٢) من الفارسية بي بي، وهنا بمعنى الخاتون، وربما أطلقت على الخاتون الموقرة بين أقرانها.

(٣) خدوج (بتشديد الدال) تصغير تحبيب لخديجة على الطريقة العامية القديمة.

(٤) قد جمح قلمه، فإن خدوج ابنة الشيخ درويش كما قالته وأيدته نبذته كما سيأتي.

(٥) بمعنى المعاش في عهدنا، وهو الراتب عند العرب.

(٦) العلم أو الراية.

(٧) رجل.

(٨) وسيلة دقيقة.

على السراي، وضربوا المتسلم أول بالصخر، وبعضهم هجم عليه ليقتله، فتحاوطوه الحاضرين، وفر بنفسه إلى الحرم، فضربوا بعض الأتباع، وأخذوا من أوضهم[١] بعض الشيء، وضربوا كم تفگ[٢] بالسراي، وفتحوا الحبس، أطلعوا من فيه من ربعهم الحرامية.

فحالاً لحق إلى السراي الشيخ عبدالمحسن رزق، ورجعهم، وأخذ كلام من المتسلم أن يتدارك لهم بعلايفهم[٣]، وحالاً المتسلم كتب إلى شيخ حمود وقوع الأمر، وتجاسر العسكر عليه، فأرسل له أحد أولاده يقيم في البصرة حتى لا يصير خلاف من أحد، لأن الهيبة والخوف صار إلى حكام العرب، وأما العثمانلي ما عاد أحد يخاف منه.

وبهذه الأيام توجهت عربان من المنتفق على قبيلة بني كعب، أي بني عامر[٤]، وداسوا أراضيهم، ونهبوا قيعانهم، وحرقوا بيوتهم، قصدهم ضبط القيعان، وحصل تعدي زائد على بني كعب، وراحت الشكوجية[٥] إلى حمود، وبعض من المشايخ، حتى إنهم ارتدوا عنهم بنوعٍ ما.

ولهذه الخربطات[٦] انربط[٧] درب الحويزة ودسبول وششتر وبهبهان[٨]، وما عاد طريق للقوافل التي دائماً تأتي، وتجيب أرزاق ومغل[٩] إلى البصرة، وتأخذ عوض ذلك

(١) جمع أوضة، وهي تصحيف أوطة التركية بمعنى الغرفة.

(٢) بندقية.

(٣) جمع علوفة.

(٤) هم الآن تحت رئاسة وحكم الشيخ خزعل خان.

(٥) جمع شكواجي التركية بمعنى المشتكي.

(٦) الاختلالات والتشويشات.

(٧) انقطع.

(٨) هي من أجزاء مملكة إيران.

(٩) أي غلات.

مال وسقوطات، حتى أن الذهب المسمى (اليلديز) كان ٥ ل[١]٦ عين نزل إلى سعر ٦، من سبب ارتباط الطريق، لأن بهذه الأيام يأتي من حويزة مغل من حنطة وشلب[٢] بمبالغ وافرة، وجميع قيمة ذلك يأخذوه ذهب يلدز إلى الشاه زاده الذي بالحويزة، والحنطة من قلتها تساوي رومي ٧ إلى ٧.

فنرجع إلى ما تقدم من توجه الأعيان، فإنهم قاموا مدةً إلى أن صار لهم رخصة من حمود بالمواجهة، ومنهم البيبي بنت الشيخ درويش، صار بينها وبينه كلام، وقامت من عنده مغبرة الخاطر، وحضرت للبصرة مع زوجها في ١٢ رجب سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣)، وبقية الأعيان بقيوا هناك إلى بعد كم يوم حضروا للبصرة، وقيل إن حمود مراده يأتي إلى نهر عمر.

وأما ما كان في بغداد، يوم الاثنين في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م)، دخل القابجي[٣] من المحروسة[٤]، ومعه الطواخ إلى سعادة أفندينا ولي النعم أسعد باشا، وصار بدخوله آلاي محتفل، وحصل الفرح والسرور، والقايم بمقام الكهية أرسل مكتوب للمتسلم مع ساعي بالبشارة في وصول الطواخ، لأن سعادته معتمد على عزل سليمان بك، وكانوا المتقدمين إلى طلب المتسلمية أربعة، أولهم إبراهيم آغا الذي كان حكم مرتين بالبصرة، وجار على الناس، وثانيهم رستم آغا الذي كان قبل سليمان بك، وثالثهم بكر آغا، ورابعهم مصطفى آغا ابن صاري محمد آغا.

وسبب عاقة[٥] إعطاء المتسلمية لأحدهم حتى تصل الهدية التي موعد بها سليمان

(١) رقم الخمسة يدل على عدد الدهنيمات، والدهنيم كلمة فارسية من ده أي عشرة، ونيم أي نصف، بمعنى من العشرة نصف، لأنهم قسموا ربع غرشهم المعروف يومئذ إلى عشرة أقسام، وأخذوا نصف قسم من هذه الأقسام العشرة، فكان ربع الغرش عشرين دهنيماً، وعليه كان غرشهم ٨٠ دهنيماً كما تحققته من دفاتر حسابات آل عبود.

(٢) هو الأرز قبل تقشيره.

(٣) أراد قبوجي التركية ومعناه البواب، وهو من أسماء موظفي ذلك العهد.

(٤) أراد القسطنطينية.

(٥) تأخير.

بك، وأما هو كان مؤخرها لأنه محتسب[١] إلى العزل.

وفي ٢٥ رجب نهار الجمعة، وصل للبصرة بيرقدار[٢] أسعد باشا ومعه صورة فرمان الدولة العلية، ودخل في هلاي[٣]، وتلي الفرمان باسم محمد سعيد باشا[٤] والي بغداد وبصرة وشهر زور، وبعده بيورلدى من سعادته بتقرير المتسلمية لسليمان بك، وبعده قروا فرمان من الدولة بخصوص انتصار محمد علي باشا والي مصر على الوهابي، وبعده بيورلدى بهذا الخصوص، وإنه يصير دعا للسلطان محمود خان، وصار شنك في الصراي.

ومن البلدة والمراكب رموا أطواب، وسليمان (بك) أمر على الشنك سبعة أيام الصبح والعصر، فيوم الخامس من الشنك نهار الثلثا ضج[٥] الخبر في البلد بأن سليمان بك معزول، ونصب غيره متسلم، ومقبل للبصرة، وحالما بلغ إليه الخبر أرسل أخرج الهدية من الماچوة، (لأن كان حملها ليرسلها مع الخزندار[٦])، وخفاها، ووزع غير أشياء من عنده.

وثاني يوم نهار الأربعاء في غرة شعبان، توجه كعادته إلى الگمرك، وفيما هو جالس وصل باش جوقدار متسلم الجديد، الذي هو مصطفى آغا ابن صاري محمد آغا، ودخل عليه للگمرك، ورفعه إلى الصراي، وقيل إنه صاح فيه[٧]، وأقامه بنفس

(١) متوقع بارتياب.

(٢) تركية فارسية الأصل بمعنى حامل الراية، وهو اسم لأحد موظفي ذلك الزمان.

(٣) غلط، تصحيف ألاي التركية.

(٤) يستدل من النبذة والتواريخ أن الحكومة كانت تسميه محمد سعيد، والعوام تسميه أسعد، وقد سمي أسعد في كتاب تاريخ الوهابيين His. des Wahabis تأليف L.A في ص١١٣، وهو مطبوع في باريس ١٨١٠م في مطبعة كرابله Crapelet.

(٥) شاع وذاع.

(٦) خازن المال وحافظه، والكلمة مركبة من العربية والفارسية ومستعملة عند الأتراك.

(٧) انتهره.

عالي، ووضعه في الخزنة، وعليه بيرقين[١] براطلية ينطروه، وحبس الخزندار، ومحرم بك، والجبه خانجي[٢] في قناق التفنگجي باشي بالحديد، وأظهر بيورلدى إلى سليمان أفندي الدفتر دار بأن يكون قايم مقام إلى حضور مصطفى آغا.

وفرحت الناس في ارتفاع سليمان بك الذي حرق قلوب الفقراء، وحالاً ثاني يوم الحنطة انوجدت بالسيف[٣]، (وتهاود)[٤] ثمنها إلى حد رومي ٥، وبعد كم يوم صار الأخبار تتوارد من الناس، بأن مصطفى آغا ظالم وجريء، وحاله أبلغ من سليمان بك، وازداد التواتر عنه. ثم ظهر خبر بأنه عزل، وأعطوا المتسلمية إلى رستم آغا، وانقطعت الأخبار عن بغداد مدة، إلى يوم ١٨ شعبان وصل ماچوة من بغداد، وأخبرت بهمة حضور مصطفى آغا، ويوم ٢١ شعبان نهار الثلثا وصل إلى المناوي[٥].

وثاني يوم الأربعاء صباحاً ٢٢ شعبان دخل للبلد والأعيان، والآلاي ما لحق عليه لأنه أسرع بالركوب، وجاء ودخل الصراي من باب الشرقي الذي عند باب المطبخ على العشار[٦]، ليس من باب الكبير حسب العادة، وطلع للديوان، واجتمعت الأعيان، وقرئ البيورلدي، وصار الشنك.

وثاني يوم، حالاً ابتدأ في تحصيل الطلب الذي عند سليمان بك، لأن باقي عليه قلم وافر للباب، عدا دين التجار على الگمرك، ومنهم (لهم) عليه خاصةً، وجميع

---

(١) قرأنا سابقاً أن (البيرق) جماعة من العسكر عددهم خمسة وعشرون.

(٢) أراد جبخانه چي التركية بمعنى الموظف بعدد الحرب ومهماتها، وهي من أسماء موظفي ذلك الزمان.

(٣) عرصة يحيط بها حيطان تنضد فيها الحبوب، وربما كان في جوانبها بعض الأنابير.

(٤) انحط.

(٥) هو من أنهر البصرة منشعب من شط العرب، جاء ذكره في لغة العرب ٣: ٦٣، فهل أصله مهناوي نسبة إلى مهنأ بحذف الهاء للتخفيف؟

(٦) نهر كبير منشعب من شط العرب، وعلى بعد مسافة من صدره قائمة على ضفتيه مدينة البصرة (راجع لغة العرب ٣: ٦٣).

الوهم[1] الذي كان ملتحق بالناس من جهته ما ظهر له أثر، ولا تفاضل[2] في شيء يضر البلد كلياً.

(١) الخوف والرعب.

(٢) لم يتدخل.

وباء في البصرة

وأما ما حدث بهذه الأيام على أهل البلد عموماً. أن العادة بالبصرة في أيام قص العثق (العذق) الذي هو في شهر أيلول وتشرين يصير أمراض حميات، وأما بهذه السنة ابتدت الحميات من شهر تموز، وتزايدت في شهر آب، ومع الحميات حدث نزول نقطة الذي يسموه ضمله[١]، كثيرين أنام في حال الحمى ينزل عليهم النزول، وسريعاً يموتون، حتى أن أناس من المسلمين، ومن جملتهم السيد شعبان أحد أعيان البلد مساء كان طيب[٢]، ما فيه مرض، وفي الليل نزل عليه النزول، وحالاً مات.

ومن المسيحيين توفى الخواجة يوسف أصفر، وكان مبدأ مرضه في ٢٤ تموز شرقي (١٨١٣م) حمى، وكان قبلاً بكم يوم يخرج دم، فمن عظم الحمى انقطع عنه الدم، يوم الخميس في ٣١ تموز (١٨١٣م) كنا عنده، ونتكلم معه، رأينا تغيرت أحواله، وصار جسمه ملطع[٣] مثل لون المعلاق، وتشخصت[٤] عيونه، ولا عاد ينظر ولا يسمع، حالاً أحضروا الحكيم، أعطاه روح يشمه، فما كان منه فائدة، واستكت سنونه[٥]، وسلم الروح، وكان وقت العصر، تغمده الله برحمته.

وعندنا بالكنيسة كان واحد ورتبيت، اسمه بدروس، ورتبيت كانسياني (كذا)

(١) من طاملة أو داملة التركية، وهي داء السكتة.

(٢) صحيح البدن.

(٣) مبقع.

(٤) أراد شخصت أي فتحت عيناه، وهما لا تطرفان.

(٥) ضمت بعضها إلى بعضها.

من بلد آقسقه[١] كان مرسل من قبل المجمع المقدس إلى كابول[٢]، وكابول في قرب كشمير، لأن بها جملة مسيحيين بغير راع، فأرسل هذا الأب الذي هو من أبناء المدرسة[٣] بوظيفة قاصد رسولي لتلك الأقطّار، وأقام هناك نحو ثمانية سنين من حين طلوعه من البصرة إلى حين رجوعه، وعمد بتلك الأطراف من كبار وصغار، ونساء ورجال....[٤] عدد ١٨٠٠ وينيف.

ودخل للبصرة متوخم[٥] من البحر، لأنه استقام ستة أشهر من بنكالة للبصرة بمركب عرب، وزاد فيه المرض، وهو نزيل عند البادرية[٦]، وتوفى في يوم ٢٠ تموز غربي (١٨١٣م) (أي في) ٨ تموز شرقي بوفاة صالحة.

وكان معه ولد نجيب فريد في كل معنى، أصحبه معه كل تلك المدة، ومرض في المركب، ودفنه على حافة الشط قبل وصوله للبصرة، وهذا الذي زاد مرضه، وأحزن قلبه، لأنه ابن شقيقته.

وكان عندنا خادم اسمه كيورك، أرمني من أسبهان[٧]، وكثير ولد خدوم[٨] عاقل، فقد توخم من رائحة المرحوم الورتبيت، ومرض ثمانية أيام، ويوم الثامن نهار السبت في ٢٦ تموز شرقي أصبح بنشاط، وفيما هو كذلك نزل عليه نقطة، وغاب عن

(١) يسميها الأتراك آخسخه وهي مدينة في بلاد الكرج، ضمتها روسيا إليها منذ ١٨٢٨م، ومن سكانها الأرمن، ويكتبونها بالفرنسية Akhaltzikhe أو Akhaltzikh.

(٢) كابل عاصمة الأفغان.

(٣) أراد مدرسة انتشار الإيمان في رومية.

(٤) فراغ في الأصل المنشور.

(٥) أن هواء البحر لم يوافق بدنه.

(٦) أراد جمع بادري، والكلمة إيطالية Padre بمعنى الأب أي الكاهن الراهب، والمراد هنا الآباء الكرمليون.

(٧) أصبهان.

(٨) كثير الخدمة وحسنها.

الوعي[1]، وحيث لا يوجد حكيم يفتهم، ولا هذا شيء يعرفوه أن يلزم في ذلك الوقت فصاده، فما التحق بشيء، وفي ظرف ساعة خرج الدم من خشمه[2]، وخرجت روحه من جسمه، وبقي دمه يجري إلى ثاني يوم لوقت دفنه، لأنه ولد دموي، وذو قوة ونشاط.

وفي شهر آب ازدادت الحميات، حتى ما بقي بيت خالٍ من مريض أو اثنين، ومات من الإسلام، كثيرين من جرى النزول، وكثيرين من جًرى قلة الحكماء، أو حكّمه الحكيم العجمي الذي يداوي بالبرودات[3]، وهذا شيء ضد هواء البصرة الذي يوافق فيه الحرورات[4]، لأن هواها رطب، واتصل ذلك إلى شهر أيلول.

وفي ١٥ منه حساب شرقي انتقلت إلى السعادة الأبدية ابنة الخواجا جبرايل أصفر، اسمها تروز، وكان لها من العمر أربعة سنين بمرض حمى متصلة من غير انقطاع.

وكان حضر للبصرة بيت من بغداد. الرجل اسمه بطرس خنبش خياط، وعنده امرأته، وثلاث بنات، وابنين صغار، وله ابن مستسلم[5] حضر معهم، فأولاً مرض الرجل خنبش المذكور، ومات ولده الصغير الذي يرضع، ومات ولد لابنته كان يرضع، وبعده في ١٩ أيلول شرقي توفت الامرأة، بقي منهم ابنته الكبيرة، وابنة صغيرة، وابن صغير بسن سبعة سنين، فالتزم البادري أن يفرقهم على الجماعة، كل واحدة في بيت، لأنهم حاصلين في حال الفقر الكلي، وانغلق البيت.

فالذي رأيناه من الغم والحصر[6]، وحالة الناس، وخاصة المسيحيين الذين هم

(١) غشي عليه.

(٢) أنفه.

(٣) المبردات.

(٤) نقيض المبردات.

(٥) متدين بالإسلام حديثاً.

(٦) الكآبة.

قليلين جداً، شيء يرعب القلب غماً وحزناً، ولا عاد حكاية ولا خبرية مفرحة، بل مكدرة، ومع هذه الأحوال كساد لا يوصف على كافة السلع، والقرش قليل، والأموال كثيرة، وكل شيء يؤخذ (كذا) من البصرة، بعد كم يوم ينزل ثمنه.

ونرجع لما كنا بصدده من طرف الحكم، فقد حكم مصطفى آغا في البصرة، بغير أن يتعدى على أحد، ولا قيل عنه ظلم أحداً.

اختلال الحكم في بغداد

وفي بغداد الحكم مختل، بسبب عدم وجود رأس، لأن الوزير أسعد باشا حدث السن، وإخوته لهم كلام، وقاسم بيك أخذ ميدان[١] كبير، وداود أفندي الذي هو مدبر، وصاحب رأى سديد، ما قبل أن يصير كهية بسبب كثرة الروس، ووجود قاسم بيك، وتخربط[٢] الطرقات بسببه، لأن له عداوة عظيمة من عرب آل جربة[٣]، وشيخهم فارس، ولسبب عداوتهم قطعوا طرقات الجزيرة، واتصلوا إلى طريق الموصل، وسلبوا كراوين وتاتارية، وحصل ضرر عظيم للتجار. ثم منهم في الشامية، وقطعوا الدرب، وكروان حلب التزم أن يجي على الخابور[٤] بسببهم.

فبهذه الأيام، الوزير أرسل إلى عبدالله آغا الذي كان سابقاً حكم في البصرة جملة سنين بأيام حكم سليمان باشا، وهو الشهير بالرأي السديد، والتدبير الرشيد، ذو العقل الفريد، ودعاه لكي يحضر لبغداد، لأنه مقيماً في بندر بوشهر من مدة ثمانية سنين، ومتجنب حكومة العثمانلي على ما جرى به بأيام علي باشا، (وسابقاً سليمان باشا الصغير، وبعده عبدالله باشا، دعوه للإمارة، وما رضي يجي).

فأولاً، إكراماً إلى أسعد باشا الذي هو ابن أبوه[٥] الشهير سليمان باشا، وثانياً صداقته مع حكام العجم والشاه تغيرت نوعاً، فعزم على الخروج من بوشهر، وحضر

---

(١) اتسعت سطوته.

(٢) اضطربت وتشوشت.

(٣) هم شمر الجزيرة.

(٤) نهر مشهور.

(٥) الصواب أبيه. (مشرف الخزانة)

غفلةً يوم الخميس في ١٧ ذي الحجة، وبات في المناوي عند قبطان باشا، وثاني يوم صباحاً قبل الشمس جاء للبصرة، ودخل السراي، وبقي إلى قبل صلاة الظهر، وكانت الماچوة حاضرة.

حملة على الخزاعل

حالاً ركب، وتوجه إلى سوق الشيوخ، حيث إن أفندينا ولي النعم أسعد باشا خرج في أوايل شهر ذي الحجة من بغداد، وتوجه على الخزاعل[1]، لأنهم كانوا عاصين، وغير قابلين الشيخ الذي لبسه عليهم، وكتب إلى الشيخ حمود أن يركب من مكانه مع عساكره، ويتقدم على الخزاعل.

والمذكور حسب طباعه وعوايده. إذا قال باكر[2] يركب، انجق[3] بعد شهر يتحرك[4].

فاستقام الوزير قريب الحلة مدة شهرين يقطع مراحل، وحمود رحل مرحلتين، ووافى الخبر للوزير بأن عبدالله حضر، وحصل (كذا) عند حمود، وإن حمود استقبل عبدالله آغا بالإكرام، وريضه[5] حتى يسافروا إلى مواجهة الوزير جملة، على أنه باكر وبعد باكر يرحل، مضت مدة مع أوايل شهر صفر.

الوزير لحظ[6] بأن حمود ما هو راغب المواجهة، وفي مدة قريب ثلاثة أشهر رحل مرحلتين، أردف إليه التحارير بأنه (ما عاد يلزم حضورك، ارجع إلى مكانك)، وأرسل

---

(١) من العشائر الكبيرة في الجهة الجنوبية العربية من ولاية بغداد.

(٢) غداً أو غداً صباحاً.

(٣) تركية، أي إذا قال باكراً يركب لا يركب إلا بعد...

(٤) يسافر.

(٥) أخّره.

(٦) لاحظ.

عبدالله آغا يحضر إلينا، وحالاً أحضر شيوخ الخزاعل، ولبس لهم شيخ من أرادوه، وعاد راجعاً إلى بغداد، فهذا ما كان من الوزير.

وأما ما كان من عبدالله آغا، فإنه فارق الشيخ، وجاء راجعاً إلى سوق الشيوخ، أقام كم[1] يوم يستنظر حرمه المقبل من بندر بوشهر، وكان الحرم متعوّق في الحضور للبصرة، وكان توجه الحرم من البصرة في ٢٦ صفر، والمشار إليه بهذا التاريخ ركب من سوق الشيوخ، وتوجه إلى بغداد لمواجهة الوزير الذي كان قريباً سيدخل إلى بغداد.

(١) بضعة.

قضية بيبي خدوج

ونرجع إلى ما يخص مصطفى آغا متسلم البصرة، فقد أقام بالحكومة من غير ظلم، ولا تعدى على أحد، وجميع الكلام الذي قيل عنه ما ظهر منه شيء.

وكان عند بيت الشيخ درويش باش أعيان البصرة[١]، والموجود الآن شيخ قاسم (زوج بيبي خدوج بنت شيخ درويش، وهي صاحبة الأمر والنهي)، واحد نزيل عندهم، اسمه ملا أحمد بن ملا عبّود، بغدادي محسوب عليهم[٢] من أيام أباه[٣]، فقد حصل منه تعدي على واحد، وذاك الإنسان محسوب على التفنگجي باشي.

واتصلت الحكاية للمتسلم، فأرسل في طلبه من بيت الشيخ، ما سلموه، أرسل ثاني مرة، كذلك ما سلموه، فقام بنفسه تبديل[٤] ومعه التفنگجي باشي وكافة أوادمه، وراح إلى بيت الشيخ هاجماً ليأخذ الولد، وذاك لما شاف الأمر دخل للحرم، وأوادم بيت الشيخ وقفوا لمقاومة المتسلم، وصارت ملاطشة[٥] بينهم، وطلع الشيخ قاسم، وتقاول[٦] مع المتسلم وتشاتموا، والمتسلم هجم على شيخ قاسم، وقامت أهل

(١) هو بيت لا يزال شهيراً بالبصرة معروفاً باسم آل باش أعيان.

(٢) منتسب إليهم.

(٣) الصواب أبيه. (مشرف الخزانة)

(٤) متنكراً.

(٥) ملاطمة.

(٦) تكلم كل منهم بكلام يجرح الآخر.

المشراق[١] جميعهم، فالشيخ أمر على المتسلم، ورفعه في مكان بالديوانية[٢].

واشتغلت الفتنة، وتكاثرت الناس على أوادم المتسلم، وصار الضرب بينهم، وانجرح جملة أناس من الطرفين، وواحد كردي كان جاي قريباً من بغداد، قد كان تفنگجي باشي عند باشة[٣] الكرد، تصوّب برصاص، وبعده مات، ومحمد آغا بن كنعان تفنگجي باشي البصرة طرمخوه[٤] من الضرب بالعصي، وبعض من الجوقدارية تجرحوا.

وكان إلى مصطفى آغا أخوين، الواحد حسين آغا، وهو خزينة داره، أمر بسحب أطواب، ومضى بهم على بيت الشيخ، وأخيراً لحقوا الأعيان، وتواسطوا المادة، وكفوا الناس، وسهلوا الطريق للمتسلم، حتى جاء للسراي، وكان ذلك يوم الأربعاء في ٢٦ كانون الثاني غربي (١٨١٤م) في ٤ صفر (١٢٢٩هـ).

وحالاً ركب ساعي من طرف بيت الشيخ، وأرسلوه للوزير، والمتسلم عمل عرض[٥]، وختم فيه الأعيان وغيرهم، وقصد تبرير نفسه، وكان لما وصل الخبر للوزير من الطرفين، وهو قرب الحلة، قبل أن يدخل إلى بغداد تخلق[٦] على المتسلم، ولا رضي بما فعل، لأن بنت الشيخ مقامها كبير، وخاطرها عزيز عنده، أولاً لأسمها الشهير بالشيخ درويش، والدولة الواسعة، والأملاك المتسعة في البصرة، ولكونها تصير بنت عمته لأن سليمان باشا كان خالها.

---

(١) المشراق قسم من مدينة البصرة لا يزال معروفاً بهذا الاسم، وفيه حتى الآن دور آل باش أعيان.

(٢) دار يقبل فيها الضيوف والزوار، وتطلق على الغرفة المختصة بقبولهم.

(٣) باشا.

(٤) يقال اليوم عند بعضهم في اللغة الدارجة بعد شرب اللبن الحامض: طرمخه اللبن، أي جعله ينعس فتطرمخ، فلعله أراد بقوله طرمخوه من الضرب بمعنى أفقدوه حواسه فصار كالناعس..

(٥) عرض حال.

(٦) غضب، عامية شامية.

فإكراما لخاطرها، حالاً أمر بعزل مصطفى آغا، وركب جوقدار من طرفه اسمه عبدالله آغا، حضر للبصرة يوم الجمعة في ٦ ربيع الأول سنة ١٢٢٩هـ (١٨١٤م)، ومعه مكاتيب إلى صالح أفندي خزنة كاتبي، الذي هو الناظر على الگمرك في البصرة حالاً، وأخبره سراً، وسلمه الأوامر، ومعه مكتوب للمتسلم ما فيه شيء من هذا الخصوص ليطمئن، ومضى من هناك إلى عند بنت الشيخ، دخل عندها، وسلمها مكتوب من الوزير، وبشرها بأن الأمر طبق مرامها، وحالاً أمرت له بثلاثة[١] جوار بخشيش.

وأما ما كان من المتسلم، فإنه تخوّس[٢] من مجي الجوقدار، ولا عنده أثر الخبر، فدعا صالح أفندي مستخبراً عن مكاتيب التي أتت إليه، فطيّب خاطره وأمّنه، وأنكر عليه الأمر، وقال له: (نروح إلى المناوي لعند قبطان باشا، ونشوف أيش عنده)، لأنه يخاف أن يخبره، فيعصي أو يشرد، وتصير فتنة.

فمضوا إلى المناوي، وكان قبطان باشا اسمه عبدي آغا، الذي كان آغات الاحتساب سابقاً، وصالح أفندي اغتنم فرصة، وأخبر قبطان باشا، ودبروا الأمر بأن يرجعوا جملة بالماچوة، وإن الباشا معزوم عند صالح أفندي.

فلما وصلوا إلى عند السراي، طلعوا كالعادة من قناق[٣] التفنگجي باشي، وعند الباب قالوا للمتسلم: (عليك أمر من أفندينا. أنت مرفوع)، وأمروا بمسكه، فمسكوه أوادم الباشا، وأما هو أجاب فرمان افندمزندر[٤]، وما خالف أبداً، حالاً أدخلوه في أوضة في قناق التفنگجي باشي، ووضعوا في رجليه الحديد، وصبوا فيه الرصاص[٥]،

---

(١) الصواب ثلاث. (مشرف الخزانة)

(٢) لعله تخوف.

(٣) قوناق التركية، وهنا بمعنى الدار الكبيرة، وقد تطلق على دار من يراد تعظيمه.

(٤) تلفظ كما كتبها، وأصلها فرمان أفندمز كدر التركية، ومعناها الأمر لولينا.

(٥) أي وصبوا في محل قفله رصاصاً مذوباً حتى لا يمكن فتحه بسهولة.

وعلى الباب عشرين تفنگجي ينطروا.

وطلع صالح أفندي جلس بالديوان، وأحضر جميع الأعيان، وقرأ عليهم بيورلدي ولي النعم في عزل مصطفى آغا، ووكالة صالح أفندي، وجملة أناس، بل أقول أغلب الناس تأسفوا على رفع مصطفى آغا، لأنه كما تقدم القول ما صار منه أذية إلى أحد، ويخافوا لئلا يتعوضوا بواحد ردي ظالم.

وأما ما كان من طرف الوزير، فإنه دخل إلى بغداد يوم الأحد ٢٣ من شهر صفر ١٢٢٩هـ (١٨١٤م)، وذاك اليوم ما لبس إبراهيم آغا متسلم على البصرة.

(وهذا إبراهيم آغا كان حكم في البصرة على فرمان[1] سليمان باشا الصغير، وظلم، وأبدع مظالم، أخيراً عزلوه، وحكم ثاني مرة في البصرة في أيام عبدالله باشا، وجار على الناس، وأخيراً الفقير والتاجر ما عاد فيه احتمال، وتقدمت عروضات[2] بحقه. ثم تعادى مع بنت الشيخ، وتوجهت إلى بغداد في سنة ١٢٢٧هـ (١٨١٢م)، وطلبت عزله، والباشا عزله، ونصب مكانه رستم آغا.

وكما تقدم في هذا التاريخ، وقت الذي انتصر أسعد باشا، وكان عند المنتفگ، لبس سليمان بك المقدم ذكره، وبعده صار مصطفى آغا، فيكون في مضية[3] ثلاثة سنين، خمسة متسلمين حكموا بالبصرة).

والمذكور حالاً لبس الكرك، أرسل باش جوقداره إلى البصرة يخبر بحكومته، وحرر إلى صالح أفندي أن يكون نائباً عنه إلى حين مجيئه، فوقع الغم على الفقراء بالبصرة، حيث إن في أيام مصطفى آغا صار بنوع ما رخص، فالحنطة البحرية الطيبة نزلت إلى سعر ٤ وغيرها في ٤، وقس على ذلك سائر الأشياء تهاودت عن أيام سليمان بك.

---

(١) أي على زمان.

(٢) جمع عرض بمعنى عرض حال عند العوام.

(٣) مدة.

وأما ما كان من طرف عبدالله آغا، فإنه وصل إلى بغداد يوم الأربعاء ٣ ربيع الأول ١٢٢٩هـ (١٨١٤م)، ونزل في قناقه، والناس إلا أقلهم فرحوا بقدومه، وحصل عندهم السرور على أنه حالاً يلبس كهية، ويعطي نظام البلد، ويدبر الأمور، ورابع يوم نهار السبت مضى لمواجهة الوزير، وما لبس، وما أحد عرف السبب.

بداية خروج داود على الوالي

وبعد كم يوم، أواسط شهر ربيع الأول، الوزير أسعد باشا رسم على داود أفندي الذي هو صهره زوج أخته بنت سليمان باشا، بأن ما يخرج من بيته، مع أن هذا الرجل أحسن ما يوجد بدائرته من الكاركلية، وكان بوظيفة دفتر دار أفندي، ومحبوب منه.

وكان بهذه الأيام صار طلب من الوزير إلى الشيخ حمود شيخ المنتفق، وحرك الركاب من شهر ربيع الأول، وفي شهر جمادى الأول حتى وصل بغداد، وواجه الوزير بكل كرامة، والقول إنه أعطاه المقاطعات عن هذه السنة أيضاً، أي عن سنة ١٢٢٩هـ.

وبهذه السنة توجه من قبل الدولة العثمانية وزير يسمى بابا باشا، رجل مدبر عاقل عالم بالأمور، فريد عصره في ملك آل عثمان، من إسلامبول، مخصوص بموجب خط شريف لنظام وترتيب كافة بلاد العثمانلي، ومشى بقوة من العساكر، وهو مصرف ومفوض في العزل والنصب، ولذلك جميع الدراباكية[١] الذين في طريق إسلامبول، منهم من قتلهم، ومنهم عزلهم، ومنهم من ثبتهم، وريّح[٢] تلك الأقطار من الحكام الجائرين على الرعاية، حتى انتهى إلى أورفه، وأعطى نظامها[٣] بقتل جملة من سخطها

(١) جمع در اباكي، وأراد دره بكي التركية، ومعناها بالحرف بك الوادي، ويراد به قديماً الحاكم على سكان إقطاعته أو كورته، ومن عادته الجور والظلم، وكان أغلب هؤلاء الحكام من الأشراف.

(٢) أراح.

(٣) أقام فيها الأمن والنظام.

(كذا) المتضربنين[1] (كذا).

وفي أوائل شهر جمادى الأخرى سنة ١٢٢٩هـ جانا خبر للبصرة. أنه وصل قريب الموصل، والقول عنه أنه قاصد عرب المنتفق الذي وصلت أخبارهم إلى الدولة في عظم دولتهم، وبهتهم[2] مال عبدالله باشا، ومن هنا ينتج بأن أسعد باشا استدعى حمود لأمر ما، والله أعلم.

تمت:

نشرها يعقوب نعمة الله سركيس

(١) ثم عرفت أنه يريد المتزربنين من زوربا أو زوربه التركية، ومعناها عاص متمرد، وما ضاهى ذلك.

(٢) ودهشهم.

ملحق ببحث نبذة من تاريخ بغداد والبصرة والمنتفق

بقلم: يعقوب سركيس

كتاب سعيد بك ابن الوالي سليمان باشا إلى المستر ريچ المقيم البريطاني في بغداد

رأينا فيما سبق تدخل المستر ريح بين عبدالله باشا وأسعد بك (هكذا كان يسمى على ألسنة الناس ثم كان باشا) لإصلاح ذات البين، فكان لإصلاح ذات البين.

وهناك أن أسعد بك لم يطمئن باله من الكهية طاهر آغا، فغادر بغداد ملتجئاً إلى حمود الثامر شيخ المنتفق في ديرته.

ومما يؤيد ما أورده صاحب النبذة بهذا الشأن كتاب البك الذي أرسل به إلى المستر ريچ (وهو محفوظ في خزانة المتحفة البريطانية كما في فهرستها للكتب التركية الص١٠٣ رقم ٢٦٣١٩).

وهو يعتذر إليه، مبيناً سبب مغادرته لبغداد كما سنراه، وقد رأينا أن عبدالله باشا وكهيته طاهر آغا قد قتلا. قتلهما راشد أخو حمود انتقاماً لموت برغش ابن حمود، هذا بتأثير الجروح التي أصابته في القتال.

وبأدناه نقله من لغته التركية إلى لغتنا:

(أيها الصديق. حضرة باليوز بك.

إن ما يظهر صداقتنا بعد الأداء الدائم بالدعوات إليه تعالى، بإخلاص القلب والفؤاد ببقاء قدركم ورفعتكم، وجعله إياكم مظهراً للتوفيق هو:

يرجى ألا يخفى عليكم أننا نمضي أوقاتنا جميعها بذكر مزاياكم الحميدة، لما بيننا من الحقوق القديمة والمودة الدائمة التي تربط بعضنا ببعض.

وإذا ما سئل عن أحوالنا، فإننا لله الحمد والمنة قدمنا سالمين إلى حمود الثامر شيخ المنتفق يوم الأربعاء، وهو اليوم الخامس من الشهر الحالي، وأقمنا عنده، وليس لدينا بعون الله ما يقلق بالنا إلا فكر بعدنا عن جنابكم، وإن شاء الله قريباً نتلاقى).

ولنأت إلى الكلام على صاحب الدولة عبدالله باشا:

(إن أماننا منتزع منه تماماً، فلا اعتماد لنا على كلامه، كما أن أماننا منتزع بنوع خاص منك كتخداه طاهر بك، لذلك رمينا نفسنا مضطرين عند الشيخ حمود الثامر، فلا يكون جناب سعادتكم مغبر الخاطر، لأن الأمر خوف على النفس، ولا يشبهه شيء آخر.

وقد بودر بتسطير هذا كتاب المودة بأمل أن تتلقى صداقتكم الأمر على هذا الوجه، وعند وصول كتابنا هذا إليكم، وتشرفه بكم، وعلمكم بما فيه، يرجى منكم ألا تبعدونا عن لوح الضمير المنير، مؤملين أن تذكروا مع الصادرين والواردين الخبر السار عن عافيتكم وسلامتكم.

٦ شعبان ١٢٢٧هـ (١٦ آب ١٢٢٨هـ)

خالص الود سعيد نجل المرحوم سليمان باشا

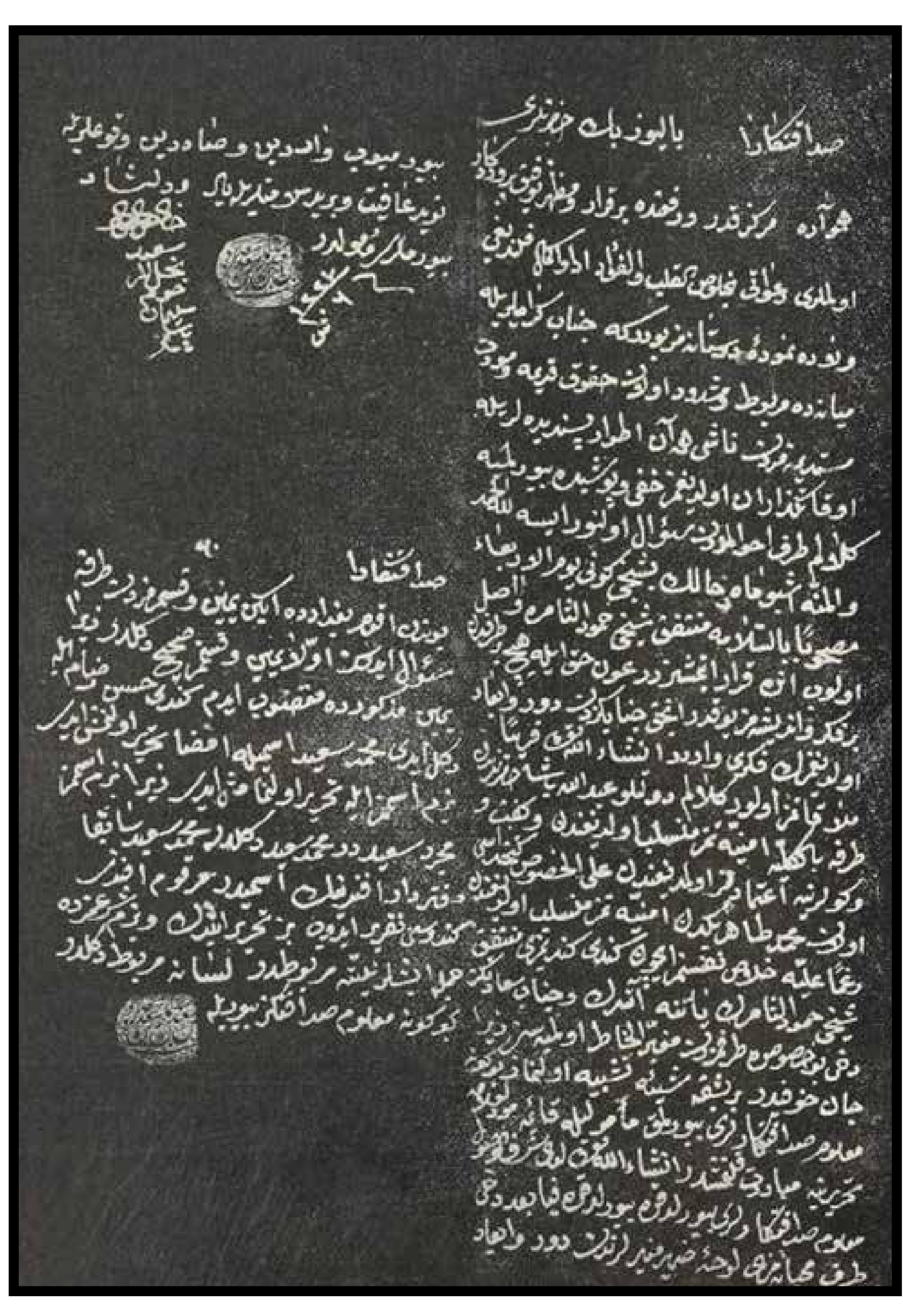
وإن سألتم عن يميننا يوم كنا في بغداد قبل هذا، فإن يمينا وقسمنا ليس بصحيح، لأني كنت مرغماً على الأداء، فلم يكن بحسن رضائي، والتوقيع الذي فيه هو محمد

سعيد، ولم نكتب اليمين باسمنا، وإن اسمنا هو سعيد مجرداً، وليس محمد سعيد، وما اسم محمد سعيد إلا اسم دفتر دار أفندي الدفتر دار السابق، وهو الذي قرر، ونحن كتبنا، وفي شرعنا الأعمال مربوطة بالنيات لا باللسان، ويرجى من صداقتكم أن تعلموا الأمر هكذا).

انتهى.

ويفهم من هذا الاعتذار أن القسم كان بواسطة المستر ريچ، أو أنه كان اطلع على خبره، وأن سعيد بك لم يعلمه بتصميمه على مبارحته بغداد.[1]

(١) يعقوب سركيس، مباحث عراقية، القسم الأول، ص٨.



رسالة سعيد إلى ريتش، وهي باللغة التركية

(٨)

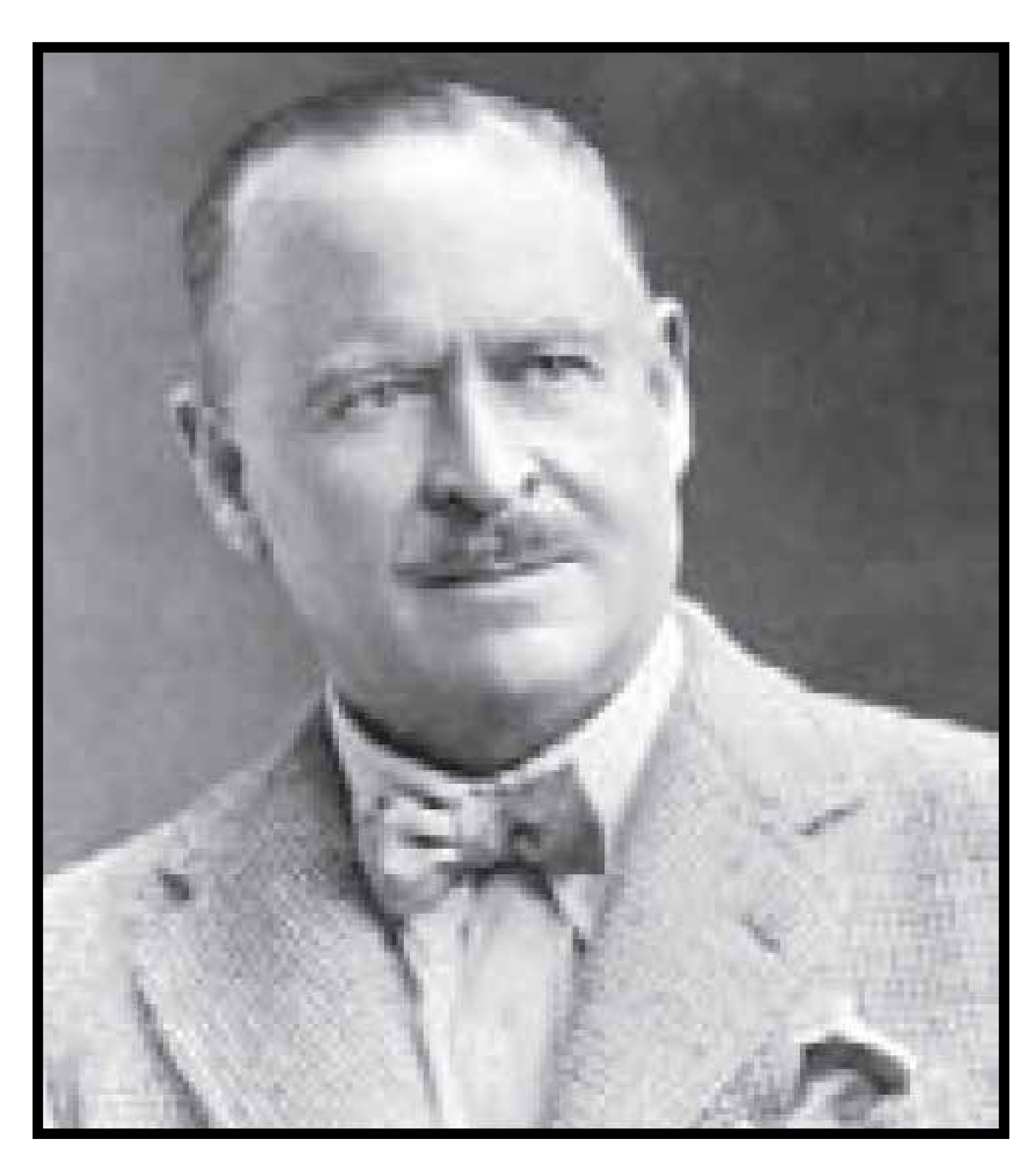
المنتفق في عرب الصحراء لديكسون

هذا جزء من كتاب (عرب الصحراء) للسياسي البريطاني هارولد ديكسون تحدث فيه عن المنتفق.

وهارولد ريتشارد باتريك ديكسون ولد في بيروت في ٤ فبراير ١٨٨١م، وتوفي في الكويت ودفن بها يوم ١٤ يونيو ١٩٥٩م.

ضابط عسكري وسياسي، ومؤرخ بريطاني، وخدم في سلاح الفرسان البريطاني حتى ١٩١٥م، حيث نقل إلى الإدارة السياسية، وعمل وكيلاً سياسياً في الناصرية والبحرين. ثم وكيلاً سياسياً في الكويت عام ١٩٢٩م حتى تقاعده عام ١٩٣٦م ليصبح ممثلاً محلياً أعلى لشركة نفط الكويت حتى وفاته.

وقد ألف كتابين هما (الكويت وجاراتها) و(عرب الصحراء) ذكر فيهما مشيخة المنتفق في العديد من المواضع.



هارولد ديكسون

وهذا نص ما كتبه:

إن التحالف القبلي المعروف باسم المنتفق[١] يمكن أن يقال بأنه يغطي شواطئ الفرات من الچبايش إلى الدراجي وشط امكة، حتى كوت الحي شمالاً، وصلة الوصل بين القبائل التي تسكن هذه المنطقة هي صلة واهية لا تزيد عن مجرد اعتراف الجميع بالسلطة المطلقة لآل السعدون، وقد هاجرت هذه العائلة التي تدعي النسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وترتبط بصلة القرابة من أشراف مكة. هاجرت من الحجاز إلى بلاد ما بين النهرين في أوائل القرن السادس عشر، ووفقاً للتراث المحلي فإن الحدود الشمالية للعراق في أواخر العصر العباسي كانت تخضع لمجموعتين كبيرتين من القبائل هما بنو مالك (وتلفظ في العامية المحلية بني مالتش) في الشامية تحت حكم ابن خصيفة[٢]، والأجود شمالاً حتى الغرّاف تحت حكم آل (وثال).

وكان اسم أول أجداد السعدون الذي أتى إلى المنطقة المذكورة هو شبيب، ويقال إن ابنه مانع تزوج من بنت من أسرة بني مالك الحاكمة، مما جعله يتورط في الخصومة الدائرة بين بني مالك والأجود، فدارت الدوائر على بني مالك الذين هزموا هزيمة ساحقة، وقتل منهم خلق كثير من بينهم مانع نفسه، ففروا إلى نجد، ومعهم ابن مانع شبيب الذي كان حفيداً لشيخ بني مالك، وبعد سنوات ثلاث من النفي حصلوا على دعم بعض عشائر عتيبة، وهي واحدة من أقوى قبائل أواسط الجزيرة العربية، وشعروا بأن لديهم من القوة ما يمكنهم من الثأر من أعدائهم.

وتروي الأساطير أن (شبيب بن مانع) جاء للتجسس على منازل الأجود الذين كانوا يخيمون حول آبار صفوان، وهي آبار مشهورة تقع على حدود الكويت حالياً، وفي طريق العودة دوّن شبيب مراحل رحلته، وعاد إلى نجد وهو يحمل تقريرا مفصلاً عن جميع أماكن الوقوف: (مورد عذب، فلاحة، قرب الماء)، وهكذا إلى أن أتم وصف

(١) تكتب الكلمة بالقاف لا بالكاف كما يفعل بعض الكتاب لأن الاسم مشتق من الاتفاق. وتلفظ منتفتش. (المؤلف)

(٢) من أراد التوسع في الاطلاع على أخبار عشيرة المنتفق وآل سعدون وعشائر العراق كافة فعليه بكتاب (عشائر العراق) للعلامة المحامي عباس العزاوي وكتابه الآخر المسمى (العراق بين احتلالين)، وسيجد ما يروي غليله. (مشرف الخزانة).

جميع الطريق، وقاد شبيب بني مالك إلى صفوان متسلحاً بالمعلومات التي حصل عليها، وتمكن من هزيمة الأجود، وإبادتهم تقريباً، ولم يترك سوى حفنة من الرجال وأربعين امرأة، وفي رواية أخرى أن الأربعين كنّ من الحوامل.

أما الباقون بغض النظر عن تكوينهم فقد لجأوا إلى أهوار الحويزة، وعادوا بعد فترة قصيرة إلى العراق حيث انضم إليهم البدور الذين يدعون التحدر من رولة عنزة، والشريفات وهي قبيلة أصلها من جنوب الجزيرة العربية (قحطان)، والجوارين الذين كانوا يسكنون بلاد ما بين النهرين منذ زمن بعيد.

واستطاع شبيب لقرابته من آل خصيفة وقدراته الحربية أن يتزعم بني مالك، فتقدم منه الأجود بعرض للسلام، فلم يشترط شبيب عليهم دفع الدية ثمناً لدم أبيه، بل إنه طلب الاعتراف به سيداً عليهم، وأن يقبلوا يديه لدى الاقتراب منه، وأن لا يطالبوه بالوقوف لتحيتهم، فوافقوا على ذلك بالحال، واعتبروا ذلك غاية في الكرم منه، واتحد بنو مالك والأجود تحت قيادة زعيم واحد، وقد أدى هذا التحالف القوي إلى جذب حليف ثالث هم بنو سعيد، وهي إحدى قبائل الجزيرة، وشكلت هذه القبائل الثلاث ما يعرف بتحالف المنتفق.

وهذه الفصائل الثلاثة ليست قبائل بل مجموعات قبلية، وكان بنو سعيد أصغرهم حجماً وأكثرهم تماسكاً، وكانت مواطن بني سعيد تقع في منطقة غير معروفة في الصحراء بين دجلة والغرّاف، ومع أنهم كانوا يملكون بعض الأراضي الزراعية في أطراف الأقنية الكبيرة فإن طريقة حياتهم أقرب إلى حياة البدو من العضوين الآخرين في التحالف، وكان تشكيلهم يحمل طابع العشائر التي تنتمي إلى قبيلة متجانسة لا وحدات مستقلة جمعها التحالف فقط.

أما الأجود فأقلهم تماسكاً، وتقع بلادهم على الغرّاف والفرات فوق الناصرية وتحتها، وهم لذلك أسهل من غيرهم منالاً، وهم من القبائل النهرية من نوع الشاوية أو الشواوي، وهم من نصف المتحضرين الذين يعملون في الزراعة ونصف البدو الذين

يملكون الأغنام، وهم يقضون أواخر الشتاء والربيع وأوائل الصيف في الصحراء مع أغنامهم تاركين بعضاً منهم في قرى من القصب على ضفاف الأنهار لزراعة الأرض، ولا يملك الأجود الإبل، ولكنهم يستخدمون الحمير للركوب، ووجود الأعداد الكبيرة من الحمير يعتبر إشارة مميزة لمخيمات الشاوية في الصحراء، كما أن وجود الإبل التي ترعى العشب يعتبر مؤشراً على القرب من مخيمات البدو، وينظر البدو الأصلاء إليهم باحتقار، ومع أن بعض الشاوية وبخاصة البدور من المقاتلين الشجعان، فإن البدو الأصلاء لا يمكن أن يتزوجوا من بناتهم أو يزوجوهم، ويطلق عليهم في الإنجليزية الاسم اللبق (بدو الحمير).[1]

ويبدو أن الأجود قد فقدوا تماماً الإحساس بالتحالف، فإذا سألت رجلاً من القبائل التي يتألفون منها أن يعرّف نفسه، فإنه سيعطي دوماً ودون استثناء اسم وحدته القبلية، ولكنه عندما يسأل بدقة أكبر، فإنه يعترف بأن قبيلته تشكل جزءاً من الأجود بالمقابلة مع بني سعيد أو بني مالك. أما فيما مضى عندما كان آل السعدون يسيطرون سيطرة أكبر على تحالف المنتفق من الآن، فإنهم عينوا عائلة المنّاع، وهم من سنّة الحجاز مثلهم كرؤساء تحت إمرتهم على الأجود، ولهذا السبب فإن القبيلة كانت تعرف باسم أجود المناع، والمناع والذي يقال بأنهم من العرب الشرفاء لا زالوا الزعماء الاسميين للأجود، فلو وجد رجل قدير من رجال العائلة فإنه سيكون قائدهم الطبيعي في الحرب، وكذلك في مجالس شيوخ الأجود، وكان يمكن لزامل المناع، الرئيس الحالي للعائلة. أن يتبوأ مكانة الصدارة بينهم، غير أنهم لا يملكون أية سلطة تنفيذية أو حتى تشريعية قبلية الآن. أما آل (وثال) والذين كانوا يحتلون مكانة القيادة سابقاً فقد فقدوا أهميتهم حالياً.

ومع أن بني مالك أقل تجانساً من بني سعيد، فإنهم أكثر ترابطاً من الأجود، وهم على الأغلب من المزارعين (فلح، حراثون، حضر) والمعدان وهم رجال الأهوار الذين يعيشون على صيد الأسماك وحياكة الحصر من القصب وتربية الجاموس، وكما أن زامل

---

(١) هذه العشائر عرب أقحاح صرحاء النسب، وبعد اختلاط البدو الأصلاء معهم في العقود الأخيرة تزوج بعضهم منهم وصاهروهم، ويتعاملون معهم باحترام تام، ولا يجب أن يكون الاختلاف المذهبي ونوع الحيوانات التي يملكها كل طرف سبباً في التفرقة بين العرب، واحتقار بعضهم لبعض. (المحقق سعود الجمران).

المناع هو الرئيس الاسمي للأجود فإن بدر الرميض هو رئيس بني مالك، ولكن آل المناع ليسوا من رجال القبائل العراقيين في حين أن الرميض هي العشيرة الرئيسية في قبيلة بني مالك القوية والبو صالح، والتي تقتصر سلطتهم الفعلية عليها، ولبني مالك عشائر أخرى قوية خارج تحالف المنتفق تستوطن الأجزاء الجنوبية من دجلة والحويزة، وهم يتحدرون من نفس الأصول التي يتحدر منها بنو مالك الفرات، وليس من المستبعد أن الجميع كانوا في وقت ما يشكلون جزءاً من كيان واحد، وهذا التمزق الذي يتلوه عادة عودة إلى التقارب هي العملية التي يخضع لها جميع أنواع التطور القبلي لدى العرب، ويوجد ضمن بني مالك تحالفان قويان كانا منذ القديم في حالة من الصراع الدائم هما بنو خيقان والمجرح[1]، ويحيط الشك بأصل هاتين القبيلتين، وليس هناك ما يثبت أنهما كانا فعلاً من بني مالك، والذي يمكن أن يبرر ما بينهما من عداوة دنيوية[2]، ويتجمع بنو خيقان اليوم تحت إمرة المغشغش، وهي عشيرة من أكبر قبائلهم الفرعية، ولكن الجراح منقسمة إلى مجموعات صغرى، وليس لها قيادة موحدة.

وتاريخ تحالف المنتفق يرتبط ارتباطاً لا ينفصم بالسعدون، واسم المنتفق ذاته كما يستخدم في العراق يشير فقط إلى العائلة الحاكمة وإلى عبيدها وأتباعها، والذين يعتبرون جزءاً لا يتجزأ منها، ولا يوجد أحد من رجال القبائل في العراق يدعو نفسه منتفقي مع أنه قد يستخدم الكلمة عندما يكون في مكة أو دمشق حيث لا تعرف قبيلته الصغيرة، في حين أن شهرة المنتفق على كل لسان في المجتمع العربي، ومكانة السعدون والتي تتمتع بأهمية سياسية كبرى في جنوب ما بين النهرين تعتمد بشكل رئيسي على أصولهم، وبشكل جزئي على الجهل التركي الرسمي أو تجاهلهم بعلاقتهم بالقبائل.

كما لا يجب أن يغرب عن البال أن السعدون يرتبطون بالنظام الاجتماعي للصحراء، ولم يخضعوا للتأثيرات المحلية التي خضعت لها قبائل العراق، والتي كانت مثلهم من المهاجرين من الجزيرة العربية والذين سبقوهم بالهجرة، وهم لذلك أكثر اتصالاً بتقاليد

(١) تصحيف من الترجمة، ولا نعرف هل المقصود هو (المجرة) أم لا. (مشرف الخزانة)

(٢) ويقال بأن أصل بني خيقان من الأجود وأن الجراح من بني سعيد. (المؤلف).

وعادات ما بين النهرين، وقد حافظ آل السعدون على السمات التي تميز بدو الجزيرة العربية، فهم من السنّة، ومن أهل البعير أي الإبل[1] وديرتهم هي منطقة الحماد غربي الحي أو جنوب الفرات حيث حفروا أو أعادوا حفر الآبار في منازلهم القبلية المعتادة، وإليها يعودون بعد هطول المطر المبكر، وحيث يتمتعون بسلطتهم كزعماء مستقلين للصحراء، وتختلف قبائل العراق الذين يعترفون بزعامتهم عليهم من كل ناحية عنهم، فهم من الشيعة والفلاحين المستقرين وغير المستقرين ورجال الأهوار ممن انفصمت صلاتهم بالبادية وأهلها منذ وقت بعيد، فهم وإن كانوا دونهم من حيث المكانة الاجتماعية، فإنهم يفوقونهم عدداً وقوة من حيث سيطرتهم الوراثية على الأرض التي يقيمون عليها.

واستمر تحالف المنتفق تحت إمرة السعدون حتى زمن مدحت باشا في ١٨٧١م مستقلاً تمام الاستقلال تقريباً عن الحكم التركي، ومنذ منتصف القرن السادس عشر وما بعد يبدو أنهم كانوا يدفعون الجزية للأتراك، وقد ورد ذكر هذه الجزية لأول مرة في عام ١٧٤٧م عندما ذكر مقيم البصرة بأن قبائل السعدون قد ثارت على الأتراك بسبب الضريبة المفروضة عليهم، وفي عام ١٧٦٩م ثاروا ثانية بقيادة شيخهم عبدالله بسبب متأخرات الجزية التي طالبت بها الحكومية التركية، وفي عام ١٧٧٦م ساعد المنتفق الأتراك في الدفاع عن البصرة ضد الفرس بقيادة كريم خان، ولكنهم هزموا وخضعوا للحكم الفارسي خلال سنوات الاحتلال الثلاث والتي انتهت عام ١٧٧٩م.

وفي مايو ١٧٨٧م دخل ثويني شيخ السعدون البصرة بقوة كبيرة، واستولى على المدينة وعلى الأسطول التركي، وأودع المتسلم في السجن، ولكنه طرد من البصرة على يدي الباشا التركي في بغداد في شهر أكتوبر ١٧٨٧م.

وفيما بين ١٧٩٧م و١٨٠٢م أصبح المنتفق يشكلون المعقل الرئيسي في البصرة ضد الوهابيين، وفي عام ١٧٩٨م اتحدوا مع القوات التركية في مهاجمة معاقل الوهابيين في الأحساء، وفي عام ١٨٠١م قاد الشيخ ثويني المذكور آنفاً حملة ضد عاصمة الوهابيين، ولكنه اغتيل غير بعيد من الكويت.

---

(١) أهل البعير من ذوي النجعة البعيدة هم أشراف البدو. (المترجم).

وفيما بين ١٨١٠م و١٨١٧م كان يبدو أن المنتفق قد أعلنوا التمرد على باشا بغداد، فجرد عبدالله باشا والى بغداد حملة ضد زعيم المنتفق حمود الثامر، ولكنه مني بالهزيمة على مشارف البصرة، ووقع في الأسر وأعدم. عندها اتسع نفوذ السعدون، وامتد سلطانهم حتى السماوة، وفي عام ١٨١٧م حاول والي بغداد داود باشا تحطيم القبيلة بتعيين زعيم للقبيلة معادٍ لحمود، غير أن المؤامرة باءت بالفشل، وبعد عزل داود باشا في عام ١٨٣١م استعاد ماجد ابن الشيخ حمود استقلال وسيادة السعدون السابقة، وفي عام ١٨٥٠م مزقت الخصومات والأحقاد المناطق الواقعة تحت نفوذ آل السعدون، ولعب فيه الأتراك دوراً ضئيلاً، واتفق أخيراً على تعيين فارس بن عجيل كبيراً لزعماء المنطقة.

ومنذ ذلك الحين اشتدت قبضة الأتراك على المتفق بتغيير مشايخهم وتحريضهم على بعضهم البعض، وكانوا يزيدون الجزية المفروضة عليهم مع كل تغيير في الزعامة، وفيما بين ١٨٥١م و١٨٥٣م ازداد مقدار الجزية الاسمية من ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٣١٠,٠٠٠ شامي، وبدأ نظام تضمين الأراضي الزراعية للشيوخ بواسطة المزاد العلني، وفي عام ١٨٦٣م حاول نامق باشا والي بغداد تحطيم سلطة السعدون القبلية بمصادرة أراضي المنتفق جنوبي القرنة، بالإضافة إلى أراضي الحي، وتحويل زعيم السعدون إلى قائمقام لا تتعدى سلطته منطقة سوق الشيوخ، وتعيين محاسبين من الأتراك لمشاركته الحكم.

فثار الشيخ منصور على هذه القيود، وحاول تنظيم ثورة عربية شاملة ضد الحكم التركي بحجة أن الأتراك كانوا يحاولون التدخل في شئون القبائل الداخلية، مما اضطر الوالي إلى التراجع عن سياسته الجديدة، ولكن المقيم في بغداد أوضح أن الأتراك كانوا يستطيعون فرض سياستهم الجديدة، والحصول على تأييد القبائل لو كانوا يملكون القوة والحزم، لأن القبائل كانت تقاسي الكثير من العسف والطغيان على أيدي زعمائها.

وفي عامي ١٨٦٤م و١٨٦٥م كان الزعيمان الرئيسيان للمنتفق الشيخ فهد والشيخ منصور لا يزالان في حالة من التمرد المقنع ضد الأتراك بسبب محاولتهم تحطيم النظام القبلي، والتجأ الشيخ منصور أخيراً إلى الظفير، في حين حصل أخوه الشيخ ناصر في

عام ١٨٦٦م على فترة جديدة من المشيخة لدفعه سعراً أعلى من السعر الذي دفعه أخوه، وكان يبدو أن الشيخ قد فاز بثقة والي بغداد، وأصبح خاضعاً لنفوذ مدحت باشا الذي جعله حوالي عام ١٨٧١م يتخلى عن الموقف الذي يتخذه الشيخ فهد والشيخ منصور، ويرحب بفرض النفوذ العثماني على قبائل المنتفق.

وكانت هذه الخطوة الأولى في طريق الانهيار، وأصبح ناصر باشا (وهو الذي أنشأ مدينة الناصرية) رغم ذيوع صيته خائناً للمنتفق، وحاول الأتراك الحصول على تسوية تركية دائمة للأرض، وتمكنوا من رشوة السعدون للقبول بالتغيير، وبتحويلهم إلى ملاك عاديين للأرض بدلاً من مكانتهم كزعماء يتلقون الجزية، وفقدت القبائل بذلك مكانتها كملاك للأرض، وأصبحوا مجرد مستأجرين لها، وأصبحت جميع أراضي الناصرية الصالحة للزراعة وكذلك أراضي سوق الشيوخ بموجب قانون الطابو الذي استصدر لأول مرة موزعة بين آل سعدون والباب العالي التركي.[1]

وفي عام ١٨٧٢م كلف الأتراك الشيخ ناصر بتوطيد حكمهم في مناطق الإحساء والقطيف التي استولوا عليها مؤخراً، وعينوه مكافأة على خدماته والياً لولاية البصرة التي استحدثت في عام ١٨٧٥م، غير أن ذلك جعله مرهوب الجانب لاجتماع الولاية ومشيخة المنتفق في شخصه، فنفوه إلى القسطنطينية حوالي سنة ١٨٧٧م.

وفي عام ١٨٨١م عندما كان الشيخ ناصر سجيناً في القسطنطينية، اندلعت الثورة بين جميع قبائل المنتفق ضد الحكم التركي بسبب الصدام بنيهم وبين القوات التركية المتمركزة في معسكر الناصرية الجديد من جانب، وبسبب محاولة الأتراك لتطبيق قانون تسوية الأراضي الجديد، وإجبار رجال القبائل على دفع أجر أراضيهم للحكومة التركية

---

(١) آل سعدون من عشيرة آل شبيب، أبناء سعدون بن محمد بن مانع بن شبيب. ونخوتهم في الحرب (منشا). وفي القرن الثامن الهجري وما قبله كان شيوخ المنتفق آل معروف حسبما ذكر القلقشندي في كتابه نهاية الأرب وغيره، وقبل بروز آل سعدون، كان ابن قشعم شيخ عربان العراق ونسبه من غزية من طي، وكان مقره بادية السماوة، وقد ذكر لوريمر في دليل الخليج طرفاً من أخبار آل قشعم، وذكر حروباً جرت بين مهنا بن قشعم ومطلق أبو ريشه شيخ الموالي وعربان الشام، وذكر من آل قشعم أبو طالب بن مهنا بن قشعم وصقر بن قشعم وناصر المشورب بن قشعم وثويني بن قشعم الذي اشتهر بالكرم، وكان لقبه (شيخ العرب). (المحقق سعود الجمران).

ولآل السعدون، ويبدو أن الأتراك لم يتمكنوا من إخضاع هذا التمرد تماماً، ولكنهم تغاضوا عن تحصيل ضرائب الأراضي الجديدة، وأعطوا فالح باشا الابن الأكبر للشيخ ناصر المنفي في القسطنطينية مزيداً من السلطات أخذ بعدها في السير إلى حد ما على خطوات والده في توطيد السلطة التركية بين القبائل.

وفي الوقت ذاته أصبح ولاء المنتفق موزعاً بين سعدون باشا ابن الشيخ منصور والذي كان ابن أخ ناصر وابن عم فالح الأكبر وبين فالح نفسه، وكان من الواضح في ذلك الحين أنهم كانوا يعتبرون فالحاً ممثلاً للعثمانيين، وسعدون نصيراً للمبادئ القبلية العريقة، وأصبح سعدون باشا بسبب عداوته للنفوذ التركي في ذلك الوقت صديقاً لشيخ الكويت، ووقف في وجه فالح بشكل رئيسي عن طريق النهب والغصب، وذاع صيته في البداية عندما غزا ابن الرشيد إرضاء لشيخ الكويت في عام ١٩٠٠م، فهدد ابن الرشيد بالانتقام من الكويت، وأعد حملة لمهاجمة الأراضي الكويتية، فواجهته قوات الشيخ مبارك وقوات سعدون باشا بالإضافة إلى بعض القوات التركية، مما اضطره أخيراً إلى الانسحاب، وهو يهدد بالثأر من سعدون باشا.

وشعر سعدون بأن الشيخ مبارك قد خذله في هذه المفاوضات، وأن العلاقة لن تعود بينه وبين الشيخ مبارك إلى ما كانت عليه ثانية، وفي عام ١٩٠٣م أحدث اضطراباً كبيرا بين المنتفق بممارسة الابتزاز على قبائل الجزيرة التي يفترض أنها كانت تدين بالولاء للشيخ فالح، فجردت الحكومة حملة ضده، فقضى عليها عن بكرة أبيها بما في ذلك قائد الحملة في الشطرة، ولكنه في عام ١٩٠٤م استعاد الحظوة لدى الحكام الأتراك.

وبين عامي ١٩٠٤م و١٩٠٨م كان ولاء قبائل المنتفق موزعاً بين أبناء العمومة سعدون باشا وفالح، وفي صيف عام ١٩٠٨م توفي فالح دون أن يترك وراءه خلفاً[١]، فأصبح سعدون شيخاً للقبيلة دون منازع، وفي عام ١٩٠٨م استغل سعدون الثورة،

---

(١) لعل المؤلف يقصد أن فالح لم يترك وراءه خليفة في المشيخة. أما الأولاد فقد خلف عدة أولاد منهم عبدالله بك الفالح وعبدالرزاق وعبدالعزيز وربما غيرهم، وعبدالله بيك الفالح اشتهر الشهرة الباهرة الفائقة حينما هجم بمسدسه على عبدالله الصانع وكيل عام وزارة الداخلية العراقية في مكتبه بالوزارة في بغداد وقتله بسب زواجه من ابنة عبدالمحسن باشا السعدون. (مشرف الخزانة).

وأصبح من أقوى المؤيدين لجمعية الاتحاد والترقي التركية، فنال بذلك رضى المسؤولين الأتراك في حين انطوت عائلة فالح في غياهب النسيان. غير أن تأييد سعدون لجمعية الاتحاد والترقي جلب عليه سخط السيد طالب والي البصرة الذي بدأ بمسايرة الجمعية في أول الأمر. ثم ما لبث أن انحاز إلى الحركة العربية المناوئة لها، وقد أدت ثقة سعدون باشا التامة بتأييد المسئولين في الحكومة التركية إلى تشجيعه على فرض سلطته على قبائل المنتفق بالنار والحديد، فأعدم عددا من صغار شيوخ القبائل[1]، وأخذ يتوسع في نشر نظام الابتزاز والتهديد الذي كان ينتهجه سابقاً.

وأخيراً في عام ١٩١٠م قرر ناظم باشا والي بغداد أن يمد سلطانه على جميع أراضي المنتفق من خلال سعدون الذي عينه عملياً متصرفاً للناصرية، وأيده دون تحفظ، ورفض الاستماع إلى أية شكوى ضده، فعم القبائل شعور بالسخط كان يغذيه أبناء فالح باشا.

فانتهزت القبائل في شهر مارس ١٩١١م فرصة هزيمته على يدي الظفير للتمرد ضده، فعمت الفوضى البلاد، وعينت في شهر يونيو عام ١٩١١م لجنة تركية للتحقيق في أسباب التمرد، وكان من الواضح أن السبب الرئيسي للاضطرابات كان محاولة سعدون باشا الذي كان ممثلاً للحكومة التركية لتطبيق سياسة الحكومة بنزع السلاح من أيدي رجال القبائل التي يتولى زعامتها مما جعله يفقد شعبيته تماماً، وتبين فيما بعد أن اللجنة قد عزت أسباب التمرد بين قبائل المنتفق إلى (أن أراضي القبائل الزراعية في أيدي حفنة من الشيوخ الأقوياء الذين يضطهدون رجال قبائلهم، ويوقعون التفرقة فيما بينهم، وأن العلاج الصحيح للأمر يكون بتقسيم الأرض تقسيماً عادلاً).

ويعتبر القرار مثال نادر على بعد نظر لجنة التحقيق التركية، وما من شك أنهم قد وضعوا أيديهم على أسباب التذمر الحقيقية، فقد كانت مشكلة الأراضي الزراعية هي السبب العميق لتمرد المتفق، وهي المشكلة التي كانت تشغل عقول الناس (من أيام الإمبراطور تايبيريوس جروشس إلى أيام اتحاد الأراضي الإيرلندي) منذ فجر التاريخ.

---

(١) وكان من أبرزهم خمسة من شيوخ البدور، والذين أعدمهم قريباً من باضه فوق مدينة الناصرية بطريقة غادرة. (المؤلف).

وقد حاول سعدون باشا مع ابنه عجمي أن يتحصن في منطقة الناصرية ضد القبائل الثائرة، ولكن الحكومة التركية لدى تكوين لجنة التحقيق تخلت عنه تماماً، وحجبت عنه جميع أشكال الدعم الرسمي، وسلكت سياسة مناقضة تماماً لسياستها السابقة بالسعي للدخول في علاقات مباشرة مع القبائل لتمهيد الطريق إلى نظام فردي كخطوة أخيرة في تحطيم النظام القبلي.

وكان السيد طالب نقيب أشراف البصرة، لم يعلن بعد صراحة عن معارضته لحزب الاتحاد والترقي، ولم يظهر تأييده لعائلة فالح ضد السعدون، فأرسلت الحكومة التركية تطالبه بالقبض على سعدون باشا، فاستطاع السيد طالب أن يوقعه في كمين على ظهر السفينة الحربية مارماريس قرب سوق الشيوخ، واقتاده أسيراً إلى البصرة، وسلمه إلى الوالي تاركاً عجمي وأبناء سعدون الآخرين طلقاء، ولم يغفر عجمي للسيد طالب غدره لأبيه أبداً، وانحاز انحيازاً تاماً لجمعية الاتحاد والترقي ضد الحزب العربي الذي كان يرأسه السيد طالب بالرغم من الطريقة الدنيئة التي عامل بها موظفو الحكومة التركية أباه.

وفي شهر يوليو عام ١٩١١م اقتيد سعدون باشا مخفوراً إلى بغداد. ثم نقل بعد ذلك إلى حلب في شهر أغسطس من نفس العام حيث مات فجأة في الخامس والعشرين من نوفمبر من نفس العام أيضاً، وعزا التقرير الرسمي موته إلى (السكتة الدماغية وقصور القلب)، غير أن الاعتقاد الشائع كان أنه مات بالسم، وبقي عجمي طليقاً في ضواحي الناصرية باعتباره خارجاً على القانون.

وخلال المدة التي تم القبض فيها على سعدون باشا وموته تحولت جميع مشاعر قبيلة المنتفق في صالحه (حتى مشاعر أعدائه من عائلة فالح)، ربما لأنه لم يعد حينئذ ممثلاً للحكومة التركية، بل أصبح مغضوباً عليه منها.

وبعد موت سعدون باشا أصبحت أراضي المنتفق تدار من شهر يناير إلى شهر نوفمبر عام ١٩١٢م من متصرف عسكري تركي هو فريد بك، والذي هو من كبار مؤيدي جمعية الاتحاد والترقي، وكانت لذلك تربطه بعجمي علاقة من المودة والصداقة،

لأن الأخير كان يؤيد الجمعية بسبب حقده على السيد طالب الذي غدر بوالده، والذي كان يظهر معارضته لجمعية الاتحاد والترقي أكثر وأكثر، كما كان يتآمر مع أولاد عم عجمي، من أفراد عائلة فالح، ومزيد بك وعبدالله بك وغيرهم.

وفي شهر أكتوبر من عام ١٩١٢م عندما كانت الحركة المعارضة لجمعية الاتحاد والترقي مهددة في القسطنطينية أرسل أحد أقارب عجمي برقية يقول فيها بأن عجمي كان مستعدا للزحف على القسطنطينية لإحباط أية محاولة للتمرد، وفي الشهر ذاته هاجم عجمي ابن عمه مزيد بك، (وربما يكون ذلك قد تم بالتآمر مع المتصرف فريد باشا)، وأخذ منه مقداراً كبيراً من المال، مما أوقعه بعد ذلك في خلاف كبير مع [ابن] أخي مزيد عبدالله بك.

وفي شهر نوفمبر ١٩١٢م تمت الإطاحة مؤقتاً بجمعية الاتحاد والترقي، وعلا شأن السيد طالب في البصرة، وأصبح يحظى برضى الوالي كامل باشا، وأعلن عجمي بعدها طريداً للعدالة بسبب اعتدائه على مزيد، وأصبحت عائلة فالح تحظى برضى السلطات الحاكمة بعد عزل فريد باشا الذي كان من أنصار جمعية الاتحاد والترقي من منصبه في الناصرية، وقد أظهر عجمي امتعاضه من هذه الأحداث بالتهديد بالهجوم على البصرة في شهر نوفمبر عام ١٩١٢م، مما سبب حالة ذعر في المدينة، والتي وضعها السيد طالب في حالة تأهب، غير أن عجمي ما لبث أن تخلى عن عزمه بالهجوم.

وفي شهر يناير عام ١٩١٣م عادت جمعية الاتحاد والترقي إلى السلطة بانقلاب لقي فيه ناظم باشا مصرعه، كما تمت تنحية كامل من منصبه كوال لبغداد، وعاد أنصار الجمعية إلى مناصبهم في البصرة حالاً، ووجد عجمي نفسه مرة أخرى يقف في صف المسؤولين الأتراك في حين كان السيد طالب يقف في الصف المعادي.

وفي شهر يونيو عام ١٩١٣م هدد السيد طالب في البصرة بإعلان التمرد على الحكم التركي، فوضعت حكومة جمعية الاتحاد والترقي خطة يتم إرسال فريد باشا صديق عجمي القديم بموجبها من بغداد ليصبح قائداً عسكرياً للبصرة، ويأسر أو يقتل السيد

طالب إن استطاع، في حين يساعده عجمي مع رجال قبيلته من الصحراء في الاستيلاء على البصرة، وأصبح عجمي بعدها طليق اليدين بعد أن تمكن المسؤولون في السماوة من عقد صلح هش بينه وبين قبيلة الظفير، وقام عجمي عندها بالزحف برجاله نحو البصرة، وأصبح الناس يتوقعون اغتيال السيد طالب بين لحظة وأخرى، ولكن السيد طالب بدأ بتوجيه الضربة الأولى، واستطاع رجاله قتل فريد باشا في وضح النهار في العشار، فاضطر عجمي عندها للتراجع، واشتكى كما يقال فيما بعد بأنه لم يجد الدعم المناسب من الأتراك.

وخلال عام ١٩١٣م كله ظلت بلاد المنتفق في حالة من الفوضى، وأصبح عجمي الآن على ما يبدو الشيخ الرسمي للمنتفق، غير أنه لم يستطع السيطرة على القبائل، وتعاون مع ابن الرشيد على الظفير.

وفي شهر أبريل عام ١٩١٤م زار الوالي سوق الشيوخ، وقابل عجمي، ويبدو أنهما دبرا مؤامرة معاً للقضاء على السيد طالب الذي كان يزداد قوة ومنعة في معقله في البصرة، وفي شهر مايو عام ١٩١٤م بدأ مؤيدو عجمي بالتسلل إلى البصرة خلسة، وأصبح السيد طالب مهدداً مرة أخرى بالاغتيال، غير أن موقفه الحازم اضطر الوالي إلى إبعاد مؤيدي عجمي من المدينة، ولكن عجمي ظل يتربص به غير بعيد عن الزبير إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى في شهر نوفمبر عام ١٩١٤م.[1]

وظلت القبائل حاقدة، ولم تصالحهم نفوسهم مطلقاً على الرضى بما نزل بهم من الذل بتحويلهم من ملاك للأرض إلى مجرد مستأجرين، كما أن السعدون لم يتمكنوا من نيل الحقوق التي منحتهم إياها السلطات التركية بالكامل. ثم إن الوهن بدأ يعتري السلطة المركزية بدءاً من عام ١٩٠٨م بحلول العهد الدستوري، وتلا ذلك الانهيار العام الذي لحق بالإدارة المركزية عقب الحرب الإيطالية وحرب البلقان، واتضح لآل السعدون

(١) قصة هذا الصراع ذكرها بتفصيل واسع المحامي سليمان فيضي في كتابه المسمى (في غمرة النضال)، وكان هو مشتركا في هذه الأحداث من حزب طالب النقيب، وتحدث كثيراً عن أخبار طالب حتى وفاته. ويمكن الرجوع إلى ذلك الكتاب لمن أراد مراجعة هذا الموضوع. (مشرف الخزانة).

هشاشة الاتفاق الذي تخلوا بموجبه عن امتيازاتهم القبلية القديمة طمعاً بالحصول على ملكية الأرض، وقبل الاحتلال البريطاني للعراق بعدة سنوات كانت القبائل ترفض دفع أجرة الأرض، وكان موقفهم هو الرفض التام لقبول حالة الذل والخنوع التي فرضت عليهم، وفي الوقت ذاته كانت هيبة زعماء السعدون، بالإضافة إلى دعوة الجهاد التي لا تفتر، والتي كان ينادي بها السادة الموالون للأتراك، والإغراء الكبير بالحصول على مكاسب الحرب الآنية، سواء أخذت شكل الغنائم أو عطايا الحكومة التركية، من الأسباب التي جعلت تحالف المنتفق ينحاز ضدنا[١] في عام ١٩١٤م.

وبدأت عملية التهدئة باحتلال الناصرية وسوق الشيوخ في شهر يوليو عام ١٩١٥م، وبالرغم من قرب التأثيرات المعادية فقد أمكن تحقيق تقدم ملموس، غير أن التسوية النهائية لمشكلات المنتفق لا يمكن أن تتحقق ما لم يتم تسوية المصالح المتضاربة لآل السعدون ورجال القبائل في الأرض الزراعية.

وأثناء ثورة ١٩٢٠ -١٩٢١م ضد الإنجليز كان مما يشرف المنتفق أن ظلوا على الحياد، ولدى تسلم الحكومة الوطنية للحكم في ظل الملك فيصل الأول، كان المنتفق في أول الأمر من الموالين للحكومة. إذ كان آل السعدون ورجال القبائل في آن واحد يطمعون في أن تكون الحكومة في صفهم، ولكن آل السعدون تبينوا فيما بعد أن الحكومة قد تحولت ضدهم، فلم يخفوا شعورهم بالامتعاض من انتقال السلطة من أيدي الحكومة البريطانية إلى أيد عربية.

والمنتفق اليوم في ظل الحكومة العربية يلتزمون الهدوء (رغم أنهم قاموا بتمرد فاشل في سوق الشيوخ عام ١٩٣٥م) بخاصة، لأن الحكومة أفصحت عن نواياها بالسير على خطى الحكومة التركية في الماضي، أي دعم رجال القبائل ضد آل السعدون شيوخهم الوراثيين، ولا ندري ما إذا كانوا سينجحون على المدى الطويل أم لا.[٢]

---

(١) أي ضد الإنجليز (المترجم).

(٢) في عام ١٨١٨م الموافق ١٢٣٣هـ سقطت الدرعية بيد إبراهيم باشا المصري بعد حرب ضروس، وتشتت أهلها في كل مكان، ومنهم الشيخ محمد بن حمد البسام التميمي النجدي، حيث ذهب إلى بغداد، وهناك قابل قنصل بريطانيا العظمى المستر كلوديس

(٩)

السعدون في كتاب الأعلام للزركلي

جيمز ريتش (ريك).

وكان لسقوط الدرعية دوياً هائلاً في جميع الأنحاء، مما أثار اهتمام ساسة العالم، وخاصة ساسة بريطانيا التي يهمها الأمر أكثر من غيرها، فطلب المستر ريتش من الشيخ ابن البسام أن يكتب له نبذة تاريخية عن حكام وقبائل الجزيرة العربية وعدد مقاتليها بصفة خاصة، على أن يقوم القنصل بشرائها من الشيخ، فلبى الشيخ طلبه، وكتب كتاباً أسماه (الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر)، وتحصل عليه القنصل، وضمه إلى مجموعة ضخمة من المخطوطات، حيث أهداها عام ١٨٢٥م إلى المتحف البريطاني في لندن، وقد قمت بتحقيق ونشر مخطوطة الدرر المفاخر هذه عام ١٩٨١ لأهميتها الكبرى وفائدتها المحققة.

وقد تحدث فيها الشيخ البسام عن قبيلة المنتفق وآل سعدون في صفحة ١٢٨ بما يلي: (أما العراق من البصرة إلى عانة طولا، فمن بواديه المعروفون: المنتفق الذين شيخهم الآن حمود الثامر على الإطلاق، وهم قبائل متعددة، فمنهم: الشبيب زبدتهم وفي المهمات نجدتهم، ذي الأنفس الأبية، والشيم العربية، الكمات المشهورون، والحمات المذكورون، باعهم في المجد طويل، وطباعهم إلى طلب الحمد تميل، هباتهم متواصلة، وأكفهم لنيل ما رامته من المحامد واصلة، يكرمون النزيل ولا ملل، ويطفئون الغليل مما اشتعل، بأياد تحكي الغوادي وسوادي منن تغيث الصوادي، شادوا المكارم وأبادوا المحارم (المحرمات)، يقتدى بهم في الفضائل ويهتدى بأواخرهم كالأوايل، بل سنوا مكارم الأخلاق، بنوا للحرب أرفع رواق.

والشبيب هؤلاء المذكورون أربع فرق كلهم مشهورون، وهم: آل محمد الذين منهم الشيخ، والصقر، والراشد، والمغامس، وهذه الأربع الفرق ألفين خيال وثلاثة آلاف سقماني. وأتباعهم من القرى المتعلقة بهم كثير، منهم: بنو منصور وبنو خيقان وأهل الجزاير قيمة ثمانية آلاف. ومنهم: وهم المنتفق بنو مالك خيلهم ألف وخمسمائة وسقمانهم خمسة آلاف، وجملة أموالهم البقر والغنم ولم يكن لهم إبلا. ومنهم وهم المنتفق الأجود عدد خيلهم ألفين خيال وأربعة آلاف سقماني ذات بقر وغنم أموالهم، ومنهم: بنو سعيد عدد خيلهم ألف وسقمانهم ألفين هؤلاء المذكورين كلهم اسم المنتفق. انتهى.

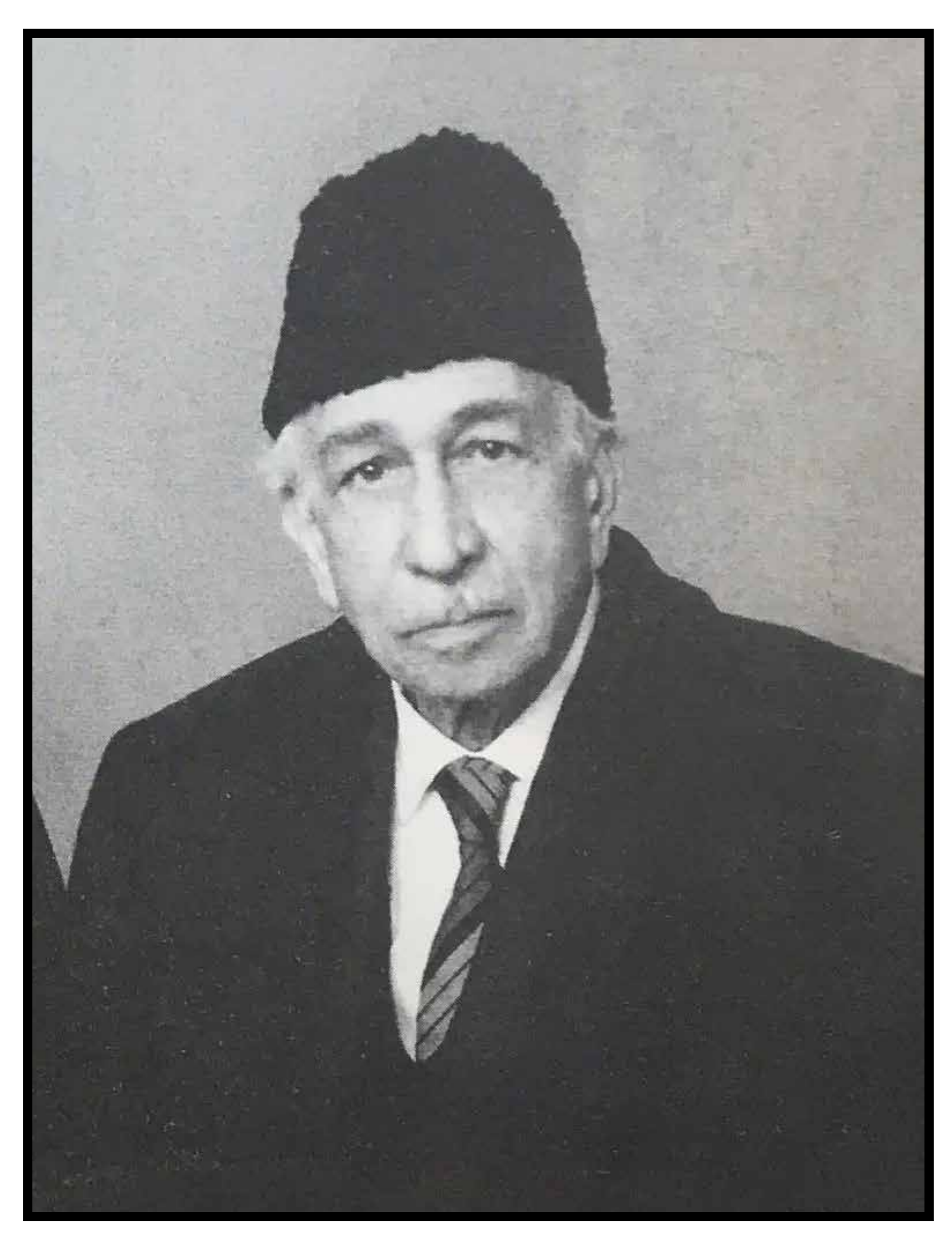
وقال القلقشندي في نهاية الأرب: (بنو المنتفق ويقال فيهم بالمنتفق، بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية، اشتهروا باسم أبيهم فقيل لهم المنتفق، وهم بنو المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، منهم توبة بن الحمير، قال بن سعيد: ومنازل المنتفق الآجام والقصب التي بين البصرة والكوفة من العراق. وقال: الإمارة فيهم من بني معروف)، والقلقشندي توفي عام ٨٢١هـ. (المحقق سعود الجمران).

كتاب (الأعلام) من أشهر ما ألف في تراجم الأعلام، قديماً وحديثاً، وأكثرها فائدة، وأوسعها مادة.

وقد بين مؤلفه خير الدين الزِرِكلي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) شرطه فيمن يترجم له، فقال: «أن يكون لصاحب الترجمة علمٌ تشهد به تصانيفه، أو خلافة أو ملك أو إمارة، أو منصب رفيع كوزارة أو قضاء كان له فيه أثر بارز، أو رياسة مذهب، أو فن تميز به، أو أثر في العمران يذكر له، أو شعر، أو مكانة يتردد بها أسمه، أو رواية كثيرة، أو يكون أصل نسب، أو مضرب مثل. وضابط ذلك كله: أن يكون ممن يتردد ذكرهم، ويسأل عنهم».

وبين المؤلف أيضا الباعث لتأليفه فقال: (في الخزانة العربية فراغ، وفي أنفس قرائها حاجة، وللعصر اقتضاء. يعوز الخزانة العربية كتاب يضم شتات ما فيها من كتب التراجم، مخطوطها ومطبوعها، وقد حاولت بهذا الكتاب أن أملأ جانباً صغيراً من هذا الفراغ، وأمضي بعض تلك الحاجة، وأقوم بشيء مما يقتضيه العصر، وعساي أن أوفق).

وقد ترجم الزركلي لعدد من مشايخ المنتفق، ونوردهم حسب تراتبهم الزمني، وليس الأبجدي:



خير الدين الزركلي

أبو قريحة

؟ -١٢١٢هـ = ؟ -١٧٩٧م.

ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع، من آل شبيب، يرفع نسبه إلى الحسين السبط.

من شيوخ القبائل في بادية العراق. شجاع، اتسعت شهرته في عصره. خلف أباه في زعامة (المنتفق) بالعراق سنة ١١٧٥هـ[١]، وصفت له بعد مقتل ابن عمه ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع سنة ١١٩٣هـ، وحانت له فرصة سنة ١٢٠٢هـ فاجأ بها حامية البصرة فاحتلها، وحكمها مستقلاً ثلاثة أشهر، وقاتله متولي بغداد من قبل الترك بستة آلاف جندي على بعض شواطئ الفرات، فتفرق أكثر رجاله، ونجا ببعض ذويه، وتحرج موقف الترك (العثمانيين) أمام غزاة نجد، فأعاده سليمان باشا (والي بغداد) إلى منصبه في المنتفق، وانتدبه لقتالهم، وزحف أبو قريحة يريد نجداً، فلم يلبث أن اغتاله عبد اسمه (طُعَيس) من عبيد جبور بن خالد، من أتباع آل سعود، في مكان يسمى (الشِباك) -بتخفيف الباء -من ديرة بني خالد، ودفن في جزيرة العماير.

(١) الصواب أن أباه توفي سنة ١١٨٩هـ، وخلفه ابن أخيه ثامر السعدون. ثم آلت المشيخة إلى ثويني بعد مقتل ثامر سنة ١١٩٣هـ. (مشرف الخزانة)

حمود السعدون

؟ -١٢٤٧هـ = ؟ -١٨٣١م.

حمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع الشبيبي الحسيني

أمير المنتفق في العراق، وأحد من اشتهروا بالفروسية. كانت أيام حروبه تعدّ كأيام العرب في الجاهلية. ولي الإمارة بعد مقتل أخيه من أمه ثويني بن عبدالله[1] سنة ١٢١٢هـ، وقام بأمر المنتفق وعشائرها، تابعاً لبغداد وواليها عبدالله باشا، وقوي أمره، ولجأ إليه من بغداد أحد باشوات الترك (سعيد باشا) فارّاً من الوالي عبدالله باشا، فطلبه هذا من حمود، فأبى تسليمه، فكتب إليه الوالي بالعزل سنة ١٢٢٧هـ، وجرَّد جيشاً لقتاله، فقابله حمود، ونشبت بينهما معركة انهزم فيها جند الوالي، واستسلم هو وبعض القواد، فأمر حمود بقتلهم فقتلوا.

واستفحل أمره، فضم إلى إمارته ما في جنوب البصرة من القرى، واتسعت ثروته، وقصده الشعراء بالمدائح، فكانت جوائزه حديث الناس، أو كما يقول المؤرخ ابن سند: كجوائز بني العباس، وسافر إلى بغداد ومعه سعيد باشا، فكتب سعيد إلى الآستانة، فجاءته التولية على العراق (بغداد وشهرزور والبصرة) سنة ١٢٢٨هـ، وعاد حمود إلى المنتفق، وأمره نافذ في الوالي الجديد، وعزل الوالي سنة ١٢٣٢هـ، وولي مكانه داود باشا، فعمل هذا على إضعاف حمود. ثم أعلن عزله سنة ١٢٤٢هـ، وولى ابن أخيه عقيل بن محمد بن ثامر، فغضب حمود، وجاهر بالعصيان، فاحتال عليه عقيل واعتقله، وأرسل إلى بغداد فسجن. ثم أطلق، فرحل متجهاً إلى حلب، فمات في الطريق، ودفن في مكان

(١) الصواب أن ثويني هو أخ من جهة الأم لثامر والد حمود. (مشرف الخزانة)

يسمى (تل أسود).

عقيل السعدون

؟ -١٢٤٧هـ = ؟ -١٨٣٢م.

عقيل بن محمد بن ثامر السعدون

ممن تولوا إمارة المنتفق في عهد الدولة العثمانية بالعراق. ولاه الوزير داود باشا سنة ١٢٤٢هـ بعد عزل عمه حمود بن ثامر، وقاومه هذا، فعمد عقيل إلى الحيلة حتى تمكن من القبض على حمود، وثار أبناء حمود، فهاجموا عقيلاً، فهزموا جموعه وقتلوه، ودفن في (صبيخ) شمالي شطرة المنتفق.

بندر السعدون

؟ -١٢٨٠هـ = ؟ -١٨٦٣م.

بندر بن ناصر بن ثامر السعدون

ممن تولوا مشيخة (المنتفق) في العراق. ولي سنة ١٢٧٧هـ، وكانت إقامته في سوق الشيوخ تابعاً لولاة بغداد، واستمر إلى أن نُحِّي قبل يوم واحد من وفاته.

منصور السعدون

؟ -١٣٠٤هـ = ؟ -١٨٨٦م.

منصور (باشا) بن راشد بن ثامر السعدون

ممن تولوا إمارة المنتفق في العراق. انتزعها من ابن عم له اسمه فارس بن عقيل بن محمد بن ثامر (حوالي سنة ١٢٦٥هـ) بعد قتال، ولم يرض عنه الوالي العثماني ببغداد، فعزله وولى فهد بن علي بن ثامر. ثم أعيد منصور، وجاءته الرتبة (باشا)، وتضاءلت إمارته حتى بقي شيخاً لعشائر المنتفق، وخالفه ابن لأخيه ناصر بن راشد سنة ١٢٧١هـ[١]، فرحل منصور إلى بغداد مستنجداً، فعين قائم مقام للمنتفق سنة ١٢٨٠هـ. ثم عزل، فأقام ببغداد إلى أن توفي.

(١) الصواب أن المخالفة جاءت من ناصر نفسه، وليس أحد أبنائه. (مشرف الخزانة)

فهد السعدون

؟ -١٣١٤هـ = ؟ -١٨٩٦م.

فهد بن علي بن ثامر السعدون

ممن تولوا مشيخة المنتفق في العراق. كان تابعاً لولاية بغداد في العهد العثماني، ومنحته الدولة رتبة (باشا) سنة ١٢٨٠هـ، واستمر إلى أن تغلب عليه ناصر بن راشد السعدون سنة ١٢٨٣هـ، وأعيد تعيينه سنة ١٢٩٤-١٢٩٦هـ.

ناصر السعدون

؟ -١٣٠١هـ = ؟ -١٨٨٣م.

ناصر (باشا) بن راشد بن ثامر السعدون

وال، من رجالات هذه الأسرة في العراق. تولى المنتفق إقطاعاً سنة ١٢٨٢هـ، وصحب حملة وجهتها الحكومة العثمانية إلى الإحساء سنة ١٢٨٨هـ، فحضر وقعة الخوير، وكوفئ بجعله والياً على البصرة سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م)، وألحقت بها الإحساء. ثم عزل لشكاية أحد وكلائه سنة ١٢٩٤هـ، ودعي إلى الآستانة، فذهب إليها، وتوفي فيها.

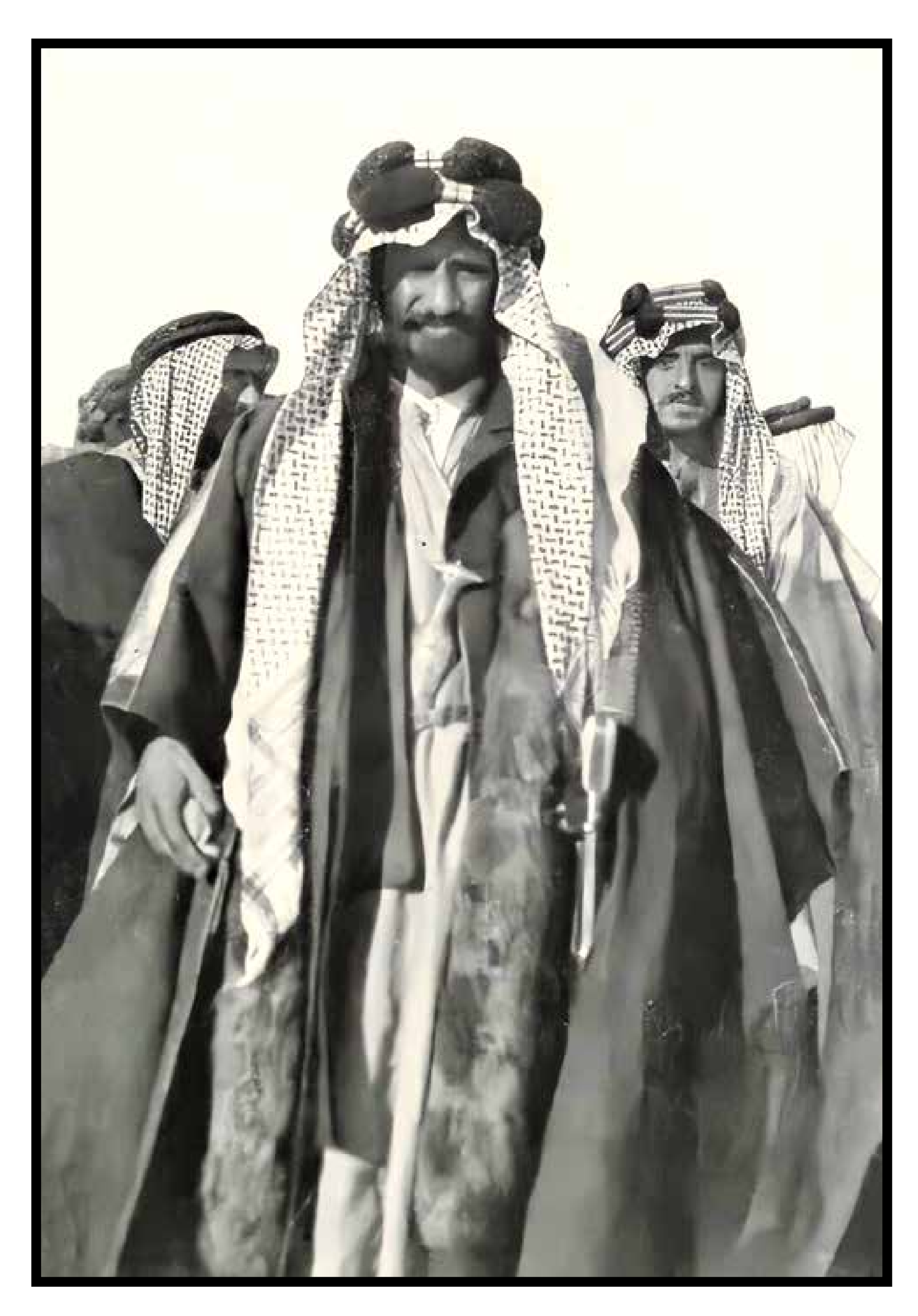
سعدون السعدون

١٢٧٤ -١٣٣٠هـ = ١٨٥٧ -١٩١٢م.

سعدون باشا ابن منصور بن راشد بن صالح بن ثامر السعدون، أبو عجمي

شجاع ثائر. من أسرة عراقية كبيرة كانت أميل إلى البداوة، ومنازلها في جهات المنتفق. أول ما عرف عنه توسطه بين الحكومة العثمانية وبني ميّاح من عشائر العراق لإعادتهم إلى الطاعة فأطاعوا، وكوفئ برتبة باشا سنة ١٢٩٧هـ. ثم ظهرت بسالته في وقائع مع أعراب البادية واختلف مع أحد ولاة بغداد العثمانيين حميد باشا فابتعد عن الحواضر، وقوي أمره، فخضع له أكثر البدو الضاربين بين النجف والكويت، واشتهر بغاراته على قبائل شمر وحربه مع عبدالعزيز ابن متعب (جبار آل رشيد) سنة ١٣١٧هـ.

ووجهت إليه الحكومة العثمانية بعض القوى، فقاتلها وظفر، وجعل إقامته في بر الشامية ثم في جنوبي الكويت، وشن الغارات على أطراف البصرة والناصرية، ولما ولي السلطان عبدالحميد الثاني بعث إليه بالعفو سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م)، فعاد إلى مقره في الشامية، وكانت له بعد ذلك حروب وأخبار مع مبارك الصباح (صاحب الكويت)، وأصلح بينهما والي البصرة العثماني سنة ١٣٢٩هـ، وانتهى أمره بأن اعتقل بعض رؤساء البدور (من قبيلة عنزة). ثم قتلهم، فتألبت عشائر المنتفق على حربه، فعبر شط العرب، وأتى البصرة مستنجداً، فقبض عليه واليها، وأرسله إلى بغداد ثم إلى حلب، وحوكم. فتوفي بحلب قبل انتهاء محاكمته.



سعدون باشا بن منصور السعدون وإلى يساره ابنه ثامر وإلى يمينه ابنه عجمي

عجمي السعدون

١٢٩٥ -نحو ١٣٨٣هـ = ١٨٧٨ -نحو ١٩٦٣م[1].

عجمي (باشا) بن سعدون بن منصور بن راشد السعدون

زعيم عراقي. كان لأسرته إقطاع المنتفق ومشيخة عشائره، ونشأ عوناً لأبيه، وفيه شجاعة، وله أخبار وحروب مع عشائر الظفير وعنزة ومُطير، وكان يقيم في مكان يسمى (الغبيشية) بقرب البصرة، وامتنع على الحكومة العثمانية مدة، لخصومة بينه وبين السيد طالب النقيب، فاسترضاه والي بغداد جاويد باشا قبل الحرب العامة الأولى، فلما نشبت الحرب خاض غمارها مع الحكومة، وقاتل الإنكليز، وثبت في مواقف عصيبة إلى أن سقطت بغداد، فرحل إلى بعض قبائل عنزة، وهاجمته قوة إنكليزية فتغلب عليها، وأوغل في البر، فنزل بأراضي شمّر واتصل بالعثمانيين، فظلَّ معهم إلى أواخر الحرب (سنة ١٩١٨م)، فمنحوه مزارع في بلدة كرموس من ملحقات أورفة، فأقام فيها.

(١) الصواب أن وفاة عجمي باشا كانت في ٢٦ أكتوبر ١٩٦٠م كما هو مثبت على شاهد قبره في أنقرة. (مشرف الخزانة)



عجمي باشا السعدون

عبدالمحسن السعدون

١٢٩٦ -١٣٤٨هـ = ١٨٧٩ -١٩٢٩م.

عبدالمحسن (باشا) ابن فهد بن علي السعدون

وزير عراقي. من أسرة يتصل نسبها بالأشراف. استوطن أحد أجدادها البصرة. ثم ذهب إلى المنتفق، فتأمر أحفاده على عشائرها. ولد عبدالمحسن في الناصرية (مركز لواء المنتفق)، وكان أبوه حاكماً على اللواء، وأميراً لعشائره، وتعلم في مدرسة العشائر بالآستانة ثم في المدرسة الحربية، وتخرج ضابطاً في الجيش العثماني، وجعله السلطان عبدالحميد، مع أخ له اسمه عبدالكريم، مرافقين له.

وظل عبدالمحسن في الآستانة بعد خلع السلطان عبدالحميد، فانتخب نائباً عن المنتفق في مجلس النواب العثماني، وعاد إلى العراق في خلال الحرب العامة الأولى، وتقلد بعد الحرب وزارة الداخلية في الوزارة النقيبية الثالثة سنة ١٩٢٢م. ثم كان رئيساً لمجلس الوزراء أربع مرات، سنة ١٩٢٢ -١٩٢٣م، و١٩٢٥ -١٩٢٦م، و١٩٢٨ -١٩٢٩م، وتجددت وزارته الأخيرة، وانتهت بانتحاره برصاصة أطلقها على نفسه في بغداد، وكان مما تولاه رياسة مجلس النواب سنة ١٩٢٦م، ورياسة مجلس الأعيان سنة ١٩٢٧م، ويعده ساسة العراق زعيم الراغبين في التفاهم مع الإنكليز في أيامه.

(١٠)

المنتفق في مخطوطات ياسين العمري

هو ياسين بن خير الله بن محمود بن الشيخ موسى الخطيب العمري الموصلي، ويشتهر باسم ياسين العمري أو الخطيب العمري أو ياسين محمود الخطيب، ولقب العمري نسبة إلى الصحابي عمر بن الخطاب.

كان والده خير الله من علماء البلدة، وأخوه محمد أمين أيضاً من كبار العلماء في الموصل في تلك الفترة، وكان يكبر أخاه ياسين بحوالي خمس سنين، وولد ياسين سنة ١١٥٧هـ أو ١١٥٨هـ، ولم يصلنا أسماء المشايخ الذين درس عليهم، سوى شيخ واحد وهو الملا عبد القادر بن كدر عبد الرحمن الأربلي الذي ذكر عنه أنه قدم الموصل سنة ١٢٠٤هـ، وعنه أخذ الفقه، فيكون ياسين الخطيب قد درس الفقه وعمره ينيف على الخمسين.

وترجمه أخوه محمد أمين، فقال: «له أدب ومعرفة بالنظم، ويد طولى في نظم التواريخ، وله اطلاع على عدة فوائد من علوم شتى، بالمطالعة المذكورة، وله خبرة في فن الطب. ألف قديماً فيه كتاباً جمعه من عدة كتب مفيدة، وله تاريخ عن سنين الهجرة إلى عامنا هذا (١٢٠١هـ) جمعه من تواريخ متعددة، وصار كتاباً جامعاً يحتاج إلى تنقيح وتذهيب، فلا يكون له نظير في فنه، وله شعر رقيق سهل».

كان ياسين العمري متصوفاً، وله إجازة في الطريقة النقشبندية والقادرية، وكان إمامًا في جامع سعد الدين الجليلي لسنين طويلة. توفي بالموصل في العقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجري.

يعدّ ياسين العمري من أكثر الكتاب إنتاجا في عصره حيث كتب ما لا يقل عن سبعة عشر كتاباً في مجال التاريخ، غير مصنفاته الأخرى، وأغلبها مخطوطة، وقد قال فيه سيار الجميل: «أستطيع القول أن المؤرخ ياسين أفندي الخطيب العمري هو أعظم مؤرخ أنجبته الموصل في التاريخ الحديث، نظراً لما رفدنا به من كتابات وتواريخ ومعلومات وتراجم بالرغم من ضعف كتابته ولغته».

ومن كتب العمري انتقينا هذه الأخبار التي تتعلق بأحداث المنتفق، ويجب التنويه أن العمري لبعده مكاناً عن ديار المنتفق خلط بينهم وبين القشعم في كثير من الأخبار، وقد نبّهنا لذلك في موقعه:

قتل الباشاه فبلغ ذلك الخانات فعادو راجعين الى خيامهم
وخزائنهم وذخايرهم وعمل بينهم السيف بعضهم بعضا
ولم يعلم بعد هذا ما كان منهم وجائت الاخبار الي الموصل
منتصف محرم من السنة الاتيه وفيها انكسر السد
في البصره من جهة البحر وطغى الماء على وجه الارض وصار
بسبب ذلك اوجاع كثيره في البصره ومات بها خلق كثير
ويسمون ذلك اهل البصره الموح وارسلو الي بغداد يخبرون
الوزير سليمان باشا بذلك فبعث اليهم من ارباب الصنايع
جماعة يبنون السد وفيها ولي مدينة ديار بكر الوزير
صالح باشا حاكم مصر فقدم اليها في الشتاء وقد اشتد
البرد ووقع الثلج ومن شدة البرد وقع ايدي وارجل
نحو عشرين رجل من اتباع صالح باشا ودخل ديار بكر
ثم بعد ايام حصل بين العسكر وبين اهل ديار بكر مخاصمه
من جهة الخبز في الفرن ووقع القتال وقتل من اهل ديار
بكر ثلاثة رجال فخرج من اعيان ديار بكر اثنان غضبا
من فعل اهل ديار بكر فتبعوهم وترضوهم واعادوهم فدخلو
على صالح باشا وتشفعوا اليه في اهل ديار بكر فعفى عنهم
وفيها كان الطاعون العظيم في مدينة موش ومات فيه
خلق كثير وفيها مات بالطاعون في موش ابراهيم اغا بن حسين جلبي

٩٧٤هـ:

وفيها ظهر في عرب البصرة خارجي يقال له ابن عليان في بلاد المشعشع، وعاث في البلاد، وأظهر الفساد، فعين السلطان سليم لحربه وقتاله حاكم بغداد الوزير إسكندر باشا، ومعه حاكم الموصل وحاكم شهر زور والكردستان، فتجمعوا في بغداد، وسار بهم إسكندر باشا إلى جهة البصرة، وحاصر الخارجي في بلاد المشعشع، وقاتلهم وهزمهم وفرّق جمعهم، وحزب تلك البلاد، ولم يجتمع لهم شملٌ بعد ذلك، وقتل منهم خلق كثير، ونهب خيامهم وأثقالهم، وعاد إلى بغداد منصوراً، وتوجهت العساكر إلى بلادهم.(١)

١٠١١هـ:

وفيها أظهر العصيان أمير آل قشعم الشيخ ناصر القشعمي، وقطع الطرقات نواحي البصرة إلى بغداد إلى المشهد، فجمع العساكر والي بغداد محمد باشا، وسار لحربهم، فالتقى الجمعان بين المشهدين، ووقع القتال، وانكسرت عساكر بغداد، وقتل أكثرهم، ونهبت خيامهم وأثقالهم.(٢)

١٠٦٤هـ:

وفيها ولي بغداد الوزير مرتضى باشا أحد وزراء الروم، فدخلها، وبلغه عصيان والي البصرة حسين باشا، فتجهز بالعساكر، وتوجه إلى البصرة لإمداد أحمد آغا وفتحي بك إخوة حسين باشا، فسار بجيوش تسد الفضا، ونزل على البصرة وحاصرها أياماً، فهرب حسين باشا إلى بلاد العجم، وملك البصرة مرتضى باشا، وغدر بأحمد آغا وفتحي بك وقتلهم. ثم قتل جماعة من أمراء البصرة، فخافوه الأعراب وتحرك أهل الجزائر، وتبعتهم الأعراب من قشعم والخزاعل والمنتفگ، وحاربوا مرتضى باشا، فهرب من البصرة إلى بغداد، ومدة إقامته بالبصرة أربعة عشر يوماً، وقدم حسين باشا من

(١) تاريخ العمري، ص٥١٢.

(٢) تاريخ العمري، ص٥٥٦.

العجم، وملك البصرة، وبذل الطاعة للسلطان، وأطاعته العربان.[1]

١٠٧٥هـ:

وفيها سار بالعساكر الأمير يحيى آغا، ومعه شيخ بني قشعم كنعان ومعهم آل قشعم كلهم، ونزلوا على الحسا، فالتقاهم شيخ بني خالد صاحب الحسا الذي ملكها في السنة الماضية، وعصى السلطان بها، فوقع بينهم القتال، وهرب براك، وقتل غالب عسكره، وتسلم الحسا يحيى آغا، وعادت للدولة كما كانت.[2]

١٠٧٥هـ:

وفيها عصت البصرة على السلطان، وكان ذلك العصيان من العرب اللئام، وطردوا واليها حسين باشا.[3]

١١٠٢هـ:

وفي هذه السنة سار بالعساكر والي البصرة دفتر دار حسين باشا إلى محاربة شيخ عرب البصرة مانع، فلما تلاقى الجمعان، والتحم القتال بين الفريقان، انكسرت عساكر حسين باشا، وقتل وانمحت آثاره، فكان ما كان، ويعرف هذا بسفر مانع.[4]

١١٠٨هـ:

وفيها ولي حكومة الموصل بكلربكي حسن باشا حاكم البصرة سابقاً وبعزله عن البصرة أظهر العصيان مانع أمير قشعم (الصواب المنتفق).[5]

---

(١) تاريخ العمري، ص٦٥٦.

(٢) تاريخ العمري، ص٦٧٦.

(٣) تاريخ العمري، ص٦٧٧.

(٤) عنوان الأعيان، ص٦٠٣.

(٥) تاريخ العمري، ص٧٠٤.

١١٠٩هـ:

وفيها عصت عرب بني قشعم (الصواب المنتفق) وملكوا البصرة، وطردوا حاكمها حسين باشا، وسلموا البلد إلى شاه العجم، فأرسل الشاه مفاتيح البصرة إلى السلطان مصطفى مع هدية سنية، واعتذر من ذلك.[١]

وفيها غزا والي بغداد الوزير علي باشا عرب قشعم (الصواب المنتفق) وحاربهم. ثم صالحوه، فعاد عنهم.[٢]

١١٠٩هـ:

وفي هذه السنة تقوت عرب البصرة من بني قشعم (الصواب المنتفق) وعظمت شوكتهم حتى ملكوا البصرة، وطردوا عنها الولاة، وسلموا البصرة إلى شاه العجم، فبعث الشاه مفاتيح البصرة إلى عند السلطان مصطفى، واعتذر.[٣]

١١١١هـ:

اشتدت شوكة أمير عرب قشعم (الصواب المنتفق) مانع الذي ملك البصرة، وسلمها لشاه العجم، وفي هذه السنة ملك القرنة، ونصب فيها والياً ميرزا خان. ثم ملك الحويزة، وأعطاها لفرج الله خان.[٤]

١١١٢هـ:

ولي مدينة بغداد الوزير دلدبان مصطفى باشا، وأمره بمحاربة العجم والعرب من آل قشعم (الصواب المنتفق) وفتح ما ملكوا من البلاد، وعين معه من الولاة حاكم

(١) تاريخ العمري، ص٧٠٥.

(٢) تاريخ العمري، ص٧٠٥.

(٣) عنوان الأعيان، ص٦٠٤.

(٤) عنوان الأعيان، ص٦٠٤.

الموصل جلبي يوسف باشا وحاكم العمادية قباد بك وحاكم ديار بكر وحاكم حلب وحاكم أرفه وحاكم البيرة، وغيرهم من العساكر، فقدموا الجميع إلى بغداد مستهل شعبان، فكان جملة ما اجتمع من العساكر مايتين ألف مقاتل.

فتوجه بهم الوزير المذكور، ونزل على مدينة القرنة، وحاصرها وشدد الحصار، فافتتحها وقتل من وجد فيها من الأعجام وعرب قشعم (الصواب المنتفق). ثم توجه إلى البصرة وحاصرها، وملكها بالأمان.

ثم أرسل فرج الله خان صاحب الحويزة يطلب الأمان، فأمنه على نفسه، وسلم البلد، وهرب أمير قشعم (الصواب المنتفق) مانع، وأرسل إلى الوزير مصطفى باشا، وطلب الصلح، فصالحه على مال، وعاد إلى بغداد.[1]

١١١٢هـ:

عين السلطان مصطفى لمحاربة الباغي مانع، وفتح مدينة البصرة، ومحاربة العجم، والي بغداد دلدبان مصطفى باشا، وأرسل في معيته والي ديار بكر الحاج محمد باشا ووالي حلب وأرفه والبيرة ووالي الموصل جلبي يوسف باشا ووالي العمادية، فاجتمعوا في بغداد في شهر شعبان، وكان جملة العساكر مايتين ألف مقاتل.

فتحركت العساكر وطلبوا علوفاتهم، فصالحهم الوزير مصطفى باشا وأعطاهم، وسار بهم، ونازل القرنة وافتتحها. ثم حاصر البصرة وملكها وأطاعه حاكم الحويزة.

ثم أن مانع أمير قشعم (الصواب المنتفق) طلب الصفح، فصالحه مصطفى باشا.[2]

١١٣٨هـ:

(١) تاريخ العمري، ص٧٠٧.

(٢) عنوان الأعيان، ص٦٠٥.

أظهر العصيان أمير قشعم (الصواب المنتفق) محمد بن مانع، وقطع الطرقات، وعصى أوامر الولاة، وأظهر الشقاق والنفاق.[١]

١١٣٩هـ:

تجهز بالعساكر والي البصرة عبدالرحمن باشا، وتوجه إلى حرب قشعم (الصواب المنتفق) من عرب البصرة، فحاصرهم أياماً، وجرت له معهم حروب. ثم نهبهم وقتل منهم جماعة، فصالحه أمير قشعم (الصواب المنتفق) محمد بن مانع على مال، فتسلمه، وعاد إلى البصرة.[٢]

١١٣٩هـ:

عصى أمير عرب قشعم (الصواب المنتفق) في نواحي البصرة، فسار لحربه والي البصرة عبدالرحمن باشا، ونهبهم وقتل منهم وعاد.[٣]

١١٤٢هـ:

أظهر العصيان أمير عرب قشعم (الصواب المنتفق) سعدون بن محمد بن مانع، وقطع الطرقات، فجهز والي بغداد أحمد باشا العساكر مع كتخداه سليمان باشا، وأرسله إلى حرب قشعم (الصواب المنتفق) وحاصرهم وقاتلهم، وقتل سعدون، وتفرقت جموعه ونهبت أموال أتباعه، وعاد سليمان باشا إلى بغداد منصوراً.[٤]

١١٤٢هـ:

عصى سعدون أمير قشعم (الصواب المنتفق)، فأرسل كتخداه بالعساكر، فقتل

---

(١) تاريخ العمري، ص٧٢١.

(٢) تاريخ العمري، ص٧٢١.

(٣) عنوان الأعيان، ص٦٠٩.

(٤) تاريخ العمري، ص٧٢٤.

ونهب، وهرب سعدون، وعاد العسكر منصوراً.[1]

١١٤٢هـ:

سار بالعساكر سليمان كاهية كتخداه والي بغداد أحمد باشا إلى حرب عرب قشعم (الصواب المنتفق)، فظفر بأميرهم سعدون، وقتله ونهب حلته، وعاد.[2]

١١٤٢هـ:

لما ظهر عصيان عرب البصرة من بني قشعم (الصواب المنتفق) وقد طغى أميرهم سعدون بن محمد بن مانع، وقطع طريق البصرة، فأرسل والي بغداد أحمد باشا كتخداه سليمان باشا بالعساكر، فسار إليهم ونزل عليهم وحاربهم، فهرب سعدون، وتفرقت جموعه ونهبت أمواله وأموال عشيرته، وعاد سليمان باشا منصوراً.[3]

١١٥٠هـ:

جمع العساكر والي بغداد الوزير أحمد باشا، وغزا عرب قشعم[4]، وحاصرهم ووقع له معهم حروب، وهرب أمير قشعم صقر، واستولى أحمد باشا على أمواله وعياله، ولما هرب صقر القشعمي تبعه أحمد باشا، وناداه: إلى أين يا صقر، قف حتى آتيك؟، فقال له صقر وهو هارب: كيف يقدر الذئب يقف أمام الأسد؟، لكن أودعتك أهلي وعيالي، وساق فرسه هارباً.

وغنمت عساكر بغداد أموال عرب قشعم، وأما أحمد باشا، فإنه حفظ بيت صقر وحرمه. ثم أرسل إلى صقر واستدعاه، وأمّنه على نفسه، فقدم إليه فعفا عنه،

(١) روضة الأخبار، ص١٢.

(٢) عنوان الأعيان، ص٦١.

(٣) من اسمه سليمان، ص١٣٤.

(٤) هنا أصاب العمري في ذكر القشعم، فالخبر هنا يخصهم ويخص شيخهم صقر، بعد أن كان يخلط بينهم وبين المنتفق في معظم الأخبار السابقة. (مشرف الخزانة)

وأقامه أميراً على قومه، وعاد إلى بغداد، ومدحته الشعراء، وأغرب مدح فيه قصيدة السيد عبدالله أفندي فخر زاده الموصلي، فمنها قوله شعر:

عقاب الوغا لما بدا طار صقرهم لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم[1]

١١٥٠هـ:

سار بجنوده والي بغداد أحمد باشا، ونزل على عرب بني قشعم، فهرب أميرهم صقر، فناداه أحمد باشا: إلى أين، فقال صقر: هل يقدر الذيب يقف أمام الأسد؟، لكن أودعتك أهلي وهرب.

ثم أن أحمد باشا أمّنه، وأعاده إلى مكانه، ومدح أحمد باشا عبدالله أفندي بقصيدة منها:

عقاب الوغا لما بدا طار صقرهم لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم[2]

١١٥٣هـ:

وفيها أرسل والي بغداد أحمد باشا العساكر مع كتخداه الأمير سليمان باشا، وغزا عرب المنتفگ، وظفر بأميرهم سعدون، وقتله ونهب خيامه وأمواله وأغنامه.[3]

١١٥٣هـ:

ظهر الفساد من سعدون، وقطع طريق البصرة، فبعث أحمد باشا كتخداه سليمان باشا بالعساكر، فسار بهم، ونزل عليهم والتحم القتال، وظفر سليمان باشا بالأمير سعدون، وقتله ونهب خيامه وأمواله، وعاد إلى بغداد منصوراً.[4]

(١) تاريخ العمري، ص٧٣٥.

(٢) عنوان الأعيان، ص٦١٤.

(٣) تاريخ العمري، ص٧٣٨.

(٤) من اسمه سليمان، ص١٣٤.

١١٧٦هـ:

توجه بالعساكر والي بغداد علي باشا إلى ناحية البصرة إلى قتال الأعراب الخارجين عن الطاعة، فوصل إليهم وحاربهم، وجرت له معهم حروب يطول شرحها، وانتصر عليهم، فصالحوه على مال، وعاد عنهم إلى بغداد.[١]

١١٨٣هـ:

عصت عرب البصرة، فحاربهم (والي بغداد عمر باشا) حتى ذلوا وأطاعوا، وعاد وقتل بالطريق عبدالله بك الشاوي، وأقام مكانه ولده الحاج سليمان بك.[٢]

١١٩٠هـ:

وفيها فتحت مدينة البصرة بعد حصار سنة ونصف، وملكوها الأعجام، وسبب ذلك أن والي بغداد الوزير مصطفى باشا الإسبيناخجي كتب إلى مقدم العجم صادق خان يأمره بالرحيل عن البصرة، فكتب له: إني أقسمت لا أرحل حتى أدخل إلى البصرة.

فصدقه مصطفى باشا، وأرسل إلى محافظ البصرة سليمان كاهية أن يفتح أبواب البلد حتى يدخل صادق خان، ويبرّ في يمينه ثم يخرج، ففتح لهم الأبواب، ودخل صادق خان، وقبضوا على سليمان باشا والأعيان، وأرسلوهم إلى الشاه كريم خان، ونهبت الأعجام البصرة، وسبوا النساء والغلمان. ثم أطلقوهم وأمنوهم على أنفسهم، وملك صادق خان البصرة والمندلي وجصان وبدران، وما يليهم من البلدان.

وقيل أن سبب فتح البصرة أن سليمان كاهية على عبدالرحمن آغا بن آدم الكركوكلي وقتله، فغضبت الينكرجية، وعزموا على قتل سليمان كاهية، فمنعوهم أهل

(١) تاريخ العمري، ص٧٧.

(٢)روضة الأخبار، ص١٨.

البلد. ثم أن سليمان كاهية خلع علي ابن أخي عبدالرحمن آغا، وقدمه من الينكرجية، ولحق بالعجم، فضعفت أهل البصرة، وكان مقدم عرب المنتفق بالبصرة ومعه عسكره، فطلب الأمان من العجم، وخرج أيضاً من البصرة، وجاء أمر الوزير، فخرج القاضي والمفتي والأعيان إلى العجم، وطلبوا الأمان لأنفسهم وعرضهم فأمنهم الأعجام، ودخل البصرة الأعجام، وغدروا في الناس، وأخذوا الأموال، وملكوا النساء والرجال.

وأول من غدر صادق خان اختار لنفسه خمس بنات أبكار وقيل ستة، وتزوج بهن، وتبعوه الأعجام ومشوا على سيرته، وفعلوا كل منكر، وجعلوا يضربون الرجال الضرب الشديد، ويأخذون الأموال.[١]

١١٩٤هـ:

وفيها أظهرت العصيان عرب البصرة الخزاعل والمنتفق وكعب ولام، وقطعوا الطرقات.[٢]

١١٩٥هـ:

خرج من بغداد واليها الوزير الكبير سليمان باشا، وتوجه إلى ناحية البصرة بعساكره المنصورة، وحاصر العرب وقاتلهم، وقطع نهر الفرات عنهم، ونهبهم وقتل منهم، وأخذ منهم أموالاً جزيلة، وعاد إلى بغداد منصوراً.[٣]

١٢٠١هـ:

سار الحاج سليمان (الشاوي) وخالد آغا، وتوجهوا إلى ناحية البصرة، واجتمعوا

---

(١) تاريخ العمري، ص٧٩٥.

(٢) تاريخ العمري، ص٨٠٣.

(٣) تاريخ العمري، ص٨٠٤.

مع أمير المنتفق ثويني، وملكوا البصرة، وتسلم البلد خالد آغا.[1]

١٢٠١هـ:

توجه الحاج سليمان وخالد آغا إلى ناحية البصرة، واتفقوا مع أمير المنتفق الأمير ثويني، واستولوا على مدينة البصرة، وجعلوا المتسلم فيها خالد آغا، وعصوا والي بغداد.[2]

١٢٠١هـ:

جهز والي بغداد الوزير سليمان باشا جيشاً مع الأمير خالد آغا أحد أتباعه، وأرسلهم إلى حرب الحاج سليمان الشاوي، فالتقاهم المذكور عند الفلوجة، ووقع القتال، وخامر خالد آغا وأسر، وهربت العساكر.

ثم اتفق خالد آغا مع الحاج سليمان وصاحبه، فأرسل والي بغداد كتخداه أحمد باشا مع جيش آخر، فلما التقى الجمعان انكسر بغداد وهربوا وعادوا إلى بغداد.

ثم توجه الحاج سليمان وخالد آغا إلى ناحية البصرة، واتفقوا مع أمير المنتفق الأمير ثويني، واستولوا على مدينة البصرة، وتسلم البلد خالد آغا، وأظهروا العصيان.[3]

١٢٠٢هـ:

سار العساكر والي بغداد الوزير سليمان باشا إلى ناحية البصرة، وحاصر العرب المنتفق، وفيهم الحاج سليمان بيك وخالد آغا، وعملوا مصافا، فقتل من العرب نحو ألف نفس، ومن عسكر بغداد نحو مائة نفس، وهرب الحاج سليمان وخالد آغا والأمير ثويني، ونهبت الخيام والأموال والأغنام، وملك البصرة، وجعل فيها والياً نعمان

---

(١) من اسمه سليمان، ص١٥٧.

(٢) مختصر أم البراهين، ص٧٢.

(٣) تاريخ العمري، ص٨١١.

أفندي الدفتر دار، وعاد إلى بغداد منصوراً، واستولى على أملاك الحاج سليمان ومقاطعاته، فأرسل الحاج سليمان يعتذر إليه، فعفي عنه.

ثم قدم الأمير ثويني أمير المنتفق، وطلب الأمان من والي بغداد، فأمنه وعفى عنه، وأقام في بغداد معزولاً مكرماً.

ثم قدم خالد آغا، وطلب الأمان، فعفي عنه واستخدمه.[1]

١٢٠٢هـ:

وفيها قدم ثويني إلى ناحية بغداد، وطلب المصالحة، فعفى عنه وصالحه، وأقام معزولاً.[2]

١٢٠٢هـ:

سار بالعساكر والي بغداد سليمان باشا، وحاصر العرب والحاج سليمان، وعملوا مصافا، فانكسرت العرب، وهرب أميرهم ثويني والحاج سليمان وخالد آغا ضابط البصرة، وقتل من العرب نحو ألف نفس، ومن عسكر بغداد الأكراد نحو مائة نفس، وعادت البصرة إلى والي بغداد منصوراً.[3]

١٢٠٢هـ:

سار بالعساكر والي بغداد الوزير سليمان باشا، وتوجه إلى جهة البصرة، وحاصر عرب المنتفق، وفيهم الحاج سليمان بك وخالد آغا وثويني، ووقع لهم قتال، وقتل من العرب ألف نفس، ومن عسكر بغداد مايتين وقيل مائة، وهرب الحاج سليمان بك وخالد آغا والأمير ثويني، ونهبت الخيام والأموال، ونصب في البصرة والياً نعمان

(١) تاريخ العمري، ص٨١٣.

(٢) مختصر أم البراهين، ص٧٤.

(٣) مختصر أم البراهين، ص٧٤.

أفندي الدفتر دار، وعاد إلى بغداد.

واستولى على أملاك الحاج سليمان ومقاطعاته سوى مقاطعات إخوته محمد بك وعبدالعزيز بك، لأن محمد بك كان مقيماً مكان أخيه الحاج سليمان.

ثم أرسل الحاج سليمان معتذراً إلى الوزير سليمان باشا، فعفى عنه. ثم قدم ثويني إلى بغداد وطلب الأمان، فعفى عنه، وتركه في بغداد مكرماً. ثم قدم خالد آغا، فعفى عنه واستخدمه.[١]

١٢٠٥هـ:

وفيها أول شوال قدم إلى الموصل بعساكره والي بغداد سليمان باشا، ومعه والي قره جولان عبدالرحمن باشا وإبراهيم باشا، ومعه والي ازهاو فتاح باشا، وأمير العرب ثويني، فتلقاهم والي الموصل محمد باشا، ونصب لهم جسراً من تحت الإمام السلطان عبدالله تحت مصب الزاب، وعبروا الجسر، وقدموا إلى الموصل. ثم ارتحلوا إلى مدينة أرفه، وسار معهم والي الموصل محمد باشا، وتسلم الموصل عثمان بك بن سليمان باشا الجليلي.[٢]

١٢١١هـ:

أنعم الوزير سليمان باشا على الأمير ثويني، وأعطاه خمسين ألف قرش ومائة ناقة ومائة فرس ومائة خلعة، وولاه إمارة قبيلته المنتفگ، وكان ثويني كريماً حسن الخلق، فأنفق النقود، وألبس بعض الخلع، وسار إلى قبيلته.[٣]

١٢١١هـ:

---

(١) من اسمه سليمان، ص١٥٨.

(٢) مختصر أم البراهين، ص٨٣.

(٣) من اسمه سليمان، ص١٧٦.

وفي هذه السنة لما أنعم على الأمير ثويني وأمّره على عشيرته، وأمره بقتال الوهابي، فسار ثويني في قبيلته إلى مدينة الحسا، وحارب الوهابي ونصره الله، وغنم منهم مائة ألف رأس غنم، وبعث يبشر الوزير سليمان باشا، ويستمد منه عسكراً، فبعث له عرب العقيل وعسكر العراق، وجعل عليهم أميراً أحمد آغا بن العراقي الموصلي، فسار بهم، واجتمع بالمنتفق، وخرجت السنة، وعادوا بالغنايم إلى أماكنهم.[١]

١٢١١هـ:

وفيها أطلق الوزير الكبير سليمان باشا والي بغداد الأمير ثويني أمير عرب المنتفق، وولاه أمر عشيرته، وأعطاه خمسين ألف قرش ومائة ناقة ومائة فرس ومائة خلعة، فما خرج من بغداد حتى أنفق جميع الدراهم، وألبس بعض الخلع، وتوجه إلى عربه، وكان له في بغداد نحو عشر سنين مقيم في الرحب والدعة والعز والإكرام.[٢]

١٢١١هـ:

وفيها توجه بالعساكر والعرب الأمير ثويني أمير المنتفگ بأمر والي بغداد، وسار إلى مدينة الحسا، وحارب الوهابي، وانتصر وغنم منه مائة ألف رأس غنم، وبعث رسولاً يبشر والي بغداد، ويستمد منه جيشاً، فبعث له عرب عقيل وعساكر العراق مع أحمد آغا بن العراقي الموصلي أحد خدامه، فسار بالعساكر، واجتمع بالأمير ثويني، وخرجت السنة.[٣]

١٢١١هـ:

وفيها أطلق والي بغداد الوزير سليمان باشا أمير عرب المنتفگ الأمير ثويني، وكان مقيماً في بغداد معزولاً نحو عشرة سنين، وأعطاه خمسين ألف غرش ومائة ناقة

(١) من اسمه سليمان، ص١٧٦.

(٢) تاريخ العمري، ص٨٣٤.

(٣) تاريخ العمري، ص٨٣٥.

ومائة فرس ومائة خلعة، فما خرج ثويني من بغداد حتى أنفق جميع الدراهم على أتباع الوزير والفقراء والعلماء.[1]

١٢١١هـ:

وفيها جمع عرب البصرة أمير عرب المنتفگ ثويني، وسار إلى قتال الخارجي الوهابي صاحب بلاد اليمن، فانتصر ثويني، ونهب من عرب الوهابي نحو مائة ألف رأس غنم، وأرسل يبشر والي بغداد سليمان باشا بذلك النصر، ويستمد منه عسكراً، فأرسل له الوزير المذكور عساكر بغداد وعرب العقيل، ومعهم الأمير أحمد آغا ابن العراقي الموصلي، وخرجت السنة ولم يعلم ما وقع لهم.[2]

١٢١٣هـ:

وفيها جهز العساكر والي بغداد الوزير سليمان باشا، وأرسلهم مع كتخداه علي باشا، فكانوا عشرين ألف فارس، وسار بهم إلى البصرة، وجمع العشاير والقبائل، وسار بهم إلى ناحية الحسا، ونزل عليها، وحاصرها وملكها، وحاربه عبدالعزيز المعروف بالوهابي، فانتصر علي باشا، وانكسر الوهابي، وقتل من عسكره ألوف، وغنم عسكر العراق الغنائم الكثيرة.[3]

١٢١٦هـ:

وفيها ركب بالعساكر أمير عرب المنتفق حمود الثامر، وتوجه نحو عرب الوهابي، وكان بالحج، فنهب وسلب وقتل وعطب، وعاد إلى البصرة منصوراً، فلما رجع الوهابي من الحج، وبلغه ذلك، عزم على قتال عرب البصرة، وهدم قبة الإمام علي.[4]

---

(١) مختصر أم البراهين، ص١١٦.

(٢) مختصر أم البراهين، ص١١٨.

(٣) تاريخ العمري، ص٨٤٠.

(٤) تاريخ العمري، ص٨٥٠.

١٢١٦هـ:

قدم أيضاً ركب من الوهابي على ثمانمائة بغير وغاروا على عانة وقتلوا أربعين مسلم، ونهبوا بعض البيوت وذهبوا، وقد عزموا على نهب الكبيسة فحاربوهم وهزموهم، فركب أمير المنتفگ حمود الثامر بعشيرته، وسار إلى حرب الوهابي، وكان الوهابي بالحج يغتنم الفرصة لنهب الحج، فغارت عرب المنتفگ على عرب الوهابي، ونهبوا وقتلوا وعادوا إلى أماكنهم.(١)

ثويني أمير المنتفق:

كان سنياً، هو وقبيلته، لما كان سنة ١٢٠٠هـ خرج من بغداد الحاج سليمان (الشاوي) مغاضباً، فبعث الوزير جيشاً لحربه مع الأمير خالد آغا، فخان خالد آغا، واتفق مع الحاج سليمان، وساروا إلى البصرة، واتفقوا مع ثويني، وأظهروا العصيان، وملكوا البصرة.

فسار بالعساكر والي بغداد سليمان باشا سنة ١٢٠١هـ، حاربهم وفرقهم، وقتل كثير من المنتفق، وحصل لهم غنيمة لا يحصى ولا يعد، وملك البصرة وعاد إلى بغداد.

فأرسل ثويني يطلب الأمان من سليمان باشا، فعفى عنه وأمنه، فقدم إلى بغداد وسكنها، فأكرمه الوزير إلى سنة ١٢١١هـ. أنعم عليه بإمارة عشيرته، وأعطاه خمسين ألف قرس ومائة فرس ومائة خلعة، وكان كريماً فأنفقها، وأعطى الجميع قبل خروجه من بغداد، وتوجه إلى قبيلته، وتجهز بالعشائر والقبائل، وسار إلى الدرعية لمحاربة سعود الوهابي، فحاربهم ثويني بالقبائل، ونهب نحو ألف رأس غنم، وأرسلها إلى بغداد، وأرسل يطلب مدداً، فأمده بعرب العقيل.

وفي سنة ١٢١٢هـ غدر رجل من عرب الوهابي بالأمير ثويني، وقتل القاتل.(٢)

(١) غاية المرام، ص١٩٦.

(٢) روضة الأخبار، ص٢٦.

(١١)

المنتفق في مجلة لغة العرب

صحيفة لغة العرب هي مجلة أدبية شهرية أصدرها الآباء الكرمليون بالعراق، ودورية أسسها الأب أنستاس الكرملي العالم اللغوي في بغداد عام ١٩١١م، وتوقفت عام ١٩١٤م. ثم عادت للظهور من ١٩٢٧م وحتى عام ١٩٣١م.

وقد نشرت فيها الكثير من الأخبار والبحوث المتعلق بالمنتفق ومشيختهم، وقد انتقينا منها ما يأتي:



الجزء الاول من شهر رجب ١٣٢٩ الموافق لشهر تموز سنة ١٩١١

(السنة الاولى)

بسم الله الفتاح المعين

بعد حمده تعالى، والشكر على آلائه، والاتكال على مدده، قد عقدنا النية على اصدار هذه المجلة الشهرية خدمةً للوطن والعلم والادب.
والغاية من انشائها: ان نعرف العراق واهله ومشاهيره، بمن جاورنا من سكان الديار الشرقية وبمن نأى عنا من العلماء والباحثين والمستشرقين من الاقطار الغربية. وننقل الى وطنينا العراقيين، مايكتبه عنهم الافرنج وغيرهم من الكتاب المشهورين عن بلادهم واقوامهم. من خالين

المنتفق

عقدنا ضميرنا على أن نكتب كثيراً عن أعراب العراق. إلا أن عملنا هذا يجرّنا إلى إعادة العنوان الواحد مراراً عديدة، وهذا مما يدفع إلى السأم، فحذراً من هذه الرطمة قصدنا أن نصدر البحث الواحد بعناوين أقسامه، دفعاً للملل وتشويقاً لمطالعة الموضوع، وها نحن نبتدئ بأصل معنى المنتفق.

أعراب المنتفق يلفظون الكلمة (المنتفج) بميم مضمومة بعدها نون ساكنة يليها تاء مثناة مفتوحة ووراءها فاء مكسورة وفي الآخر جيم مثلثة النقط فارسية اللفظ كما في جيم جهره وجهار وجه الفارسيات التركيات، وأنت تعلم أن كل ما يلفظه الأعراب بالجيم المثلثة هو بالكاف العربية. إذ لا يسمع منهم لفظ الكاف الحقيقي إلا نادراً، فهم يقولون مثلاً (چال وحچي وشبچة وشباچ)، في كال (يكيل) وحكى (يحكى) وشبكة (للصيد) (وشباك للطاقة أو النافذة)، وعليه: فيكون في لفظة المنتفق لغة ثانية، وهي (المنتفگ)، على أنك إذا تسمعت بعضهم ممن يعنون بحسن اللفظ والكلام تحققت أنهم يقولون (المنتفج) بالجيم العراقية الفصيحة، وهي الجيم المنصوص عليها في كتب النحاة والصرفيين والقراء والمجودين، لا الجيم الشامية أو المصرية، وأعراب المنتفق كسائر أعراب البادية لا يعرفون لفظ القاف الفصيح، وهم يكرهونه أشد الكراهية، ويقلبونه جيماً عراقية أينما وقعت، وفي أي لفظة جاءت، ومنهم من ينطق بها كافاً فارسية كما في كلستان وكوز وكرم الفارسيات.

وعليه، ففي لفظة (المنتفق) خمس لغات، وهي المنتفق بقاف، والمنتفك بكاف، والمنتفچ بجيم فارسية، وفصحاهن الأولى لأنها هكذا وردت في كتب الأقدمين من البلغاء، وهي لا تزال ترد بهذه الصورة فيمن يتحرى الفصيح في كتابته وكلامه كما يتضح

لك صحة هذا اللفظ من الشواهد الآتي إيرادها.

ما معنى المنتفق، ولِمَ سموا كذلك؟

لكل اسم من أسماء العرب يرجع إلى حكاية أو واقعة أو بيت شعر أو صناعة أو ما ضاهى هذه الأبواب، وهي كثيرة عندهم، فما عسى أن يكون معنى المنتفق، ولِمَ سموا بهذا الاسم؟

قلنا: علينا أولاً أن نعلم ما معنى انتفق في اللغة، فقد جاء في تاج العروس ما معناه: انتفق اليربوع: خرج من نافقائه، وانتفق الرجل: دخل النفق، والنفق: السرب ووكر اليربوع أيضاً. اه.

فيكون سبب هذه التسمية، إما لأن الجد الأكبر لبني كان يحرش قبل الإسلام، فبقي عليه هذا الاسم وهو غير بعيد، لأنهم سموا أيضاً حريشاً وحرشاء ومحرشاً، فمن سمي بحريش كأمير: قبيلة من بني عامر، وبحرشاء كصفراء: امرأة، وبمحرش كمحدث: محرش الكعبي ومحرش بن عبد عمر والحنفي وغيرهما.

وإما لأنه كان يقيم في نفق لشدة الحر، فيكون شبيهاً بسكنة المغاور، وقد وجد في بلاد العرب أناس (منتفقة) أي سكنة الأنفاق أو الأسراب والمغاور، وقد ذكر ذلك بعض المؤرخين، ومنهم من وجد في غير بلاد العرب، ويسميهم الإفرنج (تروكلوديت)، كما مر الكلام عنهم.

وأول من ذكر هؤلاء الأقوام كتاب اليونان، فقد قالوا عنهم أنهم أناس نازلون في الشمال الشرقي من أفريقية، ويأوون إلى الأنفاق والمغاور، وأكثر ما يكونون بين نهر النيل والبحر الأحمر، وكان يحتل تلك الجهات أيضاً قوم من العرب يأتون إليها من بلادهم، وإلى هذا العهد يوجد جم غفير من الأفريقيين هم (منتفقون) حقيقة، وهم مبثوثون في أصقاع مختلفة من قارة أفريقية.

وفي بلاد العرب قطر كله جبال تحيط به الأودية العظيمة العديدة، وفيها من

الكهوف والأنفاق شيء كثار تأوي إليه قبائل من الأعراب الأوابد والشراذم والشوارد، ولا يبعد أن يكون هؤلاء من أولئك، أو أن منتفقة بلاد العرب من منتفقة بلاد الحبشة ونواحيها، والله أعلم.

أما رأينا الخاص فهو أن بني المنتفق لم يسموا بهذا الاسم لكون جدهم كان من منتفقة اليرابيع أي محرشها، ولا من المنتفقة بمعنى سكنة الكهوف. إنما سموا كذلك لكونهم اتفقوا على التناصر والتكلف، اشتقاقاً من الاتفاق لا من الانتفاق، ويؤيد قولنا هذا أن بني المنتفق هم عبارة عن ثلاث قبائل كبار قد اجتمعت متحدة بينها كل الاتحاد وهي: قبيلة بني مالك وبني سعيد والأجود[1]، وكثيراً ما كان يفعل العرب والأعراب على التعاقد والتعاهد والتناصر ليكونوا أشد صولة على أقرانهم.

وقد كان ذلك قبل الإسلام وبعده، ومن هذا القبيل الأحلاف والأحابيش وقريش وخثعمة والرباب ولعقة الدم والقارة وجمرات العرب ورضفات العرب وجمهرة العرب وتنوخ والضفير[2] والمطيبون وغيرهم، ولعلك تقول: إذا كان المنتفق من الاتفاق، فكان يجب عليك أن تقول: (المتفق أو بنو المتفق)، فمن أين هذه النون في المنتفق إذا كان من الاتفاق؟

قلنا أن العرب كثيراً ما تفك الحرفين المدغمين، وتبدل الأول منهما نوناً وتبقي الثاني على حاله، وهذا الأمر معروف عندهم، وإن لم يصرحوا بهذه القاعدة في كتبهم، فقد قالوا: الأجار بتشديد الجيم والأنجار، والأجاص والإنجاص، والرز والرنز، والإجانة والإنجانة، والقبرة والقنبرة، والخروب والخرنوب، وربما أبدلوا نوناً من الحرف الثاني لا من الحرف الأول كقوله الخرنابتان وهما الخرابتان، وهناك غير هذه الأمثال مما يطول سرده.

ومما يؤيد هذا الاشتقاق أن المنتفق وردت بدلاً من المنتفق في نسخ ياقوت القديمة، وقد صرح بذلك الفاضل وستنفلد في طبعه لمعجم البلدان، وهكذا وردت في نسخ

(١) الأجود كأفضل لا الأجواد بألف بين الواو والدال. (كاتب المقال)

(٢) هذه الكلمة تكتب بالضاد لا بالظاء المنقوطة المشالة. (كاتب المقال)

الأغاني القديمة.

وقد يتفق أمران والجوهر واحد كما يجتمع زندان في وعاء، فقد يمكن أن يكون المنتفق رجلاً سمي لبعض الأوجه اللغوية التي ذكرناها فكان رأس قبيلة. ثم ضعف فيما بعد أمر عشيرته حتى اضطرت إلى أن تنضم إلى أحياء أو أقوام أخرى، فكان منها هذه العميرة أو هذه العشائر المشهورة باسم المنتفق.

(نسب المنتفق)

قال في تاج العروس: المنتفق أبو قبيلة، وهو المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وقال السيد إبراهيم فصيح الحيدري في كتابه (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد): وجميع قبائل المنتفق بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية، وهم بنو المنتفق بن عامر بن ربيعة بن كعب بن عامر بن صعصعة، ويقال المنتفق متفق. اه. وبنو صعصعة: بطن من هوازن من العدنانية، وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن كان له من الولد: عامر ومرة ومازن وغامر ووائل، وأمهم عمرة بنت عامر بن الضرب، وغالب وأمه غامزة بها يعرفون، وقيس وعوف ومساور ويسار ومثجور، وأمهم عدية بها يعرفون، وكبيرة وزبينة وأمهم وائلة بها يعرفون، وربيعة وأمه غويصرة بها يعرفون، وعامر أكثرهم بطوناً. (عن أنساب العرب للقلقشندي).

وذكر صاحب لسان العرب المنتفق، ولم ينسبه ولم يذكر قبيلته.

ومن العجب العجاب أن القلقشندي كتب سفراً مطولاً عن قبائل العرب، ولم يذكر المنتفق أبداً. مع أنها قبيلة ضخمة بل عميرة جليلة.

وممن ذكر نسب بني المنتفق ابن خلدون المغربي في تأريخه في المجلد ٣١٢: ٢ قال: ومن بني كعب بن ربيعة. . . بنو عقيل (بن كعب وهم بطون كثيرة. منهم: بنو المنتفق بن عامر بن عقيل)، ومن أعقاب بني المنتفق هؤلاء الأعراب المعروفون في الغرب

(بالخلط). قال علي بن عبدالعزيز الجرجاني: (الخلط): بنو عوف وبنو معاوية ابنا المنتفق بن عامر بن عقيل). انتهى. قلت: والخلط في هذا العهد في أعداد جشم بالمغرب.

ومن بني عقيل بن كعب: بنو عبادة بن عقيل: منهم الأخيل واسمه: كعب بن الرحال بن معاوية بن عبادة، ومن عقبه: ليلى الأخيلية بنت حذيفة بن سداد بن الأخيل.

وذكر ابن قتيبة: أن قيس بن الملوح المجنون منهم، وبنو عبادة لهذا العهد فيما قال ابن سعيد بالجزيرة الفراتية فيما يلي العراق، ولهم عدد وذكر، وغلب منهم على الموصل وحلب في أواسط المائة الخامسة قريش بن بدران بن مقلد، فملكها هو وابنه مسلم بن قريش من بعده، ويسمى شرف الدولة، وتوالى الملك في عقب مسلم بن قريش منهم إلى أن انقرضوا. قال ابن سعيد: ومنهم لهذا العهد بقية بين الحازر والزاب يقال لهم: عرب شرف الدولة، ولهم إحسان من صاحب الموصل، وهم في تجمل وعزٍّ. إلا أن عددهم قليل نحو مائة فارس.

وذكر المنتفق صاحب الأغاني في كلامه عن يزيد بن الطثرية قال: أن طثراً من عبد بن وائل إخوة بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وكان أبو جراد أحد بني المنتفق بن عامر بن عقيل أسر طثراً، فمكث عنده زماناً. ثم خلاه وأخذ عليه أصراً ليبعثن إليه بفدائه أو ليأتينه بنفسه وأهله، فلم يجد فداء، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جراد، فوسمه سمة إبله، فهم حلفاء لبني المنتفق إلى اليوم نحو من خمسمائة رجل متفرقين في بني عقيل يوالون إلى بني المنتفق، وهم يعيرون بذلك الوسم، وقال بعض من يهجوهم: (عليه الوسم وسم أبي جراد). اه.

وذكرهم في موطن آخر فقال: زعم علماؤنا أنه لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم (في آثار بني تميم) يقتلون ويأسرون ويسلبون، فلحق قيس بن المنتفق بن عامر بن عقيل عمرو بن عمرو فأسره. اه. (المراد من ذكره للتنويه بنسب المنتفق).

وممن ذكر نسب المنتفق الطبري قال: وبارز زياد بن النضر أخاً له لأمه يقال: عمرو بن معاوية بن المنتفق بن عامر بن عقيل، وكانت أمهما امرأة من بني يزيد، فلما التقيا تعارفا فتوافقا. ثم انصرف كل واحد منهما عن صاحبه، وترتجع الناس. اه.

وقد ذكر بني المنتفق غير هؤلاء الكتّاب، فاجتزأنا بالقليل السلسبيل الراوي للغليل عن الكثير الأجاج المهيج لعلة العليل.

(ديارهم القديمة)

قد جاء في كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر) لابن خلدون المغربي في الجزء ٣٠٢: ٢ ما هذا نصه: (أما بنو عجل بن لجيم بن صعب، وهم الذين هزموا الفرس بموقعة يوم ذي قار، فمنازلهم من اليمامة إلى البصرة، وقد دثروا، وخلفهم اليوم في تلك البلاد بنو عامر المنتفق بن عقيل بن عامر)، فهذا كلام نفيس يدلك على قدم احتلال بني المنتفق لهذه البلاد، وقال ابن خلدون في موطن آخر من كتابه في المجلد ٢: ٣١٢ نقلاً عن ابن سعيد: (ومنازل المنتفق الآجام التي بين البصرة والكوفة.. ومن بني عامر بن عقيل: بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف، وهم إخوة بني المنتفق، وهم ساكنون بجهات البصرة، وقد ملكوا البحرين بعد بني أبي الحسن ملكوها من تغلب. قال ابن سعيد: وملكوا أرض اليمامة من بني كلاب، وكان ملكهم لعهد الخمسين من المائة السابعة عصفور وبنوه.) اه.

ومما يدلنا على الربوع التي احتلوها في سابق العهد المياه التي كانت لهم، فإنها تطلعنا أحسن الاطلاع على منازلهم وديارهم القديمة، فمن مياه بني المنتفق: (الميثب) كمبرد. قال ياقوت: الميثب ماء بنجد لعقيل ثم للمنتفق واسمه معاوية بن عقيل، وقال الأصمعي: المثيب ماء لعبادة بالحجاز، وقال غيره: مثيب واد من أودية الأعراض التي تسيل من الحجاز في نجد اختلط فيه عقيل بن كعب وزبيد من اليمن.) اه.

ومن مياههم (البيضاء). قال ياقوت: البيضاء ماء لبني عقيل ثم لبني معاوية بن عقيل وهو المنتفق، ومعهم فيها عامر بن عقيل. قال حاجب بن ذبيان المازني يرثى أخاه

معاوية بالبيضاء:

تطاول بالبيضاء ليلى فلم أنم وقد نام قساها وصاح دجاجها
معاوي كم من حاجةٍ قد تركتها سلوباً وقد كانت قريباً نتاجها

السلوب في النوق. التي ألقت ولدها لغير تمام. اه.

ومن ربوعهم (العقيق). قال الهمداني في جزيرة العرب: العقيق عقيقان: العقيق الأعلى للمنتفق، ومعه معدن صعاد على يوم أو يومين، وهو أغزر معدن في الجزيرة العرب، وهو الذي ذكره النبي عليه السلام في قوله: مطرت أرض عقيل ذهباً، والأسفل هو في طي.) اه.

ويقال لهذا العقيق الأعلى: (عقيق بني عقيل). قال ياقوت: (ومن الأعقة) العقيق الذي في بلاد بني عقيل. قال أبو زياد الكلابي: عقيق بني عقيل فيه منبر من منابر اليمامة. ذكره القحيف بن حمير العقيلي حيث قال:

أأم ابن إدريس ألم يأتك الذي صبحنا ابن إدريس به فتقطرا
فليتك تحت الخافقين ترسه وقد جعلت درعاً عليها ومغفرا
يزيد العقيق ابن المهير ورهطه ودون العقيق الموت ورداً وأحمرا
وكيف تريدون العقيق ودونه بنو المحصنات اللابسات السنورا

انتهى النقل عن ياقوت.

ومن هنا ترى أن المنتفق كانوا منتشرين بين العرق وجزيرة العرب، ويترددون بين بلاد وبلاد للانتجاع أو للغزو أو لغاية أخرى على ما هو معهود في حياة أهل البادية.

(ربوعهم الحالية)

تمتد من الناصرية إلى الحي، وبينهما شطرة المنتفق والحمّار وسوق الشيوخ والبطحاء

والبدعة وبني أسد وبني سيد والمشارقة وقلعة صقر إلى غيرها من الأقضية والنواحي، وقصبة اللواء: الناصرية، وبكلمة واحدة هي البلاد التي احتلوها من سابق العهد.

ومن ديارهم المشهورة في الأزمنة الخالية والحالية (الغرّاف)، وهو نهر كبير تحت واسط بينها وبين البصرة، وعلى هذا النهر كان في سابق العهد كورة عظيمة فيها قرى كثيرة، وأما اليوم فلم يبق منها شيء يذكر، وكذلك القول عن البطائح التي كانت في جواره، فإنها كانت متسعة الأطراف مترامية الضفاف، وأما في هذا العهد فقد نضبت مياهها وضاق عقيقها.

وسمى الإفرنج نهر الغرّاف باسم (شط الحي) نقلاً عن العوام، والحي قرية ضخمة راكبة الغرّاف سابقاً، واسم الغرّاف في العهد الماضي (المسرهد) على وزن مدحرج بفتح ما قبل الآخر، وقريته الحي تبعد عن هذا النهر نحواً من نصف ساعة لتحول مجراه مع الزمان، ونهر الغرّاف أو المسرهد أو شط الحي ينقسم هناك إلى شعبتين، فالشعبة التي عن يمينك تسمى (أبو حجيرات) مجموع حجيرة مصغرة حجرة، والشعبة التي عن يسارك يقال لها (شط العمى) لأنه لا يدفع مياهه إلى نهر آخر، ولأن الرمال تدفن عقيقه رويداً رويداً، ولا يوجد الماء في شعبة إلا أربعة أشهر في السنة هي أشهر الشتاء.

ومن غريب تأويل بعض كتاب الإفرنج أن هذا الشط يسمى (شط الحية) لا شط الحي، وسمى بذلك لأنه يتعرج كالحية. قلنا وليس الأمر كذلك لأنه لا يوجد نهر إلا ويكون متعرجاً في سيره تبعاً لحركة الماء. نعم لو كان متعرجه شديداً يفوق منعطفات سائر الأودية والأنهر لصح التأويل. إلا أن الأمر ليس كما توهموه، وقد رأيت سبب تسمية العامة له بنهر الحي، وسمى الحي حياً لحيوية أرضه وقوة إنباتها وخصب طينته مما لا يشبهه نظير قط في القرى المجاورة أو المندرسة.[1]

(١) مجلة لغة العرب، عدد ٢، ٨/ ١٩١١م.

حول المنتفق

سألكم سائل عن (الحي أقرية هي أم مدينة؟)، فكان الجواب (إنها قرية لا مدينة إن لغة وإن اصطلاحاً، (ولما كان لديّ شيء عن بلاد المنتفق وعن المنتفق وحاضرهم وباديهم جئتكم بما يمس البحث منه رغبة في الوصول إلى الحقيقة التي كثيراً ما توجد في وسط الاختلافات، كما إنها كثيراً ما تضيع في ظلماتها الكثيفة.

كانت تتجاذب طرفي الفرات الأدنى منذ عهد غير قريب عميرتان من أكبر عمائر العراق، وهما خزاعة (الخزاعل)، وكان منتهى ما يحتلون من ضفاف الفرات (سدرة الأعاجيب)، وسدرة الأعاجيب هذه شجرة نبق قائمة على متن الفرات دون السماوة بأربع ساعات، والأعاجيب قبيلة تنضوي تحت راية خزاعة التي لم يكن يتجاوز احتلالها سدرة المنتهى المتقدمة الذكر، والتي أصبحت اليوم عشائر أشتاتاً لا تجمعها تلك الجامعة، وكانت قبائل المنتفق تحتل ما وراء تلك السدرة من ضفاف الفرات حتى يودعوه عند دجلة في ملتقى النهرين.

وقد جاء في مجلتكم النافعة إن (الغرّاف) سكان من ديار المنتفق الأزمنة الخالية، وأنا أعلم خلاف ذلك وقد أكون مخطئاً، فإن الغرّاف كان في الأزمنة الخالية من ديار ربيعة (الأمارة)، وهي العميرة الكبيرة التي تحتل ضفاف دجلة اليوم من (البغيلة) (تصغير بغلة) إلى (الكوت)، ويحتلون من الغرّاف فراسخ أيضاً تنتهي بأرض يقال لها (البسروقية) على خمس ساعات من الحي، وذلك مما يقوّي كون تلك البلاد بلاد ربيعة (ربيعة الفرس).

أما المنتفق فلم تتغلب على الغرّاف إلا بعد إن قبض على صولجان الزعامة فيهم أجداد العائلة التي تدعي اليوم (آل سعدون)، فإنهم يومئذٍ ناهضوا (ربيعة) في تلك

البلاد حتى امتلكوا أكثرها بشبا السيوف والأسنة، وأوضح دليل على إن الغرّاف لم يك من بلاد المنتفق أن كثيراً من العشائر النازلة في صميمه اليوم هي من ربيعة لا من المنتفق، فميّاح وآل سرّاج (وكلاهما كشدّاد) والعبودة وبنو ركاب وآل غريب والشحمان وعقيل وكنانة، كل أولئك من ربيعة، وكلهم في الغرّاف، وبالجملة الغرّاف من ديار ربيعة في الأزمنة الخالية، والمنتفق متغلبون، ولذلك فالبغضاء مستحكمة بين أمراء العميرتين، وبسببها جرت حادثات مشهورة في تاريخ تلك البلاد الذي أكثره في الصدور لا في السطور، وآخرها الحادثة التي ساعدت ربيعة فيها الحكومة على فتح بلاد المنتفق على الغرّاف، وذلك في أخريات القرن الماضي، فتم للحكومة الاستيلاء عليها، وأجلب زعماءها آل سعدون بعد إن كان لهم الحول والطول، وغب أن استبحر نفوذهم في البصرة والأحساء.

وهذا وأراكم قرنتم بين ربوع المنتفق على الشطين (الفرات والغرّاف)، وأبرزتموها كأنها في صعيد واحد هو الغرّاف، وذلك حيث قلتم عن ربوع المنتفق الحالية ما نصه: (تمتد من الناصرية إلى الحي، وبينهما شطرة المنتفق والحمّار وسوق الشيوخ والبطحاء والبدعة وبني أسد وبني سيد والمشارقة وقلعة صقر إلى غيرها من الأقضية والنواحي)، ففي كلامهم هذا تشويش وتصحيف، وجمع بين بلادين بينهما بون بعيد، ولعل تبعة ذلك على كتاب الإفرنج الذين نقلتم عنهم، فإن بعض هذه البلاد على الفرات، وبعضها على الغرّاف، وها أنا ذاكرها حسب عرفاني كما يلي:

(ربوع المنتفق على الفرات)

البطحة: أو البطيحة بالتصغير. هي اليوم أول بلاد المنتفق على الفرات التي كانت تمتد من قبل إلى أبعد من ذلك بكثير، والبطحة (ولا يقال لها البطحاء كما جاء في كلامكم) قرية قائمة على ضفة الفرات الغربية تبعد عن الناصرية من جهة الشمال أربع ساعات، وهي حد بلاد المنتفق.

الناصرية: أكبر مراكز المنتفق على الفرات، وهي مدينة جميلة خططها ناصر

السعدون أحد أمراء المنتفق، فنسبت إليه، وقد أقيمت على ضفة الفرات الشرقية، واتخذتها الحكومة مركز متصرفية لها يوم استلمت أزمة البلاد، وقرب هذه المدينة مصب للغراف طمّ أو كاد يعلم عليه إهماله وترك تطهيره، ويظهر الناصرية على نصف ساعة منها بحيرة (أبو قداحة) الهائلة التي تنتهي إليها فضول مياه دجلة والفرات، والبحيرة تتهدد البلاد بالفيضان، ولم تمسح على التحقيق إلا إنها تبلغ بضعة أميال عرضاً وطولاً، والظاهر إنها دعيت (أبو قداحة) لأنها تقدح الشرر، ولعل ذلك لكثرة الأحياء الفصفورية فيها.

سوق الشيوخ: الشيوخ هم مشايخ المنتفق أي زعماؤهم، وهناك كانت سوقهم يبتاعون منها ما يضطرون إليه، وسوق الشيوخ اليوم بلدة على متن الفرات تحوطها البساتين، وأكثر ما فيها النخل مثل الناصرية، ولكن هواءها غير صحي، وتكثر فيها على الأخص حمى الغب، وهي مركز قضاء للحكومة على ساعتين من جنوب الناصرية، ووراء سوق الشيوخ الحمّار (وزان شدّاد)، وهو هور من أهوار الفرات، ومن بلاد المنتفق أيضاً ووراءه طوائف (الجزائر) فالقورنة، وعندها يلتقي النهران دجلة والفرات.

وقد ذكر (الحمّار) ياقوت، وقال إنه موضع بالجزيرة، وذكر في (قورين) إنها مدينة بالجزيرة أيضاً، ولعلها (القورنة) وهي مدينة على رأينا لا على رأيكم. أما الجزيرة فتوشك أن تكون ما بين النهرين. نقول كل ذلك تقريباً لا تحقيقاً، وأقرب من ذلك أن الأصل في القورنة (قرنة) على زنة هجنة، إلا إنهم أشبعوا الضمة فكانت واواً، والقرنة لغة الشاخص من أطراف الشيء أي البارز، وغير خفي على المقبل من شط العرب على الجزيرة أن أول ما يشخص لعينيه مما بين النهرين هو هذه البلدة، لأنها حيث ملتقى النهرين، وقد يقال أنها دعيت (قرنة) لأنها حيث يقترن الشيطان، غير إن الكلمة ليست اسم (مكان).

هذه أهم مراكزهم على الفرات.

بلاد المنتفق على الغرّاف:

الغرّاف نهر كبير مخرجه من دجلة، ومصبه في الفرات ينحدر إليه من الجزيرة،

ويصب في موضعين منه. أعظمهما مصب الحمّار قرب الناصرية، فمضمحل ضيق على إن الغرّاف كله على وشيك الاضمحلال، وللمنتفق عليه مراكز مهمة، ومنها:

الشطرة: يتشعب الغرّاف شعبتين قبل انحطاطه إلى الشطرة بستة كيلومترات، وتذهب الشعبة الكبرى منهما إلى الحمّار، وتصب الثانية بظهر الناصرية في شعبة من شعب الفرات، وعلى هذه الشعبة الصغيرة بلدة الشطرة الجميلة، وقد قضي عليها نحس الطالع أن تكون في محيط فتن المنتفق الأخيرة، فانحطت عمراناً واقتصاداً، وقد كان يؤمل لها مستقبل زاهر، ولكن أبى ذلك جهل الأهلين، وسوء نية المتولين.

قلعة سكر: بليدة آهلة حسنة الموقع علىٍ متن الغرّاف تبعد عن الشطرة من جهة الشمال ثماني ساعات، وقد نسبت إلى سِكر (كعنب) بن مشلب (وزان مذهب) مؤسسها، وهو زعيم عشيرة تدعى (الطوقية)، والعشيرة هذه تقيم في أعراض البلدة، وتسوم المترددين إليها سوء العذاب، وقد جاء في كلامكم أنها (قلعة صقر) وهو تحريف، والصحيح ما تقدم، وجاء في كلامكم عن بلادهم (بنو سيد)، والظاهر أنه تحريف: (بني زيد)، وهم طائفة تقيم في البدعة على شعبة الغرّاف الذاهبة إلى الحمّار. أما (المشارقة) التي جاءت في كلامكم فلا تعرف مكان أو طائفة بهذا الاسم في الغرّاف، بل في بلاد المنتفق أجمع.

الحي: من مدن الغرّاف المهمة، وهي قائمة على ضفته الغربية، وتبعد عن القلعة ثماني ساعات أيضاً، وأما قولكم أن الحي: (قرية لا مدينة. إن لغةً وإن اصطلاحاً) فمنظور فيه، لأن للقرية إطلاقات: فمنها (المصر الجامع) وقد ذكرتموه، ومما تطلق عليه (الضيعة)، والضيعة هي الأرض المغلة فيها من بيوت وسكان، وهذا هو الذي جعلتموه معنىً عرفياً اصطلاحيا أي محدثاً مع أنه لغوي فصيح، وقد أغفلتموه وذلك حيث قلتم: (وأما اصطلاحاً، فالقرية هي البلدة التي أغلب سكانها أهل زراعة وفلاحة، وهذا أيضاً يصدق في الحي، ولا يصدق فيها كلمة مدينة). هذا كلامكم، وأنا أقول: أن (الحي) مدينة لأن المدينة المصر الجامع، وكذلك الحي، وليست بقرية لأن القرية: هي الضيعة في الأشهر لغةً واستعمالاً.

والحي ليس بضيعة، وعلى هذا فاستعمالكم (القرية) بمعنى (المصر الجامع) استعمال بعيد أو متروك، فقد أصبح من المنكر أن نقول الفصيح لمثل بغداد أو البصرة (قرية). أما تخصيص المدينة بذات السور، فإنه من تنطعات اللغويين، والفصحاء يأبونه، وقد تمسكتم به على أنه ضعيف ومجهول قائله، وما تعطيه عبارتكم من أن أكثر سكان الحي أهل زراعة وفلاحة خلاف ما شاهدناه، لأن سكان الحي لفيف من الأكراد والبغاددة والعرب المتحضرين من الغرّاف وغيره، وأكثرهم أبعد الناس عن الزراعة، وإنما هم تجار حبوب وأقمشة وباعة بقول وعقاقير وصنّاع وحاكة، وذلك على النحو المعهود في طبقات كل مدينة.

ثم إنكم قلتم في آخر كلامكم على بلاد المنتفق ما يأتي: (ونهر الغرّاف يتقسم هناك إلى شعبتين، فالشعبة التي عن يمينك تسمى (أبو حجيرات) مجموع حجيرات مصغر حجرة، والشعبة التي على يسارك يقال لها (شط العمى) لأنه لا يدفع مياهه إلى نهر آخر، ولأن الرمال تدفن عقيقه رويداً رويداً، ولا يوجد الماء في هذه الشعبة إلا أربعة أشهر في السنة هي أشهر الشتاء).

أما إن النهر ينقسم قرب الحي إلى شعبتين فصحيح، ولكن شعبة اليسار تدعى (أبو جحيرات) بتقديم الجيم لا بتأخيرها، وكأنه مصغر جحرة (على زنة فجرة)، وهي جمع جحر الضب، فيحتمل أن الضبان كانت كثيرة هناك، وربما كان بنو المنتفق يحترشونها كما يحترشون اليربوع من نافقائه!

وبتقديم الجيم يلفظها الناس هنالك وكذلك تلقوها، وبعد فهل لديكم دليل يدفع (التلقي)، ويضاد ما عليه الناس؟. أما في اللغة والتاريخ فلا حجة لأحد الفريقين على ما أعلم.

أما تسمية الشعبة الثانية (شط العمى)، فلأن الماء لا يصعد أبداً، وليس لأنه لا يدفع مياهه إلى نهر آخر، فلا مياه فيه حتى يدفعها، وقولكم إن الماء يوجد فيه أشهر الشتاء غريب. إذ لا يوجد فيه ولا يوماً واحداً من أيام الشتاء والصيف، وإنما الذي يلجه

الماء أيام الشتاء وبعض أيام الصيف هو أبو جحيرات، وهو شط الغرّاف لا غير، ولكنه ييبس في أكثر أيام الصيف والخريف.

النجف: محمد رضا الشبيبي[1]



محمد رضا الشبيبي

(١) مجلة لغة العرب، المجلد ١، العدد ٦، ص٢٢٠.

خواطر في المنتفق وديارهم

وقع بيدي نهار أمس العدد السادس من مجلتكم (لغة العرب)، فرأيت فيه مقالة حسناء مذيلة باسم الشيخ محمد رضا الشبيبي الكاتب النجفي الشهير، وعنوانها (حول المنتفق)، فبدا لي في أثناء مطالعتها بعض الخواطر، فأحببت أن أبديها للقراء لاعتقادي المكين أن حضرة الكاتب ممن لا يخاف التعقيب على كلامه، لاسيما وقد قال في مستهل مقاله أنه ممن (يرغب في الوصول إلى الحقيقة التي كثيراً ما توجد في وسط الاختلافات).

قال حضرة الشيخ الكاتب: (كانت تتجاذب طرفي الفرات الأدنى منذ عهد غير قريب عميرتان من أكبر عمائر العراق وهما: خزاعة...)، ونسي ذكر الثانية التي هي عميرة المنتفق، ولعله أغفلها عمداً لاشتهار إقامتها في تلك الربوع، وقد مر عليها في مطاوي البحث في صدره وحشوه وآخره.

وقال حضرته: إن الغرّاف لم يكن في الأزمنة الخالية من ديار المنتفق، وقد صدق، وأزيد على ذلك: أن ديار ربيعة تمتد حتى اليوم إلى نحو نصف المسافة الموجودة بين الحي وقلعة سكر على عدوتي الغرّاف، وقد كانت عميرة ربيعة في صدر القرن التاسع عشر للميلاد محتلة الغرّاف. ثم وقع نزاع بين عميرتي ربيعة والمنتفق أدى إلى انجلاء أمير ربيعة عن تلك الديار إلى موطن اسمه (شادي)، ومن الأقوال العائرة المعروفة عند عمائر تلك الأصقاع، (وأظنه من أقوال ضرب من أغاني الموال المسمى في لغتهم أبو دية[1]، بكسر الدال المهملة وتشديد الباء المثناة المفتوحة وهاءٍ في الآخر):

اللي يريد البرص ما ينزل بشادي ... وينزل بين العبد والقادرية

(١) الصواب: أبو ذية، بالذال المعجمة. (مشرف الخزانة).

فالبرص (بضم الأول والثاني) تل يقرب جداً من مدينة الناصرية، وشادي من ديار ربيعة واقع بين الكوت والبغيلة (مصغرة) على العدوة اليسرى من دجلة العظمى، والعبد (بفتح العين وتحريك الياء بحركة مشتركة) تل يبعد عن شرقي قلعة سكر نحو خمسة عشر كيلو متراً، ويتوسع في معناه فيطلق اللفظ على الأرض المحيطة به، والقادرية (وتلفظ الجادرية) اسم ترعة تسقي هذه الأرض.

وذكر حضرة الشيخ: إن ربيعة لا زالت محتلة من الغرّاف فراسخ تنتهي بأرض يقال لها البسروقية على خمس ساعات من الحي، ولا غرو انه قصد من قوله الحي: شماليه.

وقال: إن كثيراً من العشائر النازلة في صميم الغرّاف هي من ربيعة لا من المنتفق.. الخ، وأظن أن في هذا الكلام ما يناقض سابق كلامه بعض المناقضة. نعم أن كثيراً من العشائر النازلة في صميم الغرّاف هي اليوم من ربيعة كما سبقت الإشارة إليه، وصرحنا به نحن أيضاً، لكن فيهم من المنتفق أيضاً لأن ربيعة تقسم إلى ثلاث عشائر، وهي:

أولاً: العشائر التابعة رأساً لأمير ربيعة، ويطلق عليها اسم بني عمير (بإسكان العين وميم مفتوحة بإمالة)، وقريش (وتلفظ بالكاف الفارسية المثلثة وإسكان الأول وفتح الثاني فتحاً بإمالة).

ثانياً: ميّاح (وزان شدّاد)، وهي تحت زعامة أحد أبناء بيت ناصر من الشحمان (بتحريك الأول حركة مشتركة والباقي وزان سكران).

ثالثاً: السرّاج (وزان شداد. والبعض يحملون الجيم ياء فيقولون السرّاي)، وهم تحت زعامة أحد أبناء بيت كليب (وتلفظ جليب بجيم مثلثة فارسية).

وأما عشيرتا عبودة وبني ركاب فبعد أن خاصمتا آل السعدون على الإمارة، وأخفقتا في سعيهما، انضمتا إلى عشائر المنتفق، وقطعتا كل علاقة مع ربيعة، وأخذتا تؤديان كل الضرائب والرسوم لوالي بغداد، وهي ضرائب ورسوم يؤديها عشائر المنتفق للوالي المذكور. بل أخذت تؤدي حتى الضرائب التي كانت معروفة باسم (الحصان)،

وهو ما كان مكلفاً بتأديته شيخ المنتفق من الجياد إلى والي بغداد، ويخرج من هاتين العشيرتين فخذا العائد والصالح من بني ركاب، ذلك لقربهما من عشائر ربيعة، ولهذا بقيتا منقادتين لزعامة آل السعدون من باب السياسة، وتسهيل المعاملات مع مجاوريهم.

وأما عشيرة ميّاح (وهي التي سبق الكلام عنها) مع جميع أفخاذها، وآل غريب (وهي فرقة من هذه العشيرة)، وعقيل (وهي عشيرة من عشائر السراج)، والسراج وجميع أفخاذها، وكنانة (تلفظ چنانة)، فكلها من الأحياء المنتسبة رأساً إلى أمير ربيعة، وعليه: فقد رأينا بعضهم لا ينتسبون إلى ربيعة، ولهذا وجب التصريح بهم وأن كانوا قليلي العدد بين الجم الغفير حرصاً على الحقيقة.

وأما الناصرية فقد ذكر الكاتب اسم مؤسسها وبانيها، وهو ناصر باشا السعدون، ولم يزد على ذلك، ولهذا أضيف على ما ذكر ما يأتي: أن الذي خططها هو المهندس البلجيكي المسيو جول تلي، ولم يعرف على التحقيق عام تخطيطها، إلا أن الحجر الأول الذي وضع لأساس دار الحكومة كان في سنة ١٢٨٥ مالية (الموافقة لسنة ١٢٨٦هـ و١٨٦٩ ميلادية)، أي في عهد ولاية طائر الصيت مدحت باشا وعلى ترغيبه، وكان أول من بنى فيها داراً للسكنى نعمة الله بن آكوبجان بن سركيس بن آكوبجان بن مقصود المعروف بنعوم سركيس الحلبي الأصل، الأرمني العنصر، الكاثوليكي الطائفة. ثم بنى فيها أسواقاً وخانات وقهوات، وقد ولد نعوم سركيس في بغداد سنة ١٨٣٠ مسيحية، وكان والده قد هجر حلب لكثرة الزلازل التي كان وقع فيها في أوائل القرن التاسع عشر، وبعد أن نشأ نعوم وشب اتصل بناصر باشا، فقربه منه، وأقامه أميناً لخزانته، ومات وهو أعز أصدقاء آل السعدون.

أشار حضرة الشيخ إلى أن سوق الشيوخ هي على ضفة الفرات، وحسناً قال إذ ذلك مطابق للواقع، وأحسن من هذا أن يقال أنها واقعة على ضفة الفرات اليمنى، وأنها تبعد نحو ست ساعات عن جنوبي الناصرية، وليس على بعد ساعتين، وسوق الشيوخ من أقدم مدن المنتفق، وسورها اليوم متهدم، وكان هواؤها سابقاً حسناً جداً، لأن مياه الفرات كانت تجري في عقيق النهر، ولم تتجاوزه لتفسد الأرض والبقاع.

وقال حضرة الكاتب الفاضل: إن الغرّاف يصب في موضعين: أعظمهما مصب الحمّار (وزان شداد) قرب الناصرية، وهو مضمحل ضيق، ولم يبين المصب الثاني. قلت: أما مصب الغرّاف في هور الحمّار فهو مصب شعبة الغرّاف المسماة (بالبدعة)، وسيأتي البحث عنها، وهذا الموقع يبعد عن الناصرية بما يزيد على أربعين كيلومتراً، وأما المصب المضمحل فهو غير الذي ذكره حضرة الكاتب بل هو المصب المعروف (بشط الأزيرق) المختلط ماؤه سابقاً بماء جدول (السديناوية) المتفرع من الفرات، وقد اضمحل اليوم كل الاضمحلال.

وذكر حضرة الكاتب النحرير الشطرة، فقال عنها: وعلى هذه الشعبة الصغيرة بلدة الشطرة. قلنا: الأمر على خلاف ما ظهر له فأن ما سماه شعبة الغرّاف هو الغرّاف الأصلي عينه، وقد كان عامراً حين شيدت بلدة الشطرة الحالية، وقد كانت الشطرة قبل ذلك العهد على جدول صغير آخذ من الغرّاف تبعد عن موقعها الحالي نحو كيلومترين من جهة الغرب، واسم هذا الجدول (الخليلية)، فلما كانت أوائل متصرفية ناصر باشا تحقق أن هذا الجدول آخذ بالاندراس، وأن أحسن موطن تنقل إليه الشطرة هو هذا الذي حولت إليه.

وكان الذي حسّن في عين ناصر باشا هذه البقعة العذبة هو مستشاره وصديقه الوفي الأمين نعوم سركيس المذكور آنفاً، ومن بعد أن تم الاتفاق على هذا الرأي شيّد نعوم دوراً عديدة وأسواقاً وخاناً وقهوات. ثم مسكناً له ولأتباعه. ثم عمّر بيوتاً أخرى، وأهداها إلى بعض وجوه الشطرة القديمة، تشويقاً للانتقال إلى الشطرة الجديدة، وقد تم بناؤها بعد إتمام أبنيته في الناصرية، ولم يكن اسمها كذلك بادئ بدء. بل كانت تسمى (بالفالحية) نسبة إلى فالح باشا، (وهو فالح بك يومئذ) أكبر أنجال ناصر باشا. غير أن اسم الشطرة غلب عليها، وهي تسمى كذلك إلى اليوم.

وأما ما سماه حضرة الشيخ بالشعبة الكبرى، وقد قصد بها (البدعة)، فهي تبتلع اليوم نحو ثلاثة أرباع مياه الغرّاف أو أكثر، فهذا الجدول على ما وراء الرواة الثقات لم يكن في غرة القرن الميلادي السابق إلا قاعاً صفصفاً أهداها أحد أمراء ربيعة لآل

السعدون، (والواهب هو خال الموهوب له، وأظنه الشيخ عيسى[1] من آل السعدون)، فشق لها نهراً اتسع شيئاً فشيئاً لانحدار مياهه في أرض مطمئنة، فأصبحت الآن من أحسن مزارع تلك الجهات.

وبخصوص قلعة سكر أقول: إن اسمها الأول كان العلّة (بكسر العين وتشديد اللام المفتوحة)، وكان هذا الاسم معروفاً قبل نصف قرن، وسبب هذه التسمية هو أنه كان في تلك البليدة قلعة مبنية من الطين يحتلها جماعة من الجند صداً لغارات الأعراب، فكانت في وجههم كالعلة في البدن، وما أولئك الأعراب إلا العشيرة النازلة في العدوة اليمنى من أبي جحيرات، واسمها عشيرة الجابر، ولهذا نسمع إلى اليوم من يسميها بالعلة، وهو مع ذلك نادر، وأما ما يتعلق بأهل الحي فأغلبهم أهل زراعة، وإذا قلت نصفهم فلا أخطئ.

ومما أحب أن أذكره هنا هو بعض الإفادات عن الغرّاف لكثرة وروده على الألسنة وفي هذه المجلة، فأقول: للغراف اسمان (الواحد المسرهد)، وقد نوهت به هذه الصحيفة في مقالتها عن المنتفق، وهو الاسم الكثير الورود في سجلات الحكومة المعروفة (بالدفتر الخاقاني)، والمسرهد لغة: المنعم والمغذي، ولا أرى كيف أن هذا المسمى يوافقه هذا الاسم. على أن الذي يتبادر إلى الذهن هو غزارة أنحاء أرضه وكثرة مياهه الوافرة الغريل الناعمة، فإذا زدت على ذلك قناعة الأعراب اتضح لك سبب هذه التسمية، وهناك وجه آخر مأخوذ من قولهم: رجل مسرهد أي سمين، وسمن مجاري المياه بمعنى غزارة تدفقها من باب المجاز أمر مشهور، وإن لم تقنع بما تقدم شرحه فلك وجه ثالث، وهو أن المسرهد سمي كذلك من قولك: ماء مسرهد أي كثير، وعليه فقولك نهر مسرهد هو من مائتي واحد أو وادٍ واحد.

وأما اسم الغرّاف الثاني فهو الحمر (وزان الجبل) وهو تخفيف الأحمر، وهذا اللفظ يعرفه بعض عشائر لواء الديوانية، وسموه كذلك لحمرة غريل مائه.

وأما شط العمى (بفتحتين وهو تخفيف الأعمى)، فقد كان قديماً الشعبة الأصلية،

(١) بل الصواب هو أخوه عجيل. (مشرف الخزانة)

وعلى عدوته اليمنى قبة مبنية على اسم العقّار (وزان شداد)، وهو أحد أبناء الإمام موسى الكاظم، وكانت السفن تجري في هذه الشعبة من النهر إلى أمد غير بعيد، وأظنه لا يتجاوز ربع القرن، وكان محمول كل سفينة من هذه السفن خمسين ألف كيلو غرام.

وأما قول حضرة الكاتب البارع أن الغرّاف ينقسم قرب الحي، فلا جرم أنه قصد بكلامه هذا أن الانقسام يحصل على بعد نحو كيلومترين ونصف من الحي جنوباً، وعلمه فوق كل علم، وهو الهادي إلى الصواب.

الناصرية: منتفقي[١]

(١) مجلة لغة العرب، المجلد ٢، حزيران ١٩١٢م، ص١٩. ومنتفقي لقب كان يكتب تحته المؤرخ يعقوب سركيس.

سوق الشيوخ

١- موقع هذه المدينة وحدودها:

قضاء سوق الشيوخ من مدن العراق الحديثة واقع على ضفة الفرات اليمنى، قريباً من الدرجة ٣٠ عرضاً ونحو الدرجة ٤٤ طولاً من باريس، وهو في جنوبي لواء المنتفق. يحده شمالاً وشرقاً الفرات، وجنوباً وغرباً الصحراء الشامية، وهو يبعد ٤٠ كيلومتراً عن الناصرية وهو تحتها، و١٤٠ كيلو متراً عن غربي البصرة على خط مستقيم، و١٣٠ كيلومتراً في جنوب غربي العمارة على خط مستقيم أيضاً.

٢- مؤسس سوق الشيوخ:

هو الشيخ ثويني المحمد جدّ الأسرة السعدونية، وذلك أنه لما كان حاكماً كبيراً في العراق، يمتد حكمه من الغرّاف والبصرة إلى ما قارب الكويت من جهة، ومن الجزيرة إلى ما حواليها من الجهة الأخرى. أصبح نفوذه عظيماً على كثير من عشائر العراق ونجد وقبائلهما، وكان معه في غزواته وفتوحاته سوق متنقلة، وهي عبارة عن خيام تجار وباعة ينزلون قريباً من الأعراب إذا ضربوا مضاربهم وخيامهم، فتقوم سوقهم، ويعرضون فيها ما يحتاج إليه من لباس وآنية وخرثي[1] وأثاث وتبغ (أي تتن)، ويعارضونها بغيرها من وبر وصوف وسمن (دهن) وبقل وخضرة وغيرها، ويوجد مثل هذه السوق إلى يومنا هذا مع القبائل الرحل.

وعليه كان مع الشيخ ثويني وأعرابه سوق تقام أينما حلَّ وإلى حيثما رحل. ثم أن أعراب ثويني رغبوا في أن تقام سوق دائمة قريبة من الفرات في الصقع الذي ترى فيه

(١) الخرثي لغة هو أثاث البيت. (مشرف الخزانة)

اليوم سوق الشيوخ لطيب مائه وحسن هوائه وكثرة مرعاه، فأذن بذلك، فاشتق اسمه من الغاية التي وضع لها، وقبل أن يعرف بهذا الاسم سمي (سوق النواشي)، وهو اسم عشيرة من عشائر العراق، وكان الشيخ ثويني يعطي تجار الشيوخ مئات من نقود الفضة والذهب بمنزلة قرض يستفيدون من نفعها، ويردونها إليه حينما يطلبها منهم أو يطلب عوضاً منها، وكان أغلب شيوخ القبائل يمتارون من تلك السوق، فعرف باسمهم جميعاً، ومات اسم سوق النواشي.

٣- تاريخ بنائه وحالة هوائه:

قويت سلطة ثويني واتسع ملكه من نحو سنة ١١٥٠هـ (١٧٣٧م) إلى نحو سنة ١٢٠٠هـ (١٧٨٥م)، واختلف في سنة تأسيس السوق، فمن قائل أنه كان سنة ١١٦٢هـ (١٧٤٩م)، وفي قول آخر كان سنة ١١٧٥هـ (١٧٦١ -١٧٦٢م)، والأصح القول الأخير على ما نقله أحد العارفين الثقات من أهل تلك الأصقاع. لأن أعظم أيام الشيخ ثويني هي سنة ١١٦٥هـ[١] إلى يوم قتله الذي وقع سنة ١٢١٢هـ (١٧٩٧م) في مكان اسمه الشبكة[٢]، وبعد وفاة الشيخ الكبير أصبح سوق الشيوخ مركزاً لمهمات شيوخ المنتفق، ومخزناً لذخيرتهم ومؤونتهم، وملجأ حصيناً يلجئون إليه كلما احتاجوا إليه، فكم من حاجة قضيت فيه!، وكم من دم سفك على أرضه!، وكم من أمير اغتيل على صعيده!، وكم من هدية أو عطية جزيلة أكرمت في بيوته!، إلى غير ذلك من الأمور التي لا تحصى ولا تعد!

إلا أنه لما ضعفت قوة المنتفق، وانتكثت مرائر أمرائهم وشيوخهم، ووقع بين رؤسائهم اختلاف الكلمة اشتد نفوذ الدولة هناك، فأدخلته في جملة ما أدخلته في أملاكها، وقيّد في سجلات أملاكها، وأنشئ في ذلك الصقع نواح وأقضية وألوية، وجعلت السوق قضاءً سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م). ثم أخذ بالتقهقُر والانحطاط حتى غدا في سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) بمنزلة مديرية، وإن كان فيه قائم مقام، وذلك باعتبار خطورته،

(١) في هذه السنة كان ثويني طفلاً صغيراً، فلا يعقل هذا القول. (مشرف الخزانة)

(٢) بل هو الشباك. ماء قرب الجبيل على شاطئ الخليج. (مشرف الخزانة)

وانحطاط رقيه، ورجوعه القهقرى عن سابق ما كان عليه من الشأن والمنزلة.

أما سبب هويه أو تسفله فهو انقطاع الأعراب عن الامتيار منه، ووخامة أرضه وكثرة الأمراض والحميات التي تفتك بأهاليه، لأن البطائح أو الأهوار تحيط به من كل جانب وتفسد هواءه، بينما كان في السابق بعيداً عن كل غمق ووبالة، وذلك لأن الشيخ ثويني كان قد أفرغ جهده في منع وصول مياه طغيان دجلة إليه. بخلاف ما يحدث الآن، فإن أغلب الأنهار قد طمت أو دفنت، فانتشرت المياه في كل جهة بدون رادع يردعها أو حاجز يحول دونها، وإذ لا تجد مجرى أو مصباً تنحدر إليه تبقى هناك مدى السنة، فتخرب وتدمر وتتلف وتمرض وتقتل وتفتك بدون معارض أو محاسب، ومن أسباب انحطاطها معاودة الطاعون إياها من حين إلى حين، وأشد طواعينها الذي فتك بها سنة ١٨٣٢م، فإنه لم يبق ولم يذر.

٤- سكانه وتجارته:

كان سكان سوق الشيوخ من عرب ثويني وأهالي نجد لا غير، وكانوا كثيرين إلى قبل نحو خمس عشرة سنة، وكان عددهم على الوجه الآتي:

مسلمون شيعيون ٢,٢٥٠

مسلمون سنيون ٨,٧٧٠

صابئة ٧٠٠

يهود ٢٨٠

المجموع ١٢,٠٠٠

وكان عدد بيوتها في ذلك العهد ٢٠٠٠ بيت، و١٥٠٠ صريفة (بيت يشبه الكوخ)، وكان فيها مسجدان للسنة، ومسجد للشيعة، وحمام واحد، وخان، و٢٤٠ دكاناً، و٥ قهوات.

وأما اليوم فلا يوجد فيه أكثر من ٤ آلاف نسمة، وهم مقسومون ثلاثة أقسام، وهي: ثلاثون بالمائة منهم من أهالي نجد وهم وهابيون، والثلاثون الآخرون من البغداديين، والأربعون الباقون من سائر أهل العراق، ويطلق عليهم اسم (الحضر)، وأكثر التجارة بيد الحضر، وبياعاتهم هي كل ما تطلبه البادية من ألبسة وثياب وأحذية يليها في كثرة البيع توابل (وهي الأسقاط بلسان بعضهم، والعطارية بلسان الآخرين) وبزور وحبوب وقطاني وما شابهها، ومن أهم تجارته الخيل فهي من أجود خيل البلاد، لأن أصل أغلبها من نجد وما جاورها.

٥- زراعته وصناعته:

زراعة السوق الشلب (من أنواع الأرز أو التمّن) والذرة (ويسمونها الإذرة) والدخن والحنطة والسمسم والشعير والهرطمان والماش، وواردات الزروع هي على الأقل ألف طغار (أو تغار، والتغار يختلف وزنه باختلاف ديار العراق واختلاف الموزونات، واختلافه بين ١٠٠٠ و ١٥٤٠ كيلو غراماً)، والمياه هناك كثيرة كلها متدفقة من الفراتين، وهم يزرعون أيضاً على شواطئ البطائح، إلا أن زراعتهم قليلة بالنسبة إلى مياههم واتساع أراضيهم وكثرة فلاحيهم، ولعل أسباب تقهقر زراعتها كثرة الفتن المستعرة نيرانها بين عشائر تلك الربوع.

وأما صناعة السوق فليست مما يشار إليها بالبنان، وكل ما فيها هو عبارة عن معرفة ما تمس إليه حاجة البدوي ومعروف ومبتذل في سائر الديار العراقية. إلّا أن أهاليها مشهورون بحياكة الأعبئة المخططة، وهي معروفة في ديارنا باسم الأعبئة الشيخلية نسبة إلى سوق الشيوخ، ومن لا يحسن الحياكة يتعلم الحدادة، وحدادتهم متوقفة على صنع المساحي وجميع آلات الزراعة البسيطة العمل، والصياغة من خصائص الصابئة (المعروفون بالصبة، والواحد منهم صبّي بضم الأول وكسر الثاني المشدّد)، وكذلك النجارة وجلّ نجارتهم متوقفة على عمل المشاحيف (جمع مشحوف)، وأما اليهود فمعظم أشغالهم قائمة على البيع والشراء والإقراض بالربا الفاحش.

٦- قسمته وحكومته:

ليس في هذا القضاء إلا ناحية واحدة هي ناحية بني السيد، وفيه قيم مقام لإدارة القضاء، ومدير لإدارة الناحية. يساعدهما مجلسا إدارة.

٧- العلم فيه:

لا شأن يذكر للعلم هناك، وسكانه لا يعرفون الصحف ولا الصحافة إلا من ندر، وجملة من يطالع الكتب وبعض الجرائد النادرة لا يجاوزون عشرة أو خمسة عشر، وأغلب هؤلاء من أهالي نجد.

وفيه أربعة كتاتيب يتردد إليها نحو ٥٠ طالباً، وفي أيام بدءِ الشتاء ٦٠ أو ٧٠، وفي أيام الحصاد ٣٠، وهي مقسومة على هذا الوجه: ٣ كتاتيب للمسلمين، وفيها ٣ معلمين و٤٠ طالباً، وكتّاب واحد للصابئة، وفيها معلم واحد و١٠ طلاب.

سليمان الدخيل صاحب الرياض



سليمان الدخيل

مشاهير بيوت وقبائل سوق الشيوخ

٨- مشاهير الرجال والبيوت:

أغلب بيوت سوق الشيوخ الشريفة أو الكبيرة هي من أبناء نجد، فإنهم يفتحون دورهم للضيوف ويكرمونهم ويحسنون إليهم، ولذا ترى كلمتهم مسموعة عند جميع العشائر، ولهم جاه وصيت، ومن رؤوس البيوت الشريفة الشيخ محمد علي أبا الخيل[١]، وهو من أسرة كان بيدها سابقاً الحكم على بريدة إحدى عاصمتي القصيم، وسليمان أبا الخيل، وسليمان بن حسن المهنا أخو صالح بن حسن المهنا الذي دخل بريدة، فقتله ابن السعود في الأيام الأخيرة، ومحمد العبدالله، وصالح العماري، وإبراهيم العماري، وهذان من الرجال الكرام الأجلاء المحترمين، وهما من أهل عنيزة.

وإذ لم أجالس أحداً من الحضر لم أعرف واحداً منهم، وإن كان فيهم من أهل الفضل وقدم المحتد ما لا ينكره أحد.

٩- نظرة عامة في البلدة:

وفي حالتها البلدية في غاية الانحطاط، وبيوت المدينة حقيرة أمام الناظر، وذلك لأن البلدية لا تسعى في هدم ما يجب هدمه، وترميم ما يحسن ترميمه، وتقويم ما اعوج من طرقها وشوارعها. أما واردات البلدية فأنها لا تزيد على مائتي ليرة، لكن لا يصرف منها على تنظيف الأزقة وتوسيع الجواد وإنارة المحلات ما يجب صرفه في هذا الوجه.

ويحيط بالبلد سور من الطين (أي سور من الطوف أو الطوفة)، وجانب منه مبني

(١) كذا يقال في حالة الرفع والنصب والجر على سبيل الكلمة الواحدة. (كاتب المقالة)

باللبن والطاباق، وللبلدة أربعة أبواب تغلق كلها في الليل، ما عدا باب النجديين فأنه يبقى مفتوحاً لأنه لا يتجاسر أحد على أن يطأ دارهم أو يخونهم، والبلدة خالية من الأمن في بعض الأحيان، وقليلته في أوقات أخرى، وهي أمينة في برهة من السنة معلومة، وسبب ذلك وجود العشائر البادية في حواليها، ولا سيما في إبان الفتن كما وقع ذلك في أيام الاستبداد فإنه قل فيها نفوذ الحكومة، واشتدت آنئذ المعضلات والمشكلات، وتوالت فيها توالي المطر المدرار.

والذي ساعد على استفحال الشر واستشرائه بين تلك الأقوام سوء تصرف بعض موظفي الحكومة، وقلة درايتهم بسياسة تلك البلاد وعشائرها وأهاليها. الأمر الذي حط من ثلثي الثقة بالحكومة عند الرؤساء والأمراء والشيوخ وغيرهم، كما ستظهر لك حقائقه وأسبابه في غير هذا الموطن.

١٠- عشائر سوق الشيوخ:

عشائرها من جهة الغرب هي:

١- أهل أو عشائر الكوت، وشيخهم قويد وجار الله الحوّاس (كشدّاد)، وعدد المسلحين منهم ١٠٠٠ رجل.

٢- الشواليش، وشيخهم عبدالله الوشّاح (كشداد)، وعدد حملة الأسلحة عندهم ٣٠٠.

عشائرها من جهة بر الشامية:

١- النواشي ورئيسهم على المطلق، وجنودهم ٣٠٠.

٢- حكام، ورئيسهم ناصر الياسر، وجنودهم ٦٠٠.

٣- البو حميدي، ورئيسهم جاسم جولان، وجنودهم ٣٠٠.

٤- بنو سالم، ورئيسهم وهيّب (مصغرة مشددة الياء)، وجنودهم ٥٠٠.

٥- الغريافية، ورئيسهم الحاج شهل العيسى، وجنودهم ٥٠٠.

٦- الشواوشة والدبّات (وزان ضمّات)، ورئيسهم فيصل الياسر، وجنودهم ٤٠٠.

٧- أهل السورة (كعورة)، ورئيسهم مزيعل البشارة، وجنودهم ٦٠٠.

عشائرها من جهة الشرق:

١- بنو أشرف، وهم البو حمدان وبقية آل مشرف (وزان محمد)، ٥٠٠.

٢- بنو سد (وزان تل، وهي تصحيف أسد)، ورئيسهم سالم بن خيون، ٤٠٠.

٣- بنو حطيط (كزبير)، الشيخ سبَت (بالفتح)، ٣٠٠.

٤- آل إسماعيل، الحاج خشّان (كشدّاد)، ٣٠٠.

٥- العمائرة.

٦- الحول (محركة) ينتمون جميعاً إلى بني خيقان، ٣٠٠.

٧- الفهود.

٨- البو شامة، ٣٠٠.

عشائرها الموجودة في غربي منازل بني سد:

١- البو خليفة، محمد الناصح وابن ركاب، ٧٠٠.

٢- المؤمنون، الميرزا عِناية (بكسر الأول)، ٦٠٠.

٣- بنو سعيد، عيسى الرديني (مصغر ومنسوب)، ٦٠٠.

٤- الجويبر، ابن جويزع وابن قطان، ١٥٠٠.

٥- آل زيّاد، ٥٠٠.

عشائر بني خيقان:

١- آل شميس، ٤٥٠.

٢- البو خليفة، عبدالله الراضي، ٤٠٠.

٣- الرحمة، المغشغش، ١٥٠٠.

٤- النجيمات، زيّاد، ٣٠٠.

٥- آل عبدالله، زيّاد، ٣٠٠.

٦- العليّان (مصغرة ومشددة الياء)، فيصل، ١٠٠٠.

٧- العساكرة، الحاج مِري (بكسر الأول) والحاج دوخي (بضم فسكون)، ٢٠٠٠.

هذا مجمل العشائر المحيطة بالسوق، وهنالك عشائر صغيرة أضربنا عن ذكرها حباً للاختصار، كما أن ثم عشائر أخرى لا يعلم إلى أي قضاء راجعة اليوم، وإن كانت في السابق عائدة إلى قضاء السوق.

١١- الأنهار الموجودة بجوار سوق الشيوخ:

يسمى الأعراب أنهارهم قراماً، مفردها قرمة، والكلمة مشتقة عندهم من قرم الساقية أو الجدول إذا كسره بالمسحاة ليجري منه الماء، فالقرمة إذاً الجدول أو النهر الذي يسهل فتحه أو سده عند الحاجة بخلاف النهر، فإنه لسعته لا يسهل التصرف به على الوجه المذكور، وهناك أنهر كبيرة يحمل منها جداول صغيرة، ونحن نذكر هنا ما وصل إليه علمنا. على أن هنالك أنهاراً لا يزيد عرضها على ذراعين ونصف إلى ٣ أذرع، ولهذا

نضرب صفحاً عن ذكرها، ودونك أسماء الأنهار التي بين المركز أو (الناصرية) وبين سوق الشيوخ:

في الجهة القبلية أو في الشاطئ القبلي: العقر (كقفل). الحمّار (كشداد). المجينينة (تصغير مجنونة). العثمانية. المصغّر (كمحمد). السعيدية (مصغرة منسوبة). الخندق. قرمة جار الله. الحوسة (كعورة). الغافلية. المانعية. النغيمشي (مصغرة وبإسكان الياء والميم معاً وياء النسبة). الفضلية.

والأنهار التي هي في جهة الجزيرة أو في الجهة الشرقية هي: السديناوية (مصغرة منسوبة). المعيدية (مصغرة منسوبة). قرمة آل بو سوق. بدعة (أي قرمة) الحسينات. أبا الرفوس (كذا يلفظونها في حالة الرفع والنصب والجر). الدقمانية. البو بزيم. الهدامية. العرجانية. غليوين (مصغر غليون). المجيحشية. السفحة (وهو نهر عظيم يأخذ أكثر من نصف ماء الفرات).

والأنهار التي تبتدئ من السوق إلى أن يدفع الشط في برق الحمّار أو الجزائر من الجهتين هي: المحولة أو قرمة النواشي. أم الطول. العتيبية. الطليعة لآل أبو حميد. الأصيبح. الكرمانشية أم نخلة، وهذه الأنهر من جهة الشامية.

والأنهر التي تقابل تلك الأنهر من جهة الجزيرة هي: الرحمانية للنواشي. الرميحية لحكام. الزيادية للزياد. الناطوري للحسن. الحريقاوية للزيّاد. قرمة بني سعيد للزيّاد. نهر المومنين للمومنين. أم شكاة؟. الدهلاوية؟

ومن بعد ذلك يتوزع الماء في البحيرات، فيقل نفعه ويكثر ضرره، وإذا انتهى الأمر إلى مثل هذه الحالة، فالأجدر بنا ختم الكلام والسلام.

سليمان الدخيل صاحب جريدة الرياض(١)

(١) مجلة لغة العرب، المجلد ٢.

الخميسية أو لؤلؤة البرية

١- موقع هذه المدينة: بلدة واقعة في لواء المنتفق بين سوق الشيوخ والهور الكبير أي يحدها شمالاً الفرات وأبو غار والشقراء، وهما من منازل لبعض أهل البادية، وجنوباً شرقياً بلدة الزبير، وهي تبعد عنها نحو عشرين ساعة وشرقاً وغرباً الحماد أو بادية العرب، وهي على هور يأخذ ماءه من الفرات، وواقعة بين الدرجة ٤٤ وربع طولاً و٣٠ عرضاً عن باريس.

٢- حداثة نشأتها: الخميسية حديثة العهد قد ولدتها حادثات الليالي الأخيرة، ومع حداثة وجودها أصبحت اليوم من أجلّ المدن الساعية وراء التقدم والرقي والعمران، بالنسبة إلى ما يجاورها من الربوع والديار، ولولا عوائق الفضاء وعوادي الدهر التي لا تزال قائمةً في وجه سبيل رقي البلاد العثمانية كلها، ولا سيما البلاد العربية منها، لأوغلت في الحضارة والعمران أي إيغال، ولبلغت من الحال والمنزلة غاية هي غاية ما وراء الآمال.

الخميسية التي نروي اليوم حديث نشأتها على قراء لغة العرب، وتاريخ بدئها وتقدمها هي من القرى التي أبرزتها الحاجة إلى الوجود، ودفعتها إليه طبيعة البلاد، لأنها أجبرت أهاليها على إعمارها، وإقامة أعلام التمدن فيها رغماً عما هناك من سوء أصحاب السياسة والإدارة الذي كان في عهد الاستبداد. إذ وجد بينها من كانوا بمنزلة المعاول بيد الزمان، دائبين في تأخير البلاد وتخريبها إلى المهالك والمهاوي. فضلاً عما كانوا يفتحونه على الرعية من أبواب الجور والظلم، ويطلقون عليها عقال العسف والغشم

ومع ذلك، فلقد قويت عليهم طبيعة هذا القطر المبارك، وأجبرتهم على إعمار تلك

الخطة، فأصبحت لؤلؤة البرية، وسوقاً قائمة لأهل البادية.

٣- سبب تسميتها وضبط اسمها وبناؤها وقدمها: سميت بالخميسية نسبةً إلى عبدالله بن خميس (وزان كبير)، وهو رجل من أبناء القصيعة[١]. قرية من القرى التابعة لبريدة إحدى عاصمتي القصيم، والبعض يلفظونها خطأ مصغرة أي بضم الخاء المعجمة الفوقية وفتح الميم بعدها ياء ساكنة مثناة تحتية مشددة وفي الآخر هاء، والذي دعاه إلى بنائها هو أنه كان مع جماعة فاضلة من النجديين ممن كانوا يوالون فالح باشا السعدون أيام كان السعد يخدمهم، والتوفيق يرافقهم أيام كانت كلمتهم نافذة، وصولتهم عظيمة في بلاد المنتفق وما يجاورها.

ثم قلب الزمان ظهر المجن لآل السعدون، وذلك أن هذه العشيرة استاءت من حكومة ذلك العهد لكثرة ما ضيقت عليها الخناق، فرفعت عليها راية العصيان، وللحال أرسلت الحكومة جنداً في أواخر أيام تقي الدين باشا في منتصف سنة (١٢٩٧ مالية ١٨٨١م) لمناوأة بني السعدون والتنكيل بهم، فاضطر المنتفق إلى الإمعان في بر الشامية، وظلوا هناك حيناً من الدهر، وكانوا يمتارون من سوق الشيوخ.

وبعد أن مضى على هذه الحال بضعة أعوام، حدث أن طغى ماء الفرات، فأحاط بسوق الشيوخ، ولا إحاطة الهالة بالقمر، فتعطلت التجارة، وتعذر الامتيار (المسابلة)، وأصاب أهل الأموال أضراراً فاحشة، ولا سيما لما كثرت الأمراض الوافدة بأسباب العفونات التي تولدت من زيادة المياه، فهاجر أكثر ساكني سوق الشيوخ إلى جهات الزبير والبصرة والكويت، وكادت سوق الشيوخ تتضعضع دعائمها، وتنتكث مرائرها، وفي واقع الحال أنها أخذت منذ ذاك الحين بالتقهقر إلى أن وصلت إلى درجة قامت مقامها الخميسية المذكورة، وذلك بصادراتها ووارداتها وحسن تجارتها.

ومما زادها شأناً وقدراً أن الحكومة نظرت إليها نظر وامق لحسن موقعها، والعشائر قطعت التردد من سائر المدن المجاورة، وأخذت تختلف إليها، وهي ترد إليها من جهات

(١) في الأصل (القصيم)، والصواب ما أثبتاه، والقصيعة بلدة غرب بريدة نزح منها آل خميس. (مشرف الخزانة).

نجد والزبير والبصرة والكويت وسائر ديار العراق.

وعليه، فإن عبدالله بن خميس لم يختط تلك المدينة إلا سنة غرق سوق الشيوخ، وجعلها على الهور قريبة من البر على مسافة زهيدة منه، بحيث جعلها مقاماً صالحاً لجميع أبناء البادية والمتحضرين. بين البصرة والكويت. بين بادية العراق وعشائر نجد والمنتفق. بين الزبير وسوق الشيوخ، وبعد أن اختطها بني فيها قصره، فجاراه من كان معه من النجديين، فبنوا لهم دويرات، وأخذوا يجابون إليها الأموال والبياعات والتجارات وأنواع المؤونة والميرة من طعام كالأرز والحنطة والشعير والتتن (التبغ) ولباس كأنواع الأنسجة والأقمشة، وللحال أقبل عليها الناس من كل حدب وصوب لقربها إليهم، ولسهولة المعاملة فيها. إذ ليس هناك دار مكس ولا رسوم ولا ضرائب، ولا ما يماثل هذه الوضائع والجبايات كالتي تؤخذ على الحيوانات، كما هو الأمر في البلاد المتمدنة وديار نجد والكويت وغيرها.

ولما اتسع نطاق هذه المدينة، ورأى فالح باشا أنها صالحة للإعمار، وعليها إقبال عظيم من كل صقع وقطر. قام وبنى فيها مسجداً تصلي فيه الجمعة، ومدرسة يدرس فيها مبادئ العلوم الدينية، وجلب لها أحد العلماء من نجد، وهو حضرة الشيخ علي بن عرفج من أحد البيوتات الكريمة من إحدى القرى التابعة لبريدة السالفة الذكر، وخصص لهذه الغاية واردات يأخذها العالم المذكور كل سنة من أطعمة السعدون، فيصرفها على كل ما يتعلق بأمر المدرسة وطلبة العلم، وما زال ذلك الشيخ مقيماً فيها حتى توفاه الله في سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠م)، فطلب حينئذ آل السعدون شيخ علم آخر بدلاً من المتوفي، فجاءهم الشيخ العلامة إبراهيم بن جاسم قاضي القصيم عنيزة وبريدة سابقاً، وهو لا يزال مقيماً هناك، ومضطلعاً بوظيفته أتم اضطلاع إلى يومنا هذا.

أما عبدالله بن خميس فإنه انتقل إلى رحمة الله منذ بضع سنوات، فخلفه ابنه في مقامه، ولا يزال الآمر الناهي في تلك المدينة الحديثة، إلا أنه لا يستغني اليوم عن مراجعة بعض ممثلي الحكومة التي أرسلتهم في آخر هذا العهد للمراقبة ومنع دخول الأسلحة الواردة من الكويت.

٤- الخميسية في هذا اليوم: في الخميسية اليوم من البيوت ما يقدر بألف، ويبلغ سكانها خمسة آلاف، وهي لا تزال آخذةً في الرقي والتمدن للأسباب التي ذكرناها، وما زالت الأسرة المؤسسة فيها إلى يومنا هذا، وكلمتها نافذة، ومما يجدر ذكره أن هذا البيت أصبح ملجأ الكرام الذين يخونهم الدهر من أمراء وشيوخ وتجار وأغنياء، أو كل من نبذته أرضه فزايل وطنه، فهؤلاء جميعهم يحلون ضيوفاً مكرمين في دار أولئك الأماجد، فيجدون هناك وجوهاً باسمة، وصدوراً رحبة، وكرماً حاتمياً، ومقاماً منيعاً، بدون أن يسمعوا شكوى أو يروا فيهم مللاً أو يظهر منهم أقل ضجر.

٥- سكانها: أغلب هؤلاء السكان من نجد إن لم نقل كلهم، والسبب في ذلك رخص المعيشة وسهولة تناولها حتى أنه يقال إنها على طرف الثمام، فالخميسية إذاً مأوى أمين بل حصن حصين لأهالي نجد، وبالأخص في هذه الأيام الأخيرة التي حدثت فيها الحروب بين ابن الرشيد وبين ابن الصباح من جهة، وبين آل أبا الخيل وبين ابن السعود وآل سليم من جهة أخرى، ففي أثناء تلك الفتن والحروب التي طالت كانت هذه البلدة ملاذاً للذين يفرون من الحرب ويؤثرون السلم والراحة، فكان الناس يأتونها فرادى ومثنى وزرافات.

والحق يقال أن ليس هناك من المدن القريبة إليهم مثلها حافلة بما يحتاج إليه من ذخيرة وميرة ولباس، وترى في هذه المدينة الحديثة لؤلؤة البرية بيوتاً نزحت عن وطنها نجد بذراريها وظعائنها وعيالها، وفضلت الإقامة في هذه البلدة، غير ملتفتة إلى مسقط رأسها. تلك هي نتيجة الحروب. إنها إذا تفيد بعض الأفراد خدمةً لمنفعتها الشخصية فإنها بالجملة تضر بالجم الغفير من الناس.

٦- ديانة أهلها ومذهبهم: من عرف أن أغلب أهالي هذه المدينة هم من نجد، علم أيضاً أن لا دين لهم إلا الإسلام، وأن مذهبهم مذهب النجديين لا غير. إذ أنهم سنيون على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (رضه) أو الوهابية، وقلت (أو الوهابية) لأن الوهابيين هم حنابلة، إلا أن المحدثين أعداء النجديين سموهم كذلك، كأنهم يريدون أن ينسبوهم إلى مذهب جديد ويكفروهم، وليس الأمر كذلك. إنما الحنابلة وهابية

والوهابية حنابلة في المذهب، وإن كان الاسم حديثاً، فالمعتقد واحد، وعليه فديانة سكان الخميسية ديانة السلف، مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية، ومذهب تلميذه ابن القيم، ومذهب الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٧- تجارتها: يصدر من الخميسية أنواع الحبوب كالأرز والشعير والذرة وغيرها، ويصدر منها أيضاً التتن (التبغ أو الدخان) والملبوسات وأنواع الأقمشة وغيرها من الحاجيات الضرورية، وهذه تنفق على قبائل وعشائر العراق ونجد كالمنتفق والضفير وشمر وعتبة ومطير وغيرها، ولكل قبيلة وعشيرة وقت للامتياز والابتياع.

وإذا أصيبت ديار نجد بمحل أو غلاء. أقبل أهلها على الخميسية، وجاءت القوافل تترى، وحملت منها إلى نجد مرتزقات تسد عوزها، وإذا اضطر أحد الأمراء إلى شيءٍ من ذلك وجّه إلى (لؤلؤة البرية) إحدى عشائره أو كلها لتمتار ما يعوزها من المرتزقات والمؤونة والذخيرة.

أما وارداتها فهي التمر والسمن (الدهن) والصوف والوبر والجلود والخيل والإبل وأنواع البنادق من مارتيني (ماطلي) وموزر وغيرها، والآن قد قل نقل هذه الأسلحة إليها لأن ابن الصباح منع تهريب السلاح إجابةً لطلب إحدى الدول التي اتفقت على هذا الأمر مع دولة آل عثمان.

٨- زراعتها: ليس هناك من يعنى أشد العناية بالزراعة، فالخميسيون لا يزرعون إلا الحبوب والبقول وما ضاهاها.

٩- صناعتها: قل عن الصناعة ما قلت لك عن الزراعة، لأن البلدة حديثة النشوء ليس فيها من قد أحكم الصنائع، وليس هناك من يحتاج إلا إلى الصنائع الضرورية التي تسد حاجاتهم التي لا غنى لهم عنها.

١٠- العلوم فيها: لا يوجد فيها من يزاول العلوم والمعارف إلا ما نزر، والذي يعنى بها لا يتفرغ إلا لعلوم الدين والعقيدة والمذهب، بل ولمذهب الحنابلة فقط. إذ لا يوجد

في تلك المدينة من يقول بغير مذهب الوهابية أو مذهب السلف.

١١- الآثار القديمة فيها: سمعت كثيرين يقولون في جوار الخميسية آثار قديمة لكني لم أتحقق الأمر بنفسي، كما لم أستطعِ إلى الآن أن أتثبت الخبر، على أني لا أعجب من ذلك، لأن شاطئ الفرات كان آهلاً بالسكان في سابق العهد، ومدنه كثيرة لا يعرف عددها على التحقيق، فإذا ثبت لي صدق النبأ، وأمكنني بسطه على وجهٍ مفيد أتيت به قراء لغة العرب إن شاء ربك القدير والسلام.

سليمان الدخيل: صاحب جريدة الرياض ومجلة الحياة[١]



أطلال جامع الخميسية حالياً

(١) مجلة لغة العرب، ج١١ عن نيسان ١٩١٢م، ص٤٣٠.

سعدون باشا السعدون

١- نسبه:

سعدون باشا(١) هو ابن شيخ المنتفق منصور باشا ابن راشد بن ثامر ابن الشيخ(٢) سعدون(٣) المشتهرة به تلك الحمولة(٤)، فيقال آل سعدون(٥) أو السعدون، وكان اسم أم سعدون باشا (لطيفة)، وهي ابنة من آل سبتي، وسبتي فخذ من آل صالح من آل شبيب، وقد تفرع منهم عدة غصون نوابغ منهم: آل صالح المذكورون، وآل محمد، وآل روضان، وآل راشد(٦) (وهم قاطنون الآن في أماكنهم في نواحي سوق الشيوخ)، وآل

(١) لا ألقب من هؤلاء الأمراء بلقب الباشا إلا من لقبته به الدولة العثمانية.

(٢) لا أسمي بعض هؤلاء الأمراء بالشيوخ إلا من عرفته منهم متولياً المشيخة فعلاً، وبأمر من الدولة العلية.

(٣) قتل في واقعة جرت له مع عساكر الحكومة العثمانية حينما كان نازلاً في بادية بلاد العرب، وربما كان غير بعيد عن بلدة السماوة الحالية لا القديمة، وقد روى لي بعض الثقات ممن يعول على روايتهم: أن الحكومة العثمانية كانت قد أرسلت عليه عساكر تطلب منه أمراً، فلم يقم به، وما أبطأت أن دارت رحى الحرب بين الفريقين، فضعنت العرب أو كادت، فرأى في أثناء الضعن عجوزاً قد طعنت في السن، وقد أبطأت في النهوض للرحيل، فأتاها راكباً جواده، وهي لا تعرفه، فحثها على الرحيل حذراً من أن يُفتك بها، فقالت: مهلاً! ويحك! ما بالك تأمرني بهذا وشيخنا الشيخ سعدون، فقال لها: لك ما تريدين من المهلة، فبقي بجانبها ينتظر نتيجة أمرها، وإذ كان القتال ناشباً أتاه من جندله صريعاً، فمات. فالله دره من شيخ يحن على أضعف تابعيه!

(٤) الحمولة عند مصطلح العراقيين: الأسرة أو السلالة الشريفة النبيلة النجيبة العريقة النسب، وبعض أهل المدن يقولون بدلها «خاندان»، وهذه فارسية الأصل، والحمولة عربية النجار فصيحة الاستعمال، وهي مأخوذة من السيد الحمول، وهو الكريم العريق الشرف الحمول للعظائم، وقد ذكر هذا المعنى اللغويون في تفسيرهم كلمة خضارم (كعذافر) التي هي من مرادفات الحمول.

(٥) وإليك تتمة نسب آل السعدون: سعدون هو ابن الشريف محمد ابن الشريف شبيب ابن مانع ابن شبيب بن مانع بن مالك بن سعدون بن إبراهيم (الملقب بأحمر العينين) بن كبش بن منصور بن جماز بن شيحا بن هاشم بن قاسم (الملقب بابن فليتة) بن مهنا بن حسن المشهور(بابن أبي عمارة) بن مهنا الأعرج (الملقب بابن أبي هاشم داود) بن قاسم بن عبدالله بن طاهر بن يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وخليفة رسول المسلمين.

(٦) هو غير راشد والد الشيخين: الشيخ ناصر باشا الوزير والشيخ منصور باشا صاحب رتبة روم ايلي بكلربكي، وتسمى اختصاراً

صقر[1]، وغيرهم، وأما الشيخ سعدون المذكور أعلاه رافع شهرة هذه الأسرة، فإنه فرع غصن من أغصان هذه الدوحة الباسقة القنواء.

٢- سنة ولادته وسنوه الأولى:

أما سنة ولادة سعدون باشا (وهو غير الشيخ سعدون، لأن هذا جد ذاك)، فلم أقع عليها بنوع لا ريب فيه، لكني لا أظن أنها قبل عام ١٢٧٠هـ (الموافق لعام ١٨٥٣م)، واتفق أنه لما ترعرع كان قد اضطر أبوه أن يقيم في بغداد، فأخذ الصبي يختلف إلى أحد مكاتب الحكومة، وشرع يدرس مبادئ اللغة التركية، غير أن أحد الطلبة هزأ بقومه وبعروبته، فانقطع عن التردد إلى المكتب، وأبت نفسه العظيمة الأبية أن تقبل الذل والصغار، لا سيما في أمر يحق لها أن تتفاخر به أمام أقوام جميع الديار، فكان ذلك سبباً لامتناعه بتاتاً عن إتمام الدروس التي كان قد همّ بها.

٣- شبابه وكهولته:

ولما شب نال رتبة أمير الأمراء الرفيعة بفضل ما أحرزه من المآثر والمحامد، وبسعي عمه فخر الأسرة السعدونية ومجدها الشيخ ناصر باشا[2]، وذلك دليلاً عما أبرزه من تلبية أمر الحكومة، وحسن الخدمة عند مد سلك البرق في تلك الأرجاء بعد انقطاعه.[3]

روم ايلي.

(١) ويلفظونها بالكاف الفارسية أو الجيم المصرية، وأغلبهم اليوم في جهات البصرة مقيمين في أملاكهم الكثيرة النخيل.

(٢) لم يكن ناصر باشا يومئذ وزيراً، وقد حاز رتبة «مير ميران» العالية الشأن التي لم يكن قد نالها أسلافه بموجب فرمان ورد إلى بغداد مع بريد الآستانة في ٥ ذي الحجة ١٢٨٣هـ (الموافق ١١ نيسان ١٨٦٧م)، وكان قد أودع حسني أفندي ياور الولاية ليوصله إليه، فسلمه إياه في ١٠ ذي الحجة من تلك السنة في «منثر الشويلات» الواقع في منحدر «قلعة سكر»، وهو على الغرّاف على نحو ثلاث ساعات من القلعة المذكورة، والمنثر في اصطلاحهم محل تذخر فيه حاصلات الزروع التي توضع اعتيادياً ضمن أوعية متخذة من البواري، أي من حصر القصب.

(٣) مد سلك البرق مجتازاً ديار المنتفق، محاذياً الفرات غير بعيد عنه في عهد قيم مقامها الشيخ فهد باشا (يومئذ فهد بك)، وأول مفاوضة جرت بهذا الخط بين بغداد والبصرة كانت في غرة رمضان ١٢٨١هـ (الموافقة ٢٨ ك٢ سنة ١٨٦٥م).

ولما أرسلت الحكومة جيشاً بقيادة الرئيس عزت باشا[1] لإذعان وإخضاع أسرة آل سعدون وعشائر المنتفق، وإدخال ديارهم تحت حوزتها الحقيقية، ورفع أدنى تسلط بقي لهم هناك. نشبت الحرب بين الفريقين في أواخر قيظ سنة ١٢٩٧ مالية (الموافقة لأواخر سنة ١٢٩٨هـ و١٨٨١م)، فأصيب سعدون بجرح لعله كان رمزاً إلى مستقبل حياته وطوارئ أيامه.

وكان يقرأ العربية ويكتبها بسهولة عظيمة، ويحسن شيئاً من التركية، وكان ديّناً تقياً سنياً مالكي المذهب، وقد شد الرحال براً قياما بالفرض الواجب عليه وهو حج البيت، فعاد وقد ازداد تمسكاً بالدين، مكباً على مطالعة الأسفار، حافظاً لبعض الأحاديث ولشيء من تاريخ العرب قبل الإسلام، وكان يلقي سمعه لمن يروي الأخبار التاريخية وينشد الشعر والقصيد[2]، وكان يعرف من هذا شيئاً ليس بيسير.

وكان يميل كل الميل إلى الوقوف على ما يتعلق بتاريخ أسلافه ويحفظه، وإذا تولى رواية أخبارهم بنفسه يظن السامع أنه يسمع أحد معاصري أولئك المشاهير المغاوير، وممن كان يروي أخبارهم بتحمس وإباء وتوقد خاطر بعض متقدمي أجداده كالشيخ

(١) وكان مع الجيش المذكور كثير من أعراب عشائر ربيعة وزبيد وبني لام، وعليهم رؤساؤهم يقودونهم.

(٢) القصيد (ويلفظها الأعراب كافاً فارسية أو جيماً مصرية)، وبكسرها كسراً غير بيّن ضرب من النظم على بحر خاص بهم يلهجون به كثيراً وينظمونه على مواضيع مختلفة من حماسة وغزل ومديح وغيرها.

سعدون، والشيخ حمود آل ثامر[1]، والشيخ عقيل[2]، والشيخ عيسى[3]، وغيرهم.

٤- صورته ووصف خَلقه وخُلقه وأمور معيشته:

كان سعدون باشا مربوع القامة. إلى القصر ما هي، نحيف البدن لاشتغال أفكاره بالأمور على الدوام. أسمر اللون، وكان له عينان سوداوان نيرتان وقادتان نجلاوان، متوسط الأنف حسنه. شعره أسود حالك ليس بالكثير الوافر ولا بالقليل المتفرط، وفي

---

(١) هو الشيخ حمود بن ثامر ابن الشيخ سعدون المعروف بحمود الأعمى، وشاخ (أي صار شيخاً أي رئيساً أو أميراً) في ديار المنتفق نحو ٢٠ سنة. ثم كف بصره، واستمر على المسند (المسند وزان مكتب في اصطلاحهم تحت مفروش يعلو الأرض نحو شبر. لا يتجاوز طوله متراً أو متراً ونصف متر في متر واحد عرضاً، ومحاط بما يتكأ عليه، وهو خاص بهذه الشيخة) (بالكسر كالشيوخة والمشيخة عندهم)، (ولا يجوز لغيره أن يتخذه لنفسه، والمسند مجازاً الشيخة) بعد ذلك نحو عشرين سنة أيضاً، فكان مجموع سني شيخته نحو أربعين سنة، وقد جاء ذكر اسم الشيخ حمود المشار إليه في كتاب المؤرخ أحمد راسم بك، واسمه «رسملي وخريطة عثمانلي تاريخي» في الجلد ٤: ١٦٦٥. فقد قال ما تعريبه: «واتفق عبدالله باشا مع الإيرانيين، وذلك عند رؤيته المملوك سعيد بك (أي سعيد بك الكوله من، وهو ابن سلفه سليمان باشا) فاراً إلى جهات المنتفق متصوراً أن بذلك يحصل على منصب قائم مقام الولاية، وبما أن عبد الله باشا كان قد اتهم عبد الرحمن باشا بميله إلى الإيرانيين عزله، لكنه انثنى عن عزمه، فعينه متصرفاً لألوية: «بابان وكو وحرير»، ومع هذا، فإن عبد الله باشا وقع في ما كان يحذره، وذلك أنه لما سار إلى ديار المنتفق قاصداً استئصال شأفة سعيد بك، أخذ حمود الثامر شيخ الخطة المذكورة سعيد بك المومأ إليه عنده، وقابل الباشا بعشرين ألف فارس، وفي أثناء ذلك تراجع جميع المماليك الذين كانوا موجودين في معسكر عبدالله باشا مراجعة خفية بعضهم مع بعض. ثم لحقوا بالمنتفق.

فأسر عبدالله باشا، ولما توفي ابن حمود الثامر الذي جرح في هذا القتال عمد الشيخ حمود فذبح عبد الله باشا وطاهرا كتخدا الباشا، وأرسل برأسيهما إلى سعيد بك، وبعد أن وفق سعيد بك هذا التوفيق دخل بغداد، وشرع يتولى أمورها أولاً بصفة قائممقام. ثم بصفة والي، وقد أتته الولاية من الدولة في سنة ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م).

ثم عاد المؤرخ إلى ذكر حمود الثامر في الص ١٦٩٤ من الكتاب المذكور، فقال ما تعريبه: «ولما علم سعيد باشا بعزله دعا شيخ المنتفق حمود الثامر، فقاوم سعيد باشا داود باشا، وكان عليه الفرمان العالي الشأن، وكان معه خمسة آلاف عسكر من الأهالي والعربان. ولما لم يقدر على تدبير العسكر الذي جمعه أذن للشيخ بالرجوع» اهـ. قلت: والشيخ حمود الثامر مدفون بجانب الكرخ على بعد بضعة كيلومترات من غربي البلدة، وهو معروف اليوم عند العامة «بقبر الشيخ» من باب الشهرة، وهم يريدون قبر الشيخ حمود الثامر، وسوف ينسى العلم، ويبقى ما لا فائدة عظيمة في حفظه، فلا يعرف بعدئذ من هو هذا الشيخ، لأن العوام لا يفيدها الإمعان في الحقائق فتيلا.

(مشرف الخزانة): لاحقاً صحح سركيس هذا الخطأ، وذكر أن القبر يعرف بقبر حمود وليس قبر الشيخ، وهو في تل أسود من نواحي بغداد الغربية.

(٢) هو الشيخ عقيل (عجيل) بن محمد بن ثامر ابن الشيخ سعدون، وهو مدفون في الشمال الغربي من قصبة شطرة المنتفق على تل قليل الارتفاع معروف باسم صبيخ (مصغرة)، واليوم لا يرى لقبره أثر ظاهر.

(٣) هو الشيخ عيسى بن محمد بن ثامر ابن الشيخ سعدون، وقد احترق بينما كان في صريفته (الصريفة بيت يتخذ من القصب والحصر يأوي إليه أغلب أعراب جنوبي العراق) فمات، وعمل لهذه الواقعة تاريخ هو: «الشيخ حريق» يقابله سنة ١٢٥٩هـ (الموافقة لسنة ١٨٤٣م).

أواخر أيامه كان يخضب شعره بالأسود.

وكان يشدّ على رأسه العقال والكوفية، وكان عقاله من جنس عقال «أبي الضبات» (وهو العقال المحكم الشد بين فسحة وفسحة، وهذه الشدة أو الربطة تعرف بالضبة، ومنه هذا الاسم)، وربما كانت كوفيته في الشتاء من جنس الضريب (والضريب من الكوفيات ما كان أرضها صفراء، وهي مخططة بخطوط حمراء وخضراء، وتكون من حرير وقطن)، وكان يبدل في الصيف الكوفية بالياشمق[١] أو اليشماغ أي القناع الأحمر أو بالنيمة[٢].

وكان يلبس من الثياب الزبون[٣] عليه سترى من شعرى أو من كتان في الصيف ومن جوخ في الشتاء، وعلى الزبون والسترى يلبس عباءة الصوف من أي لون كانت في الشتاء، أو من حرير صيني (جيناوي) أبيض، أو من صوف رقيق في الصيف.

وكان يلبس برجله إما النعل وإما الموق (القندرة أو الكندرة) إذا كان في البادية، والموق والجرموق (أي القندرة والكالوش) مع الجوارب إذا دخل المدن، وكان يحب جداً شرب التبغ أو (الدخان).

ولم يكن من طبعه التأنق بالمأكل والمشرب والملبس، وإنما كان يجاري كل قوم في مألوف أمور معيشتهم من باب الحكمة والدهاء والسياسة.

وكان إذا جلس في موضع لا يزال يلتفت إلى كل جهة لتيقظ باله، وانتباه فكره، واشتغال خاطره بما حواليه، واهتمامه بكل ما يقع في جواره من دقائق الأمور وجلائلها، وكان يؤنس جلاسه غاية الإيناس بكل كلام طيب بدون أن يمس ذلك وقاره وسمعته

(١) الياشمق أو اليشماغ عند العراقيين: قناع من القطن الأبيض فيه نقوش مدملكة بارزة تكون من القطن أيضاً، لكن من القطن الأزرق أو الأحمر يتخذ للرأس.

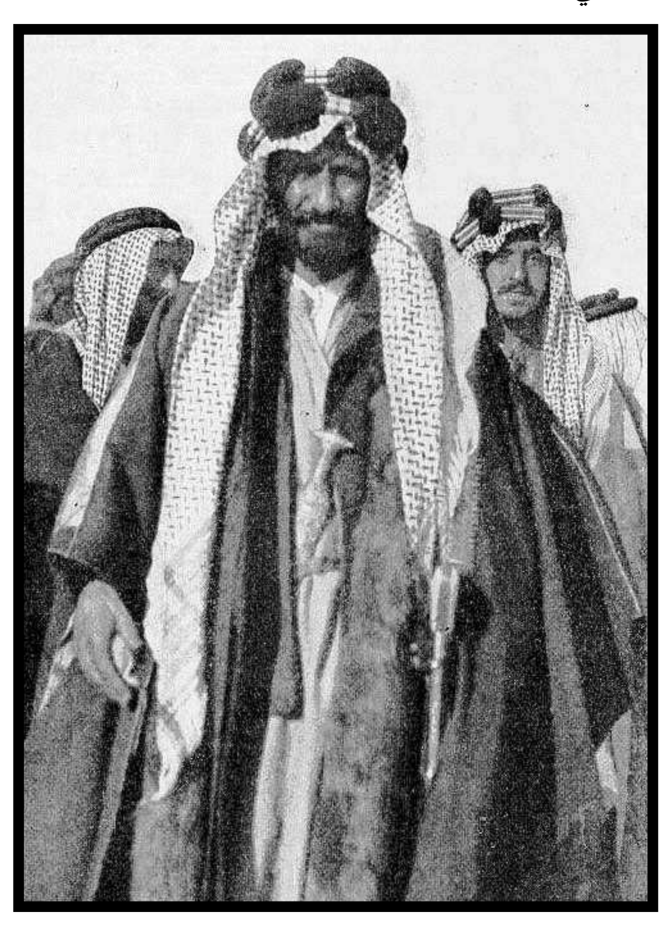
(٢) النيمة: نوع من الخام يطرز بالشعرى، وهو كالأغباني الهندي، والأغباني لفظة تركية تعريف آق آباني، وهو الثيراء بالعربية الفصحى وكلمة «نيمة» تركية فارسية الأصل من نيم ومعناها نصف.

(٣) الزبون عند العراقيين: هو القنباز عند أهل الشام، والقباء عند فصحاء العرب سابقاً.

ورزانته وهيبته، بل يبقى مكرماً مبجلاً في نظرهم، كما يبقى محافظاً على آداب مقامه العالي.

ومن غريب أمره أنك تراه يخاطب كل رجل بما يناسب أشغاله أو مقامه أو بما يعنى به، فمع التاجر تسمعه يتكلم عن التجارة، وشيخ الأعراب عن أعرابه وغزواته، وموظف الحكومة عن شؤونها، والقادم من المدن عما وقع أو يقع فيها إلى آخر ما هناك.

الناصرية: منتفقي.[١]



سعدون باشا السعدون

(١) مجلة لغة العرب، ج١١ من السنة ٢، مايو ١٩١٣م، ص٥٠٤. ومنتفقي لقب للمؤرخ يعقوب سركيس

نظرة في الأحساء

الحساء جمع حسى بالفتح ويكسر: سهل من الأرض يستنقع فيه الماء أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر، وكلما نزحت دلواً جمت أخرى، فتحفر العرب الرمل وتستخرج الماء، والحساء في البوادي كثيرة. منها هذه الأحساء القريبة من البحرين، وقد مصرت وهي على مرحلتين من القطيف إلى الجنوب الغربي، وكان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة بلاد هجر أبو طاهر القرمطي الشهير في التاريخ. لأن تلك الأنحاء كانت بيده، وهي الآن قصبة البلاد المذكورة، وربما أطلق عليها كلها اسم الأحساء.

وإذا أطلقت طائر بصرك على تلك الأرجاء التي تجاورها ترى فيها مواقع ومواضع كثيرة الأنقاض والأطلال والرسوم المندرسة تدلنا على أنها كانت في سابق الزمن مقاماً لطائفة من المجوس عبدة النار، وذلك قبل ألفي سنة من التاريخ الحالي. هذا فضلاً عن أن التاريخ يؤيد هذه الحقيقة تأييداً لا ريب فيه، ولما ظهرت النصرانية كان أهل تلك الديار أول من دان بها، وكذلك قل عن ظهور الإسلام.

قال في سالنامة البصرة سنة ١٣٠٨هـ: وهي أول من أسلم أهلها من قطعات جزيرة العرب، وقال -صلى الله عليه وسلم -(هم وفد عبدالقيس) (مرحباً بالوفد لا خزايا ولا نادمين)، وهي أيضاً أول قطعة أقيمت فيها صلاة الجمعة بعد المدينة المنورة على ما ذكر أهل السير والتواريخ (ص١٧٤). اه.

ثم أنها لم تزل بعد فتوح الإسلام بأيدي عمال عمان والبحرين إلى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، فظهر القرامطة، فاستولوا عليها. ثم أخذت منهم بعد حين، فتداولتها أيدي عمال الولايات المذكورة. ثم استولى عليها بنو زملك زماناً غير يسير. ثم

تلقفتها أيدي العربان والمشايخ، تارة يستقلون بها وطوراً يلحقونها بأملاكهم حتى ظهور الدولة العثمانية.

وفي سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م) في عهد السلطان سليم خان الأول حينما كان سنان باشا والياً على اليمن كانت الأحساء وما جاورها من الديار تحت إدارة الدولة العثمانية، وكانت داخلة في الولاية اليمانية، وفي سنة ٩٦٤هـ (١٥٥٧م) استقلت إدارتها تحت ولاية محمد باشا. ثم لما ظهرت الوهابية، وكانت الدولة يومئذ في شغل شاغل عنها لكثرة ما كانت تأتيها من المحاربات والوقائع مع أعدائها، احتل الوهابيون تلك الأصقاع، وامتلكوها عنوة.

ولما بلغ الدولة العلية خبر احتلالها أرسلت عساكر من بغداد ومن المنتفق ليزحفوا على الوهابيين الموجودين في الرياض، وكذلك أيضاً استنفرت المصريين، فاندفعوا عليهم كالسيل الجارف، إلا أن بعد المسافة وقلة المياه وصعوبة ثقل المؤونة والذخيرة اللازمة لهذا الجيش اللهام أوجبت ترك تلك الديار بعد وقائع عديدة ومهاوشات جمة، واجتزأت الدولة بوضع قيم مقام يرأس تلك الأرجاء، وله اليد العليا على زعماء قبائلها.

وفي سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) ثار النجديون ثورة عظيمة، فوقع الشقاق بين آل سعود، فراجعوا مجلس ولاية بغداد، وكان حاكمها يومئذ مدحت باشا. ثم أمر فأنشأ لجنة متفومة من أماثل بغداد والبصرة، فسار هذا الجمع العظيم حتى وصل القطيف، ففتحها الجند بدون ممانعة. ثم فتحوا الأحساء بعد حصار قليل المدة، وعقبها فتح سائر المواضع والأمكنة، وأخذ العلم العثماني يخفق بسرور على الخطة كلها جمعاء، وأطلق عليها اسم لواء نجد تغليباً أو تفاؤلاً بفتحها كلها. إذ نجد هي من أوسع بلاد العرب، ولا تكون الأحساء بالنسبة إليها إلا شيئاً زهيداً.

وممن كان له الفضل العظيم في هذه الفتوحات مشايخ الكويت وأهاليها. إذ ساعدوا المنتمين إلى الدولة أعظم المساعدة، فإن مبارك الصباح الشيخ الحالي قاد بنفسه جيشاً عرمرماً من الكويت وعشائرها، وزحف على الأحساء من طريق البر، وأما الشيخ

عبدالله الصباح المتوفى اليوم فإنه رافق القائد العثماني بحراً، وعلى هذا الوجه جاءهم النصر المبين. على أن الأعراب لم يدعوا أبناء الدولة العثمانية في راحة وطمأنينة، فإنهم هاجموهم مراراً عديدة، وأذاقوهم الأمرّين، وحاصروهم وضيقوا عليهم من كل جانب، ونهبوا أموالهم، وقتلوا جماً غفيراً من العساكر في الطريق الواقع بين الميناء والمدينة.

وفي سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) ثار هذا اللواء ثورة أخرى، فأنفذ رديف باشا والي بغداد يومئذ ناصر باشا السعدون شيخ المنتفق الأكبر سابقاً ليقوّم أود هؤلاء الأعراب، فركب البحر ناصر باشا ومعه الشيخ بزيع العريعر ابن حاكم الأحساء سابقاً زاحفين بجيش جرار على الثائرين، بينما كان مزيد السعدون ابن ناصر باشا المذكور يسير نحوهم، وهو يقود ١٠ آلاف فارس من المنتفق، ومعهم ألف بعير يحمل المؤونة والذخيرة.

فتلاقى الجمعان عند أبواب الأحساء هفوف، فهاجم المنتفق الأعداء الثائرين، وأنقذوا الحامية العثمانية التي كان الأهلون قد أسروها، وبعد أن أطفئوا جذوة النار المتقدة أتم الإطفاء رجعوا إلى الناصرية بعد أن قاموا هناك الشيخ بزيع العريعر متصرفاً للواء نجد.

وما كادت بضعة أشهر تمضي إلا ونشبت نار الفتنة من جديد، لأن أعراب الأحساء وما جاورها أرادوا أن ينتقموا مما لحقهم من الانكسار. إذ خضد شوكتهم جند الحكومة وأعراب المنتفق، فزحف ناصر باشا من جديد ومعه ابنه مزيد، فتم لهما مرة ثانية الاستيلاء على الأحساء، ونكلوا بالأهالي أشد التنكيل، فكان ذلك مدعاة لسكوتهم مدة سنين طويلة.

ولما فل غرار الشيخ بزيع العريعر عين مزيد السعدون ابن ناصر باشا متصرفاً للواء بدلاً من السابق ذكره، وفي سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) كان مزيد في ذلك اللواء لما فصلت البصرة عن ولاية بغداد، وعقد بها لواء نجد، فأصبحت ولاية البصرة مستقلة عن أمها بغداد، وعين والياً لها ناصر باشا، وكان قد رقى في عودته الأولى من زحفة الأحساء سنة ١٨٦٨م رتبة ميرميران، لأنه أظهر في تلك الأثناء من الإباء وعظم النفس ما لا

مثيل له إلا في سابق العهد. إذ إن الباب العالي أهداه عشرة آلاف ليرة (أي ٢٣٠,٠٠٠ فرنك) مكافأة له على أتعابه وعلى النفقات التي بذلها في تلك الزحفة، فأبت نفسه الكريمة الكبيرة أخذ المبلغ، وأبقاه للدولة، ولو كان أخذه لكان حطه عن شاهق. إذ لم يكن إلا جزءاً زهيداً مما أنفقه في هذا السبيل من النفقات الباهظة الفاحشة.

وبقيت الأمور تجري في أعنتها حتى كانت سنة ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م)، فاضطرب حبل الأمن، فعينت الدولة السيد طالب بك نقيب أشراف البصرة متصرفاً للواء المذكور، فما كاد يلقى فيه عصاه إلا وفك الحصار عن الأحساء، وأدّب العشائر، وأمّن الطرق، فانقادت له رؤساء الأعراب طائعة إياه بعد أن شاهدت ما له من شدة العزم والحزم وقوة البأس والمراس، وبعد أن استعفى وتوجه إلى الآستانة، استحسنت الدولة أن تزيد القوة العسكرية في تلك الديار، فأنفذت إليها أربعة طوابير زيادة لما كان فيها، ولكن سليمان نظيف بك والي البصرة استصوب استدعاء معظم هذه القوة، وأبقى طائفة قليلة منهم لا تكفي لحفظ الراحة في البلاد، فأثار هذا الأمر طمعاً في صدر عبدالعزيز السعود، وأخذ يترقب الفرص حتى تيسرت له في هذه الأيام، فهجم بخيله ورجله في نحو منتصف أيار على مدينة الأحساء، واستولى عليها بعد مقاومة قليلة قتل فيها نحو ٢٥ جندياً، وبعد ذلك أرسل محاربين إلى القطيف أيضاً فاستولى عليها، وأصبحت من دياره.

قالت الدستور التي نقلنا عنها هذه العبارة الأخيرة بتصرف قليل: نشرنا (هذه الأخبار) آسفين على أن العلم العثماني قد طوى من الخليج الفارسي، ولم يبق للدولة العثمانية مقدار شبر من الأرض على ضفافه، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وجاء في عددها ٥٧ ما مؤداه: أن العساكر العثمانية الموجودة في الأحساء والقطيف تبلغ أربعمائة نفر، منهم ٩٠ في القطيف، والباقي في مدينة الأحساء وضواحيها، وقد اجتمعت هذه القوة الآن في مركب (جانسكات) الراسي في ميناء البحرين منتظرة المدد من البصرة، وأصبحت حالة الجنود سيئة للغاية لقلة الماء واشتداد الحر وضيق الباخرة التي تحملهم، وقالت: إن عبدالعزيز السعود طلب من قائم مقام قطر الشيخ قاسم ابن ثاني طرد العساكر العثمانية التي عنده، فلم يوافق على ذلك، وقد قدم البصرة أغلب

موظفي الحكومة الملكيين في الأحساء والقطيف!

وقد ذكرت الرياض في عددها ١٦١: أن الذين احتلوا القطيف اعتدوا كثيراً على أهاليها، فأمر الأمير فيها (عبدالله بن جلوي) الذي كان أميراً في القصيم سابقاً، فساد الأمن بعد ذلك.[١]

(١) مجلة لغة العرب، المجلد ٢، ص٥٠٤.

البطائح الحالية

ماضي البطائح الحالية:

كانت قبل الإسلام أرضين تزرع متصلة بأرض العرب، ومن جيرانها بنو العنبر وباهلة ويشكر، ومتصلة بميسان، وكانت ذات مدائن وقرى معمورة في زمن الفرس أولاً وفي العهد العربي أخيراً، فكانت (طهيثا) مدينة كبيرة في أول البطائح، وكانت (باذاورد) مدينة في آخرها، وقد يتراءى للعابرين آثار بقايا عمارة في بطن البطائح وتحت الماء، وذلك زمن ركود الماء وصفائه، فيعلم أنها كانت عامرة في الزمن الغابر.

وقد كانت السفن الكبار التي تنفذ من دجلة البصرة تجنح قريباً من مدينة (طهيثا)، ويحمل ما فيها بالزوارق كما هو جار في هذا العهد في البطائح اليوم، واسمه عند النوتية (جواية)، فكانت الزوارق تسير في مآزق من القصب حتى تنتهي إلى موضع ليس فيه قصب، ويسمونه في القديم (الهول)، وكانوا يتخذون بين هذه المآزق مواضع من القصب، وهي أشباه الدكاكين عليها خصاص وأكواخ يكتلون فيها من البق والهوام، وهذه تسمى اليوم كبائش، (وتلفظ چبايش بالجيم المثلثة الفارسية).

وكانت البطائح في أول عهد الإسلام والعرب آجاماً وأحراجاً، فدخلها آباؤنا يقتلعون القصب، ويزرعون في مكانه الأرز الطيب، وأول من قلع القصب وغلب الماء بالمسنيات واستغل تلك الأرض هو عبدالله بن دراج مولى معاوية.

وقف العربي ابن الغدير والرمال على البطائح، وهي خور واسع ومنخفض رحب يستنقع فيها الماء المسيب، فيسبب غمقاً ووبالة ومغايض وآجاماً يكثر فيها القصب المشتبك بعضه ببعض، وهناك الأحراج الملتفة يتخللها خروق عميقة مظلمة كلها

صهاريج من قصب أو أروقة اختبأ فيها الليل الدامس تسمعك نغيط البط ونقيق الضفادع وجحف التيار، وتشغلك فيه صفقة البق وحكة الجرجس. أرض نز، ودور تهتز، وهواء كدر غليظ، وماء سخن زعاق، آجام تكمن فيها الأسود، وغياض تمرح فيها الخنازير، ومناقع تنساب فيها الأفعى، لا مبرك فيها، ولا مسلك ماء وبئ، ومناخ خسيس يهولك منه دوي الهوام وصرير الجدجد. تتوسطها تلول هادئة ساكنة لا تعبأ بطوارئ الزمن، ولا تخضع لعواصف الرياح، وما هي إلّاَ صناديق عبر.

هذا هو تاريخ هذه البطائح التي تسلمها العربي، فأنهضها صآصئ منيعة، وجلب لها الأكرة والمزارعين، فلقد أصبحت دساكر وضياعاً. بل آطاماً بعد أن كانت آجاماً. غدت عقود القصب مروج الذهب.

ولما استقرت الدولة الإسلامية في العراق أصبح صقعه قراحاً مخلصاً للزرع، وكثرت فيه السواعد والخلجان، وتفرعت فيه السواقي والرواضع، فكان للبطائح الحظ الأوفر لهذا الأمر الجلل، فتقدمت في الزهو والعمارة، ودخل إليها العمّال بالسفن، وأوغلوا في المواضع المنيعة، فانتزعوا منها الأدغال والقصب، وأنبتوا بمكانها الأرز، ولا يزال معمرو هذه البلاد يذكرون ما شاهدوا من بقايا منابت الأرز، وخطط دياره المعروفة، وأثرها اليوم ظاهر في الحفائر والمنخفضات، وكانت في إبان الدولة الأموية قد بلغت الشأو الأعلى، وجرت الشوط الأبعد، وبقيت البطائح كورة عامرة، فتسعد أهلها إلى عهد الديالمة من الأيوبية، فأهمل أمرها قليلاً، فأنفدت عمائرها، ووهى شأنها، وتغلب عليها قوم اتخذوا المياه معاقل حصينة لهم، فتجرد من في تلك الأرض على السلطان، وعلى هذا بقيت في عهد آل بويه وكذلك في عهد السلجوقيين.

ولما انتعش بنو العباس عادت إلى حالها الحسن، وكبرت فيها الجباية كما كانت في القديم، وذكر حفيد الصابئ في كتاب (الوزراء) عمران البطيحة بخراب بغداد. قال في حوادث سنة ٣٩٢هـ: لا جرم أن البلد (يعني به بغداد) خرب، وانتقل أكثر أهله عنه، فمنهم من مضى إلى البطيحة، ومنهم من اعتصم بباب الأزج، ومنهم من بعُد إلى عكبراء والأنبار، وفي هذه السنة مضى أبو نصر بن سابور الوزير إلى البطيحة، وذكر

غير الصابئ أن البغاددة تكاثروا في البطائح، وأكثروا فيها المباني والقصور. ثم في أوائل القرن الثامن أخذت البطائح بالانتقاض، واشتعلت بمشبوبات الفتن، وابتدأت بتاريخ السقوط والانحطاط، فتنازع أمرها الثوار وعصاة القبائل، ولعبت دوراً مهماً في زمن انفصال البصرة عن حكومة بغداد، والتهمتها ثورة المشعشعين، وشملتها إمارة آل راشد في البصرة، ولم تزل مشوشة مرتبكة إلى القرن الثاني عشر، فتقدمت إلى التجدد لما حصل فيها من النشوف والجفاف، فقام عمرانها الحاضر على أيدي أمرائها من آل سعدون، فقد وسعوا فيها الجزائر بواسطة السدود والسكور، وخطوا فيها مدينة سوق الشيوخ والناصرية والشطرة، وبمساعدتهم اختط النجدي ابن خميس بلدة الخميسية.

حاضر البطائح:

تقدم أن دجلة بعد أن انقطعت عن واسط استقامت جارية بينها وبين المذار مارة بكوت الإمارة، فانحسر الماء عن كثير من بقاعها، وظهرت الأرضون الجافة، وعمرت ومصرت، فأصبحت حواضر ومزارع، فالقسم المهم من البطائح اليوم سهل منخفض يبتدئ من طلول واسط، وينتهي إلى ضفاف الفرات الأسفل تحت ناصرية المنتفق، ولكن لا تزال أرض الغالب منها ندية أو نزة، إلا أن آجامها الشهيرة أصبحت أثراً بعد عين، فليس هي إلا كورة عامرة وتمصيرها. هذا حديث العهد لا يتعدى قرناً واحداً.

وقد بقيت هذه البطائح حتى اليوم حريصة على عنوانها الأول، فكثيراً ما تسمع من أهل تلك الأنحاء لفظة هور وهويرة وبطيحة، وهي مراتع ومزارع. هذا شأن ما انكشف من البطائح. أما البقية الباقية فهي على قديمها مغايض وآجام، ولكن المأمول أن تتحسن الحال فتصبح حرثاً ومباني. لأن الزراعة إذا تقدمت في العراق، واستخدم الفلاح العراقي الفن والآلات العصرية في حرث الأرضين وسقيها لا تبقى أهوار فيه كما لا تبقى فيه جزيرة، فيكون هذا الماء المتبطح ريعاً لتلك الجزائر التي منها: (جزيرة الرفاعي، وجزيرة البغيلة، وجزيرة الكار، وجزيرة الأبيض).

وقبل سنوات خط المصلح الكبير ولكوكس الإنكليزي مشروعاً زراعياً لو عمل به

لما كان في العراق هور ولا جزيرة، فلقد أشار بإقامة أربعة سدود كبيرة على الفرات، لم يتم منها إلّا واحد وبقيت ثلاثة، وقد نفع هذا السد، وأحيا مواتاً كثيراً.

وكان من خطته إنشاء سد كبير على دجلة وخزان للفرات وخزان لدجلة وكري الأنهار والترع القديمة الموجودة هناك، على أن الفرات لكثرة ما حمل تدافع جريه إلى الأمام، وأخذ يتخذ له مجرى أو مسيلاً جديداً. ثم اشتد خوره بتطاول الزمن حتى حفر له وادياً في وسط البطائح، وأخذ الماء يغور فيه والأرض تنكشف، لأن الماء يهبط في ذلك الخور، والمارة اليوم تشاهد في وقت الجفاف سيفاً أو جرفاً أخذ يبدو في بطائح الفرات، وهذا غير (نهر الشافي) القديم، فقد ظهرت اليوم ضفتاه أيضاً كأنه يريد أن ينعزل من البطائح بعد أن اندمج فيها زمناً طويلاً، وها هو ذا تظاهر بطلب الاستقلال، وبما أن البطائح كلها أو جلها أصبحت غرساً ومزرعة يستنبت فيها الأرز والنخل السحوق، فلا بد أن يكون هذا سبباً لارتفاع المنخفضات كما حصل ذلك في أكثر بقاع الأرض، وأهم المواضع التي بقيت حتى الآن بطائح (برق الحمّار) حيث تجتمع هناك مياه دجلة والفرات من عدة منافذ وشعب، فتصبح أهواراً متصلة بعضها ببعض حتى تبلغ مبدأ شط العرب. أما منافذ الفرات وشعبه، فإنها تبتدئ من سوق الشيوخ إلى أن يدفع الفرات في الحمّار، ولا يحفظ عموداً بيّنا.

وإليك أسماء تلك الأنهار التي (تتشاطر الفرات من ثلاث جهات سوق الشيوخ). أما الرابعة من جهاته فمتصلة بالبادية بعدة أنهار:

١- قرمة النواشي. ٢- أم الطبول. ٣- العتيبة. ٤- الطليعة. ٥- الأصيبح. ٦- الكرماشية. ٧- أم نخلة، وهي مجرى الفرات القديم، ولكنه اندرس لتشعب الأنهار الكثيرة منه، ولأم نخلة جداول كثيرة أحصي منها سبعة، وهي المهمة: ١- الرحمانية. ٢- الرميحية. ٣- الزيادية. ٤- الناطور. ٥- الماريقاوية قرية بني سعيد. ٦- نهر المؤمنين. ٧- أم شكّات (بتشديد الكاف) المثلاوية.

هذه كل شعب الفرات إلى الحمّار. أما دجلة فتصب فيه من جهات أهمها: العمود

وهو نهر ميسان أو نهر العمارة، ومنها نهر الغرّاف وهذا يصب فيه من بز البدعة، واليوم في الحمّار ظهور كثيرة مغروسة ومأهولة، وأكثرها سدود ومحمولة، وچبايش، فكأن تلك البطيحة بحر ملؤه الجزائر.

علي الشرقي[1]

(١) مجلة لغة العرب، شباط ١٩٢٧م، ص٤٧٤.

الكبائش أو الچبايش

نظراً إلى نتائج تدقيقات علماء الأثريات ثبت أن بلاد العراق (ما بين النهرين) تكاد تكون في تاريخها وأثريتها أغنى بقعة وجدت على وجه البسيطة، فضلاً عن أنها منبع الحقائق ومهد الحضارة، والذي يقلّب صفحات التاريخ اليوم يتضح له جلياً أن كل أمة لا بد من أن تنسب إلى هذه المملكة ولو من بعيد، ولو أردنا أن نتعمق في هذا البحث مع ما علينا من جهل ما في بطونها من دفائن أمم وإمارات وبلاد أخفى عليها الدهر لأسباب تختلف حوادثها، لدخلنا في مواضيع كثيرة وحوادث مهمة، ولاضطررنا إلى تحبير عدة صفحات من هذه المجلة.

وهذه الكبائش التي لا يعرفها تسعة أعشار العراقيين كانت بلدة مهمة في أيام العباسيين غنية بمواردها الاقتصادية، وآهلة بعشرات الألوف من السكان، لأنها كانت من البلاد التي تدر على الخزينة بكثير من المال، خصوصاً من إتاء الثمار، وأخصها العنب والزبيب، وقد كانت تعرف بـ (البطائح) يومئذ. ثم حمل عليها الدهر الخؤون حملة شعواء، وأطلق فيها يد التدمير والتخريب حتى أصبحت أثراً بعد عين، حينما اتجهت إليها مياه دجلة والفرات، فغمرتها وتركتها أراضي تتلاعب بها المياه من جميع جهاتها، ونظراً إلى قرب المصاب منها، ووصول الرمال التي تحملها المياه إلى مستقرها أصبح من المنتظر عمرانها بصورة عامة، ولا سيما لأن الهمة مبذولة في الوقت الحاضر لأجل إصلاحها.

ورب مستغرب يستغرب هذا الاسم (الكبائش)، فنقول إن كلمة الكبائش أو الجبايش كما تلفظها العامة عربية الأصل محرفة عن كبيسة بأسباب ما طرأ على اللغة من التغييرات الناشئة من احتكاك العرب بالأعاجم وغيرها، والكبيسة مشتقة من

(الكبس)، وهو في الأصل الضغط، والكبس عندنا العراقيين الزرع الذي يبذر في أرض دخلها ماء فيضان النهر أو ماء فيه غريل كثير، فيرسب على وجهها راسب يصلح لزرع بعض النباتات التي تكتفي بهذا الماء من غير أن تحتاج إلى مياه الأمطار ومياه الأنهار، كالسمسم والذرة (الإذرة) والهرطمان وغيرها، ويسمون هذا الزرع بالكباسي، وتلفظ كافها كالجيم المثلثة الفارسية، وكان العرب سلفنا يسمون هذا الزرع باللحق (وزان سبب). قال اللغويون: اللحق واحد الألحاق، وهي مواضع من الوادي ينضب عنها الماء فيلقى فيها البذر. اه، وأشهر هذه الكبائش (برق الحمّار).

وقضاء الكبائش من الأقضية التي أنشئت حديثاً بالمعنى الصحيح، ونقول بالمعنى الصحيح لأنه لم تتسلط الحكومة السابقة على إنشاء هذا القضاء بالمعنى الحقيقي، وأسباب ذلك ترجع إلى قصر نظر رجال تلك الحكومة، وعدم اهتمام أربابها القابضين على زمام الأمور آنئذ بما يجب اتخاذه من وسائل العمران والتهذيب ونشر ألوية السلام، فقد كان هذا القضاء محفوفاً مرهباً بأمرائه وعشائره الذين خوّلتهم ظروف المحيط وأحواله الطبيعية أن يتمكنوا من العصيان، ولم يكن في مقدرة الحكومة أن تسير قافلة من هناك ما لم تصحبها بالسيار اللائق (المرافق) حتى أنها كانت تستميل الرؤساء إلى جانبها حينما تريد أن تسير قوة ما.

فلهذه الأسباب بقي هذا المحيط مجهولاً، وبقي أمراؤه لقاحاً إلى أن ارتكزت أقدام حكومة جلالة ملكنا المعظم سنة ١٩٢٤ -١٩٢٥م، فتنفست المدينة الصعداء، وعمرت الحكومة دارا ضخمة لها كلفتها نحو ٢٣٨,٠٠٠ ربية، والآن تسير الحركة العمرانية فيها سيراً محسوساً، وقد شيدت الحكومة أيضا مدرسة أولية هناك لا بأس بها، إلا أنها على رقي متواصل.

يحد قضاء الكبائش من الشمال حدود لواء العمارة، ومن الشرق ناحية المدينة التابعة لقضاء القرنة من أعمال البصرة، ومن الغرب والجنوب قضاء سوق الشيوخ التابع للواء المنتفق، وتقدر وارداته السنوية بأكثر من ٢٠٠,٠٠٠ ربية. أما نفوسه فتبلغ نحو ٢٣٠,٠٠٠ نسمة، وأهم خرجه القصب والبردي والسمك والشلب (الرز بقشره)

والذرة.

والكبائش مجموعة عرائش فوق جزر كثيرة يفصل المياه أبنيتها، وإنك لا تستطيع أن تجد اكثر من عريشة واحدة فوق جزيرة واحدة في ذلك المستنقع الجسيم، ولا بد لكل عريشة من مشحوف (بلم صغير أو زورق) يركب فيه أصحابه لابتياع اللحم أو الخضراوات وسائر الحاجيات من الحوانيت القائمة فوق تلك الجزر بصورة متفرقة. إذ لا يمكن تشييد المنازل الحجرية فوق أرض الكبائش. إن سراي الحكومة (صرحها) المبني من الآجر على آخر طرز صحي، فالفضل فيه يعود إلى مالك هذه الأراضي قبل هذا الشيخ سالم الخيون، لأنه سبق فأقام له بيتاً من حجر في هذه البقعة بعد أن صرف الألوف من الربيات على كبسها، وفرشها بالتراب.

هذه نبذة مختصرة نقدمها إلى حضرات القراء الكرام عن قضاء الكبائش الذي لا يعرفه معظم العراقيين كما أسلفنا. ذلك عسى أن تكون فيا فائدة.

السيد عبدالرزاق الحسني

صفحة من تاريخ البصرة والمنتفق

من رحلة للمستر توماس هوويل البريطاني خلال سنة ١٧٨٧ -١٧٨٨م:

للتاريخ نفع لا يجهله الكثيرون، ولذة لمن لهم ميل إلى الوقوف على أخبار من سلف، وأهم غايات التاريخ الانتفاع من التجارب التي سجلتها الأيام المطوية على صحائفها الخالدة، ويقضي الواجب علة المؤرخ أن ينتقي صدق الروايات مما دونه كتبة الوقائع، مميزاً منها الغث من السمين، ولا مشاحة في أن هؤلاء المدونين يختلفون في أذواقهم ومشاربهم وآرائهم، فمنهم من يسيطر على قلمه، فيملي عليه ما تهواه نفسه غير مكترث للحق، ومنهم من يكتب ما يوحيه إليه ضميره وهو على غير هدى، ومنهم من لا يسطر شيئاً إلا قد تروّى ملياً في الأمر وتبصّر فيه وسبر غوره، فيتوخى الواقع غير هياب ولا وجل.

إن مصادر تاريخ العراق للقرن الثامن عشر قليلة، فرأيت أن أضيف إليها تعريب صفحة جاءت تنبئنا عن حالة البصرة في إحدى سني الربع الأخير من ذلك القرن الغابر حينما استولى عليها ثويني العبدالله المعروف بأبي قريحة (بالتصغير والتأنيث)[١]، تاركاً للمؤرخ المنصف أن يتحرى أصدق المآخذ، مؤيداً رأي هذا ومزيفاً فكر ذاك، وهو ما يطلبه التاريخ الحق.

وقبل أن أقدم على التعريب لا بد لي من إبداء كلمات وجيزة للتعريف بزعيم المنتفق

(١) هي ابنته، وأصلها قريحاء تصغير قرحاء، وفي المنتفق في الغرّاف أرض اسمها (الأقرح)، وأخرى اسمها تل قرحة (تل قرحا)، ولابد من أن اسم (قريحة) مأخوذ من المعنى الفصيح، ويظهر أنهم أرادوا بقرحا بيضاء أو ما ضاهى هذا المعنى.

الشيخ ثويني العبدالله المحمد المانع، ومحمد هذا هو أبو سعدون الذي تعرف به اليوم الحمولة السعدونية الشهيرة التي كان آباؤها يسمون بـ (آل شبيب) قبل عصر سعدون ونبوغه، وما شبيب إلّا أحد الجدود الأعلين ذوي الشرف الباذخ والسؤدد العزيز، فثويني إذن هو من آل شبيب، وهو ابن أخي سعدون، وقد ابتدأت زعامته للمرة الأولى سنة ١١٩٣هـ (١٧٧٩م) على أثر قتل الخزاعل (خزاعة) ثامر ابن عمه سعدون[1]، وليست تسمية آل شبيب بغريبة عنا، بل هي معروفة في عهدنا هذا أيضاً، وهي تطلق على أقرباء آل سعدون الذين يمتون إليهم بشبيب.

وبعد هذا التمهيد أعود إلى صاحب الرحلة، وهو من موظفي شركة الهند الشرقية، وكان في البصرة في شباط سنة ١٧٨٨م (١٢٠٣هـ)، أي بعد الواقعة ببضعة أشهر فقط، وقد قال ما تعريبه:

(لم تبق تجارة البصرة زاهية كما كانت عليه قبلاً. لكنها لا تزال المخزن التجاري الأهم في هذه الأصقاع، فيثري التاجر فيها، وأما حاكمها فهو تركي[2]، وسكانها عرب، وقد توطنتها أسر تركية وأرمنية.

وكان الشيخ ثويني –الشيخ العربي القدير –قد استولى على هذه الحاضرة في سنة ١٧٨٧م (١٢٠٢هـ) بتدابيره الصائبة، ففاجأ حاميتها، واحتل المدينة بدون مقاومة، والأمر الذي يجب توجيه النظر إليه أنه لم يصب إذ ذاك أحد من سكانها بإهانة، ولم يتجاوز أحد على مال لأحدهم، ولم يطلب الشيخ من سكانها غرامة حربية، وبعد إن استولت جيوش الشيخ بنصف ساعة عادت شؤون الناس تجري بانتظام لا يشوبه ما يخل به، فكأنه لم يقع هناك حادث يفوق العادة.[3]

(١) كتاب (دوحة الزوراء) بالتركية وهو في تاريخ العراق، ومؤلفه رسول أفندي حاوي ابن الملا يعقوب الماهوني الأصل، وتجد ترجمته في جريدة (العرب) البغدادية في عددها الـ ٢٨ المؤرخ في ٣ أيلول سنة ١٩١٧م، وكانت وفاته سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م).

(٢) كان متسلمها إبراهيم أفندي (دوحة الوزراء في وقائع سنة ١٢٠١هـ (١٧٨٦م))، وفي مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود: إبراهيم بك، والأصل لابن سند منه نسخة مخطوطة في خزانة كتب جامع مرجان، والمختصر لأمين بن حسن الحلواني طبع في بومبي سنة ١٣٠٤هـ.

(٣) جاء ذكر الواقعة في (دوحة الوزراء)، وجاء في رسالة تجارية مرسلة من البصرة معاصرة لهذه الحوادث أن ثويني استولى على

إن الشعوب الممعنة في المدينة والعلم لتغبط هذه الحالة الداعية إلى الشرف، وهي ترينا أنه مع ما عليه الأعراب من ميلهم إلى السلب والنهب، فإن لهم أنظمة ودساتير تبعث بهم إلى حب السلام. رائدها الطاعة القصوى لرئيسهم، وهو روح النظام العسكري.

أما الشيخ فهو كهل[(١)] شجاع باسل ذو إقدام على العمل. قلّ من يفوقه، وهو عزيز لدى وطنييه لحسن تبصره في الأمور، وتوقد ذهنه، وجنوحه إلى جانب الحق، ولاعتداله الذي يتمشى عليه في شؤون إمارته، ولقد جعلته هذه الصفات محترماً عند الناس كافة.

دام حكم الشيخ في البصرة ثلاثة أشهر. ثم علم أن باشا بغداد[(٢)] -وهو متبوع الشيخ في تأدية الضريبة -كان قد قدم لمحاربته بجيش قوامه ستة آلاف جندي، فجمع الشيخ قواه، واتجه بها إلى شواطئ الفرات ليقابل عدوه، فالتقى الجيشان هناك على بعد من البصرة، واشتبك القتال واستمر بين الفريقين، ولم تنجل النتيجة الحاسمة بادئ بدء بل باتت أخيرا بجانب الأتراك، وانفل العرب، ففر الشيخ البائس يتبعه بعض ذويه، وقد نجوا من ملحمة النهار. ثم خطب الشيخ ود الباشا مستميلاً إياه، وطلب إليه المعذرة عما صدر منه، ولكن الباشا رفض طلبه، وأقام مقامه (شيخاً) غيره.[(٣)]

أجل. أزال حكم ثويني من البصرة، ولكنه بقي يرأس عشيرة كبيرة تبذل نفسها لخدمته خدمة نصوحاً لحبها إياه وشغفها به، ولا يبعد أن يصبح عدو الباشا الأزرق إن لم يعده الباشا إلى منصبه). اه.

مر الرحالة بالعراق قافلاً من الهند، ووجهته لندن، فوصل إليها، وألقى عصا

البصرة في آيار سنة ١٧٨٧م (١٢٠٢هـ). ثم قدم والي بغداد فاسترجعها منه في آب من تلك السنة.

(١) الكهل في اللغة هو من بلغ الأربعين. (مشرف الخزانة)

(٢) سليمان باشا (دوحة الوزراء) وتاريخ جودت٤: ١٠١.

(٣) هو حمود الثامر السعدون (دوحة الوزراء).

الترحال فيها ثم نشر رحلته، وفي مطاويها كلمته الأخيرة عن الشيخ ثويني. ثم جاءت الوقائع مصداقاً لما ارتآه. إذ اضطر والي بغداد سليمان باشا وهو في أحرج المواقف إلى إعادة الشيخ ثويني إلى منصبه للمرة الثالثة ليستعين به على محاربة الوهابي، فتربع الشيخ على مسند الحكم[1]، ورحل إلى أنحاء نجد للإيقاع بالعدو.

لكن عبداً اسمه طعيس[2] (بالتصغير)، وهو من عبيد جبور بني خالد، اغتاله هناك في موضع اسمه الشباك (وهو ماء في ديرة بني خالد)[3] في اليوم الرابع من المحرم سنة ١٢١٢هـ (١٧٩٧م)، وقتل القاتل في ساعته، وهو ينتمي إلى الوهابيين، وقد جرت قضيته مذ ذاك مثالاً يضرب به عند المنتفق فيقولون: (باع بيعة طعيس). يريدون بها أنه صمم على الأمر، ولا يرجع عنه ولو يعقبه الموت الزؤام، ويقال أن قبر ثويني معروف في تلك الأنحاء.

يعقوب نعوم سركيس[4]

---

(١) وصفته في هذه المجلة ٢: ٥٠٧.

(٢) الطعس: التل من الرمل، ولعلها تصحيف الدعص الفصيحة.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد (١: ٧٥)، ودوحة الوزراء ومختصر مطالع السعود، ويسمى بعضهم الشباك كأنها جمع (الشبكة)، ويلفظونها بإسكان الشين وياء مبهمة الحركة، وكان ينطق بها كالجيم الفارسية المثلثة وفي الآخر هاء، وذكر معجم البلدان لياقوت عدة مياه بهذا الاسم ونسبها، والشبكة الآبار المتقاربة.

(٤) مجلة لغة العرب، ج٩، س٤، آذار ١٩٢٧م، ص٥١٠.

مشيخة آل سعدون في المنتفق وسبب انحلالها

كانت حمولة آل شبيب القرشيين الهاشميين العلويين[1] تتناوب أعضاؤها منذ أمد بعيد على إدارة شؤون ديرة[2] المتفق المترامية الأطراف. ثم نبغ في أحفاد شبيب (سعدون المحمد المانع وأخوه عبدالله) في منتصف القرن الثامن عشر، وقد تخللت تلك الحقبة مشيخة[3] منيخر[4] (بالتصغير) من آل صقر، وبندر من آل عزيز -ولعل غيرهما -في فترات قصيرة لا يعبأ بها، وجميعهم من آل شبيب.

ومن بعد سعدون وعبدالله كانت الحكومة العثمانية تسند المشيخة تارة إلى ثامر آل سعدون، وطوراً إلى ثويني العبدالله، ومن بعد ثامر إلى ثويني وحمود حسبما تدعوه إليها مصلحتها، وجاء أن الحكومة أسندت المشيخة مرة إلى نجم أخي ثويني، ولم يستقم فيها، ولم تفتأ أخيراً الحكومة من إسناد المشيخة إلى أحفاد ثامر دون غيرهم.

وكان الشيخ السعدوني -ولا سيما بعد انقراض ولاة العراق المماليك (الكوله من أو الكوله مند) -يتعهد للحكومة بتأدية بدل سنوي من النقود، ويقال أنه في بعض الأوقات كان يضاف إليها الحصن الجياد عما يجبيه الشيخ من غلة الأرض عن خراجها الشرعي

(١) قد وردت هذه النسبة أيضاً في مختصر مطالع السعود للحلواني المطبوع في بومبي سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٦م).

(٢) بكسر الدال، وفي اصطلاحهم القطر أو الديار أو الأراضي الواسعة زراعية كانت أو غيرها.

(٣) الزعامة الكبيرة أو الكبرى.

(٤) ذكره مخطوط تركي قديم عندي، وهو صغير الحجم فيه وقايع العراق بإيجاز يبتدئ من سنة ١١٦٠هـ (١٧٤٧م)، إلا أنه ناقص الأول وينقصه أيضاً بعض الصحايف في مطاويه، وينتهي في سنة ١١٦٤هـ (١٧٥٠م)، وكذلك ذكره وذكر سعدوناً أوتر otter في رحلته المطبوعة في باريس سنة ١٧٤٨م (٢: ١٩٢) وما بعدها.

ومن الضرائب والرسوم والنكال وغير ذلك، وأما البدل فأنه كان يتقرر بذمة الشيخ في نتيجة مزايدة تدعو إليها الحكومة، فتسند المشيخة إلى من تراه ملائماً لمصلحتها تبعاً للأحوال بغض النظر عن زيادة البدل، وكان يسمى المتعهد بالمال (شيخاً) بل (شيخ المشايخ)، فهو شيخ لأنه من بيت الشيخ السالف، و(شيخ المشايخ) لأنه في الزمن عينه شيخ إخوانه وشيخ مشايخ لثلاث المنتفق، وهي:

١- مشيخة ثلث بني مالك وما يلحق به. من ذلك مشيخة بني أسد (بفتح السين وتشديد الدال وهم بنو أسد) المربوطة أحياناً، وفي بعض الشؤون بمشيخة المنتفق مباشرة.

٢- مشيخة ثلث الأجود، ويلحق به أيضاً مشيخة بني حكيم (تصغير حكم بفتح الحاء والكاف) في بعض الأحيان كرابطة مشيخة بني أسد بمشيخة بني مالك أو أقل من تلك الرابطة في شؤونها وأزمانها.

٣- مشيخة ثلث بني سعيد.

ولما كان قد زال حكم الولاة المماليك كما أسلفنا، وذلك على يد لاز علي رضا باشا الذي دامت ولايته إلى سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م) أوفدت الحكومة خلفاً له ذلك العام محمد نجيب باشا، فقدم إلى العراق (وهو ملتزم الخطة البغدادية مع البصرة وراوندوز مقطوعاً ببدل هو خمسون ألف كيس)، ويظهر من هذا الإقطاع أنه لم ينبثق من تباشير الإصلاح الموعود به في الخط الهمايوني المقروء في گلخانه (بكاف فارسية مضمومة وإسكان اللام) في سنة ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م)، إلّا أنه جاء بعد ذلك: (أن مسلك الرؤساء المرموقين (آل سعدون) وحركاتهم جلب نظر دقة وأهمية الباب العالي، وبناء على هذا نصب نفس الاهتمام لاستخلاص المحال المزبورة من أيديهم تدريجاً).

وفي شهر رمضان سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٨م) صدر الفرمان السلطاني بجلب نجيب باشا إلى الآستانة، وأسندت ولاية إيالة بغداد إلى المشير صاحب الدولة عبدي باشا لما له من الاطلاع الواسع على أحوال هذه الإيالة، وبتولية وال خاص بإيالة البصرة. إذ أنها من الولايات التي يجب الاعتناء بها اعتناء تاماً لتمشية أمورها تمشية حسنة على

أن تبقى نظارة والي بغداد عليها مع دوام ربط شؤونها الحسابية بإيالة بغداد، وعين للبصرة صاحب المطوفة راغب باشا، ولسبب تحويل هذا الباشا إلى أيالة جزائر بحر الروم عين مكانه معشوق باشا من أصحاب رتبة مير ميران في شهر شوال سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٨م)، وأعزم إلى البصرة، والباشا المشار إليه وإن هو أجرى المتصرفية في البصرة كم سنة، لكن كانت المحال التي أجرى فيها النفوذ والحكومة عبارة عن نفس البصرة والمناوي وگردلان (بكاف فارسية مفتوحة وسكون الراء وفتح الدال)، وكان شغله كناية عن القوليات.

ومن الإصلاح الذي كان قد وعد به في خط كلخانة أنه صدرت الإرادة السنية الماضية بتأليف مجلس كبير في كثير من الإيالات، وفي رمضان سنة ١٢٦٧هـ (١٨٥٠م) صدرت الإرادة أيضاً بتأليف مثل هذا المجلس في بغداد، ونصبت له رئيساً سالك أفندي دفتر طرابزون.

وفي ذي القعدة سنة ١٢٦٨هـ عين الگوزلگلي (ذي المنظرات) محمد رشيد باشا والياً على أيالة بغداد ومشيراً لفيلق الحجاز والعراق، فاقتفى بالرأي القائل بالاستيلاء على مشيخة آل سعدون، فوجه نظره شطر ديار المنتفق لتدير حكومته مباشرة. تلك الديار التي كثيراً ما نهكت قوى الولاة أسلافه حينما كانت هذه الأنحاء في حالة تؤدي بهم إلى النزول على إرادة زعيم لا يرضيهم سلوكه.

حدق هذا الوالي نظره إلى ديار المنتفق، فبان له أنه من العسر المتعذر وضع يده عليها بأجمعها فوراً بخطوة واحدة دون تمهيد إداري وتوطئة فعلية، وإن طال أمدها، فسعى في إفراز ما يتسنى إفرازه أملاً أن تستمر الحكومة على هذه الخطة في كل مزايدة حتى يتم لها الفوز، ولم يخفق الوالي في مسعاه لأنه أقنع الشيخ منصور (باشا) الراشد الثامر بإفراز السماوة بما يتبعها وبعشائرها لإلحاقها بلواء الحلة، ففعل وأسند المشيخة إلى الشيخ منصور (باشا) على هذا الوجه.

ثم وقعت حوادث أسفرت عن استيلاء الجنود العثمانية على سوق الشيوخ، فاضطر

هذا الشيخ إلى الرضوخ لإرادة الوالي، ورضي بأن يفرز من ديرته مواضع أخر، ونرى حسين باشا (من الأمراء العسكريين العثمانيين) قائم مقام سوق الشيوخ في ١٤ شعبان سنة ١٢٧٢هـ (١٨٥٥م)، وللمنتفق شيخاً أخاله الشيخ منصور (باشا) بنفسه، وفي تلك السنة أيضاً عينت الحكومة السيد داود أفندي السعي مدرساً ومفتياً في المنتفق، مما يدل على أنها نوت تثبيت قدميها لتبقى نافذة الكلمة في تلك الديار.

ولما جاء بغداد الوالي عمر باشا السردار في ٥ رجب سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م) طمع من جهة بشجاعته وقوة حكومته، ومن جهة أخرى خاف على صحة الجنود المرابطة في سوق الشيوخ لرداءة هوائها ومائها ووخامتها، فجرّد تلك القصبة من الجنود، فأعاد بذلك إلى آل سعدون ما كانوا يتمنون الرجوع إليه، ومع هذا فإنه بسعي الدفتر دار مخلص أفندي لم يعد إلى المنتفق المواضع المفروزة، ويبين لي أن هذا الوالي تحرى له مخرجاً ليبقي مسحة مما كان قد فعله سلفه، فوجده في تسمية الشيخ منصور (باشا) قائم مقام المنتفق، مع منح الحكومة إياه رتبة (مدير الإصطبل العامر مع لقب بك)، وقد سجلت سالنامة (تقويم سنوي) الحكومة الصادرة في الآستانة لسنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م) أن الشيخ منصور بك (باشا) هو قائم مقام للواء المنتفق، وأنه من أصحاب هذه الرتبة وهذا اللقب، وأن مركز اللواء هو سوق الشيوخ.

ويظهر لي أن المنتفق قد استاؤوا من هذا التطور، فإن قائلهم الحادي يقول:

يا أبـــو عـــلـــي المــــوردة   أمــــــيرنا صــــايـــر مـــديـــر
عـــادتـــنـــا ذبـــح الـعــسـاجـر   وشـــعـــاد لـــو جـــانا المــشـير

وإذا مثلنا بين أعيننا المنتفق، فعرفنا أنهم جميعهم عشائر وعمائر، هان علينا أن نسلم أنهم كانوا يجهلون وجود إدارة تصلح لشؤونهم غير إدارة المشيخة التي ألفوها منذ نعومة الأظفار إرثاً عن الآباء والأجداد، وأنهم كانوا مستسلمين رضاء وطوعاً للبقاء على ما وضعه أسلافهم، فلا يخامر بالهم تغيير ما اعتادوه، وإن نقم بعضهم أو أغلبهم أحياناً على الشيخ في تصرفه في شؤونهم وحالتهم تنبئ باحتفاظهم بكثير من العوائد والأخلاق

القديمة التي لم تفعل فيها الأيام شيئاً يذكر.

وفي سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م) في عهد الوالي توفيق باشا جرت المزايدة بين الراغبين في المشيخة الشيخ منصور بك (باشا) وبين الشيخ بندر الناصر الثامر، فأسندت المشيخة إلى الأخير منهما في ٢٠ شوال لمدة ثلاث سنوات ببدل سنوي قدره ٤٩٠٠ كيس مع إفراز جديد من تلك الديار، وذلك المفرز هو أبو الخصيب وباب سليمان في أنحاء البصرة وشطرة العمارة، وغادر الشيخ بندر بغداد في ٢٨ من ذاك الشهر راكباً سفينة شراعية، وطريقه على الكوت (كوت العمارة ولا تقل كوت الأمارة) فالغرّاف، ويظهر أن الشيخ بندر كان يسرّ بتسميته قائم مقام بدليل أن والدي كان كلما كاتبه عنون كتابه بما يلي: (صاحب العزة قائم مقام المنتفق بندر بك).

ولما جاء محمد نامق باشا والياً للمرة الثانية، ودخل بغداد في ٣ شوال سنة ١٢٧٨هـ (١٨٦١م) ارتأى أنه قد حان الوقت لإلغاء المشيخة، فوافقه على ذلك الشيخ منصور بك (باشا)، فأسند إليه الوالي وظيفة قائم مقام المنتفق على أن تدار شؤون اللواء أسوة ببقية الألوية، وعين محاسباً للواء سليمان فائق بك فقدم إليه، وكان تعيين قائم مقام يوم الخميس سلخ جمادي الأولى سنة ١٢٨٠ (١٨٦٣م)، وهو يومئذ في بغداد، ومعه أخوه (الشيخ) ناصر (باشا)، والشيخ بندر الذي توفي في اليوم التالي بالحمى، فدفن في مقبرة الشيخ عمر السهروردي.

وبعد أن شخص قائم المقام منصور بك (باشا) إلى المنتفق عارض (الشيخ) ناصر (باشا) في الأمر في تلك الديار، مما أدى بسليمان فائق بك إلى أن يغادرها فارّاً منها، وكان قد أقام في سوق الشيوخ نحو شهرين، فصمم نامق باشا على أن يستولي على تلك الأنحاء عنوة، غير أن برقية وافته من الآستانة تأمره بأن يجهز الفيلق، وينتظر الأمر لمهمة حالت دون تحقيق ما كان قد عزم عليه، فاضطر إلى التساهل، فأسند المشيخة إلى الشيخ فهد (باشا) العلي الثامر سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م)[1]، ودامت مشيخته

(١) عن بحث جاء في صورة الدعوى التي كان قد أقامها سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٥م) فهد باشا في محكمة تجارة بغداد على روبين ويوسف ابني مير بن داود، ووكيل المدعي الحاج إبراهيم المنديل، والوكيل عن المدعى عليه روفائيل ياغجي الذي كانت مهمته وكالة

إلى شعبان سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م)[1]، فأسندت إلى الشيخ ناصر (باشا) بموجب شرطنامة باللغة العربية مؤرخة في أول أيلول سنة ١٢٨٢ أيلولية (١٣ أيلول ١٨٦٦م) مختومة بالختم الشخصي الخاص بدفتر دار أيالة بغداد (عبدالنافع عفت)، وفي وسطها الجملة التركية (موجبنجه دستور العمل طوتلمق)، وهي مكتوبة بخط ديواني مؤرخة في ٣ شعبان سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦م)، مع إشارة وتوقيع خاصين بالمشير نامق باشا والي بغداد، ومفاد الجملة: (لتتخذ (الشرطنامه) دستور للعمل) أي ليعمل بها.

ومضمون الشرطنامه: أنه لما كانت مدة (التزام مقاطعات ديرة المنتفق) قد انتهت وجب وضعها في المزايدة بعد إفراز بعض المقاطعات المجاورة للبصرة، فقرر المجلس الكبير بحضور حضرة المشيرية بإفراز المقاطعات المسماة: الفياضية (الفياضي)، والعامية، ويوسفان، وكوت الفرنجي، وكباس (الكباسي) الكبير، وكباس (الكباسي) الصغير، وجزيرة العين، وريان، وجبارات، وكتيبان (بكاف عربية)، وباغات الصفارية، مع توابعها ولواحقها بحدودها المعلومة.

ووافق هذا المجلس على حط وتنزيل بدلاتها السنوية البالغة ٦١٥,٢٢٥ غرشاً من بدل السنة ١٢٨١ وهو ٣,١٦٦,٠٦٦ فوضعت مقاطعات ديرة المنتفق في المزايدة مع استثناء تلك المقاطعات التي شرط إفرازها وضم ١,٧٤٠,٨٢٥ غرشاً على الباقي من المطروح منه.

(شيخ مشايخ المنتفق صاحب (كذا) النجابة الشيخ ناصر (باشا) آل سعدون) وبعد انقطاع الرغبات أضيف على المجموع ٤٧,٢٠٨ غروش، وكسر عن رسم خرج باب والدلالية، فبلغ البدل السنوي ٤,٣٣٨,٨٧٥ غرشاً، وبنتيجة الحساب بلغ بدل السنوات الثلاث التي تبتدئ من أول أيلول سنة ١٢٨٢ أيلولية (١٨٦٦م)، وتنتهي

الدعاوى.

(١) مكاتيب والدي والأعلام المذكور، ويؤيد تاريخ سنة ١٢٨٣هـ موافقة مضمون رسالة سليمان بك المكتوبين من نامق باشا المؤرخين في شعبان سنة ١٢٨٣هـ، وقد بعث بهما إلى الشيخ ناصر باشا يستقدمه إلى بغداد، ولقد عين فهد باشا متصرفاً في الديوانية في جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦هـ. ثم انفصل عن المتصرفية في ذي القعدة من تلك السنة (الزوراء عدد ١٦: ٢٢، جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م)، وعدد ٣٧: ٢٨ ذي القعدة).

في غاية آب سنة ١٢٨٥ (١٨٦٩م) ١٣,٠١٦,٦٢٥ غرشاً، وقد حول المبلغ في الشرطنامة أيضاً إلى أكياس فبلغ عددها ٢٦,٠٣٣ كيساً و١٢٥ غرشاً.

وأحيلت (مقاطعات ديرة المنتفق) بالأكياس المذكورة إلى الشيخ ناصر (باشا) بكفالة راشد آل سعدون وظاهر آل سعدون على أن يدفع المبلغ إلى الخزينة في بغداد بتقاسيط معلومة، وفوض الشيخ في التصرف في (جميع عائدات وواردات ورسومات عشائر المنتفق على المعتاد الجاري سابقاً، وشرط عليه أنه (إذا أحدث رسماً جديداً فضلة عن الرسوم المتعاملة الجارية) تسأله الحكومة إعادة ما أخذه على هذه الصورة لأصحابه، وإذا تداخل بدل التزام سنة في سنة أخرى، فالحكومة مخيرة في فسخ الالتزام، أو في مقاضاة الفائض وفقاً للنظام، وأعطى الشيخ هذه الشرطنامة لقاء سند حوى تعهده بمال والشروط، وبذيله كفالة الكفيلين.

وبعد وقوع هذا الالتزام بمدة وجيزة منحت الحكومة الشيخ ناصر (باشا) رتبة أمير الأمراء، وفي تلك الأثناء منحت أيضاً الشيخ فهد (باشا) مثل هذه الرتبة.[١]

لا ينكر أن ذلك التطور -وقد عقبه الارتكاس -لم يحدث شيئاً مهماً في هذه الأنحاء، ولابد للمصنف أن يذهب إلى أن قلب هذه الإرادة ظاهري سهل لكنه عسر، فلم يكن الأمر من الهنات الهينات يوم كان جيش الحكومة جيشاً لا يعتد به منه ما يسمى بالـ (هايتة) والموظفة، تلك الفئة المعروفة بمساوئ الأخلاق وتشويش النظام، ومن هم على هذه الشاكلة من الجنود، ولا وسائط للسفر وللنقل إذ ذاك لدى الحكومة إلا ظهور الخيل والإبل والبغل والحمير والسفن الشراعية، ولا وسائل لها لإيصال الأخبار من هذه الأنحاء النائية وإليها إلّا السعاة، وهم يمرون في سيرهم بأرضين قطانها لا يقلون بداوة عن أهل الديار، ويتفانون في حفظ ابتعادهم عن سيطرة الحكومة.

فضلاً عن تلك الأحوال -وجميعها بجانب آل سعدون -هناك عامل آخر هو أن آل سعدون في ديارهم، فموقفهم موقف مدافع يكافح عن نفسه كلما اختلف في الأمر

(١) نهاية الجزء الأول من المقالة. نشرت في مجلة لغة العرب، ج١، سنة ١٩٢٧م، ص٢٣.

وناوأتهم الحكومة، ولهذا كان آل سعدون أقوياء أشداء يصعب على الحكومة تذليلهم ورضخهم، ومع إقرارنا بذلك كله علينا ألا نسهو أن ديار المنتفق لم تكن إلّا مشيخة تعتمد على نفسها لا على غيرها، فلا تستمد قوة من ناحية أخرى، وأن نابهي آل سعدون كانوا يتزاحمون على مشيختها. إذ كل منهم يرى في نفسه الكفاية لمسندها.

ولقد زاد موقفهم حرجاً بعد أن بدأت الحكومة بإيفاد ولاتها من الآستانة إلى العراق، وعدلت عن أقطاعه للولاة مقطوع مسمى، وبعد أن تعددت الدخانيات وهي تمخر الفرات ودجلة، وإن كانت الدخانيات في عهد طفولتها بالعدد والحجم، وهي تحرق الأحطاب النابتة على ضفاف الرافدين لبعد منال الفحم الحجري، وجاء آل سعدون شيء آخر لم يكن في الحسبان هو مد سلك البرق، فكان يطير الأخبار، فأصبح هذا العصر بدخول هذه الاختراعات في العراق عصر تجدد فعل في نفوس المنتفق وآل سعدون ما تفعله اليوم الاختراعات الحديثة في النفوس، ولا سيما في نفوس الأعراب.

ولما أزفت ساعة فتح ترعة السويس ١٨٦٩م (١٢٨٦هـ) التي كان ينظر المفكرون إلى ما ستحدثه في الشرق وفي اجتماعياته واقتصادياته، جاء اتفاقاً نصب مدحت باشا المعروف بمقدرته وحنكته والياً على العراق، فدخل بغداد في ١٨ المحرم ١٢٨٦هـ (نيسان ١٨٦٩م)، وهو يجزم على تطبيق نظام الولاية وهي أصول حديثة وضعت سنة ١٢٨١هـ (١٨٦٤م) وقد عهد إليه تطبيقها، فانصرف يسعى في انتقاء الأسباب التي توصله إلى الغاية التي يتوخاها في رفع مستوى القطر العراقي، وانبرى يشوّق الأهليين بهمة ونشاط للسير مع مدنية العصر، ولقد استرعى نظره اختراع البواخر والسلك البرقي، فذكرهما في بحثه عن لزوم أتباع الرقي البصري في خطاب أورده في بغداد عقب قراءة فرمان توليته على العراق، ولعله أراد بذلك أن يشير من طرف خفي بما عند الحكومة من الوسائل الجديدة لاستمالة من كان يظن فيه المخالفة لآرائه.

ومما قام به هذا الوالي في باب إدارة العشائر أنه استقدم إلى بغداد الشيخ ناصر باشا المتربع على مسند المشيخة يومئذ، وكان قد بقي من مدة مشيخته مدة قليلة، فقدم الشيخ ناصر باشا في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩م)، فأبان له الوالي خطة

التجدد التي يجب السير عليها، فرغبّه في قبول تحويل المشيخة إلى متصرفية بالفعل لا بالاسم مع بناء حاضرة في أرجاء المنتفق تسمى (الناصرية)، وعدّد له حسنات الاستقرار في موضع، والعدول عن الحل والترحال والسعي وراء ترقية الزراعة.

فتفرس الشيخ ناصر باشا في الأمر ففقهه، وعلم أن وراء الأكمة ما وراءها من أن الحكومة قد صممت على ما ترتبه، وأن وسائل المقاومة التي لديه لا تجديه نفعاً، فلا ممكن من ردع الحكومة عن مبتغاها، فانصاع للأمر، وعين متصرفاً، وعين معاوناً له قائم مقام الهندية السابق صاحب الرفعة عبدالرحمن بك، ونائباً عبدالقادر أفندي الآلوسي، ومحاسباً الحاج سعيد أفندي من موظفي محاسبة الولاية.

وفي ٢ جمادي الأولى من تلك السنة ركب ناصر باشا الدخانية عائداً إلى المنتفق، وفي ١٧ من الشهر شخص من بغداد إلى المنتفق المحاسب الحاج محمد سعيد أفندي، ومعه رفقاؤه الكتبة. ثم أسفرت الحالة عن أجراء الترتيبات والتنظيمات الإدارية أسوة ببقية الألوية طبقاً لنظام الولاية، وجاء في ذلك التطور بناء الناصرية، وتفويض الأراضي الأميرية بسندات الطابو تبعة القانون.

مرّ بك فيما تقدم تطور المشيخة حتى صارت متصرفية. ليست إذن المتصرفية بنت الساعة -كما يظنها كثيرون وينسبها بعضهم إلى استسلام ناصر باشا -إنما هي بنت أعوام كثيرة بعيدة، ولقد رأينا أن الكوزلكلي هيأ الأرض لهذه البذرة، وجاء نامق باشا فزرعها، وبعد بقائها في الأرض الوقت اللازم نبتت في موسم لائمها. إذ قد أودعت العناية بالعراق إلى يد مدحت باشا العاملة، وهو ذاك الرجل الذي لا حاجة إلى الإفاضة في تعريف كفايته ومقدرته، فكانت الأحوال تقضي وقوع هذا الانقلاب لا محالة شاء آل سعدون أو أبوا، ومن حسن حظهم -وعلى رأسهم ناصر باشا -أنهم أدركوا المسألة فقبلوا هذا القلب والتغيير، ولم يعارضه معارض منهم، ولولا هذا التفاهم والرضا لأضاعوا بصفقة واحدة المشيخة والتفوض في الأراضي والتصرف فيها على الوجه القانوني، ولعادوا يجرون ذيول الخيبة واليأس.

أما قول القائل أن تفوّض آل سعدون في الأرض وتصرفهم فيها في لواء المنتفق تبعاً لقانون الأراضي ونظام الطابو قد حدد حريتهم في التمسك المشيخة، فصدهم عن استعمال ما يفرضه عليهم واجبها من الدفاع عنها، فأدى بهم هذا التفوض في الأرض والارتباط بها إلى فقدان المشيخة[1]، فهو قول لا أعده وجيهاً، لأنهم قبل عهد مدحت باشا بل قبل عهد الگوزلكلي كانوا مرتبطين بالأرض. أريد بهذه الأرض أملاكهم الواسعة المغروسة نخلاً باسقاً. تلك الأملاك التي يعرفها من له أقل إلمام بأملاك البصرة التي تحيط بها على مسافات بعيدة، وعليّ أن أعترف أن مشيخة المنتفق لم تكن مقصورة على لواء المنتفق الحالي، بل كانت تمتد إلى آخر حدود الفاو من جهته الجنوبية، ومع هذا فإن تملك آل سعدون على الأرض وارتباطهم بها لم يؤد بهم إلى التخلي عن المشيخة، ولا بد للمعترض أن يتخذ هذا الإقرار حجة يدعم بها رأيه القائل بأن ارتباطهم بالأرض في لواء المنتفق هوى بهم إلى النزوح إلى المشيخة، ولكني أخالفه فيما يرتئيه. إذ أني أجد أن سبب تقلص ظل المشيخة هو غير هذا، وإني لأجده في انتباه الحكومة -ولو انتباهاً خفيفاً -بانتهازها الفرص بعد اطمئنانها من طمع جارتها فارس بالبصرة وحدود العراق وإيقاعها بالوهابيين، وما أكثر المرار التي كانت تستعين الحكومة بآل سعدون، وتتذرع بهم لدفع هذه الغوائل والشدائد، وكانت تعرف نفسها مضطرة إلى السكوت عن آل سعدون، وترغب في استمالتهم.

ولما صفا للحكومة الجو، وغدت تنام ناعمة البال مطمئنة عن هاتين الطامتين. ثم أزالت حكم المماليك، وأرادت أن تبدي شيئاً من الإصلاح الموعود به أخيراً في خط گلخانه، تخطت إلى المشيخة في أنحاء البصرة في الجنوب والسماوة في الشمال الغربي، فلم يسع آل سعدون أن يصدّوها عن إرادتها، فتسامحوا معها عن هذه الأصقاع حفظاً للباقي، وحذراً من مصادرتها تلك الأملاك العزيزة، وبعد أن فازت الحكومة فوزاً بعد فوز -رأينا منه نبذاً في مطاوي المقال -وتم لها الأمر هناك أطعمها بالباقي هذا الفوز المتعقب خطة البتر والإفراز، وهو لا شك كان يجر بالمشيخة إلى الاضمحلال، فلا يمسي آل سعدون إلّاَ لا علاقة لهم بلواء المنتفق بصورة باتة.

(١) كنت أردت بالقائل كتاب (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) للونكريك بالإنگليزية، والمنقول إلى العربية أخيراً.

لقد عرفنا أن في العهد الأخير كانت قد قلت عند الحكومة تلك الموانع التي كانت تلجئها إلى البقاء على الحالة السابقة، فتمكنت من تضييق تلك الدائرة الوسيعة. ثم ولدت الليالي العوامل الجديدة التي ذكرتها وهي: (تعدد البواخر، وانتظام الجنود إلى درجة، وفتح ترعة السويس، ومد سلك البرق)، فغدا آل سعدون يخافون إمكان تسلط الحكومة عنوة على ديرة المنتفق كلها لتلحق القضاء على المشيخة بما كانت قد أزالته منها سابقاً في لواء البصرة والسماوة، وربما أدى تدبير الحكومة بها إلى مصادرة أملاك آل سعدون الواقعة في لواء البصرة، وهو أمر يحذره جميعهم كما كان قد خلفه الشيخ منصور بك (باشا) وغيره مراراً.

وصفوة القول عندي أن انتباه الحكومة وما ملكته من الوسائل ذلك الانتباه الذي أزال آل سعدون عن أنحاء البصرة والسماوة هو نفسه غدا يسري على ما بقي من المشيخة، فيفعل فعله بالتدريج، ولو لم يكن لآل سعدون أملاك في أنحاء البصرة لخرجوا من هناك صفر الأيدي، ولأنتابهم الأمر على هذا الوجه في لواء المنتفق لو لم يرضوا بالتفوض في الأرض والتصرف فيها بالطابو، ولأمسوا في هذا اللواء ومعهم آل شبيب لا يملكون قيد شبر، وباتوا فيه غرباء لا ناقة لهم فيه ولا جمل.

فقبول آل سعدون بالتفويض في الأرض، والتصرف فيها على الوجه القانوني جعلهم ذوي علاقة أكيدة في هذا اللواء مع خلو يدهم من الحكم، وأن تدبيرهم لتدبير رشيد تركوا فيه جانباً الآمال في البرق الخلّب، وتمسكوا بالحقيقة على سبيل (ما لا يدرك كله لا يترك جله).

وليس هذا التطور خاصاً بآل سعدون وحدهم، بل أن جميع المشايخ لكبار للعمائر المتمدرة كالخزاعل وزبيد (بالتصغير)، وكانوا ذوي بأس وصولة سجلها لهم التاريخ في صفحات عديدة لم يبقوا على ما كانوا عليه، ولا سيما بعد تنظيمات مدحت باشا، فقد ضألت تلك المشايخ الكبار وضمرت، ولقد فقدت الحكم في عشائرها، وقعدت عنه شأن التمدر والحضارة، كما دالت الأيام على مشيخة (ابن قشعم) الملقب بـ (شيخ العراقين) الذي حطم الحدثان عزه البدوي الأثيل.

وفي هذا السبيل لنا مثال شبيه بذلك في الشمال هو أسرة بابان حكام الأكراد ذوي الشأن العظيم، وقد ملأت وقائعهم قسماً مهماً من تاريخ العراق.

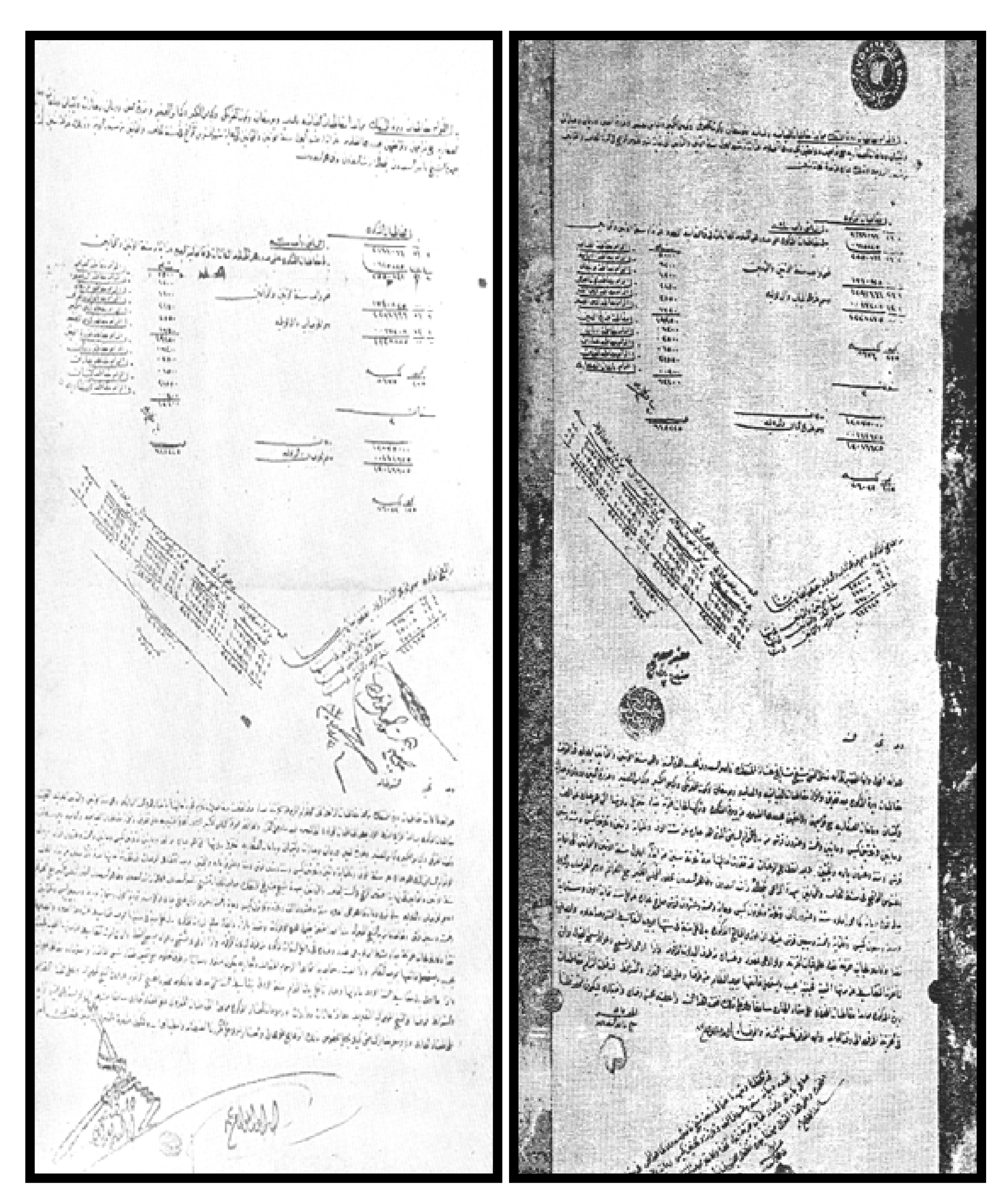
ويستنتج من ذلك كله أن لا مسوغ للقول أن مشيخة آل سعدون هوت وانحلت عراها بقبولهم بتفوضهم القانوني في الأرض لواء المنتفق، وتصرفهم فيها على هذا الوجه.

هذا ما أرتئيه، ولكل رأيه والله أعلم.

بغداد في ٢٤ شباط ١٩٢٧م

يعقوب نعوم سركيس[١]

(١) مجلة لغة العرب، ج١ من السنة ٥، ١٩٢٧/ ٢٨م، ص٢٣.



الشرطنامة أو سند التزام ديرة المنتفق التي منحت للشيخ ناصر باشا السعدون

أشهر مدن البطائح الحالية

المديْنة: ليست بمدينة، وإنما قرية كبيرة على بز الفرات الأسفل، بين القرنة وسوق الشيوخ تكتنفها البطائح، وفي ظهرها بادية العراق. وجدت قبل القرن الحادي عشر، وهي حاضرة الجزائر سابقاً، وفيها مقر الأمارة على ربيعة البطائح والجزائر، ولا يزال الأمارة متوطنا إياها وضواحيها، ولكن شأنها اليوم شأن أمرائها إذ انتقلت الزعامة إلى بيت الأسدي، بيت خيّون[1]، وأصبحت القرنة حاضرة البطائح، وقبائل المدينة من ربيعة، وهم بنو منصور، ويجاورهم سعد.

القرنة: مرّ عليك طرف من ذكرها في ترجمة آل فراسياب، وإنها قلعة اسمها القرنة. ثم صار اسمها العلية. ثم استرجعت اسمها القرنة. نعم نشأت قرية، وصارت مدينة على بز الفرات، وفي قريب منها يقترن بز دجلة ببز الفرات، ويلتقي الأخوان بعد أن كانا تفارقا من جبال أرمينية، فسميت القرنة ولم يكن لها، وهي قرية أو مدينة، مؤسس معروف، فقد كانت قلعة تصد الهاجمين على البصرة من جهة بغداد، وحولها رهط من الجزائريين المتهيئين للدفاع. ثم نشأت قرية على مفرق الطريقين، ولا أعرف زمن تأسيسها، وقد ربلت حتى صارت مدينة صغيرة من مدن العراق، وقبيلتها بنو سعد من ربيعة البطائح، وقد ذكرها بعض الرحالين قرية حقيرة في أواخر القرن الحادي عشر.

العمارة: بلد نزه، ومدينة من مدن العراق الزاهية ناهضة على وادي دجلة في الجانب الأيسر، في آخر دجلة البصرة، حاضرة عامرة، وهي من المدن الجديدة في العراق، وموقعها من طفوف سابقاً يوم كانت دجلة تستقيم من الدار الذي هو قريب من موقعها، وكذلك كانت ناحية من نواحي البطائح سابقاً عندما امتدت دجلة بين

(١) وبيت خيون من آل جناح. (ل.ع).

واسط والمدار، وهذه المدينة الحديثة نشأت في القرن الثالث عشر معسكراً للحامية التي ترد من بغداد لحفظ الأمن في تلك الجهات، وجباية الأموال الأميرية، وقد اختارت الجنود النظامية التكوّف في هذا الموقع لنشوفة أرضه، وعذوبة هواءه، فأطلق الناس على ذلك المكان اسم (الأوردي)، وهي لفظة تركية معناها المعسكر، وما زالت إلى اليوم تعرف عند المنتفق باسم (الأوردي). ثم اطمأن إليها الناس، وأرباب الكسب والتجارة من البغاددة والبصريين، فأنشأوا هناك عمارة ضخمة، وأطلق عليها اسم العمارة.

قلعة صالح: صالح هذا زعيم من زعماء آل أبي محمد، القاطنين في تلك الأنحاء من بطائح دجلة ومن حواليها تمتد إلى ناحية الحويزة والأهواز، وقد أنشأ هذه القلعة لتكون حامية لمزرعته وقبيلته، كما هو شأن الكثير من الزعماء العراقيين، وقد جاورها كثير من الأغراب، فأصبحت بلدة عامرة، وهي قائمة على أنقاض بلد المذار الشهيرة، وموقعها اليوم بين العمارة والعزير (بالتصغير)، وهو بلدة ميسان الشهيرة، ودجلتها دجلة البصرة أم البطائح، وقلعة صالح في متوسط البطائح، وقد كانت هذه الأنحاء إلى آخر القرن الثاني للهجرة تابعة لمملكة المنتفق، وتخضع لإمارة آل سعدون، ولكن في القرن الثالث عشر تنازل أحد مشايخ آل سعدون لحكومة بغداد عن تلك الأنحاء، وأتذكر الآن أنه الشيخ عقيل.

سوق الشيوخ: من مدن البطائح الحديثة على ضفة الفرات اليمنى، وفي جنوب الناصرية. تحده الصحراء المعروفة بالشامية من الغرب والجنوب، ويحده الفرات شرقاً وشمالاً، وحوله الأهوار والبطائح التي أفسدت هواءه، وجعلته في وخامة ووبالة، كثرت فيه حميات البطائح الفاتكة، وموقعه تحت الناصرية بمسافة ٤ ساعات، وفوق البصرة بـ ٢٨ ساعة.

والشيوخ هم الزعماء من آل سعدون أمراء المنتفق، والذي أقامه منهم الشيخ ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع، وهو من كبار ذلك البيت، وإليه انتهت الزعامة، وتاريخ حياته صفحة مهمة في تاريخ آل سعدون، وكان زمن تأسيسه حسبما يعيه الواعون من الطاعنين في العمر سنة ١١٧٥ في زهرة أيام الشيخ ثويني.

وكان يعرف بسوق النواشي في أول نشوئه، والنواشي هم فخذ من بني أسد، ولما نزل عليه آل سعدون، وكانت أكثر شيوخ المنتفق تمتار منه عرف بسوق الشيوخ، وأغفل ذكر النواشي، ولم ينزله شيوخ المنتفق من آل سعدون حتى الشيخ ثويني، لأن آل سعدون كغيرهم من أمراء الجزيرة معوّدون سكنى أنف البرية وجمال البادية، ولا يتقيدون بجدران الحضر، وثانياً للشيخ حاشية وركاب ومواكب أكثر من ألف بيت تقريباً، فهذا الحي الكبير كيف تسعى المدينة مع خيله وركابه، ولكن جرت عادة شيوخ السعدون في سوق الشيوخ وفي الناصرية وفي الشطرة، بل في البصرة نفسها إذا أرادوا نزول البلد ينزلون في باديتها وقريباً منها.

وعندما رث أمر شيوخ المنتفق، وانقلبت بهم الأيام قيدت الحكومة العثمانية سوق الشيوخ في أملاكها الإدارية في العراق، وجعلته قضاء، وذلك سنة ١٢٨٨هـ.

وليس في هذا القضاء إلا ناحية واحدة، وسفل أمر سوق الشيوخ أخيراً بعد أن كان نقياً طيباً يتمتع الساكن فيه بخفوق الريح، فقد كان الشيخ ثويني بذل الوسع والطاقة في تجفيف تربته، ومنع وصول سيب الفرات إليه، فكان في أجمل موقع بين النهر والبادية. أما اليوم وقد ماتت خطورته، وانحطّ رقيه، فقد أصبح كما قيل بمنزلة المثانة من الجسد لا يصل إليه الماء إلا بعد أن يفسد ويتغير، وهواؤه ثقيل ملوث بوخامة أرضه، وليس كل بيوته بناء وعمارة. بل فيه كثير من بيوت القصب والخصاص.

وعدد سكانه زهاء ٥٠٠٠ ينقسمون إلى (نجادة) وهم النجديون أصلاً، و(حضر) وهم العراقيون الذين تجمعوا من هنا وهناك، وكان يحيط بالبلدة سور، وقد تداعى اليوم، وأكثر أقسام ذلك السور كان مبنياً بالطين (بالطوف) كما يسميه العراقيون، وجهة واحدة مبنية باللبن، وهو الطابق غير المشوي، وكان للسور أربعة أبواب.

وفي البلدة ثلاثة مساجد وحمام وأربعة كتاتيب، وفيه بيت من بيوتات العلم الشهيرة في العراق، وهو بيت (آل حيدر)، وكان النابه في هذا البيت على عهدنا الشيخ باقر ابن الشيخ علي، وأبوه هذا كان في عداد مجتهدي الأمامية، وله مصنفات عديدة في

فنون شتى، وكان الشيخ باقر مجتهداً في فنون العلم والأدب، وقد تعاطى صناعة الشعر وجاد فيها، وقد كان الدور الأخير من حياته دور نهضة وجهاد سياسي، وذلك على أثر الحوادث الأخيرة في بلاد المنتفق، ودخول الإنكليز العراق، وتوفي صارخاً ناهضاً بين إطناب المتطوعين الذين كان يريد بهم غزو البصرة، وذلك سنة ١٣٣٣هـ، وآل حيدر هم بقية بني وثال زعماء آل أجود حلفاء المنتفق سابقاً، والثلث الكبير من قبائل المنتفق أخيرا المعروفة بالأثلاث، ولبني وثال آثار كبيرة ولكنها مندرسة، وسوق الشيوخ مطوق بقبائل المنتفق وربيعة البطائح.

الناصرية: هي من أهم مدن الفرات المعروفة اليوم، وهي جالسة على ضفة الفرات اليسرى، وهي من العمارة الجديدة في العراق، لأن موقعها هذا وهو (ذنائب) الفرات الأسفل كان في القديم بطائح، وهي مركز إمارة المنتفق في الأيام الأخيرة، وذلك بعد انتقالها من سوق الشيوخ، كما أن العثمانيون اتخذوها مركزاً لحركاتهم الإدارية يوم تسلموا تلك البلاد من جراء أصبح أشهر أسمائها: (المركز).

وإلى اليوم لم تجف بطائحها جفافاً صادقاً، ولا يؤمن خطرها، فلا تزال في مياهها وبالة محسوسة، وفي ضفتها وخامة ووحول، ولا تزال تهددها بالخطر وبالغرق بطيحة في ظهر البلد تسمى (هور أبي قداحة)، تلك البطيحة الهائلة، وقد أغرقت البلد في أوائل هذا القرن على عهد فالح باشا، وأغرقتها ثانية عام الهزاز العراقية سنة ١٣٣٣هـ، ويظهر أن سطح هذه البطيحة يرتفع فوق قاع البلدة أربعة أمتار.

ومؤسس الناصرية هو ناصر باشا السعدون، وقد أحضر لتخطيطها المهندس البلجيكي (المسيو جول تلي)، وذلك في عهد ولاية مدحت باشا في العراق، والحجر الأول الذي وضع فيها كان لدار الحكومة، وذلك سنة ١٢٨٦هـ، فجاءت من أحسن مدن العراق تخطيطاً، وصارت قاعدة بلاد المنتفق، وقد حكم فيها من آل سعدون: ناصر باشا. ثم ولده فالح باشا. ثم فهد باشا والد صاحب الفخامة رئيس مجلس نواب العراقي اليوم عبدالمحسن بك، وأخيراً في أول إنشاء الحكومة العراقية كان متصرف الناصرية الزعيم إبراهيم بك ابن مزعل باشا السعدون.

هذه جملة من مدن البطائح الجديدة، وبقي شيء منها في الغرّاف نأتي على ذكره في البحث عن الغرّاف، وبما أن المدن الثلاثة (البصرة والحويزة وواسط) هي أمهات البطائح وقواعد شؤونها وحوادثها أرجأنا الكلام عنها إلى جزء آت.

النجف: علي الشرقي[1]

(١) مجلة لغة العرب، ج٩، من السنة ٥، ص٥٣٥.

منديل الأمان

جاء في معجم المستشرق دوزي الذي وضعه في أسماء الألبسة عند العرب (ص٤١٥) شواهد أراد بها صاحبه أن يستقصي بما يراد بالمنديل، وصورة استعماله كلباس وقطعة نسيج يحتاج إليها الإنسان وغير ذلك، ومما جاء به هذا المستشرق أنه اقتطف نبذتين من كتاب (ألف ليلة وليلة) فيهما ذكر منديل الأمان، وهذا كلام المعجم: (فقال: أخي أراد الأمان، فأعطاه (منديل الأمان)، فقال الشاب: العفو يا أمير المؤمنين! اعطني (منديل الأمان) ليسكن روعي ويطمئن قلبي، فقال له الخليفة: لك الأمان من الخوف و(لك) الإحسان). اه.

وقد يتبادر إلى الخاطر أن إعطاء منديل الأمان في (ألف ليلة وليلة) من تلفيق المؤلف الواسع الخيال، لكنا نستفيد مما اقتطفه دوزي أيضاً من مخطوط للنويري في تاريخ ديار مصر أن إعطاء منديل الأمان كان من الأمور التي تقع بالفعل، فقد قال النويري: (فجاء الملك الصالح إسماعيل بعساكره إلى القدس، وصحبته الفرنج، فأرسل إلى الشيخ بعض خواصه (بمنديله)، وقال له: ادفع إليه (منديلي) وتلطف به، واسترّ له وعده بعوده إلى مناصبه). اه.

هذا ما كان قبل مئات من السنين، وقد كان مثله في النصف الثاني من القرن الماضي، وهنا أدرجِ صورة الوثيقة التي عندي، وهي تتعلق بهذا الباب، ولها شأن في تاريخ المنتفق فضلاً عن تعريفها إيانا ببقاء هذه العادة إلى هذا العهد القريب، وهذا نص الوثيقة التاريخية بوضعه المغلوط:

(ذو النجابة ناصر السعدون:

وصلنا معروضك، وصار معلومنا كافة ما ذكرت من الإفادات، خصوصاً من بيان السبب الداعي لالتماسك الرأي والأمان الثاني من طرفنا في قرآن ممهور، وإن الاشتباه والوسوسة الحاصلة لك ناشئ من الأوراق والكواغد الواصلة إليك المرسولة مع كاتبك ملا خضر لطرفنا.

فيكون معلوم جنابك أن الأوراق المذكورة مشتملة على بيان عزل (أخيك) منصور (باشا)، وما فيها ذكر جنابك، وعلى الخصوص تاريخها مقدم على تاريخ شقة الرأي والأمان التي أرسلناها إليك مؤخراً، فيقضي أن لا يمر في خاطرك شيء من الوسواس، ويلزم أن تعتمد على رأينا وأماننا الوثيق بلا اشتباه، وأجزم بأن جوابنا لا يتبدل ولا يتغير. عفا الله عما سلف.

وبهذه الدفعة قد سيرنا لك مع ملا خضر (كفيّة الرأي والأمان) لأجل اطمئنان قلبك، فإذا صار ذلك مفهوم ينبغي أن تتوكل على الله تعالى، وتجي إلى طرفنا وأنت مأمون، وما تشاهد من جانبنا سوى حسن الالتفات. تجيء ظالماً وتعود إلى محلك سالماً، ولا حاجة فوق ذلك إلى طول الكلام. هكذا يكون معلوم جنابك والسلام.

في ٢٩ شعبان ١٢٨٠هـ، وفي ٢٧ كانون ثاني ١٢٧٩ (١٨٦٤م). الخاتم: محمد نامق).

ومن المعلوم أن العراقيين يطلقون كلمة الكفيّة على المنديل، وهذه الكفية التي ورد ذكرها هنا عندي مع الوثيقة، وما تقدمها من رسائل نامق باشا التي كان قد بعث بها إلى ناصر (باشا)، وفيها يستدعيه إلى بغداد، ولم يكن قد صار شيخاً بعد، وتلك الكفية هي نسيج دقيق من الكتان، ولونها أبيض تشوبه سمرة لعتقها، وزواياها مطرزة بالقصب، فهي من النوع الذي كان يسمى چوره (بفتح الجيم المثلثة وسكون الواو وفتح الراء) وكان يرد من الآستانة، وكلمة چوره تركية معناها المنديل المطرز الأطراف، وكان هذا اللفظ مستعملاً بين ظهرانينا، وقد هجر اليوم إذ لا يؤتى منذ أمد بمثل هذه الكفافي من الآستانة لتدفق المنسوجات الأوربية علينا.

ولا يبعد أن تكون كفيتنا هذه الأخيرة من الكفافي الحاملة السلام والأمان في عراقنا المحبوب، وإن كان عندنا العهد الأخير لتلك العادة دفينة بطون التاريخ.

بغداد: يعقوب نعوم سركيس[١]

(١) مجلة لغة العرب، ج٢ من السنة ٦، شباط ١٩٢٨م، ص١٠٦.

عم سعدون مغامس المانع والكرملي

ما أبهى ما كان يوم الأحد الذي وقع في ٧ تشرين الأول ١٩٢٨م. ذلك اليوم التاريخي عند إخوان الأدب العربي ورافعي أعلام التشجيع له من كبراء وعظماء، فإن في عصره المشهود أقيمت تلك الحفلة الباهرة لتكريم الأستاذ الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي في دار صاحب الفخامة عبدالمحسن بك(١) آل سعدون لقضاء الأب الفاضل عمره حتى شيخوخته الحاضرة في خدمة لغة الضاد الشريفة. ذلك العمر الذي أتى فيه بالكتابات العديدة، والمباحث الكثيرة ما قدره علماؤنا وكتابنا وشعراؤنا من عراقيين وسوريين ومصريين وفلسطينيين وغيرهم، وفي طليعتهم المجمع العلمي العربي بدمشق الشام، وهنئوه ببلوغه هذا اليوم، وقد بجاه مع تهاني حارة كبار من المستشرقين من مختلفي الشعوب الغربية، وقد اجتمعت في هذه الحفلة كلمة هؤلاء الأفاضل جميعهم على تقدير خدماته الجلى لما وقفوا عليه فضلا عما لدى الأب من الآثار غير المنشورة.

فليهنأ الأب، وليعيش طويلاً للمثابرة على أعماله المقدرة!

وأني لأستأذن كلا من فخامة البك وفضيلة الأب في أن أذهب بهما وبالقراء الكرام إلى حادث تاريخي:

لا بد وأن الفكر سائد إنه لم يسبق قبل اليوم أن سعدونياً كرم كرملياً –ولو على غير هذا الوجه –لاتساع الفراغ الفاصل بين الفريقين، فيظن إذ ذاك أن ما أبرزه هذا الاحتفاء لهو مما أولده القرن العشرون، لكنا إذا تصفحنا التاريخ رأينا هناك تكريم شيخ من بيت فخامته –يوم كان يدعى بيته شبيبياً قبل أن يكون سعدونياً –لأحد

(١) ابن فهد باشا بن علي بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع، والد مغامس.

الكرمليين من الجدود المعنويين للمحتفى به، فكأن التاريخ أراد بهذا الاحتفاء أن يجدد على الستارة صورة صلة بات عهدها نسياً منسياً، خالعاً عليها ثوباً قشيباً جديداً تميس فيه تيهاً ودلالاً، وقد تجلى في تلك الحفلة في فخامة ابن سعدون الشبيبي ما ورثه من آبائه الأماجد من مكارم الأخلاق، مزدانة بحبه لترقية العلوم، ولا سيما تنشيطه للأب -وضمناً تشجيعه لحملة الأقلام كافة -على موالاة خدمة لغتنا الجليلة.

كان مبدأ إقامة الآباء الكرمليين في بغداد في سنة ١٧٢١م. أما البصرة فقد دخلوها للإقامة فيها منذ سنة ١٦٢٣م، وقد وجد السر هرمن كولنز سجلاً لمبعثهم في البصرة دوّن فيه أحد رؤسائهم ما لقيه من أخبارهم، منذ سنة دخولهم حتى زمانه الذي كان في سنة ١٦٧٤م، وشرع يضم إلى تلك الأنباء ما كان يحدث في أيامه في البصرة، وتبع تلك الخطة الذين خلفوه.

وهذه النسخة التي هي اليوم عند السر المذكور تنتهي بأخبار سنة ١٧٣٣م، وهي الأم بنفسها المختلفة الخطوط، ولغتها هي اللاتينية إلّا صحائف قليلة في لغات إفرنجية أخرى مع نصوص عربية وتركية، وقد بعث السر بالطبع هذا السجل من مدفنه مع ترجمته إياه إلى الإنكليزية، ووشاه بصورة شمسية لما يحويه من النصوص العربية والتركية.

ومما يرويه لنا هذا السجل الوحيد النسخة استيلاء شيخ المنتفق مغامس المانع على البصرة في سنة ١٧٠٥ (١١١٧هـ)، وكانت يوم ذاك سفن هولندية راسية فيها في شط العرب، وإني لأقصر كلامي في هذا المقام على نقل ما جرى للأب حنا (يوحنا) مع الشيخ مغامس معرباً كلامه عن الإنكليزية، وموردا النص العربي بحروفه (٣٠٢: ٣ من الأصل):

تعريب فقرات الكتاب ونص البراءة:

(في اليوم السابع من هذا الشهر (تشرين الثاني ١٧٠٥) حضرنا أمامه (أمام الأمير مغامس)، فرحب بنا، وبعد أن هنأه الربان الهولندي التمس منه أن يعطيه عقد اتفاق بين الهولنديين والعرب، فكرم عليه مجيباً طلبه بكل ما يرغب فيه، وبعد ذلك أوضح له

الهولندي مطلبهم بمذكرة الهولنديين تتعلق بشؤون الشركة، فانتهزت هذه الفرصة بتقدمي إليه مذكرة في أمر حماية كنيستنا ودارنا.

وفي ٩ من الشهر الجاري قدمنا مذكرتينا بواسطة عبداللطيف إلى الأمير مغامس، فدفعهما حالاً إلى قاضيه الشيخ سلمان ليصدقهما تصديقاً شرعياً.

وفي ١٢ منه أرسل الأمير مغامس بالبراءتين، إحداهما إلى الهولندي في الاتفاق، وثانيهما إليّ في مادة الحماية الواردة فيما يلي:

(الحماية التالية هي بالتركية):

محل الختم. توكلت على الله

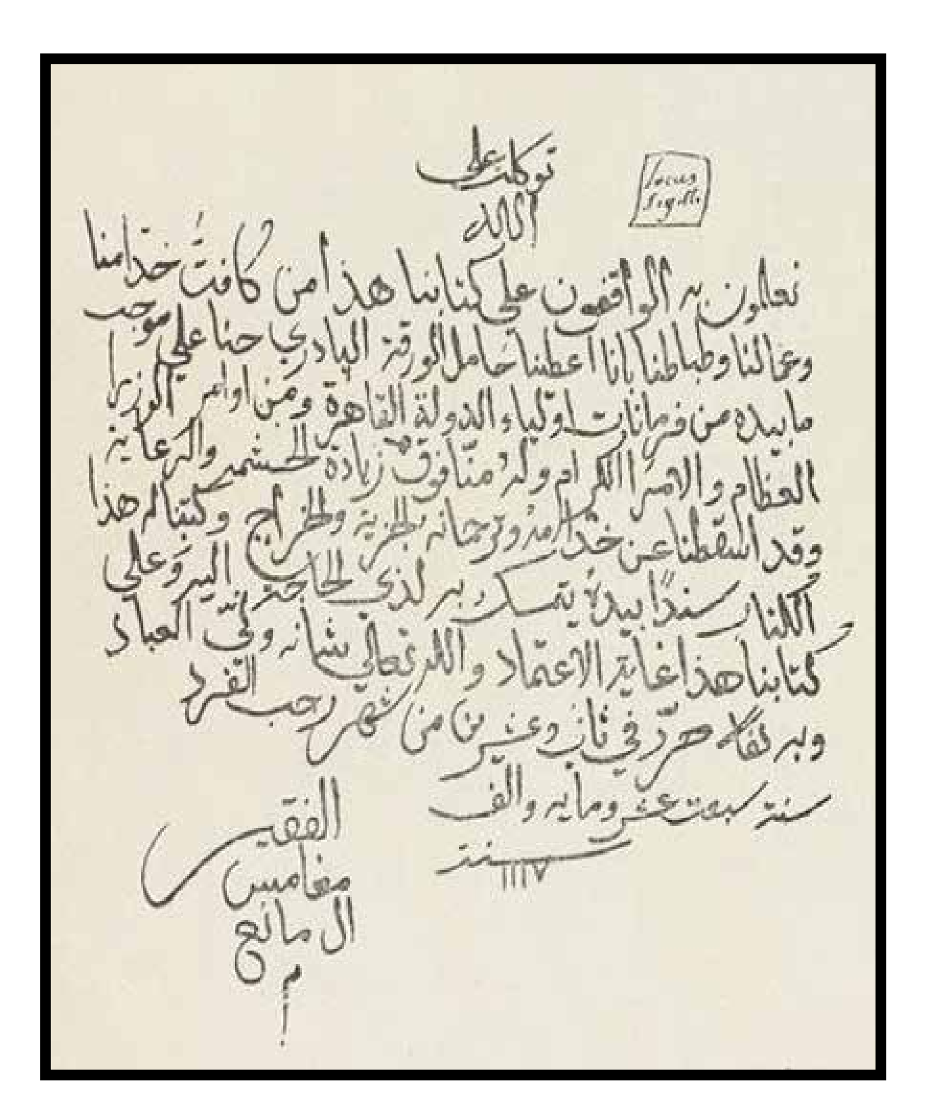
تعلمون به الواقفون على كتابنا هذا من كافت خدامنا وعمالنا وطباطنا (ضباطنا) بأنا أعطينا حامل الورقة البادري حنا على موجب ما بيده من فرمانات أولياء الدولة القاهرة، ومن أوامر الوزير العظام والأمراء الكرام، وله منا فوق (ذلك) زيادة الحشمة والرعاية، وقد أسقطنا عن خدامه وترجمانه الجزية والخراج، وكتبنا له هذا الكتاب سنداً بيده يتمسك به الذي (لدى) الحاجة إليه، وعلى كتابنا هذا غاية الاعتماد، والله تعالى شأنه ولي العباد، وبه كفا.

حرر في ثاني وعشرين من شهر رجب الفرد سنة سبعت عشر وماية وألف. سنة ١١١٧.

الفقير مغامس المانع

حصلت على براءة الحماية، ونلتها بدون أي مصروف، وستفيدنا دائما فوائد جمة، وسينتفع بها بيتنا في أحوال مماثلة). اه.

وهكذا تمر الأيام، والتاريخ يسجل.



توكلت على الله

نعلمون به الواقفين على كتابنا هذا من كافة خدامنا
وعمالنا وظباطنا بانا اعطينا حامل الورقة البادري حنا على موجب
ما بيده من فرمانات اولياء الدولة القاهرة ومن اوامر الوزرا
العظام والامرا الكرام ولكن منافوق زيادة الحشمه والرعايه
وقد اسقطنا عن خدام الدير وترجمانه الجزيه والخراج وكتبنا لهم هذا
الكتاب سندًا بيده يتمسك به لدى الحاجة اليه وعلى
كتابنا هذا غاية الاعتماد والله تعالى شانه ولي العباد
وبه تحرر في ثاني عشر من شهر رجب الفرد
سنة سبعة عشر ومايه والف

سنة ١١١٧

الفقير
مغامس
ال مانع

حماية مغامس بن مانع للكنيسة الكرملية

(١) مجلة لغة العرب، ج١ من السنة ٧، كانون الثاني ١٩٢٩م، ص٧٩.

يا للمصيبة!

أطلق عبدالمحسن بك السعدون رصاصة على قلبه في نحو الساعة العاشرة إلا ربعاً من مساء الـ ١٣ من تشرين الأول المنصرم، فتردد صداها في الديار الضادية اللسان، ولا يزال يتردد إلى هذه الساعة، بل سيتردد إلى آخر الدهر للأسباب التي حملته على هذا الانتحار الذي لم يسبق له مثيل.

ونحن ندرج هنا ما كتبه صديقنا الفاضل سليم حسون في (العالم العربي). ثم نشفعه بما كتبه الشيخ علي الشرقي في جريدة (البلاد)، وقد جاد علينا صاحبها بإعارته إيانا صورة الراحل العظيم مع مثال ابنه المتغرب في إنكلترة لتلقي العلوم، وابنه الآخر واصف بك الدارس في بغداد، ورسم فهد باشا السعدون والد فقيدنا العظيم، فنشكر صاحب (البلاد) على هداياه ومكارم أخلاقه.

(قبل الانتحار وبعده)

١- قبل الفاجعة بيوم واحد:

أخبرنا بعض زملاء المغفور له عبدالمحسن بك السعدون أنه كان بعد عصر نهار الثلاثاء (١٢ -١١ -٢٩) في بناية حزب التقدم يتكلم على عادته في حديث خاص مع جماعة من الرفقاء، وهم خالد بك سليمان، وعز الدين النقيب، وعبدالرحمن المطير، وزامل المناع.

ثم دار الحديث حول الجلسة النيابية التي كانت قد عقدت قبل يوم، واشتدت فيها المعارضة العنيفة على المنهاج الوزاري، فبدأ التأثر يلوح على وجه المرحوم، ويمحو من ثغره

الابتسامة اللطيفة المعتادة، وإذا به -رحمه الله -يقول في ضيق وهدوء: (أنتم يا حزب الأكثرية، لم تعاونوني في الجلسة النيابية الأخيرة!).

فقالوا له: (لقد تذاكرنا في الحزب، وقررنا موافقين على جواب خطاب العرش، وكانت هيئة الحزب العامة معكم، فقررت التصويت على قبول جواب الخطاب، وهكذا تم، ولم ير أفراد الحزب من الموافق أن يدافعوا عنكم، فإنكم كنتم أقوياء، وقد ظهرت النتيجة في التصويت).

قال رحمه الله: (نعم، ولكني كنت أحب أن يتكلم بعضكم، ويرد على المعارضة، لأن الناس -كما تعلمون -عقولهم في عيونهم!).

ثم تبدل الحديث وشرع -رحمه الله -يبحث في شأن جنينة بناية الحزب، ووجوب تزيينها بالزهور، وأرسل في طلب زهور مزروعة في الأواني من بيت سركيس، فجيء بما طلب. ثم ذهب إلى النادي العراقي كعادته.

٢- في نهار الأربعاء، قبل ساعة الانتحار:

في عصر الأربعاء -يوم الانتحار -كان رحمه الله في بناية الحزب، وجرى له مع رفاقه حديث خاص، أشبه بالحديث الذي ذكرناه أعلاه، وكان التأثر أيضاً بادياً على ملامحه. ثم ذهب وإياهم إلى النادي العراقي مشياً.

ولعب (لعبة الرامي) مدة قليلة من الزمن، وفي أثناء اللعب تقدم إليه خالد سليمان، وقال له: (أنا رائح إلى البيت، أتحب أن نروح سوية؟). أجابه المرحوم: (كلا. أنا أريد أن أبقى هنا بضع دقائق أيضاً).

وقاربت الساعة أن تدق الثامنة (زوالية) مساء، فضحك المرحوم ملاحظاً خالداً، وقال: (كان خالد معي في المدرسة، ولكنه كان له شوارب كبيرة).

فقال خالد ضاحكاً: (أي نعم كانت شواربي كشوارب (قوجاغلي) الذي كان

يلف شواربه حول أذنيه)!

وضحك الجميع في أنس وطرب، وذهب خالد بك إلى البيت في محلة البتاوين على طريق بيت السعدون في الكرادة الشرقية.

٣- آخر طعام وكلام مع العائلة:

بعد أن قام خالد بك سليمان ببضع دقائق، ترك عبدالمحسن بك أيضاً النادي، وعاد إلى داره، وتعشى مع حضرة قرينته وابنته الكبرى الآنسة عائدة (وعمرها ١٥ سنة)، وابنه واصف (وعمره ١١ سنة)، وابنته الصغيرة نجلاء (وعمرها ٩ سنوات).

وكان حديثه مع قرينته وأولاده في ذلك العشاء الأخير على جانب عظيم من اللطف لم يسبق مثيل!. من ذلك أنه قال لزوجته: (ما بالك لا تقيمين مأدبة شاي لقرينة المعتمد السامي؟)

قالت: (أنا منحرفة المزاج منذ ١٢ يوماً، وطباخنا قد ترك وظيفته، ولا أحب اشتراء الحلويات من السوق. إنما أوثر أن تصنع في البيت عادة، ولهذا السبب أرجوك أن تعذرني الآن).

فابتسم، وقال على سبيل المداعبة والملاطفة: (أنك لا تقبلين فكري!).

قالت: (وكيف لا أقبل فكرك؟. أنا دائماً أقبل فكرك!).

قال: (أي نعم أنا أقر بهذا، وبأنك تعملين دائما بحسب فكري!).

وكذلك داعب أولاده، ولاطفهم بمزيد الشفقة كأنه يودعهم، وهم لا يدركون!

٤- آخر كتاب كتبه لابنه وللأمة جمعاء:

ثم دخل إلى مكتبه الكائن إزاء غرفة الطعام، ودخلت العائلة والأولاد إلى إحدى

غرف الحرم.

وظل رحمه الله في مكتبه مدة من الزمن كتب في أثنائها كتاب وصيته إلى نجله علي بك الدارس في معهد (برمنگهام) في إنكلترا، والله وحده يعلم العواطف العجيبة الفائقة الوصف التي بها تخيل ابنه أمام عينيه في ساعة الانتحار، فكلمه بقلبه. فضلاً عما قاله له بقلمه المرتجف في تلك الدقيقة الرهيبة التي كانت آخر مسافة بين حياته الفانية وحياته الأبدية الخالدة.

٥- الكتاب الخالد الذي أصبح ميثاق الأمة العراقية:

هذه هي ترجمة كتاب الوصية الذي كتبه فقيد الوطن لنجله علي بك:

[عيني ومدار استنادي بُنيّ علي:

اعف عني من أجل الجناية التي ارتكبتها، لأني سئمت هذه الحياة وضجرت منها، لم أر من حياتي لذة ولا ذوقاً ولا شرفاً، الأمة تنتظر الخدمة. الإنكليز لا يوافقون. ليس لي ظهير. العراقيون الذين يطالبون الاستقلال ضعفاء وعاجزون وبعيدون كثيراً عن الاستقلال. هم عاجزون عن تقدير نصائح أمثالي من أصحاب الشرف. يظنونني خائناً للوطن وعبداً للإنكليز، ما أعظم هذه المصيبة!

أنا الفدائي لوطني الأكثر إخلاصاً قد صبرت على أنواع الإهانات، وتحملت أنواع المذلات، وما ذلك إلا من أجل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها آبائي وأجدادي مرفهين.

يا بني أن نصيحتي الأخيرة لك هي:

(١) أن ترحم أخوتك الصغار الذين سيبقون يتامى، (وتحترم والدتك)، وتخلص لوطنك.

(٢) أن تخلص للملك فيصل وذريته إخلاصاً مطلقاً.

أعف عني يا بُني علي!

عبدالمحسن السعدون]

وكان رحمه الله قد أرسل إلى نجله علي بك في النهار عينه بكتابين آخرين مسجلين، ولكن أحدهما كان من الآنسة عائدة ابنته الكبرى.

٦- الانتحار:

بعد كتابة الكتاب خرج رحمه الله من مكتبه، وأخذ يصعد إلى الطابق الأعلى، فرأته حضرة قرينته يمشي، ويصعد منزعجاً انزعاجاً غريباً، وقالت بعد الفاجعة ما ملخصه:

(ما رأيته قط يمشي مثل تلك المشية، فساورني الرعب، فتبعته إلى غرفة النوم، فرأيته (يحشو) المسدس!، فركضت مسرعة إليه، وقلت له: أواه! ماذا تعمل؟، ولأي سبب تعمل هذا؟، فقال لي: دعيني!. قلت: لا والله لا يمكن أن أدعك!، فإن كنت تريد أن تعمل شيئاً فاقتلني. اقتلني أولاً يا سيدي!. قال: دعيني وإلا قتلتك!، فصحت به مذعورة باكية: اقتلني!، وقبضت على يده، فحاول التملص مني، وتوجه إلى باب الشرفة (البالكون)، فأوشك أن يصل الشرفة، وأنا ماسكة يده اليسرى، وفي اعتقادي أني مانعته بهذه المسكة، ولكن -ويا للأسف -كان المسدس في جيبه الأيمن، وهو قابض عليه بيمناه، وأنا غائبة عن رشدي، وما أفقت إلا وصوت الطلقة النارية يدوّي في الشرفة، وكانت رجله الواحدة في الغرفة والأخرى في الشرفة، فوقع على الحضيض!).

وعلى صوت الطلق الناري أسرع الشرطي أمين الذي في دار الفقيد العظيم، فرفعه ووضعه في فراشه في الغرفة، وتراكض الأولاد، فتواقعوا هم ووالدتهم عليه يقبلون يديه ورجليه ويبكون.

٧- بعد الانتحار:

أسرعت الابنة الكبيرة الآنسة عائدة إلى التلفون، فطلبت الدكتور خياط، وكذلك

أسرع الآخرون، فأرسلوا يطلبون عبدالعزيز بك القصاب وخالد بك سليمان وغيرهما، وحيث إن دار عبدالعزيز بك القصاب قريبة جداً من دار الفقيد، وصل عبدالعزيز بك عاجلاً إلى المحل، فجثا عند سرير الفقيد الجليل، وعبدالعزيز بك يتخيل أن المغفور له يتنفس بعد، وأن عينيه تتحركان، فكان يعانق الجثة ببكاء مر، وذعر فائق يريد أن يصد الموت!. والظاهر أن عبدالعزيز بك كانت عينه تخدعه -على ما ذكر الأطباء -لأن الطلقة أماتت الفقيد العظيم حالاً. إذ أصابت مركز القلب.

وحضر الدكتور خياط مدير الصحة العام على جناح السرعة، فعاين القتيل، و تأكد أنه مائت.

٨- حضور الأصدقاء والوزراء والأطباء:

قدم خالد بك سليمان، فرأى عبدالعزيز بك والدكتور خياط في دار الفقيد، فصاح عبدالعزيز قائلاً: (لقد أضعنا عبدالمحسن!).

وتقدم خالد إلى السرير، فرأى العائلة تبكي بلا شعور، فبكى وبكى الجميع، ولطموا وناحوا!، وهتفت الآنسة عائدة تقول لخالد: (هات قلبك يا سيدي حتى نضعه في صدر بابا لعله يفيق!).

وكان الولد الصغير واصف وأخته الطفلة نجلاء (يمسّدان) رجل والدهما، ويحاولان بهذا أن يعيدا إليه الحركة!، وأما السيدة قرينته فكانت واقعة على رجليه تقبلهما، وتبكي حتى فقدت الشعور.

ووصل حينئذ ناجي باشا السويدي وشقيقه توفيق بك وياسين باشا الهاشمي، فاشتركوا في النحيب والتوديع، وقرّ الرأي على إخراج العائلة والأولاد من الغرفة، وإبقائهم في غرفة أخرى، وإسعافهم خوفاً من أن يذوبوا تماماً من شدة الألم.

ثم حضر الطبيبان البريطانيان الدكتور دنلوب (مدير المستشفى الملكي) والدكتور وود من (مدير العمليات في المستشفى المذكور)، فعاينا الجثة، وتفقدا المسدس (وهو من

طراز براونيك)، وتفرّسا في فوهة الجرح، وأخذا يسألان أسئلة شتى، فقال لهما عبدالعزيز بك أن لا يتوهّما، فإن الفقيد قد انتحر، وقد كتب كتاباً قبل الانتحار.

على أن عبدالعزيز بك كان قد نزل –قبل وصول الأطباء –إلى مكتب الفقيد، فرأى محفظته المتضمنة الأوراق الرسمية مفتوحة، وفوق الأوراق كتاب الوصية، وقد تركه المرحوم على هذه الصورة ليجلب نظر الدقة إليه.

فقرأه عبدالعزيز بك، وقدمه إلى الحاضرين، فرأوه وقرأوه باكين خاشعين!

وقدم كذلك رستم بك حيدر (رئيس الديوان الملكي والسكرتير الخاص لجلالة الملك)، والعين آصف بك قاسم آغا، والنائب محمود صبحي بك الدفتري، والنائب خير الدين أفندي العمري، والحاج سليم بك مدير الشرطة العام، وجميل بك المدفعي متصرف لواء بغداد، وأحمد بك الراوي مدير شرطة لواء بغداد، وحسين بك أفنان مدير التشريفات.

ووصلنا نحن أيضاً إلى محل الفاجعة ورأينا الجميع يبكون بتوجع شديد، فاشتركنا معهم، ولا نذكر أننا رأينا في حياتنا مثل هذا الهول أو مثل تلك المناحة (القلبية).

٩- شهادة الوزراء وغيرهم:

أما الوزراء فحالما رأوا الكتاب وقرأوه قرّروا أن يسجلوا شهاداتهم فيه، فكتب توفيق بك السويدي في آخر الكتاب ما يلي: (هذا الكتاب قد وجد موضوعاً في أوراق البيك الخاصة، وقد تلي أمامنا، وأخذت صورة منه من قبل الشرطة، وهذا هو أصل الكتاب ١٣ -١٤ تشرين الثاني ١٩٢٩)، وذيل هذه الشهادة بإمضائه.

أما الهاشمي باشا فكتب تحت الشهادة ما يلي: (وهذا الذي تضمن أكبر برهان عن عظمة التضحية التي قام بها رجل العراق وفقيده)، وذيّل الهاشمي باشا هذه الشهادة بإمضائه، وكذلك أمضى كل من ناجي باشا السويدي، وعبدالعزيز بك القصاب، وخالد بك سليمان وجميل بك المدفعي، والحاج سليم بك، وأحمد بك الراوي.

ليحيي ذكر عبدالمحسن السعدون، وتضحيته الوطنية العجيبة في قلب كل عراقي!

انتهى كلام سليم حسون.

عبدالمحسن بك السعدون قربان الاستقلال وضحية الحرية

ولد في ناصرية المنتفق في حوالي سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م)، وعاش ٥١ عاماً. والده فهد باشا الذي توفي في سنة ١٣١٣هـ، وعبدالمحسن بك يوم ذاك في فروق (الآستانة) يدرس مع أخيه عبدالكريم بك، وله من الأخوة ما عدا عبدالكريم بك، عبدالرزاق بك وهو الولد البكر لفهد باشا[١] وعمره اليوم ٦٥ سنة، ومحمد بك وعمره ٥٦ سنة، وعبدالعزيز بك وعمره ٥٠، وحامد بك وعمره ٤٥، وعبداللطيف بك وعمره ٤٢، وعبدالهادي بك وعمره ٤٠، وعبدالرحمن بك وعمره ٣٦، وحمد بك وعمره ٣٤، وعبدالمجيد بك وعمره ٣٣ سنة.

والأم التي أنجبت عبدالمحسن بك من علية بيوت آل السعدون، ومن الأميرات السعدونيات، وهي كريمة فيصل التركي آل رشيد[٢].

ترعرع في حضن الشرف والإمارة، وبقي في بلاد المنتفق حتى بلغ من العمر ١٣ سنة، وكانت قد تأسست في فروق مدرسة أبناء الزعماء والأشراف، فرغب السلطان عبدالحميد إلى فهد باشا في أن يرسل نخبة أبنائه إلى فروق لينتسبوا إلى تلك المدرسة، وبالطبع كان المقصد من هذه الرغبة سياسياً، فاختار فهد باشا من بين أولاده عبدالمحسن بك، ولكن عبدالمحسن استوحش أن يفارق حي الأمراء ونوادي الشيوخ نازحاً مغترباً إلى فروق، فتطوع أخوه عبدالكريم بك إلى مرافقته، وحينئذ اطمأنت نفسه ورضى بأخيه

(١) الصواب أن الولد البكر لفهد باشا هو ضيدان. توفي في حياة أبيه، وله ذرية كثيرة. (مشرف الخزانة)

(٢) الصواب: آل راشد من بيوتات آل شبيب، وهي أم أخويه عبدالرزاق وعبدالعزيز أيضاً. (مشرف الخزانة)

سلوى عن الأهل والوطن، وتوجها معاً إلى الآستانة، ولما خرجا من تلك المدرسة دخلا المدرسة الحربية العالية، فخرجا منها ضابطين في الجيش، واختارهما السلطان عبدالحميد مرافقين له في بلاطه (المابين)، وبقيا كذلك إلى إعلان الدستور، وترقيا في أثناء ذلك في الجندية إلى رتبة (بيك باشي)، ولكنهما استقالا من (كذا) الجندية بعد سقوط عبدالحميد، وانخرطا في سلك الاتحاديين.

ورجع عبدالكريم إلى الوطن، وبقي عبدالمحسن بك في فروق، وكان قد اقترن بعقيلة نبيلة تركية من عائلة ضاربة في الشرف وطيب المحتد أنجبت له شبلين: علي بك وعمره ١٩ سنة وهو الآن في جامعة برمنگهام في إنگلترا، وواصف بك وهو صبي له ٩ سنوات (كذا) من العمر.

وانتخب نائباً عن لواء المنتفق في مجلس المبعوثين التركي، وهكذا بقي ممثلاً للعراق، ومحافظاً على النيابة في الدورات الانتخابية، ووقعت كارثة الحرب العظمى، وهو في فروق، وبعد الهدنة أقفل آتياً إلى بلاده، وما عتم أن كرّ راجعاً إلى فروق لتسوية شؤونه لأنه أعتزم على أن يقطن في العراق، ويلازم تربة وطنه المقدس حياً وميتاً.

وفي ١٩٢٢م عاد إلى العراق، وتجول بين البصرة وبلاد المنتفق وكوت الإمارة قليلاً، فعين وزيراً للعدلية في الوزارة النقيبية الثانية. ثم وزيراً للداخلية في الوزارة النقيبية الثالثة. ثم تولى رياسة الوزارة، فنظم وزارته الأولى. ثم صار رئيساً للمجلس التأسيسي. ثم وزيراً للداخلية في وزارة الهاشمي. ثم نظم وزارته الثانية، وأسس حزب التقدم الذي لم يزل -إلى آخر ساعة -رئيسه وحامل مبادئه. ثم استقال عن (كذا) رياسة الوزارة، وانتخب رئيساً لمجلس النواب في دورتين. ثم نظم وزارته الثالثة، فحل المجلس النيابي، وباشر بإجراء انتخاب نواب أنشط وأكثر دربة من نواب المجلس المنحل، وذلك تمهيداً لما يريد أن ينهض به من المطالبة بحقوق البلاد.

ولما يئس من الحصول على مطاليب البلاد (رفس الكرسي)، واستقال من الوزارة كاحتجاج على التصلب الذي كان يلاقيه في حصول تلك الآمال، وكم بذلت جهود

وقطعت وعود في سبيل حمله على عدم الاستقالة، فلم تطب نفسه لأنه لم يجد فيها بصيصاً لسراج الأمل، وهكذا مضت الاستقالة، فانتخب رئيساً لمجلس النواب.

ومن هذا التاريخ بدأت مظاهر التأثر والقنوط تبدو عليه، ولكنه كان يغطيها برزانته وابتسامته العذبة، وكم حاول أن يغادر العراق، وينجو بذلك القلب المثخن بالجراح إلى الآستانة، ولكن المقامات العالية حركت نخوته وإخلاصه، واستنبضت عرقه الكريم، وناشدته بالعروبة والوفاء لها، فتحول عن سفر الآستانة إلى نزهة صيفية قصيرة يقضيها في ربوع لبنان، وتوجه إلى لبنان، وكانت حالة البلاد السياسية متضعضعة تتطلب سياسياً حازماً حنكته التجارب، والأبصار شاخصة إلى عبدالمحسن، والثقة تحوم حوله مرفرفة، وهو تحت شجرة الأرز اللبنانية في هذه الظروف، وتفتحت بعض الشقوق من السياسة المصمتة، فأرسلت بصيصاً من شعاع الأمل، وذلك أثر تقلد وزارة العمال الشؤون البريطانية، فاجتذب عبدالمحسن بك من لبنان اجتذاباً، وعلى أثر حضوره العاصمة كلف تنظيم وزارته الرابعة.

فاشترط في قبولها إعطاء الوعد الصريح من المراجع العالية للحليفة بإلغاء المعاهدات والاتفاقيات، وإعطاء العراق كرسياً في مجلس عصبة الأمم بدون قيد أو شرط، والدخول في مفاوضات لعقد معاهدة جديدة على أساس الاستقلال التام، وأن يسعف في بنود المعاهدة إسعافاً يمكن للعراق من الوقوف على قدميه في عام ١٩٣٢م، فلاقى تنشيطاً ومساعدة جدية من السر كلايتن صديق العرب العاطف على قضيتهم مساعدة أنبضت البرق بين بغداد ولندن، ورنت أسلاكه بتقارير كلايتن الطافحة بأحقية المطالب العراقية حتى تساهلت تلك المراجع التي كانت متصلبة، وطيرت النبأ الطيب الذي نغصه القدر المفاجئ بوفاة السر كلايتن في أهم وقت وأدق ظروف الحاجة إليه.

فتسلم السعدوني ذلك الربح السياسي، ومسك عليه بكلتا يديه، ونظم وزارته الرابعة، وبين يديه مصباح الأمل والرجاء يشع بزيت التجربة والحذق السياسي، وقد راعى في تأليف وزارته هذه قضية البلاد أكثر من الاعتبارات الحزبية، فنهض في حفلة مراسم تنظيم الوزارة، ويده مملوءة بالربح السياسي.

١- الحداد في العاصمة (عن العالم العربي بتصرف قليل):

أمر صاحب حضرة الجلالة بتعطيل جميع الدواوين، فعطلت من الساعة ١١ من صباح الدفنة إلى المساء، وما عتمت الأسواق أن أقفلت حوانيتها، ورفع كثيرون من أصحاب المحلات أعلاماً سوداً، وكذلك فعل أصحاب المحلات التجارية الكبرى.

٢- التشييع والدفن:

اشتركت العاصمة كلها بتشييع جثمان الفقيد على اختلاف أجناس أهاليها وطبقاتهم، وقد انتشروا من دار الفقيد الكبير إلى مرقد الگيلاني.

وفي الساعة الثانية ونصف بعد ظهر الـ ١٤ من شهر ت٢ (١٩٢٩) انتظمت المواكب مراعية المنهاج الذي نهجته الحكومة، فمثل جلالة الملك المعظم سمو الأمير غازي ولي عهد العراق، ومثل حكومة الدولة البريطانية فخامة نائب المعتمد السامي، فساروا وراء الجنازة بثيابهما الرسمية، وتلاهما كبار الدولة طبقات طبقات.

وكانت الجنازة الكريمة ملفوفة بالعلم العراقي، وموضوعة على مركبة مدفع، وكان السير بها هادئاً جداً على نغم الموسيقى الحربية الشجي، وعلى جانبي طريق الموكب صفوف الجنود من مشاة وخيالة تتبعهما الشرطة.

وفي الساعة الرابعة ونصف وصل الموكب إلى المرقد الگيلاني، فأخذ الجنازة المحامون، وحملوها على أكتافهم، وأدخلوها الحضرة الگيلانية، فصلى عليها أصحاب السماحة النقيب والمفتي والعلماء. ثم تقدم الخطباء، وأبنوا الفقيد أحسن تأبين، وفي الآخر دُفن الجثمان في مقبرة الحضرة الگيلانية بين دويّ المدافع وبكاء الكبار وعويل الصغار، ومستنزلين الرحمات الواسعة على تربته الطيبة.

علي الشرقي

حوادث الناصرية: العدد الأول: ج١ س١: رجب ١٣٢٩هـ = تموز ١٩١١م:

جاء في بعض الرسائل البرقية الموثوق بها أنه لما كانت عشائر البدور تضيّق الخناق على الأعراب الموجودين في (المائعة)، والمحاصَرين فيها، وكان هؤلاء إلى حاجة ماسة إلى القوت سارت باخرتان من مركز الناصرية: اسم الواحدة (فرات) وفيها مدفعان، واسم الثانية (استيم بوط) وفيها بندقية آلية (ماكينولى تفنك)، ولما وصلتا إلى المحل المرغوب إليه قابلها الأعراب بإطلاق الرصاص، فأمطر عليهم العسكر حينئذ مطراً من الرصاص، فتبددوا بعد أن قتل منهم جمّ غفير، وهدمت المدافع قلاعهم وحصونهم، وإذ ذاك تيسر للمحاصرين أن يتسلموا الطعام الذي جاء به لهم العسكر المظفر.

وفي رسالة برقية أخرى: انقسمت عشيرة الحسينات إلى فرقتين إحداهما مهادنة للبدور، والثانية متفقة مع سعدون باشا، فلما وقع هذا النفور بين الجمعين المفترقين تقاتلا في محل يبعد عن الناصرية نحو نصف ساعة، فلما علمت الحكومة بأمر هؤلاء الأعراب أنفذت إليهم باخرة لتصلح ذات البين، فلما دنت من موطنهم تفرقوا تحت كل كوكب. أما الآن، فالظاهر أن الأمن سائد في تلك الأرجاء بفضل سعي الحكومة.[١]

تأمير الشيخ مصبح: العدد الأول: ج١ س١: رجب ١٣٢٩هـ = تموز ١٩١١م:

(١) عن الرصافة ببعض تصرف. في العدد ٦٦.

الشيخ مصبح رجل بدوي لا تملك يداه غير بيت من الشعر ينزله هو وولده[1]، وقد قدّمه بعض أهل الأغراض والأهواء لغايات في صدورهم، وادعوا بأنه رئيس عشيرة فيها ثلاثة آلاف فارس. ثم طلبوا إلى الوالي أن يقيمه شيخاً لعشيرة بني مالك، ومن ينتمي إليها، وتعترف به الحكومة اعترافاً رسمياً، فلبى طلبهم والي ولاية البصرة حسين جلال بك.[2]

المنتفق: العدد الثاني: ج٢ س١: (شعبان ١٣٢٩هـ = آب ١٩١١م)

لما سارت الباخرتان بالميرة والمؤونة إلى المائعة لإنجاد سعدون باشا، وإذلال العشائر المعادية له، تحقق هؤلاء الأعراب أن الحكومة تذبّ عن حياضه انتصاراً له، فتجمهرت حينئذ جميع العشائر، وهي: (البدور، وآل غزّي، والجوارين، والعساكرة، والحسينات، وآل أزيرق)، وسائر أعراب الشامية وغيرهم، وأحاطوا بالناصرية إحاطة السوار بالمعصم، وأمطروا على السعدون ومن معه رصاصاً حامياً داوياً، وما زالوا على هذا الفتك حتى وصلوا إلى ديار الصابئة (الصبّة)، فأحرقوا البيوت ونهبوا الأموال، ولما بلغوا إلى خان (أبو ليرة) داخل مركز الناصرية اتخذوه حصناً لهم، فلما رأى الأهالي هذا المشهد أيقنوا بالهلاك، ولهذا أوفدوا إلى المحاصرين جمعاً من أكابرهم يسألون عما يريدون من عملهم هذا، فأجابوهم أنهم يريدون إكراه سعدون على الخروج من الناصرية، وإلا فهم مصرّون على نهب الناصرية وإتلافها، وقتل من فيها على آخرهم.

والظاهر أنهم لا يرجعون عن عزمهم لأنهم أقاموا جماعة منهم على محل من نهر الفرات يقال له (أبو جدّاحة) هو مشرف (مسلّط) على الناصرية حتى أنه إذا كسر مقدار شبر من سدّته غرقت الناصرية بأسرها، وكان قصدهم إغراقها بعد نهبها، وقتل

---

(١) هذا ما تقوله المجلة بينما الحقيقة أن الشيخ مصبح العرفج من أسرة مشيخة بني مالك في البصرة تحديداً، وهو مستحق لمنصبه. (مشرف الخزانة)

(٢) ملخص عن الرياض ٧٣.

أهلها، وإحراقها.

وحينئذ أعطوهم هدنة (عطوة) ثلاثة أيام ليُخرجوا في مدّتها سعدون باشا من الناصرية، واتفق أنه في اليوم الثاني قام أحد رؤساء المركز، وهو السيد زيدان ليبني منافذ الطرق والأزقة، فظنت العشائر الهاجمة أنها حيلة ومكيدة، فثاروا ثانية ثورة عظيمة، ودخلوا مركز اللواء، ونهبوا الديار، وقتلوا من الأهالي نحو ثلاثين نفساً، وقتل من العسكر عشرة رجال، وأما الأعراب، فقتل منهم نحو عشرين نفساً.

وفي اليوم الثالث أكرهت الحكومة سعدون على الخروج من مقره، فخرج بحماية آل إبراهيم، وأوصل إلى محل مزيد باشا ابن عمه، فهو الآن عنده كالمستجير به.

ولا زالت الحرب على ساق لأن المتصرف أمر بحبس (نجيدي) من آل جاسم زاعماً أنه هو سبب هذه الفتنة، والعشائر تريد إطلاقه كما تريد إخراج السيد زيدان من الناصرية لأنه من خواص سعدون.

وطريق الناصرية يكاد يكون الآن مقطوعاً، ولا يجسر أحد على أن يمرّ به لكثرة إطلاق الرصاص فيه.

ومن أشدّ ما يروى بخصوص التنكيل أن قوماً من آل أزيرق قبضوا على جنديين من عساكر الحكومة، ودفنوهما إلى صدريهما، وجاء الأعراب يعذبونهما أنواع العذاب، وهما يستغيثان بكل مارٍ بهما.

وكان في نية الحكومة أن تجهز أربعة طوابير لحل هذه المشكلة التي وقعت بين السعدون وأعدائه، وفي الآخر اكتفت بإيفاد وفد من أمراء العساكر والضباط، ومن موظفي الملكية تسمى (الهيئة التحقيقية والإجرائية) لإصلاح ذات البين، فعسى أن تكون النتيجة حسنة حقناً للدماء، وحباً بالأمن والسلام.(١)

---

(١) عن الرصافة والزهور بتصرف قليل.

سعدون باشا والمنتفق: العدد الثالث: ج٣ س١: (رمضان ١٣٢٩هـ = أيلول ١٩١١م)

لا حديث اليوم في العراق إلا ما يدور قطبه على سعدون باشا والمنتفق، والقبض على سعدون، وإرساله إلى بغداد، وسجنه في قلعة المدفعية. ثم إنفاذه إلى حلب الشهباء. أما سبب هذا الانقلاب، فطويل الشؤون كثير الشجون نورد بعضاً منه ملخّصيه عن عدة أعداد صحف بغداد، ولا سيما عن جريدة الزهور الغراء، فنقول:

إن أعراب العراق من أشد الناس دهاءً وذكاءً، وهي تميل من ذاتها إلى الفتك والغزو والحرب، وإن لم تحتج إلى ما يقوم بها عيشها، وإنما تفعل هذه الأفعال ظناً منها أنها من علامات البسالة والشجاعة والإقدام على الأمور الجسام. على أنها تسكن وتستكين إذا رأت من الحكومة ما تكبح به جماحها، والعكس بالعكس.

ولما أسفر وجه الدستور عن حسنه البديع ظن بعض الرعاع أن الحرية هي الاندفاع إلى المعاصي والمنكرات، وإتيان كل محظور، ومن جملة من شق عصا الطاعة العشائر المنبثة على ضفتي الفرات وفي شقيه حتى انقطعت حبال المواصلات بين (القرنة) إلى (الناصرية)، ومنها إلى (السماوة)، وكل ذلك في شهر ربيع الثاني من هذه السنة (نيسان ١٩١١)، فلما رأى آل سعدون عبث العشائر في تلك الديار تركت أملاكها، وعبرت إلى جهة الشامية للتخلص من بغي تلك الأقوام الطاغية.

ولما شاع مجيء ناظم باشا إلى بغداد، وأنه قد قدم لإصلاحه، وترقية شؤونه طار فرحاً السعدونيون، وأظهروا من السرور ما لم يخف على أحد، فسبّب هذا الفرح ما آثار في صدور أولئك الناس أشد الحقد عليهم، وجزموا بأن السعدون يكونون عوناً ويداً للحكومة، ومنذ ذاك اليوم أخذوا ينظرون إليهم نظرهم إلى أعدائهم أو إلى كابحي جماحهم.

وكانت عشيرة الضفير موالية لآل سعدون، ومحبة له غاية المحبة حتى أنها كانت تود أن تفديه بحياتها. ثم انقلبت الأمور ظهراً لبطن، وإذا بالضفير قد أصبحت من أشد

الناس عداوة له، والسبب على ما أثبته الرواة هو أنه لما كان سعدون باشا في شهر محرم (كانون الثاني ١٩١١) نزيل (الروضة)، ومعه جميع عشائره الموالية له، دبت عقارب الفتنة إليه، وإلى الضفير، فوقع الخلاف بين الفريقين، وللحال انفصلت الضفير، وغادرته إلى مكان قصيّ، فحاول سعدون باشا إعادة المياه إلى مجاريها، فلم يفلح، وأظهرت العشيرة أعذاراً هي أوهى من بيت العنكبوت، فبعث إليها رسولاً ابنه (ثامر بك) مرة ثانية، وقال له: (إن لم تجبك اخفرها). جرياً على سنن الأعراب وأمرائهم، (والخفر عندهم أن يأخذ الأمير الكبير من العشيرة العاصية بعضاً من إبلها بموجب الجرم الذي ركبت متنه تأديباً لها)، فذهب الولد، ووافى (ابن صويط[1]) رئيس عشيرة الضفير، وبلغه رسالة أبيه، فلم يعبأ ابن صويط بقوله، فأراد ثامر الخفر، فمنعه الحاضرون عن مدّ يده بما سمع من إطلاق الرصاص، وعلى هذا الوجه رجع ثامر بك بما رجع به (حُنين) بعد أن قُتل رجل من رجاله، وامرأة ضفيرية.

وفي تلك الأثناء أخذ بعض محبي السلم سبب الوسائل لإصلاح ذات البين بين سعدون وشيخ الكويت، فرحّب بها سعدون بدون شرط، وعاد أدراجه إلى دياره، ومعه الضفير، وفي القلوب من الدخل والغيظ والموجدة ما لا يخفى على أحد حتى بلغ صداه إلى ابن الرشيد لنصرته على الضفير، لا سيما لأنها اعتدت عليه بتعرضها لقوافله سابقاً، وأخذها منه عدداً من الإبل، وكان قد امتنع من التنكيل بها محبة لسعدون صديقه.

فلما أحس ابن صويط بقدوم ابن الرشيد، وأنه يكون ظهراً لسعدون شعر بحرج الموقف، ولهذا أسرع في الذهاب أمامه واستقباله، ولما تلاقيا طلب ابن صويط من ابن الرشيد العفو والصفح، فعفا عنه. ثم طلب إليه أن يتوسط بينه وبين سعدون لعقد عرى الصلح بينهما، فلبى طلبه، فسار للحال ابن سبهان، ومعه شيوخ الضفير إلى سعدون باشا، وأقنعوه بقبول الصلح، فلم يقبل إلا بعد اللتيا والتي، وبشرط أن تدفع الضفير خفر ٣٠٠ بعير، و٧٠ جواداً، فقبلت، ودفعت إلى سعدون ما طلبه، وأعطى هذا من هذا الخفر ٧٠ بعيراً، و١٥ فرساً هدية لابن الرشيد، وهنا روايتان: الرواية الأولى هي أن

(١) في الأصل (ابن حويط). الصواب هو ابن صويط أو سويط. (مشرف الخزانة)

ابن الرشيد فرّقها على عشائره التي كانت الضفير قد أخذت جمالها سابقاً، والثانية: أنه وهبها للضفير.

وبعد هذا الوفاق رجع كل منهم إلى قومه، وأما ابن الرشيد، فإنه من بعد أن أقام بين ظهرانيهم يومين بعد الوفاق ظعن عن ديارهم. على أن الدسائس لا زالت تجري أفاعيها تحت ظواهر الصلح حتى ابتعد ابن الرشيد، فقامت الضفير على سعدون حتى خذلته، وليس من العجب أن يُخذل سعدون لأنه لم يكن مستعداً لمثل هذه الخيانة، وانجلت الموقعة عن قتل في الفريقين، وممن عرف عن القتلى ثلاثة من السعدون، وثلاثة من شيوخ الضفير، وكانت هذه الوقعة في ٢٢ ربيع الأول من هذه السنة (٢٤ آذار سنة ١٩١١) في موضع اسمه (الحسينية) قرب (شقراء) التي فيها قصر سعدون باشا.

فلما بلغت الأمور هذا المبلغ كتب محمد العصيمي من أعيان الزبير كتاباً إلى سعدون بتاريخ آخر ربيع الثاني (أواخر نيسان) يقول له فيه أن يرسل يوسف بك ابن أخيه إلى أنحاء الزبير لينضم إلى عشيرة بني مالك، ويقطع الطريق عن قوافل الضفير التي أذنت لها الحكومة أن تأتي إلى الزبير، فأجاب طلبه السعدون، وذهب يوسف بك حتى وصل إلى مسافة ميل من بلدة الزبير، فأخذ من العشيرة المعادية ثمانية بعران، ولما رأى أن لا قبل له بإتمام ما بدأ به لمقاومة الضفير له لجأ إلى قصر خالد العون في (الشعيبة) إحدى ضواحي الزبير الذي اتخذه العصيمي مقاماً له.

ثم كتب محمد العصيمي ليوسف بك أن يرغم العشيرة، ويسلبها وينهبها انتقاماً من الزبيريين (الذين استقبحوا عمل العصيمي)، فحاصرها يوسف بك في ٢ جمادي الأولى (١ أيار) حتى انقطعت السبل بين البصرة والزبير، وغلت الأطعمة غلاءً فاحشاً، وخاف الناس على أنفسهم إلى أن منّ الله بالفرج على عباده.

ولم تنته الأمور إلى هذا الحد بل آلت إلى صورة أشنع وأفظع: زار تسعة من شيوخ البدور في عيد الأضحى من هذه السنة عجيمي بك ابن سعدون باشا، ولعلهم فعلوا ذلك حباً بالسلام، والرجوع إلى الاتفاق والوئام، لاسيما وأن عجيمي المذكور أمنهم

على أنفسهم، وعاهدهم العهود الوثيقة أن لا يؤذيهم. ثم بعد ذلك غدر بهم كما غدروا هم بأبيه، فقتل سبعة منهم، وفدى اثنان نفسيهما بمال طائل، فافلتا.

ولما سمعت العشائر بهذه الخيانة التي لم تكن إلا بأمر من سعدون باشا هاجت وماجت، وآلت على نفسها أن تنتقم من سعدون مهما كلفها من المال والرجال، وخلعت طاعته، ولم يبق من العشائر الموالية له سوى الضفير، وهذه أيضاً لم تبق على حبها له لأنه غزا عنزة مع الضفير، ومع بعض عشائر السماوة، وما كان يكرم أحداً منهم غير رؤسائهم، فإنه كان يكسوهم ثياباً في السنة مرة لا غير، وبعد انتصاره نوى أن يحرم عشائر السماوة من الغنيمة، فأنكر الضفير عليه هذا العمل، ومن ثم تحكمت النفرة بين سعدون باشا وبين العشيرة المذكورة، وأصبح سعدون وحيداً شريداً طريداً لا يرقّ عليه قلب، ولا يعطف عليه عاطف.

ولما كان بقاء سعدون باشا في مقامه مما يزعج الخواطر، ويقلقها، ويديم الاضطراب في أرجاء المنتفق كتب رؤساء العشائر رسالة، وأنفذوها إلى ولايتي البصرة وبغداد، وقد ذيلها أربعة عشر رئيساً بأسمائهم، وهذا بعض ما فيها نقلاً عن جريدة (مصباح الشرق) في عددها ٤٧ بدون إصلاح عبارتها المغلوطة:

(من المعلوم أن الدور البائد باستبداد حمولة آل سعدون على لواء المنتفگ كانت حياة عموم الرعية مستغرقة، ولما تحقق لدى الحكومة جهزت جنداً كافياً، فأخرجتهم إلى جهة الشامية، وبقوا مدة سنين، فاستراحت الأهالي، وكسبت الأمنية، وكانت الأميرية تعطى من قبل الأهالي.

أما من مدة ثمان سنين، فبواسطة أهل الغرض عبر سعدون من الشامية إلى جزيرة الغرّاف، وذلك في زمان ولاية مصطفى نوري باشا، وأخذ العهود عليهم لإحياء مشيخة آبائه وأجداده، والذي يمتنع ينهب ماله ويسفك دمه، فصارت السلطة عليهم، ولما تمكن هجم على قضاء الشطرة، وقتل رهطاً من الجند، وضايقها حتى اضطر الأهالي إلى دفع الأموال لخلاصهم من القتل.

ثم ارتحل وهجم على قضاء السوق، ونهب وأحرق، ولما تحققت معاملته لدى الحكومة ساقت الجند مع الفريق محمد باشا بعد أن استغاث اللواء وعشائره، ففر إلى الكويت. ثم عاد بواسطة العفو، وشيّد قلعة المائعة، ووضع فيها ما تمكن من الذخيرة. ثم تسلط على العشائر، وأخذ يجلب رؤساءهم، والذي لم يوافقه يقتله، وهكذا استمرت أفعاله، والحكومة كانت تراها، ولم تعاقبه لأطماعها فيه. إلى زمن الوالي السابق مخلص باشا، فساق عليه الجند، وأمر بقلع المائعة، ولما انفصل من وظيفته رجع، واستمر على جوره حتى بزغ الدستور، وتلطف البارئ علينا بالعدل، فما لبث أن عاد لحالته الأولى أيضاً، وجرى ما جرى منه من سفك الدماء وقتل الأنفس.

ونظراً لما شاهدته العشائر من انتصار حكومة المركز أخيراً، وإعطاء القوة إلى سعدون وولده. صاروا مأيوسين ومحاذرين من تسلط سعدون وولده لعلمهم بمعاملاته السابقة من قتل النفوس، والفعل الشنيع الذي صدر من عجيمي، فوقعت مناوشة خفيفة بين عشائر البدور والجند، وعند دخوله إلى اللواء صارت مصادمة بنفس اللواء حتى تلفت جملة نفوس، واحترقت جملة بيوت وانتهبت، وتُرك الناس يقتلون بعضهم بعضاً، فلم يصلحوا ذات بينهم، ولا أخرجوا سعدون من قلعة المائعة، وقد كان ذلك غاية ما تطلبه البدور من الحكومة، وقد سحبوا تلغرافات إلى المقامات العالية شارحين الحال طالبين إخراجه من المائعة، ووضع مفرزة فيها من العساكر المظفرة لإصلاح الطرق فيها والأمنية منتظرين الجواب.

فإذا لم يصدر الأمر بإجراء الإيجاب على النظام تتحد عشائر البدور مع الضفير والشيخ مبارك الصباح، وتتصل قبائل لواء المنتفگ في معيته، والي الآن ما حصلت النتيجة، ولا صدر أمر بإجرائها.

أما الضفير، فقد تم اتفاقهم مع الشيخ مبارك الصباح، وأما عشائر البدور وقبائل لواء المنتفگ، ففي المخابرة والمذاكرة، وإذا بقي هذا الحال، ولم يصدر أمر بإجلاء سعدون، وقلع المائعة لقطع دابر الفساد، وإصلاح الحال، ووضع مفرزة من الحكومة في قلعة المائعة يسري هذا الداء في عموم العراق، فنلفت أنظار الحكومة إلى إصلاح أحوال

العراق، وحقن دماء المسلمين، وتخليصهم من يد سعدون وأولاده، وتعيين مأمورين إلى اللواء خالين من الغرض محافظين حقوق الدولة والملة، فيسعون إلى إصلاح هذه المفاسد قبل أن تكون ولاية البصرة مسرحاً[1] للأجانب). اه.

ولما تريثت الحكومة في إصدار أمرها تحالفت العشائر على مناهضة سعدون، وضبطت قلعة صغيرة قُتل في أثناء أخذها اثنان من رؤساء المنتفق، فطلب حينئذ سعدون من الحكومة إرسال الطعام إلى أهل بيته بواسطة البواخر، ففعلت وأرسلت معها العساكر، فلما علمت العشائر بذلك أمطرت الرصاص على المراكب، وعلى من فيها، فقابلها الجند بالمثل ذهاباً وإياباً، ودام إطلاق البنادق من الجانبين أكثر من ١٢ ساعة.

وبعد أن تحققت العشائر وجود سعدون في اللواء حاصرته أشد الحصار لإكراهه على الخروج من تلك الديار، فخرج بعد حصار دام يومين وليلتين، وبخروجه انتهى الحصار. أما العشائر التي ناوأته في تلك الواقعة، فكانت (البدور والغزّي والحسينات والبو عظم والعساكرة).

بعد أن أهين سعدون هذه الإهانة، وتثبّت أن كل هذه البلايا التي نزلت به كانت بسبب الضفير آلى على نفسه أن يطاردها، ولو بذل دمه في سبيل تحقيق أمنيته، فما زال وراءها حتى أتى الزبير، فسمع هناك بقدوم صديقه الحميم السيد طالب باشا مبعوث البصرة إلى المدينة عائداً من الآستانة، فأحبّ مواجهته، وكتب إليه رسالة ليعرف منه إذا كان هناك مانع يحول دون زيارته، فأجابه المبعوث أن لا مانع من دخوله البصرة.

فذهب، ولما وصل البصرة نزل به ضيفاً، وحالما علم والي ولاية البصرة بدخول سعدون باشا المدينة أنبأ بلسان البرق لجنة التحقيق والإجراء بموافاة الشيخ المذكور، فورد الجواب بالقبض عليه، وإرساله إلى بغداد مخفوراً، فأرسل إليه آمر المبذرقة (أي قومندان الجاندرمة) وقت القيلولة، وطلب إليه أن يواجه والي الولاية، فلبى الطلب مسرعاً.

فلما وصل دار الحكومة قيل له أن الوالي في العشّار (محلة من محلات البصرة واقعة

(١) في الأصل (مرسحاً).

على شط العرب)، فركب العجلة، ولما وصل الحي المذكور قيل له أنه في المركب، وما كادت أقدامه تطأ باخرة (مسعودي) إلا وشعر بأنه محاط بالخفر، وأنه ينقل إلى بغداد، فوصلها في ٢٧ تموز، وأنزل في دار خاصة به عيّنتها له الحكومة، وجعلت له خدماً على نفقته. ثم في ٣ آب نقل إلى قلعة المدفعية الواقعة على دجلة، وفي ليل ٢٠ آب سافر إلى حلب الشهباء عن طريق الموصل لمحاكمته هناك، والله اعلم بمصير الأمور.

أما أعراب المنتفق، فقد أخلدت إلى السكون والراحة ريثما تجد لها ما يثير غضبها. وفق الله الجميع إلى ما به خير العباد، ونفع البلاد.

سعدون باشا: العدد الخامس: ج٥ س١: (شوال ١٣٢٩هـ = تشرين الثاني ١٩١١م)

وصل سعدون باشا إلى حلب في أواسط أيلول الماضي، رغماً عما أشاعه بعض المغرضين المرجفين، وكان يخفره ضابط وثمانون جندياً، وأودع سجن حلب ريثما يحاكم.

مصالحة عجمي بك السعدون وحمود بك السويط: العدد السابع: ج٧ س١: (محرم ١٣٣٠هـ =كانون الثاني ١٩١٢م)

سار عجمي بك السعدون إلى ابن الرشيد، وما وصل إليه إلا وحضر حمود بك السويط رئيس عشيرة الضفير، فأصلح الأمير ما بينهما، والآن هما على وشك الوصول إلى ديارهما.

ثم برز بعد ذلك الأمير ابن الرشيد بجيوشه إلى الضفير وشمر وحرب، ومن والاهم طالباً منهم أن يجتمعوا به هناك.[1]

(١) عنها: أي الرياض.

وفاة سعدون باشا: العدد السابع: ج٧ س١: (محرم ١٣٣٠هـ =كانون الثاني ١٩١٢م)

توفي الشيخ سعدون باشا رئيس عشائر المنتفق في حلب الشهباء في أوائل شهر كانون الأول.

ابن الرشيد والضفير: العدد العاشر: ج ١٠ س١: (ربيع الثاني ١٣٣٠هـ = نيسان ١٩١٢م)

أخبرت الرياض أن حضرة الأمير ابن الرشيد قد أقبل بخيله ورَجله، فنزل على (أبي غار) من ديار المنتفق، والغاية من هبوطه تلك الأرجاء تأديب عشيرة أعراب الضفير لإصرارها على قطع الطرق، ونهب القوافل، وهضم حقوق المنتفق، وشق عصا الطاعة. على أن الأمير يعدل عن الإيقاع بهم إذا ارعووا عن ضلالهم. هداهم الله إلى الصراط المستقيم.

أمراء العرب: العدد ١٢: ج ١٢ س١: (جمادى الآخرة ١٣٣٠هـ = أيار ١٩١٢م)

نمى إلى جريدة الرياض تفصيل المعركة التي جرت بين ابن الرشيد، وبين عشيرة المنتفق التي أبت إلا ركوب مطايا العصيان والضلال، وذلك على الصورة الآتية:

ذهب ابن الرشيد إلى الخميسية للامتيار، (وبلسان أهل البادية للمسابلة، وبعبارة أخرى لمشترى ما يُحتاج إليه من طعام وذخيرة ولباس للسنة كلها)، فعارضته العشائر المعادية، واجتمعت عليه من باب مدينة النجف (المعروفة أيضاً باسم المشهد أو مشهد علي) إلى باب مدينة البصرة، فلما رأى ذلك أخذ يراسل الحكومة والعشائر ليوقف أولي

الأمر على الحقائق.

أما العشائر، فأعارته آذناً صماء، لا بل طردت رسوله، ومزقت كتابه، وذكرت له أمراؤها أنه لا يحق له أن يمتار من تلك الربوع، وأن يقفل عائداً إلى جبله، وقد وافقهم على هذا الكلام جميع تلك العشائر، وهي: الزيّاد (كشدّاد)، والضفير (وزان الصغير)، وبنو حكيم[1] (وزان زبير، وتلفظ الكاف جيماً مثلثة فارسية، ويسمون أيضاً بنو حكّام كشدّاد، وتلفظ الكاف أيضاً جيماً مثلثة فارسية)، والبدور (كأنها جمع بدر)، والغزّي (كعري)، والخزاعل، والحسينات (مصغرة مجموعة)، وغيرها، وكلها من القبائل الغازية للأمير ولأمواله وسوائمه أينما وجدت.

فألح الأمير عليهم أن يعدلوا عن مساوئهم، وأن يسيروا في سبيل الصلاح والإصلاح، فأبوا بل زادوا طغياناً وضلالاً، فلما رأى الأمير أن لا أمل فيما سعى انقض عليهم، ولا انقضاض العقاب الكاسر، ففل شباتهم، وهزمهم شر هزيمة، وأخذ منهم شيئاً كثيراً من أسلحتهم وأموالهم وعددهم، وكبل بالقيود ثلاثة من شيوخ الضفير، وأخذهم معه، فعسى الرعوى تعقب البلوى.

طاعة العشائر: العدد ١٢: ج ١٢ س١: (جمادى الآخرة ١٣٣٠هـ = أيار ١٩١٢م)

كتب إلى الرياض ما ملخصه: لما رأت عشيرة البدور ما أوقعه ابن الرشيد بعشائر الضفير، سلّمت إلى الحكومة ما كان عليها من متأخر الباج (الكودة)، وهو عبارة عن عشرة آلاف رأس غنم، وكذلك فعلت عشيرة (أبي عظم).

أما عشيرة البو شرف الحكام، فإنها أظهرت من المقاومة ما سبب تلف أملاكها، ولهذا داخل الرعب قلوب عصاة العشائر، ومن ثم أصبح رجوعهم إلى المسالمة والأمن

(١) ليس المقصود بنو حكيم القبيلة الشهيرة في السماوة، بل حكّام أو حچام إحدى عشائر المنتفق. (مشرف الخزانة)

قريب الوقوع، والفضل في ذلك كله راجع إلى حضرة متصرف الناصرية فريد بك الذي يفرغ كل وسعه لتأمين لواء المنتفق.

عجيمي بك السعدون مع الضفير والبدور: العدد ١٢: ج ١٢ س١: (جمادى الآخرة ١٣٣٠هـ = أيار ١٩١٢م)

لم ينس عجيمي بك ما فعله أعداء أبيه في السنة المنصرمة، فتوفز للقتال بأن ذهب إلى ابن الرشيد، وتزوج ابنته[1]، فأمده حموه بجيش من شجعان الفرسان المقاتلين. ثم انضم إليهم أيضاً بنو خيقان (أو خيگان)، ومن جاورهم من أعراب تلك الربوع، وهجموا هجمة واحدة على الضفير والبدور، فكانت الواقعة من أشد الوقائع هولاً خُذل فيها أهل العيث والفساد، وهم الضفير والبدور، وكان الفوز للمؤدبين عجيمي السعدون ومن كان معه، وكانت خسائر النفوس كثيرة، ومثلها خسائر الأموال والخيل والإبل، ومن بعد هذا سار مزيد باشا السعدون لمساعدة عجيمي بك، فعبر الفرات بأهله وعشائره وخيله ورجله، وانضم إلى الشيخين أيضاً عبدالله بك ابن فالح باشا السعدون، فأصبحوا سداً منيعاً في وجه أعدائهم، ولعل الأعداء إذا رأوا هذه القوة العظيمة أخلدوا إلى الطاعة والسلام، واهتموا بما فيه خير الأنام.

ابن الرشيد: العدد ١٤: ج٢ س٢: (شعبان ١٣٣٠هـ = آب ١٩١٢م)

أرسل ابن الرشيد إلى الآستانة وفداً برئاسة ناصر باشا الخشمان لمطالب متعددة منها: قبول مبعوثين عن بلاد العرب النجدية، وإطلاق الحرية له لتأديب العصاة العائثين في العراق، والمطالبة بحقوق أبناء سعدون، وغيرها.

(١) الصواب أن عجيمي تزوج ابنة الشيخ عقاب بن عجل الشمري من أخوال ابن رشيد ومن شيوخ شمر، وهي أم ولده أسعد. (مشرف الخزانة).

الضفير، وأولاد سعدون: العدد ١٤: ج٢ س٢: (شعبان ١٣٣٠هـ = آب ١٩١٢م)

أبى عجيمي بك السعدون أن يصالح الضفير، وهو على وشك الرحيل إلى حائل مقر إمارة ابن الرشيد، وسبب انتكاث حبل الأمن بعد إمراره أن ابن ضويحي أحد مشايخ الضفير استاق من عشيرة عجيمي بك إبلاً من موطن يبعد عن الزبير ٨ ساعات، والآن يحاول الضفير المصالحة بإلحاح، فأحالهم عجيمي بك على رأي ابن الرشيد، وبما يأمر به.

غزوات الأعراب: العدد ١٥: ج٣ س٢: (رمضان ١٣٣٠هـ = أيلول ١٩١٢م)

لا زال الضفير مجاورين اليوم لعشائر عنزة، وهم يدفعونهم إلى غزو المنتفق ومطير، وقد قام فهد الدغيم بن هذال بجيش لهام من عنزة صائلاً على المنتفق ومطير، ووعدهم ابن سويط زعيم الضفير أن يجمعوا قوتهم إلى قوة هذّال، ولا يرجعون حتى يضربوا أعداءهم ضربة قاضية، فإلى متى هذه الغزوات، وهذه الفتكات؟، وأملنا في الحكومة أن تردع هؤلاء الأعراب، وتؤمن الطرق، وتحافظ على حياة المسافرين، وتمنع وقوع مثل هذه الأحداث: أحداث الجاهلية لا أحداث هذه العصور النيرة.

مبارك الصباح ومطير: العدد ١٥: ج٣ س٢: (رمضان ١٣٣٠هـ = أيلول ١٩١٢م)

مطير قبيلة تحب الفتك والغزو، ولا تخلد إلى الراحة طالما ينبض فيها عرق، ولهذا ترى أفرادها في شن الغارات الدائمة والهجوم المتصل، وقد استاء الشيخ مبارك

الصباح من عمل الدويش رئيس مطير لنزول أعرابه بجوار عجمي بك السعدون، فكان خبر استيائه منهم باعثاً على مزيد فرحهم، فجيشوا جيشاً، وأغاروا على أتباع مبارك النازلين في سفوان، واستاقوا منهم إبلاً وأموالاً، فاسترجعها أصحابها بعد ملحمة عظيمة، ورجع كل قوم إلى أصحابهم. أصلح الله الأحوال![1]

السعدون: العدد ١٥: ج٣ س٢: (رمضان ١٣٣٠هـ = أيلول ١٩١٢م)

حدثت معركة عظيمة بين عشيرة الضفير، وبين ولد سعدون باشا، وهم عجمي بك وإخوانه، ومعهم العشائر العديدة المنضمة إليهم، فدام الصراع مدة طويلة انجلى عن انكسار الضفير، وقتل كثير منهم كالشيخ عفنان بن ضويحي، وخمسة من كبارهم، وجرح حمود بن سويط رئيسهم الأكبر، وقد غنم ولد سعدون وعشائرهم إبلاً وخيلاً وأمتعة كثيرة. أصلح الله الأمور!

عجيمي بك السعدون: العدد ١٦: ج٤ س٢: (شوال ١٣٣هـ = تشرين الأول ١٩١٢م)

أغار عجيمي بك السعدون على عشيرة الخرسان بالقرب من الرافضية، ونهب مواشيها وبيوتها.

المنتفق، وفتنتها: العدد ١٧: ج٥ س٢: (ذو القعدة وذو الحجة ١٣٣٠هـ = تشرين الثاني ١٩١٢م)

---

(١) كلها عن الرياض.

لا زالت عشائر المنتفق في نزاع وخصام وغزو وفتك على مدى السنة. أما اليوم فإن متصرف المنتفق احتال على هذه العشائر بأن ألقى بينها العداوة، فلهت بها، وتركت الناس في راحة.[1]

عجمي أو عجيمي بك السعدون: العدد ١٧: ج٥ س٢: (ذو القعدة وذو الحجة ١٣٣٠هـ = تشرين الثاني ١٩١٢م)

أرسل عجمي بك السعدون رئيس رؤساء المنتفق رسلاً إلى الأمير ابن السعود، ومعهم مندوب فيصل شيخ قبيلة مطير يطلبون منه تجديد المعاهدة والصداقة لربط قبائل العراق بأمراء نجد، والأمل أن تتحقق الأمنية.

هدية إعرابي لإعرابي: العدد ١٧: ج٥ س٢: (ذو القعدة وذو الحجة ١٣٣٠هـ = تشرين الثاني ١٩١٢م)

قالت الرياض: (أهدى الشيخ خزعل باشا السعدون لابن أخيه مزيد باشا ٢٥٠,٠٠٠ ليرة)[2]، ونحن نظن أن في هذا المبلغ غلواً ظاهراً.

عشائر ربيعة: العدد ١٨: ج٦ س٢: (المحرم ١٣٣١هـ =كانون الأول ١٩١٢م)

بعد أن خرج سعدون باشا في حلب من دياره، وظعنت معه من الغرّاف أسرته الكبيرة، اتفق الشيخ شبلي بك ابن فهاد بك ابن منصور باشا أحد شيوخ المنتفق من

(١) ملخص عن الرياض العدد ١٤٤.

(٢) ورد في تصويبات (لغة العرب) في نهاية السنة الثانية تصحيح الخبر، وهو أن المُهدي هو مزيد باشا السعدون، والمُهدى إليه هو عجمي باشا السعدون، والصواب أن الأمر لم يكن إهداءً عن رضى. (مشرف الخزانة)

سكان الغرّاف وزراعه مع الشيخ محمد الياسين شيخ أعراب الميّاح أحد رؤساء ربيعة التابعين للأمير محمد الحبيب أكبر أمراء ربيعة على أن يحمي أراضيه عن تعدي العشائر الأخرى عليه، ويعوض عن ذلك بشيء معلوم بينهما، وهو نصف حاصل أراضي شبلي بك الموما إليه عن خمس سنوات ابتداء من سنة ١٣٢٨ مالية. لكن الشيخ محمد الياسين لم يقم بما وعد بل تجاوز طوره أو يكاد.

فدخل شبلي على محمد الحبيب ليحفظ له حقه، فاستدعى الشيخ محمد الياسين ليذكره بإيفاء وعده، فأبى وأخذ يجند الجنود ليقابل الأمير وأعرابه إلا أنه لما أحس بضعفه بإزاء ما رأى من عزم أمير أمراء ربيعة، وكثرة ما لديه من العَدد والعُدد، وتوطيد النفس على التنكيل به طلب منه الرحمة، فعدل الأمير عن الهجوم بعد أن اشترط عليه عدة شروط يقوم بوفائها لقاء ما كان قد تعهد به للشبلي، فوعد محمد الياسين أن يدفع له خمسة آلاف ليرة نقداً، وألف ليرة تدفع قسطين: النصف الأول في السنة المقبلة، والنصف الآخر في العام الذي يليها، وعليه حقنت الدماء، ومنع حلول البلاء.

متبوعو عجمي بك السعدون: العدد ١٨: ج٦ س٢: (المحرم ١٣٣١هـ =كانون الأول ١٩١٢م)

زادت سطوة عجمي بك هذه الأيام حتى أصبح التابعون له والخاضعون لأمره ألوف مؤلفة من الأقوام، وله تحت رايته عدد عديد من المقاتلين مجموعين من عدة قبائل، وهي مطير وعتيبة وبني سدّ (بتشديد الدال وتصحيف أسد) وشمر، ومن عشائر العراق: العساكرة والغزي (بكسر الأولين وتشديد الياء) والنواشي وحكّام (كشداد) والبو حميدي والحسن (بكسر ففتح) وبني سالم والغريافية (بكسر الأول) والشواوشة وأهل السورة (وزان عورة) والبو حمدان وبني حطيط (بحاء مهملة في الأول وعلى وزان زبير) وآل إسماعيل والعمائرة والحول (وزان سبب) والبو شامة والفهود والشواليش والبو خليفة والبو جويبر (تصغير جابر) والزياد والمومنين وآل شميس (تصغير شمس) والنجيمات

(بالتصغير)، وغيرهم مما يطول ذكر أسمائهم، وتقريباً جميع عشائر المنتفق النازلة على الفرات.

عجمي بك السعدون في نواحي الزبير: العدد ١٩: ج٧ س٢: (صفر ١٣٣١هـ =كانون الثاني ١٩١٣م)

شاع في البصرة أن عجمي بك السعدون عازم على كبسها، فارتاع لهذا النبأ المشؤوم أهل البصرة كلهم أجمعون، ولا سيما نصاراها ويهوديوها، وبعد أن تهيأ لمهاجمته سكان البصرة بأسلحتهم وعدتهم كذبت الأخبار والأراجيف، ورجع كلٌّ إلى أشغاله.[١]

عجمي بك السعدون والأعراب: العدد ٢٠: ج٨ س٢: (ربيع الأول ١٣٣١هـ = شباط ١٩١٣م)

إن هذا الأمير نازل اليوم على (ماء الشقراء) على بعد ١٤ ساعة من الزبير، وقد وفدت إليه العشائر التي كانت قبلاً معادية له، وهي: (البدور والسعيّد والفواز والزيّاد ومطير)، وطلبت منه العفو، فعفا عنها، وقد نزلت اليوم بأهاليها وأموالها في أراضيه.

وقد وفد إليه من شجعان القصيم ما يقرب من ألفى محارب، فسلّحهم وأعطاهم خيلاً، وقد أصبحت قوة هذا الشيخ في هذه الأيام في ازدياد، ويحسب لها حساب، ولهذا عدل أبناء فالح باشا عن الخروج على عجمي، ولا سيما لأنهم رأوا أن الأعراب الذين مر ذكرهم، وكانوا مصافين لهم غادروهم، وانضموا إلى عجمي بك، ولم يبق معهم إلا بعض الضفير، ولا بد أنهم ينضمون إليه أيضاً، وقد أغارت سرية له على الضفير النازلة بقرب الخضر، (وهو الأخضر)، وهي ناحية بقرب الدراجي على طريق السماوة، فغنمت منهم أبلاً وخيلاً وغنماً وذخائر كثيرة، وفرّت الضفير من وجه عداها، ولجأت

(١) عن كتاب خصوصي.

إلى داخل الناحية، فساق الغزاة ما وجدوه من السائمة بعد فرار العشيرة، وفر ابن سويط ناجياً بنفسه.[1]

عجمي بك والضفير: العدد ٢٠: ج٨ س٢: (ربيع الأول ١٣٣١هـ = شباط ١٩١٣م)

قالت الدستور (من جرائد البصرة) ما خلاصته: كان لسطوة سعدون باشا في السنين الأخيرة دويّ مترامي الصدى، وذلك حينما كانت عشيرة الضفير نصيرة له في السراء والضراء، باذلة المهج في سبيل حبه، حتى أنها اشتهرت بذلك، وفاقت سائر أعرابه المخلصين له، وأشهر هذه الوقائع الوقيعة التي شهد لها سعدون باشا نفسه أي وقيعة سنة ١٣٢٧ في إبان عداوته للشيخ مبارك الصباح.

هذا، ولما كانت الأمور لا تستقيم على حالة واحدة وقع بين الباشا وبين الضفير ما قلب ظهر المجن، وإن كان السبب طفيفاً لا يحفل به إلا أن أطماعه جسمت الصغائر، وجعلتها من الكبائر، فانقلبت العشيرة عدوة له بعد أن كانت صديقة له، وتطايرت شرر الفتن بين الخصمين حتى اضطرت ولاية البصرة إلى إبعاد سعدون عن ديار العراق حقناً للدماء، وأرسلته مخفوراً إلى حلب، وهناك مات سنة ١٣٢٩هـ، وما كاد يموت إلا وقام ابنه عجمي لينتقم من الضفير إلا أنه رأى نفسه في الآخر عاجزاً عن مناوأتها، فغادر ربوعه متوجهاً إلى (حائل) مقر الإمارة الرشيدية، فاستجار بالأمير ابن الرشيد، وكان هذا الأمير ينتظر فرصة للضرب في العراق فزحف مع المستجير به بخيله ورجله لإصلاح ذات البين بين عجمي بك والضفير إعادةً للمياه إلى مجاريها.

إلا أن الزمان كشّاف الأسرار والسرائر أظهر عكس الأمر، أي أن الأمير لم يأت إلا ليغزوها، ويأخذها إرضاء للائذين به، وبعد أن جرت معركة كبيرة بين ابن الرشيد والضفير رجع الأمير إلى مقر إمارته ظافراً. أما العشيرة فنهكت، فتخلف عجمي ليحاول

(١) عن الرياض.

الكرة عليها ما دامت في وهنها، فلم يفلح، وما زال يتطلب هذه الغاية اليوم.

وفي هذا العهد الأخير لما توفر لديه المال، (وهو الثروة التي وقعت له من عمه مزيد باشا أي ٢٥٠,٠٠٠ ليرة) أخذ يجمع العَدد والعُدد لمناجزة الضفير القتال، والإيقاع بهم. هذا وأغلب الضفير نازلون اليوم على (الصخرية) داخل لواء الناصرية، وعلى بعد نحو ٣ ساعات من المركز (أي الناصرية)، وعليه تكون المسافة بين منزل عجمي بك (أي الشقراء)، ومنزل الضفير قريبة، ويسهل على القبيلين نشوب المعركة بينهما لامتلاء الصدور من نتاج النفور. أبعد الله تلك الشرور. إنه رحيم.

عجمي بك السعدون: العدد ٢٢: ج١٠ س٢: (جمادى الأولى ١٣٣١هـ = نيسان ١٩١٣م)

لم تبرد غلة عجمي بك السعدون بما فعله بعشائر البدور سابقاً، ولهذا قصد الهجوم بمن معه عليهم، وقد وقعت ملحمة عظيمة بين القبيلتين دارت دائرتها على عجمي، فرجع مخذولاً، وقد ترك من القتلى في حومة الوغى شيئاً كثيراً، فعظمت العداوات، وربما أدت إلى بلاء أعظم من البلاء الأول.(١)

عجمي بك والضفير: العدد ٢٣: ج١١ س٢: (جمادى الآخرة ١٣٣١هـ = أيار ١٩١٣م)

نمى إلى (المصباح) أن وقعت ملحمة بين عجمي بيك السعدون والضفير في الجانب الغربي من الأراضي الواقعة في الجزيرة، فكان الفوز فيها للعشائر المعادية للبك، وكان قد انضوى إليها مزيد باشا السعدون، والأمل أن أهل الحل والعقد يزيلون هذه الأحداث المضرة بالبلاد والعباد.

(١) ملخص عن المصباح.

وفاة مزيد باشا السعدون: العدد ٢٣: ج١١ س٢: (جمادى الآخرة ١٣٣١هـ = أيار ١٩١٣م)

سقط مزيد باشا السعدون من على ظهر ذلوله، فمات بعد ستة أيام.

ابن الرشيد وابن سويط: العدد ٢٤: ج ١٢ س٢: (رجب ١٣٣١هـ = حزيران ١٩١٣م)

بعد وقوع الواقعة بين عجمي السعدون زعيم المنتفق وبين عشيرة الضفير زحف الأمير ابن الرشيد على المعتدين، فجاءه حمود ابن سويط رئيس عشيرة الضفير، ومثل بين يديه واضعاً أموره تحت حكمه، فقام ابن الرشيد، ووعظه عظة كلها حكمة وأدب، وأوجب عليه أن يرجع إلى طاعة زعيم المنتفق على ما كان عليه سابقاً، فوقع ابن سويط على عجمي بك، وتعهد له بأنه لا يخرج عن طاعته، بل يسير معه كما سار قبلاً مع آبائه الأولين، فقبله وشكر الأمير على إصلاحه ذات البين بين الطرفين، فأصبح الضفير والمنتفق وابن الرشيد وابن السعود في ساحة واحدة إخوان صفاء، وأخدان وفاء. أدام الله الصلح بين الجميع![١]

وفي رواية للزهور أن قيم مقام السماوة سلتان بك سار لعقد عرى الصلح بين عجمي بك السعدون وبين الضفير مع القبائل التي ترجع إلى القبيلين، فنجح في مسعاه، وربط الشروط بأوراق ومحاضر، ووافى بها إلى دار الإمارة، وقد أمنت الطرق، ووردت السماوة حدرة (أي ركب) قوامها ألف وخمسمائة بعير لآل الرشيد للامتيار، وهذا ما يدلك على رجوع الأمور إلى مجاريها.

---

(١) ملخصة عن الرياض.

العشائر وعجمي بك السعدون: العدد ٢٤: ج ١٢ س٢: (رجب ١٣٣١هـ = حزيران ١٩١٣م)

نمى إلى المصباح: أن الأزيرق والحَكّام والبدور والعبودة والضفير من عشائر المنتفق تجمهرت على عجمي بك السعدون قرب الزبير، فأحاطت به إحاطة الهالة بالقمر، ونادت: (يا لثارات المشايخ)، وما قالت ذلك إلا وهجمت هجمة واحدة عليه، وعلى من انضم إليه، ففر عجمي بك مدبراً ناجياً بنفسه على ظهر جواده، وغنمت العشائر ما كان معه.

قلنا: فتكون هذه الوقيعة قبل الصلح الذي عقد معه ومع الضفير على ما يظهر لنا.

عجمي السعدون قرب البصرة: العدد ٢٤: ج ١٢ س٢: (رجب ١٣٣١هـ = حزيران ١٩١٣م)

نمى إلى الجريدة المذكورة أن عجمي نازل قريباً من البصرة مهدداً إياها بالهجوم، لكنه لم يفعل، ولن يفعل شيئاً. إذ كلامه من قبيل البرق الخلّب، والظاهر أن الذي سوّل له ذلك أحد شياطين الإصلاح من سكان بغداد.

عجمي السعدون في السوجية: العدد ٢٩: ج٥ س٣: (ذو الحجة ١٣٣١هـ = تشرين الثاني ١٩١٣م)

قام عجمي بك السعدون بزملته من الغبيشية، ونزل في السوجية متخذها مباءةً له، فتألبت عشائر لواء المنتفق، وصممت على مناوأته، ولا بد من أن يتطاير عن قريب شرار هذه الفتنة.

بين عشيرتي الحسينات وقاطع: العدد ٢٩: ج٥ س٣: (ذو الحجة ١٣٣١هـ = تشرين الثاني ١٩١٣م)

في أوائل آب جرت واقعة بين عشيرتي الحسينات، وقاطع بن بطي على مقربة من مركز الناصرية خسر فيها الفريقان نحو مائة قتيل، وأصيب رجلان وامرأة بالرصاص العائر، وكانوا في داخل المدينة، فماتوا.

ولعل يتلو هذه الموقعة موقعة أخرى. أما منشأ العداوة، فهو على ما جاء في (صدى الدستور) من نتائج سياسة فريد بك المتوفى حينما كان متصرفاً في ديار المنتفق، فإنه دفع عشيرة الحسينات عن مزارعها وديارها التي كانت تبعد عن مركز الناصرية أكثر من نصف ساعة، وأنزل في مكانها قاطع بن بطي لأن الحسينات لم تذعن للمتصرف تمام الإذعان في أمور انتخاب المبعوثين السابقة كما أذعنت له عشيرة قاطع، ولما انفصل فريد بك من متصرفية اللواء أخذت الحسينات تدّعي بإعادة أراضيها إليها، وإجلاء قاطع عنها، ولما لم ترد الحكومة أن تسمع شيئاً بهذا الخصوص نشبت العداوة بين العشيرتين، ووقع ما وقع.

وفي الوقت عينه وقعت واقعة أخرى بين عشائر (حسن القبيح) وعشائر (كويد المحينة)، إلا أنه لا يعلم تفاصيل قتلاها.

فلما رأى عجمي السعدون حالة تلك العشائر أراد أن يصلح بينها، فأرسل يطلب حضور رؤساء العشيرتين، فلما جاءوا قبض على كويّد (مصغر كائد) وحبسه، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن أفرغ له قلعة (البو صلابيخ)، فسكنها عجمي بك، ويقال إن كويد المحينة لما أطلق سراحه ذهب إلى قبائل بني خيقان والعساكرة أعداء عجمي ليشاركها في مناوأة عدوهم جميعاً.

عجمي السعدون: العدد ٣٠: ج٦ س٣: (المحرم ١٣٣٢هـ = كانون الأول

١٩١٣م):

عجمي السعدون هو اليوم في السوجية، (وهي على نهر يأخذ من الفرات، وقد ابتدعه خصومه الذين كان يحاربهم باتفاقهم مع متصرف المنتفق)، وقد احتل ثلاث قلاع هناك.[١]

لواء المنتفق: العدد ٣١: ج٧ س٣: (صفر ١٣٣٢هـ =كانون الثاني ١٩١٤م)

طلبت حكومة المنتفق من عشيرة (العساكرة) ٦٠٠ ليرة، وهي بقايا ما عليها من الأموال الأميرية، فأبت العشيرة دفعها، فأرسل أولو الأمر بإحدى البواخر الحربية لإجبارها علي تأدية المبلغ، فلما وصلت إلى مقر العشيرة أمطرت على إحدى دورها الحصينة وابلاً من الرصاص، فأذعنت وأدّت ما عليها، وقد مات من الرصاص امرأتان، وأربعة حيوانات.

عجمي والغزّي والحسينات: العدد ٣١: ج٧ س٣: (صفر ١٣٣٢هـ =كانون الثاني ١٩١٤م)

طلب عجمي السعدون من ابن حبيّب رئيس عشيرة (الغزّي) إتاوة عن الأراضي التي زرعها، فرفض طلبه، وحينئذ أخذ عجمي يتقرب من عشيرة (الحسينات) ليتخذها عوناً له على تلك القبيلة، فأخفق في مسعاه، وكان مع عجمي نجديون بمنزلة جند، فغادروه وذهبوا إلى (الخميسية)، وسلّموا أسلحتهم إلى معتمده هناك، ويقال أن سبب ذلك هو أن عجمي لم يدفع مشاهراتهم.

---

(١) ملخصة عن الرياض.

عجمي السعدون والضفير: العدد ٣٢: ج٨ س٣: (ربيع الأول ١٣٣٢هـ = شباط ١٩١٤م)

بعد أن تم الصلح بين عجمي بك، وبين شيخ مشايخ الضفير حمود السويط، وتعاهدا على أن لا يؤذي الواحد الآخر، وأخذ شيخ الضفير ميثاقًا من عجمي يؤكد له الأمن والراحة إذا بعجمي استنفر عشائره، ونزل بها بالقرب من ماء (الشقراء) ثم هجم على عشائر الضفير على حين غرة منهم بينما هم في مأمنٍ منه، فنهب طائفة من بيوتهم، وشيئًا من إبلهم، ويقال أن من جملة القتلى ستة من رؤسائهم، وينتظر أن يقوم هؤلاء على الفتك بهم، فتتأجج نيران القتال.

يوسف المنصور السعدون: العدد ٣٢: ج٨ س٣: (ربيع الأول ١٣٣٢هـ = شباط ١٩١٤م)

خرجت قافلة من الضفير من الخميسية بعد أن أمنها عجمي السعدون، وقبل أن تصل إلى غرض سفرها هجم عليها يوسف المنصور السعدون، فاستاق منها ٢٥ بعيرًا، فاغضب عمل يوسف هذا عجمي ابن عمه، وأثار في صدره حزازاتٍ.

وقد غادر الخميسية طائفة من الأهالي، فاستوطنوا قضاء سوق الشيوخ لما لحقهم من بوار التجارة بسبب استحكام عرى العداوة بين عجمي والضفير.

الهزازنة عند عجمي السعدون: العدد ٣٦: ج١٠ س٣: (جمادى الأولى ١٣٣٢ = نيسان ١٩١٤م)

سار محمد العصيمي مع ٥٠ أو ٦٠ رجلًا من عشيرة الهزازنة لإغاثة عجمي السعدون على خصمائه الزيّاد، والهزازنة من أشراف الحريق، والحريق من ملحقات

عاصمة الرياض، وقد طردهم عبدالعزيز السعود من ديار نجد لما ظهر منهم من الإخلال بالراحة، فهربوا من وجهه قبل أن ينكل بهم، فأخذوا يضربون في الأرض نحو سنة، وهم لا يجدون ملجأ، وقد ذهبوا الآن لمعاضدة عجمي لعلهم يجدون عنده مأوى فيؤويهم، والله أعلم بمصيرهم.

الضفير وعجمي السعدون: العدد ٣٦: ج١٠ س٣: (جمادى الأولى ١٣٣٢ = نيسان ١٩١٤م)

قوم من الضفير مهادنون لعجمي، وقوم منهم مناوئون له، وقد كتب ابن ضويحي أحد مشايخ الضفير إلى عشائر البدور يحملهم على الخروج على عجمي.

وقد أرى هذا الأمير ما وقع بيديه من الرسائل لحمود السويط (أو الصويط)، وقال له: (انظر خيانة ابن أخيك). ثم أغار عجمي في نصف محرم هذه السنة على عشائر الضفير المعادية له، وشتت شملها، وقتل جماعة من رجالها. ثم جمع بيوتها وإبلها، وأصبحت كلها بيديه، وما بقى ذهب عائرًا، وما كان لابن سويط أعاد ماله، وأضاف إليه ٥٠ من الإبل.

الزيّاد، وعجمي السعدون: العدد ٣٦: ج١٠ س٣: (جمادى الأولى ١٣٣٢ = نيسان ١٩١٤م)

في ١٢ صفر المنصرم أغار عجمي على أعداء الحكومة، وهم عشائر الزيّاد، فبلغت حصة الأمير من هذه الغزوة ٢٥ ألف رأس غنم[1]، وألفى حمار، و٦٠ جوادًا.

(١) كذا نقلًا عن الزهور.

معركة في شطرة المنتفق: العدد ٣٦: ج١٠ س٣: (جمادى الأولى ١٣٣٢ = نيسان ١٩١٤م)

وقع في قضاء شطرة المنتفق التابع لولاية البصرة ملحمة في ٨ شباط بين قبيلة (آل جهل) وبين (أبو نجيم) من أعراب العبودة المقيمين في أنحاء شطرة المنتفق. قُتل فيها خمسة وجرح كثيرون، والمعركة قائمة إلى اليوم، وقد قامت سائر العشائر. منها من تدافع عن الأولى، ومنها من تتحزب للثانية، والله أعلم بالمصير.

عجمي بك السعدون وعشائر البدور: العدد ٣٧: ج١١ س٣: (جمادى الثانية ١٣٣٢هـ = أيار ١٩١٤م)

نمى إلى الزهور أن عجمي بك السعدون حينما كان مقيمًا في الموضع المسمى (الركي) الذي يبعد عن ناحية الزبير ١٠ ساعات تحالف مع بني مالك على الاتفاق والوئام حتى الموت. أما خصماؤه البدور والزياد والضفير، فإن رؤساءهم طلبوا الصلح بتوسط حمود بك الصويط رئيس عشائر الضفير، فأجاب عجمي أنه يلبي طلبه بشرط مواجهة شرشاب رئيس عشائر البدور، وعزارة رئيس عشائر الزيّاد، وعلي بن ضويحي أحد رؤساء عشائر الضفير، وجميعهم وافقوا على ما طلبه عجمي ما خلا ابن ضويحي، فإنه طلب عهودًا ومواثيق خشية أن يقتله الأمير لأنه من أشد أعدائه.

أما عشائر مطير الذين فارقوا عجمي بعد المعركة الأولى، فإنهم عادوا إليه على بكرة أبيهم، وطلب إليهم أن يحضروا أهلهم وأموالهم، ففعلوا ونزلوا مع الأمير عجمي.

معركة في شطرة المنتفق: العدد ٣٧: ج١١ س٣: (جمادى الثانية ١٣٣٢هـ = أيار ١٩١٤م)

في اليوم ٢٦ من آذار قدم متصرف لواء الناصرية مصطفى نادر بك، ومعه عبدالله بك ابن فالح باشا، ومعهما عشائر المنتفق، فهجموا في ذلك اليوم، وفي الساعة ٥ على عشائر (خيّون)، وأطلقوا عليهما المدافع والبنادق، فقتل منهم خلق كثير، وأحرقت قلاعهم، وفر الناجون إلى جهات مختلفة، وتم هذا الفتك وهذا النصر في ٥ ساعات.

وفي ذلك اليوم هجم العسكر على القلعة التي كان فيها (خيّون)، وحاصروها ٥ دقائق. ثم فتحوها، وأحرقوا ما حولها من البيوت، وفر خيّون، فلجأ إلى عشائر خفاجة، ولما عاد المتصرف إلى مركز قضائه أطلق من السجن جميع الأعراب المنتسبين إلى عشائر العبودة.

مبعوثو المنتفق: العدد ٣٨: ج١٢ س٣: (رجب ١٣٣٢ = حزيران ١٩١٤م)

حاز معظم الآراء: معروف أفندي الرصافي، وعبدالمحسن بك آل السعدون، وقريش أفندي، فنهنئهم بهذا الفوز.

وفدان من كربلاء والمنتفق: العدد ٤٧: ج٩ س٤: (آذار ١٩٢٧م)

أقبل في أوائل شباط وفد من كربلاء رجاله زهاء عشرين للاعتراض على تحويل صالح حمام مدير شرطة كربلاء إلى ديالى، فلم يفلح في سعيه، وعدّه الجميع غريباً في بابه.

وأقبل وفد آخر في مثل ذلك الوقت قادماً من المنتفق، ورجاله أكثر من عشرين تانئاً، (والتانئ السركال باللغة العامية التي هي تصحيف السركار الفارسية، ومعناها رئيس الشغل أو شيخ العملة، وكان يسمى أيضا بالدهقان في عهد الفرس)، وغايته أن يحمل الحكومة على أن تمنع الملاكين عن مراجعة المحكمة في دعاوى التصرف، وأن

تبيح للتناء (للسركالية) القضاء على حقوق التصرف كما كانت تجري في عهد الترك، والظاهر من عمل الوفد سحق الفلاح والملاك (صاحب الأرض أو الملك) معاً ليستبد التناء بأعظم قسم من الغلات، وإلى الآن لم يفلحوا في سعيهم، وتدويناً للأمر نذكر أسماء أولئك الأعضاء ليعرف منهم أسماء العشائر الموجودة في أرض المنتفق، وأسماء شيوخها الحاليين:

١- فشاخ[١] الشكبان[٢] رئيس عشيرة قراغول.

٢- قاطع آل بطي[٣] رئيس عشيرة الأزيرق (وتلفظ الأزيرج بالتصغير).

٣- منشد[٤] آل حبيّب[٥] رئيس عشائر آل غزي[٦].

٤- عجيل (عقيل) آل تويلي[٧] رئيس عشائر الحسينات[٨].

٥- مهدي الصالح رئيس عشائر آل إبراهيم (البراهيم).

٦- نائف المشاي[٩] رئيس عشائر بني سعيد[١٠].

---

(١) كشداد.

(٢) كعريان.

(٣) ككرسي.

(٤) كمنبع.

(٥) مصغر حبيب.

(٦) كجري.

(٧) مصغر منسوب.

(٨) كجمع مصغر حسنة.

(٩) كشداد من المشي بتصحيح الآخر.

(١٠) ككبير.

٧- محمد الحسين رئيس عشائر بني سعيد.

٨- عبدالله آل إسماعيل رئيس عشائر البو سعد[١].

٩- منصور العويّش[٢] رئيس عشائر آل جبارة[٣] من بني زيد.

١٠- عيسى الحواس[٤] من رؤساء خفاجة[٥] الغرّاف.

١١- شطب[٦] آل منهل[٧] رئيس عشيرة الطلاحبة[٨] من خفاجة الغرّاف.

١٢- عباس الطعمة[٩] من رؤساء خفاجة الغرّاف.

١٣- بدر آل موسى من رؤساء بني زيد.

١٤- سلطان آل محيسن[١٠] من رؤساء بني زيد.

١٥- سخي[١١] آل خزعل من رؤساء بني زيد.

---

(١) كضرب.

(٢) كمصغر عائش بقلب الهمزة ياء وإدغامها.

(٣) كقلامة.

(٤) كجبارة.

(٥) كسحابة.

(٦) كقتل.

(٧) كمنبع.

(٨) كمهالبة.

(٩) كطرفة.

(١٠) مصغر محسن.

(١١) ويلفظونها صخي، ويكسرون أوله وثانيه.

١٦- سليمان آل شريف رئيس آل جدية[1] (كدية) من بني زيد.

١٧- إبراهيم آل يوسف رئيس آل يوسف من بني ركاب.

١٨- محمد آل شلال رئيس الخنافرة من قبيلة بني ركاب.

١٩- مهنى آل برغش رئيس آل أبي نجيم (البو نجيم) من قبيلة العبودة.

٢٠ -سيّد من آل ياسر.

وغير هؤلاء المعدودين.

النزاع بين آل السعدون وآل الميّاح: العدد ٥٤: ج٦ س٥: (تشرين الثاني ١٩٢٧م)

هبطت برقيات عديدة من المقامات العالية من لوائي المنتفق والكوت يفصح فيها مرسلوها عن اعتداءات آل الميّاح على آل السعدون، ويطلبون أن تتدخل الحكومة في الأمر لحسم هذه المنازعات التي يخشى أن يتفاقم أمرها بما يعبث بالحقوق، ويمنع كل فرد من أن يكون مطمئناً على أملاكه وأراضيه.

الشيخ سالم الخيّون: العدد ٨٤: ج٥ س٨: (أول أيار (مايو) ١٩٣٠م)

أذنت الحكومة للشيخ سالم الخيّون رئيس عشائر بني أسد (بني سد) بأن يقطن البلد العراقي الذي يختاره، ما عدا ألوية العمارة والبصرة والمنتفق، فنتمنى لحضرة الشيخ طيب الإقامة في البلدة التي يختارها.

(١) مصغر كدية، والكاف تلفظ جيماً فارسية مثلثة.

(١٢)

المنتفق في خزانة التواريخ النجدية

كتاب (خزانة التواريخ النجدية) للمؤرخ عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام بأجزائه العشرة بما احتواه من مخطوطات غير منشورة يعد مرجعًا قيمًا لباحثي العلوم التاريخية بصورة خاصة والآثار والجغرافيا ومعظم تخصصات العلوم الإنسانية على نحو عام.

وقد انتقينا من المخطوطات القديمة التي نشرت في الخزانة ما يتعلق بمشيخة المنتفق ما يأتي:

خزانة

التواريخ النجدية

جمع وترتيب وتصحيح سماحة الشيخ

عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام

عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين

الجزء الأول

ويشتمل على:

١- مُقدمة خزانة التواريخ

٢- تاريخ ابن لعبون

الجزء الأول

تاريخ ابن لعبون:

من عقيل أيضاً: بنو المنتفق بن عامر بن عقيل، قال ابن سعيد: ومنازلهم الأجام القصب التي بين البصرة والكوفة، والإمارة فيهم لبني معروف، منهم: عمرو بن معاوية بن المنتفق صاحب الصوائف، وكان معاوية ولاه: أرمينية وأذربيجان. ثم ولاه: الأهواز وقتل ابنه زياد يوم راهط وكان شريفاً، ومنهم لقيط بن عامر بن المنتفق الوافد على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولم تزل ولاية الروم على الأحساء والقطيف حتى انتزعها منهم آل حميد، على تمام الثمانين بعد الألف، وكان باديتهم قبل آل حميد من طوائف المنتفق، آخرهم راشد المغامس الذي قتل آل حميد وقت ولايتهم. انتهى.

في سنة ١١٥٤هـ: ذبحوا الروم المنتفق، وسبوهم، وقتلوا سعدون بن محمد آل مانع.

وفي سنة ١١٨٣هـ: فيها ساروا الروم سير عمر باشا وزير بغداد عساكراً مع بكر بيك على المنتفق، وقتل عبدالله بيك، وأمير مهنا، وجلا عبدالله بن محمد آل مانع شيخ المنتفق إلى بني خالد، وتولى فضل[1] (...).

وفي سنة ١١٨٩هـ: حاصر العجم البصرة، سار بهم كريم خان الزندي، واستمر الحصار سنة ونصفاً، وقد سلّمها من جهة الروم سليمان باشا، ومعه فيها ثويني بن عبدالله آل شبيب، وغيره من المنتفق والعرب، فلما كان سنة تسعين استولى العجم عليها

(١) هو فضل بن ناصر الصقر آل شبيب. (مشرف الخزانة)

صلحاً. ثم غدروا ونهبوها، وسبوا، وساروا إلى بلد الزبير، ودمروه ونهبوه وتركوه خلو غالب أهله وانهزموا للكويت. ثم إن العجم رجعوا إلى أوطانهم وأخذوا معهم سليمان باشا، وثويني رهائن.

وفي سنة ١٢٠٠هـ: جلا سعدون بن عريعر للعارض، وتولى على بني خالد والحسا عبدالمحسن بن سرداح آل عبيد الله.

وذلك بعد أن تمالئ عبدالمحسن بن سرداح ودويحس بن عريعر على الخيانة بسعدون، واستدعوا ثويني بن عبدالله شيخ المنتفق، وتناوخوا مدة أيام، وحصل بينهم قتلى كثيرون، وصارت الكسرة على سعدون وانهزم إلى العارض، ونوخ على عبدالعزيز في الدرعية، وأنزله وأكرمه ووقره، وشاخ دويحس في بني خالد، والحل والعقد بيد عبدالمحسن خال دويحس.

وفي سنة ١٢٠١هـ: سار ثويني بن عبدالله آل محمد آل شبيب إلى نجد بالعساكر والجنود، ومعه من القوة والعدد والعدة ما يفوت الحصر، حتى إن حمول زهبة المدافع والبنادق سبعمائة حمل، ومعه جميع المنتفق وأهل الشط والمجرة والنجادى وشمر وغالب طي، وغيرهم من الخلق، وصار مبناه على التنومة من القصيم، ونازلهم، وآخر الأمر أنه استأصلهم قتلاً ونهباً، وارتحل متوجهاً لبريدة ونازلها، وأوقع الله الرعب والفشل في قلبه، وارتحل عنها راجعاً قبل أن يواقعهم، وانصرف إلى أوطانه.

ومن حين وصل البصرة انقض عليه أمره، وسير عليه سليمان باشا الجنود والعساكر، وكسره وانهزم جالياً، وولي الباشا حمود بن ثامر في مكانه، وكان عبدالمحسن بن سرداح قد سار ببني خالد يريد مساعدة ثويني على أهل نجد، فلما وصل ومعه جميع بني خالد وأهل الأحساء، وقطع الدهنا، بلغه رجوع ثويني فرجع، وفيها غزا حجيلان إلى جبل شمر، ووافى ظاهرة لأهل الجبل وغيرهم، وأخذها وقتل منهم رجالاً. ثم غزا الجبل وضيق عليهم حتى دخلوا في الطاعة.

وفي سنة ١٢٠٢هـ: عصى ثويني على سليمان باشا، واستولى على البصرة، وأصفقوا

معه المنتفق وآل سعدون.

وفي هذه السنة خرج ثويني على سليمان باشا، واستولى على البصرة، وانقادوا له جميع المنتفق، وجلوا آل سعدون نحو الباشا، فسار إليه سليمان باشا بالعساكر، وتلاقوا في أدنى المجرة فكسر الباشا كسرة عظيمة، وقتل من المنتفق قتلى كثيرون، وفر ثويني وشرذمة معه إلى الجهراء، واستولى حمود على المنتفق، وفر متسلم البصرة صاحب ثويني، وولى سليمان فيها مصطفى.

ثم أن مصطفى مالئ ثويني على خيانة، وفطن له مغزو ولحق بثويني. ثم وقع خلافات بين حمود وثويني عند سفوان، فانكسر ثويني وفارقه من معه والتجأوا إلى الكويت. ثم توجه ثويني إلى كعب الدورق، ومواقعة جنود لثويني عند سفوان المذكورة بعد ما واقعه ابن سعود، فلما كان في شوال من سنة أربع خرج ثويني إلى بني خالد بعد غريميل في إمارة زيد، فلم ير منهم نفعاً، فسار منهم إلى الدرعية، ورمى بنفسه على الأمير عبدالعزيز بن سعود، فأكرمه وأعطاه خيلاً وإبلاً ودراهم، ورجع إلى الكويت. ثم أنه رمى بنفسه على سليمان باشا، فعفى عنه وأهله، وقد أجملنا أمر ثويني.

وفي سنة ١٢٠٣هـ: غزا سعود بالجيوش المنصورة، وواقع ثويني حد تبرزه عن الروم معه قطعة من آل شبيب والمنتفق، وهزموهم وأخذوا الحلة، وفيها سار على بني خالد قبل أن يغزو ثويني، ونازلهم في منزلهم يوم ولم يكتب الله بينهم مواقعة، وسموها البدو (ويق).

وذلك أن سعود خاف الخيانة من بعض قومه، فرجع ومر على القرين، وأخذ منها طعاماً منوعاً لبني خالد.

وفيها غزا سعود المنتفق وناوخهم، وأخذ منهم أمتعة وخياماً. ثم رجع فصادف ركباً لآل سحبان فقتلهم، وكانوا نحو التسعين.

وفي سنة ١٢٠٤هـ: سار أيضاً على بني خالد ومع المسلمين الظفير، وبوادي العارض وانكسر ثويني وفارقه من معه، والتجأ إلى الكويت. ثم وصل كعب والدورق،

وواقعه حمود عند صفوان المذكورة بعد مواقعة سعود، فلما كان في شوال من سنة ١٢٠٤هـ خرج إلى بني خالد بعد غريميل في ترؤسٍ زيد، فلم ير عندهم، فسار منهم إلى الدرعية ووقره عبدالعزيز وأكرمه، وأعطاه خيلاً وإبلاً ودراهم، ورجع إلى الكويت. ثم رمى نفسه على سليمان باشا.

وفي سنة ١٢١١هـ: في شهر ربيع عزل سليمان باشا حمود بن ثامر عن ولاية المنتفق، وولى مكانه ثويني بن عبدالله آل محمد في المنتفق وجميع النواحي، وبعثه في بغداد البصرة، وحدره من العراق للبصرة. ثم حدر بالمنتفق وعسكر من عقيل وأهل الزبير وأهل البصرة وغيرهم، ونزلوا عليه الظفير جملة، وبنو خالد مع براك بن عبدالمحسن ما شذ منهم إلّا بعض المهاشير، وسير بالجميع متوجه الأحساء معه المدافع الكبار والقنابر، وأركب عساكر وميرة بحراً في السفن تباريه إلى ناحية الجزيرة والقطيف، واتفق له قوة هائلة.

وصار عبدالعزيز بن سعود قد أمر على بوادي العارض يحدرون بأهلهم إلى ديرة بني خالد الطف وغيره من أمواه، وقرية وما حولها، وأنهم يقفون في وجه الجنود، ويريد أن يحدر إليهم شوكة البلدان وأهل نجد، وظهر سعود بشوكة، ونزل التنهات وحفر في أكثر من شهرين، وآخر الأمر أن ثويني حشد وثوّر من الجهرا، فانحازت البوادي حين بلغهم إقباله، وضعنوا عن قرية. ثم رحلوا عن الطف، وانحازوا على أم ربيعة وجودة، واشتد عليهم الأمر، وساءت الظنون، وكثر فيهم التحاور حين ورد ثويني الطف. ثم ظعن منه ونزل الشباك، والعربان قد اشتد بهم الأمر، ومعهم شوكة من الحضر محدرهم سعود قوة لهم أميرهم حسن بن مشاري، وثويني متوجه للبلاد، وغالب بدو العارض قد كثر فيهم الخلل، ومنهم من كاتبه، وأخذ أماناً خفياً نسأل الله العافية.

فلما أذن الله بالفرج بعد الشدة، والنصر بعد اليأس، وثويني وجنوده قد نزلوا الشباك، فجلس ثويني هو وجلساه ناحية، والخيمة تبنى، فسلط الله عليه عبداً يقال له طعيس من عبيد جبور بني خالد، وقد فارق براك يوم أقفا براك قاصداً ثويني، وصار العبد عند المسلمين. ثم غزا مع ركب، وأخذوا الركب وصار مع الخوالد، فحين نزلوا الشباك، وجلس ثويني، عدا عليه معه رمح فيه حربة رثة، وطعنه بين كتفيه طعنة رثّة، وبارك الله

فيها، ومات منها، وأرادوا التصلب بعده، وأقروا أخاه ناصر بن عبدالله.

ويسر الله أن براك بن عبدالمحسن آل عبيدالله يفارقهم وينهزم للمسلمين، وكان في أثناء أمره قد ندم على المسير معهم، وذلك أنه رأى وجه ثويني وإقباله على آل عريعر، وعرف أن ثويني إن استولى على الأحساء ما يؤثر عليهم أحداً، هذا الظاهر عندهم، فلما جرى ما ذكر تخاذلوا ووقع فيهم الفشل، وألقى الله في قلوبهم الرعب، وارتحلوا منهزمين، ولحقوهم الذين على أمواه الديرة من المسلمين، وقتلوا منهم قتلى كثيرين، وغنموا مغانم كثيرة، وصاروا في ساقتهم إلى قرب الكويت يقتلون ويغنمون، وخلوا المدافع الكبار، وظهرت للدرعية، ومقتل ثويني رابع، المحرم أول السنة الثانية عشر. اتفق تاريخ مقتله (غريب).

وفي سنة ١٢٢٣هـ: سار سعود بن عبدالعزيز الأمير بالجنود المنصورة من جميع النواحي: أهل نجد، والأحساء، وأهل الجنوب إلى وادى الدواسر، وأهل بيشة، ورنية، والطائف، ونواحيهن من الحجاز، والتهايم، وذلك في شهر جمادى الأولى، وتوجه إلى ناحية العراق، وعانقه جميع غزوان البوادي، وصار معداه على بلد الحسين، ووجدهم متحصنين، وحشدوا على حصنهم بالسلالم ووقع عنده رمي، وقتل من المسلمين عدة رجال، منهم: سعد بن عبدالله بن محمد بن سعود، ومشاري بن حسن مشاري بن حسن بن مشاري. ثم قفلوا على شثاثها، واستولوا عليها، وخرجوا أهلها، وتزبّنوا الجبل المقابل لها. ثم إن سعود حذّرهم منه بأمان، ومن عليهم ببلادهم وما فيها، وأخذ ما عندهم من الخيل. ثم قفل على المجرة وناوش المنتفق مناوشة طراد خيل، قتل فيها صلطان بن حمود ابن ثامر[1]. ثم أتى على جنوب البصرة، ونزل قبال الزبير والبصرة، ونهبوا في الجنوب، وقتلوا ورجعوا سالمين.

وفي سنة ١٢٢٨هـ: وقع في العراق بعض الاختلاف من أسعد ولد سليمان باشا من عبدالله باشا صاحب بغداد، وفر إلى حمود ابن ثامر هو وقاسم بيك، وبعث عبدالله

(١) الصواب أن سلطان هذا ليس ابن حمود، بل هو ابن محمد بن عبدالعزيز بن مغامس آل شبيب من أسرة المشيخة (مشرف الخزانة)

لحمود، ومنعهم، وسار عبدالله بأهل العراق على حمود، وجمع المنتفق ومن على حله، وجرت المواقعة بينهم، ونصر الله حموداً، وخان بعض عسكر الباشا مثل شمر وبعض الكرد، وصارت هزيمة، وأسر عبدالله باشا وناصر الشبلي وغيرهم، وقتل قتلى كثيرون، وجرح برغش بن حمود. ثم إنه مات، وقتلوا عبدالله باشا، وسار حمود ووجه أسعد لبغداد، وملك العراق ورجع.

الجزء الثاني

تاريخ إبراهيم بن عيسى:

وفي سنة ١١٠٦هـ: ملك مانع بن شبيب رئيس بوادي المنتفق البصرة.

وفي سنة ١١٤٧هـ: قتل الروم محمد المانع بن شبيب القرشي الهاشمي العلوي رئيس بوادي المنتفق.

وفي سنة ١١٥٤هـ: الوقعة المشهورة بين المنتفق وبين عسكر الترك، وصارت الهزيمة على المنتفق، وقتل سعدون بن محمد بن مانع آل شبيب رئيس المنتفق.

وفي سنة ١١٨٩هـ: حاصر العجم البصرة، ورئيسهم كريم خان الزندي، واستمر الحصار سنة ونصف السنة، وكان متسلم البصرة حينئذ سليمان باشا ومعه ثويني بن عبدالله بن شبيب رئيس بوادي المنتفق. ثم إن العجم استولوا عليها صلحاً في سنة ١١٩٠هـ، ونهبوها غدراً بعد المصالحة والأمان. ثم ساروا إلى الزبير فنهبوه، وانهزم أهله إلى بلد الكويت.

وترأس في الأحساء آل عياش، فصار بنو خالد مع المنتفق، فكتب إليهم أحمد أبو عنقا قصيدته المسماة موصلة، وتذاكروا وتوجهوا إلى الأحساء بمن معهم من العربان، وهجموا على البلد وقتلوا من ظفروا من آل عياش ومن قام منهم، واستولوا على الأحساء.

وفي سنة ١٢٠١هـ: في المحرم، سار ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع آل شبيب رئيس المنتفق إلى نجد، ومعه جنود عظيمة من الحاضرة والبادية، وقصد القصيم، فلما

وصل التنومة أخذها ونهبها وقتل أهلها. ثم ارتحل منها. ونزل بريدة وحصرها، فبلغه الخبر بأن سليمان باشا بغداد، ولى حمود بن [ثامر بن] سعدون بن محمد بن مانع آل شبيب القرشي الهاشمي العلوي الشبيبي على بادية المنتفق، فقفل ثويني راجعاً إلى وطنه، ودخل البصرة، ونهب منها أموالاً عظيمة، وعصى على البيش، فسير إليه سليمان باشا بغداد العساكر العظيمة، فحصل بينهم وبين ثويني وقعة، وصارت الهزيمة على ثويني وأتباعه من المنتفق وغيرهم، وقتل منهم خلائق كثيرة، وانهزم ثويني هو ومصطفى آغا إلى بلد الكويت، واستولى حمود بن ثامر على المنتفق، ورجعت تلك العساكر إلى بغداد.

فلما تحقق ثويني رجوعهم تجهز هو ومن معه، وساروا من الكويت لقتال حمود بن ثامر، فالتقوا في البرجسية بالقرب من بلد الزبير، وحصل بينهم قتال عظيم، وصارت الهزيمة على ثويني وأتباعه، وقتل منهم عدد كثير، وانهزم ثويني ومعه عدة رجال إلى الدرعية، وأقاموا عند عبدالعزيز بن محمد بن سعود مدة أشهر. ثم خرجوا من الدرعية، وتوجه ثويني إلى بغداد، ودخل على الوزير سليمان باشا واسترضاه، فرضي عنه وأكرمه.

وفي هذه السنة هدم الجناح المعروف في عنيزة، هدمه عبدالله بن رشيد أمير بلد عنيزة تجملا مع ابن سعود بسبب مكاتبة أهل الجناح لثويني.

وفي سنة ١٢٠٣هـ: سار سعود بجنود المسلمين إلى المنتفق، وهم في الروضتين بين سفوان والمطلاع، فأخذ من محلتهم خياماً وأمتعة. ثم سار فقتلهم أجمعين، وكانوا نحو تسعين رجلاً.

وفي سنة ١٢١١هـ: عزل سليمان باشا بغداد، حمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع آل شبيب عن ولاية المنتفق، وولاها ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع آل شبيب، وجهّزه لقتال ابن سعود، فسار ثويني بالجنود العظيمة من البادية والحاضرة، وقصد الحساء، فلما وصل إلى (الشباك) المعروف من مياه ألطف أقام عليه إلى سنة ١٢١٢هـ، وهو يكاتب العربان ويحشد الجنود.

فلما علم بذلك عبدالعزيز بن محمد بن سعود جهز ابنه سعود بن عبدالعزيز لقتال

ثويني المذكور، فسار سعود بجنود كثيرة من البادية والحاضرة، فلما وصل بعض مياه الطف بالقرب من ثويني نزل بجنوده، وبينه وبين ثويني قريباً من يوم، فلما كان رابع المحرم افتتاح سنة ١٢١٢هـ تسلّط على ثويني عبد أسود يقال له: طعيس من عبيد الجبور من بني خالد، فطعنه بحربة كانت معه فمات، فانهزمت الجنود إلى البصرة.

وفي سنة ١٢٢٦هـ: قام محمد علي باشا بقتال أهل نجد، وأرسل عساكر كثيرة في البحر، عليهم ابنه أحمد طوسون، فقدموا ينبع، فلما علم بذلك سعود بن عبدالعزيز جهز ابنه عبدالله لقتالهم، وأرسل معه جنوداً كثيرة من البادية والحاضرة، فقدم عبدالله بن سعود ومن معه المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. ثم خرج منها ونزل الحيف.

وسار أحمد طوسون ومن معه من العساكر، فنزلوا بالقرب من عبدالله بن سعود، وحصل بينهم وقعة عظيمة، وصارت الهزيمة على أحمد طوسون ومن معه من العساكر. وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف، وقتل من قوم عبدالله بن سعود نحو ثمانمائة، منهم مقرن بن حسن بن مشاري بن سعود، وبرغش بن بدر من آل شبيب من رؤساء المنتفق، ومانع بن وحير من رؤساء العجمان وكان فارساً شجاعاً، وانحاز أحمد طوسون ومن معه إلى ينبع، وهذه الوقعة هي المعروفة بوقعة الجديدة في ذي القعدة من السنة المذكورة.

وفي سنة ١٢٤٢: وفيها ولي داود باشا عقيل بن محمد بن سعود بن محمد بن مانع آل شبيب على المنتفق، وحارب عميه حمود بن ثامر وراشد بن ثامر حتى ظفر بهما. ثم حبسهما وأرسلهما إلى بغداد، ومات حمود محبوساً في بغداد سنة ١٢٤٦هـ، واستقل عقيل بولاية المنتفق.

في سنة ١٢٤٧: قدم علي باشا والياً على بغداد، وأذن لعيال حمود بن ثامر السعدون بالرجوع لأهليهم، وولاهم على المنتفق، وعزل عقيل بن محمد بن ثامر السعدون عن الولاية، فلما وصلوا إلى أهليهم اجتمع إليهم جنود كثيرة من المنتفق ومن شمر والظفير وغيرهم، فالتقى الفريقان بالقرب من سوق الشيوخ، وصارت الهزيمة على عقيل ومن معه، وقتل عقيل في هذه الوقعة، هو وعدة رجال من أصحابه، واستقل ماجد بن حمود

بالولاية، فلم يلبث إلّا مدة قليلة مات بالطاعون في آخر هذه السنة، فنهض عيسى بن محمد بن ثامر السعدون أخو عقيل لحرب عيال حمود بن ثامر، وكتب لعلي باشا يطلب منه التقرير على ولاية المنتفق، فجاءه التقرير من علي باشا، فاستقل بولاية المنتفق.

وفي سنة ١٢٤٨هـ: حصر المنتفق الزبير عدة شهور. ثم أخذوه، فقتلوا أمراء آل زهير، وأخذوا أموالهم.

وفي هذه السنة حاصر عيسى بن محمد ثامر السعدون رئيس المنتفق بلد الزبير، ومعه محمد بن إبراهيم بن ثاقب بن وطبان وأتباعه من أهل الزبير من أهل حرمة، وغيرهم الذين أجلوهم الزهير من الزبير، وكان رئيس بلد الزبير إذا ذاك عبدالرزاق الزهير.

وفي سنة ١٢٥٩هـ: احترق عيسى بن محمد بن ثامر السعدون رئيس المنتفق هو وزوجته في بيته، وهو صريفة قصب، فلم يجده إلّا رماداً، وكان رجلاً ظالماً، وتولى بعده أخوه بندر، وأقام نحو ثلاث سنين ومات، وتولى بعده أخوه فهد، وأقام نحو سنة ثم مات. ثم مرج حكم المنتفق، فتارة في أولاد راشد بن ثامر السعدون، وتارة في أولاد عقيل بن محمد بن ثامر السعدون، وتارة في أولاد عيسى بن محمد ثامر السعدون.

وفي سنة ١٢٦٨هـ: حصلت وقعة شديدة بين عيال راشد بن ثامر السعدون ومن تبعهم من المنتفق، وبين عبدالله بن عقيل بن محمد بن ثامر السعدون ومن تبعه من المنتفق، فقتل عبدالله آل عقيل في المعركة، وانهزم أصحابه ابن سعدون بن محمد بن مانع بن شبيب، وصارت الرياسة لعيال راشد على المنتفق، وصار لهم الملك والرئاسة.

فلما كان في جمادى الآخرة من السنة المذكورة أقبل ولد عيسى بن محمد بن ثامر السعدون من بغداد، وقد عقد له الباشا على ولاية المنتفق، وأرسل معه عساكر كثيرة من الترك من عقيل لقتال عيال راشد، فانهزم عيال راشد إلى بادية الظفير، وصار ولد عيسى بن ثامر رئيساً على المنتفق.[1]

---

(١) يقصد صالح بن عيسى. (مشرف الخزانة)

وفي سنة ١٢٦٩هـ: وقع اختلاف بين عيال راشد بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع بن شبيب وبين عيال عقيل بن محمد بن ثامر بن سعدون وأتباعهم في طلب الرياسة على المنتفق، وانقسمت عربان المنتفق عليهم، فحصلت بينهم وقعة شديدة بالقرب من سوق الشيوخ، القرية المعروفة، وصارت الهزيمة على عيال عقيل وعيال عيسى بن محمد بن ثامر، وقتل من الفريقين خلائق كبيرة، وصارت الرياسة على المنتفق لمنصور بن راشد بن ثامر بن سعدون.

سار بعد هذه الواقعة محمد[١] بن عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون إلى بغداد، وطلب من الوزير عسكراً لقتال عيال راشد، فجهز معه عساكر كثيرة، وتوجه بهم لقتال عيال راشد، وأمر الوزير على آل قشعم وآل نعيم وغزية وبني لام بالمسير مع محمد بن عيسى بن ثامر المذكور، وأطمعهم في العطاء، فتبعه منهم جمع غفير، ولما علم بذلك عيال راشد انهزموا إلى بادية الظفير، وأقاموا هناك، واستقل محمد بن عيسى بولاية المنتفق.

وفي سنة ١٢٧١هـ: قام عيال راشد بن ثامر بن سعدون، وأخذوا في جمع الجنود، وساروا لقتال محمد بن عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون، وكان غلبهم على الرياسة على عربان المنتفق، كما تقدم في سنة تسع وستين ومائتين وألف، وقام مع عيال راشد سلطان بن سويط، وسار معهم بمن تبعه من الظفير، وسار معهم صقر بن حلاف بمن معه من السعيد، وأبا ذراع بمن معه من الصمدة، وقام معهم بنو أسد وبنو نهد، فالتقى الفريقان على نهر الفاضلية، واقتتلوا قتالاً شديداً فقتل محمد بن عيسى[٢] في المعركة، وسارعت الهزيمة على أصحابه، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة، وصارت رياسة المنتفق لمنصور بن راشد بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع بن شبيب، وذلك في رجب من السنة المذكورة.

ولما كان في شهر رمضان منها حصل الاختلاف بين منصور بن راشد المذكور،

(١) الصواب: صالح بن عيسى. (مشرف الخزانة).

(٢) الصواب: صالح بن عيسى، ولم يقتل في المعركة، بل ظل حياً بعدها زمناً طويلاً. (مشرف الخزانة).

وبين أخيه ناصر بن راشد في طلب الرياسة، وانقسمت عليهما عربان المنتفق، ووقع بين الفريقين قتال شديد، وصارت الهزيمة على منصور وأتباعه، وصارت الرياسة على المنتفق لناصر بن راشد بن ثامر، وبعد هذه الواقعة سار منصور بن راشد إلى بغداد، وصار عند الوزير سعيد باشا، وأقام عنده، وطلب منه الإعانة والمساعدة على قتال أخيه ناصر، فوعده بذلك.

ثم دخلت سنة ١٢٧٢هـ: خرج منصور بن راشد، وجهز معه الوزير سعيد باشا عساكر كثيرة. رئيسهم يقال له مصطفى باشا، فتوجهوا إلى سوق الشيوخ ونزلوه، ومنصور معهم ليس له أمر ولا نهي.

وكان ناصر لما بلغه خبر مسيرهم إليه وتيقّن كثرتهم، علم أنه لا طاقة له في لقائهم، فخرج بأهله وأولاده وماله وأتباعه من سوق الشيوخ، ونزل على سلطان بن سويط على كابدة، وحاصل الأمر أن حكم المنتفق مرج، وتغلبت عليهم الدولة، فكانوا يولون من أرادوا توليته، ويعزلون من أرادوا عزله، وذلك لكثرة خلافهم وتفرّقهم.

ثم دخلت السنة ١٢٧٧هـ: وفيها اجتمع رؤساء العجمان وتشاوروا، فاجتمع أمرهم على المسير إلى عربان المنتفق فتوجهوا إليهم ونزلوا معهم، وتحالف رؤساؤهم ورؤساء المنتفق على التعاون والتناصر على كل من قصدهم بحرب، وعلى محاربة أهل نجد من البادية والحاضرة إلّا من دخل تحت طاعتهم منهم، وسارت ركبانهم، وتتابعت الإغارات على أطراف الأحساء وعلى أهل نجد، وصار لهم وللمنتفق شوكة عظيمة وقوة هائلة، وأخافوا أهل البصرة والزبير، وكثرت الإغارات منهم على أطراف الزبير والبصرة والكويت، وكثر منهم الفساد والنهب في أطراف البصرة، فقام باشا البصرة حبيب باشا واستلحق سليمان بن عبدالرزاق بن زهير شيخ بلد الزبير، وأعطاه مالاً كثيراً، وأمره بجمع الجنود من أهل نجد، فأخذ سليمان المذكور بجمع الجنود، ممن كان هناك من أهل نجد المعروفين بعقيل، وبذل فيهم المال، فاجتمع عليه خلائق كثيرة.

ثم إن عربان المنتفق ومن معهم من عربان العجمان جمع رأيهم على أنهم يتوجهون

إلى ناحية البصرة ينزلون بالقرب منها، ويأخذون منها من التمر ما يكفيهم لسنتهم، وكان ذلك الوقت صرام النخل. ثم يتوجهون بعد ذلك إلى حرب نجد، فساروا إليها ونزلوا قريباً منها، وثم نهضوا إليها، وانتشروا في نخيلها، وعاثوا فيها بالنهب والفساد.

فنهض إليهم سليمان بن عبدالرزاق بن زهير بمن معه من أهل نجد ومن أهل الزبير وباشا البصرة بعسكره، وقاتلوهم قتالاً شديداً، حتى أخرجوهم من النخيل. ثم حصل القتال الشديد بين الفريقين في الصحراء، وصارت الهزيمة على عربان المنتفق ومن معهم من العجمان، وقتل منهم قتلى كثيرة، وظهر في هذه الواقعة من أهل نجد الذين مع سليمان بن زهير شجاعة عظيمة، وكان سليمان المذكور من أفراد الدهر عقلاً وحلماً وكرماً وشجاعة.

ثم إن أولئك العربان بعد هذه الواقعة ارتحلوا، ونزلوا على كويبدة وعلى كابدة وعلى الجهراء، ولما وصل خبر هذه الوقعة إلى ناصر بن راشد بن ثامر بن سعدون رئيس المنتفق في سوق الشيوخ، وقيل له إن باشا البصرة قد عزم على بسط يده على أملاك المنتفق التي في البصرة، وكانت كثيرة ورثوها من آبائهم وأجدادهم، فإنهم قد تغلبوا على البصرة وملكوها مدة سنتين، وملكوا كثيراً من نخيلها إلى أن ضعف أمرهم، وتغلبت عليهم الدولة لكثرة اختلافهم وتفرقهم، وأزالوهم عنها، ولم يتعرضوا لأملاكهم.

فكتب ناصر بن راشد المذكور إلى باشا البصرة وإلى سليمان بن عبدالرزاق بن زهير يقول: إن أولئك الأعراب الذين حدث منهم ذلك ليسوا من باديتنا، وإنما هم من بادية نجد جاءوا هاربين من والي نجد ابن سعود، ونزلوا بجوار بعض بادية المنتفق، وقد رجعوا إلى بلادهم، والذين معهم من باديتنا يطلبون المرعى لمواشيهم، وحصل هذا الحادث من بادية العجمان، وتشمل من كان معهم، وأما نحن فعلى ما تعهدون من الصداقة بيننا وبينكم والطاعة للدولة، وترددت الرسائل بينهم في ذلك، وصلح أمرهم، ولم يتعرض الباشا لأملاكهم.

وفي سنة ١٢٩١هـ: وفي شهر رمضان من هذه السنة قدم الإمام عبدالرحمن بن

فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بلد الأحساء هو وفهد ابن صنيتان من بغداد، فقام أهل الأحساء مع عبدالرحمن بن فيصل على العسكر الذين عند أبواب بلد الهفوف فقتلوهم. ثم حصروا على العسكر الذين في خزام القصر المعروف خارج البلد ونصبوا عليه السلالم، وأخذوه عنوة، وقتلوا جميع من فيه من العسكر، وتحصن أهل الكوت فيه هم ومن عندهم من عسكر الترك الذين في كوت إبراهيم، وفي كوت الحصار. فحاصرهم الإمام عبدالرحمن بن فيصل ومن معه من أهل الأحساء ومن العجمان وآل مرة، واشتد الحصار عليهم، وقتل في هذه الوقعة رشيد بن عبدالعزيز الباهلي رحمه الله تعالى.

وكانوا قد أرسلوا إلى باشا البصرة وباشا بغداد يطلبون النصرة، فأمر باشا بغداد ناصر بن راشد بن ثامر بن سعدون رئيس المنتفق أن يسير إلى الأحساء، وعقد له إمارة الأحساء والقطيف، وجهز معه عساكر كثيرة من بغداد، واستنفر ناصر بن راشد رعاياه من المنتفق وغيرهم من بادية العراق، فاجتمع عليه جنود عظيمة، فسار بهم إلى الأحساء، فلما قرب من بلد الهفوف خرج إليهم عبدالرحمن بن فيصل ومن معه من العجمان وآل مرة وأهل الأحساء، ووقع بين الفريقين قتال شديد، فانكسر أهل الأحساء، وانهزموا إلى بلادهم، وتتابعت الهزيمة على العجمان ومن معهم من العربان، وتوجه الإمام عبدالرحمن إلى البحرين، ودخل ناصر بن راشد ومن معه من الجنود بلد الهفوف، ونهبوها وأباحوها ثلاثة أيام.

ثم دخلت السنة ١٣١٤هـ: وفيها توفي فهد العلي بن ثامر آل سعدون من رؤساء المنتفق رحمه الله.

الجزء الثالث

تاريخ ابن منقور:

وفي سنة ١١٢١هـ: طُرد المنتفق. طردهم الروم.

تاريخ ابن ربيعة:

وفي سنة ١١٣٩ هـ: حجر دجيني وابن صويط والمنتفق: علي بن محمد في الأحساء.

تاريخ الفاخري:

وفي سنة ١١٥٤هـ: ذبحوا الروم المنتفق وسبوهم، وقتلوا سعدون بن محمد المانع الشبيب.

وفي سنة ١٢٤٢هـ: حل الوباء في البصرة والعراق. ثم باقي القرى وبواديها من المنتفق، وفرق الخزاعل وما حولها، حتى انتهى إلى سوق النواشي، فمات به ثلاثة آلاف نفس.

وفيها حدر عقيل المحمد بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع آل شبيب، محارباً لعمه حمود بن ثامر، فوقع الحرب بينهم حتى ظفر بعميه حمود وراشد ابنا ثامر بن

سعدون، فأمسكهما، وذلك في آخر شهر رمضان، وذهب بهما إلى داود باشا بغداد.

وفي سنة ١٢٥٩هـ: احترق رئيس المنتفق عيسى بن محمد بن سعدون. ثم تولى بعده أخوه بندر بن محمد السعدون.

وفي سنة ١٢٦٤هـ: مات رئيس قبيلة المنتفق بندر آل محمد السعدون.

وفي سنة ١٢٦٨هـ: ركد أمر المنتفق.

وفي سنة ١٢٧٧هـ: في جماد الأول أخذت الحدرة مع ابن صالح يم أرض الجهرا. أخذوهم عرب المنتفق.

وفي السابع عشر من رمضان أخذ عبدالله الفيصل العجمان وعرب المنتفق سبعة أسلاف في الجهرا القرية المعروفة قرب الكويت، وقتل منهم من قتل، وهذه هي الأخذة الثانية.

الجزء الرابع

تاريخ ابن تركي:

وفي سنة ١١٢٠هـ: فيها إمارة نجم في الحاج العراقي.[١]

وفي سنة ١٢٠٠هـ: خرج ثويني بن عبدالله شيخ آل شبيب بادية البصرة والعراق، فخرج معه ناس كثير من أهل نجد، ومن الذين أجلاهم ابن سعود عنها، وكان أول ما خرج مرادة الأدعية، فعدلوا به إلى بريدة، فلما وصل التنومة حصرها ودخلها، وقتل ناساً من أهلها، وممن أمرهم حجيلان. ثم سار إلى بريدة، فلما وصلها، فلم يقم عليها إلّا يومين، فأتاه خبر أن سليمان باشا بغداد ولي على بادية آل شبيب وأتباعهم من المنتفق حمود بن ثامر ولد أخي ثويني، فانصرف مسرعاً إلى بلادهم، فدخل البصرة، ونهب منها أموالاً وعصى على الباشا. ثم خرج الباشا، فأخذ المنتفق، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وبنى في رؤوس القتلى كالمنابر، فانصرف ثويني ومصطفى آغا، وكان معه جماعة قد ساعدوا ثويني، فنزلا في الكويت، وتولى على المحمرة حمود بن ثامر.

فلما دخل الباشا بغداد، غزا ثويني ومن جلا معه على حمود، فخرج إليه حمود ومن معه من أهل العراق وأهل الزبير من النجديين، فالتقوا مع حمود، وكان الذين من أهل نجد كلهم رماة، فلما رأى النجديون انهزام قوم حمود، ولم يعرجوا عليهم لكونهم أهل خيل، والنجديون مشاة على أرجلهم، فلحق ثويني ومن معه بأهل نجد ليقتلوهم، فتظاهر أهل نجد بعضهم ببعض، وأوقعوا الرمي في قوم ثويني ومن معه، وصارت عليهم الهزيمة.

---

(١) ذكر البسام في الهامش أن نجماً هذا هو أحد أمراء قبيلة المنتفق المقيمة في حدود العراق الغربية، ولم نعرف المقصود. (مشرف الخزانة).

بعد ذلك خرج منها حتى وصل إلى بغداد، ودخل على الباشا واسترضاه، فرضي عنه وأكرمه غاية الإكرام، وكان في أول الأمر قد صنع مع الباشا معروفاً، لأنه لما ولاه السلطان حكم بغداد، وكان في بغداد باشا غيره، تجهز معه ثويني بمن معه من العرب، وأخرج باشا بغداد، وأدخله بغداد، ولذلك كان سليمان باشا يراعي ثويني مراعاة قوية.

وفي سنة ١٢٠١هـ: هدمت بيوت أهل الجناح بسبب مكاتبة أهله ثويني. هدمها ابن رشيد والي عنيزة يريد تجمّلاً مع ابن سعود، لأن أهل الجناح لما رجع ثويني عن حصار بريدة هربوا خوفاً من ابن سعود. الأغلب منهم ذهب إلى بغداد.

وفي سنة ١٢٣١هـ: وصلوا شمر إلى الحكمة بلاد الخزاعل يريدون الكيل، فخرج إليهم باشا بغداد أسعد بن سليمان، ومعه الرولة وحمود الثامر شيخ المنتفق وآل الظفير، فحصروهم على شاطىء الفرات، والخزاعل يومئذ غاضبين على باشا بغداد، فلما أقاموا على ذلك مدة حصل لشمر غفلة من الرولة والمنتفق، لأنهم كانوا هم الذين بينهم وبين نجد، فلما حصلت لشمر تلك الغفلة، انهزموا وقتل منهم غير كثرة، إلّا أنه قتل شيخهم بنية الجربا، فبعد ذلك أرسلوا لعبدالله بن سعود يستوثقون منه، فوثقهم على أن يدخلون تحت أمره، وأرسل إليهم عماله، وجبوا الزكاة.

الجزء الخامس

تاريخ عبدالله بن محمد البسام:

حوادث سنة ١٢٠١ هـ: غزا ثويني شيخ المنتفق إلى القصيم وأخذ التنومة، وقتل أهلها وحاصر بريدة، فبلغه بأن داود باشا قد ولّى حمود الثامر على بادية المنتفق، فرجع ونهب وعصى على الدولة، فسيّر إليه داود باشا جيشا فهزم ثويني والتجأ إلى الكويت ثم هزم ثانية، فسار إلى الدرعية عند سعود.

حوادث سنة ١١٠٦هـ: استيلاء مانع الشبيب شيخ المنتفق على البصرة.

حوادث سنة ١٢٥٩هـ: احترق شيخ المنتفق عيسى بن محمد هو وزوجته، وتولى بعده أخوه بندر بن محمد.

حوادث سنة ١٢٩١هـ: قدم عبدالرحمن الفيصل وفهد بن صنيتان إلى بلد الحسا، وساعدهم أهله، فقتلوا من على الأبواب من العسكر ومن في قصر خزام، وحصروا من في الكوت، فلما كان في آخر ذي القعدة منه: أقبل ناصر باشا بن راشد السعدون بجنود عظيمة من الترك والمنتفق، فلما قربوا خرج عبدالرحمن بمن معه من العجمان وأهل الحسا لقتالهم، فانهزم عبدالرحمن، ودخل ناصر السعدون البلد هو وجنوده، ونهبوا الهفوف وأباحوه ثلاثة أيام، وقتل خلق كثير، فأقام ناصر فيه نحو شهرين. ثم استعمل ابنه مزيد أميراً عليه، ورجع.

حوادث سنة ١٣١٨هـ: من الاتفاق أن سعدون بيك ابن منصور باشا بن راشد السعدون تقدم في قومه المنتفق المشهورين بالكرم والشجاعة، وسعدون المذكور ذو

شهامة غريزية، فصار له شأن بحيث إنه صار له صولة، وأخذ جملة عربان منهم شمر. ابن رشيد تأثّر وتهدّد سعدون غير مرة فلم يفد، حتى إنه كان على عربانه في تلك اللحظة قرب سوق الشيوخ وأخذهم ومن معهم من الظفير صباح بن خلاف وابن ضويحي وأتباعهم، وذلك في شهر شعبان ١٣١٨هـ.

وقد كان بين ابن صباح وسعدون معاهدة سرية على الدفاع، والهجوم ضد ابن رشيد اشتهرت بعد الوقعة المذكورة آنفاً، بحيث إن مبارك بن صباح جهّز جملة حضر وبدو من الكويت صحبة أخيه، توجهوا لمساعدة سعدون، لكن ابن رشيد حضر عنده محمد باشا بأمر السلطان عبدالحميد مأموراً بحقن الدماء وكفّ الفتنة، وابن رشيد توجه صوب الحيرة، وحمود الصباح رجع بقوته، وسعدون عبر للفرات، وقد كان المتولي حكومة البصرة محمد محسن باسم مجازي، والحقيقة أشراف البصرة بيت النقيب.

وقد توجه السيد أحمد باشا ابن السيد محمد سعيد إلى الكويت بصيغة الإصلاح بين مبارك وابن رشيد، لكن المطلب ضده كونه ساعد عبدالرحمن الفيصل آل سعود في دراهم، وعرض الإمام عبدالرحمن الفيصل التوجه إلى نجد لأجل استرجاع حكمه السابق، وقد تجهز عبدالرحمن الفيصل من الكويت بإيعاز من مبارك بن صباح وقوته وهمته، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٨ هـ، فأخذ جانباً من قحطان، ورجع للكويت. ثم أعقب ذلك كون ابن رشيد على سعدون المذكور آنفاً، فحكومة البصرة مرادها الإصلاح، لكن لم تشأ تحمّل مراده الحقيقي باطناً ضد صلاح ابن رشيد وصباح، ويحتمل أن عمل حكومة البصرة لأغراض مع قطع النظر صلاح الحكومة، وصلاح المسلمين، وعدم المبالاة في قتل بعض البعض.

رجعنا إلى ابن صباح، وذلك أن ابن صباح تقدم إلى نجد في أول شوال، وتجهّز معه الإمام عبدالرحمن الفيصل وأولاد جلوي آل سعود، ومعه نحو ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ حضر الكويت، وعريب دار ٣٠٠٠ إلى ٣٥٠٠ إلى ٤٠٠٠، ومعه سلطان بن حميد والدويش ومن معه من الدوشان شيخهم وطبان، ومعهم جميع مطير حتى الجبلان، والعجمان كافة ما عدا آل سفران، وآل مرة أغلبهم، وبني خالد وابن ضويحي، وابن حلاف ومن تبعهم

من الظفير، ومن بادية الجنوب الدواسر كافة، وآل شامر، وسبيع ومعه أمراء القصيم آل أبا الخيل ومقدمهم صالح الحسن، والسليم ومقدمهم عبدالعزيز بن عبدالله بن يحيى السليم.

فتوجه إلى نجد، فلما وصل إلى الدهناء لحقهم سعدون بن منصور مع عموم المنتفق، ومن أكابرهم جملة منهم أخوه عبدالله المنصور وأولادهم، ولما صار ابن صباح ومن تبعه من المنتفق والحضر والبدو في قرب الدهناء وجّهوا سرية صحبة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى أطراف العارض، وكان به أمير من قبل ابن رشيد، وأهل الرياض دافعوا ضد عبدالعزيز بن سعود مدافعة سهلة، ولكنه دخل الرياض من غير معارضة قوية.

الجزء السادس

مختصر عنوان المجد لابن بشر:

في سنة ١١٣٩هـ: في آخرها سار ابن صويط ومعه دجيني بن سعدون بن عرير الحميدي ومعهما المنتفق، وقصدوا الأحساء، وحصروا علي بن محمد بن غرير في الأحساء، وقتل بينهم رجال كثيرون، ونهب ابن صويط قرايا الأحساء، وصارت الغلبة لعلي عليهم وفشلهم. ثم إنهم صالحوا ورجعوا، وقد أردت أن أذكر ما شاء الله تعالى من سنين هذا الكتاب.

وفي سنة ١١٨٣هـ: سار عسكر من بغداد. سيره وزيره عمر باشا مع بكر بيك إلى المنتفق، فوقع بينهم قتال، وجلا عبدالله بن محمد آل مانع رئيس المنتفق إلى بني خالد، وتولى فيهم فضل[١].

وفي سنة ١٢٠٠هـ: كانت وقعة جضعة بين المهاشير وآل صبيح ودويحس بن عريعر. كلهم على سعدون رئيس بني خالد، واستنجدوا ثويني بن عبدالله شيخ المنتفق.

وفي سنة ١٢٠١هـ: سار ثويني بن عبدالله بين محمد بن مانع آل شبيب بالمنتفق وأهل الحجرة وأهل الزبير وبوادي شمر، حتى إن أحمال زهبة البنادق والمدافع وآلاتها بلغت سبعمائة حمل، فسار إلى أن وصل التنومة في القصيم، وحصرها أياماً وضربها بالمدافعٍ، وأخذها عنوة وقتل جميع أهلها إلا الشريد. قيل: إن الذي قتل فيها مائة وسبعون رجلاً. ثم ارتحل إلى بريدة، فحصل بينه وبين أهلها بعض القتال. ثم رجع من نجد، وقصد البصرة وأخذها وحبس متسلمها.

(١) هو فضل بن ناصر الصقر من آل شبيب. (مشرف الخزانة).

وفي سنة ١٢٠٢هـ: سار سليمان باشا بعساكر عظيمة من بغداد إلى ثويني آل محمد، فحصل بينهم قتال شديد، فالتقى العسكران بنهر يسمى الفضليّة، فصارت الهزيمة على ثويني وجنوده، فقتل منهم قتلى كثيرة، وجمع سليمان باشا رؤوس القتلى، وجعل منها ثلاث منارات، وتولى حمود بن ثامر على المنتفق.

وفي سنة ١٢٠٣هـ: سار سعود إلى جهة الشمال، فوافق ثويني آل محمد، فأخذ محلتهم وأثاثهم، وفيها سار سعود إلى بني خالد. ثم غزوة أخرى إلى المنتفق. ثم غزوة إلى الأحساء.

وفي سنة ١٢١١هـ: عزل سليمان باشا صاحب العراق حمود بن ثامر عن ولاية المنتفق، وولى عليهم ثويني بن عبدالله، وبعثه من العراق إلى البصرة، فلما استقر ثويني في المنتفق والبصرة استقر جميع رعايا من المنتفق وأهل الزبير والبصرة وآل ظفير وبني خالد، ونزل ثويني على الجهرا قرب الكويت. ثم سار حتى نزل الشباك المذكور، وإذا هو في مجلسه وعنده اثنان أو ثلاثة من خواصه، والناس يحطون رحالهم، أقبل العبد من خلفه ومعه زانة فيها حربة، فطعنه طعيس بين كتفيه، وقتل العبد من ساعة، وحمل ثويني إلى خيمته وقالوا: إنه حي، وينادون له بقهوة وتنباك، وهو قد شبع من الموت، وجعلوا أخاه ناصر أميراً مكانه، وكان قتل ثويني رابع محرم أول سنة اثني عشر، وسميت هذه الوقعة سحبة، فلما فرغ سعود من قسم الغنائم سار ونزل شمال الأحساء، وخرج إليه أهله وبايعوه.

وفي سنة ١٢٢٣هـ: سار سعود، ونازل أهل بلد الحسين، ووقع عند السور رمي وقتال شديد، فلما علم سعود بإحصان البلد رحل عنها، ونزل على شثاثا، واستولى عليها. ثم رحل وقصد المجرة وناوش المنتفق بقتال قتل فيه سلطان بن حمود بن ثامر.

وفي سنة ١٢٢٨هـ: وقع في بغداد اختلاف، وخاف أسعد بن سليمان باشا من عبدالله باشا صاحب بغداد، وهرب إلى المنتفق عند حمود بن ثامر، وهرب معه قاسم بيق، فأرسل عبدالله المذكور إلى حمود، وطلب منه أن يبعث بهم إليه، فأبى ذلك ومنعهم.

ثم إن عبدالله جمع العساكر من الروم وعقيل ومن بوادي شمر وغيرهم من أهل العراق ورئيس البوادي بنية بن قرينيس الجرباء.

ثم جمع حمود بن ثامر جميع المنتفق وجميع أتباعه، فالتقى الفريقان، واقتتلوا قتالاً شديداً. ثم إن بوادي شمر وأناس من رؤساء العسكر وغيرهم من الكرد خانوا لحمود، فانهزمت العساكر العراقية، وقتل منهم قتلى كثيرة، وأسر عبدالله باشا المذكور وكيخياه طاهر وناصر الشبلي رئيس عقيل، وكان برغش بن حمود قد جرح في تلك الوقعة جرحاً شديداً فمات منه، فشرط أسعد بن سليمان لراشد أخو حمود بن ثامر أن يقتل عبدالله باشا وكيخياه، فقتلهم، فلما بلغ حمود الخبر غضب غضباً شديداً، وسقط من سريره لقطع وجهه، ولم يعقب ذلك بشيء. ثم إن حمود سار بأسعد إلى بغداد، وملكه فيه ورجع.

عنوان السعد والمجد لابن ناصر:

١٢٧٧هـ: انتصار عبدالله بن فيصل على العجمان والمنتفق في المطلاع.

١٣٢٨هـ: جرت وقعة هدية في ٢ جمادى الأولى، وغزا الإمام عبدالعزيز بلد الكويت هو وابن صباح على المنتفق سعدون وعربانه، وصار الظفر للمنتفق، وأخذوا ما في أيديهم من السلع والسلاح، وسلموا من القتل.

مطالع السعود لابن سند (مختصر الحلواني):

من الوقائع التي وقعت سنة ولادته [أي داود باشا والي بغداد] محاصرة الزندي الرافضي البصرة، وحاصرها بالجيوش والأعراب، وصبروا أهلها على الشدائد، وحاموا عن وطنهم ودينهم، وكان مستلمها إذ ذاك سليمان بيك الذي آلت إليه فيما بعد وزارة

بغداد، فصابر وحامى عن البصرة بهمته، وكان الوزير في بغداد إذ ذاك عمر باشا، فبلغه الخبر، ولم يمد أهل البصرة في تلك الشدائد حتى أكلوا الكلاب والهرر، وقد حضر ثامر بن سعدون وثويني بن عبدالله شيخ المنتفق أول المحاصرة، لكنه لما اشتدّ الحصار فرأوا سليمان بيك لا زال يكابد في المحاصرة الأهوال، وهو ينتظر المدد من الدولة العلية، ومع ذلك عمر باشا يكرر الرسل إلى إسلامبول، ويطلب المدد من الدولة، وهم لا يساعدونه إلّا بالمواعيد.

ثم إنه بعد مدّة طويلة أرسلت الدولة العلية عرضياً جراراً لمعاونة عمر باشا في العرضي ثلاثة وزراء عبدالله باشا ومصطفى باشا وعبدي باشا، فلما خيّموا حول بغداد أشاعوا أن السلطان تصالح هو وملك العجم كريم خان، وأنه سيخرج الروافض من البصرة. ثم إنهم أظهروا عزل عمر باشا، فصرف عن الوزارة، وخيّم خارج بغداد، وتولّى الوزارة بدله مصطفى باشا، وبعد أيام أحاطوا بعمر باشا ليلاً وقطعوا رأسه، وأظهروا أن هناك أمر بذلك، وهذا في سنة ١١٩٠هـ، فمدّة حكمه ثلاث عشرة سنة.

وكتب الأديب عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي كتاباً جمع فيه من البلاغة أنواعاً إلى سليمان بن عبدالله بن شاوي الحميري لكونه شيخاً من شيوخ العراق، ويذكّره فيه بالنخوة والمروءة، ويبيّن له فضائل البصرة، وأنها أساس جميع العلوم، وأنه ينبغي نجدتها ونجدة أهلها، ولكن بعد أخذها وهتكها تعذّر معاونة ابن شاوي لأهلها، فلما تملك رئيس العرضي البصرة، طمعت نفسه لأن يغزو المنتفق، وأغراه شؤمه لذلك، فلما خرج من البصرة ووصل إلى ديار المنتفق اتفق أن قابله ثلاثون فارساً من فرسان المنتفق اتفاقاً، فنشب بينهم القتال، وصبر الثلاثون فارساً صبر الكرام، فكانت الهزيمة على جيش العجم، وذلك في موضع يسمى الفضلية قريباً من الفرات، فردّ الله كيد العجم في نحرهم، حيث خذلهم الله بثلاثين فارساً.

ثم إن العجمي رجع إلى البصرة، وعبر جيشاً أكبر من الأول، وأميره محمد علي خان المشهود له بالشجاعة، وعزم على غزو المنتفق ثانياً ليغسل عنه العار الأول، وكان مع العجم قبيلة كعب الروافض، فلما التقى الجمعان أراد الصلح ثويني وثامر، ولكن

العجمي أبى الصلح، واشترط شروطاً تأباها شيم العرب، فثاني يوم نشبت الحرب بين الفريقين من الصبح إلى المساء، وصارت مقتلة لم يسمع بمثلها، وكانت الهزيمة في آخر النهار على العجم، وقتل أمير جيش العجم محمد خان، وأكثر العجم ماتوا غرقا لأنهم لما انهزموا فرّوا إلى الفرات، ونزلوا في السفن وملأوها حتى ثقلت وغرقت، والعجم لا يعرفون السباحة، وغنم العرب مغنماً لم يسمع بمثله لأن العجم كانوا متمولين من أموال أهل البصرة، ووفدت الشعراء ثويني للتهنئة خصوصاً بقتل محمد علي خان، وممن شهد هذه الواقعة وأبدى من البسالة غايتها حمود بن ثامر ومحمد بن عبدالعزيز بن مغامس، وهذه الواقعة التي أعزّ الله فيها العرب وقعت سنة؟.

فلما قتل عمر باشا وتولى مصطفى باشا ظهر أنّه جبان ولا تدبير له، وعصى عليه عبدالله باشا، وخرّب جملة قرى بغداد وكثر التشكّي في حقه، وفي إهماله الأمور، فأرسلت الدولة عزله، وولوا بدله عبدي باشا، وتمادى عبدالله باشا في الخروج والطغيان إلى أن بلغ السلطان استيلاء العجم على البصرة بعد مضي سنتين من أخذها، فغضب السلطان عبدالحميد غضباً شديداً، وزاد غضبه بقتل عمر باشا بأمر مزوّر على السلطان مكذوب عليه، فأمر في الحال بقتل مصطفى باشا، وأرسل فرماناً بعزل عبدي باشا عن وزارة بغداد، وتولية عبدالله على بغداد، وأمره في الحال بتجهيز عساكر إلى البصرة لإخراج العدو الرافضي منها، وواعده السلطان بأنه سيمده بالعساكر وبالأموال.

على ذلك خرج صادق خان من البصرة بعساكره قاصداً شيراز ليملكها، ويصون دمه، فلما بلغ الوزير خروج عساكر العجم من البصرة حالاً أرسل إليها نعمان بيك متسلماً عليها، فسافر من بغداد ودخل البصرة بلا حرب ولا ضرب وتسلمها، ونفّذ فيها أوامره، وطهّرها من الرفض وأهله، ولما مات كريم خان وتولى زكي خان بعده أطلق سليمان بيك وأسرى البصرة، ولما فك الأسر عنه أرسله والياً على البصرة، فخرج من شيراز، ولما وصل إلى الحويزة راسل أهل البصرة في أن يكون والياً عليهم فوافقوه، ولكن أبى ذلك نعمان بيك المتسلم وثامر شيخ المنتفق، فبقي في الحويزة منتظراً للفرج لأنه كان لا يحب الفتن، فلم يلبث إلّا قليلا حتى جاء الفرج بموت ثامر أغزى عرب الخزاعل،

فأصيب برمح قتله.

فحينئذ أرسل سليمان بيك إلى حسن باشا والي بغداد يطلب منه ولاية البصرة، وأنه هو الذي كابد فيها المشاق زمن الحصار، وكان سليمان بيك من الدهاء على جانب عظيم، ولما لسليمان بيك من المآثر الجليلة في البصرة طلبه ثويني بن عبدالله إلى الدخول في البصرة، فما لبث بها إلّا قليلاً حتى جاء البشير بفرمان الدولة بأنه واليها والمتصرف فيها بلا منازع، لأنه كان كاتب الدولة في هذا الشأن قبلاً بغير علم حسن باشا.

ثم إنّ أهل بغداد نقموا على وزيرهم حسن باشا لعدم أهليته للولاية، وأخرجوه من بلدهم مطروداً لما ترتّب على وجوده من كثرة طغيان المفسدين حول بغداد، وهم محمد خليل وعجم محمد، فلما خرج ووصل إلى ديار بكر أصابه مرض، وتوفّي هناك، فمدّة ولايته على بغداد سبعة عشر شهراً لا غير.

فلما أخرجوه من بغداد ظلّت شاغرة بلا والي. إنما اتفق أعيان بغداد أن ولّوا عليهم إسماعيل بيك يطيعون أمره ونهيه إلى أن يحضر من الدولة أمر، فيكون العمل على مقتضاه، فلما ورد الخبر بوفاة حسن باشا، أرسلت الدولة فرماناً إلى سليمان بيك والي البصرة أن يكون والي بغداد والبصرة وشهرزور في يوم ١٥ شوال سنة ١١٩٣هـ، وأرسلوا أمراً آخر إلى سليمان باشا ابن أمين باشا الموصلي أن يكون قائماً على بغداد إلى أن يرد سليمان باشا والي البصرة إلى بغداد ويستلمها.

فسافر من البصرة سليمان باشا قاصداً محل ولايته بغداد، وصحبه في سفره خدمة له ثويني بن عبدالله، وجملة من أعيان البصرة وأعيان الزبير، ولما وصل إلى العرجا من أرض المنتفق لقيه الكتخذا إسماعيل بيك لأجل التهنئة، فما كان من الباشا إلّا أنه أمر بضرب عنقه لأمور كان ينقمها عليه، وقيّد خدامه بالحديد، ونصب على البصرة رجلاً اسمه سليمان، وأصحبه صاحب مهره أحمد الزكي. ثم سافر، فلما وصل كربلاء استأذن منه ثويني في الرجوع إلى وطنه فأذن له، ولما وصل الحلة لاقاه سليمان بن عبدالله بن

شاوي أمير حمير فأكرمه الباشا وبجّله.

وفي سنة ١٢٠١هـ: ورد سليمان بن شاوي من الخابور، ومعه جنود وأوباش متجمعة، فقصد بذلك التخريب والإفساد، فخرج إليه الوزير بعساكره وجنوده، والتقى الجمعان في الفلوجة، واشتبك القتال بين الفريقين، وتطاعنت الفرسان وحمي الوطيس، فكانت الهزيمة على عسكر الباشا والي بغداد، وأسر من جماعته خالد بيك كتخدا البوابين، ومحمود باشا ابن نمر باشا.

فأما محمود باشا فرد عليه سلبه ابن شاوي، وأذن له في الانصراف، وأما خالد باشا فأسره معه مقيداً، وبعد ذلك طمعت نفس ابن شاوي إلى أن غزا على نفس بغداد حتى وصل إلى الكاظم، ولولا عرب عقيل لأخذ سليمان باشا أسيراً، ولكن عقيل أبدوا في ذلك اليوم من البسالة والشجاعة ما يليق بهم، وحاموا عن بغداد محاماة الأسد عن زبيته فشكرهم الباشا على ذلك.

وأما ابن شاوي نفر هارباً، وانشقت من جماعته العصى، وندم على ما قدّم، وطلب الأمان من الباشا فمنحه إياه، لكنه لم يرجع عن غيّه، بل عاد إلى البادية لجميع الأعراب وللطغيان والفساد، فتوجه إلى الدجيل ثم إلى الشامية ثم إلى الأبيرة، فلما لم يجده شيئاً قصد المنتفق، فالتجأ به إلى ثويني بن عبدالله، فساعده وأعانه، وانضم إليه حمد بن حمود الخزاعي بقبيلته، فأناخ الجميع على البصرة، وملكوها ونهبوها وأسلبوا أهلها، وأسروا متسلمها إبراهيم أفندي ثم نفوه إلى مسقط، وكان هذا المتسلم أفسق من على وجه الأرض في شرهه على الزنا واللواط والسكر، وكان يمضي جميع أوقاته في رقص الأولاد والنساء والسكر والغناء، فأراه الله عاقبة أفعاله.

فلما بلغ الوزير أخذ البصرة وهتكها، وأسر المتسلم، ومنع ثويني من الخراج، بل حتى أن ثوينياً راسل الدولة، وطلب منهم أن يجعلوه وزير بغداد أصالة، فحينئذ اغتاظ الباشا، وأرسل إلى متصرف بابان وكوى وحرير ومن الأكراد إبراهيم باشا والي متصرف باجلان عبدالفتاح أفندي، على أن يمدّوه بجميع ما يمكنهم من العساكر الأكراد، إلا أنّه

لما أبطأوا عليه عزل إبراهيم باشا، ونصب مكانه عثمان باشا بن محمود باشا، ومكان الآخر عبدالقادر أفندي، فأمدّاه بألفي خيّال من شجعان الأكراد.

فلما تمت قوته شرع أولاً في الغزو على خزاعة، لأن حمود بن ثامر بن سعدون خضع لطاعة الباشا، وجاء بقبيلته مدداً، فلما بلغ الوزير في أرض خزاعة أصحبه معه، وقاتلوا خزاعة، ورموهم بالبنادق، وفرقوا شملهم، وهرب عند ذلك حمد إلى المنتفق. ثم توجه الباشا إلى المنتفق، وأقام ثلاثة أيام في أم العباس، وذلك في غرة محرم سنة ١٢٠٢هـ، فخرج ثويني بن عبدالله بعساكره صفوفاً صفوفاً، ومعه الأطواب والخيل العراب، فنشب الحرب واشتد وحمي الوطيس، فكانت الهزيمة على عساكر المنتفق، وولوا الفرار، والباشا يتبعهم أسراً وقتلاً، حتى أنه بنى من رؤوس القتلى ثلاث منائر.

فلما صفى له الوقت ولّى على المنتفق حمود بن ثامر، وعلى البصرة مصطفى آغا الكردي وكان خازنداره، وبعد ذلك رجع الباشا إلى بغداد بعد ما أرهب الأرض بخيله ورجله، وجعل في البصرة جملة من عسكره تسمى اللاونة، ورئيسهم إسماعيل آغا تقوية لمتسلم البصرة، وتأميناً للسبل، وكان خروجه من بغداد الثاني عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٠١هـ ورجوعه فيها منصورا ثمانية في ربيع الأول سنة ١٢٠٢هـ.

وفي سنة ١٢٠٣هـ: طلب سليمان بن شاوي العفو من الباشا، فعفى عنه ورد عليه أملاكه وأمواله بشرطين:

١- لا يدخل بغداد أبداً.

٢- أن لا يعود إلى الفساد لا ظاهراً ولا باطناً.

وفي ذلك العام عصى متسلم البصرة مصطفى آغا الكردي، وذلك لما بينه وبين الكتخدا من الضغائن، فأخذ مصطفى آغا الكردي يستميل عثمان باشا واللاونة بالأطماع، وكتب لثويني بن عبدالله ليساعده في هذه الأمنية، فلما قرب من أرض المنتفق أرسل للباشا بأن حموداً لم يلق للمشيخة بل الأولى بها ثويني، فأجابه الوزير، وأرسل له

خلعة المشيخة إلى ثويني، وكل هذه مسايرة من الباشا لمصطفى آغا، وتجاهل الباشا بأنه ما علم بأن مصطفى آغا خرج عن الطاعة، ولكن الباشا في هذه المدّة مجتهد في جلب العساكر، وتمّت عنده العساكر الشجعان، هذا ومصطفى آغا الكردي يجدّ ويجتهد في إثارة الفتنة تارة يكاتب عثمان باشا، وتارة يكاتب أمير اللاونة الكردي الذي في الزنكباد، ويغريهم على مساعدته، والوزير عالم بذلك لكنه يتغافل، ويظهر الودّ لمصطفى آغا الكردي، فكتب الباشا إلى كبير مراكب البصرة مصطفى بن حجازي بأنه إن تمكّن من قتل مصطفى آغا الكردي فلا يتوقف، فما تدري كيف شعر مصطفى آغا الكردي بهذا الخبر فتحذر، بل جمع جماعة خفية، وهجم على مصطفى آغا الحجازي وقطع رأسه.

فحينما قتل مصطفى بن حجازي جاهر بالعصيان، وأخذ في التخريب والإفساد ظاهراً، وعند ما عزم الوزير على غزوه ورد كتاب من سليمان بن شاوي إلى الوزير يشكره فيه على العفو والمسامحة فيما فرط منه، ويترجّى الباشا في أن يرسل إلى ابن شاوي رجلاً عاقلاً مؤتمناً من خاصته ليودعه سراً يؤديه إلى الباشا، فأرسل إليه سليمان آغا معتمد كتخدا لفطنته وأمانته.

فلما وصل الرسول إلى سليمان بن شاوي الحميري أخبره أن عثمان باشا متّفق مع مصطفى آغا الكردي سراً، وأراه كتاب عثمان باشا إليه يعزمه على أن يكون على ما كان عليه من مساعدة المتسلم على أن يكون والي العراق، فرجع الرسول إلى الباشا بكتاب سليمان الذي وصله من عثمان باشا، فلما رآه الوزير أخّر السفر ليدبر أمره، فأظهر لعثمان باشا المودّة الكاملة، وراسله وهاداه ومنّاه بالمواعيد، فاغتر بمودة الباشا، فأرسل إليه الوزير كتخداه أحمد أفندي ليطلبه إلى بغداد، فلما وصل بغداد أخذ الوزير يلاطفه، ويظهر له المحبة حتى إنّه زوّجه أخت الكتخدا أحمد أفندي وترجّاه، وطلب منه المدد ليعينه بجملة من عساكره، وأذن له في الرجوع إلى وطنه، فسافر وهو مطمئن قلبه من جهة الباشا، وما درى أن الحبال له تفتل، والمكر عليه يدبر، فبعد ما رجع إلى وطنه انحلت عرى المعاهدين للمتسلم، فحينئذ غزا الوزير المتسلم مصطفى آغا الكردي، فمنذ

وصل العرجاء داخل الرعب ثويني وقبائله والمتسلم مصطفى آغا.

فأما ثويني فإنه فرّ إلى البراري والقفار، وأما المتسلم فهرب إلى الكويت، فجدّ الباشا إلى أن وصل إلى البصرة وملكها، وأقام بها متسلماً الأمير عيسى المارديني، وأقام شيخاً على المنتفق حمود بن ثامر، فرجع الباشا إلى بغداد، ودخلها سلخ رمضان.

وفي السنة ١٢١١هـ: نصب الباشا شيخاً على المنتفق ثويني بن عبدالله، وعزل حموداً.

وفي السنة ١٢١٢هـ: قتل طعيسٌ ثويني بن عبدالله، فمات غريباً شهيداً، وسبب موته أنه لما طغى ابن سعود وملك الحسا وانتزعها من شيخ بني خالد طمع في غيرها من بلاد المسلمين. أمر الباشا والي بغداد ثويني بن عبدالله أن يذهب لغزو ابن سعود، فجمع جيوشه ثويني، وسافر إلى نجد، فأرهبها وأدخل الخوف في قلب جميع أعرابها، حتى إنه دخل في طاعته جملة من قبائل ابن سعود بدون حرب ولا ضرب، وعاهدته جراثيم قبائل العرب على مساعدته، فما زال يسير بالكتائب والجنود إلى أن نزل على ما يسمى الشباك، وحالما نزل نصبت له خيمته هناك صغيرة فاجأه طعيس، والناس في أشغال النزول، فطعنه بحربة فقتله، فمسكوا طعيساً وقتلوه، ولكن لا يثأر الأسد بالكلب، وتشتت جيش المنتفق، وكرّوا راجعين إلى العراق، وانفلت عنهم معاهدوهم.

فلما بلغ الباشا هذا الخبر تأسف، وولى على المنتفق حمود حاكماً عليهم، وثويني هذا هو ابن عبدالله بن محمد بن مانع القرشي الهاشمي العلوي الشبيبي تولى مشيخة المنتفق كما تولاها أبوه وجدّه أجواد العرب والمشاهير وشجعانها، وله أيام مشهورة بين العرب أبدى فيها من الشجاعة ما فاق به عنترة، فمنها يوم دبى، وذلك أن كعباً غزوا أخاه صقراً بجيش عرمرم، فلما التقى الجمعان، ونشب القتال بينهما تبين فيها ثويني، وكانت هزيمة كعب بسببه كما هو محقق عند سائر قبائل العرب، وبه زلّت قبيلة كعب الروافض.

ومن أيام ثويني يوم ضجعة، وسببه أن عبدالمحسن بن سرداح لما اشتاق إلى مشيخة

بني خالد فرّ إلى ثويني لينجده ويساعده، وشيخ بني خالد إذ ذاك سعدون بن عريعر، فلما علم ذلك جمع قبائله، وصار يشن الغارات على ثويني وعربه، فصار بين القبلتين الشر، فتواعدوا على يوم معلوم، فالتقيا في أرض بني خالد، ونشب بينهما القتال، وسال الدم مثل السيل، واستمر الحرب أياماً، فكانت الهزيمة على قبائل سعدون، فهرب وتولى ثويني بيوته وأمواله، وأما سعدون فإنه طار مهزوماً إلى أن وصل إلى عبدالعزيز بن سعود، فعاهده على نصرته، فصار قدومه عند ابن سعود يوم عيد لأنه حينئذ تيقن أنه سيملك الأحساء، ولما رجع ثويني إلى داره أجمع عشائر بني خالد على أن يؤمروا عليهم داحس بن عريعر.

ومن أيام ثويني المشهورة يوم التنومة قرية من قرى القصيم، وذلك أنه لما انتصر على بني خالد تطاول وغرّته نفسه أن يغزو نجداً بجذافيرها، حتى ابن سعود، فجهز جيشاً جراراً، وقصد به نجداً، فهابته جميع العرب، ولم يقدر أحد على مبارزته حتى ابن سعود، فإنه جبن واستكن في الدرعية، فلما أناخ ثويني في أرجاء نجد أوّل ما ابتدأ بحرب التنومة، وحاصرها إلى أن فتحها عنوة ونهب أهلها وهتكها.

ثم قفل إلى العراق، فوصل البصرة، فأخذه الغرور، وحدّثته نفسه أن يملك العراق أجمع، فحاصر البصرة حتى ملكها، فكان هذا هو الباعث على إهلاكه، لأنه تحركت عليه الدولة العلية، وتنبّهت له، وأمرت والي بغداد أن يوالي عليه الغارات، فلا زال يغزوه إلى أن صار من أمره ما ذكرناه سابقاً من عزله، وتشتيت حاله وتولية غيره. ثم الآن دعته منيته إلى أن يغزو نجداً، فغزاها، فصارت منيّته على يد طعيس (العبد الأسود)، وبعده آلت إمارة المنتفق إلى حمود بن ثامر بن سعود بن محمد بن مانع الشبيبي، ابن أخي ثويني لأمه، وهو ابن عم له.

وحمود هذا من فرسان العرب ورجالاتها الموصوفين بالدهاء والأناءة، وكان موسوساً حتى إنه قيل عنه أنه لا ينتقض وضوءه، ولا يتوضأ إلّا في سبع ساعات، فكان كثيراً ما يصلي اليوم صلاة أمس، ومن مثالبه أنه كان لا يرضى إلّا برأيه، ومنها أنه كان كاتبه رافضيّا، فكان يضرّ بأهل السنّة ويتقصدهم بالمضرة عمداً، ومن رشا هذا الكاتب قضى

شغله، وإلّا يعطل أشغال الناس ما أمكنه، ومنها رضاه بظلم قومه لرعيته، ومنها رضاه بكل مفسدة من كل باغ على ولاة الأمور، وعلى الدولة العثمانية، ومنها أنه لا يولي على كل قرية إلّا أظلم أهلها وأفسدهم، ومنها أنه على غاية من الحقد.

ومن محاسنه الشجاعة التي لا تكاد توجد في مخلوق في هذا العصر، وأظن أن الله جمع فيه شجاعة ألف رجل، وله أيام مشهورة بين العرب تبين فيها، منها يوم الرخيمة، وهو شاب في حياة والده وهو يوم لسعدون ابن عرعر على ثامر، ومنها يوم أبي حلاّنة، وهو يوم للمنتفق على محمد علي خان الزندي كما ذكرناه قبلاً، ومنها يوم سفوان له على ثويني عمّه ومصطفى آغا الكردي متسلم البصرة، ومن أيامه يوم علواء ماء قريب من البصرة.

ومن محاسنه إطعامٍ الطعام حتى أن بعض الضيوف يقيم عنده أعواماً، ولا يرى الضيف من خدمه ملالاً ولا سآمة على طوال المدة، ومنها ذكاءه المفرط وحفظه الجيد، ولمّا ابتلاه الله بالعمى ازدادت أبّهته، واستمرّت حكومته من الثانية عشر إلى الثانية والأربعين.

في الخامس من صفر عزله الوزير المكرم المترجم داود باشا، وسنذكر سبب عزله في محله.

ومن وقائع السنة الثانية عشر بعد المائتين والألف أن سعود بن العزيز غزا بني المنتفق، فصبّح القرية المعروفة بأم العباس، فقتل منها خلقاً كثيراً ونهب وحرق. ثم كرّ راجعا إلى الدرعية، وحمود إذ ذاك كان في البادية، فلمّا بلغه الخبر جدّ في السير ليدركه فما أدركه.

وفي السنة ١٢١٣ هـ: غزا علي بيك الكتخدا بأمر الوزير سليمان باشا والي بغداد الحسا من البحرين بعد ما تولّاها عبدالعزيز بن سعود، وبنى فيها القلاع المحكمة، وسام أهلها الخسف، وغزا مع علي بيك شيخ المنتفق حمود بن ثامر بن سعدون وبادية العراق، وعسكر عقيل وأميرهم إذ ذاك ناصر بن محمد الشبلي، وغزا معهم فارس بن محمد الجرباء

شيخ شمر ومعه قبائله، وأصحاب الوزير مع علي بيك الكتخدا محمد بن عبدالله بن شاوي الحميري، وغزا معهم أيضا أهل الزبير القرية المعروفة، وأهل نجد أميرهم إبراهيم بن ثاقب بن وطبان.

فسار العسكر إلى أن نزلوا في المبرز، وحاصروا قلاع ابن سعود، ولم يقابل أحداً من عسكر الكتخدا، ولا من العرب سوى عقيل، فأطاع غالب أهل الحسا من غير قتال، وفي خلالها غزا حمود على سبيع، فقتل منهم، وغنم إبلاً وشاة، ومعه في تلك الغزاة فارس الجرباء وابن أخيه بنيّة بن قرينيس، ولما رجع حمود من تلك الغزاة بالغنيمة علي الكتخدا تقوّى ساعد الكتخدا، واجتهد في الرمي على القلاع، ولكن الأطواب لا تعمل في القلاع لصلابة طينتها، وهكذا غالب بلاد القصيم طينتها صلبة جدّا، والظاهر أن نصحاء الكتخدا خانوه، وأوهموه أوهاماً فاسدة، حتى إنه فرّ هارباً راجعاً إلى العراق، وذلك لأن الباشا صرف أموالا جمّة على العرضي، والكتخدا أسلم أموره لبعض الخونة، فخانوه في الصرف وأكلوا أكثر الأموال، وصرفوا القليل، فلهذا عمدوه على الهرب لكي يتم ملعوبهم.

فلما أخذ في الفرار هو وعسكره وسائر أعراب العراق تبعه ابن سعود بعسكره، ولحقه في محل يقال له ثاج، ونزل ابن سعود في الحناة، فبينما الفريقان يتحاربان. إذ لانت شكيمة رؤساء العساكر للصلح، وصاروا يبكون للكتخدا، ويفهّمونه قوة ابن سعود، والحال أن الأمر على خلاف ذلك. إنما من بطر الخيانة تيقّن أن عساكر ابن سعود لا زاد معهم، وأن مآلهم أن يهربوا، فما أراد الفشيلة على صديقه وابن عمه في الباطن، بل حسّن للكتخدا أن الصلح أوفق، والكتخدا غلام غرّ سلّم أموره لأعدائه وهو لا يشعر، وقتل قبل ذلك خالد بن ثامر أخو حمود، فلم يؤخذ ثأره.

ثم ورد كتاب على الكتخدا من سعود يقول فيه: من سعود إلى ابن عبدالعزيز إلى علي: (أما بعد: فما عرفنا سبب مجيئكم إلى الحسا، مع أن الحسا روافض، ونحن جعلناهم بالسيف مسلمين، وهي قرية ليست بداخلة في حكمكم، والذي يحصل منها قليل بالنسبة إلى تعبكم، ولو أن جميع أهل الحسا وما يليها يدفعون إليكم كل ما يملكونه

من دراهم وغيرها لما يعادل مصاريفكم في هذه السفرة فقط، وما كان بيننا وبينكم من المضاغنة إلّا ثويني، وقد لقي جزاءه، فالآن مأمولنا المصالحة، وهي خير لنا ولكم سيد الأحكام).

فلما اطلع الكتخدا على الكتاب ارتضى الصلح، فكتب جواباً لابن سعود: (من علي باشا إلى سعود بن عبدالعزيز أما بعد. فقد أتاني كتابكم، وكلما ذكرت من أمر المصالحة صار لدينا معلوماً، لكن على شروط نذكرها لك، فإن قبلتها وعملت بها فحسن، وإلّا فما نحن عاجزون عنك ولا عن طوائفك، وعندك الصحيح إذا اشتدت الهيجا وانشقت العصا، فحسبك والضحاك سيف مهنّد، حيث لنا مقدار أربعة أشهر في بلادك، نجوب الفلا ونتأثر أهل القرى، وأنت ما قدرت تظهر من مكانك غير هذه الدفعة، وبهذه الدفعة أيضا اغتررت بقول عفيصان.

فأما الشرط الأول: فهو أن لا تقرب الحسا بعد الآن، والشرط الثاني: أن ترجع الأطواب التي أخذتها من ثويني، والشرط الثالث: أن تعطينا جميع ما صرفناه في هذه السفرة، والشرط الرابع: أن لا تتعرض للحجاج الذين يأتون إليك من طرف العراق، ولا لأبناء السبيل، وأن تكفّ غزوك عن العراق، وتكون معنا كالأول، فهذه الشروط التي أخبرناك بها، والسلام على من اتّبع الهدى).

فكتب له ابن سعود ما نصه: (جاء كتابكم وفهمنا معناه، فأولا الحسا قرية خارجة عن حكم الروم، وما تساوي التعب، وما فيها شيء يوجب الشقاق، وأما الأطواب فهي عند والدي في الدرعية. إذا وصلت إليه أعرض الحال بين يديه، والوزير سليمان باشا أيضا يكتب إليه، فإن صحت المصالحة تصلكم الأطواب، وأنا كفيل على ذلك حتى أوصلها البصرة، وأما مصاريفكم فإني لم أملك من هذا الأمر شيئاً، والأمر فيه لوالدي إذا وصلت إليه.

وأما ما ذكرتم من أمر الطريق وعدم التعرض للحجاج، فحباً وكرامة، وعليّ عهد الله وميثاقه أن لا يفقد لكم بعير، وأن لا يسدى منّا ضرر على المارين، ومالهم عندنا

غير الكرامة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

واعلم أن علي باشا الكتخدا إنما صالح سعود لما داخله من الخوف من استشارته بعض أعدائه في الباطن، وأصدقائه في الظاهر مثل إبراهيم بن ثاقب بن وطبان، فإنه من أقارب سعود، وهو فصيح المنطق، داهية دهياء في التحايل وفي قلب الموضوع، وربما سأله بعض خواص علي باشا عن كمية عساكر سعود لعدم مفاوضته لأهل النصح والديانة.

وأما ما ذكره المؤرخ التركي من العسكر أصابه ضرر من قلة العلف والزاد، ولقد والله خدع الكتخدا في هذه المصالحة، ومما يدل على أنه خدع. أن حمود بن ثامر أبى المصالحة إلّا أن يعطيه الكتخدا كتاباً بأن الصلح كان على غير اختيار حمود، وقد رمي في ذلك محمد بن شاوي وهو بريء، ولما تمّ الصلح رجع الكتخدا إلى بغداد، ولم يف سعود بواحد من الشروط، وكان رجوع الكتخدا في رابع صفر سنة ١٢١٤هـ.

وفي هذه السنة أقبل عبدالله آغا متسلم البصرة إلى بغداد، وتضرع الوزير، فأكرمه الوزير سليمان باشا، وأرجعه إلى البصرة متسلماً.

وفي سنة ١٢٢٨هـ: غزا عبدالله باشا عبدالرحمن باشا الكردي لتجاهره بالعصيان، فتلاقيا في موضع يقال له كفرى، فنشب الحرب بين الفئتين، فكانت الهزيمة على عسكر عبدالرحمن باشا الكردي، ففرّ إلى كرمان من بلاد العجم.

ثم رجع الوزير إلى بغداد، ولما وصل الجديدة بلغه أن سعيد باشا ابن سليمان باشا فرّ من بغداد إلى حمود بن ثامر، فدخل الوزير بغداد يوم ٩ رجب، وفي أول ذي القعدة خرج الوزير يؤم حمود بن ثامر، ومعه مشكور شيخ ربيعة بعسكر جرار، ولم يدر أن الدائرة عليه ستدور.

فلما وصل أرض المنتفق عبر من غربي الفرات على الجزيرة، فوافقه على محاربة حمود بن ثامر مشكور شيخ ربيعة، وبعد ذلك غزا من المنتفق صالح بن ثامر مشكور الربعي،

فتقاتلا مليّا، فانهزم مشكور ومن معه، فعزل الباشا حمود شيخ المنتفق من المشيخة، وولى بدله نجم بن عبدالله بن محمد بن مانع أخو ثويني، فلا زال حموداً يكاتب الباشا ويترضّاه في أن يدفع له جميع ما صرفه على العساكر، وهو يأبى.

ولما وقع بين صالح بن ثامر ومشكور ما وقع، وقتل مشكور. زحف الوزير بعسكره إلى أن نزل قريباً من عرب حمود، فضاق حمود ذرعاً مع أنه يعلم أن مقاومة عسكر عبدالله باشا يميلون في الباطن مع سعيد باشا، ولكنه لحذره لم يثق بمراسلاتهم. ثم حمل الجيشان على بعضهما، وانهزم كثير من أتباع حمود، وصدق الحملة برغش بن حمود، فطعنه بعض عسكر عبدالله باشا، وحمل علي بن ثامر، وقتل نجم بن عبدالله المنصوب الجديد من جانب الباشا شيخاً على المنتفق.

ولما كادت عشيرة حمود تولي الأدبار انهزم آل قشعم من عسكر عبدالله باشا إلى المنتفق، وكذلك انضم كثير من أتباع الباشا الذين يميلون إلى سعيد باشا إلى جهة المنتفق، فسقط عبدالله باشا وطاهر باشا في يديهما، فطلبا الأمان من حمود، فأعطاهما الأمان، ولكن لم يف لهما به، فإن عشيرته نهبت العسكر، ولم تبق معهم ما يسترون به عوراتهم، بل تركتهم مكشوفين السوأة، فأمر حمود بن ثامر على عبدالله باشا وطاهر باشا وثالث معهما أن يقيّدوا في الحديد، ويذهب بهم إلى سوق الشيوخ، وهي قرية المنتفق المخصوصة بهم.

فلما مات برغش بن حمود من تلك الطعنة خنقهم راشد بن ثامر، وبعد ما قبروا نبشوا من القبور، وقطعوا رؤوسهم، وهذا جزاء الغدّار، فإن عبدالله باشا الكتخدا، وطاهر باشا الخازن دار، فعاقبهم الله بمثل هذا العقاب الشنيع، وبعد هذه الواقعة، ارتفع أمر حمود بن ثامر، وصار له شأن غير الشأن الأول، وصار أمر سعيد باشا بيده، فلذلك أعطاه سعيد باشا ما في جنوب البصرة من قرى، وضحك له الزمان وأطاعه بما شاء.

ثم توجّه حمود مع سعيد باشا إلى بغداد، ودخلاها بالموكب والأبّهة والجاه، وكاتب سعيد باشا الدولة، فجاءه الفرمان بأنه والي بغداد والبصرة وشهرزور، فرجع حمود إلى

المنتفق، لكن سعيد باشا لا يبرم صغيرة ولا كبيرة إلّا بمشورته، ولو تباعدا بالأجسام من شدّة محبة له.

فلما وصل حمود إلى مقرّه طغى وبغى، وتغيّر حاله الأول، وكثر الفساد من أتباعه وعشيرته، وكلما اشتكى أحد منهم لا يسمع فيه شكوى، وصار كل من قصده مطروداً أو مظلوماً لا يقريه إلّا الطعام فقط، وتكبّر وعتى.

وفي تلك الأيام صار أهل البصرة لا ينامون من تسلط سرّاق بني المنتفق، حتى إن السارق ليتسوّر البيت العالي في النهار فضلاً عن الليل، فإن وجد شيئا أخذه وباعه في البصرة، وصاحبه يراه، ولا يقدر يتكلم.

وأما سعيد باشا فإنه نعم الرجل، لولا أن فوّض أموره لهذا البدوي الغشوم الظلوم، وعما نقم الناس عليه، أعطى حموداً ما تحت يديه وتصدير حمد أبي عقلين، وإعراضه عن تدبير مملكته بنفسه، وتسليمه زمام الملك إلى من لا يقدّر للملك قدرة، ولو فوّض أمره للوزير المترجم داود باشا لرأى من العدل ما ينسي أخبار أنو شروان.

تولى سعيد باشا وزارة بغداد في سنة ١٢٢٨هـ، وفيها غزا والي بغداد قبيلة خزاعة لطغيانهم وقطعهم الطريق، فلم يجده غزوه شيئاً.

وفي سنة ١٢٣٨هـ: وقعت واقعة بين سكان بلدة الزبير، وكانوا قبلها يداً واحدة على من قصدهم بشرّ، حتى فشا بينهم ضربان الخلاف، ففرّق ائتلافهم، وأوقع بينهم الحسد والبغضاء، وذلك أن محمد بن ثاقب بن وطبان يحسد يوسف بن زهير على ماله، وعلى ما أنعم الله به عليه، ولاستعباده أشراف الناس بسماحه ونواله، فادّعى ابن ثاقب على ابن زهير دعوى يكذبها من له أدنى عقل، وتلك الدعوى أن يوسف بن زهير أمر بسمّ راشد بن ثامر، وصدّقه في دعواه بعض المغفلين، وأفشاها من يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وكل هذا إرضاء لآل المنتفق.

وكان ابن ثاقب قبل دعواه مصطفياً بعض أوباش أوغاد عقول لهم لأن يعينوه على

أخذ يوسف بن زهير، وتسليمه إلى حاكم البصرة، فسعى ابن ثاقب إلى حاكم البصرة، فصدّقه المغفل من غير أن يقيم دليلاً على صدق دعواه، خصوصاً والدعوى على غائب لا تسمع، فالمتسلم رفع القصد إلى داود باشا، فلما شاع خبر السمّ أخذ يوسف بن زهير في التحذر، وانضم إليه كل من له عليه معروف، وتحيّز في بيته من يغضب لغضبه، ويعيش بسببه.

فلما علم ابن ثاقب أن عدوّه تحذر وأنه في حصن من الرجال لا يمكن افتراسه، ولا يمكن إيقاع المكيدة به، أمر الزمرة الأوغاد التي اصطفاهم أن يهجموا بسلاحهم ليلاً على ابن زهير في داره، فلما مدّ الليل رواقه تجمعوا، وأرادوا الهجوم على ابن زهير، فأحسّ بهم خدّام ابن زهير قبل أن يصلوا إلى باب داره، فتقاتلوا وقتل من أتباع ابن ثاقب، وانهزم الباقي، ورجعوا خائبين. ثم دخلوا البصرة، فأخرجوا منها بأمر داود باشا حذراً من تفاقم الفتنة وضرر الناس.

فنزل ابن ثاقب وأتباعه قريباً من نهر معقل، ومتسلم البصرة إذ ذاك محمد كاظم أفندي، فما زال ابن ثاقب في منزله حتى هجم عليه رجال كثيرون في الليل، وأرادوا قتله فانشبك القتال بين الفريقين، وقتل من قدر الله عليه بالشقاوة، إلّا أن ابن ثاقب سلم وانهزم حتى عبر الفرات، وجعل يكاتب من يساعده من أصحابه، وأكثر من كان يساعده سراً وجهراً متسلم البصرة محمد كاظم أفندي، فإنه صرف في تأييده جهده، وكثيراً يخبر الوزير المترجم بصحة دعوى ابن ثاقب.

ولما ورد حمود بن ثامر من البادية خدع يوسف بن زهير بمودته، فلما ورد عليه وصار في قبضته منعه الانصراف، وركب معه الاعتساف، وبقي عنده مدّة حتى مرض من شدّة القهر أو من أمر آخر أعلم به، فلما اشتد به المرض أذن له بالانصراف، فما دخل البصرة حتى قبض رحمه الله، كان ذا صدقات وأعمال برّ، وعفّه عن المحرمات، وسيرة حسنة مذ شبّ إلى أن مات، وهذا ما أعلمه والله يتولى السرائر.

وفي سنة ١٢٤٠هـ: ورد على الوزير محمد بن عبدالعزيز بن مغامس، ومحمد هذا

من أجواد العرب وشجعانها، فأكرمه الوزير وأعزّه ورفع منزلته، لأن محمد كان قبل ذلك منضماً إلى ثويني بن محمد بن مانع شيخ المنتفق، وكذلك عند حمود بن ثامر. ثم تغيّر خاطره على حمود، فقصد الوزير يستظلّ بكرمه، فلما رأى إكرام الوزير له ترشّح لمشيخة المنتفق، لكن لم يوافقه الوزير على ذلك، لأنه كان وعد بها ابن ثويني، لأن أباه كان شيخاً على المنتفق وكذلك جدّه عبدالله وجد أبيه محمد وجدّ جدّه مانع، والملوك من شأنهم رفع ذي البيوت وذي الشرف.

وفي هذه السنة قدم على الوزير حنيان بن مهنا بن فضل بن صقر أحد أكابر آل شبيب، فأكرمه الوزير وأجزل عطاه، ولما اجتمع هو ومحمد بن عبدالعزيز بلغني أن الوزير عزم على عزل حمود، ونصب براك بن ثويني على بني المنتفق، فعرضت أحوال، فأخّر ذلك.

وفيها قدم على براك بن ثويني جماعة من آل صالح وهم شبيبيون، وقدم عليه أيضاً محمد بن مناع الأجودي العقيلي أحد مشايخ بني المنتفق وفرسانهم، وقوّى براك بن ثويني بهم، وتوجّهت إليه أنظار الوزير، وكاد يولّيه رياسة بني المنتفق إلّا أنه أخّرها لمصلحة.

وفي تلك الأيام أرسل حمود بن ثامر إلى محمد الكتخدا، وهو في الحويزة فقدم إلى العراق لإثارة الفساد، وأمر حمود خفية آل قشعم وآل حميد وآل رفيع أن يساعدوه لكونهم ساعدوه لما دخل الحلة، فلما انهزم انهزموا إلى آل المنتفق لخيانتهم.

وفي هذه السنة غز براك بن ثويني ومعه آل شبيب عفكاً وابن شاوي قاسماً ومن معهم من البغاة، فتحصنوا بالمياه، وخاض المنتفقون المياه، وقتل من أكابرهم وفرسانهم دويحس بن مغامس بن عبدالله بن محمد بن مانع الشبيبي، وقتل أيضا ابن لثامر بن مهنا بن فضل ابن صقر وهو شبيبي، وكان مع براك بن ثويني شيخ زبيد فلم تكن منه مساعدة لعدم إخلاصه في خدمة الباشا.

وفي سنة ١٢٤٢هـ: قدم بغداد الشيخ عقيل بن محمد بن ثامر، فأكرمه الوزير وألبسه خلعة ولاية بني المنتفق في الرابع عشر من شهر صفر، وأعطاه حللاً وسلاحاً

وسيوفاً ودراهم ليهادي بها قومه، فلما ألبسه الخلعة، وتوجه كتب الباشا إلى متسلم البصرة (إنا خلعنا حموداً من الإمارة، وولّينا عقيلاً بدله، فأظهر هذا الأمر عندك، وقم على ساق الجد في حماية البصرة وما والاها)، فمذ وردت على المتسلم تلك الأوامر أظهره، وأخذ في التحذر.

فلما تبيّن لحمود عزله خف عقله وطاش لبّه، فأمر بنيه ماجداً وفيصلاً أن يقصدا البصرة ليستوليا عليها، فزحفا عليها بعشائرهما، وندبا لمحاصرتها كل رافضي وإباضي، فأما ماجد فإنه نزل قريباً من نهر معقل، وأما فيصل فنزل أبا سلال ومعه الإباضية من أهل مسقط والروافض قبيلة كعب، فخرج عليهم من طرف والي البصرة عسكر عقيل، ونشب القتال بين الفريقين، واشتدّ وحمي الوطيس، وأظهر عسكر الباشا الشجاعة التامة، فكانت الهزيمة على عرب المنتفق، لكن لما كانت داخل المقتلة التخييل استشهد جملة كثيرة من العسكر العقيليون النجديون. ثم رجعوا إلى البصرة منصورين غانمين.

وبعد هذه الواقعة اشتدّ عضدهم، مع أن فيصلاً بن حمود لم يبق أحداً من طلّاب الشر إلّا استغاث به، ولا عدواً لأهل البصرة إلّا استنجد به، مع أن إمام مسقط ملأ الشطّ بالسفن، وساعد ماجداً وفيصلاً برجاله وسفنه.

هذا ولما رأى متسلم البصرة ضيق الحال وكثرة الأعداء صالح إمام مسقط بما اقتضاه رأيه، وعقد معه الصلح فسافر، وبقي فيصل وماجد بلا مساعد إلّا بعض غواة شياطين وأوباش لا خلاق لهم ولا ثبات لهم، وفي أول ربيع الأول خرج عقيل من بغداد قاصداً محل مأموريته سوق الشيوخ.

وأما البصرة، فإنها في تلك الأيام آمنة بسبب سياسة متسلمها وشجاعته، وساعده على تأمين أطرافها سكان بلدة الزبير، وشدّوا عضده، وقد ذكرت قبلاً أن فيصلاً نزل أبا سلّال، وأكثر على البصرة بالغارات، فلما سافر أمام مسقط رحل عنها، ونزل على أخيه في نهر معقل، وأشار عليه أن يذهبا إلى والدهما ويستشيراه، فلم يقبل ما أشار به أخوه قائلاً: لا أتحول حتى أملك البصرة بالسيف، وأجعل عاليها سافلها، وأقتل عالمها

وجاهلها، وأهدم القصور، وأريق الدماء في طرقها.

فلما سمع أخوه مقاله قام من عنده موقناً أن الله لا ينصره ما دامت هذه نيّته، وسافر إلى والده، وعند قدومه على والده ورد محمد بيك الكتخدا ليضرم النار أكثر من الأول، وما درى أنه أشأم من طويس، ما ترك بقبيلة إلّا حل بهم الدمار.

وأما ماجد بن حمود فإنه جمع جموعه، وأكثرهم روافض كعب، وصنع سلالم ليصعد بها سور البصرة، وهجم على البصرة، ونادى مناديه أن الأمير ماجد أباح البصرة ستة أيام، فلا تدعون فيها مالا إلّا سلب، فخرج عليهم عسكر عقيل النجديون وسكان الزبير، ونشب بينهم القتال، وصبّوا عليهم من الرصاص الذي يزيد على المطر، فما اشتد الوطيس إلّا والهزيمة على رأس ماجد، وقتلت عساكره أشر قتلة، وركب الباقي متن الفرار، وانقطعت العسكر مع المتسلم، ونهبوا خيام ماجد وأموالهم وسلاحهم، ورجع النجديون إلى البصرة منصورين غانمين.

ولما ورد ماجد على أبيه. وجده قد فارق عزّه وسؤدده، وذلك أن عقيلاً نزل البغيلة، وورد عليه أعمامه الكرام وفرسان بني عمه، فأكرمهم وهاداهم، فلما رأى حمود أن إخوانه فارقوه علم يقيناً أن سعده قد أدبر، وأن سعد الوزير في شبابه مقبل، فركب خيله، ولزم الفرار إلى البادية لدهائه وعقله، فورد عقيل على الوطن بعسكر الوزير، واستقر على كرسي حكومته مكرماً لبني عمه وعمومته، فلما استقر عقيل وأطاعه الحاضر والبادي رجع المناخور بعسكره إلى بغداد.

الجزء السابع

العقود الدرية لمقبل الذكير:

وفي سنة ١٢٠١هـ: خرج ثويني بن عبدالله بن محمد آل شبيب بالعساكر العظيمة، من المنتفق وأهل المجرة وأهل الزبير وبوادي شمر وغالب طيء، ومعه من المدافع والمؤن والذخيرة الشيء الكثير، وقد كان على وعد من عبدالمحسن رسول ابن عريعر أن يوافيه في القصيم، ولم يتبين لنا السبب الذي دفع ثويني إلى هذا الأمر، إلا أن يكون قد جاء لمعونة ابن عريعر لاسترجاع بريدة، وهو الذي ترجح لدينا صحته.

سار قاصداً بريدة، فلما وصل التنومة القرية الصغيرة، المعروفة بالقصيم حاصرها، فصمد أهلها بوجهه عدة أيام. ثم تغلب عليهم، وفتك بهم فتكاً ذريعاً. ثم رحل ونزل بريدة وحاصرها، وحصل بينه وبين أهلها قتال، فبينما هو مجدّ في حصارها إذ جاءه خبر اختلال وقع في كل ولايته، فرجع مسرعاً إلى أوطانه دون جدوى.

وبعد رجوعه إلى العراق حدث منه ما يوجب نقمة الدولة التركية عليه، فأمرت والي بغداد سليمان باشا أن يجهز جيشاً عظيماً سار هو على رأسه، فالتقى بثويني على نهر الفاضلية، فهزموه هزيمة شنيعة، فرحل من العراق، ونزح معه قليل من المنتفق، ونزل الصمان مع بني خالد، فأغار عليهم سعود بن عبدالعزيز، وأخذ محلتهم وأثاثهم. ثم أعاد الكرة عليهم بعد ذلك، فأغار عليهم وهم بالروضتين بين المطلاع وسفوان، وأخذ من محلتهم خياما وأمتعة.

وسار ثويني بجيش ومعه أهل الزبير والمنتفق والظفير، ونزل الجهرا في أواخر سنة ١٢١١هـ، وانضم إليه بنو خالد كلهم إلا المهاشير. ثم رحل من الجهرا قاصداً الأحسا،

فأمر عبدالعزيز بن سعود على نواحي نجد فاجتمعت غزاتهم، وسيرهم بقيادة محمد بن معيقل، والتحق به بوادي مطير وسبيع والسهول، وأمرهم الإمام أن يتفرقوا على الأحواز ليحولوا دون تقدم ثويني إلى أن تصلهم الإمداد. ثم حشد سعود أهل (...). ثم رحل ونزل. ثم تقدم ثويني، وعلم ابن معيقل عظم القوات التي مع ثويني، فرحل من قهيد، ونزل جودة وأم ربيعة جنوباً انتظاراً للنجدة، وكتب له الإمام عبدالعزيز يخبره بتقدم ثويني، ويستحثه بإرسال نجدة تشد أزرهم، فأمدّهم بقوة من الحضر مع حسن بن مشاري بن سعود، وجعل له القيادة العامة.

فرحل ثويني ونزل الشباك الماء المعروف في ديرة بني خالد، فكاد الخلل يقع في صفوف جند ابن سعود لولا أن الله تداركهم بلطفه وخدمهم السعد بحادثة لم يحسبوا لها حساباً، ففي اليوم الذي نزل ثويني الشباك قيض الله عبداً من عبيد جبور بني خالد يسمى طعيساً. تقدم هذا العبد يلعب بين يدي ثويني، ومعه زانة فيها حربة، فطعنه بها بين كتفيه وهو جالس في مجلسه، فكان حتفه فيها، فقبضوا على العبد وقتلوه، فاستخف جيش ثويني بعد هذه الحادثة، ورجع إلى العراق، فتبعه الجيش النجدي، وغنموا منهم غنائم، واستولوا على المدافع التي معه وذخيرتها، وأرسلها إلى الدرعية، وكان قتل ثويني في ٤ محرم سنة ١٢١٢هـ.

ومن هذا الوقت أخذ يشنّ الغارات على قبائل العراق مقابلاً حركة العراق بمثلها، فقد سار سعود بن عبدالعزيز في هذه السنة، وأغار على سوق الشيوخ إحدى قرى العراق على حدود نجد. ثم عطف على شمر، وأخذهم وقتل رئيسهم مطلق بن محمد الجرباء الفارس المشهور.

بعدما قتل ثويني وفشل الجيش العراقي في مهمته، رأت حكومة العراق أن ترمي آخر سهم في كنانتها، فجهزت عساكر كثيرة من العراق والأكراد والمجرة، وسيّرتهم إلى الأحسا بقيادة علي كيخيا، وانضم إليه المنتفق ورئيسهم حمود بن ثامر، وبوادي العراق: آل بعيج والزقاريط وآل قشعم، وانضم إليه أمينا شمر والظفير. سارت هذه القوات إلى الأحسا، فوصلت إليه دون أن يعترضها أحد، فتابعه أهلها، ولم يكن لابن سعود في

الأحسا إلا حاشية في قصر المبرز نحو مائة رجل، وفي قصر الهفوف مثل ذلك رئيسهم إبراهيم بن سليمان بن عفيصان، الذي سمّي القصر باسمه (قصر إبراهيم) الذي شبهه بعض المؤرخين بإبراهيم باشا المصري.

حاصر الكيخيا قصر (صاهود) نحو شهرين، ورماه بالمدافع رمياً متراصاً ليلاً ونهاراً، فلم يحصل منه على طائل فرحل عنه، وحاصر قصر الهفوف، فلم يكن حظه من الدفاع أقل من سابقه، فلما يئس من الاستيلاء عليهما ارتحل راجعاً، فسابقته الإشاعات بإقبال سعود بقوات عظيمة، وما كانت هذه الإشاعات صحيحة، لكنها أثّرت الأثر المطلوب، فاستخف حتى أنه أحرق كثيراً من خيامه ومتاعه لئلا تعوق سيره.

أما سعود فإنه لما بلغه فشل قوات العراق ورجوعهم عن الأحسا، أقبل قاصداً الأحساء، ولم يخطر بباله مصادمة جيش العراق لقلة من معه، وبما أنهم رحلوا مخذولين فليس من الصالح التعرض لهم، ولكن أراد الله غير ذلك، فجمع بينهما على غير اختيار منهما، حيث نزل سعود وجنده في ثاج، وكان الكيخيا قد نزل الشباك المحل الذي صرع فيه ثويني، فتشاءم الكيخيا إذ علم بذلك، فرحل ونزل ثاج حينما نزل سعود فيه، فعلم أن لا مناص له عن القتال، فوطن سعود نفسه وشجع جنده، وصمموا على الدفاع إلى آخر نقطة من دمائهم.

فرأى الكيخيا حركة الاستعداد في جيش سعود، فأرسل إليه أنه (لا حاجة بنا إلى قتالكم ما لم تضطرونا إلى ذلك)، لأن الكيخيا علم أنه ليس من السهل التغلب عليهم، وخاف على جيشه العطش في وسط هذه الصحراء الواسعة فجنح إلى السلم، ولم يكن سعوداً بأقل منه رغبة، فتم الاتفاق بينهما على أن كل منهما يرحل إلى وطنه بسلام حقناً للدماء، وأن لا يتعرض أحد منهما للآخر، فارتحل الكيخيا إلى العراق، ورحل سعود إلى الأحسا، وأقام فيها شهرين رتب فيها أمور البلاد، واستعمل عليها سليمان بن محمد بن ماجد من أهل ثادق أميراً، وهو رئيس حامية قصر صاهود، ورجع إلى الدرعية، وكانت هذه آخر غزوة لأهل العراق.

الجزء الثامن

تاريخ صالح بن عثمان القاضي:

وفي رمضان سنة ١٢٩١هـ: قدم عبدالرحمن بن فيصل وفهد بن صنيتان بلد الأحسا، فقام معهم أهل الأحسا، وقتلوا العسكر الذي عند أبواب البلد والذين في قصر حرا، وحضروا من في الكويت، فلما كان في آخر ذي القعدة أقبل ناصر آل راشد بن ثامر السعدون رئيس المنتفق، ومعه جنود عظيمة من المنتفق والترك، وكان باشا بغداد قد عقد ناصر الحسا والقطيف.

فلما قرب من الحسا خرج عبدالرحمن بن فيصل وأتباعه من العجمان وأهل الحسا، فحصل بينهم طراد خيل، وصارت الهزيمة على عبدالرحمن وأتباعه، وانهزم عبدالرحمن إلى الرياض، ودخل الحسا ونهبوه، وأباحوا البلاد ثلاثة أيام، ونهبت أموال عظيمة، وقتل خلائق كثيرة، وحصلت محن جسيمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله. ثم أقام ناصر بجنوده شهرين في الحسا، واستعمل ابنه مزيداً بعراقيبه، ورجع ناصر إلى العراق.

الجزء التاسع

مجموع في التاريخ النجدي:

وفي سنة ١١٠٦هـ: ملك مانع بن شبيب رئيس بوادي المنتفق، البصرة.

وفي سنة ١١٤٧هـ: قتلوا الروم محمد آل مانع بن شبيب القرشي الهاشمي العلوي رئيس بوادي المنتفق.

وفي سنة ١١٥٤هـ: الوقعة المشهورة بين المنتفق وبين عساكر الترك، وصارت الهزيمة على المنتفق، وقتل رئيس المنتفق سعدون بن محمد بن مانع بن شبيب القرشي الهاشمي العلوي الشبيبي.

وفي سنة ١١٨٩هـ: حاصروا العجم البصرة، ورئيسهم كريم خان الزندي، واستمر الحصار سنة ونصف سنة، ومتسلم البصرة حينئذ سليمان باشا، ومعه فيها ثويني بن عبدالله الشبيب رئيس بوادي المنتفق. ثم إن العجم استولوا عليها صلحاً في سنة تسعين، ونهبوها غدراً بعد المصالحة والأمان، وساروا إلى بلد الزبير، فنهبوه ودمروه، وهرب أهله إلى بلد الكويت.

وفي سنة ١٢٠١هـ: في المحرم سار ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع آل شبيب رئيس المنتفق إلى نجد، ومعه جنود عظيمة من الحاضرة والبادية، وقصد القصيم، فلما وصل التنومة أخذها ونهبها، وقتل أهلها. ثم ارتحل منها، ونزل بريدة وحصرها، فبلغه الخبر بأن سليمان باشا بغداد ولّى حمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع آل شبيب القرشي الهاشمي العلوي الشبيبي على بادية المنتفق، فقفل ثويني راجعاً إلى وطنه، ودخل

البصرة، ونهب منها أموالاً عظيمة، وعصى على الباشا.

فسيّر إليه سليمان باشا وزير بغداد العساكر العظيمة، فحصل بينهم وبين ثويني وقعة عظيمة، وصارت الهزيمة على ثويني وأتباعه من المنتفق وغيرهم، وقتل منهم خلائق كثيرة، وانهزم ثويني، هو ومصطفى آغا إلى بلد الكويت، واستولى حمود بن ثامر على المنتفق، ورجعت تلك العساكر إلى بغداد.

فلما تحقق ثويني ومن معه رجوعهم تجهزوا من الكويت لقتال حمود بن ثامر، فالتقوا في البرجسية بالقرب من بلد الزبير، وحصل بينهم قتال عظيم، وصارت الهزيمة على ثويني ومن معه، وقتل منهم عدد كثير، وانهزم ثويني ومعه عدة رجال إلى بلد الدرعية، وأقاموا عند عبدالعزيز بن محمد بن سعود مدة أشهر. ثم خرجوا من الدرعية، وقصد ثويني بغداد، ودخل على الباشا سليمان واسترضاه، فرضي عنه وأكرمه.

وفي هذه السنة هُدم الجناح المعروف في عنيزة. هدمه عبدالله بن رشيد رئيس بلد عنيزة تجملاً مع ابن سعود بسبب مكاتبة أهل الجناح لثويني.

وفي سنة ١٢١١هـ: عزل سليمان باشا بغداد حمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع آل شبيب عن ولاية المنتفق، وولّاها ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع آل شبيب، وجهزه لقتال عبدالعزيز بن سعود، فسار ثويني بالجنود العظيمة من البادية والحاضرة، وقصد الحساء، فلما وصل إلى الشباك المعروف من مياه الطف، أقام عليه إلى دخول سنة ١٢١٢هـ، وهو يستلحق العربان، ويحشد الجنود، فلما علم بذلك عبدالعزيز بن محمد بن سعود، جهز ابنه سعود بن عبدالعزيز لقتال ثويني المذكور، فسار سعود بجنود كثيرة من البادية والحاضرة، فلما وصل بعض مياه الطف بالقرب من ثويني، نزل بجنوده، وبينه وبين ثويني قريباً من يوم.

فلما كان في رابع المحرم افتتاح ١٢١٢هـ تسلط على ثويني عبد أسود يقال له طعيس من عبيد الجبور من بني خالد، فطعنه بحربة كانت معه، فمات، فانهزمت تلك الجنود إلى البصرة، وكان ذلك الوقت في شدة الحر، فمات منهم خلائق كثيرة عطشاً،

ولما علم بذلك سعود ومن معه اقتفوا آثارهم، وقتلوا من لحقوه منهم.

وفي سنة ١٢٢٦هـ: قام محمد علي باشا مصر في قتال أهل نجد[١]، فبعث عساكر كثيرة في البحر، عليهم ابنه أحمد طوسون، فقدموا لينبع، فلما علم بذلك سعود بن عبدالعزيز جهّز ابنه عبدالله لقتالهم، وأرسل معه الجنود الكثيرة من الحاضرة والبادية، فقدم عبدالله بن سعود ومن معه المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. ثم خرج عبدالله من المدينة، ونزل الخيف، وسار أحمد طوسون ومن معه من العساكر، ونزلوا بالقرب من عبدالله بن سعود.

ثم إنهم اقتتلوا قتالاً عظيماً، وصارت الهزيمة على أحمد طوسون ومن معه من العساكر، وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف، وقتل من قوم عبدالله بن سعود نحو ثمانمائة، منهم مقرن بن حسن بن مشاري بن سعود، وبرغش بن بدر الشبيب من رؤساء المنتفق، ومانع بن وحير من رؤساء بادية العجمان، وعبدالرحمن بن محمد الحصيّن الناصري التميمي من رؤساء بلد القرائن، وتويم بن بصيص رئيس الصعران من برية، وانحاز أحمد طوسون ومن معه إلى ينبع، وهذه الوقعة هي المعروفة بوقعة الجديّدة في ذي القعدة من السنة المذكورة.

وقام عقيل بن محمد بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع آل شبيب القرشي الهاشمي العلوي الشبيبي في طلب ولاية المنتفق لنفسه، فولاه إيّاها داود باشا بغداد، وأرسل معه عساكر كثيرة، فسار بهم لمحاربة عمه حمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع آل شبيب، فوقع بينهم قتال عظيم، وصارت الهزيمة على عمه حمود بن ثامر وأتباعه، فأمسكه عقيل وحبسه، وأمسك عمه راشد بن ثامر وحبسه. ثم أرسلهما إلى داود باشا بغداد، واستقل عقيل بولاية المنتفق، ومات حمود بن ثامر في بغداد عند داود باشا في الحبس في سنة ١٢٤٦هـ.

وفي هذه السنة، قدم علي باشا والياً على بغداد، وأذن لعيال حمود بن ثامر

(١) ذلك بأمر من السلطان سليم.

السعدون بالرجوع إلى أهليهم، وولّاهم على المنتفق، وعزل عقيل بن محمد بن ثامر السعدون، فلما وصلوا إلى أهليهم. اجتمع إليهم جنود كثيرة من المنتفق وشمر والظفير وغيرهم، وجمع عقيل بن محمد بن ثامر جنوداً كثيرة من المنتفق وغيرهم، فالتقى الفريقان بالقرب من سوق الشيوخ، وصارت الهزيمة على عقيل وأصحابه، وقتل عقيل في هذه الوقعة، هو وعدة رجال من أتباعه، واستقل ماجد بن حمود بن ثامر بالولاية، فلم يلبث إلّا مدة قليلة، ومات بالطاعون في آخر هذه السنة، فنهض عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون أخو عقيل لحرب عيال حمود بن ثامر، وكتب لعلي باشا بغداد يطلب منه التقرير على ولاية المنتفق، فجاءه التقرير من علي باشا، فاستقل عيسى بولاية المنتفق.

وفي سنة ١٢٤٨هـ: في شعبان من هذه السنة، حارب رئيس المنتفق عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع آل شبيب بلد الزبير، وقام معه محمد بن إبراهيم بن ثاقب، وأتباعه من أهل الزبير من أهل حرمة، وغيرهم الذين أجلوهم الزهير من بلد الزبير، فحصل بين عيسى وبين أهل الزبير وقعة قتل فيها علي بن ثامر عمّ عيسى المذكور، وعلي بن ثامر المذكور هو أبو فهد آل علي المشهور المعروف بالدوّاي، ويعرف أيضا بأبو شلفا، وكان رئيس الزبير حينئذ عبدالرزاق الزهير.

وحاصل الأمر أنه لما كان في صفر سنة ١٢٤٩هـ اشتد الحصار على أهل الزبير، وعدمت الأقوات عندهم، فطلبوا الأمان من عيسى بن محمد بن ثامر ومن محمد بن إبراهيم بن ثاقب وأتباعه، فأعطوهم الأمان إلّا آل زهير، فدخلوا بلد الزبير، وقتلوا آل زهير، واستولى على بلد الزبير محمد بن إبراهيم بن ثاقب.

وفي سنة ١٢٥٩هـ: احترق رئيس المنتفق عيسى بن محمد بن ثامر السعدون في بيته، وهو صريفة قصب، احترق هو وزوجته في فراشهم، ولم يجدوه إلّا رماداً، وكان رجلاً ظالماً، وتولى بعده أخوه بندر بن محمد بن ثامر السعدون، وأقام نحو ثلاث سنين ثم مات، وتولى بعده أخوه فهد، فأقام نحو سنة ثم مات. ثم مرج حكم المنتفق، فتارة في أولاد راشد بن ثامر السعدون، وتارة في أولاد عقيل بن محمد بن ثامر السعدون، وتارة في أولاد عيسى بن محمد بن ثامر السعدون.

وفي سنة ١٢٧٦هـ: في سابع عشر رمضان، أخذ عبدالله بن فيصل العجمان في أرض الكويت، وقتلوا منهم نحو خمسمائة رجل، وتسمى هذه الوقعة وقعة ملح، وتفرق بقية بوادي العجمان بعد هذه الوقعة، فمنهم من صار في الكويت، ومنهم من نزل مع بادية المنتفق، وانهزم رؤساؤهم إلى البحرين يطلبون الرفد من آل خليفة. ثم رجعوا من البحرين، ونزلوا مع بادية المنتفق وصاهروهم، وتحالفوا على من قصدهم بحرب، ووعدوهم رؤساء المنتفق على أنهم شركاء لهم فيما يأكلونه من البصرة، فصار لهم والمنتفق شوكة عظيمة، وخافوا منهم أهل البصرة والزبير والكويت.

وكان المنتفق لهم يد على البصرة من نحو مائة سنة، وهم رؤساؤها، ويأكلون جملة من نخيلها، بسبب أن آباءهم قد جعلوهم أهل البصرة حفّاظا للنخيل، وصار كل قبيلة من المنتفق لهم نخيل معروفة وقرى معروفة من قرى البصرة، أيديهم عليها، واستمرت بعدهم إلى أيدي أولادهم وأولاد أولادهم، إلى أن صارت ملكاً لهم يفعلون بها ما أرادوا، وعجز عنهم ملوك بني عثمان، وكانت الرئاسة في المنتفق لآل سعدون من الشبيب، وصاروا ملوكاً. ملكوا البصرة وسوق الشيوخ، وما بين البصرة وسوق الشيوخ من باد وحاضر، فهو تحت أيديهم.

وفي سنة ١٢٧٧هـ: دبّر والي بغداد الحيلة في بناء قصر في البصرة، وذلك أن أمر المنتفق قد ضعف بسبب تفرقهم واختلاف رؤسائهم، فأرسل والي بغداد رجلاً اسمه حبيب باشا إلى البصرة لذلك، وشرع في بناء قصر في أبو مغيرة، فساعده على ذلك سليمان بن عبدالرزاق الزهير، فبنوه وأحكموه، وكان المنتفق وأتباعهم من العجمان غيرهم قد نزلوا الجهراء، وذلك أيام الربيع، فلم يفاجئهم إلّا الصائح قد أتاهم يقول: إن باشا البصرة وابن زهير قد بنوا قصراً في أبو مغيرة، ومرادهم أن يمنعوكم عن البصرة، ولا يصير لكم فيها أمر ولا نهي.

فرحلوا من الجهراء قاصدين البصرة، فلما وصلوا المطلاع. إذا عبدالله بن فيصل معه غزو أهل نجد من البادية والحاضرة، فحصل بينهم وبينه وقعة شديدة، وصارت الهزيمة على المنتفق والعجمان ومن معهم، فقتل منهم خلائق كثيرة، وغرق منهم في البحر خلق

كثير، وذلك لأنهم قد دخلوا وهو جازر، فمدّ عليهم فغرقوا، وتسمى هذه الوقعة الطبعة، وذلك يوم خامس عشر من رمضان من السنة المذكورة.

واحتوى عبدالله بن فيصل، ومن معه على أموالهم، وذلك شيء لا يحصى، ووصلت البشائر إلى الزبير والبصرة وبغداد، لأن أهل الزبير والبصرة قد دخلهم الرعب من المنتفق حين أقبلوا عليهم، وهلك في هذه الوقعة من المنتفق أمم عظيمة، وأكثر ذلك على بني نهد والشريفات وعتيبة من المنتفق والجوارين من الأجود. ثم بعد هذه الوقعة نزل عبدالله بن فيصل الجهراء. ثم ارتحل منها.

وفي سنة ١٢٩١هـ: في رمضان من هذه السنة، قدم عبدالرحمن بن فيصل، هو وفهد بن صنيتان بلد الحساء، وقام معهم أهل الحساء، وقتلوا عسكر الترك الذين عند أبواب البلد والذين في قصر خزام، وحصروا من في الكويت.

فلما كان في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة، أقبل ناصر بن راشد بن ثامر السعدون رئيس المنتفق، ومعه جنود عظيمة من المنتفق ومن الترك، وكان باشا بغداد قد ولّى ناصر المذكور على الحساء والقطيف، فلما قرب من الحساء خرج عبدالرحمن بن فيصل وأتباعه من العجمان وأهل الحساء لقتاله، فحصل بينهم مناوشة من بعيد، وصارت الهزيمة على عبدالرحمن ومن معه، ودخل ناصر هو وجنوده بلد الهفوف، ونهبوه وأباحوا البلد ثلاثة أيام، وقتل خلائق كثيرة، ونهبت أموال عظيمة، وحصل محن عظيمة، فلا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

ثم إن ناصر بن راشد بن ثامر السعدون المذكور أقام في الحساء نحو شهرين. ثم استعمل ابنه مزيد أميراً في الحساء، ورجع إلى العراق.

وفي سنة ١٣١٤هـ: توفي فهد آل علي بن ثامر السعدون، من رؤساء المنتفق رحمه الله تعالى.

(١٣)

المنتفق في كتابات عباس العزاوي

عباس العزاوي واحد من أهم مؤرخي العراق في القرن العشرين، وله العديد من الآثار المطبوعة والمخطوطة، وانتقينا من كتابيه المهمين: (عشائر العراق)، و(تاريخ العراق بين احتلالين) بعض ما يتعلق بالمنتفق عشائر ومشيخة بعض الأخبار.

والمؤلف هو: عباس بن محمد بن ثامر بن محمد بن جادر بايزيد العزاوي. نسبته إلى قبيلة العزة الزبيدية في العراق. ولد في البادية من لواء ديالى سنة ١٨٩٠م، ولما بلغ الخامسة من عمره توفي والده قتلاً، فأخذته أمه مع أخيه علي غالب إلى بغداد للعيش مع عمه الذي تزوجت منه، وقد عمرت أمه طويلاً، وناف عمرها على التسعين، وكانت عارفة بشمائل عشيرتها وأحوالها.

تعلم الترتيل والتجويد على يد عبد مخلص أفندي الوسواسي، ودخل المدرسة الابتدائية ثم الرشدية العثمانية (المتوسطة). كانت ثقافته الأولى دينية، حيث درس على يد عدد من علماء الدين منهم الشيخ عبد الرزاق الأعظمي والشيخ عبد الله الموصلي والسيد محمود شكري الآلوسي، ونال الإجازة العلمية من الحاج علي علاء الدين الآلوسي، ودخل مدرسة (كلية الحقوق) في بغداد سنة ١٩١٩م، وتخرج فيها سنة ١٩٢١م، وبدأ يمارس المحاماة، واستمر كذلك حتى وفاته في يوليو ١٩٧١م.



عباس العزاوي

كتاب عشائر العراق ج٤

إمارة المنتفق

في العراق ظهرت إمارات عديدة تغلبت، لما رأت من ضعف الدول الحاكمة، وانحلال سلطتها من جهة، وتماسك المجموعات الكبيرة مثل المنتفق، وإمارة المشعشعين، وآل أفراسياب، وبابان، وبني لام، والخزاعل، وأمراء العمادية، والصورانيين، والهكاريين، وإمارة المنتفق من أكبرها، وإن العثمانيين لم يتمكنوا منها بالرغم من منهاج الدولة في القضاء عليها. استعصت وأبت أن تذعن، ولعل للبعد عن العاصمة ولمجاورتها البادية والأهوار دخلاً في بقاء هذه الإمارة، وأن لا تسلم للقضاء.

وإمارة المنتفق تجاه هذا بين قوة وضعف. تدارى مرة، وتثور أو تجمح أخرى، وتستغل موقفها أحياناً وبسلطة محدودة، فتتبعثر الإمارة مدة أو تبدل رياستها بأخرى منها، وتخذل تارة أخرى، وفي وقائع المنتفق ما يبصر بالأوضاع لمختلف الأزمان. وفيه ما ينبه العراقي إلى ما جرى على هذا القطر من تحكمات، وفي غالب الحالات كانت الوحدة في العشائر أظهرت الإمارة بقوة كبيرة، فلم تبال بما كان يجري عليها من استخدام العناصر الأخرى، فكانت عزيزة الجانب بتناصرها ووحدتها، وللإمارة الدخل العظيم في الاحتفاظ بهذه الوحدة وشدة تماسكها، وإذا كانوا تحكموا فيها أحياناً فإنهم لم يستطيعوا القضاء عليها.

وهنا عنصران فعالان في قوام هذه الإمارة: (عشائر المنتفق) وأصل (الإمارة)، فالعشائر قوة، وحسن إدارتها من أهم أسباب بقائها وتسلطها، ولا ينفك هذا التلازم. بل أدى إلى بقاء الإمارة، والقدرة مشهودة دوماً.

والحاجة دعت إلى التماسك، وإن الأسلحة الجديدة للدولة العثمانية وعزمها الأكيد أدى إلى انحلال الإمارة، ومن أجل المسهلات بناء الناصرية، مما دعا إلى الارتكاز مقرونا بالقوة، ومن ثم ظهرت كل عشيرة وبدت رئاستها، وتعددت بعدد العشائر، وكان ناظمها العشائر الكبيرة مثل الأجود وبني مالك وبني سعيد، وإن زوال الرئاسة وسلطتها سائر إلى الاضمحلال بتكون القرى والبلدان، فتصير محدودة في علاقاتها في العشائر، وعاد الرؤساء يشعرون بذلك.

وكل ما في الأمر أن العشائر الكبيرة والإمارات بقي أمرها تاريخياً، كما إن الرئاسة العشائرية سائرة إلى الزوال أو تكون محدودة بميل العشائر نحو تأسيس القرى الكثيرة والمدن بانعدام تلك الأوضاع للألفة بين الحكومة والأهلين والتفاهم من طريقه.

تكوّن الإمارة

إن تاريخ تكوّن الإمارة قديم، وذلك أن عشائر المنتفق كبيرة وكثيرة، وليس من المستطاع أن تذعن لبيت، وإنما القدرة في هذا البيت جعلتها تذعن، وبالتعبير الأصح إن الحوادث وتواليها جمعتها في الرئاسة ذات المواهب، ولم يخل بها أو يضعضع أمرها ما قامت به الدولة العثمانية من حركات عسكرية للقضاء عليها بل مكنتها، فأثبتت الكفاءة بإدارة عشائرها، والجدارة بحزم في التفاهم معها.

ويهمنا أن نقول إن هذه الإمارة كانت مسبوقة بإمارات أخرى، عرفنا منها (بني أسد)، و(بني معروف)، وكانوا من ربيعة المنتفق بن عامر ابن صعصعة، وبنو معروف انقرضوا سنة ٦١٦هـ، وكان أول تكونهم سنة ٥٥٢هـ (١١٥٧م) حلّوا محل بني أسد، وجاء في ابن الأثير في حوادث سنة ٥٩٠هـ (١١٩٤م) ما يعين سياسة الدولة العباسية تجاه العشائر في حالات نزوعها إلى ما يؤدي إلى الاخلال بالامن.[١]

واضطربت الآراء في تكوّن هذه الإمارة وتاريخها، ولا شك أن أهمية هذه الإمارة تدعو إلى معرفة ماضيها، والاتصال به. أحدثت دوياً في تاريخ العراق، وخذلت قوى الجيش العثماني مراراً عديدة، وحكمت البصرة زمناً طويلاً، وزاد نطاق سلطانها إلى أكثر مما هو معروف اليوم من حدود (لواء المنتفق).

ظهرت ظهوراً بيناً في المائة التاسعة والعاشرة للهجرة، وتوالى ذكرها، والأقوال في أصلها عديدة منهم من قصر أمر ذلك إلى المحفوظ من أنها تنتسب إلى (شبيب)، وهو جدّ أعلى.

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج١٢، ص١٤٧، وحوادث السنين مبينة في محلها.

قال في سياحتنامه حدود: (إن شيوخ المنتفق ينسبون إلى أسرة شبيب، وهي ليست من عشائر المنتفق. وردوا العراق قبل ١٥٠ أو (٢٠٠) سنة من الحجاز، فاتصلوا بعشائر (بني مالك والأجود وبني سعيد)، وكانت المنازعات بين هذه العشائر قائمة على قدم وساق. لم يهدأوا، فتوزعوا الرئاسة فيما بينهم، وكان آل شبيب أغنياء، وأهل حُرمة ومنزلة، فاختاروا بوجه أن تودع مشيختهم إلى أحد أفراد هذه الأسرة، فينقادوا لها جميعاً، ويكونوا تحت إمرتها، فبقيت الرئاسة في نسل هذه الاسرة يتولاها الواحد بعد الآخر). اه.[1]

وأسرة آل شبيب تولت الرئاسة قبل مدة أكثر بكثير مما قدّره صاحب السياحة، وحوادثها مشهودة قبل الفتح العثماني الذي كان سنة ٩٤١هـ.

وهكذا نرى الأستاذ سليمان فائق في رسالتيه يرى هذا الرأي[2]، والصحيح أن هؤلاء الرؤساء ألّفوا بين عشائر المنتفق لما كان لهم من وقائع جمعتهم، ومن حرمة في النفوس، ومواهب عقلية فائقة. ثم تسلطوا عليهم، واستمروا حتى تمكنت الرئاسة، وقد أشار إلى ذلك صاحب سياحتنامه حدود، والأستاذ سليمان فائق ذهب إلى أن اسم المنتفق محرف من المتفق، وأنه بسبب ايجاد الاتفاق عرفوا بهذا الاسم، وهذا غير صواب، وإنما هو سابق لهذا العهد، ويراد به الذي يدخل النفق أي (السرب)، وأصله اسم جدهم (المنتفق) الذي تسمت به العشائر المتفرعة منه أو المتصلة به بجد أعلى، وهكذا العشائر الملحقة بهما.

وهذا الاجمال لا يكفي، وإنما نريد أن نعلم تاريخ إمارتهم في العراق، ونسبهم، وسائر أحوالهم، والأقوال في هذه كثيرة، وغالبها يستند إلى السماع، ولم يؤيد من حيث التاريخ، والمسموع يصلح تاريخاً إذا كان غير مزاحم ولا معارض بنصوص سابقة.

١- اتفق الكل على أن آل شبيب من الشرفاء، فهل هم من شرفاء مكة المكرمة

---

(١) سياحتنامه حدود، ص٥٣ و٥٤ مخطوطتي.

(٢) رسائل سليمان فائق في المنتفق. مخطوطات في خزانتي.

خاصة المقطوع بنسبهم، أم أنهم من (سادات المدينة)، وهذا ينافي المنقول إجماعاً، فمن هو الذي تفرعوا منه، وما علاقة هؤلاء الشرفاء بالعراق، فهل هم الذين حكموا الحلة في أواخر أيام المغول، وداموا إلى أيام الجلايرية، وأميرهم الشريف أحمد بن رميثة.

إن أمراء المنتفق هم الذين حكموا البصرة ثم عادوا إليها، وانتزعتها الأميرة دوندي وابنها أويس الجلايري بعد انقراضهم من بغداد، وكان ذلك سنة ٨٢٠هـ بالوجه المذكور في تاريخ العراق، وأيده صاحب الأنباء، وانتزعها العثمانيون منهم، وهم من الشرفاء توصلوا إلى الحكم بقوة التدبير، وحسن إدارة العشائر، مما رسخ قدمهم أنهم ذاقوا لذة الحكم، فصارت إمارتهم تنزع إليه من أيام الشريف أحمد.

وجاء في كتاب الأنساب للسيد ركن الدين الحسيني النسابة عن الشريف أحمد أنه قدم إلى البلاد الفراتية من مكة، وحكم بالحلة من العراق سبع سنين إلى أن ولي الأمر الشيخ حسن (أبو السلطان أويس)، وحاربه وقتله في شهر رمضان سنة ٧٤٢هـ، ودفن بالمشهد الشريف المرتضوي عند عمه الشريف عبدالله في الحضرة الشريفة، والشريف عبدالله انتقل من مكة إلى العراق في زمان السلطان خدا بنده وأقطعه، وعقبه بالعراق.

ومن أقدم النصوص التي عرفناها عن إمارة البصرة ما جاء في تاريخ الجنابي: (في سنة ٨٢٠هـ (١٤١٧م) ملكت دوندي البصرة، وانتزعتها من مانع أمير العرب بعد حروب، وكان استيلاء العرب عليها في عهد الجلايرية في إمارة أحمد بن أويس (٧٨٤هـ -٨١٣هـ)، وقوي أمر دوندي، وانضم إليها جيش أحمد بأجمعه. ثم ملكت واسطاً).اهـ.

وفي المنهل الصافي: (بعد أن فرت من بغداد أقامت تندو (دوندي) بششتر، فأقيم معها في السلطنة السلطان محمود بن شاه ولد مدة، فدبرت عليه (تندو)، وقتلته أيضاً بعد خمس سنين (في الجنابي سنة ٨١٩هـ، وهو موافق لهذه البيانات)، وانفردت بمملكة ششتر (تستر). ثم ملكت البصرة بعد حروب، وماتت بعد انفرادها بثلاث سنين (سنة ٨٢٢هـ)، فأقيم ابنها أويس بن شاه ولد مقامها). اهـ.

وهنا نرى اسم مانع يظهر واضحاً، وفي صبح الأعشى نقل المكاتبات إلى عرب

البحرين، وقال عن التثقيف، وقد جمع بين عرب البحرين وعرب البصرة وما إلى ذلك، فجعلها ثلاث مراتب، ولا يهمنا إيراد التفصيلات، بل نجد في هذه النصوص توضيحاً زائداً، وإن ظهور أمراء المنتفق الشبيبيين وأمراء البصرة مما يجعلنا نرى تلك العلاقة بالشرفاء لم تنقطع، بل قوى اعتقادنا بما سبق لنا القول به.

وتعوزنا معرفة الصلة بالاشخاص من الطريق التاريخي، وإلا فإن الشبيبيين كان لهم شأن في تاريخ البصرة والأحساء، وذكرهم ابن بشر الحنبلي في كتاب (عنوان المجد).

٢- هؤلاء الشرفاء من السادة الحسنية، وأن الشريف أحمد منهم، والقول بأنهم من الشرفاء لا يدع مجالاً للتردد في أن هؤلاء من السادة الحسنية، والقول بأنهم من السادة الحسينية كان غير معروف، والمحفوظ أنهم أولاد الشريف حسن، ولعل هذا من ذرية أخي الشريف عبدالله أو أولاد ابن أخيه الشريف أحمد، فلم نقطع في واحد، وهم من آل شبيب، وإن شبيباً رأس الأسرة، فصار لأولاده شأن في وقائع البصرة والأحساء.

والنصوص المارة تصرح أنهم جاؤوا من مكة، ولم نجد إشارة إلى المدينة وسادتها، ولا جاء ذكر رجالها في حوادث الأحساء، ولا في حوادث تاريخ العراق، فالقول بأنهم حسينية لا دليل يعضده، وإن العمود الذي رتب أخيراً لا يرجع في سنده إلى أصل قديم[١]، وإنما النص المنقول أنهم جاؤوا من مكة.

٣- ما ورد في جريدة (العالم العربي) بتاريخ ١١- ١٢- ١٩٣١م وعدد ٢٣٧٨، بل المتواتر يؤيد أنهم من الشرفاء، وهؤلاء حسينية، ولكن الصلة مقطوعة لبعد العهد وأن شهرة شبيب غطت، وجاء تأييدها بما عرف من الحوادث التاريخية عن الشرفاء في العراق، وما ظهر منهم أخيراً من حوادث، فإن العثمانيين استولوا على البصرة، فانتزعوها منهم، وكانت بيدهم إلى سنة ٨٢٠هـ فانتزعتها دوندي، وبعد انقراض الجلايرية من البصرة عادت إليهم. ثم استولى العثمانيون عليها وأخذوها منهم، وإن زعم آل راشد

(١) عمود النسب المذكور رأيته لدى الأستاذ يعقوب سركيس وهو حديث العهد، ومثله (شجرة الزيتون في نسب السعدون)، وكان الشيخ عبدالله البرجس أملى علي نسبهم، وبيّن أنهم حسنية.

إخوة الرشيد من شمر لا يؤيده تاريخ، بل جاء التاريخ بما يطعن بصحة هذا القول، والاتفاق في الأسماء لا قيمة له، وإنما العلاقة للمنتفق بالبصرة أكيدة، ومن المؤكد أن راشداً ورد ذكره في عمود نسب آل شبيب، وفخذ الراشد منهم معلوم، وإن شمر لم تطرق هذه الديار في ذلك العهد، ولم يعرف لها خبر.

وأعتقد أن (آل شبيب) أسرة من الشرفاء الذين وردوا العراق أيام خدابنده وأخلافه، ولا شك أن هذا يدعو إلى الالتفات في التحقيق عن هذه الاسرة.

٤- ورد في تاريخ المنتفق للرفاعي أنهم سادة حسنية، وهذا أقوى دليل لما ذكرت[١]، وأن عبدالله البرجس[٢] أقرب إلى الاتصال بهم، وهو من آل شبيب يؤكد أنهم حسنية، وهو من العارفين بنسب أمراء المنتفق، وعدهم لي واحداً واحداً.

هذا، ويقولون أن سبب تولي الرئاسة على المنتفق أن أحد الشبيبيين قتله الأجود، وكانوا نازلين على بني مالك وبجوارهم، فثاروا لقتالهم، وكان رئيس بني مالك ابن خصيفة ورئيس الأجود (وثال)، وفي حروب وقعت بين الطرفين نزح (آل وثال) رؤساء الأجود إلى (النجف)، وصار منهم علماء، وكان من آخرهم صديقنا الشيخ محمد حسن حيدر، وقد توفي رحمه الله في خريف سنة ١٩٤٤م، ونرى ابنه السيد محمد جواد حيدر سنة ١٩٥٥م نائباً عن المنتفق، ونتوسم فيه أن يكون قد نال مكانة والده وزيادة، ومن ذلك الحين لم يعد لآل وثال ذكر في رئاسة العشائر، وأما الأجود فإنهم انقادوا لآل شبيب، وهكذا قوي أمر هؤلاء حتى تم على جميع عشائر المنتفق، وبينهم بنو مالك والأجود.[٣]

ولا شك أن المواهب ظهرت مقرونة بالوقائع، وتولى آل شبيب الرئاسة، وقد رويت هذه القصة بصور مختلفة، ولا يعول على مثل هذه، والقدرة برزت للعيان في وقائع المنتفق، وتوالت في رجال هذه الإمارة مدة طويلة، فكانت هذه الحكاية تصويراً لما وقع.

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج٣، وإنباء الغمر في حوادث سنة ٨٢٠هـ.

(٢) هو عبدالله بن برجس بن زيد بن فارس بن علي بن ثامر السعدون. (مشرف الخزانة)

(٣) ذكرى السعدون.

٥- أفخاذ الإمارة في العراق معروفة من أمد بعيد. ذكرها ابن بشر الحنبلي في (عنوان المجد) وصاحب (گلشن خلفا)، والإمارة تكونت بتاريخ أقدم من هذه النصوص. حكموا المنتفق والبصرة، وشبيب بن مهنا المقصود منه أنه من أولاد (مانع) الأول قبل مانع هذا، فإنه مسبوق بمانع آخر أمير العرب، وكان استولى على البصرة مدة، وحاربه الجلايرية، ولم تنقطع العلاقة من أيام الشريف أحمد بن رميثة، فعادوا إلى الإمارة. ثم انتزع البصرة أويس الجلايري الثاني من أمير العرب مانع.

وتفصيل ذلك إنني كنت ذكرت في (تاريخ العراق بين احتلالين) نقلاً عن تاريخ الجنابي وعن المنهل الصافي أن دوندى من الجلايرية باسم أويس ملكت البصرة، وانتزعتها من مانع أمير العرب، وبهذا لم ينقطع الشرفاء عن مناضلة الجلايرية من أيام أحمد بن رميثة، ومثل ذلك في الأنباء وفي صبح الأعشى. ثم عرفوا بالشبيبيين بالنسبة إلى ابن مانع أو أحد أولاده، وتقريب الحوادث بعضها من بعض يجعلنا نقطع بذلك.

تفرع أخلاف مانع الأخير إلى فروع عديدة، وهذا هو المذكور في المثل الشائع (عطية مانعية) نسبة إليه، وذكره مرتضى آل نظمي في گلشن خلفا، وتفرع منه:

(١) آل عزيز: من عزيز بن مغامس بن شبيب بن مانع، ورئيسهم بدر آل عزيز وتوفي، والآن ابنه محمد. يسكنون في سوق الشيوخ وفي الهارثة.

(٢) الراشد: من راشد بن بدر بن شبيب بن مانع. رئيسهم الحاج فشاخ العبدالعزيز العمر في المجرة من سوق الشيوخ أيضاً، ومن رؤسائهم سعود الراشد ومنهل العبدالعزيز الراشد أخوال فخامة عبدالمحسن السعدون وإخوانه، وأعتقد أنهم حكام البصرة، والمحفوظ لا يعول عليه في أن الراشد من إخوة الرشيد من شمر، وأنهم غير الشبيبيين.[١]

(٣) الصقر: من صقر بن شبيب الثاني. منهم في سوق الشيوخ. رئيسهم ضاري الصقر وحزام الصقر وهذا توفي، ومنهم من يسكن جزيرة الصقر في أنحاء البصرة.

---

(١) الراشد بيت من آل شبيب بلا جدال. إنما الراشد الذين قيل أنهم من الضياغم إخوة الرشيد هم المعروفون بالطوال حكام البصرة قبل آل شبيب، واختلط الأمر على العزاوي. (مشرف الخزانة).

رئيسهم الحاج مجيد الصقر.

(٤) آل محمد: هو محمد بن مانع بن شبيب بن مانع، وعرفوا بآل محمد. رئيسهم علي الناصر العجيل.[١]

(٥) آل روضان: من آل محمد، وروضان بن عبدالمنعم بن محمد، ورئيسهم خالد الروضان. في سوق الشيوخ.

(٦) السعدون: من سعدون بن محمد المذكور، وهو الذي تسمى به آل سعدون، وغالب الرؤساء المتأخرين منه.

(٧) آل عثمان بن شبيب الثاني: رئيسهم سيف العثمان وتوفي. الآن ابنه حمد، وهم من أخوال فالح باشا. و(گرمة عثمان) باسم جدهم، وتقع في جنوب شرقي الناصرية في جهة الشامية، وهي الآن بيد ذريته.

(٨) آل علي: وهو علي بن ثامر السعدون. استقلوا بفرعهم، و(گرمة علي) تعرف باسمه، وكان فتحها أو ملكها. قتله آل زهير في الزبير أو اتهموا بقتله.[٢]

(٩) آل نجرس: فخذ معروف بهذا الاسم من إخوة مانع. رئيسهم فهد البرغش.

(١٠) آل صالح: يتفرعون إلى[٣]:

١. السبتي: رئيسهم گطامي آل صگر السبتي. في الناصرية. أخوال سعود وعجمي السعدون.

---

(١) الصواب أن آل محمد ذرية ثويني بن عبدالله بن محمد. أما العجيل فهم ذرية عجيل بن محمد بن ثامر السعدون، وخلط العزاوي بينهما هنا. (مشرف الخزانة)

(٢) خلط العزاوي هنا بين آل علي من آل شبيب، وأبناء عمومتهم آل علي بن ثامر من آل سعدون. (مشرف الخزانة).

(٣) بل هم يتفرعون إلى سبعة حمائل هي: (آل سبتي، وآل حمادة، وآل برغش، وآل علي، وآل نجرس، وآل ناصر، وآل عثمان)، وقد خلط العزاوي في تقسيماتهم. (مشرف الخزانة).

٢. البرغش: وفخذ البرغش. رئيسهم محمد الفهد البرغش.

(١١) العيسى: والشيخ عيسى والد الشيخ صالح باني قلعة صالح سنة ١٢٤٩هـ. رئيسهم نصار العيسى.[١]

(١٢) الحمادة: يسكنون بين الناصرية وسوق الشيوخ، وكانوا كثيرين. طحنتهم وقائع ايران والمنتفق أيام صادق خان الزند. أبلوا فيها، وقهروا جيش الزند، ولم يرجع منهم إلا القليل.

تولّدت هذه الأفخاذ من (بيت الرئاسة)، ويعرفون بـ (آل شبيب)، وكانت رئاسته محصورة فيهم، وهم بدو في معايشهم. توالوا في الرئاسة، ويفهم مكانهم من وقائعهم التاريخية، وكانت إمارتهم كبيرة عظيمة النفوذ.

وجاء ذكرهم في عشائر العرب للبسام قال: «شيخ المنتفق الآن حمود الثامر، وهم قبائل متعددة، منهم (الشبيب) زبدتهم، وفي المهمات نجدتهم. ذوو الأنفس الأبية، والشيم العربية، الكماة المشهورون، والحماة المذكورون، باعهم في المجد طويل، وطباعهم إلى طلب الحمد تميل. هباتهم متواصلة، وأكفهم لنيل ما رامته من المحامد واصلة. يكرمون النزيل بلا ملل، ويطفئون الغليل مما اشتعل، بأيادٍ تحكي الغوادي، وسوادي منن تغيث الصوادي. شادوا مكارم الأخلاق، وبنوا للحرب أرفع رواق».

ثم قال: والشبيبيون أربع فرق كلهم مشهورون، وهم:

١- الشبيب: وهم آل محمد الذين منهم الشيخ.

٢- الصقر.

٣- الراشد.

---

(١) بل العيسى من بيوت السعدون، وهم ذرية عيسى بن محمد بن ثامر السعدون شيخ المنتفق. (مشرف الخزانة).

٤- المغامس. (هم آل عزيز).

وهؤلاء الأربع فرق ألفا خيال وثلاثة آلاف سقماني». اه. وعدّ من أتباعهم بني منصور وبني خيقان وأهل الجزائر، وما ذكره من الفرق غير مستوعب للمراد.

عادات بيت الإمارة

وعادات بيت الإمارة تاريخية تنسب إليها، وتقص بعض القصص في توليدها، ولا سبب إلا توالي السيطرة والقوة بحيث انقادت القبائل، وتولدت النخوة بـ (إخوة نورة)، وأن لا ينهض الأمير لكل قادم، وأن تقدم له الذبيحة والمنيحة، وهكذا توالت في أعقابهم، وهذه بلا شك نتيجة السلطة أو التحكم، فأفرغت بقالب روائي، ومضت الحالة على عشائر المنتفق، وتفصيلها في كتاب (ذكرى السعدون).[1]

والملحوظ أن الحوادث المدونة ترجع إلى أيام خدابنده، ودامت إلى أيام أبي سعيد، وفي أيام الجلايرية. ثم زالت إمارتهم من الحلة سنة ٧٤٢هـ وتفرقوا، ومن ثم حدث ما شاع على الألسنة بصورة مغلوطة من أخبار ماضيهم، وفي تاريخ العراق بين احتلالين ذكرنا حوادثهم ومن ولي الإمارة منهم، ودوّنّا ما استطعنا تدوينه.

(١) ذكرى السعدون، ص١٢.

السياسة العشائرية في المنتفق

الوقائع تلهم وتؤدي إلى أمر أجلّ. أعني معرفة العلاقة بالعشائر، وقوتها وسيطرة الرؤساء واتجاههم، وهكذا الأمر في العشائر ورغبتها، والتوفيق بين آمال أولئك الرؤساء، وبذلك نعلم مكانة هذه الوحدة، ووجه اتصالها.

ولا تكفي هذه المعرفة، وإنما نحتاج إلى الاتصال بالوقائع، وضرورة اتصالها بالدول. أدركنا الوضع المستمر بين آمال الأمراء وآمال العشائر، والانسجام بينهما دون تضاد، ولعل هذه تتجلى بهذه الألفة. يدل على ذلك بقاء الإمارة مدة طويلة في سلطتها وسطوتها في كبح الزيغ والعمل للوئام.

فإذا رأينا السلطة مستمرة في إمارتها، ورأينا قلة الشموس في العشائر علمنا مراعاة المصلحة للإثنين، والسيطرة المستمدة من الوضع أو كما يقال المستبدة، ولكنها ليست بالقاسية. وإنما هي لخدمة تلك المصلحة. التناصر مشهود وغير منفك من جانب. وبذلك تكتسب العشائر الراحة بمن سهر لأمرها، وناضل لصلاحها.

ويصعب إدراك قيمة هذه الإمارة بالنظرة البسيطة أو الخاطفة، ولكن في هذه الحالة تبدو هذه القيمة واضحة جداً، والتوغل في الوقائع وإدراك كنهها يكشف عن المعرفة بوضوح زائد، فلا يبقى خفاء في القدرة أو حسن الإدارة، كما أن العشائر في طاعتها وإذعانها أمر أغرب، بل جدير بالاهتمام، فكيف تمكنت هذه الإدارة من الاستمرار؟، وما هو سر بقائها مع اختلاف الآمال واضطراب بعض الحالات؟

إن مثل هذه الأوضاع تبدو في النزاع على الإمارة، والطموح في الأمراء، أو في بروز القدرة بموهبة جبارة لما يشاهد من خلل طارئ، فيدرك رجال الإمارة الحالة، فتحصل

السياسة القويمة حتى يتم الأمر، وتعود الحالة إلى ما كانت عليه.

وفي علاقات الدولة بهذه الإمارة وسياستها العشائرية أكبر داع إلى الالتفات، فالدولة تجابه قوة الإمارة بعشائرها استناداً إلى قوتها، وتظن أنها تنال من العشائر مأرباً لتفريط الوحدة فيها بسهولة، إلا أنها لا تلبث كثيراً حتى تشعر بالخطر، فيعقبه الخذلان مقروناً تارة بهزيمة، وطوراً بما يقوله المثل البدوي «هزعة ولا وگعة»، فتتخذ وسيلة لحل الحادث من أقرب وجه، وأجدر تدبير.

ونرى الدولة تستغل الخلاف في الإمارة، والنزاع بين الأمراء من (بيت الرئاسة)، فتميل إلى تقوية جانب يتخذ ذريعة للتدخل، وهيهات!، وفي مثل هذا قد تكون المخذولية أكبر بحيث تتمكن الإمارة، وهكذا يستفاد من وقائع عديدة اتصالات الدولة في استغلال قوتها لحادث من الحوادث.

ومن أجل ما هنالك حادث ايران في الاستيلاء على البصرة أيام صادق خان في الدولة الزندية وما لقوا من حروب المنتفق، وهكذا حروب المنتفق أيام مغامس أو حروب البصرة قبل ذلك، وأمر الاستيلاء عليها، ومثل ذلك سياسة الموالي تجاه هذه الحوادث واستغلال الوضع، وكذا حروب ابن سعود.

ومن ثم تظهر قوة الإمارة في مقارعاتها، وصلاتها بالخارج، وما تنال من نفوس المنتفق، وهذه علاقات خارجية مهمة، ولا نريد أن نسرد الحوادث، ففي التاريخ سعة.

ولعل حوادث العلاقات بنجد غير بعيدة منا، وكان المسيّر لها الدولة العثمانية بسبب النزاع المباشر، واستغلالاً لما كان يقع بين إمارة آل سعود والمنتفق أو آل السعدون أمراء المنتفق، وأن بحثها يطول في علاقتها بابن سعود، ومقدار تمكن هذه الحوادث في حربها وسلمها، وفي هدوئها وثورتها، وفي كل أمر من أمورها مما يسوق إلى المعرفة الحقة، ويميط اللثام عن السياسة العشائرية من وجوهها الخارجية نحو العثمانيين، ونحو إيران والموالي وابن سعود، وفيها ما يبصر بالحالة نوعاً.

عشائر المنتفق

هذه قوام الإمارة وظهورها بمجموعات كبيرة منها يتكون اللواء المعروف بـ (لواء المنتفق). كانت بينها وحدة عظيمة يرجع الفضل فيها إلى أمراء المنتفق، ومواهب القدرة والجدارة فيهم بادية، وغالب وقائع العراق مما يخصها أشغلت الحكومة كثيراً، بل أذاقت السلطة الحاكمة العطب. لم تذعن لضيم، وقدرة إمارتها ظهرت في حسن إدارتها، والطاعة المطلوبة من العشائر مقرونة بالإذعان الصادق، وفي نفرة الأجنبي مشهودة فيما جرت من حروب. حاولت مراراً أن تكون صاحبة الأمر، فتتمكن من إزالة السيطرة وتيسر لها ذلك أحياناً، فاستمرت بين قوة وضعف، فهي بين إدارة مستقلة أو إذعان رسمي أو انقياد وقتي، وربما دام مدة.

وحالة المنتفق المشهودة في مختلف أيام حياتها خير مثال تاريخي يعين الأوضاع والنفسيات في حب الاستقلال والنضال عنه، والذب عن حريمه، والمهم أن المنتفق ناضلوا نضالاً باهراً طوال العهد العثماني، ولو كانوا تسلحوا بالأسلحة الجديدة لحالوا دون آمال الدولة. بل أكسبتها الحوادث المتوالية خبرة، والظروف القاسية تجربة، فكم والٍ خذل، ورجع بالخيبة، وكانت تعقد عليه الآمال، وتاريخ المنتفق صفحة كاشفة لسياسة العشائر في العراق تجلّت بأظهر أوضاعها، وفيها دراسة عميقة وافية لنفسيات هذه العشائر، وما بلغته.

وعشائر المنتفق من حيث العموم (عدنانية). سكنت العراق من القديم. توالى ورودها وتكاملت، وكأن جزيرة العرب مالت إلى أنحاء العراق. وجدتها مفتحة الأبواب، ويتخلل هذه عشائر قحطانية من زبيدية وحميرية عاشت معها، واكتسبت أوضاعها، إلا أن الأكثرية الساحقة عدنانية، ويطلق عليها (عشائر المنتفق).

وأصل المنتفق اسم جدّ، ومعناه الداخل في النفق تسمت به العشائر المتفرعة عنه، والمنتفق هو ابن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة[١]، وهو جد عشائر المنتفق أو تتصل به بقربى ووشائج، وربما اتصلت بالمكان، واشتركت بالدم والمصيبة، فصارت بعض العشائر داخلة في عدادها، وإن كانت ليست منها، ومن ثم صار المنتفق يطلق على من حل اللواء، وكذا صار يقال لنفس اللواء (المنتفق).

وكان المؤرخ المولوي قد وصفها بالنظر لأوضاعها في أوائل المائة الثانية عشرة للهجرة وما قبل ذلك، فقال: (إن عربان المنتفق أصل الفتن والاضطرابات في بغداد والبصرة، فهم جمرة الحرب، وأشجع العربان، ومنشأ القلاقل. في رؤوسهم المغافر، وعلى أبدانهم الدروع الذهبية، وإن خمسة عشر منهم يقابلون ألفاً. اعتادوا الرمي بالقوس على ظهور الخيل. يلعبون برماحهم في الهيجاء بصورة لا مثيل لها، وفرسانهم نحو أربعة آلاف، فكل واحد منهم بألف. أما طيء والموالي فهم بالنسبة إليهم كل شيء، وقوة ظهرهم الشيخ مانع. به يصولون ويجولون، وعلى قلتهم لا يوازيهم أحد، فالفارس منهم يهاجم الصفوف دون مبالاة). اهـ.[٢]

وعشائر اللواء كلها تحت سلطة (المنتفق)، ولكنها لم تكن جميعها من عشائر المنتفق، وإنما هي عشائر مختلفة بينها ما هو من المنتفق، وبينها ما هو من غيرها، وإن الكثرة الموجودة في الألوية المجاورة مثل لواء الديوانية ولواء العمارة ولواء البصرة تعتبر منهم، نظراً لما اقتطع من اللواء، وألحق بالألوية المجاورة، والملحوظ أن الأجنبي يعدها بالنظر لمواطنها، ولا يهمه أن تذكر الأفخاذ مستقلة عن العشيرة. كما أورد ما هو من العشائر الزبيدية والحميرية ضمن هذه المجموعة، وبينها ما هو من ربيعة، إلا أنه ذكر بين عشائر المنتفق.

وإذا كان صاحب (سياحتنامه حدود) عد أنها مختلطة بعشائر ليست منها، فإنه لم يفرق بين هذه وبينها، وأوضح أن عشائر البو محمد من أم الجمل إلى قرية العزير (ع)

(١) لسان العرب، ج١٢، ص٢٣٨، وتاج العروس، ج٧، ص٨٠، واشتقاق الأنساب، ص١٢٢.

(٢) (قويم الفرج بعد الشدة) ليوسف عزيز المولوي. مخطوط عندي.

كانت تعد تابعة لبني لام، وفي أيام داود باشا صارت تابعة قسماً للمنتفق، وما كان فوق أم الجمل صار تابعاً لبني لام، ولم يلتفت إلى إن التقسيمات الإدارية لا تجعلها تابعة إلا اسماً في حين أنها من العشائر الزبيدية، كما أنها تنطوي تحتها عشائر كثيرة ليست منها، ولا تمت إليها بصلة نسب، والاضطراب ظاهر في بيان أصل عشائر المنتفق.

وهنا يهمنا بيان العشائر الأصلية، وما يمت إليها بقربى من العشائر الأخرى أو العشائر الملحقة، ومن ثم يزول ما حصل من إبهام نوعاً، ولا يزال الأمر يحتاج إلى تحقيق والاكتفاء بذكر الحالة التي هم عليها دون بيان أنسابها وأصولها مع بيان ما هو خارج عنها نقص في التحقيق.

والكل –ما عدا القحطانية –يمت إلى نجار واحد وتجمعهم القربى، ومن ثم توسع القوم في لفظ (المنتفق)، فأطلق على الكل ممن يتصل بهم، وإن لم يكن منهم أو يتصل بجد واحد، وصار يطلق على محل نفوذ المنتفق وسطوتهم، والتلازم بين العشائر والأرضين غير منفك، وقد مر بنا معنى المنتفق.

وما جاء في رسالة (خبر صحيح) من أن مدلول المنتفق بدأ بالشبيبيين، فغير وجيه ولا يأتلف والمعروف قديماً. قال: (ساقوهم إلى الاتفاق فصار المتفق. ثم زيدت فيه (نون) فقيل المنتفق)، وهذا خلاف ما هو معروف تاريخياً، وليس بصواب قطعاً[١]، وفي هذا تابع صاحب (سياحتنامه حدود) وإن لم يصرح باسمه.[٢]

جاء في (سياحتنامه حدود) أن عشائر المنتفق منهم من أصل المنتفق، ومنهم تابعون لهم، ولم يتمكن من الاتصال بخبير يكشف عن تفصيل أحوالهم، فكتب عن أشهر العشائر، ولم يدخل في التفرعات، فذكر أقسامهم الثلاثة[٣]، والملحوظ أن المنتفق كان أوسع مما عليه اللواء في هذه الأيام.

(١) خبر صحيح المخطوطة للأستاذ سليمان فائق ابن الحاج طالب كهية.

(٢) سياحتنامه حدود، ص٥٣ و٥٤.

(٣) سياحتنامه حدود، ص٤٥.

وفى عشائر البسام عد من العشائر الملحقة:

١- بني منصور.

٢- بني خيقان.

٣- أهل الجزائر.[1]

ولا يزال الاضطراب بادياً من كتّاب كثيرين في أصل العشائر والعشائر الأخر التابعة، والعشائر الاصلية:

(١) الدرر المفاخر في العرب الأوائل والأواخر.

بنو مالك

لواء المنتفق عشائري، وإن بلدانه حديثة العهد. لم تكن طبيعية في تقسيماتها الإدارية لتعيين مواطن العشائر بصورة ثابتة، وإنما كانت أيام الإمارة وعلاقاتها بالحكومة، وبنو مالك في مركز اللواء وفي سوق الشيوخ وفي البصرة وفي القرنة وفي ناحية البو صالح التابعة لمركز اللواء (الناصرية)، وفي مواطن أخرى في لواء الديوانية ولواء الحلة وفي الحويزة.

ولما كانت المواطن مختلفة، وأجزاء العشائر موزعة، رجحنا أن نتكلم في العشائر متوالياً دون التقيد بالمكان كثيراً. نذكر العشيرة وما تفرع منها، ولو كانت أجزاؤها في مواطن مختلفة. ثم نمضي إلى العشيرة الأخرى، وهكذا حتى يتم ما انطوى تحت اسم بني مالك، سواء كان منهم أو اتصل بهم بطريق السكنى أو الجوار أو على الأقل الاشتراك في الثلث بالنظر للتقسيمات الإدارية للإمارة في سابق عهدها.

ولا نهمل في هذه الحالة بيان العشائر بالنظر للتقسيمات الإدارية الحاضرة في الأقضية والنواحي أو اللواء، وبهذا نكون قد جمعنا الغرض المتوخي لنلمّ بعشائر اللواء، وعشائر بني مالك مجموعة كبيرة لا تمت إلى جد، وكانت بينها وحدة في الثلث أيام الحروب، وتوزيع بدل الالتزام وجبايته، أو أداء المقرر السنوي للسلطة، وأصلهم (بنو مالك بن المنتفق)، وانضمت اليهم عشائر كثيرة كما ألحقت أخرى.

ورئاسة بني مالك في (آل خصيفة). ثم صارت لآل رميض. وعشيرتهم (البو صالح)، وكانت لهم الرئاسة العامة على العشائر الأخرى المشتركة في الثلث، وفي هذه الأيام زالت الرئاسة العامة بزوال الإمارة أو هي سائرة إلى الزوال، والرئاسة الخاصة مائلة إلى التحديد بما هو أشبه بمختاري المحلات أو القرى، وشعر الرؤساء بذلك، فطمعوا في اللزمة.

ونخوة بني مالك (زيود) أو (مزايدة) و(مالك)، وهذه تعين لنا من يمتّ إلى مالك أو إلى الاتصال بها بوجه بحيث صارت تشترك في الراية أو الدم والمصيبة، والمصائب تجمع، أو شدة الاختلاط يؤدي إلى الوحدة.

وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نعد أرباب الثلث كلهم من (مالك)، وإذا عددنا عشائر بني مالك، فالمراد الصلة بهم تاريخياً بسبب قدم السكنى أو الثلث أو القربى، ويصعب علينا أن نقطع بالقربى في من يمتّ إليها إلا القليل، ولذا عددنا عشائر بني مالك مجموعة، ونبدأ بعشيرة الرئيس (البو صالح). ثم بالعشائر الأخرى، وبعدها نذكر (العشائر الملحقة) كما عدّها غيرنا، وإن كانت لا تفترق عن العشائر الأخرى إلا في اضطراب الآراء في أصلها.

١- البو صالح:

هذه عشيرة كبيرة، ولا يرتاب في أنها من بني مالك، ومنها (بيت الرئاسة)، وتكاثرت بما انضم إليها، وتكوّنت منها ناحية من نواحي مركز اللواء (الناصرية)، وهي (ناحية البو صالح)، ومن فروعها:

١- بيت الرئاسة، ولهم الرئاسة على عشيرة البو صالح، ويعتبر رئيس عموم بني مالك أيام إمارة المنتفق (آل رميض)، ورئيس آل رميض بدر الرميض، وتوفي والآن ابنه محيسن.

٢- آل غلام. رئيسهم سعدون آل حسين.

٣- آل نصر الله. رئيسهم محمد بن سليمان آل نصر الله.

٤- آل گوبع. رئيسهم السيد عبود، وهؤلاء سادة ترأسوا على الفرع.

٥- آل مبادر. رئيسهم ساچت آل مطشر.

٦- آل خليوى. رئيسهم طاهر آل جاسم.

٧- التراجمة. رئيسهم موسى آل جعاري.

٨ آل كردي. رئيسهم ياسر آل مويجد.

٩ الزركان. رئيسهم السيد مبرد. يقيمون بين البو صالح والعكيكة.

ورئاستهم للسادة، ومن البو صالح (آل غريثم) و(آل مويجد)، ومنهم من ينتسب إلى المكان، وفي إحصاء السكان ج٣ لسنة ١٩٤٧م تفصيل.

ويلحق بـ (البو صالح):

١- آل عمر، وهؤلاء من ربيعة. رئيسهم شنينة.

٢- الحصونة. عرفوا باسم مقاطعتهم. يرأسهم السيد عبدالحسين، والسيد حمود آل السيد خلف، وهم سادة، ويجاورهم آل إبراهيم من البو صالح وخفاجة، وبينهم وبين البو صالح وآل إبراهيم مصاهرة، وهي عشيرة مستقلة بذاتها. أصلها من الغوالب السادة، ومنهم (آل مگوطر) في الديوانية، ومنهم (آل مسافر) في (أبي العجول) مقاطعة في الشطرة، ومنهم إخوتهم (البو هلالة) في السيدية والحجية في الشطرة، وهوّس آل إبراهيم عليهم أثناء الخصومات:

لو يطلع جدّه نگصّ ايده   يحسين اسمع ويد الكوفة
جدنا ابرص كر جدك بيده   وللشام جدوده اهديناهم

ومثل هذه لا ترضي أحداً، ولكن الحنق والعداء في حينه ولّدها، وزال الآن ولم تبق خصومات في هذه الأيام، فهم على صفاء ووئام.

٣- آل جميعان، وهؤلاء من بني مالك على قول، ومن بني خيگان على قول آخر، وهم عشيرة برأسها تسكن ناحية (العكيكة) من سوق الشيوخ، ونخوتها (مزايدة)،

وفروعها:

(١) الماجد. رئيسهم راضي الماجد، ويقال أنهم من بني أسد.

(٢) العبيد. رئيسهم رچاب العبود.

(٣) الشديد. يرأسهم عگاب الصالح ولعيوس الهواش.

(٤) الجماملة. رئيسهم مطنش آل مخيط.

ومن بني مالك: جماعة ممتدة من العزير إلى القرنة، ويعرفون ببني مالك، وفرقهم كثيرة، والقسم الكبير منهم في أراضي زچية (زكية)، وهؤلاء بين القرنة والعزير على شاطئ دجلة، ومنهم في قضاء القرنة، ومن بيوتهم المشهورة:

١- بيت ساري. ٢- الطريفات. ٣- بيت كادوش.

ولا تحصى فرقهم الأخرى لكثرتهم، ومن بني مالك في القرنة مع السعد. يرأسهم بدن ابن الشيخ علي وملزم بن تفاگ، وهم كثيرون ولهم المكانة، وهؤلاء يعرفون ببني مالك، ومن فرقهم:

١- بيت سعيد. رئيسهم محيسن أبو محمد.

٢- الشغاينة. رئيسهم رضا بن غليس.

٣- الشدة. رئيسهم مطلگ بن صليبي.

٤- أهل الدير. رئيسهم حاچم بن سعود في أنحاء القرنة.

٥- بنو نهد.

٦ فضيلة. رئيسهم نصار العرفج.

٧ آل حمودي. رئيسهم سعد بن صويح، ومنهم من يعدهم من آل إبراهيم.

٨ بنو سكين. رئيسهم شاهين بن جبارة.

والملحوظ أننا لم نجد من أحاط علماً بعشائرهم الأصلية وتفريعها، ولا عيّن الملحقة أو التابعة المعتبرة في عدادهم، ونحن في حاجة إلى التوسع والبيان الوافي في معرفتهم، ومنهم في الهارثة وفي الحويزة.

٢- العليات:

وهم من العشائر المعدودة في عداد عشائر بني مالك أو يعتبرون فرعاً من فروعهم، وأصلهم من طيء، ويرجعون إلى آل حفاظ من اليسار وهو محفوظهم، ونخوتهم (إخوة علية) و(إخوة ناهية) يسكنون المجرة من ناحية عكيكة من سوق الشيوخ، وفروعهم:

١- آل شدود. نخوتهم (إخوة ناهية)، ويرأسهم الحاج خلف والحاج علوان ابنا مغامس بن نابت آل شدود، وهم رؤساء العليات، وتوزعت أفراد الأسرة على كل فرقة، وهؤلاء دبّت فيهم آثار الحضارة، وصاروا يقرأون ويكتبون.

٢- المنابتة. يسكنون في أراضي (غليوين) من العكيكة.

٣- البو صيّاحة. في أراضي غليوين.

٤- آل عبدالسيد. في أراضي غليوين أيضاً.

٥- العليانات. يسكنون مع الضفير.

وهؤلاء يحفظون نسبهم من طيء، وعشائر طيء كانت لهم السيطرة في هذه

الأنحاء. ورد ذكرهم في تاريخ العراق[1]، وبينهم (السيالة)، ومن العليات في الغرّاف (البو دخنة) و(السباعيين)، و(الزرفات) في المشخاب والغرّاف، ومنهم من يساكن بني حسن، و(المراشدة) تحادد بني زريج.

٣- آل حسن:

من عشائر بني مالك. سكناها في ناحية (گرمة بني سعيد)، ونخوتها (أولاد حسين)، ورئيسها حمودة آل مزيعل. صار نائباً مرات، ومنهم على ما يقال بنو حسن، ويعد بعض العارفين أنهم من فروع بني حسن في لواءي الحلة والديوانية، وهي كثيرة العدد قوية في المعارك، وحالتها الاقتصادية حسنة، وفرقهم:

١- البو حميدي: رئيسهم عنيد بن ياسر الچولان، وتوفي سنة ١٩٥٥م، وفروعهم:

(١) المعدان. رئيسهم حسين الشناوة.

(٢) المعاويون. رئيسهم خطار الموزان.

(٣) آل چولان. رئيسهم عنيد بن ياسر الچولان، وتوفي.

٢- البو حمدان. رئيسهم روضان اللطيف، ولعلهم من الحمدانيين، وهؤلاء فلاحون لدى السادة (آل بعاج)، ومنهم من بني مشرف.

٣- السادة آل بعاج. ينتسبون إلى (السيد محمد) دفين الدجيل، فهم موسوية، ويرأسهم السيد برتو السيد حسين وهو رئيس قسم، والسيد باقر السيد عباس رئيس القسم الآخر، ورئاستهم على (البو حمدان) المذكورين.

٤- بنو مسلم. يعدون من فروعهم، والمسموع أنهم من بني وائل، وكثرتهم من عشيرة

(١) تاريخ العراق بين احتلالين، ج٣، ص١١٢.

(بني مشرف) من بني أسد رئيسهم حسن الوهيب، وتوفي وخلفه ولده هلال، ويرأس قسما منهم جبر الفهد، ويأتي الكلام على بني مسلم في أنحاء الحلة.

٥- الغريافية. سموا باسم المقاطعة التي يسكنونها، وهم من آل حسن، وفروعهم:

(١) آل صالح. رئيسهم مطوس الحاج شهد.

(٢) آل جاسم. رئيسهم الحاج سلطان الحاج چويد.

(٣) آل عيسى. رئيسهم مطوس الحاج شهد.

٦ مشيريجة. اسم مقاطعة يسكنها جماعة من آل حسن يرأسهم مريهج بن فيصل الياسر، وفروعهم:

(١) الدبات. رئيسهم فرعون بن عليوي.

(٢) الشواوشة. رئيسهم جبير آل محيسن.

(٣) آل شنان. رئيسهم عودة الصالح.

(٤) آل طاهر. رئيسهم علاوي آل حمودي.

(٥) آل مريعد. رئيسهم مريهج الفيصل، وهو رئيس عام. مشيرجة.

(٦) آل عگل. رئيسهم الشيخ حسين آل الشيخ محمد حسن.

٧ السورة. اسم مقاطعة تسكنها جماعة من آل حسن، ومشهورة بالعنبر الجيد. رئيسهم حمودة المزيعل، وهو الرئيس العام على آل حسن، وفروعهم:

(١) آل بشارة. الرؤساء.

(٢) البو جاسم. يرأسهم الحاج فهد السلطان والحاج عيسى المحيسن.

(٣) آل مزيعل. رئيسهم حمودة آل مزيعل.

(٤) المومنون. رئيسهم الديني السيد مصطفى جمال الدين، ومنه علمت الشيء الكثير، وهو ابن السيد جعفر ابن ميرزا عناية الله (المتوفى سنة ١٣٧٢هـ) ابن ميرزا حسين، والسيد مصطفى جمال الدين هو ابن عم الأستاذ السيد أحمد جمال الدين عضو محكمة استئناف بغداد، ورئيس هذه العشيرة الرسمي طنيش آل فرج، ويسكنون القرية المسماة باسمهم وفيها مزارع.

٨ الشحلاوية. باسم المقاطعة. رئيسهم دريس آل محسن، وفروعهم:

(١) آل منصور. رئيسهم دريس آل محسن.

(٢) آل حافظ. رئيسهم فرهود آل حاجي جاسم.

ومن هذه الفرق والعشائر نقطع بأن المنضم أكثر من الأصل، فعشيرة آل حسن كبيرة، ولها فروع في الأنحاء الأخرى، ومنهم من يعد (آل حسيني) منهم، مما يدل على تداخل الفروع، وتفرقها في مواطن عديدة.

٤- آل إبراهيم:

هذه في عداد بني مالك، ومنهم في مركز لواء المنتفق في الناصرية، ورئيسهم چايد آل طاهر، ومنهم في المشخاب (الفيصلية)، وجاء في عشائر القزويني أنهم «حي من المعادي في العراق»، ولم يرجعها إلى ما يعين أصلها.

وقال الأستاذ سلمان الصفواني: (إن السيد رضا النسابة النجفي البحراني يقول في كتاب الأنساب المخطوط: إن هذه العشيرة نزحت من القطيف إلى العراق. أما من في القطيف فيقولون أنهم من شمر نجد من (عبدة)، ولها اتصال وصلة بها). اه.

والشائع أنهم من بني مالك، والأستاذ الصفواني يرجح أنهم من عبدة، وإن السودان يقولون أنهم منهم، وإن الفروع مشتركة.

ذكر لي ذلك الشيخ حاتم الصيهود، وأكد أنهم منهم قطعاً، ويقولون: إن (آل علي) منهم، وكذا (آل عليوي) من عبودة، وهم من عشائر بني مالك ونخوتها (مالك)، ويأتي الكلام عليهم في آل إبراهيم في الديوانية، ومن فروعهم في الناصرية:

١- آل حسن. رئيسهم چايد آل طاهر من آل شاووش، وتوفي والآن ابنه.

٢- آل مصدگ. رئيسهم طاهر المصدگ.

٣- البو حمودي. رئيسهم عبدالكريم آل مهلهل الروضان، ومنهم من يعدهم من نفس بني مالك، وهم عين (آل حمودي).

٤- آل خشاب. رئيسهم مهدي الصالح الداغر.

٥- الصليحات. رئيسهم گطيو.

٦- الهصاصرة. يرأسهم كاظم ومغامس.

٧- الحمران. رئيسهم عبدالجليل الياسر.

٥- حجّام:

من عشائر بني مالك الكبيرة، ونخوتها (زيود أو مزايدة) كنخوة بني مالك. تسكن قضاء سوق الشيوخ في جانب الجزيرة في أراضي السايح والكسور والرميحية وجمالة، وفي الشامية في الزعيلية وأم الطبول والعتيبية، وقسم مع (آل حميد) فيعدون من الأجود، ويقال لهم حجام العرب، ورؤساء حجام الحاج فرهود الفندي وريسان ومزهر ابنا گاصد

آل ناهي والحاج حسين آل ياسر، ولا يصح أن نعد فرقها إلا من فصيلة واحدة، وأشرنا إلى ما عرف أنسابه.

وقال صاحب (ماضي النجف وحاضره) أنها من ربيعة، وجعل نخوة (زيود) في الأصل لهم، وأن آل عجيل إخوتهم، ولعل التقارب في الأسماء ساقه إلى ذلك، وتكوّن الفرع ليس بالبعيد.[١]

والآراء الأخرى لم يؤيدها نص تاريخي، وهي خلاف المحفوظ من نخوة ومن أنساب، وفروعها:

١- البو غطيش:

(١) آل ناهي. رئيسهم مزهر الگاصد، وأخوه ريسان، وصار نائباً مرات.

(٢) آل فندي. رئيسهم الحاج فرهود الفندي. نائباً لمرات، وهو ذو كلمة نافذة. ومنه علمت عن عشيرته ومن آخرين في ٢٢- ١- ١٩٥٦م.

٢- الدحلة:

(١) آل عجيل:

١- آل صالح. يرأسهم يسر بن جناح، وطاهر آل حاتم المزبان.

٢- آل حسين. رئيسهم الحاج حسين آل ياسر.

(٢) آل گطان.

١- آل ديوان. رئيسهم سعدون الحسين.

٢- آل فرحان. رئيسهم حسن الطعمة.

(١) ماضي النجف وحاضره، ج٢، ص١٥٤.

٣- العتيبية:

(١) آل شحيل. رئيسهم يحيى الحاج حسين.

(٢) آل خنفيس. يرأسهم شياع اللبط، وعبدالحسين نافج.

٤- آل جمعة: يرأسهم الحاج حسين الجابر، وضايف الجودة.

٥- أهل الشاخة:

(١) آل عطية. (٢) آل خليفة.

ويرأسهما الحاج رويشد الوادي.

٦ الزويدات. رئيسهم مصيجر الفاضل، ومنهم من يعدهم عشيرة لوحدها، وهم تابعون في الفصل.

ومن هؤلاء (الربيحات) و(آل مالح)، وفروع ثانوية أخرى تتفرع مما سبق بيانها، ويطول بنا تعدادها وسردها.

وتعرف هذه العشيرة بقوة الشكيمة في المعارك والحروب، وتشترك فيها نساؤهم ويحرضن على القتال، وزرعها الشلب وغرس النخيل، وفي إحصاء سنة ١٩٤٧م (ج٣) تفصيل، إلا أنه جمع بين العشائر ومواطنها دون ترتيب فروع كل عشيرة، والملحوظ أن القوة تظهر بحسن إدارة الرؤساء أرباب المواهب.

٦ كوت جار الله:

يقيمون في الكوت. رئيسهم عبدالله المحمد الجار الله.

٧- كوت ابن محينة:

ويعرف بـ (كوت ابن بادي) أيضاً. يقيمون في نفس (الكوت). رئيسهم ويطان الچويد.

٨- الشواليش:

رئيسهم الحاج شليبة الوشاح. ومنهم:

(١) آل وشاح. الرؤساء.

(٢) الجمعة. رئيسهم مجيد بن علي.

وهؤلاء الرؤساء أصحاب أراض زراعية، والباقون زراع تابعون، وهم خليط ليس لهم مجموعة عشائرية، أو لا يعرف انتسابهم بالضبط إلى عشيرة معروفة.

٩- عشيرة الحساوية:

نخوتهم (أولاد عامر)، وهم من الأحساء وعملهم في الغراس، ومنهم:

(١) أهل الجزيرة. رئيسهم طعيمة بن حمادي الحضري.

(٢) أهل الشامية. رئيسهم الحاج حسن العبيد.

ومنهم من يعدهم تبع بني مالك، والأمر واحد، فلا يوجد أثر للرئاسة العامة.

١٠- آل إسماعيل:

وهم تبع گرمة بني سعيد، ومنهم آل حرب، ورئيسهم مغامس الحاج خشان.

١١- الدجين:

رئيسهم عودة اللفتة، ويتبعون في الفصل آل حچام.

١٢- آل زياد:

منهم من يعتبرهم من حچام، وآخرون من بني خيگان، وهم عشيرة برأسها منتشرة كثيراً. نخوتهم (مبارك). يرأسهم عطشان الجابر، وريسان النعيمة، ومن فروعهم: آل علي والدحاح، ويأتي الكلام على من في الديوانية منهم.

١٣- الجويبر:

تعد اليوم من بني خيگان، ومنهم من يعدها من حچام، وهي عشيرة على حالها تساكن هؤلاء، وتعد من عشائر بني مالك، وفرقها:

١- المطاردة. رئيسهم كريم الجريذع.

٢- الشليشات. رئيسهم حاتم الموزان.

٣- البو نجم. رئيسهم حسين الظاهر.

فى الديوانية يقال لهم (الجوابر)، وهؤلاء منهم أو أنهم من الجوابر، ولا يبعد تنقل أجزاء العشائر أو التنقل لأغراض خاصة، وكل أمر من هذين محتمل.

١٤- بنو حطيط:

تعدّ من حچام من عشائر بني مالك، ويساكنون بني خيگان في الچبايش، ولكن بالنظر لنخوتها (وائل) أو (أولاد وائل)، ولما تعرفه العشيرة عن نفسها تعتبر من عنزة، وكثرتهم تسكن في الحمّار التابعة لناحية الچبايش، وأراضيهم معروفة باسمهم (أراضي بني حطيط)، وفي نهر أبي سدرة المسمى باسم فرع منهم (البو سدرة). رئيسهم هادي آل شنيّن، وتوفي قبل بضع سنوات، والآن رئيسهم جابر بن تقي، وفرقهم:

١- البو سدرة. منهم الأستاذ إبراهيم الوائلي، ومنه ومن بعض أقربائه علمت عنهم، ومنهم في الحي، ويتفرعون إلى:

(١) الزغيبات. (٢) آل الحاج ناصر.

٢- آل فرج الله. الرؤساء، وفروعهم:

(١) بيت مروح. (٢) بيت علي. (٣) بيت شنيّن. (٤) بيت سلمان.

٣- آل عبيد الله.

٤- آل رحمة الله، ومنهم بيت عطية في البصرة.

٥- البو عبد عون. رئيسهم محمد المروح.

٦ آل بهيّد، ومنهم:

(١) الظويهرات. (٢) آل بهيّد.

ويجاورهم في الجهة الغربية (البو شامة) من بني خيگان، و(بنو أسد) من جهة الشرق، ويجاورهم المواجد من بني أسد، وآل غريج، وأصلهم خزاعل.

وهذه العشيرة أصابها تشتت عظيم. يسكنون في لواء العمارة، ومنهم في البصرة في ناحية الهارثة، ومنهم في نفس العشار، وفي الحويزة، وفي جنوب البصرة، وفي الغرّاف على البدعة في أم الفطور، وهم (بيت حرج)، ومنهم أسرة في النجف.

والملحوض أن الحمّار فيه من العشائر: (بنو مشرف، والبو شامة، وبنو حطيط، والفهود، والأحول، والعمايرة)، ويعدون من بني مالك، ومنهم من يعدهم من بني خيگان لاختلاط الفروع.

١٥- الحماحمة:

عشيرة رئيسها حسن العبدالهادي الحاج نعيم، ونخوتها الخاصة (أولاد عامر) انفصلوا من البو شعيرة، ويصعدون بنسبهم إلى ربيعة، والظاهر أن النخوة تجعلهم في عداد المنتفق.

١٦- البو شعيرة:

يعدّون من بني خيگان، والصواب أنهم من بني مالك، ويقال أنهم من ربيعة. رئيسهم صبار آل وزير، ونخوتهم الخاصة (إخوة شائعة)، ولم يستطع العارفون أن ينسبوهم إلى عشيرة قديمة، وأفخاذهم:

١- العبيد. رئيسهم ثجيل الغجيري.

٢- البو رومي. رئيسهم صبار آل وزير.

١٧- الگوام «القوام»:

هذه العشيرة صغيرة تتولى سدانة (أم العباس). رئيسها عبد آل حطيط. يقولون أنهم سادة، ويصعب تعيين ما يرجعون إليه، وهم أصحاب تقاليد خاصة. لا يزوجون البنات لغيرهم، ومهور نسائهم محدودة.

١٨- المطيرات:

رئيسهم عودة بن نجي آل عودة، ونخوتهم الخاصة (إخوة علية)، ويرجعون إلى عشيرة مطير في نجد، وفروعهم:

١- مطير الشامية. رئيسهم عودة بن نجي آل عودة، وكان أبوه رئيساً.

٢- مطير الجزيرة. رئيسهم علي الجنديل.

ومعهم صابئة، ومنهم من يعدهم من بني خيگان.

١٩- بنو أسد:

يقال لهم (بنو سد)، ويعدون من أكبر العشائر، وكان عدادهم أيام الأثلاث في (بني مالك)، وقرباهم بهم بعيدة، وهم من أسد العدنانية. رئيسهم الشيخ سالم الخيون، وتوفي في بيروت يوم السبت ٢- ١٠ -١٩٥٤م، وخلفه ابنه الشيخ ثعبان، وهو خريج كلية الحقوق ببغداد، والآن يشتغل بالمحاماة.

كانت هذه العشيرة صاحبة القول في أنحاء الحلة إبان تأسيسها. بناها أحد أمرائهم

مزيد بن صدقة، وتوالوا على إمارتها، وسكنى هذه العشيرة قديم في العراق، ولم تقل أهميتها إلى أواخر عهد المغول، ونهاية أيام حكومتهم في بغداد.

ذكر السمعاني هذه العشيرة، وعدّد من رجالها جماعة، وتعرف بـ (أسد خزيمة) على خلاف ما هو شائع على لسان رجال قبائل ربيعة من أن هؤلاء من أسد ربيعة، وأصل أسد: (خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر)، فهى من العشائر العدنانية، وأوضح المؤرخون عند ذكر بناء الحلة أمراءهم وأنسابهم ووقائعهم.

ظهرت هذه العشائر لما رأت من ضعف الحكومة، وآخر ما عثرنا عليه في إيضاح العلاقة وتحقيق النجار بوجه الصحة ديوان (شرف المزية في المدائح العزيّة)، ويسمى (نزهة الجليس وفرصة الأنيس)، أوّله: «الحمد لله موجد الوجود. ذي الطول والجود، الذي ليس بمجزأ ولا معدود، ولا بمجيّز ولا محدود». اه.

رأيت نسخة هذا الكتاب الأصلية للشاعر الأديب محمد بن حسن بن محمد بن كحيل ابن الشيخ سلطان العارفين جاكير بن باكير الكردي، الأدرازي المعروف بـ (ابن نعيم) الحلي. مدح به صدر الحلة عز الدين أبا محمد حسن بن الحسين بن نجم ابن مظفر ابن أبي المعالي بن الصروي بن قبصة الأسدي، ومن مطاوي هذا الكتاب تعرف مكانة هذه العشيرة، ومقام الممدوح، وأنه كان صدر الحلة، وعند مدحه قال: «عضده الله بالمالك الأعظم، المولى المعظم، مالك الأنام، صاحب ديوان الزمام. صدر الآفاق، ومالك العراق، ذي اليد والتمكين عماد الحق والملّة والدين، أدام الله أيامهما، ولا زال السعد يخطر بجديهما، ويمر بسعديهما». اه.

وفيه يعيّن أنهم من أولاد عامر، موافقاً لما جاء في نخوتهم العامة المعروفة اليوم وهي (عامر)، وفي الهوسة المعلومة: (عامر من عامر چي تجفي). أي عامر كيف تجفو عامراً؟، وبيّن مراراً أن جدهم أسد بن خزيمة، وفيه أنهم كانوا ولا يزالون أصحاب الصولة، والكتاب تم نسخه في ١٦ شهر رمضان سنة ٦٩٥هـ، وقدم إلى الممدوح، وكان ناسخه إسماعيل بن يوسف الحلي، وخطه جميل، ويصح أن يعد من الخطاطين.

وعلى غلاف الكتاب تقريظ للعلامة الحسن بن المطهر الحلي العالم المشهور. جاء فيه ما نصه: «لقد أحسنت أيها الشيخ العالم الفاضل البارع النحرير، العلامة المحقق، ملك العلماء، شمس الملة والدين فيما نظمته، وأجدت القول فيما أنشأته، وبرزت فيه على المتقدمين، ولم يساجلك أحد من المتأخرين، وجمعت بين اللفظ الزائن البديع، والتركيب الشائق الصليع، فمن جرى في ميدانك تأخر وصلى، وأنّى يدرك شأوك إلا كلا، وأهنيك في أن أحسن القول أصدقه، وقد نمّ عود مقالك على صدقك في مدح المولى الصاحب الصدر الكبير، العالم المعظم (لم تقرأ) كهف الفقراء، وملاذ المؤمنين عزّ الملة والحق والدين، أعز الله بشأنه الإسلام والمسلمين، وختم أعماله بالصالحات، وغفر له جميع الذنوب والزلّات بمحمد وآله الطاهرين. كتبه العبد الفقير إلى الله، الغني به عمن سواه، حسن بن مطهر، حامداً لله تعالى، مصلياً على سيدنا محمد وآله». اه.

عندي نسخة مخطوطة منه، وفي الأبيات التي أوردها الناظم ما يشير إلى أصل الممدوح وعشيرته، ونعتها بأجمل النعوت، ومما قاله:

يا حار! قد بان الأراك وبأنه	فانزل بعيسك هذه الدهناء
واربع بذيّاك الحمى فجنا به	رقّ النسيم به وراق الماء
ربع زهت هضباته ووهاده	فبكلّ فجٍّ روضة غنّاء
تحميه آساد الشرى من عامر	لهم الوغى والغارة الشعواء
عربٌ إذا جنّ الظلام لنارهم	فى حندس الليل البهيم لواء

إلى أن يقول:

لولا خلال ابن الحسين وجوده	كرماً لما سرت به الأحياء
طابت عرائقه فطاب مديحها	وتطأطأت لفخاره العلياء
فعرائقٌ أسديةٌ ومناسبٌ	مضريةٌ ومراتبٌ شماء
فهم بنو أسد الفتى ابن خزيمة	خير الأنام المعشر النجباء

فـافـخـر وطــل واســم الأنام بمـفـخـر   شــهـدت بــه الــســادات والـعـظـمـاء

وهذا يوافق ما هو معروف اليوم من النخوة والنسب، والقصد تعيين أن هؤلاء من أولئك، ويخالف المسموع عن ربيعة. كما أن هذا الكتاب أماط اللثام عن موطنها الأصلي، وقرر محل سكناها، وأنه في أنحاء الحلة إلى آخر أيام المغول بصورة مقطوع بها، ولعل محل الاشتباه عامر، وهو غير عامر ربيعة.

وعشيرة خفاجة كانت تنازعها السلطة، ومثلها ربيعة وغيرهما من العشائر فيما دفعهم إلى أنحاء واسط، وفي رحلة ابن بطوطة ما يعين تحولها، بل تجولها من مكانها إلى أنحاء لواء واسط (المنتفق)، واستقرارها من ذلك الحين إلى اليوم، وإن كان لم يعين بالضبط تاريخ نزوحها. إلا أن العصر معلوم. وعلى كل كان نتيجة نزاع بين العشائر، وتطلب كل رئيس أن يسود، وتكون له الكلمة في تلك الأنحاء، وهذه السلطة لها عملها في مناجزة عشائر لأخرى، ومن ثم تظهر قوة العشائر أو يتعين ضعفها.

ولو كان المادح عيّن العشيرة المناوئة للمدوح في أنحاء الكوفة لتبين الواقع وظهر السبب، ولكن (ابن بطوطة) بيّن مكانة خفاجة فى تلك الأيام، ومثلها عبادة كانت قوية أيضاً، ومن المحتمل أن تتفقا على إزاحة عشيرة بني أسد، وهما من المكانة والقوة ما لا يقل عن هذه العشيرة، ومع هذا لا تزال بقاياها في أنحاء الحلة بصورة مبعثرة ليس لها كيان قوي، ومن المعلوم أنه ظهر علماء وأدباء عديدون من هذه العشيرة في الحلة، وفي تاريخ العراق بين احتلالين بيان عنهم، ومنهم العلامة (ابن المطهر) وابنه الفخر.

وكانت السياسة العشائرية مصروفة إلى استخدام الرؤساء لمصلحتها لتأمين الوضع، ولم تعوّل على جيشها وحده دائماً، وإنما كان أمراء العشائر يظهرون الإخلاص، وكذا الصدور منهم يذهبون إلى الفيلق ويبدون الطاعة، والحضور في المعارك التي يطلب حضورهم فيها، أو يقومون بمقاومة العشائر المناوئة، وصد الغوائل، وهذا تجلى لنا بصورة واضحة من الديوان المذكور وبعض حوادثه، وسياسة العشائر للدول وإن كانت مكتومة ولا يبوح بها أحد إلا أن الوقائع كشفت عنها، وأبانت مكنونها.

ويهمنا أن لا نستغرق في مباحث كهذه، وأن نعود إلى أصل موضوعنا: عشيرة بني أسد، فإنها تسكن اليوم في أراضي الچبايش المعروفة بالجزائر أو البطائح في قضاء سوق الشيوخ وما جاوره حتى سوق الشيوخ والقرنة والعمارة، وبين بني مالك وبني خيگان والبو محمد، ونخوتها لا تزال (عامراً)، وممن يمت إلى العامرية هناك (السودان) العشيرة المعروفة في أنحاء العمارة، والآن لا يتجاوزون العشرة آلاف، ووقائعهم وحروبهم للدولة العثمانية كثيرة.

والقزويني لم يقطع في تعيين أسد ربيعة وأسد خزيمة، وإنما أبهم في القول، وإن السيد رشيد ابن السيد داود السعدي بيّن عن أسد خزيمة ما نصه: «قبيلة بني أسد. بعد الفتوحات الإسلامية سكن كثير منها في نواحي بغداد في الجانب الغربي منها، وعند تسلّط الأتراك على الدولة العباسية ملكوا الحلة والكوفة وما يليهما، وملكوا الجزيرة أيضاً، ولهم وقعات عظيمة مع الأتراك، واستقامت دولتهم مائتي سنة، وبعد انقراض دولتهم سكنوا على شاطىء نهر الفرات بين القرنة والمجر، وهم في غاية القوة والكثرة والشجاعة والكرم والجود، وكان شيخهم محيي الخيون وقد أدركته، وبعده صار شيخهم أخوه حسن الخيون».[1] اه، وهذا هو والد الشيخ سالم.

استطلعت آراء الكثيرين من العارفين بهم، فاعتمدت الأستاذ الصديق عبدالمنعم داود، وهو من العارفين بهم[2]، وضممت إليه ما يوضح، ويتفرعون إلى الفرق التالية:

١- الشيوخ: ورئاستهم في (آل خيّون). رئيسهم الشيخ سالم بن حسن بن خيّون بن جناح ابن الحاج ناصر ابن الحاج سواد، وتوفي الشيخ سالم، وخلفه ابنه الشيخ ثعبان المحامي، ويتفرعون إلى:

(١) آل الشيخ. رئيسهم عبدالرزاق بن عبدالهادي بن حامد بن محمد الخيون.

(١) غاية المراد في الخيل الجياد، ص٣٠.

(٢) إن معلوماته بعشائر المنتفق وافرة، وهو من أهل تلك الأنحاء، وإن أشغاله في التحرير مما بصره أكثر، وهو اليوم في الإدارة المحلية لمتصرفية بغداد، ومثله الأستاذ مكي السيد جاسم في معرفته في إرجاع بعض العشائر إلى أصولها، وهو موظف في شؤون المكتبات في متصرفية بغداد، فاعتمدتهما في عشائر المنتفق لا سيما عند اضطراب الآراء.

(٢) آل عباس. رئيسهم عبود الواجد.

(٣) آل ونيس. رئيسهم فيصل الزاير الصگر.

(٤) آل عنيسي. رئيسهم صالح الزاير الصگر.

(٥) آل ويس. رئيسهم من آل شبر.

٢- الحداديين: ونخوتهم الخاصة (إخوة سعدة)، ويتفرعون إلى:

(١) نفس الحداديين. رئيسهم من بيت عباس الظاهر، ومن هؤلاء:

١- البو شيخ علي. رئيسهم زويد.

٢- بيت الحجي. رئيسهم مرهج اللامي.

٣- البو عبدة. رئيسهم طوفان الزغير.

٤- الرشيدة. رئيسهم عباس الظاهر.

٥- بيت زامل.

(٢) بني عسكري. يرأسهم بيت صالح العبدالأمير.

(٣) آل خاطر. رئيسهم حبيب الخيون من آل الشيخ.

(٤) المواجد. رئيسهم عبدالأمير بن مروح، ونخوتهم (أولاد الأشمط)، ومنهم (بيت شبيب) في النجف، ويعرفون بالشبيبيين، منهم من سكن بغداد، ومنهم معالي الأستاذ الشيخ رضا، والأستاذ الشاعر الشيخ باقر، والسيد جعفر.[١]

٣- آل غريج (غريق). نخوتهم الخاصة (آل سلمان). يتفرعون إلى:

---

(١) ماضي النجف وحاضره، ج٢، ص٣٦٨.

(١) آل الحاج يعقوب. رئيسهم سعيد آل جوال.

(٢) آل شارع. رئيسهم راضي المغامس.

(٣) آل هلال. رئيسهم علوان آل خالد السعيّد الجواد.

(٤) آل حمودي. رئيسهم حمودة آل زاير المزعل.

وهم من (الخزاعل)، وآخرون يعدونهم من عشائر الجزائر، ويقفون عند هذا، ولعل للاتصال الأثر الكبير في هذه الأقوال، وفي ج٣ من (إحصاء السكان) لسنة ١٩٤٧م تفصيل لمواطنهم، ويعتبر من حلفائهم:

١- البو شامة.

٢- آل أحول.

٣- آل إسماعيل.

٤- العمايرة.

٥- الفهود، ويقال لهم (كشاخلة).

٦- عبادة.

٧- بنو مشرف. رئيسهم عيال آل فرج، ومنهم (آل حميد، وآل معاوي، والمگاطفة، والبو بشارة، والبو خليف، والبو حمرة، والعشرين)، وهم في الحمّار.

٨- آل حسيني. من آل حسن، ومنهم من يعدهم من الجزائر.

٩- آل سواري.

١٠- بنو حطيط. من وائل من عنزة. مروا.

١١- البو عايش.

وبنو خيگان يدعون أنهم منهم، والحال أن بعضهم عشائر مستقلة، ويهمنا الإشارة إلى ذلك، ويأتي الكلام في بني خيگان على قسم من هؤلاء، والآن زال نوعاً ما النفوذ العشائري أو هو سائر إلى الزوال، فلا قيمة للنفوذ أو السلطة.

وبنو أسد يسكنون الأهوار، وأراضيهم الزراعية قليلة. يقتنون الجاموس، ويستغلون البردي والقصب النابت في الأهوار لمصالحهم واحتياجاتهم، ويلحق بهم:

١- الفرطوس: عشيرة كبيرة من عشائر الغزي، وكانت أصابتهم جائحة بانقطاع ماء الغرّاف، فمالوا إلى بني أسد، وقسم آخر في أنحاء أخرى.

ووقائع بني أسد السياسية لا تخلو من مشادة أيام العثمانيين، وكانت دائبة دائمة، وكان الشيخ سالم الخيون متهماً بالاشتراك مع الشيخ خزعل وآغا جعفر بالمؤامرة على قتل فريد بك وبديع نوري[١]، وأن اندفاعاته الوطنية أدت إلى أن يعتقل في الهند مدة من جانب السلطة المحتلة، مما دعا أن تسند الرئاسة إلى أخيه فالح الحسن الخيّون، ولما عاد أعيدت إليه الزعامة، وكان يضمن الرسوم الأميرية بمبلغ معين، ويقوم هو بالجباية، وكان نفوذه كبيراً، وإن إخوانه كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية كبيرة في العشيرة.

والشيخ سالم برز في بداية الحكم الوطني عند تكوّن المجلس التأسيسي، وصار وزيراً بلا وزارة في أوائل التشكيلات. ثم ظهر في جانب المعارضة، فجلبت عليه السخط، واكتسب منها مضار كبيرة. أبعد عن عشيرته وأراضيه، وأبعد إخوانه غضبان وفالح بسببه، ومن ثم تفكك أمر العشيرة، وتولى إدارة العشيرة رؤساء الأفخاذ فتمكنوا، وفرط الأمر من يده ومن يد إخوته، فخصصت له الحكومة أراضي زراعية في ناحية كنعان التابعة لبعقوبة من لواء ديالى، وأما أخوه غضبان فقد خصصت له أراضي في قضاء علي الغربي من لواء العمارة، ولأخيه الآخر فالح أراضي زراعية في لواء البصرة، وللشيخ سالم إخوة آخرون منهم: (سعدون وهندال وبندر وحمود وعلي وفارس).

(١) تاريخ العراق، المجلد الثامن، وفيه تفصيل.

أما ثعبان ابن الشيخ سالم فقد سمحت له الحكومة بمراجعة الچبايش والتردد إليها، ولكنه قل نفوذه على العشيرة لما حصل من تباعد عنها مدة، وللمعارضة أو السياسة حكمها، ولعل تنبه العشائر ساقه إلى هذا التباعد أو أنها سائرة إليه قطعاً، وكلما قويت يد الدولة زالت سلطة الرؤساء.

ومن بني أسد جماعات في كربلاء والحلة لا يزالون يعرفون ببني أسد، وفي لواء بغداد (الحباب)، ويدعون أنهم من نسل حبيب بن مظاهر الأسدي شهيد الطفّ مع الإمام الحسين، والصواب أن الحباب من طيء، ويدعي الزنگنة والطالبانية أنهم من بني أسد، ولا يبعد أن يكون الرؤساء منهم.[١]

ومنهم في أراضي المشورب بين الهندية وطويريج، وفي ضواحي كربلاء:

١- البو غانم. ٢- البو ضاحي. ٣- البو مجدي. ٤- البو بحر. ٥- البو مجزم.[٢]

ومن بني أسد العلامة الحلي، والطريحيون، وآل كمونة في كربلاء، ومنهم الأستاذ مشكور الأسدي، والأستاذ محمد حسين الأسدي.

٢٠- عبادة:

من العشائر القديمة السكنى في أنحاء المنتفق، وتعد في عداد ثلث بني مالك. ثم انتشروا في أنحاء عديدة من العراق، والأكثر يسكنون مع عبودة، وعدتهم نحو ٤٠٠ بيت، وهم بحالة متفرقة وكثيرة.

ويقال: أن الإمارة وعبودة اتفقوا عليها، ونكلوا بها ودمروها، ولا شك أنها كانت تتنازع السلطة مع خفاجة ومع ربيعة، والمشهور من الأمثال والهوسات: (إن ضاع أصلك

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين، ج٧.

(٢) ماضي النجف وحاضره، ج٢، ص٤٢٨.

گول عبادي)، ويقولون: (رخصت عبادة وباعت اشنان)، وفيه تورية فإن اشناناً عبدها، ويراد به النبات المعروف، ورخصت بمعنى ذلّت وباعت شناناً أي النبت المعروف.

وقال السمعاني: «عبادة حي من العرب. كثير عددهم. نزلوا على جانب الغرّاف. سمعت أبا أربد الخفاجي في برية السماوة، وقلت أي العرب أكثر، فقال نحن أكثر خيلاً، وعبادة أكثر جملاً، وغزية أكثر رجلاً. ثم قال يكون في قبيلتنا خفاجة ستون ألف فارس».[1]

وعبادة من عقيل، ومنهم ليلى الأخيلية[2]، وعشائرهم عدنانية، وذكرهم صاحب كتاب (بنو خفاجة) الأستاذ محمد عبدالمنعم الخفاجي، وقال: (ليلى الأخيلية عاصرت عبدالملك والحجاج، وبنو عبادة هؤلاء لهذا العهد بالجزيرة الفراتية فيما يلي العراق، ولهم عدد وذكر، وغلب منهم جماعة على الموصل وحلب في أواسط المائة الخامسة: قريش بن بدران ابن مقلد فملكها هو وابنه مسلم بن قريش منهم إلى أن انقرضوا). نقل ذلك عن ابن خلدون.[3]

وأيّد صاحب كتاب الأنساب أنهم من مضر، وفيه تفصيل، وهذا يبطل ما قيل من أنهم سادة قرشيون، فهم من عقيل بن عامر بن صعصعة، ومن فرقهم:

١- الهلالية: ويعدّون اليوم عبودة. نخوتهم (دبسة)، وفروعهم:

(١) آل بايش. يسكنون مع عبودة.

(٢) آل مشيعل. مع آل مناع.

(٣) الفريجات. مع عبودة، ومنهم محلة في بغداد.

---

(١) الأنساب للسمعاني.

(٢) الاشتقاق، ص١٨١ و١٨٢.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٣١٠، ٣١٢، وج٤، ص٢٧٥.

٢- البو عبد علي.

٣- آل فرحان.

٤- آل عثمان.

ورئيس هذه الأفخاذ ريكان آل يسر، وتسكن في الحمّار بين آل اسماعيل وبني مشرف أو بين سوق الشيوخ والچبايش.

وذكر لي الأستاذ المرحوم سامي الدبوني أن أمراء عبادة ينتسبون إلى الإمام موسى الكاظم، ولعل هؤلاء تولوا رئاستهم أخيراً، وإلا فلا يأتلف هذا والمنقول قطعاً، وهم الآن في حالة تشتت. قال ومنهم:

١- الدبونيون. نزحوا إلى الموصل، وكانوا في سنجار وسرق والجراحي قبل نحو مائتي سنة. عدّهم سادة.

٢- البدران. منهم في لواء البصرة، ومنهم من يسكن قرى عديدة في غربي الموصل بنحو ست ساعات، ومن قراهم (الجرن، والعمريني، وأبو شويحة، وأبو جراذي، وعين ناصر، وگبة عبلة، والزردة، والحويط، والعريش، وعين شريدة، والسلماني، وخربة الطير، والجياع، والهرم، وسحل الطويل، وعسيلة، وعين الجحش، وعين البيضة، وفرفرة، وعين الأبكرة، والإمام حمزة، وأم الصيجان، والكراثي)، ورئيس هؤلاء الشيخ عبدالله ابن الشيخ حمد العلص، وتسكن الموصل، وفروعهم:

(١) المشارفة. رئيسهم الشيخ عبدالله ابن الشيخ حمد العلص. (٢) الزينان. (٣) البو حجي. (٤) البو سلامة. (٥) المراسلة. (٦) البو خابور. (٧) البو مجذب.

٣- بنو سبعة. رئيسهم الشيخ محمد الصالح، ويقيم في تل الشعير، ومن قراهم: (المكوك، وسلطان عبدالله، ومطنطر). مع العلم أن الكثيرين يقولون بأن قسماً منهم سادة، والقسم الآخر من طيء، وليس منهم: الشللة والدويزات.

٤- الدوبان. نزحوا إلى قرى قريبة من دهوك تعرف باسمهم (قرى الدوبان) منها قلعة بدري، وزاوة، وفائدة.

٥- مال فريق منهم إلى الرها، فحلّوا قرية (منارة، واعنار، وزبالة، وجاروخ)، وما زالت هذه القرى بأيديهم حتى اليوم، وهي في حكم الجمهورية التركية.

٦- بنو سلامة. من عبادة متفرقون منهم في الجانب الغربي من الموصل، ومنهم (البو صالح) يسكنون مع العقيدات.

هذا ما علمته من المرحوم الاستاذ سامي الدبوني، وابنه عامر الدبوني.

٧- النصاروة. في كربلاء، ونخوتهم (عبادي)، وهم أهل بساتين، وفروعهم:

(١) الدرعة. في الهندية.

(٢) البو حسن. في الهندية.

(٣) البو نغيمش. في المسيب في العجيمي.

(٤) البو عبدان. في المسيب في العجيمي.

(٥) البو دوش. في المسيب في العجيمي.

(٦) الحصاريون (سبيع). الرؤساء.

(٧) الطعاطنة. في المسيب.

(٨) البو خليل. في كربلاء.

(٩) البو عبدالأمير. في كربلاء، ورئيسهم طليفح بن حسون الحسن.

(١٠) البو شجير، وهؤلاء يرجعون إلى البو نغيمش.

(١١) البو نيسة.

(١٢) البو شناوة.

(١٣) بو سبيع.

هذا ما علمته من عبود الحصاري رئيس النصاروة في ٢٤/ ٣/ ١٩٣٧م، وهؤلاء ينتسبون إلى الناصرية المقاطعة المعروفة قرب المسيب، ومنهم بالابيّض أيضاً إلا أنهم قليلون، وغالبهم في المدن، وقليل منهم يعيشون بصورة عشائرية، فهم سائرون إلى الاندماج في المدن.

ومن عبادة (البو ناصر) في تكريت، والبيگات أمراؤهم، ومنهم (البو عمر)[١] و(آل النقيب) وينتسبون إلى الأمير شبيب، ومنهم (المراسمة) في دلتاوة (الخالص)، ومنهم في أبي غريب، ومنهم في قرية (الباروز) شرقي البو كمال، ومنهم صاروا أكراداً في دهوك وقرية (زاوة)، وتبعد عن دهوك نحو ١٠ أميال، و(زورابة) و(فائدة)، ومنهم في تركية يقال لهم الأمّار، وجماعة كبيرة نراها متفرقة بين عشيرة (عبودة) وعشائر ربيعة، ويدعي (الدفافعة) أنهم من (عبادة).

١- بنو عز: أصل هذه العشيرة من عبادة[٢]، ومنهم في سورية[٣] يسكنون مواطن متعددة ومتفرقون، ولم تظهر لهم عشيرة كبيرة ولا تبينوا بوجه، والظاهر أن انفصالهم من عبادة قديم، فلم نجد فرعاً في عبادة بهذا الاسم، وليس بصحيح ما يقال من أنهم من أتباع العبيد. نخوتهم (أولاد شهاب) أو (شهابي)، وهم في ناحية طاووق (داقوق) قرب شبيكة، ويعدون بنحو ٣٠٠ بيت، وفرقهم:

١- البو شاهر: رئيسهم أحمد العبوش، وهم نحو سبعين بيتاً في قريتي (غيدة)

(١) من هذه العشيرة ظهر بعد زمن المؤلف الرئيسان العراقيان أحمد حسن البكر وصدام حسين. (مشرف الخزانة).

(٢) مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعي، ص١٤١.

(٣) عشائر الشام، ج٢، ص١٢٨، وص١٥١.

و(صلحة) بالقرب من محطة افتخار في أنحاء كركوك.

٢- البو سراج: رئيسهم عبدالرحمن.

٣- البو نجم: رئيسهم ملا صالح المحل.

٤- الصجاجير: ويسمون البيگات. يسكنون في أراضي نهر نارين. رئيسهم محمد الصالح الخلف الكليب نحو مائتي بيت، وقريتهم زركوش.[١]

٥- العثامين: في الحويجة مع العبيد، ويساكنهم البو سراج، وهم نحو ستمائة بيت رئيسهم ملا غزال، وتوفي.

٦- الجبينات: في أراضي قولاي (گلي). مقاطعة في خانقين.

وبنو عز في قرية ينكيجة وفي قرى عديدة من لواء ديالى، منها السادة والعواشق والعمرانية والرعايا، وليس لبني عز علاقة اليوم بعبادة ولا ببني مالك.

٢١- آل علي.

٢٢- العوابد.

يأتي الكلام على هاتين العشيرتين عند ذكر العشائر الملحقة، وهما من بني مالك.

٢٣- بنو تميم.

---

(١) وهي غير قرية زركوش التي يسكنها الحديديون، وعشائر زركوش في أراضي الزاوية في جنوب قزلرباط (السعدية).

٢٤- بنو معروف.

يأتي الكلام على بني تميم مفصلاً، وعلى حدة، وعلى بني معروف عند ذكر ربيعة.

عشائر أخرى ملحقة ببني مالك

١- بنو خيگان:

ويقال لهم بنو خيقان وبنو خاقان. منهم من يقول أنهم ترك، وآخرون يعدّونهم من العشائر الملحقة ويقفون عند ذلك. يسكنون ناحية عكيكة وگرمة بني سعيد، والچبايش (الحمّار) في سوق الشيوخ، ويصعب تعيين كل فرع وانتسابه، فهم أشبه بالعشائر المتحيرة أو مجموعة عشائر مختلطة، ولعله الصواب، والرؤساء يمتون إلى (ربيعة)، ونخوتهم العامة (زيود) أو (مزايدة)، وهي نخوة بني مالك، وفرقهم:

١- آل رحمة. الرؤساء. الحاج چويد آل مغشغش، ونخوتهم (باهش)، وفروعهم:

(١) آل مغشغش، ومن فروعهم:

١. آل ناصر. رئيسهم عبدالحميد الفرهود.

٢. آل سلطان. رئيسهم الحاج چويد العبدالله.

(٢) آل بحر.

(٣) آل عبدالرحمن.

(٤) آل عفريت. رئيسهم عبدالحسين العفريت.

(٥) آل سفّاح. رئيسهم سعيد آل سفاح.

(٦) البو حمدان. رئيسهم ضهد الدخيل، ونخوتهم (ملحان)، ومنهم:

١- البو بصار. رئيسهم حسين المحارب.

٢- الحربيون. رئيسهم زاير بن دخيل العاني.

٢- آل شميس. رئيسهم مطوس آل حاجي فزيع. نخوتهم (مشعل)، ومنهم:

١. النجيمات. رئيسهم ضيغم الحاج شلاش. ٢. البو خليفة. رئيسهم ابن فهد. ٣. البو عويد. ٤. البو هيفة. ٥. الدلاهمة. ٦. الجحيش. ٧. الدشر.

٣- العساچرة (العساكرة). نخوتهم (عسكر)، ورئيسهم شبرم بن خليف الدوخي، وهؤلاء من عشائر كعب، وقد اضطربت الآراء فيهم، منهم من عدهم من بني عسچري (عسكري) من بني أسد، ومنهم من جعلهم من خيگان أو من بني مالك، وفروعهم:

(١) البو عبدالله. رئيسهم مري المشرف.

(٢) الغنانمة. رئيسهم گاطع النصاح.

(٣) الگوام. رئيسهم عبد الحطيحط.

(٤) الثامر. رئيسهم فرهود الثامر.

(٥) آل سعيد. رئيسهم الحاج گطامي آل جناح.

٤- البو شعيرة. رئيسهم گحّام آل صبار آل وزير. نخوتهم (إخوة شايعة)، ويتفرعون إلى:

(١) العبيد. (٢) البو رومي.

وهم عشيرة بحالها، وللسكنى دخل في عدها منها، وفي الأجود ذكر للعبيد والرومي.

٥- النواشي. رئيسهم العام داحس الحسون. يسكنون المجرة، وتعد عشيرة مستقلة

برأسها:

(١) المعدان. يرأسهم درعان آل علي وفارس المطلب.

(٢) الحضر. رئيسهم داحس الحسون.

٦- آل الأحول. رئيسهم مهلهل آل عيسى، ونخوتهم (حولة). ذكرهم صاحب (ماضي النجف وحاضره)، ومنهم الأستاذ علي الخاقاني، ويتفرعون إلى:

(١) الفهود. رئيسهم كريم الحاج محمد.

(٢) البو حاجي.

(٣) آل إسماعيل. يرأسهم غيثان آل بدر، ومغامس آل حجي خشان.

٧- العمايرة. رئيسهم سالم آل مدهوش في الچبايش، ونخوتهم (أولاد عامر)، ويتفرعون إلى:

(١) البو هدار. رئيسهم مطلگ.

(٢) المعدان. رئيسهم جبير بن طريم.

(٣) الرميضات. رؤساؤهم مجدي الغذيفة (الغدافة)، وعلي الشنبار.

(٤) الصليب. رئيسهم عريبي الهزاع.

(٥) الكولبة. رئيسهم مزيعل البدر.

(٦) الطرايشة. رئيسهم جري الدويري.

(٧) الحويچم. رئيسهم حسين العلي.

(٨) الشهيبات. رئيسهم نويحي.

(٩) العطيات. رئيسهم جبر الطريم.

٨- البو شامة. يرأسهم سلطان آل گزار، وموجان السفاح، ويتفرعون إلى:

(١) آل جنديل. (٢) المعدان. (٣) آل سهر. (٤) الفريجات. (٥) البو عوفي. (٦) البو عوض.

٩- البو خليفة. رئيسهم رهيوط الحاج مگطوف، ويتفرعون إلى:

(١) أهل البنج. رئيسهم شنين آل صگر.

(٢) الثمار. رئيسهم سلطان المحمد.

(٣) أم مشجاج. رئيسهم الحاج مگطوف الحاج حسن، وتوفي فخلفه ابنه رهيوط.

١٠- الجماملة. رئيسهم عبدالله السالم. نخوتهم (فريخات)، ويتفرعون إلى:

(١) آل نجار. (٢) آل سالم.

١١- المطيرات. رئيسهم عودة من نجي آل عودة، ويتفرعون إلى:

(١) المطيرات. (٢) الزويدات.

وهم في (العكيكة)، والظاهر أنهم من عشيرة مطير.

وعدّ البعض من فرقهم: (الحماحمة) رئيسهم حسن العبدالهادي الحاج نعيم، و(الحربية) رئيسهم جار الله العاتي، و(الزرگان) رئيسهم محسن الستار، وتوفي فخلفه ولده مجيد، وعجيمي الحاج مهدي، و(العلاونة)، و(الكركوش)، و(العفريت) ورئيسهم عبدالحسين العفريت، و(البو حمدان)، و(آل حسين) من الزيادات.

ومنهم من يعد الكثير من هذه الفروع من بني مالك، وهي عشائر وحدها المكان. ويجاورها:

١- حچام. ٢- آل حسن. ٣- آل جميعان. ٤- العبيد. ٥- آل شديد. ٦- الحسينات. ٧- بنو أسد.

علمت ذلك من رئيس آل رحمة من بني خيگان، وهو الحاج چويد آل مغشغش في ٤- ٥- ١٩٥٥م. كان عارفاً بعشيرته وبمجاوريها من العشائر الأخرى، وكذا من آخرين. أخص بالذكر منهم الأستاذ الفاضل عبدالمنعم داود، وهو عارف باللواء، ومنه اقتبست الكثير من المعلومات عن عشائر كثيرة في هذا اللواء.

ومن بني خيگان في أنحاء الحلة ذكرتهم في المجلد الثالث[١]، وهؤلاء يقيمون بين المدحتية وناحية القاسم، وهذا القسم انشطر شطرين أحدهما يقيم شرقي القاسم، ويقال له الشرقي، وآخرون في غربي هذه الناحية، ويقال له (خيگان الغربي)، ويعرف هذا القسم الذي نزح إلى أنحاء الحلة بـ (الدبات)، وكانت الرئاسة فيهم، وإن الحروب فيما بينهم أدت إلى نزوحهم إلى الحلة، ومن ثم صارت زعامة بني خيگان إلى (آل مغشغش).[٢]

٢- الصيامر:

من عشائر المدينة التابعة لقضاء القرنة، وهي عشيرة كبيرة يرأسها الشيخ حسچ بن مبارك، وتعد ملحقة ببني مالك أيام الأثلاث، ولم أستطع أن أرجعها إلى أصل معروف، ولعل في العشيرة من يكشف عن ماضيها، ويظهر من تفرعاتهم أنهم عشائر مختلطة.

---

(١) عشائر العراق، ج٣، ص٣٩.

(٢) ماضي النجف وحاضره، ج٢، ص٢٠١.

قال المرحوم الشيخ محمد حسن حيدر (٢٧ مايس ١٩٣٨م): يقال أنهم من سامراء أو من السومريين، ولم يؤيد تاريخياً، وأعتقد أنهم من صيمرة من الكرد. أو نبزوا بذلك، فعرفوا به، وقال يبلغون نحو أربعين ألفاً، ويتبعون راية الإمارة.

وهؤلاء في منطقة (الجزائر) المحصورة بين الحمّار والشافي على ضفة الفرات، ومواطنهم في جزر، ولذا سموا بـ (الجزائر)، وكلها في أهوار، ونخوتهم (صعبر)، وإنهم عشائر مختلفة تجمعت، والظاهر أن أغلبها من بني مالك، ويعدون عشائر (ناحية المديْنة)، وفرقهم:

١- الإمارة: وهم من ربيعة، ورئيسهم الشيخ حسچ (حسك) آل مبارك. صار نائباً في المجلس عن البصرة، وتوفي فخلفه ولده عامر، ولهم الرئاسة العامة، ويتفرعون إلى:

(١) آل مير أحمد. رئيسهم سرحان بن عفلوك.

(٢) آل مير عثمان. رئيسهم عبود آل حميدي.

(٣) آل مير سلمان، ومنه الرؤساء: الشيخ حسك بن مبارك آل مير سلمان.

(٤) آل مير إبراهيم.

٢- العوابد: من بني مالك. ويتفرعون إلى:

(١) آل علوان. رئيسهم عبد الحبيب الحاج شريف.

(٢) آل سليم. رئيسهم كريم الحاج جواد.

(٣) آل وحيد. رئيسهم معلى بن محيسن.

(٤) آل بدران. رئيسهم حاجي حمود آل سلمان. (يرجعون إلى آل إبراهيم من الغرّاف).

(٥) آل نصيري. رئيسهم فهيد بن شمخي. الظاهر من بني لام.

(٦) السودان. رئيسهم ضيدان آل عاتي. هؤلاء في العمارة قبيلة معروفة من عامر، وهم من كندة.

(٧) آل جدال. رئيسهم ريحان بن حاجي گيطان.

(٨) الجناينة. رئيسهم عبدالله آل محيسن. ثم توفي، والآن ابنه چياد.

(٩) البو غزال. رئيسهم چياد بن سلمان.

(١٠) آل شاهين. رئيسهم شهيب بن أحمد.

(١١) البو شاوي. رئيسهم فيصل ابن الحاج عبود.

(١٢) آل يعقوب. رئيسهم هاشم بن خليف.

(١٣) آل سوّار. رئيسهم عبدالرضا بن شياع.

(١٤) آل فرج. رئيسهم الحاج مهدي ابن الحاج جودة.

(١٥) آل خليفة. رئيسهم داود بن سلمان.

٣- آل علي: رئيسهم يسر بن حسوني، وهم من بني مالك على الأصح، ويتفرعون إلى:

(١) آل حاجي شناوة. رئيسهم دحّام بن فاضل.

(٢) آل عبد. رئيسهم دحّام بن فاضل.

(٣) آل حاجي حمدي. رئيسهم زهيو بن نزال.

(٤) البو حلوة. رئيسهم خليل بن خاچي.

(٥) آل عباس. رئيسهم عبدالزهرة بن حسين.

(٦) البو أحمد. رئيسهم هاشم بن موزان.

٤- أهل الشط، ويتفرعون إلى:

(١) آل گصوان. رئيسهم حميد آل محمد تقي.

(٢) آل سعيد. رئيسهم إبراهيم بن حوشان.

(٣) آل حسين. رئيسهم ناجي بن علي المصارع.

٥- أهل الخاص: رئيسهم حمود الفارس من آل عطوان، وشياع ابن جبر النور.

٦- أهل الهوير، ويتفرعون إلى:

(١) الحجاج. رئيسهم جودة آل بشارة.

(٢) البو سويلم. رئيسهم حسك بن منشد.

٧- أهل نهر صالح. رئيسهم السيد مهدي ابن السيد عبدالمطلب. الرؤساء سادة.

٨- المعدان، ويتفرعون إلى:

(١) بيت مشعل. رئيسهم گويطع بن سرحان.

(٢) بيت روزي. رئيسهم ديوان بن جبر.

(٣) بيت السودة. رئيسهم ساچت بن عبيد.

(٤) العواجي. رئيسهم مزبان بن سنافي.

(٥) البو شبيب. رئيسهم مزبان بن سنافي.

(٦) الحيادر. رئيسهم مروّح بن بطي. وردوا في المجلد السادس من (تاريخ العراق بين احتلالين)، ومنهم في أنحاء الحويزة ومواطن أخرى.

(٧) البزازنة. رئيسهم منجل بن صگبان.

ويلحق بهم:

(١) آل شامي. (٢) المحيات. (٣) الكعينيين.

٣- بير حميد (السعد):

تنسب إلى المكان، ويقال لهم (السعد). رئيسهم الشيخ عبدالواحد المزيد السعد من الرؤساء، ونخوة الرؤساء منهم (سعدة)، ويقولون أنهم من عشيرة مرضعة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم)، والعشيرة نخوتها (ملحان). يسكنون في أطراف القرنة بين دجلة والفرات في ناحية السويب، وكانت عشائر القرنة تابعة لآل سعد في رئاستها العامة.

ومنهم من يعد (بير حميد) من قبائل أخرى غير بني مالك، والظاهر أن الكل مزيج من عشائر متعددة ومختلفة، والأوضاع اقتضت اختلاطهم، وأن ينتسبوا إلى المحل الذي يقيمون فيه، وفقدوا حالاتهم العشائرية بهذا الاختلاط، ونخوتهم (سعدة)، وهي نخوة بني لام، ويتبعهم: (الشرش وبنو مالك وبنو منصور والحوش ومزيرعة)، وفرقهم:

١- السعد. فرقة الرؤساء، ومنهم الشيخ عبدالواحد.

٢- نهر الباشة، وهو نهر صغير يصب بنهر الفرات. رئيسهم السيد معتوق السيد مهدي.

٣- أهل الهوير. رئيسهم عويد بن شهوبي، ومرّ ذكرهم.

٤- بنو مالك. يرأسهم بدن ابن شيخ علي، وقد مرّ ذكره، وملزوم بن تفاگ.

٥- أهل الحالة. رئيسهم شياع بن رزن.

٦- السميلات.

٧- الزيايدة. رئيسهم مدهلي بن منوني.

٨- البو غربة. رئيسهم جعفر بن عداي.

ويعد من السعد الحلاف. في هور السناف.

٤- بنو منصور:

من العشائر الملحقة ببني مالك كما جاء في عشائر البسام، وتضاربت الأقوال فيها. عدّها البعض من السعد من الخزاعل أو من بني خيگان أو من العشائر المتحيرة، ورؤساؤها من ربيعة. رئيسهم لعيبي ابن الحاج وادي، ومواطنهم في أنحاء القرنة على الضفة اليمنى من الفرات من نهر الرحمانية إلى القرنة، وفرقهم:

١- أهل الرحمانية. رئيسهم غيلان الشناوة، ويتبعون عشيرة الحلاف.

٢- أهل الجري. رئيسهم حمود الصيوان. فرقة من الحلاف.

٣- أهل أبي غريب. رئيسهم جابر العودة. من بني منصور.

٤- أهل الحدّة. رئيسهم مسنسل بن دهش. من بني منصور، وهي قرية، وتعتبر كل قرية فخذاً.

٥- أهل الحوش. رئيسهم نمر الجراح. من بني منصور، وهي قرية.

٦- آل جاسم. رئيسهم لعيبي ابن الحاج وادي. من بني منصور.

٧- مزرعة. رئيسهم مري الرحم. (ليسوا منهم).

٨- النعيّم. رئيسهم شنيد الحاج براك. (ليسوا منهم).

٥- عشيرة الحلاف:

نخوتهم (ملحان)، وهي عشيرة قديمة العهد من عشائر القرنة. رئيسها الحاج حسين الميرطة، والآن أبو الهيل ابنه، ويدعون أنهم من ربيعة، وفرقهم:

١- البو كتايب. رئيسهم الحاج حسين الميرطة.

٢- الجنزي. رئيسهم يوسف العلي.

٣- أهل التمار. رئيسهم دهر الوحيد.

٤- باهلة. رئيسهم ماهود آل عنيسي.

٦- أهل الشرش:

كان الشرش ناحية، والآن يعد تابعاً لناحية السويب، وأهل الشرش نخوتهم العامة (ملحان)، وفرقهم مختلفة وهم أحلاف، ونسبتهم إلى المكان. رئيسهم حسين الفضل، وهم يدعون أنهم من ربيعة، ومواطنهم أنحاء القرنة، وفي تقسيم المنتفق يعدّون من (بني مالك)، ومنهم من يعدّهم من السعد، وفرقهم:

١- الحمداوي. من آل إبراهيم. نخوتهم (إخوة علية)، ورئيسهم مهلهل ابن حاچم.

٢- الصويلح. من الحلاف من بني حطيط. نخوتهم إخوة علية، ورئيسهم حسين الفضل.

٣- الكريّم. نخوتهم أولاد صالح. رئيسهم صيهود ركين.

٤- آل الحاج ناصر. من أهالي الحويزة (سواري). رئيسهم عاتي بن طاهر، ونخوتهم (إخوة شيخة).

٥- آل شاهين. من آل إبراهيم من آل مصدّگ من آل شبيث. رئيسهم طعمة الحاج فارس، ونخوتهم (إخوة شيخة).

٦- البو يزيد. رئيسهم ابن عساچر.

٧- بنو طوگ. رئيسهم ابن عرموش.

٨- البذار.

٩- الثور.

١٠- السكران.

٧- أهالي الجلعة:

رئيسهم چياد المعارچ وتوفي، ونخوتهم (ملحان)، فهم من ربيعة، وفروعهم:

(١) المعارچ. من بيت سعد من الدورق.

(٢) العبود. من البو سوف من الدورق.

(٣) الحبيش. من البو سوف.

(٤) الحسون. من الحلاف من البو كتايب.

٨- أهالي الشلهة:

رئيسهم مجيد الحسن، والحاج ناصر بن حسين الحسن، وهو والد المحامي الاستاذ فارس الحاج ناصر. نخوتهم جميعاً (إخوة حولة)، وهم على شط العرب، وهم من الحلاف، وفرقهم:

١- الكشوش. من الدّبات في الغرّاف.

٢- الحسن. من الحلاف من أهل جنزي.

٣- آل جبارة. من الحلاف من أهل جنزي.

٤- البو أسيود.

٥- المسعود.

٩- عشائر السويب:

ناحية كبيرة من نواحي القرنة، وهذه أكبر ناحية بين نواحي العراق، وكانت عدة نواح، وعشائرهم كثيرة ومختلطة، ورئيسها العام الشيخ عبدالهادي السويچت، وغالبهم يمتون إلى بني مالك.

١- الميّاح: هم ربيعة، ونخوتهم (أولاد سالم). رئيسهم چياد العبدالله، وهم أفخاذ عديدة، وأكثرهم عبودة.

٢- البو بصيري.

٣- الحوافظ.

٤- البو چنعان.

٥- أهالي أبو غرب. رئيسهم خليف السبهان.

٦- أهالي النشوة. رئيسهم ثامر السويچت، ويعدون من الحلاف، وكانت النشوة ناحية من نواحي القرنة.

١٠- عشائر مزيرعة:

رئيسهم خير الله. في أنحاء القرنة، ويدعون أنهم من عشائر ربيعة، ومنهم من يعدهم من السعد.

وهذه العشائر متداخلة ومختلطة جداً. ذكرناها بالنظر لمناطقها، فاقتضت الإشارة إلى ذلك.

بنو سعيد

من العشائر الكبيرة والمهمة في المنتفق، يعدون الثلث من أقسامها. تفرقوا بعد انحلال الإمارة، ونخوتهم (المنابيه) أو (المنابهة)، والآن لكل فرقة رئيس مستقل، فزالت السيطرة العامة، ومنهم قسم كبير في لواء العمارة اقتطعوا من المنتفق مع ما اقتطع من عشائر مثل آل أزيرق (الأزيرج).

تحرينا كثيراً، فلم نجد طريق صلتهم بالمنتفق، والشهرة العامة تعلن أنهم أهل الثلث من المنتفق، وتجمعهم بالمنتفق القربى أو السكنى، ولا نزال في ترقب الصلة. إذ لم نعرف سلسلة الأجداد، وورد ذكر بني سعيد في (سياحتنامه حدود)، وعد من عشائرها نفس بني سعيد، والمعيوف، وآل شمسي، والعيسى، والبزّون، والمريّان، والبراغيث، والبو طويل، والفهد، والدريّع، والغشيم، والأبهج (لابهي)، والوبران، والجميلة، ولم يذكر صاحب جريدة المنتفق بعضها، وزاد الشيخ زامل المناع: (آل مرعي، وآل مشبچ)، وبيّن أن بني سعيد يسكنون الغموگة والدواية في بزايز الغرّاف، وأن لكل فرقة نخوة، والرئاسة لأبي حمرة من آل معيوف من فرقهم.

دوّنا ما وصل إلينا، والأمل أن تتعاون الجهود ليضم ما نجد من المعرفة المفرقة، وبذلك يتم المراد ويثبت الصواب من الآراء المسموعة التي توضح الحالة المعززة بما هو الصحيح.

رجعنا إلى مؤلفات عديدة، واستطلعنا آراء أكابر العارفين، فلم نحصل على المراد من اتصال عشائرهم بعضها ببعض، وغالب هذه العشائر تفرعت حديثاً أو تباعدت عن أصل المنتفق لقدم العهد، كما أنها اختلطت بغيرها للأسباب المارة في بني مالك،

ويصعب جداً أن نصل من طريق التاريخ إلى أصول ما امتزج بهم، والمسموع مضطرب كثيراً، فلم يكن لنا بدّ من تدوين ما سمعنا، وأن نترقب وجه الصواب فيما يجلو أكثر.

ولا يبعد أن تكون نفس عشيرة بني سعيد تولت الرئاسة، وهم رؤساء على الثلث أو صاروا كذلك، والباقون من عشائرهم التابعة لهم، وإلا فإن محفوظات بعض العشائر تدل على أنهم ليسوا منهم، فهم أشبه ببني مالك في اختلاط عشائرهم، والرئاسة في عشيرة أو بيت أو أن فرقهم وعشائرهم الأخرى لا يشترط أن تكون من بني سعيد.

علمنا أنهم يتكوّنون من مجموعات منها تسكن بكثرة في الغموگة والدواية، ومنها في (گرمة بني سعيد) وهم في قلة، ومنها في لواء العمارة، كما أنهم منتشرون في أنحاء أخرى، وفي بغداد (محلة بني سعيد) كانوا فيها، واليوم لا تعرف لهم بقايا.

وفي غموگة والدواية وما جاورهما بكثرة، ويتفرعون إلى:

١- آل معيوف. وهم الرؤساء. منهم أبو حمرة.

٢- آل عامر. رئيسهم نايف آل مشّاي، وتوفي وخلفه ابنه.

٣- آل عمير.

٤- آل غشيم. رئيسهم جاسم بن محمد آل مغامس، ومنهم آل مشبج، ورئيسهم حامد بن فجر، وفيهم بطن من كنانة.

٥- آل مرعي. من بطون آل معيوف.

وهذه فرقهم الأصلية. تولوا رئاسة الثلث في قديم العهد، ورئاستهم العامة اليوم يتنازعها آل مشاي وآل فجر.

وبنو سعيد في الگرمة: وهي گرمة بني سعيد. رئيسهم مطرب آل الحاج طاهر آل حسين، وجاء التفصيل عنهم في (إحصاء سنة ١٩٤٧م ج ٣)، ويتفرعون إلى:

١- آل رديني. رئيسهم عبدالكاظم الحاج فهد. ٢- البو معافى. ٣- الإخبارية. ٤- القرية. ٥- الغضابنة. الرؤساء.

وعشائرهم في المنتفق:

١- آل فهد في الحي والكوت. نخوتهم الخاصة (مهيوبة)، ورئيسهم حرّان.

٢- البو طويل. في الغموگة والدواية.

٣- الدريع. في الحي والكوت. نخوتهم (رشدة)، ورئيسهم عبيد العليوي.

٤- الغشيم. مروا.

٥- آل عيسى. في أنحاء العمارة.

٦- آل بزون. في أنحاء العمارة.

٧- آل مريان.[1]

عشائر بني سعيد (في لواء العمارة):

١- العيسى:

من عشائر بني سعيد المهمة، ويعدّون أنفسهم من (العيسى) في لواء الدليم، وهم في الأصل من طيء، وكانوا في بني سعيد، فاقتطعوا منهم.

وجاء في محفوظات العشيرة، كما في موجز تاريخ عشائر العمارة أنه ارتحل ثلاثة إخوة من عشيرة العيسى، وهم سرداح وأخواه، وسكنوا (هور الدخن) قبل نحو أربعمائة

(١) ماضي النجف وحاضره، ج٢، ص١٩٣، ومثله المنقول عن الشيخ زامل المناع وسياحتنامه حدود وجريدة المنتفق.

سنة (كذا)، وقتلت عشيرة بني حسن أحد الإخوة بسبب مشاجرة حصلت بينه وبين صهره من تلك العشيرة، فبقي أحدهما سرداح والأخ الآخر جد آل عيسى.

أما سرداح فإنه نزح على أثر قتل أخيه، وسكن المنتفق مع خفاجة، وبقي مع ذريته نحو مائة سنة، فأمر الشيخ ثويني أمير المنتفق بنفي ذرّية سرداح، فاستجاروا بـ (المحيسني) رئيس عشيرة بني سعيد، وأصبحوا من ضمن هذه العشيرة، وكان يسمى هؤلاء جميعاً بـ (آل عيسى) وبـ (السّرادحة)، ولا يزالون كذلك. ثم اشتق منهم (آل بزون) كما يأتي.

وأما آل عيسى فبقوا محافظين على تسميتهم، والحوادث المحفوظة لا يعوّل عليها إلا أنها لما لم يكن لها مزاحم، فلا مندوحة من بيانها، ولعل اتفاق الاسم ساق إلى هذا، ونحن نحتفظ به كمسموع، والشائع أنهم من بني سعيد، واتصالاتهم بـ (آل مريان) وبـ (الأزيرج)، و(البو دراج)، و(بني مالك) بعلاقات حربية، وصلات مجاورة وسكنى، ومن رؤسائهم الشيخ نعمة الفدعم. والشيخ سكر (ابنه)، ويتفرع آل عيسى إلى:

١- آل دبين. وفروعهم:

(١) بيت فدعم. (٢) آل عبدالله. (٣) الزين. (٤) آل جديس. (٥) البراغيث: عدهم صاحب (سياحتنامه حدود) عشيرة على حدة بين عشائر بني سعيد. (٦) السعد.

٢- آل حمدان، وفروعهم:

(١) الزغلف. (٢) نفس الحمدان. (٣) النصار. (٤) الفليحات. (٥) آل چامل.

٣- الجبارات، وفروعهم:

(١) الخزيعل. (٢) السهول. (٣) الشريف. (٤) الجبارات.

٢- البزّون:

هذه العشيرة مشتقة من آل عيسى، وكانت تعيش معها، وآل بزوّن سميت باسم جد لها من العيسى اسمه (بزّون)[١] بن خليفة بن عثمان ابن محمد بن صگر بن سرداح، وسرداح هذا أول من نزح مع أخويه، وآل بزون يعدون عشيرة مستقلة. استقلت بتسميتها، وتعتبر من عشائر بني سعيد، ونخوتها (منابهة)، وذكر في (موجز عشائر العمارة) عمود نسبها ووقائعها مع آل أزيرج في الأيام الأخيرة معروفة.

ويسكنون الجزيرة بجوار آل أزيرج، والرؤساء في (المجر الصغير) المعروف اليوم بـ (الميمونة) في لواء العمارة، ونخوتهم الخاصة (سعدة).

علمت ذلك من أحد شيوخ آل أزيرج (أزيرق) الشيخ مطلق في ١٤- ٥- ١٩٣٩م، وتوفي قبل مدة قريبة، ولما سألته عما وقع من نزاع قال: (خرجوا منا، ولم يعودوا، فلم يبق ما يستحق النزاع)، والظاهر أنهم مالوا إلى قومهم، فاعتزوا بهم. ثم وقع ما وقع مما لا نرى حاجة في إعادة ذكراه.

ومن رؤسائهم نايف أبو عوجة وثجيل. ويتفرعون إلى:

١- آل خليفة. وأفخاذهم:

(١) آل عليوي. رئيسهم إسماعيل الجبارة. (٢) آل مگصود. (٣) المناتشة. (٤) الخليفة. (٥) بيت محمد، ومنه الرؤساء.

٢- آل بري. ويتفرعون إلى:

(١) السعيد.

---

(١) في الأصل (بزون) بتشديد الزاي الهر، والبزونة الهرة. ويقال له (البس) ولأنثاه البسة، وفي الحجاز والربوع الشامية ويعرف باسم (البسين) أيضاً، ويدعى (بس، بس)، وعندنا (بش، بش)، ويزجر بلفظ (بست)، وعندنا بلفظ (بشت)، ولعل التسمية من صوت استدعائه أو من بسين، ومنها (البزّون)، وسمي به الرجل، وهو رأس الفرقة (البزّون). (كتاب رد العامي على الفصيح) ص٢٥، وعامية العراق.

(٢) الزعيطر.

(٣) السويد.

(٤) التومان، ومن هؤلاء قسم بالچبايش يقال لهم (آل حمودي)، ومنهم في النجف، والباقي مع (آل بزون).

٣- آل مريان:

أصلهم من (الندى)، فمالوا إلى بني سعيد. قال في (موجز تاريخ عشائر العمارة): أنه حوالي سنة ١١١٣هـ ترك كل من (مريان) الذي تسمت به العشيرة، وسلمان، ابني جميل بن صعب بن شمردل بن منصور (عشيرة الندى) الساكنة في شمال مندلى (بندنيج) أو (بندنيجين)، فسكن أحدهما (سلمان) مع بني لام في أراضي علي الغربي، ومنه تكونت عشيرة (البو ندى)، وأما مريان فإنه عبر نهر دجلة، والتحق بعشيرة (آل عيسى). ثم حصلت بعض الحوادث، فأدت إلى الافتراق مرة، والاتفاق أخرى، وكانوا في غالب وقائعهم مع آل عيسى وآل بزون على العشائر الأخرى إلا قليلاً.

والملحوظ أن (بني جميل) عشيرة مستقلة من العشائر العدنانية، فلا تعد من (الندى)، إلا أن تكون قد أصابتها جائحة، فمالت إليها. ثم صارت إلى بني لام.

ويتفرعون إلى:

١- آل نخش، ومنه الرؤساء.

٢- آل عواد.

٣- آل صافي.

٤- بيت شويخ.

٥- الصليح.

٦ البو طويل، وهؤلاء يعدون عشيرة من بني سعيد على حدة.

ويلحق بهم:

١- النويصرات. من ربيعة. ٢- التفاگ. من الجميلة. ٣- البو خنيفس.

وعمود نسبهم في (موجز تاريخ عشائر العمارة).[1]

من هذا كله نعلم أن عشائر بني سعيد لم تكن كلها منها، وإنما هي مختلطة بغيرها لطول السكنى، والرئاسة العامة لبني سعيد، مما أدى إلى أن تعد هذه العشائر منها، والآن زالت سلطتها، وصار لكل عشيرة رئيسها.

---

(١) ص٥٨.

الأجود

أصلهم من بني عقيل إخوة المنتفق أو أبناء عمومتهم، وكانت الأحساء بيدهم في أوائل المائة التاسعة، وهؤلاء منهم توطنوا المنتفق. ثم توالى ورودهم، وأجود بن زامل العقيلي الجبري العامري القيسي جدهم أول من ملك الاحساء. أخذها من الجراونة (القرامطة) في شهر رمضان سنة ٨٢١هـ (١٤١٨م)، ودام حكمهم إلى تمام الألف. ثم حكمها الترك، وبعدهم (آل حميد) من بني خالد، وبعدهم آل سعود، وهكذا تداولتها الأيدي، وحوادثهم في (تاريخ العراق بين احتلالين).

يسكنون في نطاق واسع من لواء المنتفق، ويعدون ثلث عشائر المنتفق، وهم الآن بين الدراجي في حدود السماوة وبين كوت معمر (قرب سوق الشيوخ) في جانبي الفرات، وفي الغرّاف من نهر جسام إلى الحصونة في بزاير الغرّاف شرقي البدعة، وإلى الناصرية.

وبينهم من لا يمت اليهم بصلة نسبية أو قربى قريبة، وشاع اطلاق الأجود على أهل الثلث منهم، ونخوتهم (يتيم)، ورئيسهم الشيخ زامل المنّاع[١]، ونخوتهم الخاصة (إخوة منصور)، وكانت الرئاسة قديمة فيهم.[٢]

وبنو عامر الذين ينتسب اليهم الرئيس بطن من عامر بن صعصعة بن هوازن العدنانية، وهم بنو عامر بن عوف بن مالك بن سعد. ذكرهم ابن خلدون في (العبر)، ولم يصل نسبهم بعامر بن صعصعة. ثم قال: وهم إخوة المنتفق، ومسكنهم بجهات

(١) توفي إلى رحمة ربه في تموز سنة ١٩٥٢م، ودفن في الزبير.

(٢) عنوان المجد، ج١، ص٢٢ و٦٥، والضوء اللامع، ج١، ص١٩٠، وتاريخ العراق بين احتلالين، ج٥، ورد ذكر رئيسهم الشيخ تركي شيخ الأجود.

البصرة، وملكوا البحرين بعد بني أبي الحسين.

قال ابن سعيد: وملكوا أرض اليمامة من بني كلاب، وكان ملكهم في نحو الخمسين من المائة السابعة. ملكها منهم عصفور وبنوه، ومن آل عامر هؤلاء (عقيل)، ولا عبرة بقول الحمداني في أنهم غير عامر بن صعصعة، وغير عامر المنتفق، بل هم من عامر بن صعصعة.[1]

إن الشيخ زامل المناع رئيسهم قد بيّن لي أنهم من ذرية عامر بن صعصعة، وأنهم كانوا أمراء نجد والاحساء.

الرئاسة في الأجود:

١- آل مناع:

(١) العبيد، والرئيس منهم. (٢) الرومي. (٣) الخليف. (٤) الصبيحة. رئيسهم برغش بن چاسب.

ومن فروعهم:

(١) الدوشان. (٢) آل محمد. (٣) آل علي.

قال لي الأستاذ محمد حسن حيدر: أن الصبيخة وآل خليف من أقارب آل وثان، وقرباهم إليهم، وإن المرحوم الشيخ محمد حسن حيدر ذكر لي أنه وأخاه الشيخ محمد جعفر ابنا الشيخ باقر، وكان عالماً مات في الجهاد، ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد علي ابن الشيخ حيدر ابن الشيخ خليفة ابن الشيخ كرم الله ابن الشيخ دنانة ابن حنكور بن غانم بن وثال (وينطق به وثان أيضاً). بيّنه لي كما ذكره له أخوه في كتاب كتبه إليه. هذا ما علمته منه في ٣٠ نيسان سنة ١٩٣٨م.

---

(١) نهاية الأرب، ص٢٦٩، وصبح الأعشى، ج٧، ص٣٧١، وفيه رسم المكاتبة إلى كبرائهم.

ومن هؤلاء الفروع: عبيد ورومي، أخوان، ابنا مهنا بن علي بن سيف ابن محمد بن جبر بن منصور (وهذا له أخ اسمه ناصر مات بلا عقب، ونخوتهم (إخوة ناصر) نشأت منه) ابن منيع (وبه سمي المنّاع[1] فخذ الرؤساء)، وكان هذا حاكماً في الأحساء والقطيف ونجد، فكان آخر أمرائهم، وهو الذي انحدر إلى العراق، وسكن الشامية بعشائره (الأجود) ابن سالم بن زامل بن سيف بن أجود بن زامل العامري الجبري القيسي من قيس عيلان، ومن ذرية عامر بن صعصعة.

ومن الشيخ زامل المنّاع رئيسهم علمت الكثير من عشائر المنتفق، وهو شيخ جليل طاعن في السن. صادق اللهجة، معروف بالصلاح، وعمدة فيما يحكي وينقل، وكان لا يترك الصلاة، وصار نائباً لسنين عديدة، والمهم أن المناع (منهى) لكافة عشائر المنتفق، وكان الشيخ عبدالكريم منهم يتحاشى أن يقضي حسب عرف العشائر لاعتقاده بمخالفته للشرع الشريف.

ويلحق بفروع المناع:

(١) أهل الكوت. رئيسهم چويد البادي.

(١) المنّاع أصلها جمع منيع (منّاع)، فصار الكل يطلق عليهم آل مناع، وتنطق بفتح الميم.

عشائر الأجود

وهذه كانت الرئاسة عليها عامة، لا باعتبارها تمت إلى أصل واحد، ويصعب تعيين العشائر الأصلية من الأجود، وهي: (غزية، والجوارين، والزهيرية، والعصوم، والخليف، والمارد، والصبيخة، وخفاجة، والبدور، والشريفات)، وهذه لا يصح أن تعد من الأجود إلا في تقسيمات الثلث، والباقي تعتبر منضمة، ويأتي ذكرها.

ولما زالت الإمارة لم يبق محل للرئاسة العامة بالوجه المبين سابقاً، إلا أننا في تقسيم مطالب العشائر راعينا ترتيب الأقسام الإدارية للإمارة توزيعاً للمباحث.

١- غَزية:

قال الحمداني: وهم بالشام والعراق والحجاز، وفيما بين العراق والحجاز، ومنهم الإمارة في العراق إلى الآن، ولهم صولة عظيمة، وهم بطون كثيرة.[١]

وكانت غزية قديمة العهد في العراق[٢]. منتشرة بين نجد والأحساء والسواد وخفاجة منهم، وعبادة كانوا قبلاً في مواطنهم اليوم، وهم بين سعة وضيق، وإقبال وإدبار حتى جاءت (إمارة المنتفق). ثم جاء الأجود، وهم من غزية أو هوازن، وكل ما يصح استنتاجه أن سلطة المنتفق كانت ممتدة إلى الاحساء، مع الاحتفاظ بمكانها في العراق حتى أزالهم من الاحساء آل عريعر من بني خالد.

(١) صبح الأعشى، ج١، ص٣٢٣.

(٢) ابن كثير، ج١٢، ص١٩١. حوادث سنة ٥١٦هـ.

والأجود على ما جاء في صبح الاعشى ومثله في النويري: بطن من غزية، وكانوا مع غزية ببرية الحجاز[1]، والأجود كانوا رؤساء غزية. حكموا الأحساء قبل آل عريعر، والآن تغلب اسم الأجود على ثلث المنتفق، ومن عشائرهم الأصلية غزية. و(عشائرها):

(١) الحميد. (٢) الرفيع. (٣) البعيج. (٤) ساعدة.

وغزية اليوم كل عشيرة منها مستقلة باسمها.

قال الشاعر:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد[2]

وأصل غزية على ما جاء في نهاية الارب: «بطن من هوازن من العدنانية، وهم بنو غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوزان». اه.

وهذا يخالف ما ذكره ابن خلدون، وإبراهيم فصيح الحيدري، ففي ابن خلدون: (إن غزية من طيء الذين لهم الكثرة والإمارة بالعراق لهذا العهد). (لأيامه)، وقال: (حلّوا في عين التمر في برية العراق على ثلاث مراحل من الأنبار. ورثوا بلاد عنزة وجديلة ابنا أسد، فعنزة بلادهم عين التمر. ثم انتقلوا عنها إلى جهات خيبر)[3]، واليوم مالوا إلى العراق، فهم من عشائره الكبيرة.

والملحوظ أن صاحب العبر ومثله الحيدري التبس عليهما (غزي) بغزية، والحال أن غزي من بني لام من طيء، وغزية من العدنانية، وقال في العبر: (ومنازل غزية مع قومهم بالسروات من تهامة ونجد)، ومن بطونهم:

١- الأجود. ٢- آل دعيج. ٣- آل سرية. ٤- أولاد الكافرة. ٥- البطنين.

---

(١) نهاية الأرب للنويري، ص٧٧ و٨٤، وجاء ذكرهم في مسالك الأبصار مفصلاً.

(٢) بيت مشهور لدريد بن الصمة. (مشرف الخزانة)

(٣) العبر، ج٢، ص٣٠٠.

ومنهم آل مسعود». اه.[1]

وجاء في أنساب السمعاني: «قبيلة كثيرة العدد، والنسبة إليها (غزوي). قال لي أبو زيد الخفاجي: في بادية السماوة نحن أكثر جملاً وفرساناً، وغزية عدداً ورجالاً، وعبادة أكثر جمالاً وبعراناً». اه.[2]

وفي هذا النص ما يعيّن قدم سكناهم في العراق، وطول مكثهم فيه، بحيث صاروا لا ينفكون عنه. أو توالي ورودهم.

والآن تشمل غزية من ذكرت. لم ينقطعوا عن العراق، وإنما يتجولون في بواديه ويميلون إليه، أو يمضون إلى نجد في منطقة واسعة بينه وبين العراق. لا يبعد عليهم موطن، ونفوذهم ممتد.

والأجود لا يزالون معروفين، وكذا البعيج، والآن منهم (آل حميد) و(الرفيع)، إلا أن البعيج لا يعدون في ثلث الأجود، وإن كانوا من غزية، والبطنين من عشائر الضفير.

١- آل حميد: ذكرتهم في المجلد الثالث، ومن لهم علاقة بهم.

٢- الرفيع: من غزية، ومنهم من يقول: أنهم من عنزة، ويبلغون نحو خمسمائة بيت أو أكثر، ورؤسائهم آل فضل من عنزة، ونخوتهم (حسيّة) و(خيّال البهكَة رفيعي) أو (خيّال البويضة رفيعي)، ويضرب المثل بـ (حصان الرفيعي) يقال أنه كثير الصهيل ورفع الشليل، وليس له قدرة على الشبوة (الشبا).

قال البسام: «الرفيع ذوو الإبل النجاب، والخيل العراب، والمن الوافر بلا حساب، وقناتهم لا تلوى، ومحامدهم شائعة، ومواهبهم ذائعة. عددهم ثلاثمائة فارس وأربعمائة

(١) نهاية الأرب، ص٨٦ و٩٠ و١٠٠ و٣١٤.

(٢) أنساب السمعاني، ص٤٠٥.

راجل ممارس، لا ينقلون البنادق». اه.

وبيت النقيب في النجف ينسبون إلى الرفيع، فيقال لهم (آل الرفيعي) من جهة أن السيد محمد جدهم مرض، فذهب إلى هذه العشيرة، فعرف بها، وهو ابن السيد محمود ابن السيد حسين ابن السيد عماد، وصار أخلافه يقال لهم (آل الرفيعي)، ومنهم الأستاذ السيد حسن النقيب، والسيد عباس سادن الحضرة في النجف.

وعشيرة الرفيع تتفرع إلى:

١- الحسيّة. رئيسهم فرهود بن موسى بن زعير الفارس، وفروعهم:

(١) آل فضل. الرؤساء.

(٢) آل تلعة. رئيسهم ابن حطحوط.

(٣) اللبّان. رئيسهم ابن عگل.

(٤) آل علي.

٢- آل شرية. يرأسهم عبدالله الفريج، وابن ملاچ.

٣- آل نافع.

٤- الشواريج. رئيسهم ابن فلاح.

٥- الثوير. رئيسهم ابن حنيطان.

٦- البو يزيد. رئيسهم ابن عساچر.

٧- بنو طوگ. رئيسهم ابن عرموش.

٨- البزار.

٩- السكران.

٣- البعيج: هؤلاء من الدعيج، ويمتون بقربى إلى الأجود، ومنهم من يقول: أصلهم من عنزة من الفدعان أولاد بعيج بن دعيج بن گشير بن وائل، ومنهم من يعزوهم إلى عشائر زبيد، وأنهم يرجعون إلى الجحيش، وآخرون يقولون أنهم آل سويد من عنزة، ولعل اختلاط الفروع أدى إلى هذه التقولات، ولم يفرق بين هذه الفروع ليصح أن ينسب كل منها إلى ما عرف من فخذ وعشيرة، ولم تكن لهم اليوم صلة بعشائر الأجود.

يقيمون في النيل من الحلة صيفاً، وفي الشامية وفي أنحاء شثاثة (شفاثا) وما جاورها شتاءً، ونخوتهم (دعي) أي (دعيج)، وشاهدت رئيسهم عبدالعزيز بن نمش بن سلطان بن عزيز بن سلطان بن ظاهر بن عثمان، ومنه أخذت المعلومات، والمعروف عن المجاورين أن البعيج أولاد محمد، والرفيع والحميد أولاد حمدان، وهما إخوة، ويرجعان إلى عنزة، ولكن الرفيع والحميد سكنوا المنتفق، فعدوا منهم أو من أحلافهم، ولا صلة للرفيع بـ (آل حميد).

قال البسام: «البعيج، ومنزلهم من الخزاعل إلى المشهد (النجف)، وهؤلاء أقوم الناس إلى طريقة الجود، وإغاثة المنجود، وأسرع إلى داعي القتال، من دفع القوس للنبال. خيرهم متصل، وشرهم منفصل، ورماتهم لا تخطي، وجفناتهم لا تبطي. نجدة الظلامات، وجذوة الظلمات، وعمدة الكرامات. تخشاهم الهيجاء، وتقصدهم العلياء، ذوو طباع لينة، ومحامد بينة. أما فرسانهم فثمانمائة، وسقمانهم ألفان. أموالهم الإبل النجاب. ليس البقر والغنم لهم بباب».[1]

وفرقهم:

١- الشيحان: يدعون أنهم من الشحمان. رئيسهم عبدالعزيز النمش، وفروعهم:

(١) آل عزيز. الرؤساء، ومن رؤسائهم ماجد. توفي.

---

(١) الدرر المفاخر في العرب الأواخر.

(٢) آل سرداح. رئيسهم ابن غاوي السعيدان، وبنته تزوجها مزهر السمرمد رئيس زبيد.

(٣) آل عثمان.

(٤) آل گايم. الرؤساء. رئيسهم ابن خطار الگايم، ولهم الرئاسة على عشائر كثيرة، فهم يتنازعون السلطة مع آل عزيز أو يتوزعونها.

(٥) آل شبيب.

(٦) آل ناصر.

٢- آل سويد: رئيسهم عباس آل طريف، ونخوتهم (مهيوب)، ويقال أنهم يرجعون إلى (البو سلطان)، والصحيح أنهم من عنزة كما قال لي رئيسهم، وفروعهم:

(١) آل طريف. (٢) المحلف. (٣) الدرّوع.

٣- الحراگصة: رئيسهم كردي بن نيف، وهم أكثر الفرق. يسكنون قريباً من الديوانية وفي الدغارة. رئيسهم حمود المحيسن، وفي المنتفق وفروعهم:

(١) آل ميمون. (٢) البو حسين. (٣) آل وهب.

٤- الزملات: رئيسهم ابن خطّار آل گايم:

(١) آل فاضل. (الفواضل). (٢) آل سلطان. (٣) العرفجة، وتلفظ محلياً (العرفية) بقلب الجيم ياء.

٥- النجيد: رئيسهم شعلان السعيدان.

٦- العرام: رئيسهم فلاك الكيشون. يسكنون قرب المحاويل.

٧- العصيب: رئيسهم شعلان الدمّاغ.

٨- البديّان.

ولم تتبيّن لي صلة فروعهم.

ويجاورهم في أطراف الكفل: بنو حسن، والفتلة، والعوابد، وفي شرقيّهم الخزاعل. وأما في الشامية فيجاورهم: غنامة بني حسن، والغزالات، والشبل، وآل زياد، والظوالم، والچبيشة في السماوة، والعياش، وبنو زريج، والجبور.

وتغلب عليهم البداوة، وهم أصحاب إبل، ولم يتعهدوا الزراعة، وصفاتهم بدوية في الأكثر، ومن الأمثال عندهم: (مع شينة گوات عينه -عاجر وتناجر).

والفصل عندهم ٧٥٠ شامياً أو ٧٥٠ روبية، وبقدرها من الدنانير بدل النساء الاثنتين، وإذا قتل أحدهم واحداً من الإمارة أو من عشائر ربيعة أدوا ١٢ امرأة، ويؤدى عن المرأة ٧٥ نعجة، والخيار في هذه لولي المقتول، ولم يكن فصل بينهم وبين بني لام، والغالب يتماوتون، وأما بينهم وبين زبيد فكما يقول المثل: (صاية وراية) أو بالتعبير الأصح ٨٥ مجيدياً.

٤- ساعدة: من غزية تسكن الغرّاف، وتتنقل بين ناحية البو صالح وقضاء الشطرة والرفاعي. مهنتهم نقل الحبوب على الإبل من موطن إلى آخر، وحالتهم في ضعف، واختلف في أصلهم، فمنهم من يقول من شمر، والمشهور أنهم من غزية، وهو الصواب على ما جاء في مسالك الأبصار.

٢- خفاجة:

١- خفاجة في الأجود: وهذه من العشائر القديمة، وأعتقد أنهم كانوا في العراق قبل الأجود بكثير من الزمن، والسلطة صارت إلى المنتفق، فصاروا يعدون في عداد

الأجود، ولها مكانة رفيعة بين العشائر، وبيدها سلطة واسعة. قسم كبير منها في شطرة المنتفق في أراضي الدجّة بين الناصرية والشطرة، ومنهم في كربلاء وبغداد وديالى، ولا نعلم تاريخ ورودهم بالضبط. والظاهر أنه أيام الفتح الإسلامي أو بعده.

وخفاجة اسم امرأة لها أولاد كثر، وكانوا يسكنون بنواحي الكوفة، ومنهم أبو أربد الخفاجي في برية السماوة، وكان يقول: (يركب منّا على الخيل أكثر من ثلاثين ألف فارس سوى الركبان والمشاة). لقيت منهم جماعة كثيرة وصحبتهم، والمشهور بالانتساب اليهم الشاعر أبو سعيد الخفاجي. كان يسكن بلدة حلب، وشعره مما يدخل الأذن بغير إذن.[١]

وخفاجة من بطون الخلعاء من قبائل بني عقيل من كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ومن خفاجة توبة صاحب ليلى الأخيلية، وأما ليلى الأخيلية فهي من عبادة[٢]، فهي من العشائر العدنانية، وأقرب إلى الأجود.

ومن اتصالهم بعقيل وبعامر بن صعصعة يعرف مكان القرابة، ويعدون أسرة واحدة أو عشيرة، والتسميات كانت أشبه بالأفخاذ، فاستقلت فصارت عشيرة، وتكاثرهم فصلهم بعضهم عن بعض، واستقلوا بأسمائهم الخاصة بهم.

وكانت لهم الزعامة مدة، والمكانة التي لا تنكر. لا توازيهم في قوتهم عشيرة، وفي أوائل أيام المغول كان الحاكم بأمر الله العباسي قد اختفى عن المغول ونجا. ثم خرج من بغداد وفي صحبته جماعة، فقصد أمير خفاجة حسين بن فلاح، فأقام عنده ثم مضى إلى دمشق[٣]، وقال ابن بطوطة: (كانت السلطة بيدها في أنحاء الكوفة وما والاها[٤]. ثم تحولت القوة إلى ضعف، وأصابها تشتت، وأسباب ذلك كثيرة، وأهمها عوادي الطبيعة،

---

(١) الأنساب للسمعاني. وجاء ذكرهم في كتاب بني خفاجة، ج١، ص٥٤. ٦٨.

(٢) الاشتقاق في الأنساب، ص١٨١ و١٨٢.

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين، ج١، وج٢.

(٤) تحفة النظار، ج١، ص١٠٨ و١٣١.

والعدوان بين العشائر أو بينهم أنفسهم، فلا نرى عشيرة إلا تغيرت.

واليوم فقدت كثيراً من مكانها، وصارت تعد من عشائر الأجود، فتحولت السلطة، ولا مانع من ذلك، والأجود وخفاجة من جد واحد. تناوبوا الرئاسة، وتوالوا عليها، ونحاول عبثاً أن نجد مدوناتهم التاريخية متصلة، ونخوتهم (عامر)، ودخلت في عدادهم عشائر كثيرة مثل عبودة والطوينات، واستقيت المعلومات عن هذه العشيرة من الشيخين زامل المناع وخيون العبيد، ومن آخرين، وفرقهم:

١- آل عبدالسيد. يسكنون في الشطرة، والرئيس العام صگبان آل علي بن فضل.

٢- العلوي. يرأسهم فرهود آل محمد آل شجان، وعبدالعالي آل مزعل، وفروعهم:

(١) الطربوش. وكانت الرئاسة القديمة فيهم على ما هو المحفوظ.

(٢) الشجان. رئيسهم فرهود آل محمد آل شجان.

(٣) آل شلوك. رئيسهم جرن آل حسن.

(٤) آل خنجر. رئيسهم كسار آل محسن من آل علوي.

(٥) الزيادات (تبع للطربوش). رئيسهم كاظم آل فهد من آل علوي.

٣- آل سعيد. رئيسهم عباس بن طعمة آل عبدالله، وتوفي وخلفه ابنه، وفروعهم:

(١) آل عويّد. رئيسهم عباس آل حتيتة. (٢) آل روضان. الرؤساء.

٤- آل عصيدة. رئيسهم شياع الدحّام.

٥- المشاخيل. رئيسهم راس الجرن.

٦- البو شهاب. رئيسهم طلب آل مطلگ.

٧- آل شمخي. رئيسهم حسين آل نعيمة.

٨- الطلاحبة. رئيسهم شطب آل منهل.

٩- آل سالم. رئيسهم خضر بن محسن.

١٠- الثريميون. رئيسهم گزار آل محمد.

١١- آل عبيد. رئيسهم موسى آل بعرور.

١٢- آل عيّة (عجة). رئيسهم شياع آل ساچت، ومنهم في الحلة في المچرية.

١٣- آل سمسم. رئيسهم تاجر آل برغوث.

١٤- المراونة.

١٥- البهادل. من خفاجة، ويقال أنها كانت تسكن (هور عقرقوف) في أنحاء الكاظمية، فنزحت إلى العمارة، وهذا ما يبعد بينهم وبين خفاجة المنتفق. قالوا: كان قسم من هؤلاء أصحاب إبل، فلم يطب لهم المقام، فمالوا إلى الميناو في إيران، وأصحاب الغنم استقروا، ويتفرعون إلى:

١- الجغانمة، وفروعهم:

(١) البو ثنوان. (٢) بيت بايش. (٣) بيت مغنم.

٢- البو حبيب، وفروعهم:

(١) نفس البو حبيب. (٢) البو سعد. (٣) بيت برشي.

٣- الشهابات، وفروعهم:

(١) بيت سفافة. (٢) البو عبد. (٣) البو نصر.

والتفصيل في موجز تاريخ عشائر العمارة.

٢- خفاجة في الحلة: يرأسهم إبراهيم آل سماوي، وزغير الطراد، ونخوتهم العامة (عمور) أو (عامر). يسكنون المچرية (مقاطعة لخفاجة ونهرها متشعب من نهر الحلة)، و(راك سويلم)، ويجاورهم (اليسار، وبنو حسن، وآل فتلة، والجبور)، ومن أشهر عوارفهم (شعلان الدهش)، وفرقهم:

١- آل زور: يرأسهم منوخ الهزاع، وسلمان الفهد، ونخوتهم (إخوة دمله)، وفروعهم:

(١) البو حسن. (٢) البو ناصر. (٣) البو عبدالله. (٤) البو عبيد، وهم غير البو عبيد الذين سيذكرون.

٢- البو خليل: الرؤساء.

٣- الصلخة: رئيسهم عبد العدّاي. نخوتهم أولاد حسن، ويسكنون في الويسية و(راك سويلم)، وفروعهم:

(١) الشريف. (٢) الحلفة. (٣) الحمّاد. (٤) البو فروخ. (٥) البو خليف.

٤- الجدوع: رئيسهم عبد العبيس.

٥- اللوبة: رئيسهم سالم العطية من اليسار.

٦- العجمي: رئيسهم زغير آل طراد، ويسكنون بالجازرية في نهر الشاه، ويتفرعون إلى:

(١) العمر. (٢) الحمادة. (٣) الحضان. (٤) البو حسين. (٥) المساعد. (٦) البو مشعان. (٧) الخفيف. منه الرؤساء. (٨) الشحيل.

٧- آل خنيفر: رئيسهم حسين العطيوي. نخوتهم (كوشة)، ويتفرعون إلى:

(١) آل رشيد. (٢) النجم. (٣) آل عبدالله. (٤) آل حمود. (٥) البو عباس. (٦) المجاحيل. (٧) البو عبيد، وهؤلاء غير المذكورين في آل زور.

٨- هوى الشام: يرأسهم حاج عبد بن زيد، وعبد الحسوني في نهر الشاه، وهؤلاء يرجعون إلى اليسار.

٩- آل متيج. رئيسهم محمد الحسين.

١٠- الهيّال. (حلف) ولم يكونوا منهم. رئيسهم الحاج مهدي في نهر الشاه.

١١- الرفيعات. رئيسهم عبد الچامل في نهر الشاه، وهم من الرفيع.

١٢- الطرفة. رئيسهم إبراهيم السماوي في نهر الشاه.

١٣- الجدوع. يرأسهم عبد الأئمة العاروض وعبد العبيس. في نهر الشاه، وهم عدة أفخاذ.

١٤- البو سرية. رئيسهم محمد الجودة، وفروعهم:

(١) الدراج. (٢) السفافحة. (٣) البو عبيد. فخذ آخر غير ما ذكر.

١٥- الخنان: رئيسهم حسين الشطب في نهر الشاه.

١٦- الهيّال: رئيسهم الحاج عبيد. بنهر الشاه.

١٧- الدغافل: بالقرب من الشنافية مجاورين آل صگر من الخزاعل، ويساكنهم قسم من (العزة). رئيسهم كاظم الحويلي في أراضي النعيمات والتاجية، ويعدون منهم لطول الإقامة معهم، وبنهر الشاه رئيسهم حمزة الحويلي، وهم نحو ثلاثمائة نسمة.

ومن خفاجة في المسيب:

١- الترابيون. رئيسهم الحاج خضير الحمد، ونخوتهم (عامر)، وتمتُ هذه إلى فرقة (العجمي) من خفاجة الحلة، وتسكن في الجفجافة من أراضي المسيب التابعة للإسكندرية، ويجاورهم (المسعود)، ورئيسهم عبدالله العزيز، و(الشوافع) من زبيد.

ومن خفاجة في كربلاء:

١- الطهامزة.

٢- الوزون، وهؤلاء منهم في مواطن أخرى في لواء ديالى وفي أنحاء بغداد، إلا أنهم في قلة وتفرق.

ومن هذا نعلم كثرة خفاجة، واتصال فروعها وانتشارها، وكل هذه نتيجة وقائع مثلتها في مختلف العصور، وتركت آثاراً ظاهرة من حوادث الانتشار، وفي بقية الألوية ليس لهم مجموعات مهمة، وفي الغزي قسم منهم ذكروا في المجلد الثالث.

٣- الشريفات:

من الأجود. نخوتهم (أولاد واحد). رحالة يتجولون في الشامية بين سوق الشيوخ والناصرية، والمعروف أنهم حلف الغزي، وقسم منهم يساكن الطفيل ويعدّ منهم، ويتجولون في ألوية أخرى في بغداد وفي الدليم وفي الموصل. يكارون بإبلهم، وهم في ضعف ويضرب المثل بهم، فيقال (غبّاش الشريفات) في التبكير. هذا وتفصيل فروعهم في المجلد الثالث، ومحل ذكرهم هنا.

٤- البدور:

من عشائر المنتفق المعروفة، ونخوتهم (أولاد بدر) و(چحلة)، والعامة (يتيم) كالأجود،

وهم في الگطيعة في شمال الناصرية في ناحية البطحة (البطحاء) وفي المايعة والأشياب، وهم نحو ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف نسمة. قال القزويني: «طائفة من العرب في العراق في ديار ربيعة». اه، ويدعون أنهم من عنزة، والظاهر دخلتهم عناصر اختلطت بهم، وغالبهم غنّامة، ولهم شهرة ذائعة في الحروب، ويجاورهم الأزيرج والعبودة والغزي وخفاجة.

ويتفرعون إلى:

١- آل زويد: فرقة الرؤساء. رئيسهم شرشاب آل شحم، وأفخاذهم:

(١) الشدة. ومنهم من يعدها فرقة بحالها. رئيسهم منشد الگعيد.

(٢) الظاهر. رئيسهم خريبط العمير.

(٣) البهيدل. رئيسهم شاطي الجبار.

(٤) المرشد. رئيسهم سويف الملحم.

(٥) الراشد. رئيسهم مشرف الفايز.

(٦) السعد. ومنهم من يعدهم فرقة بنفسها. رئيسهم عناد الحمدان.

(٧) الجبير. رئيسهم ناصر الزبين.

(٨) الحمد. رئيسهم ظاهر المصحب.

(٩) الرشيد. ورؤساؤهم آل شحم.

٢- الرسن. رئيسهم لفتة النون، وكان والده رئيساً، وفروعهم:

(١) الخليل. يرأسهم جهام الجلاب، وضاحي الخزال.

(٢) العويمر. رئيسهم بزون الجرو.

(٣) المبارك. رؤساؤهم: لفتة النون، وگايم الكوح، ودحام الدويح.

(٤) الحميدان. يرأسهم علي الحاشوش، وشايع الحزام.

٣- آل نجم. رئيسهم فلغوص العباس، وكان (نون) رئيساً أيضاً وتوفي، وفروعهم:

(١) العشيش. الرؤساء.

(٢) النزّال. رئيسهم برهان الصگر.

(٣) الخليفة والسحيلان. رئيسهم چولان الشباط.

(٤) الكربول. رئيسهم غانم الشلاش.

(٥) العويليون. رئيسهم مدعث الصديان، وتعد فرقهم مستقلة.

٤- الفوّاز. رئيسهم مجبل آل حسين. توفي فصار ابنه مانع رئيساً، وفروعهم:

(١) الهرموش. رئيسهم شويخ المهاوش.

(٢) الحسين. الرؤساء.

(٣) المفلح. رئيسهم حسن الحافظ.

(٤) الجمعة. رئيسهم حسين الصوين.

(٥) الصبرة. رئيسهم شايع الحطاب.

(٦) السعيّد. رئيسهم خلاف السمرمد، وتعد فرقة بحالها.

ومن نظم نون آل رسن والد لفته النون:

أم العلا عيّوا بها اليتمان   نگّالة الشلفه الشطير

نبغي نطارد عمّنا خل ينفعه حچي المدير

هذه الأبيات كانت أيام نزاعهم مع سعدون باشا والد عجمي باشا السعدون، وكان البدور على ما سمع أن القائد العسكري محمد فاضل باشا الداغستاني والد أمير اللواء الركن غازي باشا ذهب بقوة على سعدون باشا، فوصل إلى سعدون باشا خبر بأن ينهض من مكانه إلى محل آخر، وكان البدور أوعزوا إلى القائد المشار إليه أن يهاجم محله، وفيه أهله وما عنده من أموال، ولما علم بذلك الشيخ سعدون باشا قام من مكانه، وأن القوة عرفت أنها لا تطيق حرب العشائر العديدة التي مع سعدون، فأمر القائد بالعودة، ومن ثم جاء رؤساء البدور إلى سعدون باشا يبدون أنهم معه، فقتلهم، وقال:

خمسة ذبحنا بسيفنا وستة وراهم يلحگون

وان چان طال لنا المدى نلحگ على راسك ينون

أي أننا قتلنا خمسة من الرؤساء، ولحقهم ستة بعدهم، وإذا طال لنا المدى سنلحقك يا نون بهم.

فأجابه الشيخ نون رئيس البدور:

خمسة ذبحتوا بسيفكم خطّاركم عند السلام

بالطيف راسي تگضبه متوسّطٍ غوش العمام

أي ذبحتم أو قتلتم خمسة بسيوفكم، وكانوا ضيوفكم، وسلموا عليكم، ولا تستطيع أن تمسك رأسي، ولو بطيف المنام، لا سيما وأنا متوسط عمومتي وأقاربي.

٥- الزهيرية:

وهؤلاء يعدون من الأجود[1]، وهم غنامة، وحالتهم الاقتصادية ضعيفة، ويتجولون في الشامية والجزيرة. يرأسهم عطشان بن ضويف، وحسين البطي، وأصلهم من العشائر القيسية، ويأتي الكلام عليهم عند ذكر العشائر القيسية، ويتصلون والأجود بجد واحد.

٦ الحسينات:

أصلهم من (بني حسين) من عشائر الضفير، واختلطوا بغيرهم. انضمّت اليهم عشائر أخرى تجمعت، فصاروا كتلة واحدة. يصعب تعيين كل فريق منهم، وإرجاعه إلى أصله. هذا هو المنقول عنهم وعن المجاورين العارفين بأحوالهم. كانت الرئاسة فيهم لآل چفچير (كفكير)، والقزويني لم يزد على أنهم طائفة في العراق في أذناب الفرات، ولا يكفي للتعريف بعشيرة كبيرة مثل هذه، ونخوتها (أولاد حسين)، ومواطنهم في (السديناوية، والفريجي، والعثمانية، والمانعية، والعويجة، والمصفر، والمجينية، والخندق في الشامية)، وبسبب مجاورتهم للمدينة (الناصرية) فقدوا كثيراً من صفات البادية، وفرقهم:

١- العليميون: ورؤساؤهم: حسن آل جنيح وكوتي الجبر وعبد الحاشوش، ويتفرعون إلى:

(١) آل جوهر. (٢) آل طعيمة (هم آل طليّب). (٣) آل مونّس. (٤) آل حسين. (٥) الرعيد. (٦) الدردوكيين، ومنهم من يعدهم من الدايرة.

٢- البو عظيم: معروفون بالحسكة، وبالهوسات والشعر العامي، وفيهم شجاعة، وفروعهم:

(١) آل طلاب. رئيسهم عبدالحسين آل طلاب. توفي فخلفه ابنه.

(٢) آل مناحي. خلاطي بن سلطان.

---

(١) سياحتنامه حدود، ص٤٥.

(٣) الوهابي (الطهماز). ملبس بن عواد.

(٤) آل برهوص. ومنهم الشمخي. رئيسهم عبدالحسين الحنون.

(٥) اللكّادة. يرأسهم زاير الفياض، وملبس العواد.

٣- البو سوف. وهؤلاء في الأصل من بني مالك، واليوم يعدون من الحسينات فلا يفترقون عنهم، وفروعهم:

(١) آل نجم. رئيسهم سهيل آل نجم.

(٢) آل جبر. رئيسهم عبدالله آل جبر.

(٣) العصفورية. حسن الحميدي. توفي وخلفه ابنه.

٤- البو حمد. منهم من يعدهم فرعاً من الدايرة، وفروعهم:

(١) آل صويني. رئيسهم عتوي آل خلاطي.

(٢) آل خفيّف. رئيسهم وهابي آل فهد، ومنهم من يعدهم فرعاً مستقلاً من البو فياض.

(٣) آل علي. طلاب آل تويلي.

٥- الدايرة: ويتفرعون إلى:

(١) آل زعيل، ويقال لهم الزعيلات من آل غزي. رئيسهم حزام آل زعيل، والآن ابنه مجيل.

(٢) آل جنوخي. من الجواسم. رئيسهم راضي الجاسم.

(٣) آل عزيز. رئيسهم فرحان آل طاهر. توفي، والآن عجيل آل تويلي الرئيس العام

على جميع الحسينات.

(٤) آل فريحي. يرأسهم عناية الجكنوب، وگايم آل سنيبل.

(٥) الخصيبين. رئيسهم عبد آل حمادي آل سعدون.

(٦) الملحان. رئيسهم طارش الحاج غثيث.

٦- البو فياض: منهم من يعدهم فرعاً على حدة، ويعد من رؤسائه عناد العلي، ووهابي الفهد.

ويجاورهم في الجزيرة:

١- الأزيرج من جهة الغرب والشمال في ناحية الجزيرة المتصلة بتلول أم الحنطة، والأبيض والسبل المتشعب من أبي حلانة[1]، وتلول المربع والعويلي.

٢- العساكرة. من الشرق الجنوبي، وهم تابعون لقضاء سوق الشيوخ.

ويجاورهم في الشامية:

١- عشائر الغزّي (ينتسبون إلى الفضول) من الغرب.

٢- الحوّاس وآل محينة (وهؤلاء في كوت معمر) من الجنوب.

والحسينيات في لواء ديالى: في حد مكسر والعبارة وفي زاغنية. نخوتهم (جيس)، وفروعهم:

١- البو حمد. رئيسهم أحمد السعيّد.

٢- البو سالم. رئيسهم إبراهيم الأحمد.

---

(١) أبو حلانة. نهر منشعب من نهر قديم معمور إلى الآن في ناحية السديناوية التابع لمركز الناصرية، و(گرمة أم العظام) في البرس في ذنائب أبي حلانة.

٣- البو سلامة. رئيسهم إبراهيم الأحمد.

لم نجد صلة لهؤلاء بالحسينات في المنتفق، والمقصود معرفة ذلك، وهل هم عشيرة أخرى؟

٧- عبودة:

من العشائر الكبيرة والمهمة. أصلها من ربيعة، وهذا متفق عليه، وتعد من عشائر الأجود أهل الثلث من المنتفق، وكانت قد نازعت المنتفق في بادئ أمرها. ثم أذعنت وصارت تؤدي جميع الضرائب والرسوم لولاة بغداد كسائر عشائر المنتفق حتى الضرائب المعروفة باسم الحصان[١]، وكان السعدون يسامحونهم في كثير منها، ويسمونهم (حبال الصيوان).

كانت في العصر السابق وإلى أواخر أيام العثمانيين صاحبة المكانة والنفوذ، ولها أهمية لا تقل عن العشائر الكبيرة في وقائعها وحروبها، وكانت لا تعتمد إلا على نفسها، ولا تراعي إلا قوة ساعدها، ولا يعوزها في نشاطها وقدرتها أمر، إلا أن ناظم أمر العشائر اضطرب بالقضاء على وحدة السعدون، وبالتعبير الأصح أن هؤلاء كغيرهم عادوا لا يذعنون إذعاناً تاماً، وصارت كل عشيرة لا تنظر إلّا إلى مصلحتها، ولكن الروح لم تمت، والقدرة لم تعدم، والفرق بين الماضي والحاضر أن القوة كانت مجموعة موحدة، واليوم موزعة.

ولا ينكر نشاط الرؤساء وحسن إدارتهم لعشائرهم بحيث يتفادون دونهم في مهماتهم ومطالبهم الكبيرة، والشيخ خيون من الرجال البارزين الذين يعرفون كيف يدبرون أمرهم، ويتولون القيام بالزعامة، ومنه تحققت الكثير عن عشيرته، وصححت ما عندي من مذكرات في ٦ مايس ١٩٣٨م، وهو ذو مكانة عظيمة، ومهارة في البيان، وحوادثه تنبئ

(١) لغة العرب، ج٢، ص١٩، وما بعدها.

عن مهارة، وكلامه يشير إلى قدرة، وهو خيون بن عبيد بن جبير بن عباس، وأولاد عمه عبدالحسين ومحول آل حميدي آل جبير، وإخوته (سعدون وسعيد وهاشم وكاظم ووارد)، وهو الذي أخذ علم الشيخ سعدون المسمى بـ (الوارد).

كانت الرئاسة للشيخ حسن السنجري، وكان عالماً مجتهداً، وهو الذي أسس الشطرة القديمة. ثم صارت لابنه الشيخ طاهر، وكان مجتهداً أيضاً. ثم لابن أخي الشيخ حسن وهو الشيخ موسى آل عطي، فلم يحسن الإدارة، وتولاها أحد أبناء عمه المعروف بـ (راضي آل عكن)، وكان عنيفاً سفاكاً للدماء، وهو ذو مواهب حربية، وقد تآمرت عليه العشيرة بأجمعها فقتلته، فثار جد الشيخ خيون وهو جبير لطلب دمه، وقاتل العشيرة فترأس. ثم قتل في حرب، وكان شجاعاً، فخلفه ابنه عبيد، وكان ذا سياسة قويمة. ثم تولاها الشيخ خيّون:

ولي الرئاسة العامة على العشيرة، وعمره نحو ١٣ سنة، ولا زال محافظاً عليها بما قدمه من خدمات، ولم يخذل في حروبه، بل نجح في غالب وقائعه، وفي أيام جده جبير كان ينازعه في الرئاسة الشيخ موسى آل عطي من (بيت الشيخ)، وساعده (الصيراخب)، وكان رئيسهم آنئذ الشيخ محسن، ولكن تمت الرئاسة إلى جبير، وبعده انتقلت إلى عبيد. ثم صارت الرئاسة إلى ابنه الشيخ خيون.

ولما ذكر لي ما جرى بين الشيخ موسى وجده جبير. قال: (والعرب لا ترضى أن تنزع الرئاسة منها، ولا أن يتولاها غير زعيمها الذي سلمت له ولآبائه بالرئاسة، وأهل المدن لا يبالون بذلك، ونحن ننظر إلى العرب، ولا نبخسهم حقوقهم). ثم قال: (ولكنك لو جردت نفسك، ونظرت إلى عشيرة العزة نظرة صحيحة لما قبلت أن يتولى رئاستها من غير بيت الزعامة)، والحق ما قاله، فلبيت الرئاسة مكانته، وعبودة أقل من بني ركاب ومن خفاجة وآل حميد عدداً، ولكن مكانتهم معروفة، وتتفرع إلى:

١- السناجر: فرقة الرؤساء، ونخوتهم (إخوة دله) و(إخوة فلوة)، والنخوة العامة (أولاد صالح)، وسبب تسميتها بالسناجر أنها كانت لها حروب مع المجاورين، وهم

عبادة وربيعة، فجلوا إلى جبل سنجار، فكان ذلك أيام أن مالت ربيعة إلى شادي، فبقوا مدة. ثم حدث خلاف بين ربيعة وعبادة، فاستنجدت ربيعة بعبودة، وجاؤوا إليها عوناً، فانتصروا على عدوهم، وبقيت نسبة (سنجري) ملازمة لهم، وهذا ما يحفظونه، وفي الغالب كان يطلق على كل عبودة. ثم اختص بفرقة الرؤساء، وكان قد استصرخهم الميّاح مرة، وهوّسوا قائلين: (كد ما كد جدّك لعبادة)، فكانوا عند ندبتهم، وتدخلوا في الصلح، وجعلوا العلگ (الهدنة) سنة، ويراد بهذه الهوسة أن جدك الأول قد نكل بعبادة، وهذا اليوم كذاك، وطلبوا أن يكون النصر على يدهم في هذه كالانتصار في تلك.

ويسكنون الحلوي والصديفة وأم التمن. رئيسهم العام الشيخ خيون العبيد عضو مجلس الأعيان، وفروعهم:

(١) الملحان: رئيسهم الشيخ خيون العبيد.

(٢) آل منجل: رئيسهم دنيف آل عوفي. توفي وخلفه ابنه عبدالحسن من السناجر.

(٣) بيت الشيخ: نسبة إلى الشيخ حسن السنجري، وهو فرع الرؤساء.

(٤) آل أزابج: رئيسهم فيصل بن عناد، ويسكنون الصديفة، ومنهم في أنحاء العمارة، ومنهم في لواء الديوانية. رئيسهم الحاج حسن آل زغيرون، ومنهم البو صالح، وآل شمال.

ويتبع السناجر:

١- الهلالية، وهم من ربيعة. ويرأسهم نزال آل صليبي، وعجيل آل جبر، ومنهم من يعدهم من عبادة.

٢- آل حسين، ويقال لهم (آل زيادة).

٣- المساليم. أصلهم صابئة فأسلموا، ويسكنون الشطرة.

٤- العميرات، وهم غير الفخذ من البو سعد. أصلهم من ربيعة من بطون أخرى. رئيسهم زبيل آل دافر، وتوفي.

٢- البو شمخي: يسكنون مقاطعة الشطرة، وهم من السناجر إلاّ أنهم صاروا فرعاً مستقلاً، وفروعهم:

(١) الصراخب. رئيسهم حسين آل علي آل مطير، ومنهم في لواء الديوانية.

(٢) البو شمخي، ومنهم:

١- الرهلية.

٢- الفيادة. رئيسهم نعيمة آل زويّر. توفي، وكان شجاعاً، ويرجعون إلى الفتلة.

٣- آل جاسم. يرأسهم عليوي آل حسن، وسعود آل سلمان، ويرأس هذه الفروع (آل راهي)، ومنهم عبدالهادي بن عطية آل راهي.

٣- آل جهل: يسكنون في (تل گرحة). رئيسهم مهدي السويلم الهواش، وفروعهم:

(١) البو خليف. (٢) بيت محمود. (٣) بيت عيسى. (٤) الجراونة.

ومنهم في لواء الديوانية رئيسهم كاظم آل حمود، وفروعهم (البو بديوي، والبو الحاج محمد، والبو صويح).

٤- عبودة العرب: رئيسهم حسن الشمخي في مقاطعة الخروفية لمعالي السيد عبدالمهدي، وأم التمن، وهم:

(١) آل بطوش. رئيسهم خلف بن جبر الخليف آل بطوش في ناحية السديناوية، ومنهم (آل بارز، وآل خلف، وآل بطوش)، ومنهم في قضاء الشطرة.

(٢) البو عليان. رؤساؤهم عبدالحسن الدوخي، ومراد بن مشخول، وعبدالله بن

عبس. منهم (آل موسى، والبو عياش، وبيت فياض، وبيت غانم، والمسيليل).

(٣) البو لامي. رئيسهم چايد.

٥- آل حسن: يسكنون أم التمن والصديفة. رئيسهم كوتي الناصر.

٦- البو شوحي: رئيسهم بندر آل شوحي، وتوفي فخلفه ابنه.

٧- آل عمر: رئيسهم جابر.

٨- البو نجيم: رئيسهم مهنا آل برغش آل مري. يسكنون مقاطعة الگصة، ويرجعون إلى شمر، وفروعهم:

(١) آل مغامس. الرؤساء.

(٢) الجرابة. رئيسهم عريبي آل وانس. توفي فخلفه أولاده.

٩- آل عمار: يسكنون في مقاطعة الحوسة، ومن فروعهم:

(١) آل مرار. رئيسهم معارچ آل مرار العويد.

(٢) البو شويطة. رئيسهم عجيل البو شويطة، وتوفي فخلفه أخوه محمد.

(٣) آل حاجي.

١٠- آل عواد: رئيسهم الحاج عزيز آل عليوي. يسكنون في البدعة وأم التمن، ويقال أنهم عزة. منهم (آل عليوي، وآل خافور، وآل دخيل، وآل محيسن، وآل جار الله).

١١- الدبات: رؤساؤهم شخص آل غافل، وفارس آل علگ، وعلي التعيبان، ويسكنون مقاطعة السيدية، ومنهم في سوق الشيوخ مع آل حسن. يدعون أنهم من

طيء من سنبس، ومنهم مع ميّاح.

١٢- السادة: رئيسهم السيد عبدالواحد السيد عبدالحسن السيد راضي، وهم خلف المجتهد الشهير السيد أحمد هلالة.

١٣- آل علي: رئيسهم حميد الجعفر، ومنهم بيت جعفر، وبيت ثويني.

١٤- آل رمضان: رئيسهم مرجان الروضان، ومنهم الدورك، وبيت باز، وآل مطلگ.

ومن عبودة قسم كبير في لواء الديوانية، ومنهم في لواء كربلاء، وفي قضاء الناصرية.

ويساكن عبودة: عبادة. وهم في قلة، ويجاورهم: خفاجة، وبنو زيد، وآل حاتم، والقراغول، وبنو سعيد، والبو هلالة، ورئيسهم السيد هليل ابن السيد جعفر في السيدية والحجية وهم سادة، وآل مسافر ورئيسهم السيد محمد آل السيد حسين في أراضي أبي العجول، وهم سادة.

ومن مراجعة هذه العشائر وتداخلها نعلم درجة الاختلاط، وتجمع هؤلاء لا سبب له إلا الحروب المتوالية، والأراضي التي يزرعونها، وتناوب الفلاحين عليها، وقيامهم بها أو استخدامهم في غيرها، ومن ثم ولد ذلك ألفة بحيث لا يفرق بين فخذ وآخر، ولما كانت رابطة النسب أقوى الروابط حافظ على فخذه كل بمن ينتمي إليه، وهذا سهل أن يراعى في كل فرع وما اشتق منه، وهذه الأوصاف أو الحالات عامة في كثير من العشائر، ومشهودة فيها هذه الأوضاع، مما دعا أن نشاهد الاختلاط في الأراضي الكثيرة، (والمورد العذب كثير الزحام).

ومما يؤيد أنهم كانوا في أنحاء الحلة هوّس بعضهم بقوله: (مريت انظر دار جدودي) حينما جاء إلى المچرية في الحلة.

٨- العصوم:

رئيسهم طه آل محروت. صار رئيس بلدية الناصرية وتوفي، وعادت الرئاسة لا تعرف لأولاده، وهؤلاء يسكنون في أنحاء الناصرية. غنامة متجولون، ونخوتهم (عصوم).

٩- المارد:

من قبائل الأجود، ونخوتهم (أولاد حمد). رحّل وبينهم زرّاع، والأكثر أهل بداوة، وهم بين سوق الشيوخ والناصرية، ورئيسهم مصيخ الغانم، وورد ذكرهم في (سياحتنامه حدود).

ومن عشائر الأجود:

آل غزي، والجوارين، وبنو زيد، والجشعم، وبنو رچاب (بنو ركاب)، وآل أزيرج، وآل حميد، ومنهم الشويلات، والطوگية، والصريفيون، والعتاب (ومنهم من يقول أصلهم ربيعة)، وآل عگيل (عقيل) والمعروف أنهم من أصل الأجود، منهم البو عمار، والبو شهيب، وآل مشلب، والخويلد، والقراغول، منهم الروضان وهم الچنعان، والثلاثة، والسهيل، والكاظم. ومنهم الخلاوى، وهم البو خلف والبو عويد، ورئيسهم الحاج فشاخ الشبگان. ذكروا في المجلد الثالث، وكذا الضفير في المجلد الأول، وبنو تميم وچنانة سنذكرهما، وحچام مروا. كل هؤلاء يعتبرون في عداد الأجود.

الخلاصة

إن عشائر المنتفق مجموعات كبيرة، ولم تكن جميعها متألفة من بني المنتفق، وإنما نرى بينها العدنانية والقحطانية، جمعتها الحروب المتوالية، والمنافع المشتركة، وأثلاث إمارة السعدون، وفي هذه الأيام صارت كل عشيرة تتولى أمرها بنفسها دون ارتباط إلا في أمور محدودة، فلا تعرف لها سلطة عامة سوى الحكومة، وسوى الألفة بين المجاورين.

وفي هذه الحالة نرى الاتصال بالحكومة وإدارتها المحلية في حل النزاع للشؤون الاجتماعية أو الجوارية، وفي سنة ١٩٤٧م سجل (إحصاء النفوس) لكل وحدة إدارية ببيان عشائرها ومواطنها، وإذا كان لم يلتفت إلى الروابط الاجتماعية والعلاقات القومية، فقد توسعنا في ذلك توكيداً للصلة والتعاون، فانصرف التوجيه إلى هذه الناحية في المجموعات العشائرية ليتم المراد.

وقائع المنتفق

لا تنفك الإمارة عن العشائر، ولا العشائر عنها، فالوحدة كاملة، وإن انحلال هذه الوحدة أدى إلى انقراض الإمارة والرئاسة العامة للعشائر، والوقائع التاريخية متصلة بالإمارة والعشائر معاً. كنا نفكر في ذكر الحوادث بتوالٍ، أو بالنظر للرؤساء وما جرى في أيامهم، والموضوع واحد، لا يختلف في ماهيته.

وبعد التلوّم رجّحنا أن نذكر الوقائع مقرونة بأيام الرؤساء، وبهذا نعلم تسلسل هؤلاء، وعلاقتهم بعمود نسبهم، وتوالي ظهورهم، وبيان حوادث أيامهم، وأعتقد أن ذلك أقرب للتفهم، وأكثر اتصالاً بالعشائر. ولما كانت الوقائع مدونة في (تاريخ العراق بين احتلالين) رجحنا أن نبين ذلك بلمحة سريعة.

١- الحوادث الأولى:

أشرنا إليها فيما سبق. وعيّنا تاريخ ورود الأمراء بوجه التقريب مما اعتقدنا أنه الجدير بالأخذ. أوردنا النصوص بأن هؤلاء من الشريف أحمد وأولاده أو أولاد عمه.[١]

رجحنا أن يكون مانع وابنه راشد وآباؤهما وأجدادهما متحدرين ممن سلف من آبائهم وأجدادهم. انتزعت الدولة العثمانية البصرة منهم، فكانت تحارب المنتفق، فتنتصر مرة، وتخذل أخرى. دام الجدال أمداً طويلاً.

٢- الشيخ راشد بن مغامس: أول وقائعه تبدأ من تاريخ الاستيلاء على بغداد من

(١) تاريخ العراق بين احتلالين، ج٤، ص٤٧.

العثمانيين سنة ٩٤١هـ (١٥٣١م)، فأبدى راشد الطاعة للعثمانيين، وفي سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) قدم الطاعة والإذعان، وأظهر الانقياد، فأرسل ابنه مانعاً يصحبه وزيره المسمى محمداً لتقديم فروض الطاعة للدولة.[١]

وفي سنة ٩٥٣هـ (١٥٤٦م) استولى العثمانيون على البصرة. وجدوا هؤلاء حجر عثرة في طريق آمالهم نحو الهند، ونحو الاتصال بمصر، فقضوا على هذه الإمارة، والمسموع أن هؤلاء من الراشد من شمر إخوان الرشيد أمراء حائل في نجد، وليس لدينا ما يؤيد ذلك، بل قامت الأدلة على بطلان هذا الرأي، واستبعاده للشقة الفاصلة، وتفاوت الزمن، وإن وجود عشيرة ضياغم في التاريخ لا يعين أن هؤلاء منهم.[٢]

رأينا في حوادث الأحساء أن راشد بن مغامس رئيس آل شبيب كان سنة ١٠٨٠هـ (١٦٦٩م) في حالة حرب وقعت بينه وبين بني خالد الذين استولوا على الأحساء، ومن هذا علمنا أنهم شبيبيون، ولم يكونوا ضياغم، وقتل راشد في أنحاء الأحساء[٣]، ومنه تكوّن فخذ الراشد[٤]، ونرى قبل هذا التاريخ حروب الجلايرية، واستيلاءهم على البصرة، وأعتقد أنها انتزعت منهم، فلم تنفك الحروب، ولا انتهى النزاع على البصرة، وهكذا استمروا حين رأوا ضعف هذه الإمارة (الجلايرية) وانقراضها، فعادوا إلى البصرة حتى انتزعها العثمانيون منهم.

وفي حوادث سنة ١٠٧٨هـ كان لآل شبيب رئيس آخر اسمه (عثمان) ابن اخي محمد بن راشد بن مغامس المذكور، وعرف بعمه الآنف الذكر. جاء عثمان لمناصرة الدولة العثمانية طالباً الأمان، وكذا ورد ابن عمه (عبيد) مزاحماً له في الرئاسة، فتقاتلوا

---

(١) گلشن خلفا، ص٦١. ٢.

(٢) طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد، ص٦٥.

(٤) فخذ الراشد من آل شبيب ليسوا من ذرية راشد هذا، بل من راشد آل شبيب. (مشرف الخزانة).

ببغداد، فخر (عبيد) صريعاً، وهرب أعوانه الذين جاؤوا معه[١]، ومن عثمان تكوّن فخذ (العثمان).

وفي (گلشن خلفا) أن الجيش سار من بغداد، فوصل إلى العرجاء (العرجة)، ومن ثم وافى إليه شيخ المنتفق عثمان، ومعه نحو ألف من الفرسان والمشاة لمساعدة الوالي. ذلك ما دعا أن يلطفه الوزير، وينعم عليه، ويكبر ما قام به.[٢]

والشيخ عثمان ورد في عمود آل شبيب، وأن عم عثمان هو محمد بن راشد بن مغامس بن مانع بن راشد بن مغامس، ومن ثم نعلم تكوّن فخذ الراشد وفخذ العثمان، والمحفوظ أن عثمان بن شبيب، وقولهم ابن شبيب يراد به النسبة الأصلية إلى جد أعلى، ومن هنا نشاهد الغلط في المحفوظ كما نقول ابن سعود، فلا يراد به الأب المباشر بل جد أعلى، ومثله ابن حسان، والمسموع أن راشدا هو ابن مغامس بن راشد بن بدر المعروف بـ (أبي صرعة) لشجاعته.

والملحوظ أننا نعلم يقينا أن الشرفاء كانوا حاولوا اخضاع نجد لجهتهم، فلا علاقة لهؤلاء بأمراء المدينة، وأن الشريف حسن بن نمي الذي ينتسبون إليه جاء اسمه في تاريخ (عنوان المجد)[٣]، وهل هؤلاء من ذريته، وأنهم ممن جاء العراق؟

ومن هذا علمنا تكون بعض الأفخاذ من الشبيبين من: العثمان، والراشد، والعلي، والنجرس، والصگر (الصقر).

٣- الشيخ مانع بن راشد: وهذا أخو عثمان[٤]، وتفرعت منه فروع كثيرة، وفي

(١) منظومة الشهابي.

(٢) گلشن خلفا، ص٩٧ ٢.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، ص٢٣. في حوادث سنة ٩٨٦هـ.

(٤) من واقع مشاهدتنا لختم الشيخ عثمان نعرف أنه عثمان بن مانع بن راشد، وابن عمه عبيد هو عبيد بن مهنا بن راشد. أما مانع جد آل سعدون، فهو مانع بن شبيب بن مانع بن شبيب، وليس أخاً لعثمان، وفي تفريع العزاوي لأسلاف هؤلاء الشيوخ خلط كبير. (مشرف الخزانة)

أيامه نال المنتفق قدرة وعظمة، والقصة مع الموالي تعزى إليه في إبداء المولى أمير الحويزة ما عنده من مال، وإبداء هذا رجاله، ومنهم من ينسبها إلى شبيب مع أمير الحويزة.

وأعقب مانع محمداً، ومنه تكونت فروع عديدة توالت في الرئاسة، ومن فروعه (الروضان) و(السعدون)، ومن ثم صار يعرف أمراء المنتفق بـ (السعدون)، واستمروا في الرئاسة إلى آخر أيامهم، ولا يزالون، و(آل محمد) عرفوا مدة بهذا الفخذ.

ومانع استولى على البصرة سنة ١١٠٦هـ. استفاد من خلل الإدارة، وممن ساعده في الفتح أمير الحويزة المشعشع. ثم أن أمير الحويزة حسّن له أن يقوم هو بإمارة البصرة على أن يعطيه نصف خراجها، فوافق إلا أن الشاه لم يرض بفعلة أمير الحويزة، وبعد مخابرات اضطر إلى تسليمها إلى العثمانيين سنة ١١١٢هـ، وتوفي الشيخ مانع سنة ١١١٥هـ.

٤- الشيخ مغامس بن مانع: ثم ولي إمارة المنتفق، ونعته صاحب (قويم الفرج بعد الشدة) بأنه كان مثل أبيه في شجاعته وإقدامه، ولكنه زاد عليه بخدعته ومكره. يكاد بسحره ينزل قوس السماء إلى الأرض، وكان والي البصرة نصبه شيخاً مكان والده، وألبسه الخلعة، ففي سنة ١١١٥هـ ضبط البصرة، وبقيت بيده إلى سنة ١١٢٠هـ.

وفي خلال حكمه البصرة في ٧ تشرين الثاني سنة ١٧٠٥م (١١١٧هـ) كانت سفن هولاندة راسية في شط العرب، فحضر إليه ربانها، وهو بطرس (بتر) مع الأب يوحنا، فالتمس الربان منه عقد اتفاق بينهم وبين العرب، فأنعم عليه بما أراد مما يتعلق بشؤون الشركة التجارية، واغتنم الأب الفرصة، فالتمس أن يصدر له الأمر بحماية الكنيسة وداره التي يقيم فيها، وفي ٩ منه قدم هؤلاء مذكرتيهما بواسطة عبداللطيف إلى الأمير مغامس، فعهد إلى قاضيه الشيخ سلمان بتصديقهما تصديقاً شرعياً، وفي ١٢ منه أرسل بالبراءتين إليهما.[١]

وفي أيام الوزير حسن باشا جرت حروب طاحنة توالت فيها النجدات، وبين

(١) تاريخ العراق بين احتلالين، ج٥، ص١٦٨.

العشائر التي انتصرت للشيخ مغامس: (السراج، وزبيد، وميّاح، وبنو خالد، وغزية وشمر). دامت الحرب إلى ١٩ شهر رمضان سنة ١١٢٠هـ، وفي أثناء المعركة قتل الشيخ (تركي) شيخ الأجود، وكان عضد الشيخ مغامس، فتأثر عليه. ذلك مما أدى إلى انسحابه. لأن الشيخ تركياً كان شوكتهم، وبموته انكسروا، وفخذ المغامس يتصل به.

٥- الشيخ سعدون: كان أعقب مانع ولداً آخر اسمه محمد، وهذا أعقب ابنه سعدوناً، فتكوّن السعدون، ومن ابنه الآخر (عبدالله) تكوّن (آل محمد)، ومن ابنه الثالث عبدالمنعم تولّد (الروضان) من روضان بن عبدالمنعم.

تولى الإمارة بعد مغامس: الشيخ سعدون وأولاده، وبعض (آل محمد)، وجاء في (حديقة الزوراء في أخبار الوزراء): أنه قتل سنة ١١٥١هـ، وقيل في تاريخ وفاته غير ذلك[١]، فكانوا إلى أيام المماليك بين قوة فائقة وضعف، بل لم تتمكن الدولة منهم إلا أيام الوزير حسن باشا.

٦- الشيخ بندر: ولي مشيخة المنتفق الشيخ بندر، وهذا من فرقة (العزيز)[٢]، ودامت إمارته على المنتفق إلى سنة ١١٦٤هـ.

٧- الشيخ عبدالله: هو ابن محمد بن مانع، وفي سنة ١١٨٢هـ كان لشيخ المنتفق واقعة ذكرت في (تاريخ العراق بين احتلالين) أيام عمر باشا، وبسببها قتل عبدالله بك الشاوي.[٣]

٨- الشيخ ثامر: جرت له حوادث سنة ١١٨٨هـ، وقتل في واقعة الخزاعل سنة ١١٩٣هـ، وهو ابن الشيخ سعدون.

٩- ثويني شيخ المنتفق: في سنة ١٢٠١هـ ذهب سليمان بك الشاوي لعقد اتفاق

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج٥، ٢٥٨.

(٢) الصواب أن بندر هو ابن مغامس بن مانع، وأخو عبدالعزيز الذي تفرع منه آل عزيز من بيوت المشيخة. (مشرف الخزانة)

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص٤١.

مع الشيخ ثويني بن عبدالله، وحمد الحمود شيخ الخزاعل، فضبطوا البصرة، وفي (لغة العرب) أن ثويني استولى على البصرة في أيار سنة ١٧٨٧م (سنة ١٢٠٢هـ)، وفي رحلة (توماس هويل) البريطاني أن الشيخ ثويني احتل البصرة بدون مقاومة، ولم يتجاوز على مال أحد، ولا أضر بأحد من الأهلين، ولا أخذ منهم غرامة حربية، فبعد أن احتلها بنحو نصف ساعة عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي.

١٠- الشيخ حمود بن ثامر السعدون: مال إلى الوزير سليمان باشا، فذهب الوزير بنفسه، وحارب الشيخ ثويني العبدالله ومن معه، فانتصر واستعاد الوالي البصرة في آب سنة ١٧٨٧م. اتخذ الخلاف فرصة، فربح المعركة، ومنح الوزير الشيخ حموداً إمارة المنتفق، وأبدل شيخ الخزاعل بمحسن الحمد، فتم له الأمر. ثم اضطرت الدولة إلى إعادة ثويني سنة ١٢٠٥هـ، وهكذا تناوبوا الرئاسة، وفي سنة ١٢١١هـ بأمل حرب ابن سعود عزل حمود أيضاً، وأعيد ثويني.

١١- الشيخ ثويني: عادت المشيخة إليه بسبب حوادث ابن سعود سنة ١٢١١هـ، وفي سنة ١٢١٢هـ توفي قتيلاً في حربه لابن سعود.

١٢- الشيخ حمود الثامر: عاد للمشيخة بعد وفاة ثويني، وهو حمود بن ثامر السعدون. وفي سنة ١٢٤٢هـ عزل الشيخ حمود، ونصب مكانه الشيخ عجيل (عقيل) بن محمد ابن ثامر.

١٣- الشيخ عجيل: وهو أخو سعدة. ولي الإمارة سنة ١٢٤٢هـ، وبعد معركة ألقي القبض على حمود الثامر، وبعد خمس سنوات أي سنة ١٢٤٧ هـ توفي في بغداد.

وعجيل هذا ابن أخي الشيخ حمود، وتبدلت أحوال بغداد، فانقرضت إدارة المماليك.

والملحوظ أنه في عهد المماليك كانت في الأغلب الرئاسة على المنتفق في السعدون، وأن أمراءهم لم يذعنوا للسلطة من كل وجه، وإنما كانوا يغتنمون الفرص للقيام بين حين

وآخر، إلا أنه لم يتم لهم الاستيلاء على البصرة طويلاً، وفي أيام صادق خان الزند أبلوا البلاء الحسن، ودمروا جيش الخان، وعلى ما بينه الأستاذ سليمان فائق أنهم لم يذعنوا لدولة المماليك إلا أيام سليمان باشا الكبير، ولعل شواغل الحكومة، أو ارتباك أمرها، مما دعا أن يتحاشوا عن مقارعة المنتفق، وربما مالوا إليهم ميلة عظيمة في حرب ابن سعود وفي غيرها.

وكان الشيخ حمود يلقب بـ (سلطان البر)، وفي أيامه توسعت سلطة المنتفق كثيراً إلا أن داود باشا تمكن أن يجلب لجهته الشيخ عجيلاً، فقضى على إمارة الشيخ حمود، ولكن حدثت غوائل أخرى صدته من التدخل أكثر.(١)

وفي ٨ ربيع الآخر سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣١م) انقرضت حكومة المماليك، فتنفس أمراء المنتفق الصعداء، وكذا أيام علي رضا باشا اللاز.

وإمارة المنتفق دامت في هدوء إلى سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م) آخر أيام الوزير محمد نجيب باشا، بل إلى أيام (عبدي باشا). راعوا سياسة الهدوء، وفي خلال هذه المدة قضى الوزراء على بعض الإمارات مثل العمادية وإمارة رواندز وبابان والجليليين.

أمراء المنتفق الآخرون:

كان أمير المنتفق [فارس بن] عجيل السعدون، فخلفه صالح العيسى من السعدون أيضاً، وكان باني (قلعة صالح) سنة ١٢٦٩هـ (١٨٥٢م)، وكان أمير المنتفق أيام نامق باشا، وهو ابن عيسى الحريق، وعيسى هذا توفي حرقاً سنة ١٢٥٩هـ (١٨٤٣م)، وهو ابن محمد بن ثامر السعدون، وبعده ولي ناصر باشا ابن راشد بن ثامر السعدون.

ثم إن الدولة أرادت إلقاء بذور الفتن، وتشويش الحالة للتدخل، فصارت تتساهل مع بعضهم مرة، وتلتزم الشدة أخرى، وراعت في الضرائب طريق الالتزام، واتخذته وسيلة،

(١) التفصيل في تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، ص٢٩٢.

وفي كل مرة تنزع قسماً من المنتفق، وتوسعه أخرى، وهكذا أخرجت من نطاقها قطعات عديدة بأمل أن تقلل النفوذ والسلطة، فانتزعت منها عشائر كثيرة.

وفي كل هذه عزمت الدولة على القضاء على هذه الإمارة مهما كلفها الأمر، إلا أنها متى شعرت بالخطر بدّلت الوزير، أو ركنت إلى سياسة أخرى، ونسبت الحادث إلى خرق الوالي الذي لم يتحرك من تلقاء نفسه، وذلك خشية الغائلة، أو توقع نتائج غير مرضية. أرادت الدولة أن تكون ديارهم خالصة لها، وكاد ينجح الوالي رشيد باشا الگوزلكلي في مهمته التي أشبعها درساً لولا أنه عاجلته المنية، وحالت دون تحقق آماله.

كان قرّب المعارضين، واستغل المناوئين، وتعرف للحالة منهم وسلّطهم. كما أنه لم يفاجئ في تغيير الوضع، وإنما فصل قضاء السماوة وتوابعه بعشائره عن سلطة المنتفق، وألحقه بالحلة في الالتزام الذي أجراه بأمل فلّ القوة، ولم يخف هذا على أحد، فاتفق الشيخ ناصر مع الرؤساء الآخرين، فحارب مرات عديدة، وانتصر انتصاراً باهراً، فكاد يتغلب.

وفي الحرب الأخرى انتصر الجيش، وبقي مرابطاً في سوق الشيوخ، ورفع ما كان يستوفيه أمراء المنتفق باسم (جيوشية)، وهي أشبه برسوم الگمرك، إلا أنها ليست لها حدود معينة أو مقاييس ثابتة، ولم تتحقق آماله، فعاجلته المنية، ولم تعرف نواياه إلا أن الغرض القضاء على السلطة العشائرية، فحبطت مساعيه، ومن حين استولى على سوق الشيوخ في ١٤ شعبان سنة ١٢٧٢هـ (١٨٥٦م) عينت الحكومة قائممقاماً (متصرفاً) حسين باشا من أمراء الجيش، ومدرساً ومفتياً السيد داود السعدي[1]، وكان عزمها أن تجعل تشكيلاته تشكيلات لواء.

وبعد وفاته كانت الدولة في اضطراب داخلاً وخارجاً، فلم تستطع أن تمضي على خطة ثابتة، وإنما تعمل بما يوحي إليها وضعها، فجاء السردار الأكرم عمر باشا لإكمال ما قام به سابقه من أعمال، فلم تظهر الأوضاع إلا متخالفة في طريق السياسة، فلم

(١) هو جد المحامي الأستاذ داود السعدي.

يستطع أن يحصل على ما أراد لضيق في ماليته، أو انشغال بال دولته بأمور أهم.

جاء الوالي السردار الأكرم عمر باشا في ٥ رجب سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م)، ومن حين وروده نقض ما أبرمه سابقه لتبدل رأي الدولة، فعوّل على شجاعته، وقوة سلاح دولته، فاستهان بالمنتفق، وعدّ نفسه قادراً على اخضاعها متى شاء، فألغى سوق الشيوخ، فلم يتخذه مقراً للجيوش، ولا شك أن السياسة المكتومة لم تظهر لرجال الدولة في بغداد ما عدا الوزير، فأعاد لشيوخ المنتفق سلطتهم، وسحب جيشه، ولا ريب أن لضعف الدولة دخلاً، فلا تريد أن تعرض نفسها إلى الخطر، عهد بقائممقامية اللواء إلى الشيخ منصور السعدون سنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م) بطريق الالتزام من جراء أنها كانت تستفيد من الالتزام أكثر مما لو كانت تدير رأساً هذه المواطن.[1]

وفي سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م) ولي توفيق باشا بغداد، فجرت في أيامه المزايدة بين الراغبين في المشيخة، وهم الشيخ منصور والشيخ بندر الناصر الثامر، فأسندت إلى الأخير منهما في ٢٠ شوال سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦١م) ببدل سنوي قدره (٤٩٠٠) كيس، والكيس ٥٠٠ قرش.

وفي وزارة نامق باشا للمرة الثانية كان يظن أنه قد حان الوقت لإلغاء المشيخة، فأراد أن يقتطع أولاً بعض الأماكن ليقلل السلطة، ويحصر دائرة النفوذ في نطاق محدود. جاراه الشيخ منصور بك، بل حسّن له أن يلغي المشيخة رأساً وبلا تمهيد، وكان الشيخ منصور من أعضاء المجلس الكبير ببغداد[2]، فأبدى أن لا حاجة إلى اقتطاع بعض المواطن، وأوضح أنه إذا نصبته الدولة قائممقاماً (متصرفاً) جعل المنتفق كلها تابعة للدولة.

قبل الوالي هذا الرأي، وألغى المشيخة، فأسند إليه القائممقامية في سلخ جمادى الأولى سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م)، ولما كان لا يعرف اللغة التركية جيداً، وليست له دربة

(١) رسالة المنتفق، ومجلة لغة العرب وتاريخ العراق بين احتلالين، ج٧، ص١٢٩.

(٢) كانت صدرت الإرادة الملكية بتأليفه في شهر رمضان سنة ١٢٦٧هـ (١٨٥٠م)، فألف في بغداد وفي سائر الولايات بالاستناد إلى خط كلخانة.

على الإدارة جعلت الدولة بصحبته الأستاذ سليمان فائق، وكان من الكتاب المجيدين، وكان قائممقام خانقين، وأودعت إليه مهمة (محاسب اللواء) ليطلع حكومته على ما يجري.

وكان في ذلك الوقت الشيخ ناصر والشيخ بندر في بغداد، إلا أن هذا الأخير توفي في اليوم التالي من تعيين الشيخ منصور. أما الشيخ ناصر فإنه ثار في وجه أخيه، وأشاع إشاعات من شأنها أن تثير الأهلين، وتحرضهم على القيام على الدولة، فعارض أمر القائممقامية، وكان قطع بأن هذه الفتن كلها جرت في الخفاء على يد الأستاذ سليمان فائق، وعدّه أصل القلاقل في المنتفق، والتزم قتله، فلم يوفق لما جاء تفصيل ذلك في تاريخ العراق.

وعلى كلّ عارضوا بتحول المشيخة إلى قائممقامية، وأعلنوا العصيان، ونهبوا المؤن المرسلة من لواءٍ الحلة إلى البصرة نهراً، وهي المرتبات الحجازية، ولم يكتفوا بهذا، وإنما قطعوا الخطوط البرقية بين بغداد والحلة، وكان تمديدها من زمن قريب بقصد أن يعظموا الأمر في عين الدولة. بقي المحاسب ثلاثة أشهر غير مسموح له بالخروج، وإن كان معززاً في الظاهر. ثم أذنوا له بالعودة، وإن إدارة القائممقامية لم تطل أكثر من شهرين، فثارت الزعازع.

أما نامق باشا فإنه بعد المشاورة قرر لزوم اصلاحهم بالقوة، وأثناء مداولة المجلس المنعقد من الملكيين والعسكريين وردت برقية من (القيادة العامة) توصي بالتأهب، واستكمال العدة قبل الإقدام على الحرب، وأن ينتظر إشعاراً آخر.

ذلك ما دعا الوالي أن يعيد المشيخة. نقل ذلك الأستاذ سليمان فائق عن (محمد أمين أفندي كاتب العربية)، وكان قد عهدت إليه مهمة (باب المشايخ)[1]، فأسندت المشيخة إلى الشيخ فهد العلي الثامر سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) بموجب شرطنامة كتبت

(١) هو محمد أمين العمري المعروف بـ (الكهية) والد عبدالهادي باشا العمري وجد الأستاذ سعاد العمري. (تاريخ العراق بين احتلالين)، ج٧، ص١٥٨ و٢٦٥ -٢٦٨ و٢٨٩.

باللغة العربية.

وفي أيام تقي الدين باشا ندد الأستاذ ببقاء الحالة، وبيّن أن إعادة المشيخة على حالها لا يأتلف وسلطة الدولة، وأظهر لزوم توسيع سلطة الدولة وتقويتها، فملأ الجرائد والصحف بإستنبول من التنديد بأمور المنتفق، ودعا إلى لزوم القضاء على إمارتهم، وذكر قسوتهم وظلمهم، إلى آخر ما قال، ولكن هذا الوزير أبقى المشيخة كما كانت، وأقرها على حالها.

اضطراب وتجربة:

ثم ولي بغداد مدحت باشا سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م)، وكانت إمارة المنتفق شغل الدولة الشاغل، وهذا الوالي علم أن الأستاذ سليمان فائق من العارفين بأمور المنتفق، فطلبه ببرقية من البصرة لاستطلاع الحالة، فجاء مسرعاً.

بسط الحالة للوالي، فأجابه عن كل ما سأل، وفي هذه الأيام أوشكت مدة الالتزام أن تنتهي، فدعا الوالي ناصر باشا إلى بغداد للمزايدة، فاعتذر وطلب الإمهال إلى أن تنتهي المدة، فعاد الأستاذ إلى البصرة، فانقضت مدة الالتزام، وأجريت التشكيلات الجديدة في البصرة. ثم دعي الأستاذ سليمان فائق إلى بغداد، وفي خلال تأخر ناصر باشا تمكن الأستاذ من الاتصال بفهد بك ولازمه، وأقنعه بأن تترك بعض المواطن، وتعطى المنتفق ببدلاتها السابقة لا أكثر. هذه نوايا الحكومة، وآمالها ظهرت على لسان متصرفها.

جاء ناصر باشا إلى بغداد في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م)، وواجه مدحت باشا، فقال له: هل ترغب في التزامها بالبدل السابق بعد أن تترك بعض المواقع، وهي:

١- المدْينة: ناحية من نواحي القرنة. ٢ جزائر البصرة.

فاستمهل للإجابة، فاضطربت أفكاره، وصار يضرب أخماساً لأسداس، وكان وضعه حرجاً، لا سيما وأن فهد بك بالمرصاد، ويخشى منه أن يقبل بالشروط أو بما يوافق أكثر.

أما الوالي فقد كانت مقدرته عظيمة. كان يأخذ الفكرة، ولم يبد خطة الحكومة ومرادها، ولم يعتمد على الأستاذ سليمان فائق، ولا على غيره، لأنه كان يراجع ما يورد من الآراء، وهو سائر على خطة!

وكانت نتائج المفاوضة أن تمكن ناصر باشا من إقناع الوالي تأييداً لرغبته في أن يجعل المنتفق (لواء)، وأن يكون متصرفه، ويقوم بما يطلب منه، وبذلك وافق الوالي، وأعلن رغبة الدولة، وذهبت المساعي الأخرى هباء، وكان الأستاذ سليمان فائق يريد أن تكون خالصة للدولة رأساً، فلم يوافقه هذا الحل، وعدّ التدبير قد فشل، ولكن الوالي أراد إرضاء ناصر باشا، وأن يجعله طوع إرادته منفذاً لآماله!، ولم يكن هذا من نوع التدبير السابق أو عينه ليكون فاشلاً.

أعلن ذلك معاون الوالي، وقال الأستاذ سليمان فائق: ذهبت المذاكرات بيني وبين الوالي سدى بهمة من رائف معاون الوالي، ووساطة من اليهودي عزره الصراف الذي ندد بهما الأستاذ كثيراً، فأحيلت متصرفية المنتفق لعهدة ناصر باشا لصداقته وإخلاصه!

وفي هذه التجربة لم ير بُداً من الإذعان، ووافق على بناء حاضرة اللواء في تلك الأنحاء، ورأى أن لا طائل وراء معاكسة الدولة، والأقارب في تزاحم ونضال على الرئاسة، فإذا قبل غيره خسر الصفقة، وفي ٢ جمادى الأولى من سنة ١٢٨٦هـ سار إلى المنتفق، وعين عبدالرحمن بك قائممقام الهندية معاوناً له، وعبدالباقي الألوسي نائباً، والحاج سعيداً محاسباً، وكان من موظفي محاسبة الألوية.

عاد ناصر باشا إلى المنتفق لإجراء التشكيلات، فوصل ولا يزال في غبار سفره، وقبل أن يؤسس الإدارة فيها. إذ كلفه الوزير ببعض الأمور العشائرية، فاشتعلت نيران الفتنة، وكثرت حروب (عفك والدغارة). دعاه الوالي بنفسه، فجاء بمقدار كبير من

العشائر الخيالة، فكانوا في صحبته، فقام بالمهمة إلى أن تمت الغائلة، فشكر الوزير خدماته. أوضحنا ذلك في (تاريخ العراق بين احتلالين).

وكانت آمال الوزير استغلال مسالمة المنتفق لبناء الناصرية، ولأغراض مهمة قام بها، ومن أهمها حادث الأحساء، ولعل لبناء الناصرية الأثر الفعال للقضاء على إمارة المنتفق، فكانت أعمال الوزير موفقة، وتستحق كل إكبار من دولته. قرّب ناصر باشا وأرضاه، واستغله لأموره الأخرى، ولكن سخط الدولة عليه دعا أن تفسر في غير ما هو صالح لها، وإن ناصر باشا لم ير بُداً من تنفيذ رغبات الوالي، فبنى بلد (الناصرية) باسمه في سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م)، وبذلك ألغى فعلاً إمارة المنتفق بتأسيس هذه المدينة، فصارت مركز اللواء، وكانت مقدمة الاستيلاء على هذه الإمارة.

انقراض إمارة المنتفق:

اتخذ العثمانيون تدابير جمّة للقضاء على الإمارات داخل العراق لما ازعجتها بأوضاعها، وبأمل أن تكون الدولة صاحبة الأمر، ولم يكن القضاء على إمارة المنتفق بالأمر السهل، وإذا تم في وقت عاد في آخر.

ولعل أهم سبب أن هذه الإمارة فقدت الوحدة، وأن الإذعان اختل، ووسائل الاحتفاظ بالوحدة زالت لتوالي الحروب، ولطموح الرؤساء وتنازعهم الزعامة، فتعددت الكفاءة فيهم، وأن رجال العشائر أنهكتهم القسوة من الحكومة لما رأوا من التزام وارهاق فيه اضطر الكثير إلى هجر أوطانهم، والميل إلى إيران، أو إلى الأنحاء الأخرى المجاورة.

ساقت الدولة قوة على المنتفق للقضاء على الإمارة، ولو لم تسق لكانت النتيجة واحدة، إلا أن الجيش عجل بالمهمة، وكان ركون الدولة إلى ذلك استعانة بالأسلحة الجديدة التي لا تطيق العشائر صبراً على تحمل نيرانها. يضاف إلى هذه النزاع على المشيخة والمزايدات في الالتزام، واختلال أمره حتى أدى إلى سوء الحالة، فالعشائر لا

تطيق ارضاء الإمارة، ولا تتمكن من سدّ نهم الحكومة، فتولدت المصيبة، وتحملتها العشائر على مضض، وربما كانت السبب الرئيسي في هذا الافتراض.

وأول ما فعلته الحكومة أن جعلت كل عشيرة مسؤولة رأساً نحوها في حاصلاتها، فأرادت أن تقوي منزلتها من نفوس الأهلين فتساهلت، وهكذا كان بناء الناصرية عاملاً مهماً في اتخاذ مركز للدولة في وسط اللواء للتسلط على العشائر، والحالة تنطق بالوضع أكثر من مئات المؤلفات، إلا أن الحوادث تعين على الحل الصحيح.

ويهمنا بيان أن انقراض الإمارة مسبب من الدولة. اتخذت جملة تدابير للقضاء عليها، فأدى الأمر إلى بذل جهود عديدة بلا جدوى. لحد أن الدولة كادت تظهر العجز، مع أنها استخدمت أكابر رجالها للمهمة، فلم تكن مثل بابان، ولا العمادية، ولا غيرهما.

حدثت الواقعة سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م)، وكانت تقدمت العشائر، وجعلت أمامها نحو ألفين أو ثلاثة آلاف من الإبل، وكان الموسم أواخر الصيف، وصرّت آذانها بالزفت، وركبها بعض الفدائية، فساقوها على الجيش، وهجموا عليه، وكانوا حملوا الإبل رملاً، وصاروا يذرّونه ليشوشوا الهدف.

وكان رئيس الفيلق السادس عزت باشا قد باشر القتال بنفسه، وكان موقفه خطراً جداً، وصار يحرض على القتال، وأبدى الضباط بسالة فائقة، ونيران المدفعية أصابت الأهداف، وتمكنت فأضرت.

وكانت العشائر تعاهدت على الدوام على الحرب، فأزعجت البصرة ليلاً ونهاراً. تطلق البنادق، وتشعل نيران الحروب. انتصر الجيش على العشائر بعد أن أبلى البلاء المشهود.

وجرت الواقعة في أنحاء الحي في مقاطعة أم الشعير، وهذه المقاطعة في تصرف الشيخ عبدالله الياسين رئيس عشائر ميّاح، وكانت قوة العشائر تتجاوز العشرة آلاف

مقاتل، وكانت الدولة في ريب من أمرها، ولا مجال لتفصيل ما جرى[1]، ومن الأغاني الشائعة آنئذ:

فـــــــــالح يـــــغـــــرنـــــوگ طـــاســـه وخـــــذوهــــا اروام

بـــيـــش أحـــلـــب الـــنـــوگ؟

ومعناها يا فالح (هو فالح باشا السعدون وكان شاباً جميلاً، وله رقبة طويلة كالطير المسمى بالغرنوق) أخذ الأروام طاستي، فبأي إناء أحلب ناقتي. تريد أنهم صاروا فقراء.

هذا. ولا تزال بقايا رجال الإمارة لها المكانة، ومنهم سعدون باشا، وفخامة السيد عبدالمحسن السعدون، والشيخ عبدالله الفالح، وعجمي باشا السعدون. اشتهروا بعد هذا الحادث، وعرفوا بما لهم من مواهب حتى اليوم من رجال هذا البيت، ولا يزال محتفظاً بسمعته، والوقائع الجليلة عرفت مقرونة بأمرائهم.

ومن حين انقراض الإمارة بل قبل ذلك اقتطعت أماكن، وانفصلت عشائر يصعب اليوم تعيينها كلها بالضبط، ولم يعد لها ذلك الذكر والصيت.

(١) تاريخ العراق بين احتلالين، ج٨، وفيه مراجع عديدة.

عشائر المنتفق في الألوية الأخرى

وقائع المنتفق كثيرة، والتدابير المتخذة للقضاء على الإمارة لا تحصى، وهذه فلّت من وحدة عشائر المنتفق، وأدت إلى تبعثرها، ولا شك أن هذا الإلحاح والتضييق ساق إلى اقتطاع أقسام عديدة بعشائرها، وإلى نزوح أخرى إلى الألوية المجاورة، وإلى الأنحاء البعيدة مثل الحويزة وما والاها. ليكونوا بمأمن من عوائل الدولة وعواديها.

١- في لواء البصرة:

من عشائر بني مالك من مال إلى البصرة أو اقتطع لقضاء القرنة، فإن (عشائر المدينة) مثل الصيامر والعوابد وآل علي وآل بدران والحيادر، وعشائر أخرى من بني مالك أو ملحقة بهم، و(عشائر السويب) من مالك والسعد والحلاف وبني منصور وما والاها من نواحي القرنة، وعشائر الهارثة من نواحي البصرة ومن الحلاف وبدران وغيرها من عشائر المنتفق، وهكذا مالت عشائر أخرى إلى الغرس، فتعهدت الفلاحة والتعابة، فصارت من أهل القرى، ومنها من مال إلى نفس البصرة، فتركوا الأرياف، وتكونت منهم أسرات معروفة.

٢- في لواء العمارة:

كان القسم الكبير من هذا اللواء مقتطعاً من المنتفق، وأن (قلعة صالح) من بناء أحد شيوخهم، كما أن من عشائر المنتفق في هذا اللواء (العيسى، والبزّون، وآل مريّان)

من بني سعيد، و(آل أزيرج، والسواعد)، وقسم كبير من البو محمد من بني مالك، وقد سبق بيانها، والحوادث التاريخية مشعرة بما يؤيد.

٣- في لواء الديوانية:

في هذا اللواء عشائر عديدة من المنتفق، وأن السماوة مقتطعة منه، وعشائره امتدت إلى أنحاء اللواء، واختلطت بغيرها، وصلة هذه العشائر بالمنتفق لا تزال محفوظة، وتكونت منهم عشائر كبيرة.

كتاب تاريخ العراق بين احتلالين

الجزء الثاني

حوادث سنة ٧٤٠هـ (١٣٣٩م):

الشريف أحمد والحلة: (أمراء المنتفق)

في هذه السنة أو التي قبلها. تغلّب الشيخ حسن سلطان العراق على الأمير الشريف أحمد بن رميثة بن أبي نمي، وكان قد انتصر عليه في حربه معه، فعذبه وقتله، وأخذ الأموال والذخائر التي كانت عنده. هذا وإن الأمير أحمد كان قد استولى على الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد، وحكمها أعواماً، وكان حسن السيرة يحمده أهل العراق، وبقي فيها إلى أن غلب عليه الشيخ حسن.[1]

وجاء عنه في عمدة الطالب: إنه كان الشريف شهاب الدين أحمد مكرماً عند السلطان أبي سعيد، وذهب مرة بالحج العراقي، وفوّض إليه أمر الأعراب بالعراق بعد عودته من الحج، وكثر أتباعه، وأقام بالحلة نافذ الأمر عريض الجاه كثير الأعوان إلى أن توفي السلطان أبو سعيد، فأخرج الشريف أحمد حاكم الحلة الأمير علي ابن الأمير طالب الدلقندي، وتغلب على البلد وأعماله ونواحيه، وجبى الأموال، فلما تمكن الشيخ حسن ابن الأمير حسين اقبوقا من بغداد وجه إليه العساكر مراراً، فأعجزه.

---

(١) ابن بطوطة، ج١، ص١٣٢.

ثم إن الشيخ حسن توجه إليه بنفسه في عسكر ضخم، وعبر الفرات من الأنبار، وأحاط بالحلة، فحصر الشريف أحمد بها، فغدر به أهل الحلة، وخذله الأعراب الذين جاء بهم مدداً، وتفرق الناس عنه حتى بقي وحده، وملك عليه البلد، فقاتل عند باب داره في الميدان، وقتل معه أحمد بن فليتة الفارس الشجاع، وأبوه فليتة، ولم يثبت معه من بني حسن غيرهما، ولما ضاق به الأمر توجه إلى محلة الأكراد، وكان قد نهبها مراراً، وقتل جماعة من رجالها، إلا أنهم لما رأوه قد خذل أظهروا له الوفاء، ووعدوه النصر حتى يدخل الليل. ثم يتوجه حيث شاء.

ولكنه خالفهم، وذهب إلى دار النقيب قوام الدين ابن طاووس الحسني، وهو يومئذ نقيب النقباء الأشراف، فلما سمع الأمير الشيخ حسن بذلك أرسل إليه شيخ الإسلام بدر الدين المعروف بابن شيخ المشايخ الشيباني، وكان مصاهراً للنقيب، فآمن الشريف، وحلف له، وأعطاه خاتم الأمان. أرسل به الأمير الشيخ حسن، فركب الشريف معه إلى الأمير، وهو نازل خارج البلد، ولم يكن الشريف يظن أن الشيخ حسن يقدم على قتله. إلا أن بعض بني حسن أغراه بذلك، وخوّفه عواقبه، وأنه ما دام حياً لا يصفو العراق له.

فلما ذهب مع الشيخ بدر الدين، وكان في بعض الطريق استلبوا سيفه، فأحس بالشر، فلما دخل على الأمير الشيخ حسن أظهر القبول منه، وطالبه بأموال البلاد في المدة التي حكم فيها، وهي قريب من ثماني سنوات أو أزيد، فأجاب بأنه أنفقها، فعذب تعذيباً فاحشاً، فأراد الشيخ حسن إطلاقه، فحذره بعض خواص الشريف، فاحتال في قتله بأن جاؤوا بالأمير أبي بكر بن كنجاية، وكان الشريف قتل أباه الأمير محمد بن كنجاية. قتله في بعض حروبه، فأمر أن يقتله، فضرب عنقه.[1]

وقد مر الكلام عن الشريف رميثة وأبيه نمي وعن حميضة بن نمي المذكور في المجلد السابق، وهنا أقول إن أصل نسبة أمراء المنتفق إلى الشرفاء جاءت من هؤلاء الشرفاء أو من يمت إليهم، ولم يكن الأمير أحمد وسائر الشرفاء الذين جاؤوا العراق وحيدين عقيمين، ومن ثم قوي الاعتقاد بصحة نسب أمراء المنتفق من الشرفاء، وهذا معلوم

(١) عمدة الطالب، ص١٣٣.

عنهم قديماً.

الجزء الثالث

حوادث سنة ٨٢٠هـ (١٤١٧م):

البصرة –واسط:

جاء في تاريخ الجنابي أن دوندي سلطان ملكت في هذه السنة البصرة. انتزعتها من مانع أمير العرب بعد حروب، وكان مانع هذا قد انتزعها من الجلايرية في إمارة السلطان أحمد بن أويس، ولكن قوي أمر دوندي، فانضم إليها عموم عسكر السلطان أحمد. ثم ملكت واسطاً، وصار يخطب لها في مملكتها، وتضرب السكة باسمها إلى أن ماتت سنة ٨٢٢هـ.

وفي المنهل الصافي: «بعد أن فرت تندو (دوندي) من بغداد أقامت بششتر، فأقيم معها في السلطنة السلطان محمود بن شاه ولد مدة، فدبرت عليه تندو، فقتلته بعد خمس سنين[١]، وانفردت بمملكة ششتر. ثم ملكت البصرة بعد حروب، وماتت بعد انفرادها بثلاث سنين، فأقيم ابنها أويس بن شاه ولد مقامها».

والنصوص لا تعين إمارة البصرة من أيام السلطان أحمد إلى اليوم، ولكننا نرى الأعلام متقاربة مع أسماء أمراء المنتفق، وأن مانعاً المذكور هو مانع الأول أمير المنتفق على أقوى احتمال.

وجاء في صبح الأعشى ترتيب المكاتبات لأمراء العرب في الأحساء والبصرة. نقل

(١) هذا يوافق ما جاء في الجنابي من أنه قتل سنة ٨١٩هـ.

ذلك عن (التثقيف)، ولم يعين أمراء البصرة، ولا أسماء حكام البحرين[1]، ولكن الشرفاء لم ينفكوا عن العراق من أيام الجلايرية، ولا تزال البصرة بأيديهم حتى انتزعتها دوندي. ثم عادت الإدارة، وكانت بين قوة وضعف.

حوادث سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م):

قبيلة خفاجة: من قبائل العراق القديمة. مواطنها في أنحاء المنتفق في قضاء الشطرة، وتفرق منها جماعات كبيرة وصغيرة في جهات أخرى كالحلة وكربلاء وبغداد وديالى. قال ابن خلدون : «وكان من بني عقيل خفاجة بن عمر بن عقيل. انتقلوا إلى العراق، فأقاموا به، وملكوا ضواحيه، وكانت لهم مقامات وذكر، وهم أصحاب صولة وكثرة، والآن هم ما بين دجلة والفرات». اهـ.[2]

وجاء في السمعاني: «خفاجة اسم امرأة. هكذا ذكره لي أبو أربد الخفاجي في برية السماوة، ولد لها أولاد وكثروا، وهم يسكنون بنواحي الكوفة، وكان أبو أربد يقول: يركب منا على الخيل أكثر من ثلاثين ألف فارس سوى الركبان والمشاة. لقيت منهم جماعة كثيرة وصحبتهم، والمشهور بالانتساب إليهم الشاعر المفلق أبو سعيد الخفاجي، وكان يسكن حلب، وشعره مما يدخل الأذن بغير إذن». اهـ.

ويعدون الآن في عداد الأجود من قبائل المنتفق، واليوم قبيلتهم قوية. لكنها لم تكن لها الرياسة كما عينها المؤرخون. قال ابن بطوطة: «سافرت من النجف إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة، وهم أهل تلك البلاد، ولهم شوكة عظيمة، وبأس شديد، ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم». اهـ.[3]

والحالة القبائلية عندنا متبدلة جداً، فلا تقف عند وضع، ورئيسهم اليوم صقبان

(١) صبح الأعشى، ج٧، ص٣٧٠.

(٢) العبر، ج٦، ص١٢.

(٣) تحفة النظار لابن بطوطة، ج١، ص١٠٨.

آل علي، وفي الحلة قسم كبير منهم لا يزالون أصحاب سلطة ومكانة كبيرة، ورئيسهم إبراهيم آل سماوي.

الجزء الرابع

حوادث سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٩م):

حاكم البصرة تسليمه المفاتيح:

جاء في نخبة التواريخ أنه في ١٥ صفر سنة ٩٤٥هـ كان قد خرج السلطان من إستانبول متوجهاً نحو أدرنة، فخيم في صحرائها في أواخر هذا الشهر، وغرضه تأديب (ويودة) بغدان أي حاكمها المدعو (پترو)، وكان يبدي للسلطان الطاعة ظاهراً، ويضمر العداء، وفي هذه الأثناء وصل إليه مانع بن راشد (حاكم البصرة) ابن مغامس، ومعه وزيره الأمير محمد. كان أرسلهما حاكم البصرة راشد لتقديم واجب الطاعة والخضوع للسلطان. قدما الهدايا، ومفاتيح البلاد إليه، وراشد هذا كان أميراً مستقلاً صاحب خطبة وسكة، ونال هؤلاء الوفود التفاتاً زائداً من السلطان، وأبدى لهما لطفاً كبيراً.[١]

ولم نقف على أحوال هذه الإمارة ولا على نقودها بالرغم من التحريات في مواطن عديدة، والملحوظ أنها من أمراء المنتفق، وأغلب الظن أنهم من الشرفاء. توصلوا إلى الحكم بقوة العشائر وعدم المعارض، مما رسخ قدمها، وذاقت لذة الحكم، وفي گلشن خلفا ذكر هذه الوقعة توصلاً لما حدث عام ٩٥٣هـ، وعلاقة الشرفاء بالعراق معروفة، ومر الكلام على الشريف أحمد في تاريخ الجلائرية.[٢]

وجاء في كتاب الأنساب للسيد ركن الدين الحسني النسابة عن الشريف أحمد. قال إنه قدم إلى البلاد الفراتية من مكة، وحكم بالحلة من العراق سبع سنين إلى أن ولي

(١) نخبة التواريخ، ص٧١، وتاريخ صولاق زاده، ص٤٩٥، وگلشن خلفا، ص٦١. ٢.

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين، ج٢، ص٣٥- ٣٧.

الأمير الشيخ حسن (أبو السلطان أويس)، وحاربه وقتله في شهر رمضان سنة ٧٤٢هـ، ودفن بالمشهد الشريف المرتضوي عند عمه الشريف عبدالله في الحضرة الشريفة.

والشريف عبدالله أمه أم ولد نوبية. انتقل من مكة إلى العراق في زمان السلطان خدا بنده وأقطعه، وعقبه بالعراق.

ثم إن النسابة المذكور ذكر الشريف أحمد بأنه كان شهماً شجاعاً كريماً فاضلاً، وله من الأولاد أحمد وسليمان ومحمود، وأورد أن لمحمود ابنا اسمه محمد.

وفي هذا النص توضيح زائد، وإن ظهور أمراء المنتفق الشبيبيين، وأمراء البصرة مما يجعلنا نرى تلك العلاقة بالشرفاء، وأنها لم تنقطع، بل قوي اعتقادنا بما سبق لنا القول فيه، وللكلام على أمراء المنتفق محل آخر.

الجزء الخامس

حوادث سنة ١٠٤٩هـ (١٦٣٩م):

أمير المنتفق وآل أفراسياب:

إن العرجة كانت تحت إدارة أمير من أمراء العرب، وحياتها مطمئنة استفادت ذلك من الفترة بين العجم والروم، فلما توفي أميرها سار إليها أمير الأمراء علي باشا أمير البصرة من آل أفراسياب. اغتنم الفرصة للاستيلاء عليها، وعزم على اكتساحها، فلما سمع أهلوها التجأوا إلى والي بغداد، وأنهوا إليه ما جرى.

طلبوا أن يتولى أمرهم دون علي باشا أفراسياب، وعلى هذا أرسل الوزير قائداً وجيشاً كافياً وموظفين مع دزدار (محافظ)[١] وأمير لواء. سيّرهم إليها، فاستولت عليها حكومة بغداد[٢]، والظاهر أن الأمير كان من أمراء المنتفق، ومن هذا تعرف سلطة ولاة بغداد، ومنطقة حدود نفوذهم.

حوادث سنة ١٠٧٦هـ (١٦٦٥م):

أمير الموالي:

وفي هذه الأثناء توجه أمير الموالي علي الشديد[٣] من بغداد لنصرة الوزير، وكان معه

(١) الدزدار: كلمة فارسية استعملها الترك أيضا وتعني ضابط الحصن أو محافظه. فإن (دز) بمعنى حصن و(دار) قابض، وهو القابض على البلد، ويطلق عليه أحيانا لفظ (ضابط).

(٢) گلشن خلفا، ص٨٠- ١.

(٣) شديد بن أحمد ورد في تاريخ العراق بين احتلالين، ج٤.

ثلاثمائة فارس سارع لإمداد الوزير، فجاء البصرة، ولمّا وصل المحل المسمى (كوت معمر) تقاتل مع شيخ المنتفق، وكان قد تابع حسين باشا. حدثت معركة شديدة بينهما، ولكنه لم يتيسر له الانتصار على المنتفق، وبعد القتال الشديد عاد الموالي بالخيبة، فلم يطيقوا مواجهة الوزير لعدم النجاح، ولهلاك الكثير منهم أثناء الحرب.

حوادث سنة ١٠٧٨هـ (١٦٦٧م):

تجدّد حوادث البصرة:

كانت الدولة قد تصالحت مع حسين باشا والي البصرة لضرورة اقتضت، وجعل ابنه مكانه، إلا أنه استمر في العمل، وأن ابنه أفراسياب لم يكن له ذكر في الإدارة، بل بقيت بيد حسين باشا، وبعد تمام الصلح شكاه مشايخ البصرة وأعيانها لما لحقهم من حيف. ذهبوا إلى السلطان، فعرضوا ظلامتهم، وما قاساه الأهلون من ضيم، ولا شك أن لمطالبة الدولة بالمبالغ المقررة دخلاً، فكان التضييق من جراء ذلك، فجاءت الشكوى لهذا الغرض نفسه، فكان المقرر السنوي مائتي كيس، فصدر الفرمان بمنصب البصرة إلى كتخداه (يحيى آغا) مع تحوطات، فورد الأمر إلى والي بغداد بعزل حسين باشا، وتوجيه منصبه إلى يحيى بلقب باشا، وعهد بالقيادة لوالي بغداد، وأن يكون معه والي ديار بكر إبراهيم باشا، ومحافظ شهرزور كنعان باشا الوزير، وأمير أمراء الموصل موسى باشا، ودلاور باشا أمير الرقة[1]، وأمدهم الدولة بألفين من الينگچرية تجمعوا في صحراء قلعة الطيور[2]، واستوفوا معداتهم، وأخذوا أربعة مدافع من نوع (بال يمز)، وعشرين قطعة أخرى من نوع (المدافع الشاهية).

وحينئذ قام الوزير بما عهد إليه وسعى سعيه لاستخلاص البصرة، ومن رجاله ممن

(١) يعرف إبراهيم باشا والي ديار بكر بـ (شيطان إبراهيم باشا) كما أن دلاور باشا يسمى (دلي دلاور باشا). تاريخ السلحدار، ج١، ص٤٧٤.

(٢) تاريخ العراق، ج٤، ويراد بها جانب الكرخ، وفي الأصل قلعة في جانب الكرخ، وهي عند رأس الجسر من الجانب الغربي تجاه القلعة الداخلية (وزارة الدفاع). تكلمت عليها عند الكلام على تكية البكتاشية في خضر الياس في كتاب (التكايا والطرق في العراق).

قاموا بالخدمة خليل الكهية وسائر أعوانه، وممن كان قد تابع الوزير في سفرته هذه الشيخ عثمان بن عمر الحنفي، وكان جاء معه إلى بغداد، وفي هذه التأهبات وافى إليه شيخ المنتفق عثمان (ابن أخي محمد بن راشد) طالباً منه الأمان، وهو مشهور بالكرم. ولما أتى جعله شيخاً، وأحل أتباعه محلهم، ورده محافظاً مع عسكره من جهة حسين باشا، وعلى الأثر جاء عبيد ابن عمه مزاحماً له طالباً المشيخة دونه. تلاقوا على الفور، واقتتلوا، فخر عبيد صريعاً، وهرب من جاء معه.

ثم توالى مجيء الشيوخ إلى بغداد، وكانوا قد ذهبوا إلى إستنبول كما تقدم وقيل. الكل جاء إلى بغداد محمد بن عبدالسلام (شيخ الشيوخ) من طريق حلب، إلا أنه بالقرب من بغداد حل به الأجل المحتوم، فدفن في مقبرة الشيخ معروف[١]. ثم جاء يحيى باشا. ثم توالى الجنود والكل نزلوا بغداد.

ولما تكامل جمعهم بعساكرهم ووزرائهم توجه الوزير مصطفى باشا إلى البصرة من طريق الحلة، وكان الوزير قد سار خلف الجيوش في ٧ جمادى الثانية سنة ١٠٧٨هـ نزل أولاً (قلعة الطيور). ثم مضى، فقطع منازل في سيره، فوصل الإسكندرية، ومنها ذهب بامرأته لزيارة الإمام الحسين (رض). ثم توجهوا إلى الحلة، ومنها إلى قناقية[٢]، ومنها ذهب الوزير وأمراؤه إلى زيارة الإمام علي (رض)، ومن هناك توجهوا نحو المطلوب، وقطعوا البيد حتى جاؤوا (الرماحية)، ومنها وافوا إلى العرجة (العرجاء)، فاجتمعت العساكر هناك.

وفي ٢٠ رجب ساروا منها، فوردوا (كوت معمر)[٣]. قال صاحب گلشن خلفا: وفي هذا الحين ورد عثمان شيخ المنتفق، ومعه ألف من رجاله بين فرسان ومشاة، فبذل

(١) لم يذكره لي الشيخ ياسين آل باش أعيان، ولعله فاته.

(٢) تسمى اليوم (جناجة) من قرى الحلة.

(٣) قرية بين الناصرية وسوق الشيوخ على ساحل الفرات من جهة الشامية.

الانقياد والطاعة[1] بخلاف ما مرّ بيانه عن منظومة الشهابي مع أنه جاء أوضح، وأزال شبهة الراشد في أمراء المنتفق التي كانت تتردد على الألسن من أن حكام البصرة من الراشد، فتبين أنهم أمراء المنتفق، فلم يبق ريب. ثم إن الوزير استمر في طريقه حتى جاء إلى المنصورية (منصورية الجزائر).

أما العساكر الأخرى فكان سيّر قسماً منها إلى جانب القرنة، والبعض الآخر في السفن من دجلة حتى صار جميعهم في الرملة، وبعد ذلك كله جاء الأمر السلطاني مع رجل يدعى عمر يحثه فيه على السفر دون تأخر أو توان، ولما جاء الرسول رأى الوزير بقرب (منصورية الجزائر)، وعلى هذا قرر الأمراء لزوم الدوام في السير، فأرسلوا عثمان (شيخ العرب) مع ثلة من الجنود من طريق البر.

والوزير بدأ يسير من جانب الشط ووالي الموصل يمشي مقابلاً له من الجهة الأخرى منه، وعسكر (الينكچرية) في السفن، فصار مشيهم بطيئاً بسبب أن كل جانب يشتمل على أنهر متفرعة، فأكملوا دفن جميع الأنهار في غرة شعبان، وأتى ديار بني سد (بني أسد)، وهناك رأوا بعض أعدائهم، فأكثروا فيهم القتل بعد حروب دامية لم يروا مثلها، ونالهم الهول الأعظم بحيث كادت تزل أقدامهم، واستمروا في طريقهم حتى وصلوا في ٣١ شعبان (الشرش) مقابل القرنة، وهناك نصبوا الجسر فعبروا، إلّا أن الوزير أبقى طائفة من الجيش رابطت، ومعها مدافع تمنع من يأتي إلى القرنة، ونصب الوزير المدافع على العليّة، فأمطرها بوابل من القنابل، فجعلها في لبس من أمرها، وبلغت هناك القلوب الحناجر، فاتفقوا أن يعبروا إلى (السعيداوية)، فعبر إبراهيم باشا والي ديار بكر إلى شط زكيّة، وكان ذلك في أول شهر رمضان، والفتح في الحادي عشر منه.

حوادث سنة ١١٠٢هـ (١٦٩٠م):

اتفق عشائر الجزائر مع أمراء المنتفق، فخرجوا عن الطاعة، وهاجموا والي البصرة جاؤوه بجيش يتراوح بين الألفين والثلاثة آلاف فارس وراجل، فوصلوا إلى (الدير)،

---

(١) گلشن خلفا، ص٩٧، ٢، وتاريخ السلحدار، ج١، ص٤٧٤.

فلما سمع بذلك سارع لصد غائلتهم دون رويّة لمجرد شجاعته وتهوره. قام بأمل تشتيت شملهم، ونصحه بعض أهل الرأي أن يتخذ تدبيراً ناجعاً لإسكان الفتنة والاضطراب، فلم يلتفت، وإنما استقبل أولئك بخمسمائة من المشاة والخيالة مع من كان معه من أتباع. حاربهم فحمي الوطيس بين الفريقين، ففرّ منه أكثر أصحابه، ولم يبق معه سوى مائة جندي، فهاجم بهؤلاء حتى هلك معهم.(١)

ومن ثم حاول كتخداه حسن آغا أن يتولى منصبه باتفاق أهل الرأي ممن كان هناك، فلم يفلح، وإنما تقدم العربان نحوهم، فتمكنوا من الاستيلاء على البصرة، وكان شيخ المنتفق (مانع) قائد الجموع. وصل إليها وتغلب، ولكن أرباب الحل والعقد من أهل البصرة اتفقوا على إبعاده منها، واختاروا (حسنا الجمّال) من أعيان الولاية، وكان مشتهراً في تلك الأطراف، فاستدعوه وولوه أمورهم ليقوم بعبء المستلمية.(٢)

حوادث سنة ١١٠٣هـ (١٦٩١م):

الوزير أحمد باشا البازركان:

هذا الوزير ورد متسلمه بغداد في ١٧ ذي الحجة سنة ١١٠٢هـ. ثم وافى في أوائل سنة ١١٠٣هـ، وهذا الوزير أرسل كتخداه بجم غفير إلى مانع شيخ المنتفق، فعاد بمغلوبية فاحشة، كما أن الوزير قضى أيامه في بغداد بأمراض مزمنة، فتوفي في ٢ شوال، ودفن في مقبرة الأعظمية.(٣)

حوادث سنة ١١٠٤هـ (١٦٩٢م):

حوادث البصرة:

---

(١) تاريخ راشد، ج٢، ص١٨١.

(٢) گلشن خلفا، ص١١٤- ٢.

(٣) گلشن خلفا، ص١١٥ -١.

بعد قتل والي البصرة أحمد باشا عهد بالولاية إلى كتخداه حسن آغا، ومنح طوغين[1]، إلا أن مانعاً شيخ المنتفق حاربه كثيراً. ثم عهد إلى الوزير خليل باشا أخي أحمد باشا البازركان بإيالة البصرة، فسمع مانع بذلك، فتأهب للطوارئ، وللاستيلاء على المدينة، وتسليمها إلى الوزير الجديد. جعل والي بغداد أحمد باشا قائداً، وأن يكون في صحبته ولاة كركوك والموصل، ومقدار من جيش ديار بكر، فوصلوا. قابلهم الشيخ مانع في جزائر البصرة، فدامت المعركة بضعة أيام، وبالنتيجة في سلخ شهر رمضان انهزم الباشا، وانكسر جيشه، وحينئذ انتهب العربان ما معهم من معدات حتى النقود، وصارت سفن الكثير من التجار غنائم، فهلك قسم من العسكر، والقسم الآخر فرّ إلى البصرة، وبعضهم ورد بغداد مجروحاً مسلوباً، وبهذه الحالة عاد خليل باشا إلى بغداد، ولم ينل مأرباً.

وهذه الواقعة عرضت بتفاصيلها إلى الدولة، فوجهت لائمتها على الولاة، وإن تعدياتهم اضطرت الشيخ مانعاً أن يقوم في وجه الحكومة، فارتكب ما ارتكب، وبهذه الملاحظة أرسلت إليه السلطة كتاباً استمالته به، وأضيف إلى تيماره مقدار قليل جبراً لخاطره، وحينئذ أمر خليل باشا أن يذهب إلى البصرة، ففعل.[2]

حوادث سنة ١١٠٩هـ (١٦٩٧م):

حالة البصرة:

إن الحوادث المارة تجعلنا نقطع بجلاء أن حكومة بغداد لم تتمكن من ضبط العشائر المجاورة، فكيف تستطيع القضاء على إمارة المنتفق بالبصرة.

وجل ما عرف من تاريخ راشد أن أخا الشيخ مانع، ومثله كتخداه جعفر لم يتمكن من الحويزة، وعاد مخذولاً في حربه، وتوالى الوهن في القوة، وأن العربان الذين معه تفرقوا منه تدريجياً.

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين، ج٤، ص٢٠٩.

(٣) گلشن خلفا، ص١١٥، ١، و٢.

وأن الأهلين في البصرة وشيوخ العرب في أنحائها أخبروا الوالي بهذه الحالة، وطلبوا أن يجعل حسن باشا والي البصرة السابق والياً عليهم، وأن ينقذهم. قدموا محضراً بذلك، فلم يعتمد والي بغداد على هذه الأخبار، فأرسل درويش آغا كتخدا الجيش الأهلي لاستطاع حقيقة الحالة، ولما عاد أبدى أن القرنة راغبة في التسليم، وأن الشيخ ابن صبيح طلب قوة صغيرة، فأرسل إليه ثلاثمائة من الجيش، فسلم إليهم البلد، وأخرج أعوان الشيخ مانع.

وأن أهل البصرة لا سيما سادات الرفاعية وردت الكتب منهم يلتمسون إرسال حسن باشا بألف جندي ليسلموا إليه المدينة. أما الوالي فإنه ليس في استطاعته تجهيز ألف جندي، فتهرب من كل مصرف، أو بالتعبير الأولى لم يتمكن من إخضاع العشائر التي بجهته، فكيف يستطيع أن يجهز جيشاً لهذه المهمة، فلم يهتم بكل هذا، وأضاع الفرصة.

وفي هذه الحالة ورد سفير من أمير الحويزة، فأبدى أنه يستطيع أن يستولي على البصرة، ويقدمها إلى الدولة، والظاهر أن الوالي أذن له، ومن ثم لم يستطع الشيخ مانع دفعه، فترك المدينة، واستولى عليها أمير الحويزة، فصارت بيد المشعشعين.[(١)]

مفاتيح البصرة:

وبعد ما مرّ من الحوادث من انتزاع أمير الحويزة المولى فرج الله البصرة من الشيخ مانع كان أخبر شاه ايران بذلك، وحينما سمع لم يشأ أن يجدد حوادث الخصومة مع العثمانيين، فأرسل رستم خان سفيراً إلى الترك، فذهب إلى أدرنة، وبعد الاستراحة أياما معدودات واجه الصدر الأعظم وشيخ الإسلام، وأبدى أنه جاء بمفاتيح البصرة والهدايا الوافرة. ثم تكرّم بمواجهة السلطان، وعرض كتاب الشاه مع الهدايا، وأبلغ ما أرسل من أجله، فأبدى السلطان اللطف لهذا السفير واستأنس به، وكساه وأتباعه الخلع.[(٢)]

---

(١) تاريخ راشد، ج٢، ص٤٢٠.

(٢) گلشن خلفا، وسياحتنامه حدود، ص١٠٠.

حوادث سنة ١١١٢هـ (١٧٠٠م):

تفصيل حادث البصرة:

إن الشيخ مانعاً كان استولى على البصرة، وإن أمير الحويزة أخرجه، وانتزع منه المدينة. أعلم بذلك الشاه، وعرض ما وقع. ثم إن الشاه فكر في الأمر كثيراً، وبعد تلوم ثلاثة أشهر أو أربعة، وتأمل في القضية. قطع بأن لا طريق سوى مراعاة الصلح القديم، فأكد بكتاب منه روابط الإخلاص، وقدم مفاتيح المدينة مصنوعة من الذهب من العيار الكامل مع أحد الأمراء المعتبرين، وهو (أبو المعصوم خان)، فعرضها على السلطان. جاء هذا الخان بمهمّة السفارة، ورجا أن تجدد الصناديق لحضرات الأئمة المشار إليهم من جانب الشاه، فوافق السلطان، وصدر الإذن بذلك، وإن ولاة بغداد أيضاً ساروا طبق الفرمان، وسارعوا في الأمر.

والبصرة كان استولى عليها الشيخ مانع أمير المنتفق في أواخر سنة ١١٠٦هـ، وفي شهر رمضان من سنة ١١٠٨هـ استولى عليها أمير الحويزة المولى فرج الله، ولما أخبر الشاه لم يرض بعمله، وضبط المدينة، وعيّن لها داود خان والياً إلى أن تتسلمها الدولة العثمانية منه، وفي شهر رمضان سنة ١١١٢هـ عادت إلى الدولة، ودخلت في حوزتها.

حوادث سنة ١١١٧هـ (١٧٠٥م):

البصرة والأمير مغامس:

كان والي البصرة محمد باشا القبطان توفي في أوائل سنة ١١١٦هـ، فعهد بمنصب البصرة إلى والي بغداد علي باشا، فذهب إليها. وبقي فيها إلى أن عزل، فصار مكانه خليل باشا. ورد بغداد في جمادى الثانية من سنة ١١١٧هـ، وتوفي علي باشا قبل أن يصل إلى بغداد بثلاثة منازل في طريق عودته. وصلت جنازته في سلخ رجب، فدفن بمقبرة الأعظمية.

استفاد الأمير مغامس بن مانع أمير المنتفق من انحلال البصرة، فلم يبق فيها

سوى المتسلّم، فاستولى عليها. استغل فترة تبدل الولاة ووجود المتسلّم وحده، وكان في هذه الأثناء بعد ما استولى الأمير مغامس حضر أمامه في ٢٢ رجب سنة ١١١٧هـ (٧ تشرين الثاني سنة ١٧٠٥م) الربّان الهولندي، وبعد أن هنأه التمس منه عقداً بين الهولنديين والعرب يتعلق بشؤون شركتهم، وأن يحمي كنيسة الكرمليين ودارهم، وفي ٩ من تشرين الثاني قدم مذكرتين إلى الأمير مغامس، فأحالهما إلى قاضيه الشيخ سلمان فصدقهما، وفي ١٢ منه أرسل البراءتين إلى الربان الهولندي، فحصل الكرمليون على عهد يتعلق بكنيستهم ودارهم.

حوادث سنة ١١٢٠هـ (١٧٠٨م):

في غرة رجب سنة ١١٢٠هـ خرج الوزير، وبقي مدة أسبوع زار خلالها بعض مراقد الصلحاء مثل الإمام معروف الكرخي، واستكمل العدة، فرحل عن بغداد يوم الاثنين ٧ من الشهر المذكور. ثم وصل إلى شرقي الحلة، وقضى هناك بضعة أيام، وفي ٢٢ منه تحرك منها، فوصل إلى السماوة، فبدت غرة شعبان.[١]

ثم مضى إلى مواطن المنتفق، فورد يوم ٦ منه (خطر الزور)، وهناك علم ببعض الثوار، وحينئذ عهد بالقيادة إلى الكتخدا بألفي فارس لتعقيب أثرهم، وأرسل مائة أخرى بالقرب منهم للترصد من الجوانب، وكان منزلهم (عين الذهب)، فنال الكتخدا أربه، فوصل إلى جمع الأعراب، فظفر بهم، وسيطر على تلك الأنحاء.

وفي ١٤ منه وصل إلى (أم التمّن)[٢]، فحلّها الجيش، وكان هناك بعض المنتفق، فضربهم وفرق شملهم، فاستولى على غنائم وافرة، وحينئذ نال الكتخدا رضا الوزير، وهكذا قطعوا المسافات والطرق بتأنّ، واعترضتهم صعوبات بسبب وعورة المسالك.

وفي ٢٢ منه وصل إلى ضواحي البصرة، وكان الثوار متجمعين في الشرش، فمر

(١) في گلشن خلفا والحديقة لا يعدد المنازل، وإنما يذكر وصوله إلى (قرية العرجة). استراح بها ومضى.. وفي الحديقة ذكر (قلعة العرجاء).

(٢) مقاطعة في الجانب الشرقي من الغرّاف بقرب صدر البدعة. عن الأستاذ يعقوب سركيس.

الوزير من وسط هذا المنزل، فاتخذت الجيوش (نهر عنتر) موطناً لها. أما الثوار فاحتشدوا في موقع يقال له (دكاكين)، ومن ثم تقابل الفريقان جيش الوزير وجموع المنتفق، وحينئذ صف الوزير الصفوف، وحشدها وأعدها للقاء، وعيّن لكل وزير ممن كان معه موقفه، وقابل بينهم وبين عدوهم، فأكمل تعيينه كما أراد. ثم شرع في سد النهر.

وكان جمع الأمير مغامس يبلغ نحو مائة ألف أو يزيدون. انتشروا في الصحارى والمواطن المجاورة.

جموع العرب:

إن عشائر المنتفق لا تتجاوز العشرة آلاف، إلا أن النجدات توالت إليهم من كل صوب، فبلغت جموعهم الكثرة الزائدة. جاءهم المدد من بغداد ومن الأحساء والحويزة، وممن انتصر لهم الشيخ سلمان الخزعلي. كان مقيماً عندهم من أمد بعيد، والتحق بهم كل من (آل سرّاج[1]، وزبيد، وبني خالد، وغزية، وميّاح، وشمر). ملأوا تلك السهول، وانتشروا في ساحات البر، وكل واحد منهم مدجج بسلاحه.

وفي هذه الأثناء تقارب الفريقان، وصار يتجاول الفرسان، فيمضي الواحد والواحد، فتارة يكون الغلب في جهة، وطوراً في أخرى، وكانت ساحة الحرب ميداناً للأبطال والشجعان.

ولم تمض مدة على هذه الحالة حتى اشتبكت الجموع، وبطلت الرماح، وصار الحكم للسيوف والخناجر، ولم يتبين الغالب من المغلوب. دام الحال على هذا المنوال حتى ظهر الانكسار في جموع العرب بعد أن أبلى الفريقان البلاء الحسن.

دامت الحرب إلى ١٩ شهر رمضان. لم تكن حاسمة، وإن انكسار جهة لا يعني انكسار الكل، فكان من رأي الوزير إنهاء الحرب، وأن التطاول فيها مذموم، فحرك همة الجيش، وهاجم بالكل، وتقدم أمام جموعه، وأغار على العربان، فألجأهم إلى قراهم

---

(١) وردت في قويم الفرج بعد الشدة بلفظ (سبراج) وهو غير صواب، ويلفظ اليوم (سراي) وهم من ربيعة.

فهزمهم. توالت المغلوبيات عليهم إلى سبع مرات، وحينئذ وفي المرة الأخيرة تداخل بعضهم في بعض، وصارت المضاربة بالسيوف والخناجر.

وكان الشيخ تركي شيخ الأجود[1] سقط في المعركة، وكان يلازم الشيخ مغامساً، وهو أشد منه .كان جباراً قاهراً، فلما رآه الشيخ مغامس سقط صاح: (واه عليك!)، فاستولى عليه الخوف، فاضطر إلى الفرار والهرب، فكان (تركي) شوكتهم، وبموته خذل الكل، وفرّوا جميعاً. هلك في هذه المعمعة نحو العشرة آلاف بقيت أشلاؤهم مطروحة في ساحة القتال، ولم يلتفت الباقون وراءهم من شدة ما أصابهم، وحينئذ أنعم الوزير على الغالبين، وكان يبذل الذهب والفضة لكل من يأتيه برأس أو قلب. لم يراع اقتصاداً أو تقتيراً.

بقي الوزير في موقعه ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع مضى إلى البصرة، فدخلها في نهاية شهر الصيام، وأرخ ذلك صاحب گلشن خلفا بـ (غزاي مبين) أي سنة ١١٢٠هـ، وفي اليوم التالي احتفل بالعيد، واتخذت الأفراح. دام ذلك ثلاثة أيام بعد أن كان الجيش قضى ثلاثة أشهر كاملة لم ير في خلالها راحة، وحدث عن سهر الوزير ولا حرج!

وفي ثالث العيد دعا الوزير شيوخ الجزائر، وطيّب خاطرهم، وأكرم الجميع من الوزراء وغيرهم حسب درجاتهم، وعين لكل مكانته ورتبته، وأكد عليهم لزوم الطاعة.

دام في ذلك المكان ستة أيام. ثم ذهب لزيارة الإمامين طلحة والزبير (رض)[2]. ثم عاد إلى الفيلق، ومن هناك قصد بغداد بعد أن تيقن أن قد تأسس النظام على الوجه المطلوب، وحينئذ استقر والي البصرة في منصبه، واشتغل في مهام أموره، وأن الأهلين فيها أثنوا على الوزير، ولهجوا بذكره، فحصلوا على الراحة من عناء الثورات والاضطرابات.

مضى الوزير إلى الجزائر بجيوشه. أراد أن يؤمن الحالة بالقضاء على بعض الغوائل يوقع ببعض من هو مظنة فتنة، ولكنهم لم يجدوا من كانوا يأملون العثور عليه وأصابهم

---

(١) الأجود من المنتفق وهم الثلث كما أن بني مالك ثلث وبني سعد ثلث آخر.

(٢) رحلة المنشي البغدادي، ص٩٣، وفيها ذكر مشهد الزبير (رض).

في الطريق تعب شديد بسبب وعورة المسالك.

وفي غرة ذي القعدة وصلوا إلى (جفتاية)[١] قرب الهور، وفي اليوم التالي مروا ببني حسن، وكان شيخهم عباساً[٢]، وهو أمرؤ طاعن في السن، وشجاع لا يجارى. ثم وصلوا إلى الحلة. استراحوا فيها ليلة. ثم ساروا نحو بغداد، وحينئذ استقبلهم القوم، وبينهم يوسف عزيز المولوي صاحب تاريخ (قويم الفرج بعد الشدة). وصل إليها في أواخر ذي القعدة لسنة ١١٢٠هـ.[٣]

وفي مجموعة عندي رأيت قصيدة طويلة ناقصة من أولها يثني صاحبها عزيز المولوي على الوزير لما قام به، وهذه غير ما جاء في (قويم الفرج بعد الشدة). استعرض وقائعه، وما أحدث من نظام. ثم مضى إلى وقائع البصرة، وذكر التغلب عليها.

وبعدها جاءت في هذه المجموعة قصيدة عامية بدوية ذكر فيها وقائعه مع البصرة، وتعرض لذكر العبيد والعزة والغرير مع الشبيب، وأوضح عن اليزيدية في سنجار وربيعة والخزاعل، ودعا الوزير بـ (أخو فاطمة)، ولعله ذكر ذلك بمناسبة حرب البصرة. أورد عنها وعن زبيد.[٤]

ونرى من مجرى هذه الحادثة أن العشائر كانت متذمرة من إدارة الحكومة وكذا الأهلون. تجمعوا عليها من كل صوب، وقاتلوا قتالاً عنيفاً، ولكن في مثل هذه المواطن يعوزهم النظام والتدريب، وهذا سبب الخذلان، ولو كانت هذه الحرب نجحت لصالحهم لاستقلوا من ذلك الحين، ولأخفق سعي الدولة، ولما بقي لها أمل في كل العراق، وما ذلك إلا أنها لا تريد التحول عن سياسة واحدة مع كل الأقوام، وهذا أحد أسباب الفشل، وإن التغلب لم يثن العزم، ودامت الوقائع مستمرة ومتوالية.

---

(١) في گلشن خلفا وصلوا قرية العرجة، ومنها مضوا إلى بغداد.

(٢) ولا تزال الرئاسة في أعقابه إلى اليوم، ومنهم عمران السعدون.

(٣) قويم الفرج بعد الشدة، وحديقة الزوراء، وگلشن خلفا، ص١٢٦، ٢.

(٤) مجموعة منظومة فيها قصائد تركية وعربية، غالبها مؤرخ في سنة إيراده، والظاهر أن التركي منها من نظم عزيز المولوي.

قارعهم العرب بعدها مقارعات وبيلة. رأوا العطب منهم، وصاروا يخافون من ظل العربي وخياله، ومن عرف أن المنتفق قارعوهم أكثر من مائة وسبعين سنة بعد هذا الحادث علم درجة هذه المطاحنات، ومقدار النفوس الهالكة في هذا السبيل، بل امتد ذلك أكثر وأكثر.

المدرسة المغامسية:

إن حكم المنتفق على البصرة لم يكن عشائرياً، وإنما كان هناك قاضي شرع، وإن من بقايا أعمال الأمير مغامس المدرسة المغامسية منسوبة إليه، ولا نعرف عنها تفصيلاً أكثر من أنها كانت في أقاصي البصرة أسست لتدريس العلوم، وإطعام الطعام للطلاب، ولما اندرست آلت موقوفاتها إلى المدرسة الحللية من تأسيس أحد آل المفتي من الحلليين بحكم من قاضي البصرة في ٨ ذي الحجة سنة ١٢٤٤هـ (كتاب المعاهد الخيرية).

حوادث سنة ١١٢١هـ (١٧٠٩م):

غزيّة:

بعد أن دمّر الوزير عشائر زبيد عاد إلى بغداد، ولم تمض أيام حتى جاءه أمير قشعم شبيب يشكو حال غزيّة، ويقول إنهم اتفقوا مع شيخ المنتفق مغامس، وتعاهدوا فيما بينهم، ولما انكسر الشيخ مغامس صار يتجوّل ذهب إلى الأحساء مرة، وإلى الحويزة أخرى. يحاول تجديد العهود مع العشائر، ولم يجد من يوافقه إلا غزية. جدد العهد معها على ألا يأتيه شر منها، وتعهدت بسد هذه الثلمة أو الثغرة من الشامية، وحينئذ هاجم حسكة، فانتهب بيادرها، ونهب (الرماحية) وسائر أنحائها، وأحرق الزروع أيام الصيف.

أخبر الوزير بكل ذلك، وقيل له إذا داموا على هذا تطاير شررهم، وتعسر القضاء على الفتن، وتحقق الوزير صحة هذه الأخبار كما حكاها أمير قشعم، إلا أنه أخّر سفرته أياماً ريثما تتم الزروع خشية أن تنتهب، والصحيح أنه كتب إلى دولته، فأرسلت إليه مرة أخرى والي ديار بكر ووالي كركوك بكهياتهم، وبجنود غير قليلة، وكذا والي الموصل ووالي

ديار الكرد جعلا تحت أمره، فوردت الجنود تترى، ومن ثم غزاهم. إذ إنهم نقضوا العهد، فوصل إلى الحلة، وكان خروجه من بغداد في نهاية شهر رجب.

ثم سمع أن القوم تشتتوا حينما علموا بالتأهب عليهم، فسكن قسم منهم (الأخيضر)، والقسم الآخر أقام في (دبلة)، وحينئذ أرسل الوزير شبيباً (أمير قشعم) مع أربعة آلاف فارس. أمره عليهم ليذهبوا إلى حدود شفاثة[1]، وذهب الوزير إلى جهة (دبلة)، ولما وصل إليها لم يجد للقوم أثراً. وردت بلفظ (وبلة).[2]

وفي هذه الأثناء بدر له أن يميل إلى حسكة، وهناك كان الشيخ إسماعيل في بني مالك، ومن صدق لهجته علم الخبر، وتيقن أن أصل هذه الفتنة الشيخ مغامس، وأنه حدث بينه وبين المنتفق خلاف، وعلى هذا توجه من هناك، وقصد منازلهم، فوصل إلى محل (شوكة) جاءه البريد من المنتفق، وفيه عرائض قدمت إليه من الشيخ ناصر أمير المنتفق فحواها: (إننا ضجرنا من شيخنا مغامس لما قام به من ظلم، وليس لنا رضا بأعماله. أنقدنا منه، وأمدنا بعنايتك!).

وأبدوا أحواله واحدة فواحدة، ورجوا أن ينهي الأمر، وطلبوا أن يسرع لإمدادهم، وهم لا يزالون في حرب معه، فكان جواب الوزير: (أتيناكم أبشروا بخير. جئناكم بسرعة الريح. إنكم في حمانا، فاطمئنوا وأيقنوا بالنصر).

كتب ذلك مختصراً، وبعث به مع من جاء بالكتب. أراد أن يقرب لجهته قسماً منهم، ورحل بسرعة يقطع المنزلين ليمد الشيخ ناصراً من أمراء المنتفق، ولم يمض إلا القليل حتى وجده ومعه قليل من الفرسان حضروا، وعرضوا الطاعة. خلع الوزير عليه وأكرمه، وعرف منه أن الشيخ مغامساً فرّ مع عشيرة عبودة، وأن العشائر التابعة له قليلة جداً.

---

(١) وردت في معجم البلدان بلفظ (شفاثا) راجع (عين التمر) منه.

(٢) جاء في رسالة الشيخ وداي العطية: كنت أظن أن الميل إلى الحلة أولى من الميل إلى نفس لواء الديوانية، وهذا ما تبادر للخاطر، فقلت (دبلة)، ونبهت على ما ورد في أصل المرجع التاريخي، وفي بيان الشيخ في تعيين صحة اللفظة، وأنها مقاطعة معروفة في ناحية الغماس مما يشكر عليه.

وحينئذ ركب الوزير السفن وعبر الفرات ليعقب أثر الفارين. أرخى العنان نحو الجوازر، فوصل (أبو مهفة)[1] الموقع المعروف، فبات ليلته بقربه، وكان الشيخ مغامس تحصن فيه هو ومن معه من ربيعة وميّاح[2]، وجماعة من المنتفق أيضاً، ويعد الكل بخمسين ألفاً أو ستين. تأهب الفريقان للحرب، واستعدوا للقتال، ولكنهم قبل الشروع في المعركة تركوا أموالهم وأولادهم، وتفرقوا في بعض الأنهر المندرسة (العتقان) في تلك الأنحاء، فلما عبر الوزير بجيشه لم يجد لهم خبراً بالرغم من تتبع آثارهم. حاول أن يلحق بهم فلم يفلح.

أما مغامس فلم يطب له المقام في كل الأصقاع، فذهب إلى الحويزة، فنظم الوزير الأمور خلال سبعة عشر يوماً أقامها في تلك الديار، وحينئذ وصل الشيخ شبيب أيضاً، فنال إكرام الوزير ولطفه. ذهب إلى شفاثة (شفاثا)، فتعقب الفارين، واستولى على إبلهم وأموالهم ونجوا بأنفسهم، فنال من الوزير خلعاً فاخرة، وكذا الرؤساء الآخرون. أنعم على كل منهم بإنعام يليق به وعلى ابن الشيخ شبيب، وقدر سعيهم.

قالوا: «إن آل قشعم من أهل النسب العريق بين العشائر، وإن رئيسهم صادق اللهجة، وله خدمات تذكر له، فهو منقاد لأوامر الحكومة، ولذا عادته العشائر حتى أنهم نهبوا بيته مرات، وحاولوا إهانته، فاستحق من الوزير كل رعاية».

حوادث سنة ١١٣٨هـ (١٧٢٥م):

المنتفق:

وقالوا عصى محمد بن مانع أمير المنتفق في هذه السنة.

حوادث سنة ١١٥١هـ (١٧٣٨م):

---

(١) اليوم يلفظ (أبو مهيفة) ملك آل المناع رؤساء الأجود، وقال الأستاذ يعقوب سركيس: مقاطعة في الجانب الأيمن من الغرّاف قرب البدعة.

(٢) ميّاح من ربيعة عشيرة كبيرة ومستقلة، وكذا عبودة من عشائر ربيعة، وهي اليوم في عداد المنتفق.

حسكة وأمير المنتفق سعدون:

ثم إن الكتخدا بأمر من الوزير رجع إلى حسكة ليصلح منها بعض الشؤون، والصحيح لينال منها بعض الغنائم، فوردها وأمّن طرقاتها من جميع جهاتها، وانقادت عشائر البدو من كل فج، وكان من جملة من قصد أمير المنتفق سعدون بجملة من عشائره، فاتخذ الكتخدا ذلك فرصة للوقيعة به. قالوا: وكان يزعم أنه (سلطان العرب)، فقبض عليه وكبّله ورجاله، وجاء بهم إلى بغداد، وسجن في الثكنة الداخلية. بقي زمناً وكاد يقضي نحبه، وأيقن بالهلاك، فطلب من الوزير أن يعفو عنه، وشفع فيه بعض الأعيان، فعفا عنه، وجعله رئيساً كما كان، وألبسه حلة الرضا.[1]

وقعة الشيخ سعدون:

وفي السنة نفسها أخبر الوزير بأن الأمير سعدون جمع نحو عشرة آلاف مقاتل، فنزل بين النجف والكوفة، وتغلب على بعض القرى، ومنع الزراع من الانتفاع. قائلا: (أنا السلطان في هذه الديار، وما شأن أحمد باشا وما السلطان؟. إني إن شاء الله آخذ بغداد، وأحكم فيها بالعدل)، ومن ثم حاصر الحلة وبقية الضياع. كما حاصر البصرة قائلاً: (إنها ملكنا ليس للروم فيها شيء، وإنا كنا نأخذ كل عام من أهلها الغنيمة).[2]

قال في الحديقة: صدق، فإن هؤلاء المنتفق أعراب البصرة، وإنهم أكثر العرب مضرة. عجزت الولاة عن كسر شوكتهم، وذلت الوزراء عن درء أذاهم.

نقل عن والده أنه قال: كانت بغداد قبل تولية حسن باشا تأتي إليها العساكر الكثيرة من قبل الدولة، والوزراء العديدون يخيمون في الكرخ. يأخذون صحبتهم والي بغداد إلى قتال هؤلاء، فيرجعون خائبين من فتك أولئك وقوتهم، وإن أهل البصرة يؤدون الخراج إليهم، وإن واليها لا يسلم من ضرهم حتى يفوض الأمر إليهم، لكن مذ حل الوزير حسن باشا مدينة السلام كسر شوكتهم، ورفع غائلتهم عن أهل البصرة، وبعده

(١) حديقة الزوراء، ص١٤٧، ١.

(٢) دوحة الوزراء، ص٤٦.

جرى ابنه مجرى الأب.

نعم كان هؤلاء استخدموا العناصر العراقية بعضها على بعض، فتمكنوا وقويت سلطتهم. كما أن المماليك كانوا عوناً لهم. وكانت طاعتهم عمياء.

سمع الوزير بالخبر، فعجل بالمسير، وصحبه الأكراد وسائر ما عنده، ولما علم بقدوم الوزير عليه قفل إلى ناحية البصرة، فتبعه الوزير، فاحتجب في بطون الأهوار، وكسر السد من جميع الجهات، وكانت طليعة عسكر الوزير الأكراد، ورئيسهم عثمان باشا الكردي، فعبرت عليهم من خيول المنتفق الشجعان، وقصدوهم فرساناً، فالتقوا وبدأت الحرب. تكاثرت عليهم خيول المنتفق حتى صاروا أضعافهم، وازدحم عليهم المدد حتى فاقهم، فقاتل ذلك اليوم عثمان باشا قتالاً تتضاءل عنده الأبطال، فذهلوا مما رأوا، وولوا الأدبار، وتحرزوا في أهوارهم.

ثم جاء الوزير، ووجه عليهم المدافع، وحاصرهم لبضعة أيام فلم يبرح، فنالهم الجوع والضيق لحد أن ابن الشيخ سعدون قدم على الوزير، وقال له: (يا عماه إني جائع فأشبعني، وإن أهلي وأقاربي كادوا يموتون جوعاً، فإن عفوت فلك الفضل، وإن لم تعف فلا ترجعني إلى أهلي، فأهلك معهم)، فضحك الوزير لذلك، وعفا عن سعدون، ورجع عنه.

ولما رجع الوزير عاد الشيخ سعدون إلى ما كان عليه، فأرسل سرية أمر عليها كتخداه سليمان باشا، ولما وصلوا البصرة أبصروه بالمرصاد ينتظر قدوم العسكر، فعزم على القتال. اشتبك الفريقان في الحرب. ثم انجلت عن هزيمة سعدون وقومه. تركوا الخيام، وقبض على سعدون في المعركة، فأخمدت أنفاسه، وأرسل رأسه إلى الوزير، ولما جاءه البشير أنعم عليه وعلى قاتله بالعطايا الكبيرة، وحينئذ أمر أن يسلخ جلد رأسه ويحشى تبناً، ويوضع في صندوق، ويرسل إلى الدولة لما شاع وذاع عندهم من قوة بطشه[1]، وهذا منتهى الحنق!

---

(١) دوحة الوزراء، ص٤٧.

وبعد أيام قلائل وصل الكتخدا إلى بغداد منتصراً، فألبسه الوالي الخلعة لما قام به من خدمة، وما أحرزه من نصر.

قال في الحديقة: «ما ثبت في هذا الكتاب هو رواية الأكثر، وحدثني بعض الجند وهو الأصح عندي أن غزوة سعدون كانت بعد غزوة بلباس، وأن نائب الوزير في بغداد (القائممقام) سمع بغائلة سعدون، فخاف من ازدياد شوكته إذا أهمل، فأرسل إلى الوزير وهو في بلباس بريداً يخبره بذلك، فحين سمع ألوى عنان العزم، وسار إليه، فحدث ما قدمنا، وحدثني البعض أن غزوة ربيعة وقضية القبض على سعدون كانت قبل بلباس، وهذا هو الصحيح عندي». اه.[1]

وفي تاريخ نشاطي ذكرت قضية الأمير سعدون في حوادث سنة ١١٥٥هـ جاء أنه أرسل الوالي كتخداه سليمان باشا على الشيخ سعدون شيخ المنتفق، وهذا قتل الشيخ، وبعث برأسه إلى الدولة العلية، فأنعمت عليه برتبة (روم ايلي)، وفي مجموعة عمر رمضان أنه قتل سنة ١١٥٣هـ، ومثله في عمدة البيان[2]، وآل السعدون ينسبون إلى هذا الأمير، فاشتهر أمراؤهم باسمه.

حوادث سنة ١١٦١هـ (١٧٤٨م):

سفر الوزير سليمان باشا إلى البصرة:

مهما كان الأمر توجه سليمان باشا إلى البصرة، وترك بغداد بأمل العودة، ولما وصل كتب إلى دولته كتاباً أنه وصل إليها في غرة ربيع الأول بيّن فيه أنه ساهر على مصلحة الدولة، ومراع رغباتها، وفيه ترشيح ضمناً لنفسه لوزارة بغداد. قال:

(إن عشائر المنتفق اغتنمت فرصة وفاة الوالي أحمد باشا، فخرجت عن الطاعة، وعاثت بالأمن، واختارت الشيخ بندراً أميراً لها، واتفقت مع عشائر بني لام، وعشائر الحويزة والمعادي (المعدان) ممن يسكن الأهوار، فتجمعت في القرنة، وأعلنت العصيان،

(١) حديقة الزوراء، ص١٥٠، ١.

فاضطرب حبل الأمن، وقام الوزير من بغداد، فنازع هؤلاء قاصداً (البصرة)، ولما ورد الحسكة جاءه محضر من العلماء والصلحاء وسائر الأهلين يشعر أن الشيخ بندراً أضر بالأنحاء المذكورة، وأنهم حينما سمعوا بتوجه الوزير إليهم بادروا في البيان، وأبدوا أنهم حاضرون للمعاونة والقيام معه، فبقي فيها بضعة أيام نظم خلالها الأمور، وقضى بعض اللوازم. ثم تحرك متوجهاً نحو جمع العصاة لمقابلتهم، ولكنهم لم يستطيعوا البقاء ولا المقاومة فتشتتوا. فروا إلى الصحارى والبوادي النائية، وتمزق عقد جمعهم، والباقون هربوا في الأهوار، والتجأوا إلى الشيخ مهنا العثمان، وهذا اتفق مع المعادي (المعدان)، ولما وصل العرجة نظم الجيش. ثم عبر (الفرات)[1].

وحينئذ هاجم (هور بني مالك)، وفيه الشيخ مهنا مع العشائر، وكانوا تحصنوا في آجام القصب من أنحاء الهور. دامت الحرب نحو أربع ساعات، ومن ثم ضبط مكمنهم فانكسروا، وفروا لا يلوون على شيء، وقتل منهم ما يتجاوز الألف بينهم برهام وابنه كلب علي وأربعة آخرون من الرؤساء، ونهب ما عندهم من مواش، فقضى على العصيان في أنحاء البصرة كما أخمد غائلة بني كعب، ورئيسهم مسطور الكعبي كان هاجمهم الجيش، وقتل منهم نحو ٢٥ من مشاهير رجالهم، وأحرقت سفنهم، ولم يكن آنئذ في طاعة الحكومة سوى عشيرة الدواسر، وهم في ثغر البحر، ومن ثم اطمأن الناس وزال الخوف. وصار الذهاب والإياب من البصرة وإليها براً وبحراً أميناً.

ولما وصل الخبر إلى الدولة شكرت سعيه، وأكدت عليه لزوم إتمام العمل بإنهاء الاضطرابات، وحراسة الوضع بالقضاء على أهل الزيغ).[2]

اتخذ هذا الوزير كافة الوسائل لينال رضا الدولة تمهيداً لمطلوبه. هذا ولا ندري محل هذه الوقائع من الصحة، بل الشبهة كل الشبهة في صحتها، وإنما أراد أن يظهر بمظهر العظمة والقدرة.

(١) يسميه الترك (نهر مراد)، وهكذا دعاه سليمان باشا، فخاطبهم بما يعلمون.

(٢) تاريخ عزي، ص١٩٨، ١.

الجزء السادس

حوادث سنة ١١٦٤هـ (١٧٥٠م):

اضطراب في البصرة:

حاول الوزير سليمان باشا بأنواع الاستمالة أن يعيد إلى البصرة النظام، فلم يفلح، وأبدى رعاية عامة لقبطان شط العرب مصطفى باشا الميرميران، وكذا لمتسلم البصرة. داراه جهده ولان للأهلين، فلم يجد ذلك نفعاً، ففي أيام انشغال الجيش في أنحاء الكرد للقيام ببعض الأعمال انتهز القبطان الفرصة، فأثار الأهلين وعصى، فأشعل نيران الفتنة.

اتفق مع عربان المنتفق، فسلطهم على البصرة، وتحصن هو في (المنّاوي)، وساعده أهل الجزائر، فنال بهؤلاء قوة، وحاول التسلط على البصرة، وقام بوسائل الحرب. أما المتسلم والأهلون، فقد كتبوا محضراً بما جرى، وأعلموا الوزير، وطلبوا أن يمدهم بجيش على جناح السرعة لئلا يفرط الأمر من اليد.

وفي هذه الأثناء عاد الجيش المرسل إلى الكرد، وكان أكمل مهمته بنجاح، فأرسل الوزير كتخداه، وسيره إلى البصرة بعجل، وفي تاريخ نشاطي أن الكتخدا ورد بغداد في ١٥ ذي القعدة سنة ١١٦٣هـ، وفي ٢٠ منه أمره بالذهاب إلى البصرة، فسار بعجل، وفي ٢٤ منه نصب إبراهيم باشا قبطاناً.

وحينما وصل الكتخدا العرجة فرّ الشيخ منيخر إلى البادية، وكان جمع على رأسه العربان، ومن ثم أعاد المشيخة إلى الشيخ بندر، وشرع في محاربة القبطان السابق مصطفى باشا، وحتى المتسلم حسين آغا وأهالي البصرة، وقطع نهر العشار، إلا أن

المتسلم ضبط فم العشار، وأن القبطان هدم البيوت والأسواق، وحرّق فيها، وكاد يقضي عليها، وأن المتسلم حسين آغا أخبر الكتخدا بكل ما جرى، وعلى هذا مضى الكتخدا بسرعة، فوصل إليها في ٥ صفر سنة ١١٦٤هـ، ونصب خيامه في باب رباط[١]، وكانت عشائر المنتفق سدت المنافذ والمعابر، ومنعت من الوصول إلى البصرة، وجمعت جموعاً كثيرة للدفاع والتأهب للقتال، ولما ورد الجيش علموا أن لا طاقة لهم به، واستولى الرعب عليهم فتشتتوا، وبعضهم مال إلى الأهوار، وركنوا إلى طلب الأمان والعفو.

وعلى هذا نصب الكتخدا عليهم شيخاً جديداً، وأعاد إليهم النظام القديم، فاستقرت الحالة، فتوجه الجيش نحو البصرة، فحاصر (المناوي)، وكان القبطان قد تحصن به. ثم أن الكتخدا نصحه، وعذله ليدخل في الطاعة، فلم يجسر أن يعود، وفي الوقت نفسه قطع بأن ليس له قدرة المقاومة، فاتخذ الليل جنة، فهرب وترك القلعة ومن فيها، ومنهم من ركب السفن من الأسطول، وفرّوا إلى ثغر البحر.

أخبر الكتخدا بذلك، فسارع للأمر، وحاصر القلعة، فاستولى عليها وعلى من بقي فيها، فانتقم منهم، وفي الثغر تعقبوا الفارين، فتمكنوا من اللحاق بهم. أما القبطان فإنه هرب بزورق يقال له (گلبت) أو (جلبوت)، وأخذ بعضا من رفاقه معه، فذهب إلى بندر بوشهر، واستولى الجيش على جميع الأسطول، ورجعوا فرست السفن تجاه المناوي، وعوقب الثائرون بما يستحقونه، فاستأصل الكتخدا بذور الفساد، وأعاد النظام إلى نصابه، ورتب الأسطول كما كان.

ومن ثم كان من الضروري اختيار قبطان لائق للمهمة، فوقع ذلك على القبطان السابق إبراهيم باشا، وهو ميرميران أيضاً، ومعروف بالكفاءة والإخلاص. أنهى له بذلك، فوافقت الحكومة على هذا الاختيار، فأودعت إليه قيادة الأسطول، فقام بها خير قيام، وعاد الكتخدا في أوائل صفر (الظاهر أواخر صفر)، ووصل إلى بغداد في ٢٨ ربيع الأول.[٢]

(١) تاريخ نشاطي.

(٢) وقعت سنة ١١٧٨هـ، وذكرت في المجموعة الخطية الموجودة عندي، وفيها أن قرنوصاً ومانعاً قتلا في هذه السنة، والظاهر أنهما

حوادث سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م):

المنتفق:

في هذه السنة تعرض شيخ المنتفق الشيخ عبدالله لبعض المقاطعات في البصرة، وتسلط عليها، وحدثت بينه وبين متسلم البصرة الحاج سليمان آغا نفرة، فأرسل الوزير إليه عبدالله بك الشاوي ليعذله، وليؤلف بينه وبين المتسلم، ولما وصل إليه تفاوض معه، وجمع الطرفين في قصبة الزبير ليتداولا في مسائل الخلاف، فأبدى الشيخ عبدالله الموافقة، وقبل الصلح.

ثم عاد عبدالله بك الشاوي، إلا أنه بعد عودته رجع الشيخ إلى حالته الأولى، وحينئذ استعد له الوزير، فنهض بنفسه، فلما وصل إلى قريب من العرجة (العرجاء)، وتبعد ١٦ ساعة عن البصرة إلى محل يقال له (أم الحنطة) علم الشيخ بمجيء الوزير، فوجد أن لا قدرة له على المقاومة، فاضطر إلى ترك الديار[١]، وفي هذه الواقعة مدح الشيخ حسين العشاري الوالي بقصيدة، وبها ذم المنتفق.[٢]

حوادث سنة ١١٨٣هـ ١٧٦٩م

قتلة عبدالله بك الشاوي:

أرسل الشاوي من جانب الوزير لإصلاح ذات البين، وتسوية المشاكل بين متسلم البصرة والشيخ عبدالله، فقال صاحب الدوحة: إنه قام بما ينافي الصدق والسداد، وخان في القضية، وتحرك خلاف رضا الوزير، والحال أنه لما شعر بقوته، وهزم شيخ المنتفق أراد أن يقضي على أكبر متنفّذ لديه، وكانت لعبدالله بك مكانة في قلوب العشائر والأهلين لا في زمنه، بل في زمن أحمد باشا، ولذا بعد انهزام الشيخ قبض عليه في (أم الحنطة)

من الخزاعل. إلا أن الشيخ عبدالرحمن السويدي أرخها في سنة ١١٧٩هـ، وفي دوحة الوزراء ذكرها في سنة ١١٧٨هـ، ص١٥٤.

(١) دوحة الوزراء، ص١٥٦.

(٢) ديوان العشاري، ص١٣٩.

وقتله، ولعل المتسلم أغراه بقتله بقصد التشويش على الوالي، أو أنه لم يتحمله، وبقي هناك مدة للقيام ببعض المهام.

حوادث سنة ١١٩٣هـ ١٧٧٩م:

نجاة البصرة:

مر أن صادق خان الزندي استولى على البصرة، وانتهب أموال الأغنياء، وأضر بالآخرين وسحقهم، وأنه نصب علي محمد خان حاكماً عليها، ومعه اثنا عشر ألفا من الجنود. ثم ذهب بباقي الجيش إلى شيراز.

أما علي محمد خان فإنه تمكن في البصرة مدة سنة جار في خلالها على الأهلين، وأرهقهم ذلاً لدرجة لا تطاق، فتذمروا منه كثيراً، وأراد أن يمد نفوذه على العشائر، فكلف ثامراً شيخ المنتفق بالإذعان والطاعة، وأن يرضخ له، إلا أن تكاليفه كانت شاقة فلم يمتثلها، ولذا أبقى محمد حسين خان السيستاني في البصرة مع ألفين من جنده لمحافظتها، وعزم هو بنفسه للتنكيل بثامر. أخذ باقي الجيوش معه، وتقدم إلى المنتفق بنحو عشرة آلاف، إلا أن شيخ المنتفق حاول التجنب عن مقاتلته، وطلب المصافاة معه بصورة معقولة لأجل أن يبتعد عنه. لكنه اضطره على الحرب، فلم ير بدّا من منازلته بالرغم من قلة من معه.

وفي الأثناء جاء إلى ثامر المدد من أطرافه وتصادموا، فكانت القاضية على جيوش إيران. نزلوا عليهم كأمثال الصواعق، فلم يجدوا لأنفسهم مهرباً، وصار قسم منهم طعماً للسيوف، والقسم الآخر غرقوا في شط العرب. ألقوا بأنفسهم فيه، ولم تمض مدة حتى انجلت الحرب عن انتصار العرب، وهلك في هذه الحرب علي محمد خان وأخواه، وباد جيشهم سوى ٣٥ خيالاً، وغنمت العشائر كافة مهماتهم ومعداتهم.

ويحكى عن ثامر شيخ المنتفق نفسه أنه قال: (أقسم بالله أنه حينما صال عليهم جيش العجم ذهلت العشائر، وصار كل منها يفكر في نجاة أهله وأطفاله، وتفرقوا

مختلفين، ولم يبق معنا سوى ثمانين فارساً، وبهؤلاء هاجمناهم ووقفنا في وجوههم، وكانت حملتنا عليهم صادقة، ولم تمض برهة من الزمن حتى رأينا القتلى مكدسة على القتلى، وبعد أن أسفرت الحرب علمنا أن قتل مثل هذا المقدار لا يكاد يستطيعه جمع كجمعنا، فتحيرنا من عملنا، وبهرنا هذا الانتصار المهول، ولا شك أن نصرتنا هذه بتوفيق من الله تعالى، وإلا فلا يقدر على القيام بهذا أمثالنا).(١)

سليمان آغا متسلم البصرة السابق:

كان كريم خان حبس سليمان آغا مدة. ثم أطلق سراحه، وأبقاه تحت المراقبة في شيراز، فائتلف مع الإيرانيين حتى أنه بسبب علمه الجم نال رضا (زكي خان) وهو ابن عم كريم خان، ولما أخلى صادق خان البصرة وجّه زكي خان حاكميتها إلى سليمان آغا، وأرسل معه مرافقاً، فوصل إلى الحويزة، وحينئذ عرف أن نعمان أفندي نصب متسلماً، فتوقف في الحويزة، فراسل الأعيان، وحينئذ رغبوا في دخوله البصرة، إلا أن ثامراً شيخ المنتفق كان مغيراً منه، فالتزم جانب نعمان، وعارض في سليمان آغا. كما أن حسن باشا والي بغداد اعتذره، وبقي في محله منتظراً مجاري الحوادث.

وفي هذه الأثناء حصلت خصومة بين الخزاعل والمنتفق، فمشى ثامر على الخزاعل فقابلوه، فانكسرت عشائر المنتفق، وقتل منهم خلق عظيم، حتى أن ثامراً قتل في تلك المعركة، فخلفه ثويني في المشيخة، وهذا كانت بينه وبين سليمان آغا حقوق قديمة، ولذا أدخله البصرة، وأقره في حكومتها، فألقى القبض على نعمان وحبسه، وعندما كان في الحويزة أرسل بواسطة الباليوز عرضاً إلى الدولة طلب به البصرة، وذكر خدماته، وبعد أن تغلب عليها، ومضت بضعة أيام وجهت الدولة إليه البصرة برتبة الوزارة، وإثر ورود المنشور طلب من الدولة مرة أخرى أن توجه إليه إيالة بغداد ضميمة إلى إيالة البصرة.(٢)

محافظة بغداد:

---

(١) مطالع السعود، ص٥٨.

(٢) تحفة عالم، ص٩٠، ودوحة الوزراء، ص١٨٠.

وأمرت الدولة سليمان باشا آل أمين باشا الجليلي والي الموصل أن يذهب إلى بغداد (محافظاً) إلى أن يأتي الوزير، فيدبر شؤونها ويقوم بحراستها، وفي هذه الأثناء وجه منصب (قائممقام بغداد) إلى عبدالله بك آل محمد أفندي من قبل وزير البصرة، فتولّى المنصب وانفصل إسماعيل الكهية، وبقي متحيراً كثيراً. ثم إنه استصحب جماعة من أعوانه، وذهب لاستقبال الوزير، وتابعه لفيف من العثمانيين.

أما سليمان باشا فإنه حينما ورد إليه عين (أبا حمزة مصطفى باشا قبطان شط العرب سابقاً) وكيل المتسلم، وأخرج نعمان أفندي المتسلم السابق من الحبس، وجعله وكيل الكتخدا ورتب أمور الوزارة. ثم تحرك من البصرة، واستصحب معه شيخ المنتفق ثوينياً، وجاء إلى بغداد.[١]

حوادث سنة ١٢٠١هـ (١٧٨٦م):

الحاج سليمان والمنتفق والخزاعل:

ثم إن الحاج سليمان الشاوي ذهب إلى ثويني شيخ المنتفق فناصره، وكتب إلى حمد الحمود شيخ الخزاعل أن يتفق معهما فوافق، ولذا أمر ثويني أن تتجمع العشائر، وتتأهب للحرب، فأعدوا للأمر عدته، فتقدموا نحو البصرة، وتسلطوا على مقاطعاتها، وأرسل ثويني أخاه للاستيلاء عليها، فضبطها، وألقى القبض على متسلمها إبراهيم أفندي، وأخذوا كافة أمواله، ووضعوه في سفينة، وساقوه إلى جهة مسقط، فأقعد ثويني أخاه في البصرة، فتمكن في الحكم.

أما الوزير فإنه أراد القضاء على آمال هؤلاء، فاهتم للأمر، وصار يجهز الجيوش، وكتب إلى إبراهيم باشا متصرف بابان وكوى وحرير، وإلى عبدالفتاح باشا متصرف درنة وباجلان أن يوافوه بجيوشهم، وأن يحضروا بأنفسهم للحرب.[٢]

---

(١) دوحة الوزراء، ص١٩٩.

(٢) دوحة الوزراء، ص٢٠٠.

السفر على الخزاعل والمنتفق:

إن عبدالرحمن بك حينما وصل إلى ديار الكرد قام بالمهمة، فجاء بالجيش على أتم عدة وانتظام، ووصل إلى بغداد، فأضاف جيشه إلى الموجود من عساكر عثمان باشا، وأكثرهم مدرعون، وبأيديهم الأتراس، وكانوا نحو الألفين من النخبة. أما الطوائف الأخرى فقد تأهبت أيضاً.

وفي هذه الأثناء ورد إلى الوزير حمود بن ثامر السعدون، ومعه نحو مائة من قومه، لذا ذهب الوزير بنفسه، ومعه قوة كافية العدة والعدد، وتوجه نحو الخزاعل والمنتفق، وحينما وصلوا حسكة وجدوا الخزاعل متأهبين للنضال، وفي مقدمتهم رئيسهم حمد الحمود بعشائره، فتقدم الوزير عليهم، فساق الكتائب، وضيق عليهم الحصار في قلاعهم (سيبايه)، وأحاط بهم من جميع جوانبهم، فلم يطيقوا صبراً، وقتل أكثرهم وتشتت شملهم، وأن رئيسهم لم ينج إلا بشق الأنفس.

حوادث سنة ١٢٠٢هـ ١٧٨٧م:

حرب المنتفق:

ثم إن الوزير سار في طريقه على المنتفق حتى وصل إلى (أم العباس)، وهناك ضرب خيامه، وأن شيخ المنتفق والحاج سليمان بك وحمد الحمود شيخ الخزاعل. كل هؤلاء حشدوا جيوشاً وافرة، فكان جمعهم يبلغ من الخيالة والمشاة نحو العشرين ألفاً، واستعدوا في (نهر عمر)، فمكثوا ثلاثة أيام عبأوا الجيوش تعبئة حربية كاملة، وفي اليوم الرابع من مقام الوزير في أم العباس أي في غرة المحرم ضحى يوم الأحد ظهر جمعهم في البر. كما أنهم سيروا قسماً نهراً في شبارتين، فأطلقوا المدافع على الجيش، وشرع الوزير في القتال، فكان عثمان باشا على الميمنة، وإبراهيم باشا على الميسرة، وكذا نظمت المقدمة والساقة بالوجه المطلوب، فكان الوزير في القلب بدائرته وخاصته.

وحينئذ التقى الجمعان في (أم الحنطة)، وفي هذه الحرب سلّ الوزير سيفه، وأبدى

من الأقدام والشجاعة ما لا يوصف، كما أنه حضّ الجيش على الثبات والصبر، وفي هذه الأثناء هاجمتهم العشائر بعشرة آلاف من المشاة ومثلها من الخيالة.

أما جيش الوزير فقد صدّ هجماتهم، وأبدى دفاعاً خارقاً. إذ لو خذل في هذه الحرب فلم يبق وزير ولا حكومة مماليك، فكانت هذه الواقعة خطراً كبيراً عليه، فكان الهول فيها عظيماً حتى تبين أن جيش الوزير هو الغالب، وقتل من خيالة العرب نحو ثلاثة آلاف أو أكثر، ومن المشاة ما لا يحصى، واستولت الجيوش على الغنائم، وفر العرب، وحينئذ فرح الوزير، وناله ما لا مزيد عليه من السرور.

انعزل قبل مدة عن ثويني بن عبدالله (الشيخ حمود بن ثامر السعدون)، والتجأ إلى الوزير، فكان العامل المهم في ربح الحرب، فمنحه عندما انتصر مشيخة المنتفق، كما أنه وجه مشيخة الخزاعل إلى محسن الحمد، وكذا وجه متسلمية البصرة إلى مصطفى آغا الكردي (خازنه)، ونظم الأمور، وأبقى الباش آغا إسماعيل آغا التكه لي رأس اللاوند مع جملة بيارق خيالة في البصرة، وكان سفره من بغداد في ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٠١هـ، ورجوعه في ٨ ربيع الأول سنة ١٢٠٢هـ.

ويلاحظ أن الوحدة انفصمت عراها بانعزال حمود الثامر ومحسن الحمد، فلم تكن الواقعة مما يترتب عليها أمر الحياة والممات كما وصفها المؤرخون، وإنما سلط الوزير الكرد على العرب، كما أنه استخدم كثيراً من العرب مما ثبّت هذه الحكومة، وكان بين حياتها وموتها نفس واحد.[١]

حوادث ١٢٠٣هـ (١٧٨٨م):

مصطفى الكردي:

وجهت إيالة البصرة إلى مصطفى الكردي، إلا أنه كان مغيراً من الوزير، فأضمر له في الخفاء الانتقام، فلما وجهت إليه البصرة كاشف عثمان باشا آل بابان بسرّه، وكانت

---

(١) دوحة الوزراء، ص٢٠٢.

بينهما مودة قديمة. قال له: (إذا ربحت الإيالة أساهمك فيها)، وأخذ عهداً منه، ولما نال منصب البصرة رآها محققة لنواياه، فاغتنم الفرصة، كما أنه أطمع رئيس الكتيبة (باش آغا) والرؤساء الآخرين ممن معه، ووعدهم بوعود خلابة، وكتب إلى ثويني شيخ المنتفق أن يكون معه، وقربه إلى ديار المنتفق، وكان حمود الثامر رئيساً جديداً لم يحصل على رضا العشائر. لذا مال القوم إلى رئيسهم القديم، فمنحه المشيخة، وعرض على الوزير أن حموداً لم يقدر أن يقوم بالمشيخة، ففوض الرئاسة إلى ثويني.

جاء حمود إلى بغداد، وكانت أعمال هذا المتسلم على خلاف رغبة الوزير، فاضطر أن يغمض العين عنه، لذا أبدى الوزير موافقته على نصب ثويني شيخاً، وأرسل له الخلعة، وجلب رئيس الكتيبة وبيارق الخيالة إلى بغداد لعلمه باتفاق المتسلم مع رئيس الكتيبة، وفي هذه تغافل عنه، ولم يقم بأي عمل تشم منه رائحة الارتياب، فعينه إلى زنگباد مع رعيل الخيالة، ولكن مصطفى آغا لا يزال باقياً على نواياه، ولذا أرسل إلى عثمان باشا بالخبر، وبين له أنه لا يزال باقياً على عهده، فجددوا العهد بينهما، ووثقوه بالأيمان المغلظة، وباشر مصطفى آغا في مهمته، وصار لا يلتفت إلى أمر أو نهي، وكذا قوّى الأواصر القديمة بينه وبين رئيس الكتيبة إسماعيل التكه لي(١)، وراسله مجدداً، فظهرت النوايا.

فعزم الوزير على تأديبه والقضاء عليه، ورأى أن غائلته لا تقل عن غائلة الشاوي، ولذا خابر سراً رئيس قبطانية شط العرب مصطفى آغا آل حجازي أن يغتاله من جهة، ومن أخرى أرسل محمد بك لاستمالته، ونصحه ليوهم أنه مرسل للنصيحة، إلا أن محمد بك إثر وروده إلى البصرة أطلعه الآغا على الأمر المتضمن اغتياله، ولذا ركب في الحال، وذهب إلى المناوي، وقتل رئيس القبطانية، وأبدى العصيان، واتخذ الوسائل لتنفيذ مطلوبه.

فلما علم الوزير أن قد هتك الستر أصدر أمره بالسفر عليه بنفسه، وجاهره بالعداء،

---

(١) في الدوحة ورد (تكيه لي)، وصواب تلفظها (تكه لي)، وفي مجموعة خطية ورد (تكلي)، والشائع على الألسنة (تكرلي)، وآل التكرلي معروفون في بغداد.

فأمر عثمان باشا أن يجمع الجيوش، ويأتيه بها، وإلى هذا الحين لم يطلع الوزير على المخابرة الدائرة بين عثمان باشا ومصطفى آغا، وأنهما بيتا الأمر ليلاً دون علم من الوزير، إلا أن الحاج سليمان حينما سمع بعزم الوزير على حرب مصطفى آغا أعلمه بأن هناك خفايا يأمل أن يعفو عنه، والظاهر أنه أراد الانتقام منهم، فأرسل إليه الكهية معتمده سليمان آغا ليستطلع القضية، فأخبره بأن بين مصطفى آغا وبين عثمان باشا مراسلة واتفاقاً، فسلم كتاباً ورد إليه من عثمان باشا يتضمن دعوته لما عزم عليه، فأرسله مع سلمان آغا ليقف على الحالة. قدمه إليه تأييدا لقوله.(١)

وحينئذ علم الوزير بدخائل الأمور، وحاول أن يتوسل بأسباب جلب عثمان باشا، ولذا أرسل إليه عبدالله بك أخا أحمد الكهية، فحلف له الأيمان، ووثقه بالمواعيد، فاستصحبه، وجاء به إلى بغداد، وكان الموسم شتاء، فأكرمه الوزير كثيراً، وأظهر له اللطف والإنعام على أن يأتي بجيشه في الربيع، وعلى هذا تأخر بضعة أيام. ثم رخصه، ولزيادة اطمئنانه أوجد بينه وبين أحمد الكهية صهرية بأن زوّج أخته من عبدالله بك.

وعلى هذا، استصحب جيشه في الربيع، وجاء إلى بغداد، فولد يأساً في مصطفى آغا، ومن له ارتباط حينما رأوا مجيئه، ومن جملة هؤلاء رئيس الكتيبة استولى عليه الارتياب، وكذا أصاب أمراء السرية رعب، ففر بهم، وعدتهم نحو ٢٥ أو ٣٠ ذهبوا إلى البصرة، وأما العساكر الباقية، فقد كانت على استعداد، فتحرك الوزير من بغداد في ١١ جمادى الأولى، ومعه جحافل جرارة. أما الشيخ ثويني فإنه هيأ وسائل الدفاع، وأعد العدة.

ولما وصل الوزير بجيشه إلى العرجاء اضطرب ثويني منه، ومال إلى الصحارى والقفار، كما أن مصطفى آغا تزلزل وضعه، وتفرق جمعه، فلم يستطع البقاء في البصرة، وانهزم إلى الكويت، وعلى هذا نظم الوزير تلك الأنحاء، وأزال عنها الاضطراب ورتبها، وتوجه إلى البصرة فدخلها بأبهة، وجعل حمود الثامر شيخاً على المنتفق، ونصب الأمير عيسى بك المارديني متسلماً، واستراح بضعة أيام. ثم رجع إلى بغداد.

(١) مطالع السعود، ص١١٢، ودوحة الوزراء، ص٢٠٣.

حوادث ١٢٠٥هـ (١٧٩٠م):

الشيخ ثويني:

في هذه الأيام شاع أن الوزير اتخذ العفو وسيلة للتقريب، والظاهر أنه أوعز إلى الشيخ ثويني بذلك. أراد ألا يستقل بإدارة المنتفق أمير، فكان يخشى كل قوة، وإن كانت منقادة، فطلب ثويني العفو، فوافق الوزير، وبعث إليه بكتاب الأمان، فجاء إلى بغداد، ونال إكراماً واحتراماً.

حوادث سنة ١٢١١هـ (١٧٩٦م):

مشيخة ثويني على المنتفق:

كان الشيخ ثويني في بغداد منزوياً، وكان لطف الوزير يشمله، ولكنه لحقته حسرة على وطنه، فظهر إنعام الوزير عليه، ولذا عزل الشيخ حموداً، ووجه مشيخة المنتفق إليه، وكساه الخلعة، وعين بصحبته رئيس آغوات اللاوند، وجملة بيارق من الخيالة، وأذن له بالذهاب إلى محله، وفي مدة إقامته في بغداد يأمل أن يوليه الوزير مشيخة المنتفق للزحف على نجد، فحصل على مطلوبه، وجهز بجيش جرار، فاستقر في المنتفق، وذهب تواً إلى البصرة.[١]

حوادث سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م):

كانت الأحساء في تصرف أمراء بني خالد، إلا أن الأمير عبدالعزيز ابن محمد السعود حاربها مراراً، فكانت تذعن مرة وتنتفض أخرى، وكان آخر أمرائها من بني خالد وهو براك بن عبدالمحسن يقوم بإدارتها نيابة عن الأمير عبدالعزيز.

وردت الأخبار إلى بغداد بأن الأمير عبدالعزيز أرسل ابنه سعوداً سنة ١٢١١هـ على الأحساء، فاستولى عليها عنوة، وضبط جميع مضافاتها إلى ساحل البحر حتى وصل

---

(١) دوحة الوزراء، ص٣٦٧.

إلى القطيف والعقير (العجير)، واكتسح كافة القرى والنواحي هناك، وقتل في الأحساء نحو مائتين من علمائها. أذيع ذلك للتشنيع عليه.[١]

وفي هذا التاريخ وصل الخبر إلى ثويني، وهو في البصرة، فأراد أن يذهب إلى محله، إلا أنه أوعز إليه بالذهاب لاستخلاص الأحساء، وكانت الدولة حرضت الوزير مراراً، فلم تدخر وسعاً في التدابير، ومما بعث الأمل ركون قبيلة بني خالد إلى العراق، ورئيسها براك بن عبدالمحسن الذي انتزعت منه الأحساء، ومعه محمد بن عريعر، ولم يتخلف من هذه القبيلة سوى فرع (المهاشير).[٢]

اتخذ الوزير الوسائل لتقويته، وأمر أن يلتحق به البندقيون من موظفي البصرة، وهم (البلوج)، وخمس قطع من المدافع وأحمد آغا الحجازي من آغوات الخارج، وجمع هو عشائر المنتفق والزبير والبصرة ونواحيها، وعشائر الظفير وبني خالد، فأخذ العدد، وتوجه نحو الأحساء. قال في المطالع: وكان ذلك عام ١٢١١هـ، ونزل (الجهرا) الماء المعروف قرب الكويت، فأقام نحو ثلاثة أشهر، وهو يجمع العشائر والعساكر والمدافع وجميع آلات الحرب من البارود والرصاص والطعام مما يفوق الحصر، وأركب قسماً من عساكره في السفن من البصرة، ومعهم الميرة تباريه في البحر، وقصدوا القطيف، وكانت له قوة هائلة.

فلما بلغ ذلك الأمير عبدالعزيز أمر الأنحاء التي يحكم عليها من أهل الخرج والفرع ووادي الدواسر والأفلاج والوشم وسدير والقصيم وجبل شمر، فاجتمعوا، واستعمل عليهم محمد بن معيقل أميراً، فساروا ونزلوا (قرية الطف) الماء المعروف من ديار بني خالد، وأمر عبدالعزيز بما لديه من العشائر من مطير وسبيع والعجمان والسهول وغيرهم أن يقصدوا ديار بني خالد، ويتفرقوا في أمواههم، وينزلوا ويثبتوا في وجوه هؤلاء الجنود، فحشدوا واجتمعوا فيها.

---

(١) تاريخ جودت، ج٦، ص١٢٠، ودوحة الوزراء، ص٣٦٧.

(٢) عنوان المجد، ج١، ص١٠٩، وفيه تفصيل.

ثم حشد سعود بأهل العارض، واستلحق غزوا من البلدان، ونزل (التنهات) الروضة المعروفة عند الدهناء. أقام فيها. ثم رحل ونزل (الحفر) الماء المعروف بحفر العتك، فأقام أكثر من شهرين.

وأما ثويني، فاجتمع عليه جنوده وبواديه كلها (بالجهرا). ثم رحل منها، وقصد ناحية الأحساء، فلما علمت عشائر ابن سعود برحيله ظعنوا عن قرية. ثم ظعنوا عن الطف، وانحاز إلى أم ربيعة لوجود المياه المعروفة في تلك الناحية، واشتد عليهم الأمر، وساءت الظنون، ونزل ثويني بالطف.

وكان سعود أرسل جيشاً من الحضر مع حسن بن مشاري بن سعود، واستعمله على من كان مع ابن معيقل، وصاروا ردءاً للعشائر تثبيتاً لها.

ثم إن ثويني رحل من الطف، ونزل على الشباك الماء المعروف في ديرة بني خالد، فلما قصد ثويني ذلك الماء كثر الخلل في عشائر الأمير ابن سعود.

وفي هذه الأثناء حدث الرعب في قوم ابن سعود، وحصل اليأس، إلا أنه وقع ما لم يكن في الحسبان، فإن عبداً اسمه (طعيس) من عبيد (جبور بني خالد) قتل الشيخ ثوينياً. ضربه بحربة كان فيها حتفه، وقتل العبد من ساعته، وحمل ثويني إلى الخيمة.

وكان بين براك وبين حسن بن مشاري مراسلة لأنه ندم على السير مع ثويني، لأنه رأى وجهه وإقباله لأولاد عريعر، فعرف أنه إن استولى على الأحساء لم يؤثر عليهم أحداً، فلما قتل ثويني انهزم براك إلى حسن ابن مشاري، وكذا من معه من عسكر ابن سعود، فوقع التخاذل والفشل في جنود ثويني، وألقى الرعب في قلوبهم، فارتحلوا منهزمين، فتبعهم قوم ابن سعود وعشائره، وقتلوا منهم كثيراً، وغنموا غنائم عظيمة، واستمروا في سوقهم إلى قرب الكويت يقتلون ويغنمون، وحازوا منهم أموالاً عظيمة من الإبل والغنم والزاد والمتاع وغير ذلك، وأخذوا جميع المدافع والقنابر، ووضعت في الدرعية، وتفرقت تلك الجموع البرية والبحرية. كان قتل ثويني في ٤ المحرم سنة ١٢١٢هـ، وسميت هذه الوقعة

سحبة[1]، ودفن ثويني في جزيرة العمائر.[2]

وفي الدوحة أن الضارب حينما ضرب نادى (الله أكبر!). ضرب ثوينياً بصدره حتى خرج السنان من ظهره، وقال: اضطربت الآراء في القاتل، فلم يقطع بعضهم في أنه عربي، وآخرون أبدوا أن براكاً ومحمداً العريعر طمعا في الانفراد بالأحساء، ولما شاهد براك أن ثوينياً تقرب منها، وأحس أن النية مصروفة إلى أن الأحساء سوف تعطى إلى محمد العريعر يئس من نيل مرغوبه، فكان القاتل من عربه، وأن الغدر كان بترتيب منه.

إن حدوث هذه الوقعة أدى إلى رجعة الجيوش، والعدول عن السفر إلى الأحساء، فصارت سبب الخذلان، ولما عادوا نحو مرحلتين شاهدوا براكاً يقود عساكر عظيمة من جيوش الوهابية.

ولذا ترك إخوة ثويني وأعيان المنتفق المدافع وعسكر البلوج، واكتفوا بحماية أهليهم وعيالهم ورجعوا، وأن عساكر الوهابية قتلوا عسكر البلوج، وغنموا المدافع، وأخذوها إلى الدرعية.

في شهر رمضان سنة ١٢١٢هـ سار سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بجميع نواحي نجد وعشائرها، وقصد الشمال، وأغار على أنحاء المنتفق (سوق الشيوخ)، فصبّح القرية المعروفة (بأم العباس)، وقتل منهم كثيراً، ومنهم من فر ومنهم من غرق، وكان حمود في البادية، فلما بلغه الخبر جدّ في السير ليدركه، فلم يظفر به.

وكان لوقعة ثويني شيخ المنتفق تأثيرها في الحكومة، لا سيما وقد تلتها وقعة سوق الشيوخ، ووقعة الأبيض، وقتلة مطلق الجرباء، ولذا اهتموا للأمر، وعهدوا إلى الكتخدا علي باشا بالقيادة، وكان سمع الخبر في الجوازر، فتألم للمصاب، ورغب في الحرب، فلما رأى من الوزير عين الرغبة هيأ ما يلزم من وسائل السفر، وحينئذ فتح الوزير خزائنه،

(١) عنوان المجد، ج١، ص١٠٩، وفيه تفصيل.

(٢) مطالع السعود، ص١٣٩.

وبذل ما في وسعه من الاهتمام.

ولم تمض بضعة أشهر حتى تمكن من إعداد العدد لسفر عظيم، وعلى هذا وفي ٢٢ من شهر ربيع الآخر سنة ١٢١٣هـ تحرك الكتخدا من بغداد، وتوجه نحو الوهابية، وانتظر في الدورة تسعة أيام لتتلاحق بقايا الجيوش، وفي اليوم العاشر تحرك منها، فكان يتوقف في بعض المنازل خمسة أيام أو أكثر إلى العشرة، وفي بعضها يمكث يومين أو ثلاثة ثم يتحرك حتى واصل سيره، ووافى البصرة، ونزل في باب الرباط.

وأعدت له الأرزاق في البصرة عدا ما أحضره معه من بغداد، وأحضرت السفن كواسطة بحرية لنقل المؤونة، كما أنه هيأت الإبل للنقل براً، فاستكمل مقتضيات السفر، وبعد أن أقام فيها نحو عشرة أيام تحرك منها متوجهاً نحو الزبير، فنزل بالقرب منها في محل يقال له (دريهمية)، وتقع في شرقي الزبير، وجهز من النجادة نحو خمسة آلاف بندقي استؤجروا لهذا الغرض[1]، وسارت معه عشائر المنتفق مع رئيسهم حمود الثامر، وآل بعيج والزقاريط وآل قشعم، وجميع عشائر العراق، وكذا عشائر شمر والظفير، وسار معه أهل الزبير ومن يليهم، فاجتمعت جموع كثيرة حتى قيل أن الخيل التي يعلق لها ثمانية عشر ألفاً، فسار علي باشا الكتخدا بتلك الجموع، وقصد الأحساء.[2]

نهض الجيش من هناك، وكان يجب أن يتوجه إلى الدرعية من طريق الأحساء لأنها أقرب، وفيها عبدالعزيز وابنه سعود، إلا أن الكتخدا عوّل على هذه الطريق إلى جهة الآبار مورد الفيلق، لا سيما أن الآبار في طريق الأحساء يبعد الواحد منها عن الآخر نحو عشرين ساعة، وبينهما منزلتان، وهذه لا يتيسر للجيش قطعها حتى يحصل على الماء، وأيضاً أن طريق الدرعية غير صالح لأن مسافة الماء فيه ما بين المنزلتين تبعد مسيرة ثلاثة أيام بلياليها، فالجيش أثقاله كثيرة، ومدافعه ضخمة، ومعه ألوف مؤلفة من الجنود والعشائر والأهلين والعيال والإبل والحيوانات الأخرى، فلا يستطيع الصبر، والاستغناء عن الماء.

---

(١) دوحة الوزراء، ص٤٣٦. مخطوطتي.

(٢) عنوان المجد، ج١، ص١١٨.

وأيضاً لو اتخذ طريق الدرعية، وسلك الجيش منه لما تمكن من نقل أرزاقه وأمتعته وسائر لوازمه، ولحرم من الاستفادة من طريق البحر، ولكان اكتفى ببعض العشائر والخيالة، ومقدار قليل من الإبل، في حين أن عدة الإبل ووسائل النقل كبيرة جداً، وأن الإبل وحدها تبلغ نحو ثلاثين ألفاً، وهذا من الصعوبة بمكان، فهذه القوة لا يمكن إدارتها بلا وسائط النقل المذكورة، وكذا لا يتيسر النقل من البحر إلى الدرعية، فلا يطيق الجيش قطعها إلا أن يكون وحده أو العشائر بأنفسهم.

لذلك كله رجّح قائد الجيش الرأي القائل بلزوم نقل الذخائر والأمتعة من البحر إلى الأحساء، ومنها إلى الدرعية، فعدل عن الذهاب إلى الدرعية رأساً، فمضوا في طريق الأحساء حتى وصلوا (سفوان)، ومنه في اليوم التالي نهض الجيش فوصل (الروضتين)، وذمها صاحب الدوحة وقال إن اسمها على خلاف مسماها، ومنها توجه إلى (الجهرة) فنزلها، وكانت مياه آبارها ملحاً أجاجاً.

وحينئذ وصلت السفن التي سيرت من البصرة حاملة المؤونة إلى أن جاءت إلى مكان تجاه (الجهرة) من البحر، ولكن الغربان (نوع سفن) لم تستطع الوقوف هناك، ولا التقرب إلى الساحل، فاستشكل الأمر وصعب، إلا أنه بواسطة شيخ الكويت استكريت بعض السفن الصغيرة و(البتيلات)، فسهل إيصالها إلى مكان قريب من الأحساء يقال له العقير (العجير)، فنقلت المؤن والمهمات بواسطتها، وجيء بها إلى العجير، وأعطيت الأجرة إلى شيخ الكويت.

ومضى الجيش نحو عشرة أيام حتى وصل إلى (بلبول) الواقع في ساحل البحر، ومشت السفن إليه، واستصحب الجيش أرزاقه ليصل إلى (بلبول). حملوها على ظهور خمسة آلاف بعير استكروها من العشائر التي معهم، فاضطروا للتوقف في الجهرة، ومنها ذهبوا إلى (بلبول).

ولما وصلوا إليها انتهت الأرزاق المصحوبة معهم، ووصلت السفن حين قربوا من بلبول، وفيه أقاموا عشرة أيام، وأخذوا من السفن أرزاق شهر. حملوها على ظهور

الإبل ونهضوا من هذا المنزل. ساروا عشرة أيام إلى أن وصلوا إلى قرية (نطاع) من قرى الأحساء، وهناك أقاموا نحو عشرة أيام استراحوا خلالها.

ثم قطعوا الفيافي والقفار حتى قربوا من الأحساء، وحينئذ دعوا أهليها إلى الانقياد والطاعة، إلا أن في الأحساء قلعتين إحداهما يقال لها (المبرّز) والأخرى تدعى (الهفوف)، وفي هاتين القلعتين حاصر قوم من الوهابية بأمر من عبدالعزيز، وفيهما كل من سليمان الماجد والحاج إبراهيم بن عفيصان. أما سليمان بن محمد بن ماجد فهو من أهل بلد ثادق، وكان في قلعة المبرز. حاصر حصار الأبطال، ويسمى القصر المحصور (صاهود)، وأما إبراهيم بن سليمان بن عفيصان فقد حاصر في (قصر الهفوف)، وحاولوا الهجوم عليهم مراراً عديدة، فلم يحصلوا على المراد، فهؤلاء تحصنوا، وأبوا أن يسلموا. حتى رفع الحصار عنهم، فاتخذ الجيش كل الوسائل، فلم يفلح في اكتساح القلاع.[1]

اتخذ الجيش الوسائل العديدة للاستيلاء على القلعتين، واستعمل المدافع، فلم يتيسر له الأمر، وقوي أمل المحصورين، وغابت آمال الجيش، وقلت المؤن، وماتت الإبل، ولم يبق منها إلا القليل، ولذا ألح الجيش في العودة، وإن الإبل لم تستطع أن تجر الأثقال والمدافع، فاضطروا على الرجوع بلا زاد، فانصرفوا من محلهم في ٧ ذي القعدة، وتركوا الأحساء، وأبقوا أمتعتهم وأموالهم في محالها.[2]

وفي اليوم الرابع عشر من رحيلهم وصلوا إلى المحل الذي قتل فيه ثويني، وهو المسمى (بالشباك)، ولذا حاروا في أمرهم من فقد الزاد والطعام، وقلته من جهتهم ومن جهة دوابهم ومواشيهم، ونالهم اضطراب شديد، ويئسوا من الرجوع إلى مأمنهم، ولكنهم على كل حال مضوا في سبيلهم.

وفي هذه الأثناء ساقهم الله إلى مراع خصبة اهتدوا إليها، فما بقي لديهم من الدواب رعت بضعة أيام، ورتعت في هذه المواطن، فلم يحتاجوا خلالها إلى (العليق) أو

---

(١) عنوان المجد، ج١، ص١١٨، وفيه تفصيل.

(٢) عنوان المجد، ج١، ص١١٨، وفيه تفصيل، ودوحة الوزراء، ص٤٤٣. مخطوطتي.

العلف ليطعموا دوابهم، فاضطروا إلى النزول، ولكنهم أضاعوا الخيام، فتحروا عنها.

وفي الحين هبت رياح موحشة وصواعق مدهشة، فأمطرت السماء بوابلها، وكل واحد من العسكر ماسك بعنان فرسه صابر على هذا البلاء، ولا يدري ما سيصيبه في ليلته، وقضوها ولم يغمض لهم جفن في حالة لا توصف، فلم يبق لواحد منهم أمل في الحياة.

وعند الصباح حينما طلعت الشمس جاء البشير، فأخبر بوجود الخيام، فاستعاد الجيش حياة جديدة، وانتعش بالعثور على خيامه، ولكن الطعام نفد، ولم يبق زاد يعيشون به، فارتبكوا من هذه الجهة، وحاذروا من الهلاك!

وفي اليوم التالي من استراحتهم أُخبروا أن بضعة قطع من السفن (الغربان) وصلت إلى جزيرة العماير في ساحل البحر، فعينت بعض الخيالة مع مقدار من الإبل لجلبها، وإيصالها إليهم، ولما وصلت ظهر أنها قسط يوم واحد، فقسمت على العسكر، فمن أصابه رطل شعير فكأنما ربح كل الغنى.

بينا كانوا في هذه الحالة إذ داهمهم العدو تحت قيادة سعود بن عبدالعزيز، ومعه أهل اليمن والعارض وجبل شمر، فاغتنم الفرصة من حالة الجيش، وجاءهم على حين غرة. علم أن الجيش عاد عن الأحساء، وأنه تفرق لقلة الأرزاق، وتشتت شمله، وأنه لم يبق سوى علي باشا وشرذمة قليلة معه، فرجع فاراً، ولذا انتهز الفرصة بناء على أخبار ابن عفيصان كتب إلى الأمير عبدالعزيز، وهذا أرسل ابنه سعوداً.

ولما سمع علي باشا سرّ كثيراً، وعزم على محاربتهم، فأعد الجيش، ومشى على سعود المذكور، وهذا أيضا بناء على إغراء ابن عفيصان عجل بالموافاة، وألا تضيع هذه الفرصة من أيديهم، وعند وصوله للمحل ومقاربته منهم رأى الجيش متأهباً للكفاح، ولذا نزل في محل يقال له (محنات)، واتخذ المتاريس فيه، وتحصن.

وعند ما شاهد ذلك علي باشا نزل في محل يقال له (ثاج)[1]، وهو ماء في ديرة بني خالد، ونصب خيامه هناك، وطول نهار ذلك اليوم تطارد خيالة الطرفين في ميدان الحرب حتى المغرب، فقتل بعض أشخاص معروفين من الوهابيين، ومن جيش الحكومة قتل أخو حمود، وهو خالد الثامر.

وحينئذ رأى قوم ابن سعود الرعب والهلع، وقلت همتهم، ولذا رغبوا[2] في الصلح، فأرسلوا رقعة يسترحمون فيها رغبتهم في الصلح، وهذه صورة كتابهم:

«من سعود العبدالعزيز إلى علي:

أما بعد ما عرفنا سبب مجيئكم إلى الأحساء وعلى أي منوال جئتم. أما أهل الأحساء فهم أرفاض، ونحن جعلناهم مسلمين بالسيف، وهي قرية الآن ليس داخلة في حكم الروم بعيدة منكم، ولا يحصل منها شيء يسوى تعبكم، ولو أن جميع الأحساء وما يليها تؤدي لكم دراهمها ما تعادل مصارفكم التي عملتموها في هذه السفرة، ولا كان بيننا وبينكم من المضاغنة قبل ذلك، إلا ثويني فهو كان معتدي، ولقي جزاءه، فالآن مأمولنا المصالحة فهي خير لنا ولكم، والصلح سيد الأحكام». اه.

ومن هذا استدل صاحب الدوحة بضعف مقاومة سعود، وأن الجيش كان راغباً في المقاومة، إلا أن العليق (العلف) قد قلّ، والمياه الموجودة لا تكفي لسد الحاجة، ومن جهة أخرى أن الأعداء كانوا يعرفون أنواع المياه، ولذا انحازوا إلى المياه العذبة، وتركوا الجيش في المياه المالحة والقليلة الموارد، وأيضاً قد حفر الجيش نحو خمسمائة بئر، وكلها ماؤها أجاج، فلا يسيغ المرء بلعه إلا بمشقة، وأن أخذ الماء منهم يحتاج إلى مقاتلتهم، وإزاحتهم عن مواقعهم، وأن تستعمل المدافع ضدهم، ولكن المدافع كانت عاطلة. لأنها دفنت لوازمها في جهة الأحساء لعدم القدرة على حملها.

(١) في عنوان المجد أن جيش سعود نزل الثاج، وأن علي باشا نزل الشباك الماء المعروف قرب الثاج. ثم إن علي باشا لما سمع بمجيء سعود زحفت جيوشه من الشباك، ونزلت ثاج. (ص١١٩).

(٢) وفي عنوان المجد أن الباشا هو الذي طلب الصلح والمكافأة من الطرفين. (ص١١٩).

يضاف إلى ذلك أن الدوام على مقاومة هؤلاء، والوقيعة بهم أو منازلتهم يؤدي إلى نفاد الذخائر والأطعمة، فالجيش ليس لديه إلا قوت يومه، ويخشى أن يهلك ويضمحل بنفاد زاده.

وعلى كل حال، فاختيار أحد الشقين، وهو الاستمرار على المنازلة يؤدي إلى نتائج وخيمة، وليس من المصلحة ارتكاب هذا الخطر. لذا تذاكر علي باشا مع أعيان الجيش، فكتب الباشا كتاباً هذا نصه:

«من علي باشا إلى سعود العبدالعزيز:

أما بعد، فقد أتانا كتابك، وكل ما ذكرت من أمر المصالحة صار معلومنا. لكن على شروط نذكرها لك، فإن أنت قبلتها وعملت بها فحسن، وإلا فإننا ما عاجزون عنك ولا من طوائفك بعون الله وقوته، وعندك الخبر الصحيح إذا اشتدت الهيجا، وانشقت العصا، فحسبك الضحاك والسيف المهند، حيث لنا مقدار أربعة أشهر في بلادك نجوب الفلا، ونستأسر أهل القرى ما قدرت تظهر من مكانك غير هذه الدفعة.

وبهذه الدفعة أيضا اغتررت بقول ابن عفيصان، فأما الشرط الأول هو أن الأحساء لا تقربها بعد ذلك، والثاني الأطواب التي أخذت من ثويني أنك ترجعها، والشرط الثالث تعطينا جميع ما صرفناه على هذا السفر، والرابع ألا تتعرض للحجاج التي تجيء إليك من العراق، ولا تتعرض لأبناء السبيل، وتكف عن غزوك العراق، وتكون معنا كالأول، فهذه الشروط التي أخبرناك بها، والسلام على من اتبع الهدى». اه.

أما سعود فإنه قبل بالشروط التي تمكن على إنقاذها، وكتب كتاباً آخر هذه صورته:

«جاءنا كتابكم، وفهمنا معناه. أما عن حال شروط المذكورة، فأولاً الأحساء هي قرية بعيدة إلى دياركم، وخارجة عن حكم الروم، وما تجازي التعب، ولا فيها شيء يوجب الشقاق بيننا فهذا حالها، وأما الأطواب فهي عند والدي بالدرعية. إذا صدرت إليه أعرض الحال بين يديه، والوزير سليمان باشا أيضاً يكتب له، فإن صحت المصالحة،

وارتفع الشقاق من الطرفين، فهي لكم وأنا كفيل بها إلى أن أجيبها إلى البصرة، وأما مصارفكم فإني لم أملك من هذا الأمر شيئاً، والشور في يد والدي، والذي عندنا فهو يصلكم، وأما ما ذكرتم عن الطريق، وعدم التعرض للحجاج المترددين. ما لهم عندنا غير الكرامة والتسيار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» اه.

كان اعتذار المومأ إليه عن قبول بعض الشروط ظاهراً له مبرر، ولذا أمضيت المصالحة طبق الشروط الأخرى، وقبل بها الطرفان[1]. ثم إن سعود ابن الأمير عبدالعزيز رجع قاصداً الأحساء، فنزل عليه، ورتب حصونه وثغوره، وأقام فيه قرب شهرين، واستعمل عليه أميراً سليمان بن محمد بن ماجد. ثم رحل إلى وطنه قافلاً راجعاً[2]، وعلى هذا نهض الجيش أيضاً من محله، وبألف صعوبة وأنواع المضايقات من جهة الأرزاق وسائر الاحتياجات جاب الصحارى والقفار.

حوادث سنة ١٢١٦هـ (١٨٠١م):

غارة الوهابية على كربلاء:

وفي هذه الأثناء ورد الخبر من شيخ المنتفق حمود الثامر أن سعود ابن الأمير عبدالعزيز توجه إلى هذه الأنحاء بجموع كثيرة العدد والعديد، ولذا وجه الوزير كتخداه علي باشا إلى جهة الهندية، ونزل في منزل الدورة مع جمع قليل، وكان في انتظار بعض القبائل لتوافيه، وبينما هم في هذه الحالة إذ فاجأ سعود كربلاء، وتمكن من الدخول في المدينة، فاغتنم الفرصة دون حيطة من أهل البلدة، فغنم منها أموالاً كثيرة، وانتهب أمتعة لا تحصى.[3]

حوادث سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م):

---

(١) دوحة الوزراء، ص٤٤٧، ونصوص هذه الكتب في مطالع السعود أيضاً، ص١٥٣. مخطوطتي.

(٢) عنوان المجد، ج١، ص١١٩.

(٣) دوحة الوزراء، ص٢٢٧.

غزو الأمير سعود البصرة:

كان في بغداد رجل أفغاني الأصل يدعى ملا عثمان عزم على قتل عبدالعزيز السعود، فتوجه إلى الدرعية. وصل إليها بصفة درويش، وأظهر التنسك والزهد، فأكرمه عبدالعزيز السعود، وكان يضمر اغتياله، فوثب عليه، وطعنه فقضى عليه، وجرح عبدالله أخاه، فبايع القوم لسعود بن عبدالعزيز، وقيل إن القاتل من أهل كربلاء، واستبعد صاحب عنوان المجد أن يكون من أهل العمادية كما نقل، وكان القتل في العشر الأواخر من رجب سنة ١٢١٨هـ.(١)

وبعد أن تمت للأمير سعود الإمارة سار في نفس السنة إلى العراق، فكانت غزوة البصرة. هدم قصر الدريهمية مشرب أهل الزبير، وقتل من كان فيه، وذلك أن سعوداً أمير نجد سار من الدرعية، وقصد ناحية الشمال حتى نزل التنومة عند القصيم، فعيّد فيها عيد النحر. ثم رخص عربان الشمال من الظفير، وذكر لهم أنه يريد الرجوع، وكان حذراً أن يخبروا أهل البصرة والزبير، ومن في جهتهم إذا رجعوا إليهم. قفل حتى يبغتهم من حيث لا يعلمون، وكانت عادته إذا كان يريد جهة ورّى بغيرها.

فلما رحلت عنه عشائر الشمال من التنومة قصد الدرعية، فسار نحو يوم أو يومين، فوصلت العشائر، وأخبرت من في ناحيتها بقفوله.

ثم إن سعوداً رجع عائداً إلى البصرة، فلما أتى قربها وافق كتيبة من خيل المنتفق رئيسهم منصور بن ثامر السعدون، فأغار عليها، وقتل منهم قتلى، وأخذ منصوراً أسيراً. أراد الأمير سعود أن يضرب عنقه. ثم عفا عنه، فأقام عنده في الدرعية نحو أربع سنين. ثم أذن له بالرجوع إلى أهله.

نزل الأمير سعود على الجامع المعروف قرب الزبير، فنهض جيشه إلى البصرة، فدهموا جنوبها ونهبوها، وقتلوا من أهلها كثيرين، وحصروا أهلها. ثم رجعت تلك الجموع، وحاصرت أهل الزبير، وهدمت جميع القباب والمشاهد خارج سور البلد، ولم يبقوا لها

(١) عنوان المجد لابن بشر الحنبلي، ص١٣٠.

أثراً. ثم أعيدت قبة طلحة والحسن (البصري رضي الله عنهما) بعد هدم الدرعية.

ثم إن سعوداً أمر جموعه أن يحشدوا على قصر الدريهمية، فهدموه وقتلوا أهله، فلما كان وقت غروب الشمس أمر سعود مناديه أن يثور كل رجل بندقيته، فثوروها دفعة واحدة. قال لي رجل من أهل الزبير: لما ثارت البنادق في الأرض والجو، وأظلمت السماء، ورجفت الأرض بأهلها، وانزعج أهل الزبير انزعاجاً عظيماً، وصعدت النساء في رؤوس السطوح، ووقع فيهم الضجيج، وأسقطت بعض الحوامل، فأقام محاصرهم نحو اثني عشر يوماً. حصد جميع زروعهم، ورجع قافلاً.(١)

وذكر هذه الواقعة عثمان بن سند في حوادث سنة ١٢١٩هـ قال ما ملخصه: «حاصر سعود بن عبدالعزيز البصرة وقتل ونهب وحرق وزأر وأرعد وأبرق، ومتسلم البصرة إذ ذاك إبراهيم آغا، فصبر وصابر، ورجع حمود إليها بعد ما سافر عنها، وشد للمتسلم عضده، وكان ابتداء غزوه في آخر السنة التي قبلها وهي التي قتل فيها أبوه» اهـ.(٢)

وساد الاعتقاد في نجد أن القتل جرى بإيعاز من حكومة العراق، فأراد أن يشفي غليله بالانتقام لوالده.

حوادث ١٢٢٥هـ (١٨١٠م):

عصيان سليم آغا متسلم البصرة:

ظهر للوزير أن سليم آغا راسل الدولة طالباً منها أن توجه إيالة بغداد وشهرزور والبصرة إليه، فكتب إلى حمود بن ثامر شيخ المنتفق أن يخرج سليماً من البصرة، فتكاسل حمود، وأبدى تهاوناً ليتبين له الحال، لأن سليم آغا أفهمه أن الرئيس حالت أقبل من

---

(١) مطالع السعود، ص١٩١.

(٢) دوحة الوزراء، ص٢٤٧.

الدولة بعزل سليمان باشا، وتوجيه الإيالة إليه[1]، وقال صاحب المطالع: (وقد كان فيما بلغني له يد معه في ذلك)، فلما استبطأ حمود قدوم الرئيس إذ لم يأته خبر عنه مع ترادف رسل الوزير عليه، قرب من البصرة، وكان سليم آغا أعد المراكب، وله عسكر في سور البصرة وأبوابه، فاستنهض حمود سكان قصبة الزبير من النجديين، فنهضوا وحاصروا البصرة مع برغش بن حمود، فخاف بعض العسكر، وفتحوا أبواب السور، فندم سليم، وبقي في المراكب أياماً ثم سلمها، وسافر بمركب إلى أبي شهر.[2]

فعزله الوزير، ونصب أحمد بك أخاه من الرضاعة متسلماً مكانه، وجهزه الوزير بجيش، فوصل إلى كوت العمارة، فتأهب سليم آغا لمقاومته، ولما كان في هذا المنزل جاءه خبر سقوط البصرة على يد شيوخ المنتفق، وأن المتسلم فر في زورق إلى جهة بندر أبي شهر، وحينئذ رخص أحمد بك العساكر التي معه، وذهب هو بنفسه شطاً إلى البصرة، فانحدر إلى هناك، فدخلها.[3]

حوادث ١٢٢٧هـ (١٨١٢م):

المنتفق وسعيد بك:

أوضح أن سعيد[4] بك بن سليمان باشا استولى عليه الرعب من الوزير، وخشي أن يصيبه منه ضرر، ففر إلى المنتفق، وذلك حينما بلغ الوزير الجديدة، فأقام لدى شيخ المنتفق، ولم يكن له مطامع، وإنما أراد أن يتخلص من الغائلة التي توهمها.

أما الوزير فإنه حمل ذلك على محمل آخر، فكان ذلك داعية التساهل مع إيران، فقرر لزوم القبض عليه، فنهض من بغداد بجيش عظيم في ٢٧ شوال، وفي مطالع السعود

---

(١) نتائج الوقوعات، ج٤، ص٨٠.

(٢) دوحة الوزراء، ص٢٤٨.

(٣) دوحة الوزراء، ص٢٥٦.

(٤) سعيد بك جاء عنه أنه أسعد، ولعل أصل اسمه أسعد. ثم اشتهر بـ (سعيد)، وعلى هذا صاحب الدوحة والمطالع، وعلى الأول صاحب غرائب الأثر، وتاريخ شاني زاده، ج٢، ص١٨٨ و٣٠٦.

أنه سار في أول ذي القعدة.[1]

قال في الدوحة: ولما كانت في ذمة عشائر الدليم مبالغ وافرة من الميري ذهب لاستحصالها، فبقي في الفلوجة بضعة أيام، واستوفي منهم ما تمكن. ثم توجه نحو الحلة، ومنها إلى الحسكة، وإن قل الزاد والأرزاق مما أدى إلى اضطراب الجيش، فمكث بضعة أيام ليتدارك الأمر، فظهرت المخاطر من جهات عديدة، فحاول رجال الوزير والمقربون إليه عذله عن سفره، فلم يفلحوا، وإنما نهض نحو المنتفق.[2]

حوادث سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م):

تمام الوقعة:

ومن ثم اجتازت الجيوش البراري والقفار، وقطعت الأنهار، واقتحمت المخاطر حتى وصل الوزير إلى قريب من المنتفق، فسمع أن حمود الثامر أيضاً توجه لمقارعته، فجمع نحواً من عشرين ألفاً بين فرسان ومشاة، فنهض من محله، ونزل بعيداً عن سوق الشيوخ بنحو ساعتين منتظراً وصول الوزير، واتخذ طريق العذل والاستعفاء عن التقصير بإرسال السفراء، وتلطف في رسائله، فلم يلتفت الوزير.

وفي غرة صفر تقدم على شيخ المنتفق، وصفّ صفوفه، فاضطر الشيخ على الدفاع، فتقاربوا إلى محل يقال له (غليوين)، وحينئذ ترامى الفريقان من الضحى إلى وقت الظهر بالمدافع والبنادق وسائر الأسلحة النارية، وكل فريق تأهب للهجوم على الآخر، ونظرا لما أثاره الوزير من النيران الحامية تفرق شمل المنتفق، وانتثر عقدهم، وانهزمت جموعهم الواحد بعد الآخر، ولم يبق إلا القليل ومعهم سعيد بك تجاه الوزير، وكانت طائفة من العثمانيين في خدمة والده سابقاً، فأرادت أن تقوم بمساعدته تجاه إنعامات والده لها، فراسلته لتكون معه، فمالت إليه ولحقت به، وكذا العشائر ممن كانوا مع الوزير. اغتنموا بها الفرصة، فانتهبوا أثقال الجيش، وذهبوا ولم يبق مع الوزير إلا نحو مائتين من أتباعه،

(١) مطالع السعود، ص١٩٥.

(٢) دوحة الوزراء، ص٢٥٧.

ومعه كتخداه طاهر الكهية، فبقي محتاراً في أمره، وندم على ما فعل.

لذا عزم الوزير على العودة، ولكن المنتفق انتشروا، فأحاطوا به، فلم يجد له مخرجاً، وحينئذ ظهر أخو حمود، وهو محمد السعدون مع نحو مائة فارس، فصاحوا بالوزير: (لك الرأي. لك الرأي)!، وأخذ الوزير مع كتخداه إلى خيامهم الحربية، وبعد ليلة أتوا بهما إلى سوق الشيوخ، وبعد يوم أو يومين مات برغش بن حمود الثامر، وكانت أصابته جراح في المعركة، فادعوا أن سليمان[١] آغا كهية البوابين جرحه، فأخذوه من سعيد بك، وأرسلوه إلى سوق الشيوخ، وقتلوا الثلاثة هناك، فجاؤوا برؤوسهم إلى سعيد بك.[٢]

وفي مطالع السعود: كان مع الوزير في هذه الحرب الشيخ مشكور شيخ ربيعة، وهذا التقى مع صالح بن ثامر من المنتفق، فقتل في المعركة، وكان الوزير قبل هذا عزل حموداً من إمارة المنتفق، ونصب مكانه نجم ابن عبدالله بن محمد بن مانع، أخا ثويني.

ولما قتل الشيخ مشكور زحف الوزير بعسكره، وكان قادة الجيش قد وجهوا همهم نحو سعيد بك. ثم حمل كل منهما على الآخر، وانهزم كثير من أتباع حمود، وصدق الحملة برغش بن حمود بن ثامر، فطعنه بعض الفرسان من عسكر الوزير، وحمل علي بن ثامر، ويقال إنه هو الذي قتل نجم بن عبدالله المنصوب من جانب الوزير شيخاً على المنتفق.

ولما كادت عشيرة حمود تولي الأدبار أدبر آل قشعم من جماعة الوزير، فسقط في يد الوزير وطاهر كهية ومن معهما، فطلبوا الأمان من حمود، فأعطاهم ولم يف لهم بالأمان، فإن عشيرته نهبت العسكر، ولم تبق لواحد منهم ما يستر عورته، وأسر الوزير وطاهر كهية ومعهما ثالث (سليمان آغا)، وذهبوا بهم إلى سوق الشيوخ، فلما مات برغش من تلك الطعنة خنقهم راشد بن ثامر، وبعد ما قبروا أخرجوا، فقطعت رؤوسهم.[٣]

---

(١) هو جد سالم بن محمد آغا.

(٢) دوحة الوزراء، ص٢٥٧، ومطالع السعود، ص١٩٧، وفيه تفصيل.

(٣) مطالع السعود، ص١٥٣.

حوادث سنة ١٢٣١هـ (١٨١٦م):

شمر والخزاعل المنتفق والظفير:

إن فارس الجرباء بعشائره، والزقاريط وعشائر البعيج لم يروا من سعيد باشا ما كانوا يرونه من الوزراء السابقين من عناية ورعاية، لا سيما أيام الوزير علي باشا، ففي أيامه كانت لفارس أبهة عظيمة وصدارة، فعبر إلى غربي الفرات عندما تولى سعيد باشا الوزارة بسبب ما بين الجرباء والعبيد من الضغائن، لا سيما قاسم بك الشاوي، وكان الوزير ولى أكثر أموره له، فلم يستقر فارس في الجزيرة، فنزل بعشيرته على الخزاعل، فاتفقوا وتجمعوا.

وفي هذه الأثناء كان قد نكل الوزير بشيخ الخزاعل سلمان المحسن، وضيق عليه تضييقاً مراً، وعلى هذا استمد سلمان المحسن بفارس الجرباء، فأمده بعشائره، فوصلوا وتبعوا الجيش للنكاية به، وحينما جاؤوا قرب ديار الخزاعل علموا أن الوزير رجع، ولما سمع بهم تأهب عليهم، ولكنهم هابوه، ولذا مالوا إلى الخزاعل، واتفقت زبيد والعشائر الأخرى ممن في تلك الأنحاء، فصارت جموعهم خطراً. جاؤوا من الحسكة إلى الحلة، فانتشر ضررهم، وزال الأمن، وانقطعت السبل، وتسلطت العشائر على القرى والمقاطيع، فتحير الوزير في أمره لما ظهر من هذه الأحوال.

وحينئذ طلب الوزير حمود الثامر شيخ المنتفق للسفر على الخزاعل، فجهز جيشاً عظيماً، فوصل إلى أنحاء السماوة، كما أن الوزير علم أن لا مجال للخلاص من الجرباء إلا بجلب الظفير ألدّ أعدائهم، وكذا دعا كل من ينزع إلى معاكسة هذه العشائر من العشائر الأخرى من العبيد، وأرسل معهم قاسم بك مع بيارق الخيالة وعقيل وباش آغا، وكذا جلبوا الدريعي من رؤساء الرولة من عنزة لجانبهم.

ولي قاسم بك أكثر أمور هذا الوزير، ونظراً لذلك لم يستقر آل الجرباء في الجزيرة، وإنما نزلوا بعشائرهم على الخزاعل ليكتالوا من أنحائها، وكان بين فارس وبين الدريعي عداء قديم، فاقتفى الدريعي أثره، ونزل قريباً منه، وأرسل إلى حمود بن ثامر، فاستنفره

فنفر بفرسان عشائره لمساعدة الدريعي، وكذلك خرج عسكر الوزير مع من ذكر.[1]

تقابل الفريقان في لملوم، واشتعلت نيران الحرب، فكانت الغلبة في جهة مناصري الوزير، وقتل من خصومهم خلق كثير، وفي هذه الواقعة قتل بنيّة بن قرينس ابن أخي فارس، وكان بنية ما كرّ على جناح أو قلب إلا هزمه حتى تحامته الفرسان، فأصابته طلقة أردته قتيلاً، وحينئذ أرسل رأسه إلى الوزير، فأعلن أمره ليؤدب به الباقين.[2]

المنتفق في هذه الأيام:

بعد قتلة عبدالله باشا قويت شوكة حمود، وصار أمر سعيد بيده، ولهذا أعطاه وإخوانه ما في جنوب البصرة من القرى، وأطاعهم الحاضر والبادي، وسالمتهم الأعادي، وفي أيام الشيخ حمود امتدت يد الظلم من أتباعه، وأطنب في ذلك صاحب مطالع السعود لقصد التوصل إلى ذم إدارة سعيد باشا، بل ذمها كثيراً، وبالغ في ذم حمادي بن أبي عقلين وسائر الموظفين، وما ذلك إلا لأن الوزير أشرك العرب في الإدارة، فنقم عليهم داود باشا، فظهر ذلك على لسان مؤرخيه: صاحب الدوحة وصاحب المطالع.[3]

أخبار سعيد باشا بعد خروج داود:

إن هذا الوزير بعد ذهاب داود أحس بالخطر، وعلم أن تبعيد المماليك أدى إلى هذا، ومن ثم قرب الموجودين، وأبعد ابن أبي عقلين، وحاول إرضاء جماعته، فجعل درويش محمد آغا كتخدا أصالة، ونصب مكان ابن أبي عقلين يحيى آغا الميراخور. جعله خازناً، وعين يوسف آغا الميراخور أمين الإصطبل كما كان، وعزل عمر آغا الملي، ووجه كهية الباب إلى عبدالله آغا الباش آغا السابق، وأجرى تبديلات أخرى، فكان ذلك تسكيناً للخواطر، وهيهات أن يرضوا عنه بعد ما رأوا منه ما رأوا، وصار يهرب الواحد

(١) مطالع السعود، ص١٥٧، ودوحة الوزراء، ص٢٦٦.

(٢) عشائر العراق، ج١، ص١٣٢. ١٤٧.

(٣) مطالع السعود، ص١٩٥.

بعد الآخر، وصار يشتبه من أوضاع العثمانيين أيضاً خشية أن يهربوا، وكتب إلى شيخ المنتفق حمود الثامر أن يأتيه لإزالة ما هو فيه من الاضطراب.[١]

سعيد باشا والوزير:

لم يلتفت سعيد باشا إلى الأمر السلطاني، وأرسل عبدالله إلى جهة كركوك ليذهب إلى السليمانية، وأبقى العشائر الأخرى في بغداد، فلما رجع عبدالله باشا من السليمانية بيأس توقف في كركوك، ولكن المنتفق والعبيد والدليم بقوا للمحافظة، وإن مصاريف المنتفق وحدهم تتجاوز العشرة آلاف قرش، ونفقات الباقين على هذه النسبة، فنفدت المؤونة، وصارت تشترى من الأهلين بصعوبة، بحيث تسعى الحكومة من الصباح إلى الغروب لسد حاجتها، وكانت الأوضاع في حرج، والعربان لا سيما المنتفق يتحكمون من أجل الأرزاق، بحيث صار لا يطاق أمر إرضائهم، فأظهر سعيد باشا العجز، ولم يبق له تدبير، بل صار يتحرى الخلاص من الكلفات الناجمة.

وفي هذه الأثناء ورد الخبر بأن الوزير عاد من الجديدة، ورفع الحصار عن بغداد، فكان ذلك خير وسيلة لترخيص شيخ المنتفق وإخوته وعشائره، فابتهج الشيخ لهذه المنة. أبدت الحكومة استغناء عنه بداعي أن النظام جرى على محوره المطلوب، فعاد.

حوادث سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٥م):

١- ورد إلى الوزير من رجال المنتفق محمد بن عبدالعزيز بن مغامس، فأكرمه بوافر الإنعام، وهذا من أجواد العرب وشجعانهم، ومن المثابرين على الدين. كان عند ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع له أبهة وصدارة، وكذلك عند حمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع أولاً. ثم تغير خاطره على حمود، فقصد الوزير، ورشح نفسه لرئاسة المنتفق، فما وافقه الوزير على ما أراده لأنه كان وعدها ابن ثويني، لأن أباه كان شيخاً على المنتفق، وكذلك جده عبدالله وجد أبيه محمد وجد جده مانع، لا سيما وابن ثويني متصل بالوزير في حله ومرتحله، ومعتصم به.

---

(١) دوحة الوزراء، ص٢٧٣.

٢- قدم حنيان بن مهنا بن فضل بن صقر أحد أكابر آل شبيب، فأكرمه الوزير، وأجزل عطاءه، ولما اجتمع هو ومحمد بن عبدالعزيز عزم الوزير على عزل حمود، ونصب براك بن ثويني على بني المنتفق. ثم عرضت أحوال أخرت ذلك.

٣- قدم جماعة من آل صالح وهم شبيبيون لمناصرة براك بن ثويني.

٤- قدم محمد بن مناع الأجودي العقيلي أحد مشايخ بني المنتفق وفرسانهم.

وقوي براك بن ثويني بهم، وتوجهت إليه أنظار الوزير، وكاد يوليه رئاسة المنتفق، إلا أنه أخّر أمره لمصلحة.

حمود بن ثامر ومحمد الكتخدا:

لم يقف حمود تجاه هذه الحوادث مكتوف اليدين، وإنما شاع على الألسنة أن حموداً أرسل إلى محمد الكتخدا، وهو في الحويزة أن يوافيه، فقدم إلى العراق لإثارة الفتنة، وأمر حمود خفية آل قشعم وآل حميد وآل رفيع أن يساعدوه، فدخل الحلة، فلما انهزم انهزموا!

وعلى كل إن الفتنة اشتعلت في الخفاء، ولكل حزب مناصر، وإن الوزير في كل هذه الأحوال لم يقدم على حرب حمود، ولكنه حاول تكثير حزبه.

إن الوزير أراد أن يجرب مقدرة براك، فجعله يغزو بمن معه من آل شبيب عفكاً وقاسم بن شاوي ومن معه، فتحصنوا بالأهوار، فخاضها المنتفقيون، وقتل من أكابرهم وفرسانهم دويحس بن مغامس بن عبدالله بن محمد بن مانع الشبيب، وقتل أيضاً ابن لثامر بن مهنا بن فضل بن صقر، وهو شبيبي أيضاً، وكان مع براك بن ثويني شيخ زبيد، فلم تكن منه مساعدة، ولم يخلص في الخدمة، فخذلوا وقل أمل الوزير في السيطرة على الوضع.

حوادث سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م):

قدم بغداد الشيخ عقيل (عجيل) بن محمد بن ثامر في ١٢ صفر، فألبسه الوزير

خلعة رئاسة المنتفق في ١٤ منه، وأعطاه الأسلحة الكافية، وكتب إلى متسلم البصرة أن يعلن ذلك في أرجائه، وأن يحافظ على البصرة، فأظهر المتسلم للعشائر عزل حمود ونصب عقيل.

فلما تبين حمود عزله أمر ابنيه (ماجداً وفيصلاً) أن يقصدا البصرة، فزحفا بالعشائر، فأما ماجد فنزل قريباً من نهر معقل، وأما فيصل فنزل أبا سلال، ومعه الإباضية أتباع إمام مسقط وعشائر كعب.

فلما اشتد الأمر، وكاد ينكسر المتسلم. برز النجادة للمعاونة، فكسروا ودخلوا البصرة بعد خوضهم حومات المهالك، وبعد هذه الوقعة اشتدت أعضادهم، وقوي اعتمادهم، وإن إمام مسقط ملأ بالسفن الشط، وساعد ماجداً وفيصلاً، وحمل بأجناده كما حملا، ومع ذلك لم يلن النجديون، فبقوا في مجالدة شهرين.

هذا ولما رأى متسلم البصرة كثرة الأعداء، وضيق الحال. صالح إمام مسقط بمقتضى رأيه، فانتظم الصلح، فسافر وبقي فيصل وماجد، ولم يبق من قرى البصرة إلا من كان لهما مساعد، وفي أول ربيع الأول خرج عقيل من بغداد، وفي أثناء ارتحاله ورد سليمان المناخور، فوجده محاصراً للأقرع، فحشدوا عليه ومعهم ابن قشعم ومحمد الكهية ورستم وغيرهم، والذين كانوا مع سليمان زبيد القبيلة المعروفة، ومن عقيل شيخهم جعفر، ومن رجال الوزير محمد المصرف.

ولما ظهر الأقرع بمن معهم، وعاين الروم الكماة جمعهم زحفوا عليهم. مع أنهم من الأعداء بمنزلة واحد من مائة، فما كان إلا ريثما التقوا رد الروم على الأعقاب، فندبهم سليمان، فكروا ثانياً كرة أسد الغاب، فمذ ثارت أطواب العسكر كرّ مع الدخان من الروم كل غضنفر، فأدبروا إدبار الرئال، وتركوا البنادق والنصال، وقتلوهم قتلاً ذريعاً، فأخبرني من أثق بخبره أن قتلاهم يزيدون على ألف في نظره، ومنهم من قال يزيدون على ألفين، ولم يحضر الحرب الشيخ عقيل ولا صفوق، ولكن حضرها شخير.

ثم إن الشيخ عقيلاً أقام في أرض عفك زماناً آملاً أن يأتيه أناس من أكابر قبيلته

وفرسان عمارته، والوزير ينهاه عن العجلة، ويأمره بالأناة والتؤدة، فلم يسمع نصحه.

وفي هذه الأثناء نصب الوزير سليمان الميراخور (المناخور) أميراً، فبقي الشيخ عقيل في تلك الناحية، ومعه من شيوخ أهل البادية صفوق بن فارس الشمري، ومعه من بني عمه جماعة. قال ابن سند: (وقد ذكر لي الثقات عنه أنه صنع من الضيافات، ونحر من الكوم السمان ما لا يحصره لسان).

أما البصرة، فإنها في تلك الأيام قد بذل متسلمها جهده لمحافظتها وحراستها، وساعده النجادة من أهل الزبير، فاعتز بهم. أما فيصل فإنه نزل أبا سلال، وأكثر على البصرة بالغارات في البكور والآصال، فلما سافرت سفن (إمام مسقط)، وطال عليه المقام رحل من ذلك المنزل، ونزل على أخيه في نهر معقل، وأشار عليه أن يذهبا إلى والدهما، ويستشيراه في مقاصدهما فلم يقبل، وقال: (لا أرحل حتى أملك البصرة، وأجعل عاليها سافلها).

وعند قدوم فيصل إلى والده ورد محمد الكهية. ثم إن ماجداً منته نفسه أن يملك البصرة، وتأهب للأمر، فخرج عليه سكان الزبير، فلما رآهم ماجد وجنده تلقاهم بخيله ورجله، وترك خيامه في منزله، فما كان إلا اليسير حتى ولى الدبر، فخرج عسكر المتسلم على خيامه، فغنموها عندما لاحت أمارات انهزامه، وأقبل النجديون إلى البصرة، وأكرمهم المتسلم على هذه النصرة.

وجاء ماجد، فوجد والده قد فارق عزه، وذلك أن عقيلاً لما نزل البغيلة[1] ورد عليه أعمامه، فبسط لهم موائد الإكرام، وأما حمود عمه، فإنه لما ارتحل عنه إخوانه علم أن لا مقام له، وركب خيله، وفر إلى البادية، فورد عقيل إلى وطنه بعسكر الوزير، فولي الرئاسة مكرماً لبني عمه وعمومته، خصوصاً أنه أشجعهم وأرفعهم.

ولما استقر عقيل رجع المناخور بالعسكر، وانتظمت له الأمور، وصار عوناً للوزير في الخطوب.

الجزء السابع

المراجع التاريخية:

- رسالتان في المنتفق. له أيضا مخطوطتان عندي نسخها، ولا تخلوان من نقص، وفيهما بيان عن أعظم مشاكل القطر في حوادث المنتفق، وعلاقة الدولة بها.

- التاريخ المجهول المؤلف. كتب باللغة العربية بدأ بأيام داود باشا، ومضى في حوادثه إلى سنة ١٢٧٩هـ. بعض أوراقه ساقطة، وكانت حوادثه غير مطردة، وفيه تحامل على الولاة. لغته عامية، ويعول على كتاب (ألف با)، وكتاب (تاريخ المنتفق) للرفاعي، وفي كل أحواله يعد صفحة كاشفة عن الأهلين والولاة، وهو يبين روح الكاتب، وأثر الوقائع في نفسه. ينسب بعض الحوادث إلى الولاة ببيان خرقهم أو قلة معرفتهم، ولم يدر أن ذلك تطبيق لمنهاج الدولة، وقد حاولنا أن نعثر على كتاب (تاريخ المنتفق للرفاعي) والتمسناه كثيراً، فلم نتمكن من الحصول عليه، ولعل الأيام تظهره.

حوادث سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣١م):

شمر والمنتفق:

كان الشيخ صفوق الفارس رئيس شمر منفوراً من حكومة المماليك، وشيخ المنتفق الشيخ عجيل السعدون مقرباً منها. أما علي رضا باشا فإنه قرب الشيخ صفوقاً من حين كان في حلب، ولذا هاجم الشيخ عجيلاً شيخ المنتفق من آل السعدون، وكان فريق من المنتفق محبوسين سنين عديدة، فلما وقع الوباء سنة ١٢٤٦هـ فرّ هؤلاء من السجن، وبينهم شيوخ المنتفق، ممن كان يضمر العداء للشيخ عجيل. التجأ هؤلاء إلى

الشيخ صفوق، وانضمت إليهم عشائر البعيج والأسلم[1] في أنحاء الحلة، وكذا عشائر أخرى مالت إليهم.

أما بغداد فقد اختلّت حالتها بتأثير الوباء، ومن ثم هاجم الشيخ صفوق المنتفق بما عنده من قوة، فظهر الشيخ عجيل لمحاربته، ومعه نحو ١٥٠٠ من الفرسان والمشاة، إلا أن الجموع التي كانت مع صفوق لا تكاد تحصى كثرة، فلا يستطيع أن يقابلها أولئك، فجرى الحرب بينهم في أواخر جمادى الثانية، وبذلك انفرط عقد من كان مع الشيخ عجيل من الجموع. أما هو فقد كبا به فرسه، فسقط ومات لساعته[2]، وبهذا انتصر صفوق ومن معه من شيوخ المنتفق، ولعله من جراء هذه الواقعة لقب (سلطان البر).

حوادث سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١م):

كربلاء والمنتفق في أيامه:

كان أمله [أي الوالي علي رضا باشا] مصروفاً إلى الاحتفاظ بالحالة، ومن ثم تعرف درجة ضعفه، فلا يرغب أن يحرك ساكناً، فرضي من كربلاء بمبلغ سبعين ألف قران، وهكذا كان أمره مع المنتفق. رضي منهم بـ (٧٠) حصاناً، و(٧٠) ألف شامي[3]، ويقدر ذلك بمبلغ سبعة آلاف ليرة تركية.

حوادث سنة ١٢٦٧هـ (١٨٥٠م):

مشيخة المنتفق:

في ٢٣ شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦٧هـ (١٨٥١م) تغلب شيخ المنتفق منصور بن راشد (ابن ثامر السعدون وهو منصور باشا) من مشائخ المنتفق على فارس بن

---

(١) البعيج منهم من يعدهم من غزية، وآخرون من عنزة. ذكرتهم في عشائر العراق، ج٤، والأسلم في المجلد الأول بين عشائر شمر.

(٢) الشيخ عجيل هو أخو سعدة بن محمد بن ثامر السعدون، وكان شجاعاً. أخواله أمراء ربيعة. (عشائر العراق، ج٤).

(٣) تاريخ الشاوي، ص٢٢.

عجيل[1]، وصار شيخاً بالسيف بدل فارس المذكور، وكلاهما قبل هذه المادة ساد قومه مرتين. الواحد يغلب الآخر، ولم ينقطع القتال بينهما إلى أن آل الأمر في هذه الواقعة إلى الشيخ منصور، وهو من أمراء المنتفق، وفارس كان أبوه شيخاً في وزارة داود باشا، وانتصر عليه الشيخ منصور.

فانتدب للشيخ منصور الشيخ وادي شيخ زبيد. سار من طريق الحلة، وقصد الفزعة لمنصور، فوقف الفريقان طوائف المنتفق قسمين: قسم مع فارس، وقسم مع منصور وزبيد معهم، فأولاً كان الغلب لجماعة فارس، ومن بعد صارت الهزيمة على فارس وقومه، وقتل عبدالله أخو فارس، وكان شجاعاً معدوداً أشجع من فارس المذكور، ومسك جماعة وادي فارساً، وأبقاه وادي عنده محجوراً عليه»[2]. اه.

أصل المنتفق:

قال: «وهؤلاء المنتفق ذكر مؤرخو البصرة عنهم، ومنهم السيد إبراهيم الرفاعي، وكان عالماً فاضلاً. (قال): إن قبيلة المنتفق أصلها حسنية من أولاد الحسن رضي الله عنه. لا جميعهم بل رؤساؤهم، وما عداهم من قبائل متفرقة، وذكر عنهم أن وجودهم في هذا المكان سنة الستمائة بعد الهجرة. سكناهم في أراضي البصرة، ولهم أراض مزارع ونخيل تبلغ لكوك يأكلونها، وجعل (يريد الرفاعي المذكور) لهم تاريخاً مستقلاً مختصراً، وعدّ أمراءهم به مفصلاً. هذا طالعت به، ووجدته عند واحد من أهل البصرة، ونقلت منه هذين السطرين لأجل اللازم». اه.[3]

حوادث سنة ١٢٦٨هـ (١٨٥١م):

صالح العيسى شيخ المنتفق:

---

(١) منهم اليوم الشيخ علي بن ناصر بن فارس العجيل، وعجيل هذا أخو سعدة بن محمد بن ثامر السعدون.

(٢) التاريخ المجهول.

(٣) التاريخ المجهول.

في غرة جمادى الثانية قدم إلى بغداد الشيخ صالح بن عيسى[1] من أمراء المنتفق، وكان أبوه شيخاً على المنتفق. أرسل عليه الحكام، ونزل خارج البلد في باب المعظم، وقصد الحكام يسيّرون معه عساكر إلى بلاده، ويجعلونه شيخاً عوض الشيخ منصور بن راشد، وفي ثالث يوم قدومه عبّروه دجلة من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي، ونزل (باب الحلة)، وسمع أن عرب زبيد مرامهم يغتالونه، فطلب من الوزير نامق باشا أن يسير إلى بلاده من الجانب الشرقي لئلا يظفر به.

فما أذن له الوزير بالمسير مما رامه المذكور، فعند ذلك أغارت أعراب زبيد، ومعهم أخو وادي فحل، وابن أخيه سمرمد، وأخذوا من سواد العراق أغنامه وأمواله، وقطعوا طريق الحلة، وأخذوا بعض الخانات، وتبيّن وجه تعدّيهم وخلع الطاعة، وبان صريحاً أنهم يريدون يغتالون الشيخ صالح العيسى، فعند ذلك أذن الوزير له بالمسير على الجانب الشرقي من بغداد على طريق جسّان وبدرة، وألحقوه بمدد بعض العسكر من أعراب نجد راجلين، وهم من عقيل، وكان ظهوره يوم ١٣ جمادى الآخرة.[2]

حوادث سنة ١٢٦٩هـ (١٨٥٢م):

مشيخة المنتفق:

وفي ذي القعدة من هذه السنة حبس الوزير [رشيد باشا الگوزلكي] فارس بن عجيل، وعزله من مشيخة المنتفق، وألبس الشيخ منصور بن راشد الخلعة على مشيخة المنتفق، فصارت الإمارة إليه، وطلع من بغداد يوم ٢٨ من ذي القعدة. هو ووادي بك يريدون أن يسيروا إلى ديرة المنتفق، وكان صالح بن عيسى شيخاً على المنتفق من أيام

---

(١) الشيخ صالح بن عيسى بن محمد بن ثامر السعدون، وهو الذي بنى قلعة صالح بين العمارة والقرنة، والآن هي قضاء، وكان والده عيسى الحريق شيخاً على المنتفق.

(مشرف الخزانة): بل التي بناها صالح بن عيسى السعدون هي قلعة في ديار المنتفق على ساحل الغبيشية، وليست قلعة صالح المدينة المشهورة قرب العمارة، والتي تنسب لغيره من شيوخ البو محمد أو عقيل.

(٢) التاريخ المجهول، وفي عشائر العراق، ج٣، ص٣٥، بيان عن وادي الشفلح وإخوته، والملحوظ أن سمرمداً هو ابن حمد أخو وادي، ورئيس زبيد اليوم مزهر السمرمد.

نامق باشا». اه.[1]

وجاء في كتاب قرة العين: «وفي سنة ١٢٦٩ هـ انتشبت الحرب بين قبائل المنتفق والجنود العثمانية، وانكسرت الجنود العثمانية عند نهر الفرات بمحل يقال له (المغيسل)، وقتل قائدهم (تركي بلمز). قتله مشاري السعدون من مشائخ المنتفق». اه.[2]

هو مشاري بن عبدالله بن ثامر السعدون، وله من الأولاد: (بدر ومحمد وعبداللطيف وعبدالعزيز)[3]، ولهؤلاء أولاد وأحفاد.

حوادث سنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م):

المنتفق:

إن هذا الوالي من حين وروده نقض ما كان أبرمه رشيد باشا، فاستهان بالمنتفق (كذا قيل)، وعدّ نفسه قادراً على إخضاعهم متى شاء، فألغى أن يكون سوق الشيوخ مقراً للجيش، واتخذ وخامة الهواء وعفونته سبباً، ولم يعرف ما حمله، وإلا كان في الإمكان سد الأنهار بصورة محكمة، والتسلط على المنتفق عند حدوث مخالفة من الشيوخ.[4]

أبدى ذلك سليمان فائق بك، وقال: والسياسة الصحيحة مكتومة طبعاً، وكأنه لا يعرف ضعف الحكومة، أو أراد أن يستر أمرها، وبيّن أن الوالي دفع الجيوش المرابطة، وأعاد للمنتفق سلطتهم، وأرجع إليه ما أخذ.

قال الأستاذ سليمان فائق: إن الوزير فعل ذلك تبعاً لإرادة مخلص الدفتري ببغداد، وبذلك حاول ستر الوضع، فالدولة كلما شعرت بضعف تركت الحالة، فلا تعرض

(١) التاريخ المجهول.

(٢) قرة العين، ص١٢٥.

(٣) ولمشاري أيضاً من الولد: (صالح، وجراح، وإسماعيل، وعيد). (مشرف الخزانة).

(٤) رسالة المنتفق، ومرآة الزوراء.

نفسها للخطر، فتقع في غائلة، ومتى رأت من نفسها قدرة وسلطة تدخلت.

وحينئذ عهدت بقائممقامية لواء المنتفق إلى منصور باشا السعدون[١]، والقائممقامية تعني المتصرفية إذ ذاك.

حوادث سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م):

المنتفق:

جرت في أيام توفيق باشا المزايدة بين الراغبين في المشيخة، وهم الشيخ منصور، والشيخ بندر الناصر الثامر السعدون، فأسندت إلى الأخير منهما في ٢٠ شوال سنة ١٢٧٧هـ ببدل سنوي قدره ٤٩٠٠ كيس، والكيس يعتبر خمسمائة قرش.[٢]

حوادث سنة ١٢٧٨هـ (١٨٦١م):

المنتفق:

تلقى الوالي مراسيم الطاعة من الشيخ صالح شيخ مشايخ المنتفق بقبول، والكلام له ما يتبعه، وقد مرت حوادث المنتفق، ولم يروا هدوءاً في كل أيامهم، والمشادة غير منقطعة من الاثنين. إذا قويت المنتفق ثارت، وإذا شعرت الدولة بقدرة نهضت لاكتساح المنتفق، والحرب بينهما سجال، والأمل مصروف إلى لزوم القضاء على هذه الإمارة، والتشويش مطلوب لتسهيل هذه المهمة.

حوادث سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٢م):

شمر والوزير:

---

(١) سليمان بك: رسالة المنتفق، ومجلة لغة العرب، والتاريخ المجهول.

(٢) هو سعدون بن مصطفى بن حمد بن ظاهر بن نصيف ابن شاهر رأس الفخذ المعروف بـ (البو شاهر)، ومصطفى اليوم رأس فخذ (المصطفى) من فروع البو شاهر، وهو فرع الحمد الظاهر، ورئيسهم اليوم محمد صالح بن علي بن سعدون المصطفى.

«في أوائل حكومة هذا الوزير أرسل بالعساكر النظامية والخيالة (الفرسان)، ومعهم مقدار من عشائر زبيد، والشيخ سعدون شيخ العبيد[1]، والشيخ ناصر أخو منصور شيخ المنتفق ومعه فرسان المنتفق، وشبلي باشا، وإبراهيم باشا الفريق، وسيرهم لمحاربة شمر ونهبهم، وإباحة أموالهم، فلما علموا بذلك، وكان شيخهم فرحان (الصفوق) انهزموا إلى أطراف سنجار، ومنهم من فرّ إلى أطراف الخابور، فلم تظفر العساكر بهم، وكان التراخي من شبلي باشا وإبراهيم باشا، ولو أن الأمر راجع إلى سعدون شيخ العبيد والأعراب لظفروا بهم، ولكن شبلي باشا حاذر على العساكر، وظفر بشرذمة قليلة من شمر فنهبوها، وأخذوا منهم سبعمائة بعير، وأدركهم الحر، فرجعوا إلى بغداد، فلما علم نامق باشا غضب على إبراهيم باشا وعلى شبلي باشا للفتور الذي حصل منهما.

حوادث سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م):

المنتفق:

كان يظن الوزير أن قد حان الوقت لإلغاء مشيخة المنتفق، فراعى تدابير رشيد باشا الگوزلكلي. حاول أن يقتطع أولا بعض الأماكن ليقلل السلطة، ويحصر دائرة النفوذ في نطاق ضيق.

أما منصور بك، فإنه جاراه في أصل الفكرة، وحسّن له أن يلغي المشيخة رأساً بلا تمهيد، وكان الشيخ منصور من أعضاء المجلس الكبير ببغداد، وهو منقاد لرأي عينته الحكومة، فأبدى أن لا حاجة إلى فصل بعض المواطن، وبيّن أنه إذا عينته الحكومة قائممقاماً (متصرفاً) جعل المنتفق كلها تابعة للدولة كسائر البلاد العثمانية.

وعلى هذا ارتضى الوالي قوله، وألغى المشيخة، وأسند إليه القائممقامية يوم الخميس سلخ جمادى الأولى سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م)، وكان هذا الأمير صاحب دراية خارقة، وتدبير موفق، ونظر نافذ، إلا أنه لم يتقن اللغة التركية، بل يصعب عليه التفاهم بها، ولم تعهد إليه قائممقامية (متصرفية) قبل هذا، فاختارت الحكومة أن يكون معه الأستاذ سليمان فائق، وهو عارف بشؤون القبائل، وله علم بالعربية، وتمكن من التركية، ويعد

من كتّابها المجيدين. كان قائممقام لواء خانقين، فجعله الوالي برفقته لتسهيل المهمة، وإطلاع الحكومة على ما يجري في الخفاء، فعهدت إليه محاسبة اللواء.

كان الشيخ ناصر آنئذ في بغداد، وكذا الشيخ بندر، إلا أن هذا الأخير توفي في اليوم التالي من تعيين الشيخ منصور، فلما سمع الشيخ ناصر أخو القائممقام ثار في وجهه، وأشاع إشاعات من شأنها إحداث القلاقل، وتحريض الأهلين على الحكومة، فتولد الخلاف بين الأخوين، فكانت معارضة الشيخ ناصر شديدة.

قالوا إن هذه الأمور كانت تجري في الخفاء بسبب المحاسب سليمان فائق، وأنه أصل الفتن، فالتزم قتله، ولكن الوجوه والأعيان لم يوافقوه على ما عزم عليه، وقالوا إن هذا من المماليك، ولم يكن من الأروام (الترك العثمانيين)، وأقاربه في بغداد كثيرون، وهم من أهل النفوذ، وإن قتله لا يشبه قتل أمثاله من الأروم، وأن أولاده وأقاربه يسولون حينئذ للولاة إثارة الزعازع والفتن للانتقام له، فتقع حوادث لا نستطيع التخلص منها، وتتوالى الاضطرابات، فلا نتمكن أن نبرئ ساحتنا من قتله، فليس من العقل التسرع بقتله، ومن معه من الأروام.

ومن ثم طلبوا أن يؤجل الأمر إلى مذاكرة عامة، واقترحوا التأجيل إلى أن يستقر الرأي، ولما عرضت القضية على منصور بك بيّن أنه صديقه القديم وضيفه، فلا يقبل أن يقتل، وأنه إذا لحقه شيء لا يتأخر لحظة عن أن يقتل نفسه (ينتحر)، ولما رأوا من منصور بك ذلك عدلوا عن قتل سليمان بك، ولكنهم لم يرضوا بوجه أن تحول المشيخة إلى قائممقامية، وأعلنوا عصيانهم، ونهبوا الميرة والحبوب المرسلة من لواء الحلة إلى البصرة نهراً، وكذا قطعوا الخطوط البرقية بين بغداد والحلة، وكان تمديدها من أمد قريب، وبذلك قصدوا أن يكبروا الحادث في عين الحكومة، وأبقوا المحاسب مدة ثلاثة أشهر غير مسموح له بالخروج، إلا أنه كان معززاً في الظاهر. ثم أذنوا له بالعودة.[١]

(١) في قرة العين أن سليمان بك وصل إلى سوق الشيوخ بمهمة خاصة (هي محاسبة اللواء)، فاتفق الأهالي على قتله، وضيقوا عليه، فأنقذه والدي داود السعدي، وأرسله إلى القرنة مع بعض المشائخ، فوصل إليها سالماً. اه. قال ذلك رشيد السعدي، ويصح أن تكون له يد.

لم تطل إدارة القائممقام والمحاسب أكثر من شهرين، فثارت الزعازع، واضطرب الأمن. ثم لما علم الوالي نامق باشا بالأمر عقد مجلساً من الملكيين والعسكريين، فقرروا لزوم إصلاحهم بالقوة ورؤوس الحراب، وقبل أن ينفضّ المجلس وأثناء المذاكرة فيما يجب اتباعه في حربهم وردت برقية من مقام السر عسكر توصي بلزوم إكمال كافة النواقص قبل الإقدام على الحرب، وأن ينتظر الإشعار الآخر، وأوصوا بالتأهب للأمر.

ذلك ما حدا بالوالي أن يفسخ القرار، ويعيد المشيخة كما كانت. نقل ذلك سليمان بك عن أمين أفندي كاتب العربية فيما لم يكن له علم به، ومحمد أمين هذا كان قد عهدت إليه أيضا مهمة (باب المشايخ) أو (باب العرب)، ولذا سمي بالكهية أي قيل محمد أمين الكهية.

ومن ثم أعيدت المشيخة، وأسندت إلى الشيخ فهد العلي الثامر السعدون في سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) بموجب شرطنامة كتبت باللغة العربية[١]، وفهد هذا هو والد فخامة عبدالمحسن السعدون، وسياسة الحكومة كانت مصروفة إلى تمكين النزاع بين أمراء المنتفق، ولم تشأ أن تترك واحداً منهم بلا ضد أو رقيب، وسليمان بك كان عضواً مهماً في التدابير، إلا أن سياسة الحكومة الخفية وتدابيرها الاحتياطية، ومراعاتها الأوضاع التي هي أعرف بها أقوى بكثير مما يتصور.

وتفصيل الخبر أنه بعد عودة الأستاذ سليمان فائق محاسب المنتفق بيّن أنه يستطيع جلب ناصر باشا إلى بغداد، فجاء به فعلاً، وقررت الحكومة اختزال محلين، وإضافة ألف كيس لأجل أن تحيل المشيخة إليه، ولكن الحكومة لم ترق لها أعماله، ولا أمنت منه، فلم تشأ أن تطلعه على ما ستقوم به، وراعت الحزم والحيطة، ولأجل إتمام مهمتها أبعدت سليمان فائق عن بغداد. نقلته محاسباً إلى البصرة، وخابرت فهد بك خفية، فعزمت أن تحيل الالتزام إليه بترك بعض المحلات، وبزيادة في البدل، فإذا أمكن ذلك رجحته على غيره، وأعطته المشيخة.

---

(١) لغة العرب، ج٥، ص٣٠، ورسالة المنتفق لسليمان فائق عندي مخطوطتها.

كان توجيه المشيخة بهذه الصورة لم يخل من شغب، وحدوث غوائل مقصودة، وأن أعوان ناصر باشا ومنصور باشا لم يتركوا الأمر، وإنما أثاروا زعزعة، وهاجموا المحل، ولكن الشيخ فهد استمد الحكومة بعد أن قبل الالتزام، فذهب لإمداده طابور مشاة من العمارة مع مدافع صغيرة أرسلت لمساعدته من طريق النهر بواسطة الباخرة، فوصلت على عجل، وبرزت القوة للمقابلة، فوجهت الحكومة المدافع عليها، وأطلقت بضع طلقات فرقت بها شملهم دون أن تحتاج إلى الرمي بالبنادق.

اهتمت الحكومة للأمر، وأرادت أن يستقر فهد بك في المشيخة والالتزام، فأرسل قائممقام لواء الحلة شبلي بك كتيبة من الخيالة، ومقداراً من المشاة، فذهب الخيالة براً، والمشاة ركبوا السفن الصغيرة، ومضوا نهراً، فقام العشائر في وجههم، فلم يطيقوا صبراً على حربهم، وأن المقدم قام بحركة مغايرة لفن الحرب، فاختل جيشه وتبعثر، فلم ينج إلا القليل، وقتل المقدم وضباطه، ولما سمع شبلي بك بالخبر لم يقدر على الذهاب بمن معه من الخيالة إلى الأمام، فاضطر إلى العودة.

هذا، وقد عزمت الحكومة على تأديب هؤلاء، وتثبيت فهد بك، فعينت حافظ باشا رئيس أركان الحرب للفيلق السادس، وأرسلت معه فرقة، فكانت ضربته قوية وقاسية، فلم يأمن منصور بك من البقاء هناك، فأعيد مع حافظ باشا والجيوش العثمانية، وخصص راتب إلى ناصر بك، وأمر بالإقامة في بغداد، وكان دخول حافظ باشا بقوة السلاح شتت العشائر بسهولة، ولم يظهر من يقف في وجه الحكومة، فصارت لها هيبة وخشية في النفوس.

قال الأستاذ سليمان فائق: وكان الأولى بالحكومة آنئذ أن تتخذ مركزاً مناسباً، ومن السهل حينئذ أن تقلب المشيخة إلى قائممقامية، بل عادت العساكر، فأضاعت هذه الفرصة السانحة!، وتأسف كثيراً إذ لم يستطع الجيش أن يرابط مدة، ولا اتخذ محلاً عسكرياً أو بلداً قريباً يقيم فيه. في حين أن الجيش سار لمهمة، وليس من صالحه أن يلغي المشيخة أو يحولها إلى قائممقامية، وكانت الحكومة جربت هذا التدبير، كما أنها ليس لها من القدرة ما يكفي للبقاء هناك، وهي قليلة، فإذا كان العربان فروا من وجهها

لأمد قصير، فلا تستطيع الدوام.

ونلاحظ هنا أن كل هذه التدابير سواء نجحت أو خذلت كانت غايتها إزعاج عشائر آمنة، وأن تتقاضى الحكومة بواسطة رؤسائها معيناً سنوياً لا حقّ لها به. إذ لم تقم بخدمة تستحقها، ولا أفادت بشيء، والذي فرط عقد الجماعة فصل ناصر باشا من اتفاق المتفقين، فأدى إلى أن يتفرق القوم، ولم يكن ذلك لخدمة الحكومة، وإنما أراد أن يتقدم عند الوالي، وينال مكانة.

وأما منصور بك فإنه لم يبق له ملجأ. رأى أن قد زاد نفوذ الحكومة، وقويت سلطتها. ضبطت أملاكه تجاه ديون الحكومة، فأصابه ضنك شديد، وضيق كبير، ولكن الحكومة أرادت ألا يستقل فهد بك في الأمر. ثم يتمنع عليها من الطريق الذي سلكه أولئك. قربت منصور بك إليها تعديلاً للكلفة، واحتفاظاً باطراد الموازنة، فلم يخف ذلك على فهد بك.

رأت الحكومة أن التسامح مع شيخ المنتفق فهد بك لم يقف عند حد، فركنت إلى تقريب منصور بك، وبهذا راعت الموازنة في مثل هذه الأحوال، فأوعزت إلى الأستاذ سليمان فائق بخصوص تقريبه، فأظهر أنه مراعاة للحقوق القديمة، وتوسط الوجوه والأعيان في البصرة. وجد الضرورة ماسة لإنقاذه من هذا المأزق الحرج. لما كان أنقذه المومأ إليه من القتل، وخاطر بنفسه دونه، فسعى أن تراعي الحكومة منصور بك تجاه أعمال فهد بك الذي كان ينسب خذلان أوامرها إلى منصور بك، وتجعل ذلك وسيلة للمعذرة، وكان الوالي آنئذ نامق باشا الذي لا يجازف في الصفح، فتمكن من استمالته، وبيّن له الحالة، وأن تقريبه مما يدعو إلى محسنات!

وعلى هذا أعطاه الوالي الأمان، وقبل دخالته، وكان على وشك أن يتم الأمر إذ استرق فهد بك الأخبار البرقية، فعرقل أمر القبض عليه، وإتمام الحيلة في حقه، فانتصب له، وسلب راحته، وقال: (إني عازم على القبض على منصور بك، وقد ضيقت عليه كثيرا، فإذا مال إلى البصرة، فينبغي التضييق عليه من هناك أيضاً)، فكتب إلى نامق

باشا من جهة، ونصح منصور بك من جهة أخرى، وأخبره بأنه حريص عليه، ومراع مصلحته، وأن هؤلاء الروم أهل مكر وخديعة، وأصحاب دسائس وغدر، وأنتم أعرف من غيركم بهم، وهم كما يقولون يصيدون الأرنب بالعربة. (يريد أنهم يطاولون حتى يظفروا)، فلو قبضوا عليك أعطوك الأمان بشخصك. لا يتجاوزونه، وإذا عفوا عن العقوبة، فلا يشمل ذلك أملاكك ورتبك، فلا تدع الحيطة، وكن في يقظة من التثبت ثم سلّم نفسك!

أوصل إليه هذا الكلام، وشوش عليه أمره، وكان منصور بك يعد من دهاة العرب، وأكابر رجالهم، إلا أنه كان في أمر محافظة حقوق قبيلته قد عدل عن الطريق السوي، واتبع الهواجس النفسية والوساوس، فكانت نتيجة ذلك أن تركه أقاربه وإخوته، وصدوا عنه، فصار وحيداً يلتمس نجاته، وشاهد أموراً لم تكن في الحسبان، ولا يؤمل وقوعها، ولم يبق له اعتماد ووثوق من الناس.

كان من دهاة العرب، ولكنه التزم جانب الحكومة، وظن أنها قادرة على كل شيء، واعتقد أنه في إخلاصه لها سوف لا تبدل به غيره، ولا ترضى أن تقدم عليه غيره، فكان من نتائج ذلك أن تشوش عليه أمره من جهة عشائره، ومن جهة أخرى أن الحكومة نفضت يدها منه، ولم تراع خدماته لها.

جاء منصور بك إلى ما يبعد عن البصرة نحو ساعتين أو ثلاث، فأخبر القائممقام أنه يقبل الدخالة على الحكومة، ويشترط أن تبقى له رتبه، وأن تعاد إليه أمواله، فأبدى له القائممقام أنه ليس من المناسب ذكر هذه الأمور أو البحث فيها، لأن ذلك تذكير لهم بها، فلم تحصل ثمرة، وأصر على مطلوبه، فاضطر القائممقام أن يكتب برقياً بذلك، فورد الجواب بأن الدخالة تنافي الشرط، وإنما هو مأذون بقبول الدخالة بلا قيد ولا شرط، فلم يوافق، وعاد من طريقه.

ثم تعهد فهد بك أنه يلقي القبض عليه، وطلب أن يشاركه القائممقام، ويتحرك طبق إشعاراته وإشاراته، ومن ثم تخابر سليمان فائق مع فهد بك، وتأميناً للقيام بالعمل

أرسلت فرقة تبلغ نحو الألفين إلى مواطن معينة، فلم يظهر له أثر!

إن منصور بك تمكن أن يعيش عيشة البداوة لمدة سنة، ولكنه لم يطق صبراً أكثر، ولم يتحمل شظف العيش والحياة البدوية. ناله عناء، فقبل الدخالة بلا قيد ولا شرط. أبدى عزمه على التسليم، وأرسل خبراً إلى سليمان فائق يستشفعه، فعرض هذا بدوره القضية مرة أخرى، وأخبر ببرقية أن منصور بك قُبلت دخالته، فورد إليه الأمر بلزوم استصحابه، والمجيء به إلى بغداد، فسار القائممقام توّا إلى بغداد، ومعه منصور بك معززاً مكرماً، وبوقار لا مزيد عليه.

والحاصل أن مشيخة المنتفق بقيت بيد فهد بك ثلاث سنوات، فانتهت مدة الالتزام، فدعي إلى بغداد للمزايدة، وفي انتهائها أراد الأستاذ سليمان فائق أن يحضر إلى بغداد، ويتدخل في البين ليتمكن من إفراز بعض المواطن عن دائرة الالتزام، فيخدم الحكومة، ولكنه لم يؤذن له، والظاهر أن السبب في ذلك أن بعض هؤلاء لا يرغبون في مجيئه، لأنهم يريدون بقاء المشيخة للاستفادة منها.

وضعت المشيخة بالمزايدة، وزاد البدل عن ذي قبل، وفصلت بعض الأماكن، فتقررت المشيخة لعهدة ناصر باشا، وسحب فهد بك عن العمل، ومن ثم جعلتها مناوبة، ومن طبعها أن تولد مزاحمة، والملحوظ أن المواطن المفرزة في هذه المرة وإن كانت كثيرة العدد، لكنها في الحقيقة أقل سعة. مما دعا إلى تحامل سليمان فائق، فبيّن أن ذلك جرى استفادة من غيابه، وبجهود من المنحازين لناحية الشيخة، والصحيح أن الحكومة رأت لزوم ترك الأراضي في نطاق المشيخة، ووجهت رتبة مير ميران لكل من ناصر باشا وفهد بك، وكانت أعرف بالمصلحة، ولا شك أن الفشل في القضاء على إمارة المنتفق كان كبيراً، فاضطرت الدولة إلى إبقاء الحالة على ما كانت عليه.

حوادث سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م):

هذا الوالي [تقي الدين باشا] تعاطى أمراً شغل بال الحكومة مدة، وهو أمر المنتفق، وأن عمل الوالي كان يجري تبعاً لسياسة المركز، وخططه في إنهاء هذه المعضلة بتدابير

منوعة. حبط بعضها، ولا يزال البعض الآخر تحت التجربة، ولذا نرى الوزراء يراعون تارة اللين، وطوراً الشدة!

قوى الوالي أمر منصور باشا في عهده، فنلاحظ أن الولاة تناوبوا في تعهد كل وزير منهم واحداً من شيوخ المنتفق ليكثر التنافر ويقوى الخلاف، ولكن الأستاذ سليمان فائق عدّ إبقاء الحالة السابقة في إقرار المشيخة دون القضاء عليها بلاءً على العشائر، وخرقاً في الولاة، والسبب كان من الدولة بإثارة القلاقل، وتوليد الضعف فيها من جهة، وتزييد المقرر في المزايدة مع اقتطاع قسم من الأراضي، مما جعل العشائر تفرّ من الظلم، وتذهب إلى الحويزة، والرجل لا يريد سوى تمكين سلطة الحكومة، فملأ الجرائد والصحف في إستنبول بالتنديد بأمور المنتفق، وتوجيه الأنظار للقضاء على إمارتهم ببيان قسوتها، ولم يفصح عن النواحي الأخرى.

ومن ثم أنحى باللائمة على تقي الدين باشا لأنه أبقى الحالة في مشيخة المنتفق كما كانت، فأقرها، ولم ينظر إلى ماهية التوجيه إلى منصور باشا، ولا إلى الاقتطاع، ولا إلى زيادة بدل الالتزام!

كل ذلك يصح أن يعد من أعظم أعمال الدولة في التمهيد للإلغاء. قام بذلك الوالي أيام حكومته، فأغفل الأستاذ أمره، وهو من الأهمية بمكان، ويهمنا كثيراً أن نوضح هذه الأمور لنعلم ما أريد بنا أو يراد بصراحة.

حوادث سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م):

المنتفق والالتزام:

جرت تبدلات في الإدارة، فاعتبر المنتفق لواء، وفي أيام هذا الوزير [مدحت باشا] أوشكت مدة الالتزام أن تنتهي، ووجب أن يعرف موقف الوزير في تنفيذ رغبة الحكومة بلا إيجاد تشويش يؤدي إلى إرباك الحالة، لا سيما وقد أخفق وزراء عديدون.

ولا شك أن الوزير استطلع الآراء، فعلم أن الأستاذ سليمان فائق أعرف بالحالة.

مارسها مدة، فدعاه برقياً للحضور، وكان آنئذ (قائممقاماً)، فورد بغداد، وعلم ما عنده، وكان أول عمل قام به الوالي أن دعا ناصر باشا إلى بغداد للمزايدة، فطلب الإمهال إلى انتهاء المدة، وكانت قريبة الختام، فلم ير الوزير بداً من تأخير القضية إلى وقتها المرهون، وأذن لسليمان فائق بالعودة إلى البصرة، ومن ثم حولها إلى متصرفية[1] كما تقتضي التشكيلات الإدارية، وبيّن أنه سوف يدعوه إذا رأى ضرورة.

ومن ثم انقضت مدة الالتزام، فدعا إليه سليمان فائق، وأبدى ناصر باشا تأخراً وتهاوناً أو أنه تثاقل، وفي خلال ذلك تمكن الأستاذ سليمان فائق من الاتصال بـ (فهد بك). لازمه وأقنعه أن شط العرب ودجلة في جانبيهما قرى ومزارع كثيرة، وهناك عشائر مختلفة، وأن الفرات من الحمّار إلى القرنة لم يكن فيه شيء من العمارات، ولم تؤخذ منه واردات، وكل وارداته الشتوية والصيفية تبلغ نحو عشرين ألف ليرة، فأرادت الحكومة أن تعطيها ببدلاتها السابقة لا أكثر.

ونواياها هذه ظهرت على لسان الأستاذ سليمان فائق، وفي ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦١م) ورد ناصر باشا إلى بغداد، وواجه الوالي مدحت باشا، فقال له: (هل ترغب في التزامها بالبدل السابق بعد أن تترك بعض المواطن)، وقد عينها له، فكان جوابه أنه وصل الآن إلى بغداد، ولم يسترح بعد، وأنه يحتاج إلى تأمل واستشارة، وطلب أن يمهله الوالي مدة ثلاثة أيام.

وأن المواطن التي أراد الوالي أن تترك:

١- المدينة (بالتصغير). ٢- جزائر البصرة.

وهذه تحتوي على ثلاثين ألف مسلح بالبنادق من المشاة، وهم مستند شيوخ المنتفق، وقوة ساعدهم، فكانت هذه أول التدابير، ومقدمات الأعمال، وصار الوالي يفكر في المعضلة، ويفاوض فهد بك في اقتطاع مواطن أخرى، إلا أنه يضمر رأياً آخر، وهو القضاء على هذه الإمارة، وكان يسمع الأقوال من الأستاذ سليمان فائق وغيره،

(١) كان قبل التشكيلات الأخيرة يسمى (قائممقاماً)، ويراد به المتصرف.

ولم يبد نواياه.

أما ناصر باشا فقد انتابته الهواجس، واستولت عليه الأفكار، فلا يدري ما يصنع؟!، وآمال الحكومة معلومة، والثورة لا تخلو من كلفة، والأسلحة الجديدة لا تطاق، وأن سليمان فائق يضمر الكيد للقضاء على المشيخة. عرفت آراؤه عند الوزير.

وكان معاون الوالي (تويسز رائف) أي رائفاً الأمرد قد أعلن أن المنتفق لم تكن لدولة أخرى، فتؤخذ لأقل وسيلة وأدنى سبب، ولا معنى لاقتطاع قسم من المنتفق ثم آخر، وهذا أشبه بمن يأخذ من أحد جيبيه ليضع في الآخر، فيعد نفسه قد ربح، فلا وجه لإفراز قسم من المنتفق، وإبقاء سائره بيد الشيوخ، فإن أفندينا (يريد الوالي) جعل المنتفق لواء، وقرر أن تجري فيه التشكيلات اللازمة كسائر الألوية، وسيوجه هذا اللواء إلى ناصر باشا، فيكون متصرفه، ونظراً لقرب بعض المواقع من البصرة، ومن العمارة تلحق بهذه الألوية، ومن ثم ينجو العشائر والأهلون من غوائل المنتفق، وتزول التعديات. أعلن المعاون ذلك، وعيّن رغبة دولته.

قال الأستاذ سليمان فائق: ذهبت المذاكرات سدى بيني وبين الوالي بهمة من رائف بك، ووساطة من اليهودي المسمى (عزره الصراف)، وكان يستخدم واسطة الرشوة من الموظفين، وهو من الأبالسة الذين يسترقون السمع. جاء إلى ناصر باشا للترحيب به، وكان يتخذ أطواراً غريبة للوصول إلى غرضه، فتمكن من استهوائه، وبعث فيه الأمل في ربح قضيته، وأن يجعله المنتصر في هذه المعمعة، وفي اليوم التالي صدر القرار المذكور، ولم يكتف الأستاذ بهذا، وإنما أبدى استغرابه من توصل اليهودي في خلال ثلاثة أيام أن يولّد الصداقة والوئام.

ومهما كانت الأوضاع وخفاياها، فقد جاء الحل خلاف رغبة الأستاذ سليمان فائق، فصار يضرب أخماساً بأسداس تأييداً لصحة فكرته، فلم ير ناصر باشا بداً من الإذعان لأمر الوالي. إذ لا طائل وراء معاكسة الحكومة للأسباب التي كانت ترد لخاطره، لا سيما أن أقاربه في تزاحم ونضال على المنصب، فكان يخشى أن يقبل غيره بذلك،

فيخسر الصفقة.

وفي ٢ جمادى الأولى سنة ١٢٨٦هـ سار إلى المنتفق، وعين عبدالرحمن بك قائممقام الهندية معاوناً له، وعبدالقادر الآلوسي نائباً، والحاج سعيداً محاسباً، وكان هذا الأخير من موظفي المحاسبة في الألوية، وعاد ناصر باشا إلى المنتفق لإجراء التشكيلات، وذهب سليمان فائق إلى البصرة، وكان أمله مصروفاً أن يستخدم في وظائف مهمة، ويلتحق بدائرة الوالي، ولكن بتسويل من بعضهم نُصب متصرفاً للحلة.

إن قبائل المنتفق من أعظم عشائر العراق. يمتدون من الحلة والديوانية والسماوة حتى البصرة وأراضي الحويزة، وكذا لواء العمارة غالبه منهم يقيمون بصرائف من قصب وأكواخ من بردي، ويرأس هذه القبائل أحد مشايخها مستقلاً، ويقال لأراضيهم (المنتفق)[١]. تعطى للرئيس بالالتزام، فيتحكم بها، واستمر هذا الحال إلى أيام الوزير رشيد باشا الگوزلكي، وفي زمانه، وفي أيام نامق باشا قد أفرزت منها بعض المواطن، فألحقت بما جاورها من الألوية كالديوانية والبصرة، وكانت توضع بالمزايدة لكل ثلاث سنوات مرة، وبسبب الضم على بدل المزايدة في كل مرة تزايد مقدار التزامها، فكانت الاستفادة للحكومة مضاعفة من ناحية الزيادة، ومن اقتطاع الأقسام.

إن هذه الحال لم تجعل للحكومة تدخلاً في الإدارة، ولا رفّهت على الأهلين، فلم يحصل الغرض من الإحالة، ومن جهة أخرى أن الشيوخ يتحكمون بما لا يأتلف وإرادة الدولة، ولكنهم يتشكون، ويرثون لحال الأهلين. في حين أن الزيادة والاقتطاع كان منهم بسبب حرصهم الزائد.

أرادت بهذا الحكومة التنديد، وأن تبين الحالة المعتادة للمشايخ والقواعد التي ساروا عليها[٢]، فقالت: كان هؤلاء الشيوخ يحيلون كل قطعة إلى أصحابها ببدل، وهؤلاء يتحكمون بالأفراد ما شاؤوا، فيستخدمونهم كالأسرى. يأخذون منهم كل أتعابهم، ولا

---

(١) تسمت باسم من حلها من عشائر المنتفق، وأصل المنتفق اسم جد لهذه العشائر.

(٢) الزوراء، عدد ١١.

تجري بينهم أحكام شرعية ولا قانونية، وإن الشيخ الذي ينصّب يستولي على أموال سابقه وأملاكه، وله أن يملّكها إلى غيره.

وهذه الأحوال قد لاحظتها الحكومة، وعنيت بأمر هؤلاء، فأعلنت إلغاء الالتزام أيام نامق باشا، وأراد هذا الوزير إدخال هذه العشائر ضمن إدارة منظمة، فاختار أحد المشايخ (قائممقاماً)، وجعل موظفين معه، ولكن هؤلاء لم يقدروا منفعة ذلك، ولم يعملوا لإزالة ما كانوا يتألمون منه، من أخذ رسوم للخزانة، ولم يبالوا بالأصول الجديدة العدلية، فظنوا ذلك تثقيلاً عليهم، وزيادة ضرائب وتضييقات. الأمر الذي اضطر الحكومة أن تعود إلى الالتزام. وهل تأمن العشائر من الحكومة، وهي التي ضيقت على هؤلاء الشيوخ في أخذ ضرائب ثقيلة؟!

كان قد عهد بالالتزام لمدة ثلاث سنوات إلى ناصر باشا عن السنين السابقة، فانتهت مدة التزامه، وحل أمد الالتزام الجديد، فجاء شيوخ المنتفق لأجل المزايدة إلى بغداد.

ولما كان ذلك ينافي إدارة الدولة، وقاعدتها الأصولية العدلية. شاهدت هذه الاستعمالات السيئة بأم عينها، ومن ثم قررت أنه لا يجوز إحالتها كالسابق، وأن فصل بعض الأماكن إلى الألوية المجاورة كان غلطاً، وصارت تشعر أنها كانت على ضلال، وأن ما أصابها من نكبات وسيئات عادت خواطر قاسية، فزادت الشكاوى من هذه الحالات السابقة، فتعلقت إرادة الدولة في أن تنضم المواطن الباقية إلى إدارة الدولة.

ومن ثم دخلت العشائر في إدارة جديدة، واختير أحد هؤلاء الشيوخ (متصرفاً)، وهو ناصر باشا، ورجّح على غيره، وأعلن للأهلين ما كانوا عليه في السابق، وما سينالونه في الحاضر، وأمر الموظفين أن يمضوا إلى محل وظيفتهم، وأرسل من الجيش سريتين من المشاة وسريتين من الخيالة وهي فرقة ضبطية، وجعل برفقتهم رئيس فوج (طابور آغاسي)، وقسّم لواء المنتفق إلى أربعة قائممقاميات، وعين الموظفين بالتدريج.

وكان أمل الحكومة أن تتخذ (سوق الشيوخ) مركز اللواء، إلا أن وخامة هوائها

منعت من ذلك، فتقرر بناء مدينة باسم (الناصرية) في محل معتدل، وأن تكون طرقها واسعة بمقدار ٢٥ ذراعاً، وأن تكون في وسط اللواء، فوقع الاختيار على المحل الموجودة فيه اليوم، وتقرر إنشاء دار للحكومة، وجامع وأبنية أخرى، وبهذا صار يتقرب الأهلون للحضارة والمدنية، فشرعوا في هذا الأمر[١]. جرّبت عين ما كانت جربته في بابان، وكان أمل نجاحها كبيراً.

وأعلن بيان هذا مفاده: «أيها المشايخ والأهلون في ديرة المنتفق!

أنتم جميعكم من تبعة الدولة، وأراضيكم قابلة للعمارة أكثر من غيرها، وقد بقيتم محرومين من الراحة والرفاه والأمن والدعة والعمارة، مما ناله الأهلون في المواطن الأخرى، وصرتم في حالة ضيق وعناء من جراء الالتزام والرسومات التي تؤدونها، وكان من اللازم تطبيق الشريعة فيما بينكم، فصار يراعى النكال، فيؤخذ من القاتل ألف شامي، وهكذا من يتعدى على العفاف يؤخذ منه (الصيحة)، مثل هذا شأن (الداودية)[٢]، كما أنه تجري المصادرات. مما لا يرضى به السلطان.

وأن الحكومة وضعت قوانين ونظامات منعت بها أمثال هذه الأمور، وصارت تجري الألوية على نظام العدل والرأفة، وأن قطعة هي جزء من بغداد لا يسوغ بقاؤها على هذه الحالة، فيحرم الأهلون من العدل والشفقة فيها دون غيرها، فلزم إدخالها في عداد ألوية بغداد لتكون في فلاح ونعيم، وتطبق في حقها أصول الولاية، ففعلنا ذلك، وجعلنا المتصرف عليها ناصر باشا، وجعلنا معه موظفين للقيام بهذه المهمة، فكان هذا من متممات الأعمال الخيرية».

وذكر توضيحاً عن التنظيمات، فقال: «هذا ما اقتضى أن تتخذ للمنتفق إدارة جديدة، ولا غرض إلا أن ينال الأهلون حقوقهم الصريحة، وينالوا العدل والرأفة، فليكن معلوماً لكم أننا قد ألغينا النكال والصيحة والداودية، وأمثالها من الرسوم التي لم تكن

(١) الزوراء، عدد ١١.

(٢) تؤخذ من البيوت بالتوزيع عليهم، وهي بمقام البيتية، ويقال لها (القلمية).

مشروعة، وأن الأعمال ستجري وفق الشرع والقانون، والمصادرة والتجريم ممنوعان، وكل أحد أمين على ماله وملكه، وله حق التصرف بأراضيه المنتقلة إليه من آبائه وأجداده بصورة مشروعة، وألغيت كافة العوائد والرسوم من خيول وسمن وأغنام، وكذا ألغيت المقاطعة والالتزامات كما هو أصولها الجارية إلى هذا اليوم، ولا يؤخذ من الحاصلات أكثر من العشر، وسوف يعاقب من خالف ذلك أيا كان، والمراجعات والشكاوى تجري على الترتيب، فالمدير يشتكي عليه عند القائممقام، والقائممقام عند المتصرف، والمتصرف لدى الوالي.

هذه خلاصة ما سنعمله، وسنشاهد آثاره الفعلية والنافعة في القريب العاجل بلا شك ولا شبهة إن شاء الله». اه.[١]

هكذا قالوا، وإن سوء الإدارة ولدته الحكومة. تأخذ الضرائب، ولم تكتف بمقدارها المعين وإنما تزيدها في كل ثلاث سنوات من جهة، وتقتطع أقساماً من الأرضين، وأما العادات التي جروا عليها، فهذه كانت تؤخذ حسب المعتاد، وذكرت أنه إذا حدث اختلاف بين الشيوخ تؤخذ (رضوة)، وهذه كانت قديماً يأخذها شيوخ المنتفق، إلا أنها تركت من أيام ناصر باشا وأيام فهد بك ومنصور بك، فلا وجود لها اليوم، إلا أن جريدة الزوراء ذكرتها بقصد التنديد بالعوائد المألوفة، وأن الحكومة عزمت على تطبيق الإدارة المدنية، ومنعت ما كان يؤخذ من الاحتساب والتمغا والباج وأمثالها، مما لا توافق رسوم الدولة ولا تنطبق عليها، وكلها تعين سوء الحالة، وغالب العشائر هاجر إلى مواطن أخرى للخلاص من هذه الشرور، فالحكومة تطلب بدل الالتزام صافياً، والشيوخ يريدون نصيبهم، وكذا سائر الرؤساء الصغار، وهكذا فكان البلاء مضاعفاً، والحق أنهم كانت تنتهك حرمتهم، ويتحكم بهم كل واحد. كانوا في أيام التغلب بنجوة من هذه الرسوم، وإن بدلات الالتزام مع اقتطاع قسم أنهك كاهل العشائر.

ومن أراد أن يعرف نصوص الالتزامات، فليرجع إلى كتاب (مباحث عراقية).[٢]

(١) الزوراء، عدد ١١، في ١٦ جمادى الأولى ١٢٨٦هـ.

(٢) الزوراء، عدد ١٨، بتاريخ ٦ رجب سنة ١٢٨٦هـ.

قضية الدغارة:

كانت تجبى الأموال الأميرية بقوة الجيش، وآمال الحكومة مصروفة إلى طريق الإصلاح فلم يتيسر، فالعشائر لا تؤدي الرسوم المطلوبة، ولا تزال ذممها مشغولة بالمقادير العظيمة. الأمر الذي دعا أن تركن الحكومة في هذه المرة أيضاً إلى قوة جيشها المسلح، وسوقه على عشائر عفك والديوانية كما هو المعتاد قديماً، فذهب إليهم فوج من الجيش تحت إمرة زعيم، ومعه متصرف الحلة.

وفي هذه المعارك قتل الزعيم والمتصرف والمقدم، وأكثر الضباط والأفراد، وتفرق الباقون، فوقعوا في أيدي العربان، فكان من نتائج ذلك أن أظهر سائر القبائل العصيان، وقطعت الأسلاك البرقية، مما دعا أن يجهز مدحت باشا الفريق سامح باشا بجيش يبلغ بضعة أفواج، كما أنه ألحق بهم ما كان في بعض المواطن مما أمكن أخذه، فضمهم إليهم.

وهكذا أوعز إلى متصرف المنتفق ناصر باشا المعيّن أخيراً، وإلى أخيه منصور باشا، وفي هذه الحالة أراد ناصر باشا أن يبدي صدقه وإخلاصه، وأن يقوم بما يرضي الدولة بشوق ونشاط، فلما وصل إليه كتاب مدحت باشا نهض بأربعة آلاف خيّال، فجاء إلى الديوانية، فاتصل بسامح باشا، ووحّدوا جهودهم.

هذا، والقوة العسكرية المحتشدة في الديوانية كانت سبعة أفواج من المشاة، وكتيبة خيالة نظامية، وأربعة آلاف خيال من المنتفق، وأكثر من ١٥٠٠ من خيالة الكرد والچچن، مع مدافع وعتاد حربية ومعدات أخرى كاملة، فلما وصل الفريق سامح باشا إلى الديوانية بقي شهراً لم يقم بعمل ما، ولا زاول أمراً، فحمل العربان هذا إلى أنه خائف محترس، ومن ثم أخذوا في الاشتباك مع الجيش، ومحاصرة البعض منهم في قلاعهم، وضيقوا أنفاسهم.

وكانت هذه العشائر من الخزاعل[١] القاطنين هناك، ومن بني حكيم والجبور والبو

(١) الخزاعل في كتاب العشائر، ج٣، ص٢٤٥.

سلطان[1] وغيرهم، فقاموا بمحاصرة نفس الديوانية التي تجمعت فيها القوة، ولم يكتفوا بذلك، بل انتهبوا المعدات والمؤن المرسلة من جهة الحلة على طريق الفرات، فصارت الحالة تكتسب وخامة وأهمية، واتخذوا ذلك وسيلة، فقطعوا الطرق، ودمروا الأسلاك البرقية، ولم يعد في الإمكان أخذ الأخبار.

أما الديوانية فكانت تبعد عن بغداد ٣٢ ساعة، وبينهما الحلة، فلما وصل مدحت باشا إلى الحلة رأى أن الفريق سامح باشا وناصر باشا وأمير اللواء أحمد باشا، وكثيراً من الضباط والأمراء كانوا يفكرون فيما يجب أن يعرف عن أخبار المحصورين في الديوانية، ويتطلعوا إلى ما هناك. إذ ورد طاهر بك[2] رئيس أركان الحرب للفرقة التي هناك استعانة بنحو ثلاثين خيالاً من الجبور الذين لا يزالون في حالة العصيان على الحكومة قد عاد متنكراً إلى الحلة، ومعه مضبطة تنبئ بأن قائد الفرقة العسكرية وجميع الأمراء والضباط قد تحقق لهم أن الثوار لا يزال يتكاثر عددهم، ويحملون السلاح الصالح للاستعمال، فلم يجدوا نفعاً في الحرب معهم، كما أن انصرافهم للزراعة أولى من سفك الدماء وتعطيل الأعمال الزراعية، فرأوا أن الصلح مع هؤلاء أولى حتى يحين الوقت المرهون، فأجرى ذلك معهم.

أما مدحت باشا فإنه بما عنده من الجند، وهم نحو ثلاثمائة، وما قدر أن يجمعه من الأفراد المبعثرين هناك، أبلغ ذلك فوجاً، وفي اليوم التالي خرج من الحلة، وتحرك نحو الموقع الذي عينه لأحمد باشا، فجاء إلى صدر الدغارة، وهو منتصف الطريق ما بين الحلة والديوانية، ومن ثم اجتمع الجيشان هناك.

وهناك تجمعت العشائر، وصارت تضارب الجيش، إلا أن بنادقهم لا تصل إلى مواطن العسكر، وأن الجيش كان يضربهم بالمدافع، فيقتل منهم الكثير، وفي الأثناء باشر بالعمل، وأن أهل الهندية كانوا عارفين في عمل السد. تعهدوا بسدّه بسهولة لمدة قدّرت باثني عشر يوماً، وأن العشائر أحاطت بالجيش ثلاثة أيام، فصاروا يطلقون الرصاص إلا

(١) بنو حكيم في كتاب العشائر، ج٤، والجبور في، ج٣، ص٨٨، والبو سلطان، في ج٣، ص٣٦.

(٢) صار طاهر باشا.

أن طلقات المدافع والبنادق دمرت فيهم كثيراً، ولم يتضرر العسكر، وفي هذه الأثناء جاء شيخ الجبور، وهو الشيخ خليل[1]، فطلب الأمان والدخالة، ومعه ألفان من الخيالة، فاتخذ له محلاً مناسباً خارج العسكر، وفي ليلة هاجم خيالة المنتفق على حين غرة، وأوقع بهم الأضرار، إلا أن العساكر النظامية دمرته، فذهب خائباً وفرّ، فعلم العشائر يقيناً أنهم لا يستطيعون مقاومة الجيش بالرغم من أن مجموعهم بلغ المائة ألف وأكثر، وجسّرهم على هذا ما رأوا من فرقة الديوانية من برودة وتهاون، وما شاهدوا من تسامح معهم.

ولما علم الثوار أن عبدالكريم شيخ شمر قد ورد أنحاء بغداد. حاولوا أن يمنعوا الاتصال به، كما أن سد النهر مما يؤثر في كل هؤلاء، فصاروا يهاجمون متوالياً ومن كل صوب، وهاجموا سرية عسكر كانت قد خرجت لتدارك التبن للحيوانات، فعلم الوزير بذلك، فسير سريتين من كل فوج لإمدادهم ومعاونتهم، فجرت معركة حامية سقط فيها من العسكر ستة أفراد وجملة من الجرحى، ومن الثوار قتل أكثر من خمسمائة، وفر الباقون، ورموا بأنفسهم في شط الدغارة، فقد ملّوا، ولم يبق لهم عزم في البقاء.

أما الوزير فإنه أبقى في الهندية قسماً من الجيش ومضى الباقون إلى الديوانية، وأعلن العفو العام عن الأهلين، وجعل هدفه الرؤساء المذكورين، وأن يتحرى عن أفراد الجيش والمدافع والمعدات، فتمكن من استعادة الكثير منها، ومن أفراد الجيش وعودتهم. أما الرؤساء دنان وبدوي فقد فرّا، ولكن شيخ المنتفق ناصر باشا بذل الهمة، فألقى القبض عليهما، وأجريت المحاكمة في المجلس العسكري، وحكم عليهما بالإعدام لما ارتكبوا من أعمال ضد الجيش، فصلبا على جسر الديوانية، وبعض الرؤساء من عشائر الديوانية أيضا ألقي القبض عليهم، فنفوا إلى روم ايلي.

وبذلك انتهت واقعة الدغارة، وفي هذه الواقعة أبدى كل من ناصر باشا وأخيه منصور باشا من الخدمات الحسنة والهمم العظيمة ما يستحقان عليه كل تقدير لدى الوالي مدحت باشا.

---

(١) الآن رئيس جبور الواوي الحاج مخيف بن كتاب بن خليل المذكور، وهو نائب في هذه السنة، وكذا عبدالحسن بن مراد ابن الشيخ خليل. ويعرفون بـ (الجوازرية). عشائر العراق، ج٣، ص٨٨.

ومما يذكر أن شيخ عشائر شمر الشيخ عبدالكريم كان قد ورد بغداد كما تقدم، وجاء إلى الوزير وهو في الديوانية بداعي أنه جاء لمعاونة الحكومة في تسكين الثورة، إلا أنه وجدها قد هدأت، وانتهت الحالة بسلام. أما الوزير فإنه اشتبه من وضعه، ولكنه لم يبد شيئا ينفره، أو أن ذلك فسر بما سيقع، فأخذه معه، وعاد إلى بغداد في كانون الأول[١]. كما أن ناصر باشا رجع إلى المنتفق.[٢]

ومن الغريب أن نرى الأستاذ سليمان فائق قد جعل سبب هذه الفتنة ناصر باشا، في حين أن مدحت باشا هو الذي دعاه، وكان يثني عليه وعلى أخيه منصور باشا بما تقدم الكلام عليه، ولو أننا رأينا (علي حيدر بك) يكتب هذه الواقعة في أعمال والده، ويستند إلى مراجعها الصحيحة الرسمية ومذكرات والده لكان للأستاذ العذر. أوضح أن ما صرف من مبالغ وما قتل من نفوس كان بسبب من ناصر باشا، في حين أن الحكومة حاولت جباية الميري، فحرك رؤساء العشائر الفتنة فاشتعلت.

وعدّ الأستاذ سليمان فائق أن هذه الواقعة مما أثر في الوالي لما طرأ فيها من حالات فصار يحتاط أكثر مما يجب، فلم يستطع أن يقوم بالخدمات المطلوبة منه، وعدّ من جملة ذلك أمر لواء المنتفق، يريد أن يتحرك الوالي على ناصر باشا بعد أن قام بما قام به من مساعدة، وما فعل من الخدمات الجليلة في (واقعة الدغارة)، فيغضبه ويجعل العراق في نار مشتعلة، والحكومة في عداء للكل، فلم تبق على صاحب، في حين أنها كانت في بداية تشكيل جيش، وفي حاجة إلى أعمال أخرى. تغافل عن ذلك كله، وأظهر هذه الآراء بعد الوقيعة بمدحت باشا، والنفرة من أعماله.

حوادث عزل:

عزل متصرف البصرة الأستاذ سليمان فائق، والمحاسب سليم، وأمين الصندوق، فأخذوا للمحاكمة كما جاء في الزوراء، والأستاذ تدخل في أمر الالتزامات في المنتفق،

---

(١) تبصره عبرت، ص٨٠.

(٢) رسالة المنتفق.

وإن لم يتظاهر علناً، بل راعى جانب الدولة في لزوم القضاء على هذه الإمارة، ولذا لم يترك وشأنه تجاه مناوأة آل السعدون.

والملحوظ جداً أن عزله كان لمصلحة التفاهم مع المنتفق، وإرضاء ناصر باشا الذي أصر على تنحيته، وبيّن للوالي أنه لا يأمن من غائلته، والوالي في حاجة إلى أمراء المنتفق حبّا في التفاهم معهم بأمل قضاء أشغاله الأخرى، ومن هنا كان سبب ترجيحهم عليه، وبعد مدة يسيرة منح رتبة ميرميران (أمير الأمراء).

المنتفق أيضاً:

كان مدحت باشا بالنظر لما قام به من الأعمال يعد من أعاظم الرجال، بل لو اجتمع مئات لما قاموا بما قام به، ولكنه رأى المعارضات كبيرة، والتصلب في الآراء شديداً جداً، فكان لا يقنع بترجيح رأي لموافقته لآخر، وإنما زاول الأمور مباشرة، فلم يكن منقاداً لرأي دون أن يتحقق الحالة بنفسه، مما دعاه أن يذهب إلى البصرة، ويتحقق أوضاعها ليكون على علم بما يجري أو يقع، وأمله أن يقوم بأعمال أخرى أيضاً، وربما كانت الأعمال الأخرى هي المقصودة، وهي قضية نجد.

سار هذا الوزير إلى البصرة، ووصل ملتقى النهرين (القرنة)، وشاهد بعينه أكثر القرى والمزارع المنوي إفرازها من لواء المنتفق، وعلم مواقع أخرى ومزارع. بل درس الحالة هناك من جميع وجوهها، ودعا الشيوخ والمعتبرين ممن هو قريب من تلك الأنحاء، وسألهم عن أحوالهم وشؤونهم، وما يشكون من ظلم نالهم، أو تعديات لحقت بهم، فعرف ما هناك مما يجيش في صدورهم.

والملحوظ أن مدحت باشا لا يتسرع في الحكم، ولا يعجل في الحل، ولكن الأستاذ سليمان فائق قد بيّن أنه أمر حالاً أن يكون هؤلاء تابعين لقضاء القرنة، وفصلهم عن المنتفق، وأكد لهم أنهم صاروا بنجوة عن التعديات، وأوصاهم أن يسعوا لأمر الزراعة، وأن يثابروا على ما يعود لهم بالخير، وأن يراجعوا في مصالحهم قضاء القرنة.

قال: وبعد بضعة أيام ورد ناصر باشا البصرة، وجلب الشيوخ المرقومين، وقال لهم أنتم من المنتفق فلا تعرفوا غير ذلك، وهدّدهم أن يخالفوا أمره، وحذّرهم أن يفرط منهم ما يكره، ولم يكتف بهذا، بل وبّخ قائممقام القرنة، وأبدى سخطه عليه، ولما وصل إلى البصرة واجه صاحب رأيه وهو اليهودي، وأخذ منه الدرس، وبيّن للوزير أن تفريق هذه الأماكن وفصلها عن المنتفق يستدعي محاذير، ويخشى أن يقع اضطراب بين العشائر والحكومة، وكأنه يذكره بما وقع في الحلة، فاتخذ ذلك وسيلة التهديد من طرف خفي، وأبدى مطالعته في لزوم صرف النظر عن ذلك.

ومن ثم أصر ناصر باشا على رأيه، وصار مدحت باشا يلتمس الخروج من هذا المأزق، واستطلع رأي الأستاذ سليمان فائق، وقال له إن ناصر باشا لا يزال مصراً، ولم يتقرب بوجه، فهل في وسعنا الموافقة على ترك هذه الأماكن تابعة للمنتفق؟

فأبدى الأستاذ أن فهد بك كان قد أعطى كلاماً باتاً في الموافقة على ترك المواطن المذكورة، وأخرى غيرها، وهو لا يزال في بغداد، ولا يدري ما إذا كانوا يتزاحمون، فلم تعرف فكرته الآن، وعشائر المنتفق محاربة كعشائر الحلة، ولآل السعدون سلطة قوية عليهم، وإن كانوا في نفرة منهم، وإن تسلطهم على هذه القبائل دعا إلى ذلك.

ومن جملة ما قاله: إن الظلم أفسد أوضاعهم، وبسبب الترف ذهبت فروسيتهم، وإن الجور نفّر منهم عشائرهم، ولو أرسل إليهم فوجان من الجند المسلحين بالأسلحة الجديدة لما استطاعوا الوقوف، وولّوا الأدبار، ولكانوا لجأوا إلى الدخالة والاستيمان، وذلك لا شائبة فيه.

هذا ما بيّنه، وكان لا يرضى إلا بالقضاء عليهم، ولو طلبوا الاستيمان. أما الوالي فلم يجبه على قوله، واختار السكوت. لم ينبس ببنت شفة!

ومن ثم أدرك الأستاذ سليمان فائق كما قال خطأه في قوله للوزير إن المعضلة تتم بقوة السلاح، وندم لأنّ الوالي قد شاهد عشائر الخزاعل والحلة، ويعتقد أن المنتفق يبلغون مائة ضعف أكثر من الخزاعل، وأن أوضاع مدحت باشا بالنظر لمعارضيه في

دار السلطنة حرجة جداً. يترقبون أن يرتكب غلطة أو هفوة أمثال هذه لتفتح طريقاً لتقولاتهم، فكان يتباعد عن القيل والقال، ويتجنّب ما يدعو للخطر، فالتزم حالة الهدوء والطمأنينة، فلم يشأ أن يحرّك ساكناً، ولم يكن له ميل إلى استعمال القوة.

ذلك ما اضطره أن يراعي الحكمة، ويروّج مقاصد المنتفق، ولم ير بُداً أن يعلن عدوله عن إفراز المواطن الكثيرة، فنال ناصر باشا في هذه المرة أيضاً أغراضه ومقاصده، ودعا إلى أن تقف التشكيلات الإدارية التي عزمت عليها الحكومة، وأقول إن تجنب الحوادث من مدحت باشا لم يكن إلا بأمل ألا يشوش على المنتفق، فتفسد عليه الخزاعل وأنحاء الديوانية، ويضيع الكل من يده، وأنه له مصالح بالمنتفق من أعظمها (قضية نجد).

إن أوضاع الأستاذ سليمان فائق هذه لم ترض المنتفق، وكان يصارح بها الوزراء، فكانت الوحشة بينه وبين الأمراء تعد السبب في تخديش أفكار الوالي عليه. أفهموه أنه سوف لا يدع الإدارة تستقر على حالة، بل يزعج الحكومة في إيقاع الفتن وإثارة الزعازع. أرادوا التخلص منه، فاختلقوا عليه ما اختلقوا استعانة باليهودي المذكور وبمحاسب البصرة لتهدأ الحالة.

هذا، ومن ثم نعلم نوايا الحكومة، وأوضاع الأهلين، ونزعة الأستاذ سليمان فائق، وبذلك ندرك ما نال المنتفق من العناء والشقاء، فتجاوز حده. نرى الحكومة في كل بضع سنوات تزيد في بدلات الالتزام، وتقتطع جملة من الأراضي أو تعيدها، فتكون الضرائب مضاعفة، الأمر الذي دعا أن تميل جملة من العشائر إلى إيران، والأمراء في انزعاج كبير بين إلغاء المشيخة أو إبقائها.

ومن هنا نشأ الاضطراب وارتباك الحالة، وما تكبدته الحكومة من وقائع وكلفات باهظة وأضرار كبيرة، فلم تسلك الطريق السوي في الإصلاح، وغالب الأشخاص من يهود وغيرهم يصطادون من تعكر الحالة، ويلعبون أدوارهم، والموظفون لا يخلون من استفادة، بل هم بيت القصيد، والغرض مصروف إلى جهات إرضائهم، وهناك الأضرار في النفوس وفي الأموال.

وهذا هو سوء الإدارة، وارتباك أمورها، وكثرة مشاغلها في غوائل، والأمر ليس كما يتصور الأستاذ سليمان فائق من أمر القضاء على مشيخة المنتفق، وأنه من السهولة بمكانة، لم يتوسع أكثر، ولذا عدّ كل مخالفة لرغبته هذه جريرة.

كانت تعترض الدولة عقبات، وإلا فالمعرفة بأحوال المنتفق لا تكفي، فالحكومة أعرف بوضعها العام، فلا تطوّح نفسها في أخطاء غير مأمولة النجاح، والمغامرة مقامرة، وقضية المنتفق شغلت تاريخ هذه الحقبة فلا تزال مضطربة، والملحوظ أن مجيء الوالي إلى البصرة كان قبل سحب يد الأستاذ سليمان فائق من البصرة.[1]

بناء الناصرية:

إن الخلاف بين أمراء المنتفق، وتنازعهم على السلطة من الأسباب المهمة للقضاء على هذه الإمارة، وتعد كافية لنجاح مشروع الدولة في الاستيلاء على هذا اللواء كما استولت على بابان وغيرها، ولكن هناك عوائق حالت دون الإتمام، وكلفت الحكومة كلفاً عظيمة أدت إلى القسوة بالأهلين، ومن أهمها تزييد بدلات الالتزام، واقتطاع أقسام من أراضي المنتفق مع الاحتفاظ بهذه الزيادات، فقد ولّدت ظلماً، وأنتجت ارتباكاً، ودعت إلى أن يهرب العدد الكبير من العشائر إلى أنحاء إيران، فكان ذلك التشوش مطلوبا منها، وداعية الكره والحنق عليها وقتالها بتهالك زائد حباً في الانتقام، وأخذ الحيف.

وقد مرّ أن ناصر باشا لم ير بُداً من الإذعان لأمر الوالي مدحت باشا حذر أن يوافق سواه من مناوئيه، وأراد ألا تنزع السلطة منه، ولا يضيع الفرصة، وأن يجري مع المقادير، فقبل أن ينفذ رغبة الوالي أسس بلدة الناصرية المسماة باسمه. اختطها المهندس البلجيكي المسيو جول تللي، فوضع الحجر الأساسي لدار حكومتها في سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م)، فوافق رغبة الوالي. حصل على مطلوبه دون استعمال قوة أو امتشاق حسام، وفي الحقيقة هو الذي ألغى بحق مشيخة المنتفق بتأسيس بلدة صارت مركز

---

(١) تبصره عبرت، والزوراء، ورسالة المنتفق.

اللواء، وحصناً للدفاع والاحتماء بها، فكانت مقدمة للاستيلاء النهائي على المنتفق، وإلغاء إمارتهم، وهذا هو طريق الإصلاح الملتمس، فلم يعاكس بقوة.

وكان أول من بنى داراً فيها للسكنى نعوم سركيس والد الأستاذ يعقوب سركيس. ثم بنى أسواقاً وخانات وقهاوي، وكان قد اتصل بناصر باشا، فأقامه أميناً لخزانته. ثم زادت العمارات، واستمرت في تقدمها إلى أيامنا هذه، واليوم هي مركز اللواء.(١)

ومن ثم عوضت لهم الحكومة أمراً آخر غير توجيه منصب اللواء، فجعلت الأراضي الأميرية في قبضتهم. فوضتها إليهم، فكانت بعد انتزاع السلطة منهم معوّلهم الأخير.

جاء في لغة العرب: «صارت الناصرية قاعدة بلاد المنتفق، وقد حكم فيها ناصر باشا من آل السعدون. ثم ولده فالح باشا. ثم فهد باشا والد صاحب الفخامة عبدالمحسن بك(٢)، وأخيرا في أول إنشاء الحكومة العراقية كان متصرف الناصرية الزعيم الكبير إبراهيم بك ابن مزعل باشا السعدون».(٣)

وجاء في جريدة الزوراء عن بناء الناصرية أنه كان لناصر باشا همة تشكر في تأسيس هذه المدينة. جاء خبر تحويل عشائر المنتفق إلى لواء، وهؤلاء لا يزالون يسكنون الصرائف وبيوت البردي، ولما كان سوق الشيوخ لا يصلح أن يكون مركز اللواء. اقتضى تأسيس بلد آخر، وهذا سمي بـ (الناصرية).(٤)

والهمة مصروفة لبناء جامع شريف، ودار حكومة، وأبنية أخرى، والمأمول أنها تتم في هذا الصيف بتدارك ما يلزم(١)، وكان قد تبرع ناصر باشا بمبلغ ٥٠٠ كيس. ثم بمبلغ ٣٥٠ كيساً لإكمال بناء الناصرية، وله تبرعات أخرى لإنشاء جسر تقدر بعشرة آلاف

---

(١) لغة العرب، ج٢، ص٢١. بإمضاء منتفقي، وهو الأستاذ يعقوب سركيس، والزوراء في أعدادها الأولى.

(٢) هو فخامة المرحوم عبدالمحسن السعدون رئيس الوزراء الأسبق، وتوفي ببغداد في ١٣- ١١- ١٩٢٩م.

(٣) لغة العرب، ج٥، ص٥٣٩ للأستاذ علي الشرقي.

(٤) الزوراء، عدد ١١.

شامي أي ٩٧,٥٠٠ قرش، وهذا يدل على ما فطر عليه من كرم وهمة وأخلاق مرضية.

هذا، وقد علمنا:

١- أن الناصرية صارت مركز اللواء، ومتصرفها ناصر باشا السعدون.

٢- الشطرة من أقضية هذا اللواء، وقائم مقامها فالح بك السعدون ابن ناصر باشا.

٣- الجبيلية من أقضية هذا اللواء، وقائم مقامها مزيد بك.

٤- سوق الشيوخ.

ونائب الشرع في اللواء السيد عبدالباقي الآلوسي. ثم حصل تبدل في هذه التشكيلات الإدارية، فاستقرت على ما هي عليه اليوم من أقضية، فتعين لنا أن أول متصرف هو ناصر باشا تعهد ببناءِ الناصرية، وأن تحوي دار حكومة ومكتباً وجامعاً، وأن يصرف المبالغ المقتضية من كيسه، وأرسل إليه التخطيط من بغداد، وهكذا تكاملت، وصارت في عداد المدن المنتظمة، ولا تزال في تكامل.

حوادث سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م):

متصرف المنتفق:

ناصر باشا نال رتبة روم ايلي بگلربگي (أمير أمراء الروم ايلي).

حوادث ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م):

المنتفق:

حاولت الدولة القضاء على إمارتها، فلم تطق ذلك، وكانت استغلت الخلاف بين أمرائها، فتدخلت في (الالتزام)، وكان مقطوعاً، فصارت تزيد فيه كل ثلاث سنوات،

وتقتطع من أراضيها وعشائرها قسماً، فتلحقه بما تحت سلطتها وأقرب إليها من ألوية لما أوجدت من خلاف بين الرؤساء.

وأن صكوك الالتزام ومقاديره، والكثير من حوادث المنتفق مبينة في كتاب (مباحث عراقية) للأستاذ يعقوب سركيس في مجلديه المنتشرين الأول والثاني، وكذا في مقالاته في لغة العرب، وفي رسالتي الأستاذ سليمان فائق، ومصادر تاريخية أخرى عديدة، مما تكلمنا عليه في صفحات سبقت.

ومن هذه نعلم وجوه تدخل الدولة في القضاء على إمارة المنتفق، والطرق التي مارستها، ولكنها لم تقض على الإمارة إلا بعد هذا العهد، ويأتي بيانه في حينه، ولكنها خطت خطوة، وهي تأسيس بلدة (الناصرية)، وأن المقتطعات لم تعد إلى المنتفق جميعها، وعشائر المنتفق أوضحت عنها في المجلد الرابع من عشائر العراق. هذا وتكونت (الشطرة) في هذا العهد، وجاء التوضيح عنها فيما كتب الأستاذ يعقوب سركيس.

حوادث سنة ١٢٩٥هـ:

منصور باشا، أمير المنتفق السابق كان من أعضاء شورى الدولة، فعاد من إستنبول، ووصل إلى بغداد في ٢٨ شعبان سنة ١٢٩٥هـ، فأمر بالإقامة ببغداد، واختير لعضوية مجلس الإدارة.

حوادث سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٩م):

متصرفية المنتفق عهدت إلى أحمد بك.[١]

حوادث سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م):

اضطراب الحالة في المنتفق

(١) الجوائب، عدد ٩٩٢، في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٢٩٧هـ.

إن منصور باشا أحد مشايخ المنتفق ومن أمرائها جاهر بالعصيان، وإن الباب العالي أرسل إلى رئيس عساكر بغداد الأوامر اللازمة لحفظ الراحة والأمن.[١]

ثم ورد الأمر إلى عبدالرحمن باشا والي بغداد أن يتوجه بنفسه إلى البصرة ليعلم أسباب الاضطراب الذي ظهر في المنتفق، وكانت الحكومة أرسلت أربعة أفواج، وبقيت الحالة مضطربة في أيامه لاختلاف وجهات النظر بين الجيش والوالي، ولم تتم الغائلة إلّا في أيام تقي الدين باشا الوالي الذي أتى بعده.

حوادث سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م)

انقراض إمارة المنتفق

إن الدولة كانت تخشى من منصور باشا أن يحدث اضطراباً في المنتفق، ولذا أمرته بالإقامة في بغداد، وجعلته عضواً في مجلس الإدارة، فهو معزز مكرم ظاهراً، ولكنها كانت تخشى أن يولد قلاقل، فهي في حذر منه.

وفي أيام عبدالرحمن باشا اغتنم فرصة، فعبر ديالى، ومنها ذهب إلى أنحاء الكوت، ومنها مضى إلى الحي، فاتصل به ابن أخيه فالح باشا وعشائر المنتفق، فكانت محاولات الحكومة في تقريبه فاشلة، وحدث خلاف بين الوالي والجيش، فأصر رئيس أركان الجيش الفريق عزت باشا على لزوم القضاء على إمارة السعدون.

ذلك ما أدى إلى عزل الوالي عبدالرحمن باشا، ونصب الوالي تقي الدين باشا، وإن الفريق أكد الانتصار، وجعل الدولة في ارتباك من أمرها من جراء أنه اتهم المسؤولين في الدولة بأن دراهم السعدون شلت اليد عن العمل.

وكانت الحكومة أرسلت أربعة أفواج لتسكين الحالة، وفي هذه المرة صدر أمر بإرسال عشرة أفواج (نحو ثمانية آلاف جندي)، إلا أن هذا المقدار غير كاف للتغلب على منصور باشا، فإنه تجمع لديه نحو عشرة آلاف من الفرسان، وقد قرّ الرأي على

(١) الجوائب عدد ١٠٠٣، في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٧هـ.

إعادة البصرة متصرفية ملحقة بولاية بغداد، فوجد أن انفصالها عن بغداد لم يكن صواباً، وأن الباب العالي استدعى ناصر باشا أخا منصور باشا غير مرة، وكان في إستنبول ليجيب عن بعض مسائل تتعلق بأحوال تلك الجهة، فأجاب أول مرة بأن ثورة أخيه لا أهمية لها. ثم قال: إنه يمكن إعادة الراحة بعزل قاسم باشا الزهير أحد أعيان مأموري الدولة في البصرة المتصفين بالصداقة لها. ثم أرسل منصور باشا برقية إلى الباب العالي تتضمن أن الهيجان الواقع ناشئ عن الخلاف بينه وبين قاسم باشا، وأن المشاحنة كانت معلومة بينهما، ولما كان هذا يؤدي إلى تدخلات بعزل زيد ونصب عمرو مما يشوش الإدارة. لا شك أن الباب العالي يراعي الحقوق العامة، ويعرف ما في الطوية، فلا يتأثر بمثل ما طلب.

ثم إن الأخبار الواردة من البصرة أنبأت باستقرار الراحة العامة فيها، وأن الباب العالي طلب حضور منصور باشا[1]. هذا وإن الدولة شكرت مساعي ناصر باشا، وهذا الإجمال غير واف بالغرض.

شغل هذا الحادث الأفكار مدة، وأن الدولة كانت في ريب من أمرها. أرسلت إلى بغداد والبصرة ثلاثين ألف بندقية من صنع مارتين هنري، وإن الواقعة حدثت في مقاطعة أم الشعير في شمالي الحي والتابعة له، وهذه في تصرف الشيخ عبدالله آل محمد الياسين رئيس عشائر ميّاح، وفي كتاب (نجد قطعه سنك أحوال عموميه سى) تفصيل جاء فيه:

هذه الحادثة كانت مهمة. قضت فيها الدولة على الإدارة العشائرية وإمارتها بعد أن رأت مجادلات، وحاولت محاولات عديدة، فصار اللواء تابعاً للبصرة. قام آل السعدون بثورة على الحكومة، وكانت قوة العشائر تتجاوز العشرة آلاف، والجيش كان لا يتجاوز الألفين.

وفي هذه الحرب تقدمت العشائر بإبل سارت أمامها نحو ألفين أو ثلاثة آلاف بعير. سدّوا آذانها بالزفت، ووضعوا عليها أكياس الرمل، وركب عليها بعض المتطوّعين.

---

(١) الجوائب عدد ١٠٠٧، في ٧ رجب سنة ١٢٩٧هـ.

جعلوه في الأمام وآخر خلفها، وصار يسوقها بعصي من حديد، وبشدة عظيمة، وهاجموا بها الجيش، والأول صار يذري الرمال من الأحمال التي على بعيره ليشوّش الهدف بغبار كثيف، فصار لا يشاهد ما وراء الغبار.[1]

والباقون من المحاربين جاؤوا من وراء الإبل وهاجموا، وكان رئيس الفيلق السادس الفريق عزّت باشا في موقف خطر من هذه الحالة. كان حاضراً بنفسه يشجع العسكر، ويحضه على الثبات، وكانت شجاعة الضباط فائقة، والمدافع متهيئة ترمي بانتظام وسرعة.

بذل الرئيس الجهود الكبيرة ليحصل على النجاح، وذلك لأن منصور باشا السعدون أعلن نفسه (سلطان البر)، وأعلن استقلاله في لواء المنتفق، وصار يتعرض بالعمارة والبصرة، وأما أخوه ناصر باشا فإنه كان في إستنبول يغفّل هيئة الوكلاء، فصارت الدولة لا تلتفت إلى ما يقوله عزت باشا، بل تقابل ذلك بتوبيخ.

أما القائد الرئيس فإنه كان ثابت العزم، قوي الإرادة فيما قصده، فهو قائد كبير، والحكومة تخشى العاقبة، ولكنه مقتنع واثق من النجاح، ولم يبال بكل ما وصل إليه من تقريع، فرأى أن سلامة الفيلق تتوقف على الانتصار على آل السعدون، فقدم دلائل قوية، وأصرّ على فكرته.

طالت المخابرة، وزادت المطاولات من السعدون. حوصرت الناصرية، وكان فيها فوجان، كما تقدمت القبائل وتعاهدت، فأزعجت البصرة بما ترميه عليها ليلاً ونهاراً من طلقات البنادق، فكانت الأوضاع تستدعي أن تحل القضية بقوة السلاح، ومن ثم أبرق القائد الرئيس إلى السلطان: «أيها السلطان إن ليرات السعدون، وحرص الوكلاء الحاضرين وطمعهم. إذا كانا موجودين، فلا يمكن إصلاح العراق». اه.

كان لهذه البرقية أثرها، فأربكت أمر الحكومة سواء في المابين أو في دوائر الدولة الأخرى، فقيل إن تأديب هؤلاء يحتاج إلى قوة عسكرية متألفة من ١٥٠ ألف جندي،

(١) قال الشاوي في تاريخه: سدوا آذانها بالقطن لئلا تخشى أصوات المدافع، فتهرب.

كما بيّن ذلك رديف باشا في لائحته، وكان جواب البرقية بأن هذه تحتاج إلى قوة مالية، والحالة لا تساعد على إدارة مثل هذا الجيش، إلا أنكم إذا كنتم تميلون إلى غير ذلك، فالمسؤولية تكون في عهدتكم، وامضوا بما عندكم من موجود، فإذا قدرتم على الإصلاح، فابدأوا في تأديب الثائرين.

أما القائد فإنه لم يفتر عزمه، ولا خشي من هذا التهديد، حتى إنه لم يبال بالحرّ والموسم صيف، فتدارك ما تيسر له من قوة قليلة، ومضى بنفسه، فوصل إلى الحيّ. وبواسطة يهودي قُدم إليه مبلغ ثلاثين ألف ليرة من منصور باشا، فلم يتنزل لقبولها، وأمر أن ينقاد إلى مطالب الحكومة، ونصحه أن يرجع عما فكر فيه، فانتظر ثلاثة أيام في الحي، وفي هذه المدة خابر أمير ربيعة، فتمكن القائد من فصله عن آل السعدون.

ولما لم يصل جواب ما نصحه به تحرك بما لديه من قوة، وبعد مضي ثلاث ساعات شاهد مقاومة العشائر له، فكان ما كان[1]، فانتصر على السعدون.

هذا. وقد اشتهرت هذه الواقعة، وحفظت فيها أناشيد وأغاني عامية مما يعيّن درجة تأثيرها، ولكننا نجد الآثار المدوّنة من قبل العراقيين قليلة، فقد ذكرها الأستاذ محمود الشاوي في تاريخه.

ثم جاءت الجوائب تذكر أن منصور باشا من أمراء المنتفق سيقدم إلى إستنبول، وإن رئيس مجلس التجارة في البصرة قاسم باشا آل زهير ورد بغداد، ونشرت مضبطة مؤيدة لما يهدف، ومندّدة بآل السعدون، وأنهم متغلبة، واستعرض أهل البصرة تاريخ المنتفق، وما نالهم من السعدون، وهذه صورتها:

«إن إمارة المنتفق كانت متغلبة علينا وعلى أملاكنا، وكثير منّا من ترك أملاكه إذ ذاك، ونجا بنفسه لكثرة ظلمهم وجورهم، عدا الأملاك التي اغتصبوها منا، ولما منّ الله علينا بحكومة منيب باشا في عهد نامق باشا والي بغداد وقتئذ حارب الموجودين من هذه العشيرة في أطراف البصرة، فغلبهم وطردهم، وأراحنا من تعديهم وظلمهم، فملكنا غاية

(١) نجد قطعه سنك أحوال عموميه سي، ص١٢٢.

الراحة، غير أنهم بواسطة بقائهم في المشيخة بقيت الأملاك التي اغتصبوها أولاً بأيديهم لما ساعدتهم الولاة، وغيروا اسم المشيخة باسم (القائممقامية). ثم (المتصرفية) وما زالوا على ما هم عليه.

ثم لما أدركتنا العناية الرحمانية بولي أمرنا والينا الأسبق (والي البصرة) عبدالله باشا، وبعده ثابت باشا، لم يخرجا عن دائرة العفة والاستقامة، فلما رأى آل السعدون وعشائرهم ذلك سعوا في تغيير الحال، وإلا فلا يمكنهم الوصول إلى مآربهم، ولا يجدون سبيلاً للطعن في الولاة. شرعوا يرجفون بأن مهر (ختم) الولاة في يد قاسم باشا، وأن المحاكم تحت أمره، مع أن صدق الباشا في خدمة الدولة والوطن أشهر من أن يذكر، فمن ذلك أنه أنشأ مكتباً وطنياً، وجلب له المعلمين البارعين في العربية والتركية والفارسية وغيرها من لغات الأجانب، واستجلب جملة قوانين ووزعها ليتصل علم ذلك بإخواننا الأرقاء في أيدي المنتفق.

فلهذا صاروا يسعون في دفع الباشا المشار إليه، وإبعاده عن وطنه، وأول من سعى في ذلك ناصر باشا لما كان والي البصرة، إلا أنه لم يوفق بسبب العدل الحميدي، وبناء على براءة الباشا من الأباطيل التي نسبوها إليه، وإشعاراً بأنه لم يكن له مع المنتفق أدنى سوء قصد سوى صداقته لدولته وحبّه لوطنه، وإنكاره عليهم سوء تصرفاتهم من ظلم الأهالي والتعدي عليهم. اقتضى ذلك أن قدمنا هذا العرض مسترحمين من العدل الحميدي إرجاعه إلى وطننا معززاً مكرماً كما هو اللائق بشأن أمثاله»[1]. اه.

وفيها تواقيع كثيرة جدا، منها للحاج محمود، وللشيخ أحمد باش أعيان، والحاج طه الياسين وغيرهم، ولا شك أنها من إملاء قاسم باشا.

وهذا ملخص ما قاله الأستاذ الشاوي في تاريخه: إن منصور باشا السعدون بعد عودته من إستنبول أمر ألا يخرج من بغداد، وعيّن عضواً لمجلس الإدارة. بقي ثلاث

(١) الجوائب عدد ١٠٢٥، في ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٩٧هـ.

سنوات، وكان الرئيس على عشائر المنتفق بندر السعدون[1]، فعزم منصور باشا أن يفرّ إلى المنتفق، وينازع الشيخ بندر، فذهب من طريق سلمان باك الكوت، فمضى إلى الحي، وجلب ابن أخيه فالح باشا إليه، وكان متصرفاً في المنتفق من جانب الحكومة، وأعلنوا قيامهم بعشائرهم.

فأرسل الوالي ومشير الفيلق السادس في بغداد حسين عوني باشا مقداراً كافياً من الجنود النظامية بقيادة رئيس أركان الجيش الفريق عزت باشا، فوصل إلى الكوت، فعزل منصور باشا، فلم يرتدع لما اجتمع عنده من كثرة العشائر. تقابل الجمعان، وكان بينهما نهر اليسروفية، فعبره المنتفق، وساقوا إبلهم، وجعلوا خلال الإبل من يعتمدون على شجاعته من فرسانهم. التقى الفريقان، فكان ما كان. هرب قوم السعدون، فالمدافع أصابت الهدف، وهربت الإبل من صوتها، ورجعت العشائر، فنهبت ميّاح أموال السعدون، فرجع منصور باشا مع من معه لإنقاذ أموالهم وعيالهم من العشائر التي خانت، وصار الظفر لعزت باشا، ونهب الجيش غنائم كثيرة، فبيعت في بغداد، وصارت للخزانة، ومن ثم فرّ منصور باشا وابن أخيه فالح باشا وسائر أقاربه إلى الشامية.

ثم إن منصور باشا بعد مدة طلب العفو والأمان، وجاء إلى بغداد. ثم طُلب إلى إستنبول، وعيّن في مجلس الشورى. بقي فيها مدة، وتوفي هناك.

وكان قد طال النزاع من تاريخ القضاء على بابان حتى هذه الأيام. هذا، وإن آل السعدون دامت مكانتهم، واستمرت سلطتهم، فظهر منهم رجال أكابر مثل فالح باشا وسعدون باشا وعجمي باشا وفخامة عبدالمحسن السعدون، وهذا الأخير ظهر بأكبر مما ظهر فيه سابقوه.

وعلى كل حال ابتدأت هذه الحوادث الأخيرة سنة ١٢٩٧هـ أيام عبدالرحمن باشا، وانتهت في أواخر صيف سنة ١٢٩٨هـ أيام تقي الدين باشا، وفي الحقيقة أن بناء الناصرية من مسهلات القضاء على هذه الإمارة.

---

(١) الصواب أن الشيخ كان فهد باشا بن علي السعدون. (مشرف الخزانة)

حوادث سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١م):

في ربيع الأول تجوّل الوالي في أنحاء العمارة والبصرة والمنتفق، فتمكن من الحصول على البقايا الأميرية مما يسمى بـ (الخياس)، ومعناها هالكة أو مائتة في لواء العمارة، وعرف الحالة في البصرة، وما يقتضي لها من إصلاح الميناء، ومضى إلى المنتفق، وكانت هذه التجولات يقصد منها كما يقال نيل المخصصات، وإلا فإن النتائج غير مشهودة. علمنا ذلك من المقدمة، وهي لا تخص والياً بعينه، فعاد الوالي من جولته في ٢ جمادى الأولى. ثم تجوّل هو والمشير في لوائي الحلة وكربلاء في ذي القعدة.

المنتفق:

من ألوية العراق المهمة التي تنتفع من الفرات ومن الغرّاف المسمى بـ (مسرهد) و(شط الحي) المتفرع من دجلة، وهذا اللواء نفوسه كثيرة، وحاصلاته كبيرة جداً، وهو بأيدي (آل السعدون)، وكانت إدارته عشائرية، وإن عدم الانتظام أدى إلى الإضرار بالأهلين وضجرهم، سواء كانوا من الأهالي أو من العشائر، وإن الوالي تأيّد له ذلك بنفسه بما أجراه من تحقيقات. إن الحكومة تألفت منه ستة أشهر أو سبعة من أواخر سنة ١٢٩٨هـ، وهي تجري العدل الآن، واستقبل الوالي بكمال الحفاوة، ومن ثم علم أن تشكيلات الدولة في تلك السنة.

وكان علي خان أحد رؤساء العشائر التزم مقاطعة الأزيرج سني ١٢٩٨هـ و١٢٩٩هـ، فشكاه الأهلون، وسمع الوالي هذه الشكوى، فأجرى التحقيق بنفسه، ففسخ التزامه، وكانت القضايا تحسم على الأصول العشائرية من جانب آل السعدون بصورة (الدية) و(التضمينات)، ورأوا من التشكيلات العدلية إجحافاً في المحاكمات، فاستحصل الوالي أمراً بمراعاة السياسة مع الأهلين، ولهذا رأى أن يطلق المساجين، ويجري محاكمتهم حسب العرف العشائري، فابتهج الناس بما أصدره الوالي من الأمر.

وإن اللواء كان يديره متصرف من آل السعدون، واسمياً من قبل نائب ومحاسب ومدير تحرير، وقائممقامية سوق الشيوخ والحي والشطرة تدار من قبل قائممقامين،

والآن تكاملت الإدارة، وتأسس فيه مجلس الإدارة والمحاسبة والعدلية، والأعشار والطابو، والدوائر الأخرى، وإن قائممقامية سوق الشيوخ تأسست فيها ناحية گرمة بني سعيد، وإن قضاء الحمّار تأسست فيه ناحية بني أسد، وقضاء الشطرة أسست فيه نواحي: الدچّة والبدعة، وقضاء الحي تكوّن فيه من النواحي: واسط وقلعة سكر، وتأسس في كل قضاء نائب ومجلس إدارة وأعشار وضبطية، وأصلح الوالي أمر الالتزام.

الجزء الثامن

حوادث سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م):

وفاة ناصر باشا السعدون:

توفي في إستنبول أمير المنتفق الكبير ناصر باشا السعدون، وكان قد أحرز رتبة الوزارة وولي البصرة[١]، ومرت بنا حوادثه العديدة في هذا التاريخ، وفي المجلد الرابع من عشائر العراق.

حفيد ناصر باشا:

وهو ثامر باشا، حفيد أمير المنتفق ناصر باشا، اغتاله في بغداد رجل يقال له صالح[٢]. أطلق عليه طلقة فقتله، وألقي القبض على القاتل.

منصور باشا:

توفي في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٠٣هـ، وهو أصيل نجيب شريف مع حسن الخلق وزيادة الشجاعة والبسالة. شُيّع نعشه باحترامات لازمة من الوالي تقي الدين باشا والمشير هدايت باشا، وأعيان البلدة وأركانها، ودفن في جامع الشيخ عبدالقادر

(١) الزوراء عدد ١٢٥٧ في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٠٣هـ.

(٢) هو ابن عم أبيه صالح بن مشاري بن عبدالله السعدون، ولم يكن للحادث من أسباب سوى الحالة النفسية للقاتل الذي كان يتوهم أموراً على غير الحقيقة، فذهب هذا الشاب المتعلم ثامر ضحية دون جريرة. (مشرف الخزانة).

الگيلاني[1]، ومرت بنا حوادثه في المنتفق، والقضاء على إمارتها، وما وقع قبل ذلك وبعده، وله من الأولاد:

١- سليمان بك، وتوفي في البصرة سنة ١٣٢١هـ.

٢- عبدالله بك. قتل هو وابنه في حرب ابن رشيد سنة ١٣١٩هـ.

٣- سعدون بك. ثم صار (باشا)، وهو والد عجمي باشا السعدون.

٤- عمر بك.

٥- حامد بك.

٦- عبدالرحمن بك.

٧- عبدالعزيز بك.[2]

حوادث ١٣١٣هـ (١٨٩٥م):

جاء في لغة العرب (ج٨، ص١٠) أن فهد باشا السعدون توفي سنة ١٣١٣هـ، وهو والد فخامة عبدالمحسن السعدون، وعبد الكريم، وعبدالرزاق، ومحمد، وعبدالعزيز، وحامد، وعبداللطيف، وعبدالهادي، وعبدالرحمن، وحمدي، وعبدالمجيد.[3]

حوادث سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م):

سعدون باشا. توفي في حلب الشهباء في أوائل شهر كانون الأول سنة ١٩١١م

---

(١) الزوراء، عدد ١٢٧٨، في ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٠٣هـ.

(٢) أولاد منصور باشا أكثر مما ذكر أعلاه، ومنهم من توفي في حياته، وممن فات ذكرهم على المؤلف: عبدالرزاق، وفهاد، وفرحان، وسعود. (مشرف الخزانة)

(٣) الصواب أن فهد باشا توفي في صفر ١٣١٤هـ، وفات المؤلف ذكر ثلاثة من أولاده، وهم ضيدان بكر أولاد فهد باشا وبه يكنى، وظاهر، وسعدون، وذكر حمدي، والصواب أنه (حمد). (مشرف الخزنة)

(ذي القعدة سنة ١٣٢٩هـ)[1]، وهو من أمراء المنتفق، وهو ابن منصور باشا بن راشد بن ثامر ابن الشيخ سعدون الذي سمّي به الكثيرون من آل سعدون، ومرت بنا وقائعه، ويعد من مشاهير رؤساء العشائر، وطاردته الحكومة مدة، وحارب بعض العشائر، فكان المنتصر. ولد نحو سنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م)[2]. هو والد الشيخ عجمي باشا السعدون[3].

حوادث سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م):

حدثت معارك بين عجمي باشا السعدون من رؤساء المنتفق، وناصره مزيد باشا السعدون متصرف الأحساء سابقاً في حربه مع الضفير والبدور.

حوادث سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٤م):

عجمي باشا السعدون:

نال رتبة مير ميران (أمير لواء) مكافأة لخدماته المشهورة، وأفعاله الوطنية المبرورة، وهو رئيس عشائر المنتفق، واشتهر أكثر في هذه الأيام.

(١) توفي سعدون باشا في مستشفى البلدية بحلب يوم الأحد ٤ ذي الحجة ١٣٢٩هـ (٢٦ نوفمبر ١٩١١م) بداء نقطة القلب والذبحة القلبية، حسب التقرير الطبي الرسمي. (مشرف الخزانة)

(٢) لغة العرب، ج٢، ص٥٠٤، وفيه تفصيل زائد.

(٣) لسعدون باشا خمسة أولاد هم: (ثامر، وعجمي، وحمد، وسعود، وعبدالكريم مات صغيراً). (مشرف الخزانة)

الفهرس



تقدم خزانة تواريخ المنتفق مجموعة من النصوص الأصلية لعدد من الكتب والبحوث المتعلقة بتحالف المنتفق في البادية العربية والعراق الجنوبي، خاصة وأن بعض هذه المؤلفات قديم، وصار عزيز المنال، لتكون بين أيدي الباحثين والمهتمين.

وفي المجموعة الأولى من هذه الخزانة نقدم للقارئ نصوص ١٣ كتاباً وبحثاً عن تاريخ المنتفق، وهي كالآتي:

١. شجرة الزيتون في نسب السعدون

٢. جزء المنتفق من التحفة النبهانية

٣. ذكرى السعدون لعلي الشرقي

٤. تاريخ السعدون لعبدالله الناصر

٥. الشرف المصون في تاريخ آل سعدون

٦. تاريخ المنتفق لسليمان فائق

٧. نبذة من تاريخ بغداد والبصرة والمنتفق

٨. المنتفق في عرب الصحراء لديكسون

٩. آل سعدون في كتاب الإعلام للزركلي

١٠. المنتفق في مخطوطات ياسين العمري

١١. المنتفق في مجلة لغة العرب

١٢. المنتفق في خزانة التواريخ النجدية

١٣. المنتفق في كتابات عباس العزاوي